

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان - الجزائر -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



تخصص تاريخ حديث ومعاصر

قسم التاريخ

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم

الأنساق المضمرة في الخطاب الخاص بالجزائر العثمانية، موجز دائرة المعارف الإسلامية
والموسوعة الإسلامية، بالتركية أنموذجا دراسة نقدية من 1512-1830م

إعداد: الطالبة نعيمة رحمانى إشراف: الأستاذ الدكتور شعيب مقنونيف

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ عبد الحق زريوح
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ شعيب مقنونيف
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ معمر العايب
عضوا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ محمد بوشنافي
عضوا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ خالد بوهند
عضوا	جامعة سعيدة	أستاذ محاضر (أ)	د/ عبد القادر بوحسون

السنة الجامعية: 1441-1442هـ / 2020-2021م

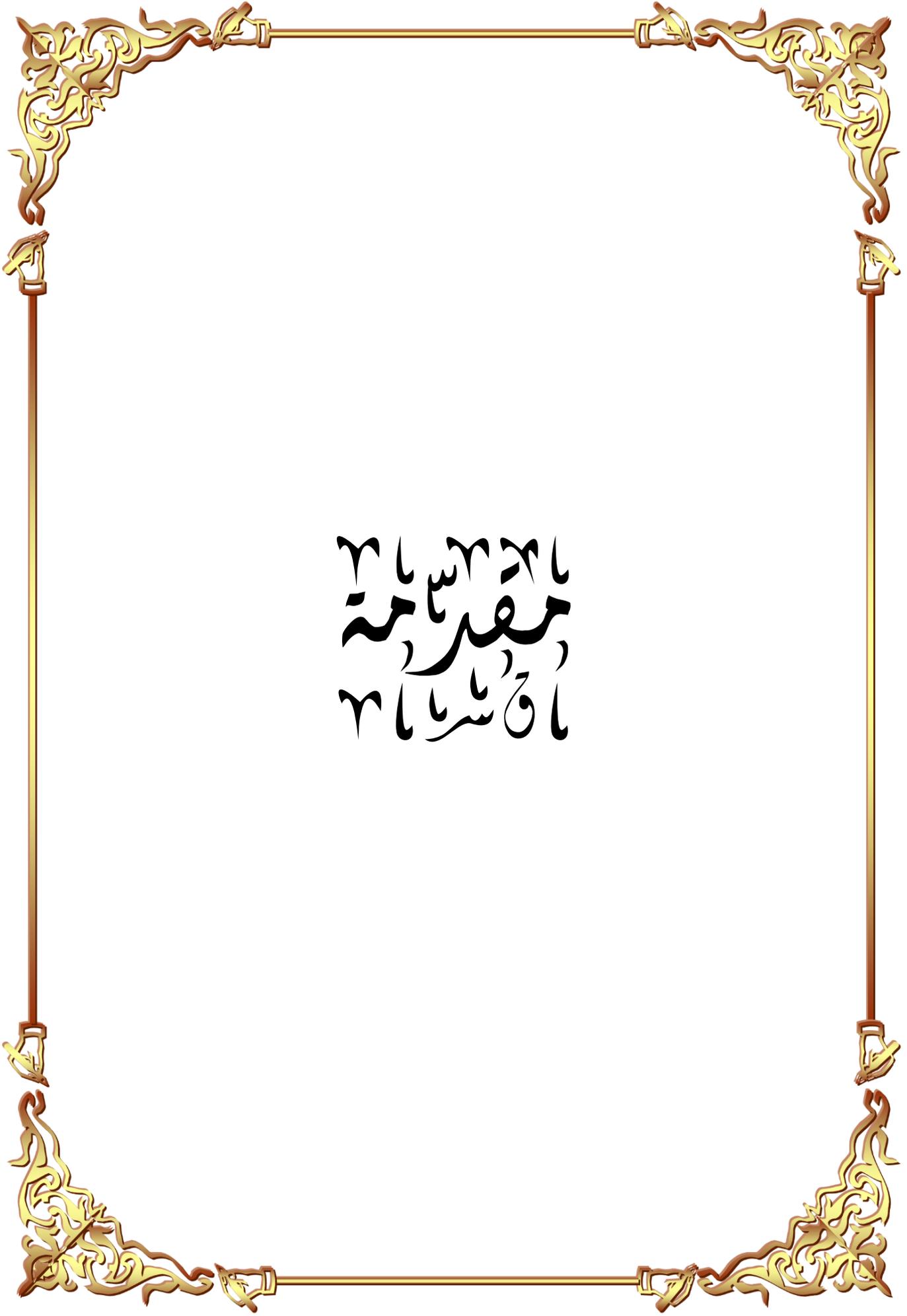
شكر و عرفان

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي وفقنا للإيجاز هذه
الأطروحة.

يشرفنا أن نتقدم بالشكر الجزيل وكامل العرفان
والتقدير لكل من أسبغ علينا من علمه الواسع،
ولم يبخل علينا بالتوجيهات الرشيحة، ووقته
الثمين، وجهده الكبير.

شكرا لكم جميعا، ودمتم لنا فخرا.

الباحثة نعيمة رحمانى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَقَرَّة
أَوْ شَرَاءًا

أسّسنا دراستنا على النصّ الخطابيّ البيثقافيّ، أي بين ثقافتين غربيّة غير إسلاميّة وتركيّة إسلاميّة، تورّخان معاً للأحداث التي شهدتها جزائر الغرب في العهد العثمانيّ، ضمن صراع ثقافيّ مُضمر، حيث أنتجت الذات الغربيّة الاستشراقية نصوصاً كثيرةً في رحاب صيرورة تاريخيّة للجزائر، ضمن ديناميّة ثلاثيّة تتداخل فيها الذات المؤلّفة (المستشرق) والآخر (القارئ)، والسّياق الاجتماعيّ الذي ساهم في إنتاج تلك النصوص. وفي المقابل أنتجت الذات الإسلاميّة التركيّة نصوصاً وخطابات نقيضةً للإنتاجات الاستشراقية في محاولة منها لدحض الأحداث التي تعرّضت للتّشويه والتّزييف. وبين هذا وذاك تولّد لدينا **دافع** ورغبة في إجراء بعض من الغموض الذي اكتنف تلك الأحداث التاريخيّة، من خلال تسطير **أهداف** واضحة، ابتغيها من ورائها رصد الأنساق المضمرّة في النّصوص الخطابيّة في موجز دائرة المعارف (الاستشراقية)، والموسوعة الإسلاميّة (باللّغة التركيّة "وقف الديانة التركي")، ضمن دراسة نقدية (تحليليّة ومقارنة)، مع استحضار سياق إنتاج تلك النّصوص، والوقوف عند المغالطات التاريخيّة الواردة، سواء كانت عن قصد أو بدونه، في محاولة منّا لإثبات عكسها، استشهداً بالوثائق العثمانيّة والمصادر التاريخيّة الموضوعيّة، وذلك ضمن **إطار مكانيّ وزمانيّ** غطّى الزمن الممتدّ من عام 1512م، وهو تاريخ بداية عمليّة تطهير مدينة بجاية من المحتلّ الإسبانيّ، حتّى عام 1830م بداية الاحتلال الفرنسيّ، ورغم أنّ الزمن المختار طويل -3 قرون-، إلّا أنّ السّبب يعود إلى الطّبيعة الشّموليّة للموسوعتين اللّتين تناولتا تاريخ جزائر الغرب في العهد العثمانيّ من بدايته وإلى غاية 1830م.

إنّنا ننشد من خلال دراستنا **الأصالة المعرفيّة** التي تخدم البحث العلميّ وتطوّره، على أساس أنّه لم يسبق تناولها، لا موضوعاً ولا مقارنةً، لتكون بذلك دراسة أصيلة، حيث اعتمدنا على **مقاربة متعدّدة النظريّات** في إطار التّكامل التّخصّصيّ والمعرفيّ ووفق إسهام أربعة علوم: التّاريخ، الأنثروبولوجيا، السّوسولوجيا واللّسانيّات (تحليل الخطاب)، تلكم العلوم التي أتاحت قراءات متعدّدة بمنظورات مختلفة، ساهمت في إثراء الطّرح. هو أمر ليس بالهين طبعاً، لأنّ المعارف تشابكت فيما بينها، ووجدنا أنفسنا ننقل بين تلك التّخصّصات ضمن انفتاح علميّ أضيف على الدّراسة لذة بحثيّة. فقد تبنيّا طرْحاً تجاوز العرض التّاريخيّ التّقليديّ المبنيّ على السرد، إلى تحليل نقديّ متعدّد الأبعاد، مرتكز على مقارنة الأحداث التاريخيّة مع مثيلاتها في تأليفات أخرى تتباين من حيث المنطلق النّسقيّ، سواء الدينيّ أو السّياسيّ الاستعماريّ أو العلميّ أو غيرها. وهو طرْحٌ يُعتبر نصوص مادّة "الجزائر" في الموسوعتين نصوصاً لغويّةً تُمثّل متواليّةً من الجمل تعكس

وجهة نظر مؤلفيها، تلك النظرات التي تُمثّل التّصوّرات المشكّلة لخطابهم حول تاريخ جزائر الغرب إبّان العهد العثماني، والحاملة لمخزون معرفي تاريخي مُثقل بالتّصوّرات المضمرّة الموجهة للآخر المتلقّي. وقد قمنا بنقدها من خلال توظيف وتبني التنظير الخلدوني للنقد التاريخي، على أساس أنّ مقدّمة بن خلدون هي مقدّمة نظريّة ابستمولوجيّة منهجيّة بتعبير الجابري، أين انتقل فيها بالكتابة التاريخيّة من مستوى سرد الأخبار إلى مستوى التحليل العلميّ المبني على التحقيق والتحليل والتعليل والتفسير، فسماه "باطن التاريخ". ولمنهجّة دراستنا ونقد النصوص التاريخيّة اعتمدنا على "النقد التاريخي للفرنسيين شارل فكتور لانجلوا Charles-Victor Langlois، وشارل سنيوبوس Charles Seignobos في مؤلفهما "المدخل إلى الدّراسات التاريخيّة" 1898م. والذي تُرجم إلى اللّغة العربيّة من قبل الباحث عبد الرّحمن بدوي في مؤلفه "النقد التاريخي" عام 1962م، وقد استلهم منهما المؤرّخ المصريّ حسن عثمان صاحب المؤلّف "منهج البحث التاريخي" الذي صدر عام 1964م، والمؤرّخ الجزائريّ ناصر الدّين سعيدوني، صاحب المؤلّف "أساسيّات منهجيّة التاريخ" الصّادر عام 2000م، حيث وظّفنا منهجيّة نقد النّصّ التاريخيّ في ضوء ما جاء به الفرنسيّان كنوع من المحاكاة المختصرة لمؤلفهما "المدخل إلى الدّراسات التاريخيّة".

وبناءً عليه استلزم منّا النقد التاريخي، عملية التحليل المبنية على وصف المعلومات وتفسيرها، تليها عملية النقد وقوامها نقد المعلومات الواردة في النصوص الخطابيّة تمحيصاً ومساءلةً، بدءاً بالنقد الخارجي أو نقد التّحصيل الذي أعاننا على معرفة سياق إنتاج النّصّ (مصدره، مؤلّفه وخلفيته الثقافيّة، تاريخه، كميّة إنتاجه، هدفه، ومصدره)، ثم النقد الباطن الإيجابي، عبر تحليل مضمون وطبيعة النّصّ، فالنقد الباطن السلبي، من خلال التّقيب عن الأمانة والدقّة للتأكد من صحّة الأحداث المعروضة في الموسوعتين، على أساس وجود مسافة بين قول المؤلّف وبين الأحداث التاريخيّة التي تظلّ نسبيّةً وغير مطلقة. بعدها استشهدنا بالوثائق العثمانيّة والمصادر التاريخيّة الموضوعيّة في العملية التركيبيّة للأحداث التاريخيّة بغية تدارك ما لم يتمّ التّطرّق إليه في الموسوعتين أو ما تمّ تزييفه وتشويهه. كلّ هذا بغية الارتقاء بمستوى تلقّي الروايات التاريخيّة والحثّ على الوقوف عند كلّ معلومة وتمحيصها قبل تبنيها وعرضها للآخر، وقد تأتّى لنا ذلك من خلال تحديد الأنساق المضمرّة في النصوص الخطابيّة المختارة من الموسوعتين، ضمن محاور رئيسيّة وأخرى فرعيّة، سهّلت علينا تحديد المنظور، وتعميق البعد الإشكاليّ.

وظفنا من جانب آخر المقاربة التاريخية للخطاب، للباحثة النمساوية روث فوداك Ruth wodak وهي مقاربة ذات بعد متعدّد التخصصات، بدءاً من التخصص اللساني الذي يُعنى بتحليل النصوص الخطابية، ضمن قراءة تاريخية للأحداث، مع التماسٍ للمعرفة الثقافية الأنثروبولوجية من تمثلات خطابية للنمط الثقافي لجزائر الغرب في العهد العثماني، واستلهاً للمعرفة العلائقية السوسيولوجية، على أساس أنّ النصّ الخطابى فعل اجتماعي ذو علاقة بالقوى الفاعلة ضمن إيديولوجيات تؤثر في بعضها البعض.

إنّ الاستعانة بمقاربة تاريخية متعدّدة التخصصات قد فرضت علينا تطعيمها بمختلف النظريات بغية الكشف عن الأنساق المضمرة ضمن النصوص الخطابية التاريخية المقتبسة، حيث وظفنا نظرية النقد الثقافي للمفكر السعودي عبد الله الغدّامي التي تُنقب عن السياقات التي تُشكّل الخطاب -الثقافية، التاريخية، السياسية الاجتماعية، الاقتصادية، الأخلاقية، وغيرها-، كما وتعتبر النصّ الخطابى حاملاً لأنساق مضمرة أكثر من المعلنة تمكّنت من التخفي عبر الزمن بغية التأسيس لنسق ثقافي غربي مهيم مرتكز على الرواسب الثقافية والتراكبات، إلى أن يتمّ رصدها ونقدها. تبيننا أيضاً نظرية الأنساق المتعدّدة التي يُمثلها الباحث إيتيمار إيفان زوهار Itamar Even-Zohar، وهي نظرية تسلّم بوجود أنساق ثقافية متعدّدة ومتداخلة ومتفاعلة فيما بينها، وفق مرجعيّات مختلفة، منها الأنساق الرئيسية (النسق العلمي، السياسي... الخ)، والأنساق الفرعية والهامشية (نسق المؤسسات، نسق الاستغلال... الخ)، وتتمثّل أهداف النظرية في تصنيف تلك الأنساق، وتفسير علاقتها ببعضها البعض. اعتمدنا كذلك على الممارسة التأويلية لمقاصد المؤلّف المستترة، ضمن تحليل يستند إلى نظرية الأفعال الكلامية للباحث جون أوستين John Austin، التي تقوم على مبدأ أنّ لكلّ قول فعل، وأنّ هذا الفعل قد يُمثّل وعداً أو وعيداً أو ترغيباً أو ترهيباً أو إقناعاً أو إرغاماً، والهدف من النظرية هو تجاوز النصّ الخطابى بغية رصد وتحليل المسكوت عنه من خلال البحث عن بيئة إنتاج النصّ، وتحليل مضمونه. وإلى جانبهم نظرية تحليل الخطاب للباحثة النمساوية روث فوداك، والتي تُحدّد استراتيجيات وأنساق الخطاب، خاصّة الخطاب الذي يُمارس الهيمنة الإيديولوجية، ضمن تحليل لصفات وتسميات الفاعلين، والأفعال المسندة إليهم والحجج الموظّفة في الخطاب، والمنظورية التي يُعبّر بها عن التسميات والأفعال والحجج وغيرها. وظفنا أيضاً نظرية الدولة للعالم عبد الرحمن بن خلدون، حيث تبينناها وقدمنا طرحاً جديداً أسقطنا فيه أطوار الدولة انطلاقاً من التنظير الخلدوني على المراحل التي مرّت بها جزائر الغرب،

معتمدين في ذلك على المؤلفات الإسطوغرافية المحلية لتدعيم طرحنا. وعلاوةً على نظرية العالم عبد الرحمن بن خلدون، وظّفنا نظرية العالم الفرنسي فان جنب Van Genep الخاصة بطقوس العبور من مرحلة حياتية إلى أخرى، وهي مقسّمة إلى ثلاث مراحل زمنية: المرحلة التمهيدية أو الانفصالية عن الوضع الأول، ثم المرحلة الاستهلاكية الهامشية، أي على العتبة، وتُسمى أيضاً المرحلة الإعدادية للدخول إلى المكانة الجديدة، وأخيراً المرحلة الختامية أو الاندماجية أو التجميعية أو الانضمامية إلى الوضع الجديد، وقد قمنا بإسقاطها على نظام الدوشيرمه الخاص بالجندية البرية (طائفة الإنكشارية) بغية معرفة كيفية مساهمة هذه الطقوس ورمزيتها في منح الجند الامتيازات الدالة على المكانة الاجتماعية داخل الجندية، حيث يمرّ المجنّد بمراحل تتغيّر فيها منزلته الاجتماعية من خلال ممارسة إجراءات طقوسية تنتقل به من مرحلة إلى أخرى، وتسمح له بالحصول على امتيازات محدّدة كعضو في جماعة الجندية.

لقد كان هدفنا من توظيف مقارنة تاريخية متعدّدة التخصصات هو رصد الأنساق المضمرّة الفرعية والهامشية الموجودة تحت نطاق الأنساق الرئيسية في الموسوعتين، وضمن إيديولوجية النصوص الخطابية المهيمنة كنظام اعتقاد يؤسّس خدمةً للمصالح، من خلال نشر فكرة أو عقيدة أو توجهٍ وغيره. فإيديولوجية النصّ نتاج عمل على الإيديولوجية العامة المهيمنة بالمفهوم الغرامشي -نسبة إلى المفكر الإيطالي الماركسي أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci- الذي نظّر إلى أنّ الطبقات المهيمنة والمسيطرّة قادرة على إقناع الآخر بأنّ موقفها موقف طبيعيّ عالمي، لا يمكن تغييره، ومن ثمّ تقوم بتمرير النصوص الخطابية المساندة لإيديولوجيتها المهيمنة.

وبناءً على ما تقدّم يُمكننا القول إنّ الذات الاستشراقية الغربية، وإلى جانبها الذات التركية الإسلامية، قد أنتجتا معاً نصوصاً تحمل معاني كثيرة في رحاب السيرورة (النقّدم المتتالي)، والصيرورة (التحوّل) التاريخية لجزائر الغرب، الأمر الذي تطلّب منا اعتماد مقارنة متعدّدة التخصصات، وفي الوقت نفسه متماسكةً فيما بينها، مكنتنا من رصد الأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية عند الذاتين معاً، ضمن تكامل للحقول المعرفية المختلفة، أي العلوم الموصلة بتعبير المؤرّخ اللبناني أسد رستم -في مؤلّفه مصطلح التّاريخ-، التي تضافرت جهودها من أجل أن يبرز الحدث إلى الوجود.

وعن الدراسات السابقة يُمكننا القول أنّ دراستنا أصيلة من حيث الطّرح الإشكاليّ ومن حيث المقاربة، لهذا صعب علينا العثور على دراسة لها علاقة مباشرة بإشكاليّتنا البحثية، باستثناء دراسة

واحدة للباحثة السعودية أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، والموسومة بـ"الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية"، وهي في الأساس أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، وقد نوقشت عام 2010م. وبعد التدقيق فيها وجدنا أنها تلتقي مع دراستنا في متغيرين فقط وهما: متغير الدولة العثمانية و متغير دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، بينما تحوي دراستنا متغيرات أخرى تتجلى في متغير الأنساق المضمرّة، و متغير الجزائر العثمانية أو جزائر الغرب، إضافةً إلى متغير الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، الأمر الذي يُضفي اختلافاً جوهرياً على أهداف الدّراستين وإشكاليّتهما، حيث سعت الباحثة السعودية إلى دحض الافتراءات التي لحقت بسلاطين الدولة العثمانية في دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، دون صياغة واضحة ومحدّدة للإشكالية، أمّا إشكاليّتنا البحثية فتتمثّل في رصد الأنساق المضمرّة والمستترة في النّصوص الخطابيّة التي تناولت جزائر الغرب في العهد العثمانيّ ونقدها ضمن نصوص موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) ونصوص الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) المترجمة حصراً من قبل الدكتور الجزائريّ في التاريخ العثمانيّ عبد الرزاق خضر من جامعة إسطنبول بتركيا، والوثائق العثمانية استشهداً المترجمة حصراً من قبل المؤرّخ العراقي فاضل بيّات من مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، تركيا.

وعن المواضيع (فصول البحث) التي تناولتها الباحثة السعودية في أطروحتها فقد تقاطعت مع مواضعنا في عنصرين هما؛ دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والدولة العثمانية. وجدير بالذكر هنا أنّ منهجنا في التعاطي مع هذه المواضيع مختلف تماماً، إذ تبين لنا أنّها عرضت معلومات عامّة حول العنصر الأول، الخاصّ بدائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، فتطرقت لتاريخ الدائرة متناولة تعريفها وتاريخ طباعتها والتعريف بأهمّ مترجميها، بينما قمنا بالتأصيل التاريخي للدائرة، وأضفنا التأصيل التاريخي للموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، ضمن مقارنة خاصّة بالكفاية واللاكفاية العلمية فيهما، مع عرض سياق مادّة "الجزائر" كنصّ خطابيّ تاريخيّ ضمن الموسوعتين. أمّا العنصر الثاني الخاصّ بالدولة العثمانية، فقد تناولته الباحثة السعودية بطرح بعيد كلّ البعد عن طرحنا، حيث قامت بعرض تاريخ السلاطين وأهمّ الادّعاءات التي وردت بشأنهم في دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، بينما ركّزنا في طرحنا على الأحداث التاريخية المتعلقة بجزائر الغرب في العهد العثمانيّ ضمن الموسوعتين، من خلال تحليل النّصوص الخطابية بغية رصد الأنساق المضمرّة فيهما، ثمّ دحضها استشهداً بالوثائق العثمانية المترجمة

حصراً. وبخصوص مواضيع دراستنا التي تختلف عن دراسة الباحثة السعودية، فسيتم عرضها بالتفصيل في مخطط الدراسة، وبناء عليه يتكشف لنا الفرق في كيفية التعاطي مع العناصر البحثية التي تقاطعت مع دراستنا. وإذا ولينا صوب المقاربة فسنجد أن مقاربتنا متعددة التخصصات ضمن تكامل علمي، وقد بينا ذلك سابقاً، في حين اعتمدت الباحثة السعودية على السرد في عرض الأحداث التاريخية ضمن إعادة كتابة للتاريخ العثماني دونما الإشارة إلى المقاربة المتبعة ولا إلى الخلفية الثقافية المعتمدة، ولا إلى النظريات التي استندت إليها أو تبنتها. وفي ضوء ما ذكرناه تظهر جلياً أوجه التشابه والاختلاف بين الطرحين، ومدى استفادتنا من هذه الدراسة. وجدير بالذكر أن المقاربة التي اعتمدنا عليها بوصفها خلفية ثقافية والدراسة السابقة قد حملتنا على طرح الإشكالية التالية: ما هي تجليات الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية التاريخية المقتبسة من موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، العارضة لتاريخ جزائر الغرب إبان العهد العثماني، ابتداءً من عام 1512م وإلى غاية 1830م؟

وقد قادتنا هذه الإشكالية إلى طرح جملة من التساؤلات التي مكنتنا من حصر المحاور الرئيسية للدراسة، بغية تحقيق الأهداف المرجوة، وقد قمنا بصياغتها على النحو التالي:

- 1- أين تتجلى مظاهر الاختلاف والتشابه المتعلقة بالتأصيل التاريخي لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)؟
- 2- أين تتجلى الأنساق المضمرة في الخطاب التاريخي حول مادة جزائر الغرب إبان العهد العثماني ضمن الموسوعتين، خاصة ما تعلق بالمسائل التالية؛
 - (أ) بواكير الثقافة التاريخي الجزائري-العثماني.
 - (ب) الحملات الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات ولاية الجزائر.
 - (ج) التنظيم الإداري لجزائر الغرب أثناء العهد العثماني.
 - (د) مراحل وسياسة الحكم في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني.
 - (هـ) النظام العسكري بشقيه ومسألة الأسرى في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني.

3- ما هو الجديد الذي أضافته الوثائق العثمانية المترجمة حصراً إلى اللغة العربية نهاية عام 2019م، حول المسائل السالفة الذكر، ضمن العملية التركيبية للأحداث التاريخية التي شهدتها جزائر الغرب أثناء العهد العثماني؟

وإذا ولينا صوب الضبط المفاهيمي لمصطلحات الدراسة سنتوقف عند متغيرين أساسيين وهما "النسق" و"المضمّر"، وبما أننا تناولنا المفاهيم اللغوية والاصطلاحية في الفصل الثاني الخاص بالنقد الخارجي للنصوص الخطابية التاريخية في الموسوعتين، وتقديماً للتكرار، سنركز هنا على المفهوم الإجماعي للمصطلحين معاً "النسق المضمّر"، والذي تبيناه طيلة الدراسة، على أساس أنّ النسق المضمّر هو نظام تصوّري لجملة من الأفكار - مفاهيم، نظريات، وغيرها... - المرتبطة ببعضها البعض منطقياً والمستترة داخل النصوص الخطابية حول مادة جزائر الغرب إبان العهد العثماني ضمن موجز دائرة المعارف (الاستشراقية)، والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، وظيفته ممارسة الهيمنة السلطوية الفكرية على متلقي الخطاب دونما شعور منه، من خلال نشر فكرة أو عقيدة أو توجه... الخ، يكون مضمراً.

وبخصوص مصادر دراستنا، فيمكننا القول إنّ المصادر الأساسية التي اعتمدنا عليها لانجاز الدراسة هي موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) الجزء رقم 09 و10، الصادر عام 1998م، إضافة إلى الموسوعة الإسلامية "وقف الديانة التركي" باللغة التركية الجزء 07 الصادر عام 1993م، "İslam Ansiklopedisi, Türkiye Diyanet Vakfi"، واستعنا في العملية التركيبية للأحداث التاريخية بالوثائق العثمانية المترجمة حصراً في المؤلف "البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي"، للمؤرخ العراقي فاضل بيات الصادر عام 2019م، والذي ساهم بشكل كبير في إمطة اللثام عن الكثير من المغالطات التي لازالت متداولة الى يومنا هذا. وإلى جانبها وظّفنا المؤلفات الاسطوغرافية المحلية والدولية التي ساهمت بشكل كبير في إثراء المعارف؛ منها المؤلفات العثمانية والتركية المترجمة والعربية والغربية وثلة من الأطاريح والرسائل الجامعية والمقالات العلمية. حيث ساعدنا مؤلف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، "المقدمة" في تقديم مقترح مراحل حكم جديدة بناءً على النظرية الخلدونية، دونما الخلفية الغربية الاستشراقية، كما ومكّنا مؤلف العالم الفرنسي فان جنب "طقوس العبور" Arrnold Van Gennep, Les rites de passage، من دراسة الجندية البرية (طائفة الإنكشارية) دراسة تكاملية تاريخية وأنثروبوسوسيولوجية.

استفدنا أيضا من الاسطوغرافيا المحليّة، وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ "مذكّرات الحاج أحمد الشّريف الزّهّار نقيب أشرف الجزائر، 1754-1830م" لأحمد الشّريف الزّهّار، و"نزّهة الأنظار في فضل علم التّاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثانيّة" للحسن بن محمّد الورثيانيّ، كذلك "فريدة منيسة في حال دخول التّرك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة" لصالح العنتريّ، و"الثّغر الجمانيّ في ابتسام الثّغر الوهرانيّ" لأحمد بن محمّد بن عليّ بن سحنون الرّاشديّ، و"عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لمحمّد أبو راس النّاصريّ، إضافة إلى "التّحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحميّة" لمحمّد بن ميمون الجزائريّ، و"دليل الحيران وأنيس السّهرة في أخبار مدينة وهران" لمحمّد بن يوسف الرّيانيّ، و"المرآة" لحمدان بن عثمان، وغيرها من المؤلّفات الاسطوغرافيّة التي لا يسعنا ذكرها كلّها في هذا المقام. اعتمدنا أيضا على الشّهادات الأجنبيّة خاصّة "مذكّرات خير الدّين بربروس" و"مذكّرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م". دون أن ننسى ذكر الدّراسات الأكاديميّة التي تناولت أوضاع الجزائر في العهد العثمانيّ، التي أبدع مؤلّفوها في دراسة تاريخ الجزائر في العهد العثمانيّ أمثال؛ أبي القاسم سعد الله، ناصر الدين سعيدوني، أحمد توفيق المدني، صالح العباد، صلاح العقّاد، عبد الجليل التّميمي، عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، يحي بوعزيز، مولود قاسم نايت قاسم، عائشة غطّاس، أرزقي شويّتام، وغيرهم. استعنا أيضا ببعض المؤلّفات التركيّة المترجمة، من بينها؛ "الدّولة العثمانيّة تاريخ وحضارة" لأكمل الدّين إحسان أوغلو، و"تاريخ الدّولة العثمانيّة من النّشوء إلى الانحدار" لخليل إينالجيّك، و"الصّراع التّركي-الفرنسيّ في الصّحراء الكبرى" لعبد الرّحمن تشايّجي. لقد تنوّعت إذا المؤلّفات الاسطوغرافيّة التي اعتمدنا عليها في دراستنا وما ذكرنا في هذا المقام إلاّ الغيض من الفيض.

وفيما يتعلّق **بمخطّط الدّراسة** فقد ارتأينا تقسيمه إلى ثلاثة فصول؛ خصّصنا الفصل الأوّل للتّأصيل التّاريخيّ لموجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقيّة) والموسوعة الإسلاميّة (باللّغة التّركيّة "وقف الديانة التّركيّة")، ثمّ عرضنا في ختامه بدايات تشكّل الذات التّاريخيّة عند المؤرّخ ناصر الدّين سعيدوني، التّأليف الموسوعيّ أنموذجاً.

أمّا الفصل الثّاني فقد اختصّ بالنّقد الخارجيّ للنّصوص الخطابيّة التّاريخيّة، ضمن الموسوعتين، نصّ مادة "الجزائر" أنموذجاً، حيث عرضنا مقارنة نقد النّصوص الخطابيّة لمادّة

"الجزائر" في الموسوعتين، ثم قارنًا بين سياق الكفاية واللاكفاية العلميّة في الموسوعتين، بعدها عرضنا سياق مادّة "الجزائر" كنصّ خطابيّ تاريخيّ.

في حين اهتمّ الفصل الثالث بمسألة النّقد الباطن (الإيجابيّ والسّلبّي) للنّصوص الخطابيّة التاريخيّة في الموسوعتين، مع الاستشهاد بالوثائق العثمانيّة، تناولنا فيه بواكير النّثاقف التاريخيّ الجزائريّ-العثمانيّ وأنساقه المضمرة. ثمّ عرضنا الحملات الأوروبيّة على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانيّة ضدّ الأعداء بمعية قوّات جزائر الغرب، وركّزنا على التّنظيم الإداريّ، ومراحل وسياسة الحكم، إضافة إلى عرض مقترح لنا تضمّن أطوارا أخرى، في ضوء النّظرية الخلدونيّة عوض المراحل الاستشراقية المتداولة من قبل كرواسب ثقافيّة. اهتمنا كذلك بالتّنظيم العسكريّ بشقيّه: الجنديّة البحريّة (طائفة رياس البحر)، والجنديّة البريّة (طائفة الإنكشاريّة والجيش الموازي)، مع رصد للأنساق المضمرة التي صاحبت تلك المواضيع، والاستشهاد طبعاً بالوثائق العثمانيّة في العمليّة التركيبيّة لكلّ مسألة تناولناها. ثمّ ختمنا الدّراسة بجملة من النّتائج عرضنا من خلالها الأنساق المضمرة التي رصدناها في النّصوص الخطابيّة الموسوعيّة، إضافة إلى الأصالة العلميّة والجديد الذي أضافته دراستنا.

أخيرا يُمكننا القول أنّ دراسة هذا الموضوع الأصيل لم تكن هيّة أبدأ، ولكنّا تعاملنا معها على أساس أنّها تُمثّل لذّة البحث لا صعوبته، كما ونأمل أن نكون قد ساهمنا في خدمة البحث العلميّ وتطويره، ولو بنسبة ضئيلة، من خلال فتح نافذة لتناول الأحداث التاريخيّة بشكل مغاير مبنيّ على التّكامل التّخصّصيّ المعرفيّ الهادف إلى تجاوز الرّواسب الفكريّة المشوّهة للتّاريخ، مع التأمّل والتّدقيق في النّصوص الخطابيّة التي نتلقّاها، ورصد كلّ نسق مضمّر فيها.

والله وليّ التّوفيق

الباحثة نعيمة رحمانى

أنطاليا، تركيا

في 26/06/2019م، الموافق لـ 23 شوال 1440هـ

الفصل الأول
التأصيل التاريخي

لموجز وائرة المعارف الإسلامية (الاستشرافية)
والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية - وقف الريانة التركي).

**المبحث الأول: التأسيس التاريخي لموجز وأثره المعارف الإسلامية
(الإستشرافية).**

**المبحث الثاني: التأسيس التاريخي للموسوعة الإسلامية
باللغة التركية "وقف الريانة التركي".**

**المبحث الثالث: براهين تشكلت الزلات التاريخية عند المؤرخ
ناصر الدين سعيدوني، التأليف الموسوعي أنموذجاً.**

تمهيد:

نروم من خلال هذا الفصل التأصيل لتجربتين مختلفتين من العمل الموسوعي، ونخص بالذكر موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) "وقف الديانة التركي"، وسنسى من خلالهما إلى الإجابة عن المساءلات التالية: ما هي بواكير تأليف دائرة المعارف الإسلامية (كيف تم ذلك ومتى وعلى أي أساس)؟ وما هي الإصدارات والترجمات؟ وماذا بشأن الخلفيات الثقافية التي استند عليها مؤلفو مادة تاريخ الجزائر؟ وكيف تبلورت فكرة تأليف الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)؟ وما هي الدوافع والأهداف المصاحبة لها؟ وما هي الغاية من ورائها؟ وعلى أي أساس تم اختيار مؤلفي موادها؟ وهل تمثل امتداداً لدائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، أم هي عمل أصيل؟ وهل تعتبر زاداً علمياً للباحثين عن حقيقة التراث الإسلامي؟.

المبحث الأول: التأصيل التاريخي لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية).

اعتنى الغرب بتراث الحضارات الأخرى، خاصة الحضارة الإسلامية، فدوّنوا وجمعوا كمّاً هائلاً من المعلومات في مؤلف موسوعي سُمي بـ"الموسوعة الإسلامية" The Encyclopedia of «Islam»، احتوى على محصلة وجوهر الظاهرة الاستشراقية حول التراث الإسلامي، حيث تناولت الأنسيكلوبيديا التي تُرجمت لاحقاً إلى اللغة العربية وسُميت بـ"دائرة المعارف الإسلامية"، مفهوم الإسلام: العقيدة والفقهاء، والآداب واللغة والفلسفة وتاريخ الشعوب الإسلامية والأعلام، والفنون وغيرها، ولكنها ظلت أعمالاً قابلة للنقد بسبب تعدد خلفيات تدوينها وارتباط بعض كتابها بمخططات إيديولوجية تخدم الأنساق الدينية والسياسية والعلمية الغربية، كما استعرضنا ذلك من قبل في الفصل الأول، الأمر الذي أثر على مصداقية المعلومة الواردة فيها. وسنحاول في هذا المقام استعراض بواكير تأليف الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، كيف تم ذلك ومتى وعلى أي أساس؟ وما هي الإصدارات والترجمات، والنخبة العلمية التي ساهمت في تأليفها؟ وما هي الخلفيات الثقافية التي ارتكزت عليها تلك النخبة؟

منذ بداية الدراسة ونحن نتبنى ضرورة التفريق بين الأعمال الاستشراقية الرصينة التي أتت بإنجازات جلية، استفادت منها الأمة الإسلامية والغربية على السواء، وبين الأعمال الاستشراقية التقليدية المؤدلجة، التي أدت دور المعبد والمُهد للاستعمار الغربي، كما رأينا ذلك سابقاً، وهذا حتى لا نبخس الأعمال حقّها.

تجدد بنا الإشارة إلى أن بدايات التأليف الموسوعي حول التراث الإسلامي برزت مع أول محاولة جدية في كتاب المستشرق الفرنسي هربلو دو مولانفيل بارتلومه **Herblot de Molainville** **Barthelemy** (1625-1695م) بعنوان "المكتبة الشرقية" عام 1697م، وبعدها طُرحت فكرة تدوين موسوعة إسلامية أساسية مبنية على مشاركة المستشرقين والعلماء الضالعين بشؤون الإسلام، الغربيين منهم والشرقيين، في مؤتمر المستشرقين التاسع الذي عُقد في لندن عام 1892م من قبل المستشرق الاسكتلندي **ويليام روبرتون سميث William Robertson Smith** (1846-1894م)، لكن صاحب الطرح تُوِّفي عام 1894م، الأمر الذي أدى إلى إيقاف المشروع لفترة.¹ وفي عام 1897م، عُقد المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين في باريس، عُرض فيه تقرير حول الأعمال التحضيرية للموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، وتم اعتماده في الجلسة العامة للمؤتمر، وقد ورد فيه ما يلي: قرّر مؤتمر المستشرقين الحادي عشر المجتمع في باريس تكوين لجنة دائمة مهمتها القيام بالمساعي الضرورية لكي يتأكد نجاح خطة تحرير موسوعة إسلامية، ولاسيما إحراز انخراط الحكومات والمؤسسات العلمية في المشروع، للحصول على مساعداتهم المالية.² وفي المؤتمر الثاني عشر للمستشرقين في روما عام 1899م، تقرّر الأمر في البدء بتأليف وطباعة موسوعة إسلامية شاملة باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، تحت إشراف جامعة ليدن الهولندية، وهي من أهم مراكز الدراسات الإسلامية والاستشراقية بالتعاون مع رابطة الأكاديميين الدولية، والمجمع العلمي الملكي بهولندا.³ فتم البدء في تأليفها عام 1906م، حيث صدر أول كراس للموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) عام 1908م، تحت إشراف المستشرق الهولندي **مارتين ثيودور هوتسما Martijn Theodoor Houtsma** (1851-1943م)، الذي أورد فيها دراسات عن الخلافة العثمانية وبلاد فارس والهند.⁴

¹ عباس أحمد وند، دور الكتاب الإيرانيين في إعداد دائرة المعارف الإسلامية، طبعة ليدن، مقال في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة 16، ع01، ربيع وصيف 1434هـ، ص. 03-04.

² حميد بن ناصر خالد الحميد، الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية، 2014م، استخرج من الرابط

<http://www.madinacenter.com>

³ الرابط نفسه.

⁴ خالد بن عبد الله القاسم، المعتزلة في دائرة المعارف الإسلامية، عرض ودراسة، الرياض، جامعة الملك سعود، دت، ص. 01، استخرج من الرابط <http://fac.ksu.edu.sa/alkassem/publication/34347> بتاريخ 2018/08/11م، على 19 سا و49د.

وقد اعتمدت الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) في تكاليفها على التبرعات التي يُقدّمها الأثرياء ورؤساء الشركات الكبرى، وكانت أهم مؤسسة تُمولها هي المؤسسة الخيرية الأمريكية **روكفلر Rockefeller Foundation**، حيث ساهمت بمبلغ 45 ألف دولار أمريكي عام 1962م.¹ وفي الفترة ما بين 1913م و1977م،² صدرت الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) على شكل أبحاث منفصلة ومرتبّة ترتيباً حسب الحروف الأبجدية في طبعتين: صدرت الطبعة الأولى خلال الأعوام 1913-1938م بثلاث لغات: الألمانية الفرنسية والإنجليزية،³ حيث طُبِعَ المجلد الأول عام 1913م، فالمجلد الثاني عام 1927م، وقد اشتملا معاً على 2260 صفحة تخصّ الأحرف من K-A فقط، ثم صدر على التوالي المجلد الثالث عام 1936م، وبعده المجلد الرابع عام 1937م، والمجلد التكميلي عام 1938م، واحتوت تلك المؤلفات على 5312 صفحة بها 6176 مادة.⁴

بعدها اضطرت إصدارات الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) في الحرب العالمية الثانية بسبب وفاة أغلب أعضائها في ساحات الحرب، ثم استأنفت نشاطها من خلال المؤتمر الدولي الحادي والعشرين للمستشرقين الذي انعقد في باريس عام 1948م،⁵ أين قرّر المستشرقون إنشاء موسوعة إسلامية جديدة بناءً على المستجدات الحديثة وما اكتُشف من مخطوطات، وتكفل بتنفيذ هذا المشروع المجمع الملكي الهولندي بالتعاون مع مندوبين من الجامعات العلمية الأخرى التابعة للاتحاد الدولي للجامع العلمية، بعدها ظهرت طبعة مختصرة عام 1953م.

¹ خالد بن عبد الله القاسم، العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، 2002م، ص.56.

² المرجع نفسه، ص.55.

³ خالد بن عبد الله القاسم، المعتزلة في دائرة المعارف الإسلامية، عرض ودراسة، رابط سابق، ص.04. يُنظر أيضاً أمانى بنت جعفر، الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، ص.234.

⁴ İslam Ansiklopedisi, Türkiye Diyanet Vakfı, Ali Rıza Baskan Guzel Santarlar Matbaası, İstanbul, cilt 11, 1993, p.181.

(الموسوعة الإسلامية، وقف الديانة التركي، م¹¹، مطبعة الفنون الجميلة علي رضا باسكان، إسطنبول، تركيا، 1993م، ص.181.)

⁵ عباس أحمد وند، مرجع سابق، ص.05.

أمّا الطّبعة الثّانية فقد ظهرت عام 1954م، وكانت منقّحةً، صدر المجلّد الأوّل عام 1960م، حيث بلغ عدد صفحاته 1359 صفحة، ثمّ المجلّد الثّاني عام 1965م وقد اشتمل على 1146 صفحة، أي ما يُعادل 2505 صفحة في جزأين فقط.¹

وفي عام 1977م، توقّف إصدار الموسوعة الإسلاميّة (الاستشراقية)، إلى غاية عام 1987م، أين أُعيدت طباعة الموسوعة في نسختها الأولى، دون إحداث أيّ تغيير فيها، حيث قَسَم الناشر في هولندا المجلّد إلى جزأين فأصبحت ثمانية أجزاء وملحقاً تكميلياً بدلاً من أربعة مجلّدات وملحق.² وفي عام 2002م، صدرت الموسوعة في إحدى عشر مجلّداً إضافة إلى مجلّد واحد للملحقات، وأطلس التّاريخ الإسلاميّ، ومجلّد لفهرسة المواضيع عام 2005م، إلى جانب مجلّد لفهارس المصطلحات والأعلام والجدول والصّور عام 2006م،³ ثمّ صدر مجلّد التّكملة، وهو المجلّد الثّاني عشر عام 2007.⁴ وقد بلغ عدد مؤلّفي دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقية) في كلا الطّبعتين (من 1913-1938م) و(1954-2005م)، 486 مؤلّفاً، كتبوا 3930 مادّة،⁵ وصدرت بثلاث لغات هي: الإنجليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة. وعلى إثر الرّغبة في ترجمتها إلى العربيّة تأسست لجنة خاصّة ضمّت خزيجي الجامعة المصريّة أمثال الكاتب والناقد المصريّ إبراهيم زكي خورشيد، والأستاذ الجامعيّ المصريّ عبد الحمدي يونس، وبعض أساتذة الأزهر الذين قاموا بالتعليق عليها، والتّعقيب على بعض ما كُتب فيها، بغية تصحيح الأخطاء السّابقة،⁶ حيث تُرجمت إلى اللّغة العربيّة في ثلاث إصدارات، وسُمّيت بـ"دائرة المعارف الإسلاميّة".⁷ صدرت الطّبعة الأولى عام 1933م، من قبل دار الفكر للطّباعة بالقاهرة، في خمسة عشر مجلّداً، أي ما يُقارب

¹ حميد بن ناصر خالد الحميد، القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلاميّة، د.ت، ورقة بحثية من النّدوة حول "القرآن الكريم في دوائر المعارف الاستشراقية"، ص.08، استخرجت من الرّابط <https://www.kutub-pdf.com/book/4731> بتاريخ 2018/08/11م، على 20 سا و02.د.

² المرجع نفسه، ص.08. يُنظر أيضاً أمانى بنت جعفر، الدّولة العثمانيّة من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلاميّة، مرجع سابق، ص.236.

³ عبّاس أحمد وند، مرجع سابق، ص.05.

⁴ الطّيب بن رجب، ترجمة دائرة المعارف الإسلاميّة بين الوهم والحقيقة، 20-02-2015م، استخرج من الرّابط <http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid> بتاريخ 2018/08/11م، على 20 سا و11.د.

⁵ خالد بن عبد الله القاسم، المعتزلة في دائرة المعارف الإسلاميّة، عرض ودراسة، رابط سابق، ص.05.

⁶ الرّابط نفسه، ص.66. يُنظر أيضاً أمانى بنت جعفر، الدّولة العثمانيّة من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلاميّة، مرجع سابق، ص.237.

⁷ الرّابط نفسه، ص.04.

8045 صفحة. ثم توقّف مشروع الترجمة فترةً لينطلق من جديد من أجل استكمال ترجمة باقي الحروف إلى غاية الحرف خاء، وبذلك ظهرت الطبعة الثانية عام 1969م، في ستة عشر مجلداً، أي ما يُقارب 8586 صفحة،¹ اشتملت على ما كُتب في الموسوعة الإسلامية الأصل ورمزوا إلى الموادّ المضافة بالرمز (+). تفهّقت بعد ذلك عمليّة ترجمة باقي الحروف بسبب ضخامة الدائرة، ورحيل عدد لا بأس به من المترجمين لأنهم لم يكونوا متخصصين في مجالات عديدة، إلى جانب عدم اقتناع بعضهم بما جاء في مضمونها.²

ثمّ قامت بعد ذلك دائرة الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة، وبالتعاون مع الهيئة المصرية العامة باستكمال ترجمة باقي الحروف إلى الياء، بالاعتماد على الإصدارين الأوليين المترجمين، بما فيهما من تعليقات، مع اختصار بعض الموادّ الأقلّ أهميّة. وهكذا صدر عام 1998م، **موجز دائرة المعارف الإسلامية النهائي** في 32 جزءاً من قبل مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، وكانت مزوّدة بالكشافات التحليليّة للأعلام والأماكن والوقائع والأحداث التاريخيّة، مع إضافة بعض التعليقات، وتحديث المعلومات القديمة كي يسهل على القارئ ولوجها.³ لاحقاً تمّ إعداد الطبعة الثالّثة المترجمة مع استخدام المصادر الحديثة وتطبيق معايير البحث العلميّ التي لم تُنتهج في الطبّعات الأولى، حيث تمّ الاهتمام بالأرضيّة الواسعة للإسلام وبالأقليات المسلمة في شتّى أنحاء المعمورة، وكذلك الاهتمام الكامل بالعلوم الاجتماعيّة وأبعادها الإنسانيّة.⁴ وقد تمّ اقتراح نشر الطبّعة الثالّثة عام 2005م، على شكل كتاب تقليديّ، وأيضاً على شكل كتاب إلكترونيّ، بغية مواكبة تطوّرات العصر.⁵ من هنا يُمكن اعتبار القرن العشرين قرن كتابة الموسوعة الإسلاميّة (الاستشراقية) والقرن الحادي والعشرين، هو عصر إكمالها وتصحيح⁶ بعض معلوماتها.

¹ بشير بن نعمان دخان، منهج المستشرقين في دراسة النظم الاجتماعيّة، 2010م، مقال استخرج من الزايط www.madinacenter.com/post.php?Data1. بتاريخ 2018/08/11م، على 20 سا و17د.

² موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ط1، ج1، مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، الإمارات العربيّة المتّحدة، 1998م، ص. ز-ح.

³ المرجع نفسه، ص. ح.

⁴ خالغ عبد الله القاسم، المعتزلة في دائرة المعارف الإسلاميّة، عرض ودراسة، مرجع سابق، ص. 02.

⁵ عباس أحمد وند، مرجع سابق، ص. 08.

⁶ خالد بن عبد الله القاسم، المعتزلة في دائرة المعارف الإسلاميّة، عرض ودراسة، مرجع سابق، ص. 02.

وبخصوص لجنة تحرير الموسوعة فقد ضمت كبار المؤلفين المستشرقين، وعددهم 12 عضواً،¹ حيث ترأس المستشرق الهولندي مارتين ثيودور هوتسما لجنة التحرير، ثم أخذ مكانه عام 1942م، المستشرق الهولندي أرنت جان فنسنيك Wensnik Aren't Jan (1882-1939م).² أما أعضاء لجنة تحرير الموسوعة فقد شملت المستشرق البريطاني توماس وولكر أرنولد Thomas Walker Arnold (1864-1930م)،³ والمستشرق الفرنسي رينيه باسيه René Basset (1855-1924م)،⁴ والمستشرق الألماني جوزيف شاخت Josef Schacht (1902-1969م).⁵ هذا وقد تنوعت جنسيات المستشرقين الذين تولوا مهمة تأليف مواد الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، كما تنوعت أهدافهم، حيث عرفت الموسوعة مؤلفين وظفوا أعمالهم كوسيلة لمهاجمة الإسلام، من بينهم المستشرق الهولندي أرنت جان فنسنيك، الذي هاجم في كتاباته الإسلام والقرآن والرسول ﷺ، والمستشرق الإنجليزي دافيد صموئيل مرجليوث David Samuel Margolouth (1858-1940م)، المعروف في كتاباته بتعصبه الشديد للإسلام، إضافة إلى المستشرق الهولندي جوهانس هندريك كريمرز Johannes Hendrik Kramers (1891-1951م)، كثير الطعن في الإسلام.⁶

وقد شارك في التأليف أيضاً زمرة من اليهود، عرفوا بكرههم لكل ما يمت للإسلام بصلة، واستماتوا في كتاباتهم ضده، منهم المستشرق اليهودي الألماني جوزيف شاخت، والمستشرق اليهودي المجري إجناس جولد تسيهر، إضافة إلى المستشرق اليهودي الإيطالي جورجيو ليفي دولا فيدا Gorgio Levi Della Vida (1886-1967م)، والمستشرق اليهودي البريطاني برنارد لويس Bernard Louis (1916-2018م).⁷ وتجدرنا بنا الإشارة إلى أنه قد تم استغلال بعض مواد الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) كوسيلة للتصوير من قبل بعض المؤلفين القساوسة وعلماء اللاهوت والمنصرين، أمثال الإنجليزي دافيد صموئيل مرجليوث، الذي شغل منصب قس في الكنيسة الإنجليزية، وعالم اللاهوت المستشرق هنري لامنس Henry Lammans (1862-1937م)، الذي

¹ İslam Ansiklopedisi, op, cit, vol. 11, Opc, p.181.

² خالغ بن عبد الله القاسم، المعتزلة في دائرة المعارف الإسلامية، عرض ودراسة، رابط سابق، ص. 01-03.

³ عبد الباسط سلامة هيك، الحب والحقد المقدس حوار الجد والحفيد، روابط للنشر والتوزيع، مصر، د.ت، ص. 112.

⁴ مجهول، موسوعة الأديان، المطلب الثاني فرنسا، د.ت، مقال مستخرج من الرابط <https://dorar.net/adyan/877> بتاريخ 2018/08/15م، على 12 سا و31د.

⁵ عصمت عبد المجيد بكر، أصالة الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، 2010م، ص. 23.

⁶ أبو يعلى البيضاوي المغربي، دائرة المعارف الإسلامية، 1429هـ، مقال مستخرج من الرابط

khizana.blogspot.com/2008/10/encyclopedia-of-islam.htm بتاريخ 2018/08/15م، على 13 سا و34د.

⁷ الرابط نفسه.

عمل بالتنصير في مدينة بيروت، حيث عُرف بالحقد الشديد على الإسلام، إضافةً إلى كتابات المستشرق **دانكن بلاك مكدونالد Duncan Blach Macdonald** (1863-1943م)، المنصر الأمريكي، وإلى جانبه المستشرق **إدوين كالفرلي Edwin Calverley** (1882م)، المنصر الأمريكي أيضاً، والمستشرق الفرنسي **لويس ماسينيون Louis Massignon** (1883-1962م)، رائد الحركة التنصيرية في مصر، وغيرهم الكثير.

ولعلّ المتمعّن في أسماء أعضاء اللجنة العلمية ومؤلفي الموسوعة وتوجهاتهم ومناصب عملهم يستوعب الأهداف والأسباب من وراء إصدارها. وفي السياق نفسه ذكر الأستاذ الدكتور التركي **أحمد أوزل Ahmet Özel** (1952م)، نائب رئيس مركز البحوث الإسلامية «ISAM» بإسطنبول، تركيا، وعضو الهيئة العلمية للموسوعة الإسلامية (باللغة التركية): "قام المستشرقون بدراسات متعدّدة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة، ووظّفوا خلفياتهم الثقافية، وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرّف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية... وقد أعدت الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) خصيصاً لكي تُلبي مطالب واحتياجات رجال الدين والعلم ومسؤولي الجيش ورجال العمل والسياسة في البلاد المستعمرة، ليقوموا بمهمّاتهم على الوجه المطلوب... الملاحظ على مداخل هذه الموسوعة أنّها تتحدّث عن المفاهيم الأساسية للإسلام بصورة إنكاريّة لرسالة النبي محمد ﷺ، وهو الأمر الذي يعكس الفكر التقليدي السائد لدى الغرب... وظلت وجهة النظر الاستشراقية سائدة حتى في مداخل الطبعة الثانية، خاصّة ما تعلق بالمفاهيم الإسلامية، لهذا لاقت نقداً من هنا وهناك".¹ ويُشاطره الرأي الباحث **ساسي سالم الحاج**، واصفاً الموسوعة بأنّها "أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن، ومصدر الخطر في هذا العمل هو أنّ المستشرقين عبّئوا كلّ قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الموسوعة، وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم، على ما فيها من خلط وتخريف وتعصّب سافر ضدّ الإسلام والمسلمين"،² حيث كانت درجة الاستقلال الذاتي لدى بعض المستشرقين عن الإيديولوجيا المهيمنة والسلطة منعدمة.³ وعن جمع المادّة التاريخية من قبل المستشرقين، ذكر المؤرّخ **ناصر الدّين سعيدوني** أنّ أكثرها من مصادر غربيّة، وأرشيفات أوروبيّة، والقليل منها عبارة

¹ أحمد أوزل، الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) والموسوعة الإسلامية الفارسية وموسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص.03.

² ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2001م، ص.26.

³ فؤاد صوفي، التاريخ والذاكرة، الإسطوريوغرافية الاستعمارية، مقال نُشر في دفاتر إنسانية، ع02، 2010م، ص.52.

عن وثائق محلية تم الاستحواذ عليها في أغلب الأحيان بطرق غير شرعية، فجاءت كتاباتهم بعيدة عن التخصص وحاملة للنزعة الذاتية في تسجيل الأحداث ووصف الانطباعات والتعليق عليها، مما جعل الإنتاج أقرب إلى الثقافة العامة منه إلى الكتابة التاريخية بالمعنى الصحيح.¹

ختاماً، يمكننا القول أن جلّ الباحثين المسلمين قد أجمعوا على أن الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، ورغم ما جمعت من معلومات غنية حول التراث الإسلامي، إلا أنها لم تخل من الأخطاء، سواء عن قصد أو بدونه، الأمر الذي أثار في مصداقية معلوماتها المقدمة للعالم الغربي قبل العالم الإسلامي، فهي مصدر مشوه للإسلام عند الغرب، وتزيد خطورته عند اعتماد الباحثين المسلمين في مختلف الجامعات على المعلومات الواردة فيه، واعتبارها حقائق مؤكدة، والأخذ بها دون تمحيص، مع العلم أنه لم يتم إشراك العلماء المسلمين المتخصصين ولم تتم الاستفادة من خبراتهم إلا ما نذر.² ولقد تعرضنا لنماذج من التأليف الاستشراقي في الفصل الأول بإسهاب، حيث قمنا بعرض ونقد العديد من المناهج التي تم استغلالها من أجل تمرير الخطابات المؤدلجة التي تخدم ثلاثة الأنساق الغربية بما فيها الدينية والسياسية والعلمية.

المبحث الثاني: التأصيل التاريخي للموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف الديانة

(التركي).

عُنت تركيا بحفظ التراث الإسلامي منذ قرون، وظلّ سعيها حاضراً إلى غاية اليوم، ومن بين المسائل الإسلامية التي اهتمت بها، ترجمة الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) إلى اللغة التركية، على أساس أنها تحمل بين طياتها عقب وتراث الأمة الإسلامية. وبعد ترجمتها تبين لعلماء تركيا البعد الإيديولوجي المرافق للموسوعة والأخطاء الجمة التي مسّت المصادر الإسلامية والشخصيات المسلمة. وبناءً عليه، عازمت تركيا على إصدار مؤلّف وسمّ بـ"الموسوعة الإسلامية" (باللغة التركية)، تناولت فيه كلّ التراث الإسلامي: التفسير، الحديث، علم الكلام، تاريخ المذاهب، الفقه الإسلامي، التصوّف، الفلسفة الإسلامية، الأخلاق، تاريخ وحضارة الإسلام، الفنون الإسلامية، الأدب العربي، تاريخ الأديان، تاريخ العلوم، تاريخ التّرك وحضارته، الأدب التركي، الأدب الفارسي، الجغرافيا، العمارة، الموسيقى وغيرها من المواد، وسنحاول في هذا المقام التأصيل

¹ ناصر الدين سعيدوني، الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، مجلة الثقافة، ع45، الجزائر، 1978م، ص-ص 33-36.

² عباس أحمد وند، مرجع سابق، ص.07.

لتاريخ الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية: كيف تبلورت فكرة تأليفها؟ وما هي الدوافع والأهداف المصاحبة لها؟ وما هي الغاية من ورائها؟ وعلى أي أساس تم اختيار مؤلفي موادها؟ وهل تمثل امتداداً للموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) أم هي عمل أصيل؟ وهل تُعتبر زاداً علمياً للباحثين عن حقيقة التراث الإسلامي؟

نستهل دراستنا باستحضار حديث الأستاذ الدكتور التركي أحمد أوزل، نائب رئيس مركز البحوث الإسلامية بإسطنبول، وعضو الهيئة العلمية للموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، والملقب بشيخ الموسوعة الإسلامية لما بذله من جهد في سبيل إخراجها على النحو المرجو، حيث ذكر: نُشرت في ليدن بهولندا ما بين 1901م و1939م، موسوعة إسلامية بثلاث لغات غربية في 05 مجلدات: 04 أصلية وواحدة ملحقه، وبشرت وزارة التربية التركية، بالتعاون مع كلية الآداب بجامعة إسطنبول، بترجمة الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) إلى اللغة التركية، واستمر العمل من 1940م إلى 1987م، حيث صدر منها 15 مجلداً، فكان ثلثا الموسوعة موادها مترجمة، أما الثلث المتبقي فهو مؤلف¹.

حيث قامت وزارة التربية التركية بالتصريف في بعض مواد الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، ولم تكتف بالترجمة، بل ساهمت في تأليف ثلثها، مع تصحيح الأخطاء وإكمال النواقص، خاصة ما تعلّق بتاريخ الترك، وفي الوقت نفسه تمكّن علماء تركيا من رصد أحكام خاطئة ودعاوى لا أساس لها تخصّ التراث الإسلامي²، الأمر الذي جعلهم يعتبرونها موسوعةً ضعيفةً ولا تحو الكفاية العلمية المطلوبة، وأمام هذا الواقع بدأت تتبلور فكرة الإيمان بضرورة إصدار موسوعة إسلامية جديدة تشتمل على المعلومات الصحيحة والتامة في العلوم والثقافة والحضارة الإسلامية.

وقد أكّد ذلك الأستاذ الدكتور أحمد أوزل أثناء لقاء جمعنا به في مكتبه بمركز البحوث الإسلامية بإسطنبول، تركيا، قائلاً: "قامت تركيا بترجمة الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، فكان ثلثا المواد مترجم من الأصل، والثلث الباقي كان تأليفاً جديداً، هذا فيما يخصّ عدد المواد، أما الحجم فكان ثلثا الموسوعة تأليفاً، والثلث الباقي ترجمةً، ثم بدأنا العمل على تأليف موسوعة تعتمد على

¹ أحمد أوزل، الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) والموسوعة الإسلامية الفارسية وموسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص.03.

² دليل وقف الديانة التركي، مركز البحوث الإسلامية، إسطنبول، تركيا، د.ت، ص.11.

مصادرنا، وتستمد من ثقافتنا، وتتناول المواد العلمية من وجهة نظرنا".¹ وعلى إثر ذلك قرّر وقف الديانة التركيّ عام 1983م، إصدار موسوعة تليق بالحضارة والثقافة الإسلامية، وتعكس الذخيرة العلمية للعالم الإسلامي، فتأسست "الإدارة العامة للموسوعة الإسلامية"، وبعد فترة استعداد دامت 05 سنوات، من عام 1983م إلى عام 1988م، بدأ صدور الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، وفي الفترة نفسها قرّر الوقف إنشاء مركز للبحوث الإسلامية يُقدّم منحاً دراسية لطلاب الماجستير والدكتوراه، وبعدها تمّ توحيد المؤسسة الخاصة بنشر الموسوعة مع المركز، وبهذا الشكل كفل مركز البحوث الإسلامية مهمة نشر الموسوعة، بمعية ثلاث وحدات رئيسية تنتمي إليه هي: وحدة "الموسوعة الإسلامية"، ووحدة "المكتبة والتوثيق"، ووحدة "البحوث العلمية".²

ثم سطر المركز **أهدافاً محدّدة**، انطلق منها بغية تأليف الموسوعة، فكان الهدف الأسمى هو تصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية (الاستشرافية)، إضافة إلى التفكير في جعل الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) مصدراً موثوقاً يُلبّي حاجة المسلمين (رجال العلم والباحثين) إلى المعلومات الصحيحة، استناداً على الأسس العلمية والموضوعية في ميادين العلوم والثقافة والحضارة الإسلامية، خاصة ما تعلّق منها بالأنبياء عليهم السلام وعظماء المسلمين، ومفاهيم الدين الإسلامي. كما وتهدف الموسوعة أيضاً إلى تبين رأي الإسلام بخطوطه العريضة في المسائل التي أفرزها العصر الحديث، ومن ثمّ نقل رسالة الإسلام وتبليغها بشكل صحيح، وبأسلوب مفهوم للقارئ الأجنبي، بالإضافة إلى لفت نظر الشباب إلى ثروته الثقافية، ونقل التراث الإسلامي إليه بمنهج صحيح وسليم، والتذكير بالرسالة السامية التي تحملها الأجيال المسلمة الجديدة، وفتح آفاق جديدة للإنسانية كافة في ضوء القيم الإسلامية الخالدة.³

وعن **أصالة الموسوعة الإسلامية** (باللغة التركية)، أكد الأستاذ الدكتور أحمد أوزل أنها عمل يعتمد على التأليف تماماً، وقائمة موادّها قائمة أصيلة قامت اللجان العلمية المتخصصة بتكوينها عن طريق تمشيط ما يُقارب 500 مرجع أساسي،⁴ وهي حصيلة جهد جماعيّ مشترك من

¹ تسجيل صوتي ضمن لقاء علمي جمعنا بالأستاذ الدكتور أحمد أوزل، نائب رئيس مركز البحوث الإسلامية، وعضو الهيئة العلمية للموسوعة الإسلامية في مكتبه بإسطنبول، تركيا، بتاريخ 21 أكتوبر 2017م، 01 و26 ثا.

² أحمد أوزل، الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) والموسوعة الإسلامية الفارسية وموسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص.03.

³ دليل وقف الديانة التركي، مرجع سابق، ص.03. يُسمع أيضاً التسجيل الصوتي السابق، في 57 و39 ثا.

⁴ أحمد أوزل، موسوعة أعمال العلماء والأدباء العرب والمسلمين وأهميتها في إبراز الثقافة والحضارة التركية والعثمانية، مرجع سابق، ص.04.

علماء وكتاب و مترجمين ومفكرين ومنقحين وعاملين ومدعمين، حيث كان الهدف المرسوم هو تأليف 10 مجلدات، ولاحقاً تحوّل إلى 30 أو 40 مجلداً. وفي السياق نفسه ذكر الأستاذ أحمد أوزل على لسان الدكتور محمد صالح الجابري، الذي كتب بداية المجلد الأول: "العمل الموسوعي له بداية وليست له نهاية، كل الموسوعات بإمكانها تحديد مواعيد بدايتها، لكن قل أن تُقدّر تقديراً دقيقاً نهايتها، والحجم الذي ستكون عليه، مهما كان تخصصها والمجال الذي تُعنى به".¹

ولكي يكون العمل أصيلاً ودقيقاً، فكرت الهيئة المسؤولة في تهيئة الأرضية للمؤلفين، حيث سعت جاهدةً إلى توفير المصادر والمراجع التي سيستند إليها الباحث أثناء التأليف، فتمّ تزويد مكتبة مركز البحوث الإسلامية بـ360.000 مجلد و2.750 دورية، وتمّ إدخال المعلومات البيبليوجرافية لـ703.981 كتاباً مطبوعاً ومخطوطاً من 116 مكتبة داخل إسطنبول وخارجها، كما سُخّرت 17.000 ملفّ وثائقيّ ذو علاقة بكلّ مدخل من مداخل الموسوعة. وقام المركز بتمشيط 700.000 عددٍ من الدوريات، و174.000 عددٍ من الكتب، وتمّ إلحاق ما صُوّر منها من المعلومات إلى ملفّات موادّ الموسوعة. كما قرّر المركز عام 1994م، اقتناء المصوّرات الميكروفيلميّة للسجّلات الشرعيّة للمحاكم العثمانيّة جميعها، داخل تركيا وخارجها، فتمّ تصوير 9.895 دفترًا من سجّلات 27 محكمة شرعيّة موجودة بدار إفتاء إسطنبول، 377 دفترًا من السجّلات اليوميّة لقاضي عسكر منطقتي رومالي والأناضول، و33 دفترًا من دفاتر نقيب الأشراف، و13 دفترًا من أختام القضاة، و8.860 دفترًا من السجّلات الشرعيّة للمدن التركيّة الأخرى المحفوظة في المكتبة الوطنيّة في أنقرة. إضافةً إلى توفير 20 مليون ورقة من الأرشيف العثمانيّ، من البلقان، الأردن، سوريا ومن تركيا، و114.000 عنوانٍ لرسائل جامعيّة، وتمّ نقل مقالات عددها 687.000 مقالة منذ سنة 1923م إلى قاعدة معلومات المقالات.²

وفي هذا الصدد حدّثنا الأستاذ الدكتور أحمد أوزل قائلاً: "تختلف مكتبتنا عن المكتبات التركيّة الأخرى، وحتىّ العالميّة لأننا نُزوّدُها بالمصادر فقط وليس المراجع، بغية الاستناد إليها في مراجعة موادّ الموسوعة، كما أنّ المركز يستقبل فقط الباحثين وطلبة الماجستير والدكتوراه، إذ يبلغ عدد

¹ أحمد أوزل، الموسوعة الإسلامية (باللغة التركيّة) والموسوعة الإسلامية الفارسيّة وموسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص.04.

² أحمد أوزل، طرابلس غرب، خطاب في اجتماع بمركز جمعيّة الدعوة الإسلاميّة، 2010م، ص.03، غير منشور.

الزّور في اليوم الواحد 700.1¹ وبناءً عليه تمّ استغلال تلك الإمكانيات المتوفرة من قبل المؤلفين، وبدأ إصدار المجلد الأول من الموسوعة الإسلامية في شهر نوفمبر من عام 1988م، على شكل أجزاء، ليصدر في كلّ شهر جزء، ثمّ صدر المجلد الثاني بعد تسعة أشهر، وبعد سبعة أشهر صدر المجلد الثالث، واعتباراً من المجلد الخامس قرّرت إدارة الموسوعة الإسلامية إصدار مجلدين في العام الواحد.²

أخيراً، اكتملت **موادّ الموسوعة** عام 2013م بصور 44 مجلداً، وفي عام 2016م، تمّ إنجاز مجلدين ملحقين يحتويان على 1.000 مادة خاصّة بالأعلام والمواضيع والمفاهيم التي لم تُذكر في المجلدات السابقة، ليصل بذلك عدد المجلدات إلى 46 مجلداً حالياً، حيث يتكوّن كلّ مجلد من 560 صفحة تقريباً. وقد احتوت الموسوعة الإسلامية باللّغة التّركيّة على 7.398 علماً، 3294 مصطلحاً، 1.075 كتاباً، و3.610 مدخلاً آخر من أسماء الأماكن الجغرافيّة (الدول والمدن) ومؤسسات ومذاهب وفرق وطرق صوفيّة ومبانٍ تاريخيّة ومعماريّة، ليلبغ المجموع 15.337 مادة، ومع أقسام بعض المداخل الكبرى بلغ المجموع عام 2014م، 16.854 مادة، ومع إضافة المجلدين الاستدراكيين بلغ العدد 17.771 مادة، ومع إضافة الإحالات وصل إلى 23.200 مادة. وقد وصل عدد المواضيع التي تطرقت إليها الموسوعة 20 موضوعاً، منها الأدب العربيّ بـ 854 مادة والجغرافيا بـ 468 مادة، في حين وصلت موادّ تاريخ الأديان إلى 359 مادة، أمّا الأدب الفارسيّ فقد عرف 326 مادة، والفقّه 1.671 مادة، بينما وصلت موادّ الخطّ العربيّ إلى 196 مادة، والحديث إلى 1.309 مادة، أمّا الفلسفة الإسلاميّة فقد عرفت 631 مادة، في حين وصلت موادّ تاريخ العلوم إلى 372 مادة، أمّا تاريخ الإسلام فقد عرف 2.447 مادة، ووصلت موادّ الكلام إلى 1.046 مادة، أمّا العمارة فقد وصلت موادّها إلى 1.256، والمستشرقون 167 مادة، أمّا الموسيقى فوصلت إلى 495 مادة، بينما الفنون اليدويّة مثل النسيج وغيرها فقد وصلت إلى 76 مادة، وعرف الأدب التّركيّ 966 مادة، وبخصوص التفسير فقد وصل عدد موادّه إلى 575، أمّا التّصوّف فقد عرف 919 مادة، في حين وصل عدد موادّ تاريخ التّرك إلى 2.433 مادة، والأدب التّركيّ الجديد إلى 285 مادة، ليصل مجموع الموادّ كلّها لعام 2014م، 16854 مادة (ينظر الملحق رقم 01).

الملاحظ هنا أنّ موادّ تاريخ الإسلام قد حظيت بالعدد الأكبر الذي وصل إلى 2.447 مادة، وهذا دليل على اهتمام الهيئة العلميّة للموسوعة بمسألة تصحيح وضبط تاريخ الإسلام على خلفية

¹ التّسجيل الصّوتيّ، مرجع سابق، ص 08 و 53.

² دليل وقف الديانة التّركيّ، مرجع سابق، ص، ص. 02-14.

الأخطاء الواردة في دائرة المعارف الإسلامية. ثم حظي تاريخ الترك بالمرتبة الثانية، حيث وصل عدد مواده إلى 2.433 مادة، وقد رأينا سابقاً أنّ وزارة التربية التركية قد قامت بمشروع ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، ولكنها ألفت ثلثها الخاص بتاريخ تركيا لما وجدت فيه من مغالطات، الأمر الذي جعلها تُخصّص موادّ كثيرة لعرض تاريخها الصحيح في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية). والملاحظ أيضاً أنّ الموسوعة قد عُنيبت بتخصيص موادّ كثيرة تتعلق بالتراث الإسلاميّ مثل الفقه 1.671 مادة، الحديث 1.309 مادة، التفسير 575 مادة، وهذا أكبر بيّنة على اهتمام مسؤولي الموسوعة بعرض كلّ ما يتعلّق بالحضارة الإسلامية عرضاً علمياً وموضوعياً، مع تسخير 2.042 عالماً وباحثاً متخصصاً عام 2014م. وهكذا استمرت تجربة تركيا في تأليف الموسوعة الإسلامية ربع قرن من العمل الدؤوب، حيث تمّ الإعلان عن انتهاء مهامّ الهيئة العلمية للموسوعة عام 2016م.¹

بعد اكتمال الموسوعة الإسلامية، عملت الهيئة العلمية عام 2017م، على اختصار موادّها وترجمتها إلى اللغة الروسية ثمّ اللغة الصينية ولغات البلقان، بغية إصدار موسوعة مختصرة أطلقت عليها اسم "الموسوعة الإسلامية الأساسية المختصرة"، في 05 مجلّدات سنُطبع أولاً باللّغة التركية عام 2019م، حيث ستضمّن 1.500 مادة موسوعيّة هدفها هو تلبية الاحتياجات التعليميّة والمعلومات الدينيّة في المناطق التي تعيش فيها الأقليّات المسلمة.² وقد فكّر مسؤولو مركز البحوث الإسلاميّة في ترجمة الموسوعة الإسلاميّة إلى الإنجليزيّة والعربيّة ونشرها في 20 إلى 25 مجلّداً، مع حذف الموادّ الخاصّة بتركيا، واختصار بعض موادّها وتوسيع المعلومات في بعضها.³ وكان ذلك نزولاً عند طلب الرّئيس التركيّ رجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdoğan (1954م)، حيث جاء في قول الأستاذ الدكتور أحمد أوزل عند لقائنا بحضرته: "لقد تمّ تكريمي عام 2013م من قبل الرّئيس رجب طيب أردوغان، وقد طلب منّا سيادته توفير الموسوعة الإسلاميّة على الإنترنت كنسخة إلكترونيّة وتسهيل تحميلها مجاناً، وطلب ترجمتها إلى اللّغة العربيّة، وقد أرسلنا 40 مادة عام 2013م إلى مصر لترجمتها من قبل باحثين حاصلين على درجة ماجستير ودكتوراه في الجامعات التركيّة من أصل عربيّ. وعندما حصلنا على الموادّ 40 المترجمة

¹ نشرة وتقرير إسام رقم 43، مركز البحوث الإسلاميّة، إسطنبول، تركيا، 2016م، ص.04.

² نشرة وتقرير إسام رقم 42، مركز البحوث الإسلاميّة، إسطنبول، تركيا، 2016م، ص-ص.04-05.

³ أحمد أوزل، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين وأهمّيّتها في إبراز الثقافة والحضارة التركيّة والعثمانيّة، مرجع سابق، ص.04. يُسمع أيضاً التسجيل الصوتي، مرجع سابق، 19 و23 ثا.

إلى اللّغة العربيّة، قمتُ شخصياً بدراستها ومراجعتها لمُدّة سنة كاملة، فوجدتُ فيها أخطاءً كثيرةً سببها أنّ المترجم العربيّ لا يملك المعرفة الكافية حول مفاهيم أو مصطلحات علم من العلوم، فهو يملك اللّغة التّركيّة فقط، وهذا غير كافٍ من أجل التّرجمة، هو مترجم ممتاز ولكنه غير مختصّ، لهذا كان الأمر صعباً جدّاً، فقرّرنا ترجمة الموسوعة الإسلاميّة إلى اللّغة الأجنبيّة التي يعرفها الجميع، وهي اللّغة الإنجليزيّة، فهي لغة عالميّة يُمكن أن يستفيد منها إخواننا العرب والأجانب على السّواء.¹ وأضاف: "وبالنّسبة للنّسخة الإلكترونيّة فقد تمّت مراجعة كلّ موادّها مع إضافة معلومات جديدة محيطة.²



الصورة رقم 01: تكريم الأستاذ الدكتور أحمد أوزل Ahmet Özel، عضو الهيئة العلميّة للموسوعة الإسلاميّة من قبل رئيس تركيا السيّد رجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdoğan، وبحضور رئيس الشؤون الإسلاميّة الأستاذ محمد كورمز Mehmet Gormez

عرفت الموسوعة الإسلاميّة (باللّغة التّركيّة) خصائص ميّزتها عن باقي الموسوعات والدّوائر المترجمة، فهي تأليف أصليّ من ألفها إلى يائها، يحتاج إليها العامّة ولا يستغن عنها الخاصّة، تحرص على إعطاء المعلومة الصّحيحة استناداً إلى المصادر الأصليّة والوثائق القيّمة. وقد ذكرنا

¹ التّسجيل الصوتي، مرجع سابق، 21 د و 20 ثا.

² التّسجيل نفسه، 20 د و 20 ثا.

³ أرسلت إلينا الصّورة من قبل الأستاذ الدكتور أحمد أوزل بتاريخ 2018/06/15م.

سابقاً عدد المصادر والمراجع التي وقّرها مركز البحوث الإسلامية بغية الاستناد إليها في تأليف الموسوعة، وهذا أمر بالغ الأهمية، ولم نعهده من قبل، حيث أكد الأستاذ الدكتور أحمد أوزل أنّ الموسوعة الإسلامية مرتّبة على الحروف الهجائية، ومواضيعها حسب العلوم وحسب الهيئات. فمثلاً هيئة علوم الفقه تهتمّ بالموادّ الفقهية، وهكذا. أمّا إخراج المجلّد فقد بقي على حاله منذ ربع قرن، وقد وصلت عدد النسخ في البداية إلى 100 ألف نسخة، ثمّ 200 ألف نسخة، وبعدها بدأ ينقص، حيث وصل إلى طبع 30 إلى 40 ألف نسخة لكلّ مجلّد.

وعن موادّ الموسوعة الإسلامية (الاستشرافية) التي اهتمت بنقد المستشرقين، ذكر الأستاذ الدكتور أحمد أوزل أنّه توجد موادّ في الموسوعة قد تطرقت لتاريخ الموسوعة الإسلامية (الاستشرافية)، إضافةً إلى موادّ أخرى انتقدت الموادّ التي ألّفت في الموسوعة الإسلامية (الاستشرافية) وصحّحتها، حيث تمّ التّأليف حول 300 مستشرق مشهور مع نقد أفكارهم في مادّتهم.¹ وبالعودة إلى الملحق رقم 01، الخاصّ بعدد موادّ الموسوعة، نجد أنّ موادّ نقد المستشرقين قد وصل إلى 167 مادة.

وعن أعضاء الهيئة الإدارية للموسوعة الإسلامية أخبرنا الأستاذ الدكتور أحمد أوزل، بحكم أنّه كان عضواً فيها،² بأنّها كانت تضمّ رئيس الشؤون الدينية الأستاذ طيار التي قولاج Tayyar Altikulaç (1938م)، ونائب رئيس الشؤون الإسلامية السابق أحمد قورتاش Ahmet Gürtaş (1940-1999م)، ورئيس الهيئة العليا الأستاذ بكر طوبال أغلو Bekir Topaloğlu (1936-2016م)، وهو محقّق وعالم كبير، والأستاذ إسماعيل أرونسال Ismail Erünsal (1945م)، متخصصّ في علم المكتبات والأدب التّركي، وله الفضل الكبير في تأسيس المكتبة والتّوثيق، إضافةً إلى رئيس الشؤون الإسلامية الدينية لعام 2012م، الأستاذ علي باردق أوغلو Ali Bardak oğlu (1952م)، وحضرته الأستاذ الدكتور أحمد أوزل، وهو متخصصّ في الفقه الإسلامي، شغل في البداية منصب رئيس لجنة الفقه في الهيئة العلمية للموسوعة، ثمّ عُيّن مسؤولاً عن عمل الموسوعة، فكانت هناك 20 هيئة تحت إشرافه، وكان يقوم بجميع أعمال الموسوعة حتّى سُمّي بـ"شيخ الموسوعة"، وقد ألّف فيها 253 مادة،³ وهذا أفضل دليل على عناية تركيا بتوظيف نخبة المجتمع من أجل السّهر على إتمام مشروع الموسوعة الإسلامية (باللغة التّركية).

¹ التّسجيل الصوتي، مرجع سابق، 34 و56ثا.

² المرجع نفسه، 43 و50ثا.

³ المرجع نفسه، 46 و23ثا.

وبخصوص الهيئة العلمية المشرفة على الموسوعة الإسلامية فقد ضمت أساتذة المركز الدائمين إضافةً إلى 80 أستاذاً من مختلف الجامعات في إسطنبول، يعملون على إعداد الموسوعة بدوام جزئي في مركز البحوث الإسلامية، وقد شكّلت 20 هيئة علمية متخصصة، حيث تتكوّن كل هيئة من عدد كافٍ من رجال العلم، بحسب عدد المواد، ويرأسهم أستاذ جامعي. تقوم تلك الهيئات بمتابعة تأليف المواد، فتدقّق وتصحّح وتراجع وتُعطي الصورة النهائية للمادة، منذ استلامها من مؤلّفها حتى تسليمها إلى إدارة النشر بشكلها النهائي، ثم تُرسل إلى إدارة النشر لتُضاف إليها الصور والوثائق المصوّرة المتعلقة بتلك المادة، حيث يوجد في المركز وحدة للمرئيات تحتوي على ما يقارب 40 ألف صورة، وبعد ترتيب الصفحات تكون الموسوعة جاهزة للطباعة.¹

نلمح هنا الجدية التامة من قبل الهيئة العلمية، التي خصّصت 20 لجنة علمية بهدف التدقيق في المعلومات الواردة، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على الاحترافية في العمل والتفاني في تقديم المعلومة والمعرفة الصحيحة. تتكوّن الهيئات العلمية للموسوعة الإسلامية من هيئة للفحص، بها رئيس وأعضاء بأعداد كافية، وهي مسؤولة عن الموسوعة في جميع مراحلها، اعتباراً من مرحلة تثبيت موادها ومراجعتها إلى أن تصل إلى مرحلة التنقيح.

إضافةً إلى هيئة العلوم التي تتكوّن من هيئات مختلفة تضمّ رجال العلم، مهمتها الفحص العلمي للمواد وتنقيحها، كلّ بحسب اختصاصها، وهي: التفسير، الحديث، الفقه، الكلام، تاريخ المذاهب، التصوّف، تاريخ الإسلام وحضارته، تاريخ الأديان، الفلسفة الإسلامية والأخلاق، الفنون الإسلامية (المعماري، الموسيقى، الخط) اللغة العربية وآدابها، اللغة الفارسية وآدابها، تاريخ العلوم، المستشرقون والموضوعات المتفرقة.

ثم تأتي هيئة التنقيح الفني التي تتكوّن من رئيس وأعضاء بأعداد كافية، مهمتها فحص المادة من حيث اللغة والصياغة والإملاء، بعد أن تكون المادة المؤلفة قد تجاوزت مرحلة الفحص العلمي والتنقيح اللازم. أمّا الأمانة العامة فتقوم بالأعمال المالية والإدارية والحقوقية وما إلى ذلك، باسم المجلس الإداري، وتتعاون لأجل أداء مهمتها مع 05 مديريات فرعية: مديرية النشر، التي تقوم بتنظيم المواد وتصحيحها وإثرائها بالصور والخرائط ثم إعدادها للطبع، إضافةً إلى مديرية المكتبة والتوثيق، التي تمدّ المؤلفين بكلّ ما يحتاجونه من المراجع والمصادر الأساسية، وكذلك مديرية الإحالة والمتابعة، التي تقوم بإحالة المواد إلى المؤلفين ومتابعتها، وذلك في ضوء الاقتراحات

¹ أحمد أوزل، الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) والموسوعة الإسلامية الفارسية وموسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص-ص. 06-07.

والتوجيهات التي تُقدّمها هيئات العلوم في الموسوعة، ثم تُحال المواد المؤلفة إلى من يهّمه من الوحدات، أما مديرية المحاسبة فتقوم بإجراء الأعمال الحسابية والمالية بكل أنواعها للموسوعة، وأخيراً مديرية الموظفين والأعمال الإدارية، ومهمتها إجراء أعمال الموظفين الذاتية وخدماتهم الاجتماعية.¹

وبغية التّحكّم في منهجية البحث الموسوعي وتوجيه الباحثين المؤلفين، اعتنت إدارة الموسوعة عام 1986م، بإعداد دليل خاصّ بكتابة مواد الموسوعة، عرضت فيه الأسس الواجب إتباعها أثناء التّأليف، حيث ركّزت على الاعتماد في تحرير المواد على المصادر ما أمكن، والحرص على إيضاح الموضوع من كلّ جوانبه، وتجنّب استعمال العناوين الرئيسيّة أو الجانبية إلا إذا تجاوزت المادّة 10 صفحات، وفرضت على الباحث المؤلّف للموادّ الدّينية الاعتماد على القرآن والسّنّة، إضافةً إلى البحث عن المصطلحات المتعلّقة بمختلف المذاهب والطّرق والتّعاليم والتّيّارات الفكرية، استناداً إلى مصادرها أولاً، ثمّ على ضوء القرآن والسّنّة والمبادئ الإسلامية والأحداث العلمية، ومن ثمّ يُمكن ترجيح بعض الآراء. وبخصوص أسماء الأشخاص فقد تمّ الحرص على ذكر الاسم الكامل للشّخص، مكان وتاريخ ولادته ووفاته، جنسيّته، مذهبه ومناقبه الأخرى، ثمّ التّعريف بمنزلته بين جماعته، والتّطرّق لشخصيّته وحياته العلميّة، الإداريّة، السياسيّة، العسكريّة، الأدبيّة، الفكرية، أساتذته، تلاميذه، تأثيراته، كفاحه، حروبه وانتصاراته، الإشارة إلى مؤلّفاته، خاصّة أشهرها، وذكر الأعمال العلميّة التي أُجريت حول تلك المؤلّفات. وبخصوص البلدان، وبما أنّ الموسوعة ليست جغرافيّة فيمكن التّأليف بقصد تسهيل التّعريف بثقافة وحضارة هذه البلدان من خلال التّطرّق إلى الوضع الجغرافيّ، المناخ، التّركيب السّكانيّ، اللّغة، الدّين والإدارة، النّقافة والحضارة. أمّا عن تقديم الحواشي فيجب أن يُشار إلى المصدر الرئيسيّ، وتتمّ الإشارة إلى الآيات في المتن، بينما الأحاديث في الحاشية.² هذه مجمل التّوجيهات التي حرصت إدارة وهيئة الموسوعة على احترام تطبيقها من قبل المؤلّفين لتكون منهجيّتهم موحّدة ومعلوماتهم موثوق بها.

أمّا عن مسألة اختيار مؤلّفي الموسوعة الإسلاميّة (باللّغة التّركيّة)، فقد حدّثنا الأستاذ الدكتور أحمد أوزل عنها ذاكراً: "اتّصلنا بالجامعات التّركيّة وجامعات العالم الإسلاميّ والعربيّ وطلبنا منهم تزويدنا بقوائم المتخصّصين في المجالات المذكورة سابقاً، وعندما حصلنا على قوائم

¹ دليل وقف الديانة التّركي، مرجع سابق، ص-ص 04-05.

² دليل كتابة المواد، وقف الشؤون الإسلاميّة التّركي، المديرية العامّة للموسوعة الإسلاميّة، إسطنبول، تركيا، 1986م، ص-ص 07-11.

أسماء الباحثين المتخصّصين داخل تركيا وخارجها، المسلمين فقط، طلبنا منهم سيرتهم الذاتية، وعندما حصلنا عليها قمنا بتخزينها في الكمبيوتر، ثم نسخناها وقدمناها للهيئة العلمية من أجل التدقيق فيها واختيار الباحثين المتخصّصين المناسبين لكلّ موضوع. وعلى هذا الأساس تمّ الاتصال بالنّخبة المختارة بغية طلب تأليف المادّة.¹ ثمّ أضاف قائلاً: "وبعدنا أرسلنا إلى الباحث المختصّ ملفاً خاصاً بالموضوع يحوي جميع المعلومات الموجودة في مكتبة مركز البحوث العلمية، من مصادر ومراجع، ومخطوطات ودوريات وموسوعات، وكلّ ما جُمع حول الموضوع ليستند إليها أثناء تأليف المادّة، كما زوّدنا الباحثين بدليل كتابة الموادّ، وأرسلنا إليهم نماذج مكتوبة خاصّة بالأعلام، والمصطلحات وغيرها ليتبعوها، وأكّدنا على ضرورة اطلاعهم على ما كتبت حول موضوعهم في مختلف الموسوعات."² نلمس من خلال قوله وجود متابعة دقيقة، وإلزام للباحث بإتباع خطوات معيّنة كي لا يحد عن الموضوعيّة، ولتكون الموادّ في الموسوعة متشابهة ومنظمة.



الصورة رقم 02: ملفات مادّة الجزائر، موجودة في مركز البحوث الإسلاميّ، إسطنبول، تركيا.³

تحوي هذه الملفات الموجودة في مركز البحوث الإسلاميّة مصادر ومراجع ومخطوطات ودوريات خاصّة بتاريخ الجزائر، مخصّصة لمؤلّفي مادّة الجزائر في الموسوعة الإسلاميّة (باللغة

¹ التّسجيل الصوتي، مرجع سابق، 30 د و 06 ثا.

² المرجع نفسه، 31 د و 34 ثا.

³ قمنا بالتقاط الصورة من مركز إيسام، أثناء زيارتنا للأستاذ الدكتور أحمد أوزل في مكتبته بتاريخ 21 أكتوبر 2017م.

التركيّة). وحاليًا تتم الاستفادة من جميع ملقّات الموسوعة الإسلاميّة والبالغ عددها 17.771 ملقّا، من قبل طلاب الماجستير والدكتوراه، إذ يُمكنهم مراجعة تلك الملقّات حول أيّ موضوع، فهي في الوقت نفسه تُوفّر لهم المعلومة وتُوفّر عليهم عناء جمع المادّة.

وبخصوص عملية تقييم الأعمال المرسلّة إلى الهيئة العلميّة للموسوعة الإسلاميّة، ذكر الأستاذ الدكتور أحمد أوزل أنّه: "عندما تصل إلينا المادّة المؤلّفة من قبل الباحثين المختصّين، نضع ورقة تقييم أمام المادّة وورقة متابعة خلفها، فيقرأ رئيس الهيئة العلميّة المادّة أولاً، ثمّ يضع إشارة لإجازتها أو لطلب مراجعتها من قبل اللّجنة المختصّة بالمراجعة، أو إشارة دالّة على أنّ المادّة غير كافية، في هذه الحالة تُرسل إلى المؤلّف ليُراجعها ويُضيف المعلومات الناقصة، حسب الأسس والملاحظات المرسلّة إليه. وبعد إتمام تأليف المادّة المطلوبة يتمّ دفع المقابل المادّي (الأجرة) خلال أسبوعين أو شهر على الأكثر.

هذا بالنسبة للورقة الأولى، أمّا الورقة الثّانية فهي أنموذج للمتابعة، حيث تتمّ متابعة المادّة منذ إرسالها إلى رئيس الهيئة وإلى غاية طبعها، فتمرّ بذلك المادّة المؤلّفة على 17 لجنة للمراجعة والتقييم والمتابعة، ثمّ تُرسل إلى قسم الأسلوب الأدبيّ لمراجعة الأسلوب الثّنائي، وأخيراً عمليّة الطّبع.¹ (ينظر الملحق رقم 02) يُمثّل الملحق (أ) أنموذج تقييم المادّة، ويحوي ثلاثة جداول، نجد في الجدول الأوّل: الكود، اسم الكاتب، فرع المعرفة، حجم المخطّط، الفحص الأوّل، التّقييم وفيه يتمّ وضع إشارة تدلّ على المادّة الجيدة التي تُضاف مباشرة إلى موادّ الموسوعة، أو مادّة ضعيفة تُرفض، أو مادّة تحتاج إلى مراجعة إضافيّة. بينما يحوي الجدول الثّاني: عنوان المؤلّف، الإيميل، حجم الوارد، الوصف، فريق العلوم. أمّا الجدول الثّالث، فنجد فيه رسوم حقوق الطّبع والنّشر، الدّفْع للمؤلّف، ومجلس المراجعة. بينما يُمثّل الملحق (ب) أنموذج متابعة المادّة ويحوي أربعة جداول: يختصّ الجدول الأوّل بتدقيق مجلس العلوم، وفيه التّدقيق الأوّل والتّدقيق الثّنائي، أمّا الجدول الثّاني فيخصّ مجلس المراجعة، وفيه مراجعة أولى ومراجعة ثانية، والمراجعة العلميّة الثّنائية. في حين نجد أنّ الجدول الثّالث خاصّ بتقنيّة التّحرير، وفيه معلومات حول البيبليوغرافيا، الإيملاء، والقراءة الأخيرة. أمّا الجدول الرّابع فهو خاصّ بالتّحكيم القابل للتّعديل، تحكيم لجنة العلوم، تحكيم مجلس المراجعة، والحجم الثّنائي والوصف.

¹ التّسجيل الصّوتيّ، مرجع سابق، 04 و03 ثا.

وإذا ولينا صوب النخبة التي ساهمت في تأليف مواد الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) نجدها قد ضمت كبار العلماء الأجلاء والباحثين والأساتذة من تركيا ومن خارجها، من بينهم الأستاذ الدكتور أحمد أوزل، نائب رئيس مركز البحوث الإسلامية، وعضو الهيئة العلمية وهيئة تحرير الموسوعة الإسلامية، وعضو الهيئة العلمية لموسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، أستاذ في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة، حاصل على الدكتوراه في الفقه بعنوان "مفهوم الدار - الإقليم - في الفقه الإسلامي: دار السلام، دار الحرب، دار الصلح"، من مؤلفاته: تراجم علماء الحنفية، أسرى الحرب في الفقه الإسلامي، الإسلام والإرهاب: نظرة فقهية، الإمام أبو حنيفة والمذهب الحنفي. وقد ترجم مؤلفات من الإنجليزية إلى العربية، منها "كتاب الإسلام: مثاليات وحقائق" لمؤلفه سيد حسين نصر، كما ترجم من العربية إلى التركية كتاب "التراخيص الإدارية: نظام الحكومة النبوية" لعبد الحي الكتاني الفاسي. وساهم في تأليف 253 مادة في الموسوعة الإسلامية، 147 مادة حول أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، و11 مادة حول معجم البابطين لشعراء العرب المعاصرين بالكويت، وترجم 72 شعراً تركياً إلى اللغة العربية، سينشر قريباً باسم "منتخبات من الشعر التركي الإسلامي المعاصر" في القاهرة، تحت إشراف معهد يونس أمرة التابع لوزارة الثقافة التركية.¹

ونتيجةً للمجهود الذي بذله الأستاذ الدكتور أحمد أوزل في تحضير الموسوعة الإسلامية، طلبت منه مؤسسة أسكو في تونس، أثناء إنجازها لموسوعة "أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين"، الصادرة عام 2004م، تحديد المواد المتعلقة بالعالم التركي والعثماني وتأليفها، ثم طلبت منه أن يكون عضواً في اللجنة العلمية، وقد عمل معها لمدة 10 سنوات تقريباً، مع العلم أن الموسوعة تتكوّن من 40 إلى 45 مجلداً، وتضمّ 7.500 إلى 10.000 مدخلاً، هدفها هو إبراز معالم الحضارة والثقافة العربية والإسلامية والتعريف بها، وتطويرها بالمواكبة مع ظروف العصر، إضافةً إلى سعيها لتكوين وعي جديد لدى المثقف العربي يجعله يثق في التراث العربي الإسلامي ودوره في تنمية المعرفة الإنسانية.²

من بين النخبة أيضاً، رئيس مركز البحوث الإسلامية الحالي الأستاذ الدكتور راشد كوجك **Rasit Küçük** (1947م)، وهو عالم في الحديث، وعميد سابق في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة، ورئيس للهيئة العليا برئاسة الشؤون الإسلامية. إضافةً إلى العلامة التركي طيار ألتني قولاج، حافظ للقرآن

¹ السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور أحمد أوزل، غير منشورة. يُسمع أيضاً التسجيل الصوتي، 47 و48 ثا.

² أحمد أوزل، خطاب في اجتماع بمركز جمعية الدعوة الإسلامية، مرجع سابق. ص. 02.

الكريم، وحاصل على رسالة دكتوراه في علم التفسير، ورئيس لشؤون الديانة التركية، وهو أول من سجّل القرآن الكريم المرثّل بصوته في تركيا برواية حفص، وقد قام بتحقيق 07 مصاحف تاريخية تعود إلى القرن الأول والثاني الهجري، وهو من أعضاء الهيئة الإدارية للموسوعة الإسلامية (باللغة التركية).¹

من بين مؤلفي الموسوعة أيضاً، العالم الجليل في الفقه الإسلامي، وأحد أعلام تركيا، الأستاذ الدكتور خير الدين قرمان Hayrettin Karaman (1934م)، أستاذ في علم الفقه بكلية الإلهيات بجامعة مرمره بتركيا، أشرف على برنامج تنشئة العلماء المسلمين في مركز البحوث الإسلامية، وكان من مؤسسي المركز ومن أعضاء الهيئة الإدارية للموسوعة الإسلامية، ألف كتباً عن تاريخ الفقه الإسلامي، الفقه الإسلامي المقارن، الاجتهاد في الفقه الإسلامي، القضايا الزاهنة في ضوء الإسلام، وساهم في ترجمة مشتركة للقرآن الكريم، وغيرها من الأعمال.² من ضمن النخبة أيضاً، عالم الدين التركي علي باردق أوغلو، رئيس الشؤون الدينية من 2003م إلى 2010م، ومن أعضاء الهيئة الإدارية للموسوعة.³ إضافة إلى عالم الدين التركي ورئيس الشؤون الدينية التركية لعام 2010م، محمد كورمز Mehmet Gormez (1959م)، صاحب رسالة دكتوراه حول المشاكل المنهجية في فهم وتفسير السنة والأحاديث،⁴ وغيرهم من علماء وباحثي تركيا. أما من خارج تركيا فقد شارك ضمن النخبة المؤرخ العراقي عبد العزيز الدوري (1919-2010م)، رئيس جامعة بغداد في الفترة 1963-1986م، حاصل على دكتوراه في التاريخ الإسلامي، وفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لعام 1986م، من مؤلفاته: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، والنظم الإسلامية، وغيرها.⁵ إضافة إلى الأستاذ الدكتور التونسي محمد السويسي (1915-2007م)، عالم في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم، يُعتبر رائد المغرب

¹ أحمد شاكر، المحقق طيار قولا، قصة تركي عاشق للمصاحف القديمة، 24/12/2016م، مقال استخرج من الرابط <https://www.ida2at.com/detective-kolag-pilot-turkish-story-lover-of-old-korans> بتاريخ 16/08/2018م، على 18 سا و26د.

² نظام الدين إبراهيم أوغلو، أعلام تركيا، الأستاذ الدكتور خير الدين قرمان، 17/06/2009م، حوار مستخرج من الرابط <http://www.wata.cc/forums/showthread.php?49417> بتاريخ 16/08/2018م، على 18 سا و49د.

³ علي باردق أوغلو، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org> بتاريخ 16/08/2018م، على 19 سا و13د.

⁴ محمد جورمز، استخرج من الرابط <https://www.wikiwand.com> بتاريخ 16/08/2018م، على 19 سا و18د.

⁵ رضوان السيد، عبد العزيز الدوري ودراسات التاريخ الإسلامي، 23/11/2010م، مقال استخرج من الرابط

<http://archive.aawsat.com/details.asp?section> بتاريخ 16/08/2018م، على 19 سا و45د.

العربي في تأليف كتب الرياضيات باللغة العربية، من بينها: أصل الجبر، خلاصة الحساب، بغية الطلاب في فقه الحساب، وغيرها.¹ والفيلسوف والمؤرخ والرياضي المصري رشدي راشد (1936م)، الذي حقق كتب علماء الرياضيات العرب، وترجم المخطوطات العربية إلى اللغة الفرنسية وشرحها تاريخياً وفلسفياً ورياضياً، وأعاد إحياء تراث ابن الهيثم والخوارزمي والكندي وغيرهم، ألف تاريخ الرياضيات العربية، الجبر والهندسة في القرن 12م، وعلم المناظر، وعلم انعكاس الضوء، وغيرها.²

إلى جانبهم العلامة والفقير المحقق المصري الدكتور عبد العظيم الديب (1929-2010م)، عضو مجمع الفقه الإسلامي في جدة، ومن مؤلفاته: البرهان، غياث الأمم، الدرّة المضيئة، نهاية المطلب في دراية المذهب، وغيرها.³ كذلك الأستاذ الدكتور حميد ألبار (1940م)، أستاذ بريطاني أمريكي بجامعة كاليفورنيا، وباحث في التاريخ الإسلامي للعالم الفارسي التركي، ألف عن الأدب الفارسي والتاريخ المعاصر لإيران وتركيا والبلقان وأفغانستان.⁴ نذكر كذلك المفكر الإسلامي المصري إبراهيم بيومي غانم (1959م)، عضو المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر، ألف عن مقاصد الخير وفقه المصلحة، ومقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية، وغيرها.⁵ إن استعراض مؤلفي الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) يُقدّم لنا نظرة معمّقة عن تخصصاتهم وتوجهاتهم التي تخدم انشغالات الموسوعة، فمنهم عالم في الفقه، ووزير للشؤون الإسلامية، وعالم في الرياضيات، ومحقق للقرآن وغيرهم، وإن دلّ على شيء فهو يدلّ على الاختيار الصائب للنخبة التي ستمثل العالم الإسلامي وتكتب عنه، كما يدلّ أيضاً على أصالة العمل الذي سيُقدّم للموسوعة وعلى دقته العلمية والموضوعية التي ستعكس التاريخ الإسلامي الحقيقي غير المشوّه وغير المزيف، خدمةً للأغراض الإيديولوجية الضيقة.

¹ محمّد السويسي، الموسوعة التونسية، 2017/11/02م، استخرج من الرابط <http://www.mawsouaa.tn/wiki>

بتاريخ 2018/08/16م، على 19 سا و58د.

² رشدي راشد، د.ت، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org> بتاريخ 2018/08/16م، على 20 سا و05د.

³ عبد العظيم الديب، د.ت، استخرج من الرابط <https://www.marefa.org> بتاريخ 2018/08/16م، على 20 سا و16د.

⁴ حميد ألبار، مقال استخرج من الرابط https://en.wikipedia.org/wiki/Hamid_Algar بتاريخ 2018/08/16م، على 20 سا و22د.

⁵ هديل البكري، إبراهيم البيومي غانم، 2014م، استخرج من الرابط <https://mawdoo3.com> بتاريخ 2018/08/16م، على

20 سا و40د.

ختاماً، يُمكننا القول أنّ دولة تركيا قد ساهمت في حفظ تراث الأمة الإسلامية من خلال ترجمتها للموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) مع تأليف بعض المواد الخاصة بتاريخها، ولكنها لم تقف عند هذا الحدّ بل توالت إنجازاتها لتُخرج إلى النور موسوعة إسلامية تليق بالحضارة والثقافة الإسلامية، تعكس الذخيرة العلمية للعالم الإسلامي بمصاديقها، مستندةً في ذلك على الأسس العلمية والموضوعية في ميادين العلوم والثقافة والحضارة الإسلامية، خاصة ما تعلق منها بسيرة الأنبياء عليهم السلام وسيرة عظماء المسلمين، ومفاهيم الدين الإسلامي، حيث تناولت فيها كلّ التّراث الإسلامي: التفسير، الحديث، علم الكلام، تاريخ المذاهب، الفقه الإسلامي، التّصوّف، الفلسفة الإسلامية، الأخلاق، تاريخ وحضارة الإسلام، الفنون الإسلامية، الأدب العربي، تاريخ الأديان، تاريخ العلوم، تاريخ التّرك وحضارته، الأدب التّركي، الأدب الفارسي، الجغرافيا، العمارة، الموسيقى وغيرها من المواد. وهي حصيلة جهد جماعيّ مشترك من علماء وكتّاب ومترجمين ومفكرين ومنقّحين وعاملين ومدعّمين تمّ اختيارهم بدقّة بغية تصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) وإضافة المعرفة الجديدة، وقد وفرّ لهم مركز البحوث الإسلامية مكتبةً مزوّدةً بالمصادر والمجلّدات والدوريات والمخطوطات، والوثائق ذات الصّلة بموادّ الموسوعة، واستحدثت 20 هيئةً لتتابع وتُدقّق وتُراجع كلّ المواد، منذ وصولها وإلى غاية طبعها. كما زوّدت المؤلفين بدليل يُعينهم على أداء مهمّتهم على النّحو المطلوب، في شكل معلوماتيّ موحدّ ومتناسق، وعلى هذا الأساس تمّ تأليف موسوعة إسلامية جديدة، ساهمت في تصحيح المعارف وتيسيرها للباحث المسلم والأجنبيّ، كما رفعت مستوى الدّراسات في تركيا فيما يتعلّق بالعلوم الإسلامية والتّاريخ الإسلامي والتّركي، والأدب العربي والتّركي والفارسي وغيرها من العلوم. ويخوّلنا ما ذكرناه سابقاً القول بأنّ الموسوعة الإسلامية (باللغة التّركية) لا تُعتبر بأيّ شكلٍ من الأشكال، امتداداً للموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، بل هي تأليف أصيل، اجتهدت فيه النّخبة العلمية من أجل إخراج عمل علميٍّ وموضوعيٍّ خاصّ بالتّراث الإسلاميّ.

المبحث الثالث: بدايات تشكّل الذات التاريخية عند المؤرّخ ناصر الدين سعيدوني، التأليف الموسوعيّ أنموذجاً.

التأليف حركة حضارية ونشاط ثقافي مرافق للفكر الإنساني، وهو إبداع تعبيرّي يتطلّب رصيذاً معرفياً كبيراً، وإجراءات فكريّة دقيقة ومنهجية محكمة ومدروسة. وقد ظهرت على الساحة العلميّة أسماء لامعة تميّزت برصيد تأليفيّ معرفيّ مدارر، من بينها المؤرّخ الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني، الذي اكتسح ساحة التاريخ واعتُبر رائد الدراسات العثمانية، فنشرت جلّ أعماله العلميّة لتكون متاحة لمن يسعى إلى نهل المعرفة منه. لكنّ عطاءه العلمي لا ينضب، إذ عثرنا على تأليف له ظلّ مجهولاً، فلم يُذكر من قبل لا في سيرته العلميّة المعروفة، ولا في أية بحوث سابقة، وهو تأليف موسوعيّ لمادّة "الجزائر" ومادّة حياة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري" في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركيّة)، تأليف يُمثّل البدايات الأولى لعطاءه التاريخيّ الذي يعود إلى عام 1990م. لهذا ارتأينا نفض الغبار على هذا العمل العلميّ وتعريف الباحثين به، معتمدين في ذلك على تساؤلات جوهرية تُعيننا على فهم خبايا وكواليس هذا التأليف. فما هي المرتكزات العلميّة التي استند إليها الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني أثناء تأليف مادّته الموسوعيّة حول الجزائر؟ وكيف تمّ اختياره من بين آلاف الأساتذة المختصّين في التاريخ، وعلى أيّ أساس؟ وكيف تمّ الاتفاق بينه وبين إدارة الموسوعة؟ ومتى حدث ذلك؟ وما هي الجوانب الإجرائية التي رافقت عملية التأليف، منذ إرسال المادّة وإلى غاية طبعها؟ وما هي الخطة التي اعتمد عليها في تأليف موادّه الموسوعيّة كتجربة علمية جديدة بالنسبة إليه؟ وما هي المصادر التي اعتمد عليها في بناء مادّته التاريخية؟ سنحاول إذاً، ومن خلال هذه الأسئلة، معرفة بدايات تشكّل الذات التاريخية العلميّة عند الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني.

لقد عُني تراثنا بمسألة التأليف، حيث ورد في كتاب "أزهار الرياض في أخبار عياض"

لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرّي التلمسانيّ أنّ المقصود بالتأليف سبعة:¹

ألا فاعلمنّ أنّ التأليف سبعة	لكلّ لبيب في النصيحة خالص
فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ	وإبداع حبرٍ مُقدّم غير ناكص
وترتيب منشور وجمع مفرق	وتقصير تطويل وتتميم ناقص

¹ شهاب الدين أحمد بن محمد المقرّي التلمسانيّ، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج3، تحقيق مصطفى السقا، موضوع روضة الأفيحان في ذكر حاله في المنشأ والعنوان، مطبعة فضالة، المعهد الخليفيّ للأبحاث المغربية، بيت المغرب، المغرب، د.ت، ص.34-354.

وهنا نُطرح سبعة تأليف: تأليف الشرح، تأليف التصحيح، تأليف الابتكار، تأليف الترتيب؛ أي ترتيب المادة حتى تتسق، وتأليف التجميع؛ أي تجميع مسألة مشتتة تكون أدلتها في بطون الكتب، وتأليف الاختصار دون الإخلال بالمعنى الأصلي، فتأليف التتيميم.¹ وفي خضم عملية التأليف حول أي نوع من الأنواع السابقة الذكر، يُخَلِّد المؤلف عمله وإنتاجه، وفي الوقت ذاته يُخَلِّد تراث حضارته. وشبيه به ما مارسه الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني بوعي منه أو بدونه، إذ ساهم في تخليد عمله وفكره، وفي الوقت نفسه ساهم في تخليد تاريخ بلاده الجزائر بلغته الأم وبلغات أخرى، في بلده الجزائر وفي بلدان أخرى، حيث أَلَّف بين ما سبق من فكر ومعرفة، بغية صناعة معرفته الخاصة حول مجال تخصصه، فمارس مختلف التأليف السابقة، من تتيميم للمعلومات، وتصحيح لها، وشرح واختصار للمعلومات التاريخية وجمع وترتيب. وقد تسنى له ذلك بعدما اكتسب نضجاً معرفياً حول البحث والكتابة التاريخية نتيجة التحصيل العلمي المتمثل في الدكتوراه الأولى والثانية، الأمر الذي مكّنه من العطاء العلمي اللامتناهي المتميز بأسلوب تاريخي خرق القواعد التي كانت متداولة، حيث تجاوز أسلوب سرد الوقائع ومارس التحليل والنقد والتفسير والتفكيك والتركيب، مسهماً بذلك في الجهد المطلوب من أجل إخراج التاريخ الجزائري الحديث من الصور النمطية التي ارتبطت به.² فالترم بالمنهجية العلمية في معالجة القضايا التاريخية على أساس أنها "تتطلب إشكالية صلبة تنبثق عنها التحليلات والاستنتاجات والصياغات، بينما الإشكالية التي تفترق إلى الوضوح، لا تعدو أن تكون سرداً عقيماً للأحداث، وجمعاً وترتيباً للمعلومات."³ ووظف وثائق الأرشيف كمصادر لاستخراج المعلومات التاريخية، فهي أوفى من ينطق بالأحداث.

حامل الخصال العلمية المذكورة، **مؤرخ جزائري**، من مواليد 10 جويلية 1940م ببئر الشهداء، ولاية أم البواقي، متخصص في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب العربي،⁴ حاصل على دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من كلية الآداب، جامعة الجزائر عام 1974م، ودكتوراه دولة في التاريخ الحديث من كلية الآداب بجامعة إيكس آن بروفانس بفرنسا عام 1988م. تجاوز

¹ ربيع السملالي، التعريف بأدب التأليف، 2017/07/04م، استخرج من الزايط <http://blogs.aljazeera.net/blogs> بتاريخ 2018/08/18م، على 13 سا و11د.

² معاوية سعيدوني، سعيدوني كما أعرفه، من مؤلف المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، مرجع سابق، ص.38.

³ معاوية سعيدوني، الإنتاج التاريخي للأستاذ ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص.126.

⁴ ودان بوغفالة، إشكالية هوية التاريخ الوطني في الكتابات التاريخية عند سعيدوني، مرجع سابق، ص.93.

صيته الحدود الجزائرية، حيث اشتغل أستاذاً متفرغاً بجامعة آل البيت بالأردن (1996-1998م)، ثم شغل منصب أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الجزائر حتى 2001م، فأستاذاً بقسم التاريخ بجامعة الكويت من 2001م إلى 2011م. شغل عدة مسؤوليات إدارية من بينها: رئيس دائرة التاريخ بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر من 1979م إلى 1981م، ثم مديراً لمعهد التاريخ بجامعة الجزائر من 1984م إلى 1988م، ثم رئيس مجلس البحث العلمي لمعهد التاريخ بجامعة الجزائر من 1992م وإلى غاية 1996م، ثم رئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية بجامعة الجزائر من 1999م إلى 2001م، قبل أن ينتقل إلى الكويت.

قام بإصدار مجلة الدراسات التاريخية لمعهد التاريخ من 1986م إلى 1999م، ثم ترأس هيئة تحرير مجلة إنسانيات لكلية العلوم الإنسانية بجامعة الجزائر من 2001م إلى 2002م.¹ حظي بسمعة علمية طيبة امتدت من الشرق العربي إلى الغرب الأوروبي بمشاركة في مشاريع بحث دولية،² وهذا خير إثبات على عمق ثقافته وبلوغه أرقى مستويات البحث والمعرفة.

لقد انصب اهتمام الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني في البداية على الاشتغال في مجال تخصصه الأول وهو التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب العربي، لكنه اجتاح بجدارة مجالات أخرى منها: القبائل والعشائر، والبيئة الاجتماعية والأحوال الصحية والمجال العمراني والبعد الديمغرافي والجاليات، خاصة الأندلسية، والأنظمة المالية والضريبة بعد العهد العثماني، فكتب عن النظام الضريبي لدولة الأمير عبد القادر، وعن التاريخ السياسي، والملكية والأوقاف.³ وتجسد إنتاجه العلمي في نشر 32 كتاباً والعديد من البحوث والدراسات، اختص جلها بالعهد العثماني، حيث ألف كتاب "النظام المالي للجزائر، 1792م-1830م"، صدرت الطبعة الأولى منه عام 1979م، والطبعة الثانية عام 1985م، و"دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر"، صدر الجزء الأول منه عام 1984م، والجزء الثاني عام 1988م، إضافة إلى "دراسات في الملكية العقارية أثناء العهد العثماني" عام 1986م، و"الجزائر أثناء العهد العثماني: الجانب الاقتصادي والاجتماعي" عام 1988م، كما قام بتحقيق وتقديم المخطوط، "القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط" للحاج أحمد بن عبد الرحمان الشقراني عام 1991م، و"ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني" عام 2000م، كذلك

¹ معاوية سعيدوني، سعيدوني كما أعرفه، مرجع سابق، ص.55.

² المرجع نفسه، ص.53.

³ معاوية سعيدوني، الإنتاج التاريخي للأستاذ ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق ص-ص.106-108.

"الحياة الريفية بمقاطعة الجزائر المركزية (دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791-1830م" عام 2001م، وأيضاً "الوقف في الجزائر في العهد العثماني ق 17-19م" عام 2007م، وغيرها من المؤلفات القيمة.¹

واستكمالاً لما عرضناه من أعمال جلييلة، قام الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني بتخليد اسمه وممارسته العلمية وتاريخ الأمة الجزائرية في مشروع دولي ضخم دام ربع قرن وأزيد، والمتمثل في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، التي يستعين بالمعرفة التي تحويها، العربي والأجنبي على السواء، ولا يُسمح لأي باحث تركي بمناقشة أبحاثه إلا إذا نهل من هذه الموسوعة الإسلامية لما تحويه من معرفة علمية دقيقة ومُحيّنة.

ولقد تمّ اختيار الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني من بين زمرة من المتخصصين في التاريخ بغية تأليف مادتين حول تاريخ "الجزائر" وسيرة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري" لصالح الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، فكانت كواليس التواصل بينهما على النحو الآتي: بدايةً اتّصلت إدارة الموسوعة الإسلامية، التي يوجد مقرها في مركز البحوث الإسلامية بإسطنبول (تركيا) بالجامعة الجزائرية عام 1990م، بغية تزويدها بقوائم أسماء المؤرخين المتخصصين في تاريخ الجزائر،² وبعدها حصلت إدارة الموسوعة على القائمة المطلوبة اتّصلت بالباحثين وطلبت منهم إرسال سيرتهم الذاتية، التي عرضتها فيما بعد على الهيئة العلمية للموسوعة الإسلامية من أجل البث فيها، واختيار الباحث المتخصص والمناسب لهذه المهمة العلمية. ونشير في هذا الصدد إلى أنّ الهيئة العلمية المشرفة على الموسوعة الإسلامية قد ضمت أساتذة المركز الدائمين، إضافةً إلى 80 أستاذاً باحثاً من مختلف الجامعات في إسطنبول، يعملون في إعداد الموسوعة بدوام جزئي في مركز البحوث الإسلامية، حيث شكّلت منهم 20 هيئة علمية متخصصة للمتابعة والتدقيق في مواد الموسوعة،³ الأمر الذي جعل من اختيار الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني ليُمثّل النخبة الجزائرية أمراً بالغ الأهمية، خاصة وأنه كان قد تحصّل قبلها بسنتين على الدكتوراه الثانية في التاريخ الحديث من كلية الآداب بجامعة إيكس آن بروفانس بفرنسا 1988م، وكان يملك إنتاجاً علمياً حول تاريخ الجزائر في العهد العثماني قبل عام 1990م (تاريخ البدء في كتابة مادة الجزائر)، من بينه: "النظام المالي للجزائر" 1985م، و"دراسات وأبحاث

¹ ودان بوغفالة، المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، مرجع سابق، ص-ص 16-19.

² التسجيل الصوتي، مرجع سابق، 30 و20 ثا.

³ المرجع نفسه. 02 د و12 ثا.

في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر " 1988م، إضافةً إلى "دراسات في الملكية العقارية أثناء العهد العثماني" 1986م، و"الجزائر أثناء العهد العثماني: الجانب الاقتصادي والاجتماعي" 1988م. وقد أطلعت عليه الهيئة العلمية وكونت نظرةً حول اهتمامات وعمق ثقافة وأصالة فكر الأستاذ الدكتور ناصر سعيدوني ليطم اختياره بناءً عليها.

وبعد عملية الاختيار تمّ التّواصل مع الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني عبر المراسلات البريدية بغية استكمال الإجراءات الإدارية، وقد حصلنا على نسخ من تلك المراسلات التي بيّنت لنا كواليس وحيثيات ما وراء تأليف المادتين وكيفية إعدادهما ليتمّ طبعهما في صورتها النهائية. وسنركّز في هذا المقام على كيفية تأليف مادة "الجزائر" أكثر من مادة سيرة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري"، نظراً لصغر حجم هذه الأخيرة، ولاهتمامنا أكثر بمادة تاريخ الجزائر. كان المستهلّ إذاً بتاريخ 20 أوت 1990م، أين أرسل الأستاذ الدكتور أحمد أوزل، الذي كان يشغل آنذاك منصب وكيل المدير العامّ لمركز البحوث الإسلامية، رسالةً إلى الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني تحت رقم STS/2171-1256، طلب منه باسم المديرية العامة، تحرير المواد المرفقة لصالح الموسوعة الإسلامية التابعة لوقف الديانة التركي، إضافةً إلى ملأ وثيقة طلب تحرير المواد، وإعادتها بتاريخ 10 سبتمبر 1990م. أمّا وثيقة طلب تحرير المواد المرفقة مع الرسالة، فقد احتوت على عدد الكلمات التقريبي الذي حدّد من قبل إدارة الموسوعة بـ4.000 كلمة، وعلى تاريخ استلام المادة المزمع في 31 جانفي 1991م،¹

وبذلك مُنح 03 أشهر من أجل تأليف مادة "الجزائر" فقط، بسبب ورودها في بداية الترتيب الهجائي للموسوعة. وبعد تحاورٍ وتشاوٍ بين أعضاء الهيئة العلمية تمّ الاتفاق على تكليف الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني بتأليف مادة ثانية حول سيرة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري"، وعلى إثر ذلك قام الأستاذ محمد علي صاري، الأمين العام لإدارة الموسوعة الإسلامية بإرسال رسالة ثانية إلى الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني بتاريخ 29 جانفي 1991م، تحت رقم STS/2171-0244، وكان ذلك بعد 05 أشهر من إرسال الرسالة الأولى، أعلمه فيها أنّ إدارة الموسوعة ترغب في أن يقوم سعادته بتحرير مادة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري"، إلى جانب مادة "الجزائر"، وأنّ لهما عاجليةً "قصوى بسبب أولويتها في الترتيب الهجائي للموسوعة".²

¹ الرسالة رقم STS/2171-1256 بتاريخ 20/08/1990م، ملفّ الجزائر، مركز البحوث الإسلامية، إسطنبول، تركيا.

² الرسالة رقم STS/2171-0244 بتاريخ 29/01/1991م، الملفّ نفسه.

هكذا كلف الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني بتحرير مادتين للموسوعة الإسلامية. ظلت إدارة الموسوعة تنتظر جواب الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني لمدة 07 أشهر بعد إرسال الرسالة الأولى، الأمر الذي اضطرّها إلى إرسال رسالة ثالثة من قبل الأستاذ محمد علي صاري، الأمين العام لإدارة الموسوعة بتاريخ 30 مارس 1991م، تحت رقم STS/2171-0735، طلب منه الردّ على الرسائل السابقة، وإرسال مادة "الجزائر"، نظراً لأولويتها في الترتيب.¹ وبعد شهر تقريباً وصل الردّ من قبل الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني، بتاريخ 20 أبريل 1991م، وكان آنذاك أستاذاً لمادة التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الجزائر، حيث أخبر الأستاذ محمد علي صاري أنه "بصدد الانتهاء من تحرير المادتين"، وسوف يُرسلهما حال الانتهاء منهما، واعتذر عن التأخير الملحوظ عن الموعد المحدد "لإنجاز المادتين بسبب ظروف قاهرة خارجة عن إرادته"². وقد سُجّلت الرسالة في وارد مركز البحوث الإسلامي بتاريخ 29 نيسان (أبريل) 1991م، تحت رقم 0767.

وبعد شهر وبعض الأيام، وبالضبط بتاريخ 01 حزيران (يون) 1991م، أرسل الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني رسالة ثانية إلى الأستاذ محمد علي صاري، مسجلة تحت رقم 1132 أخبره فيها أنه أرسل مادة "الجزائر" ومادة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري"، وأنه يعتذر عن التأخير.³ وللإشارة فقط أنّ إدارة الموسوعة كانت قد حدّدت في الرسالة الأولى موعد تسليم المادة بتاريخ 31 جانفي 1991م، ممّا يدلّ على أنّ الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني قد تأخّر في تسليمها بخمسة أشهر عن الموعد المحدد. وبعد 05 أيام من استلام الرسالة، كتب الأستاذ محمد علي صاري الردّ في 05 حزيران (يون) 1991م، تحت رقم STS/2171-1123 باللّغة الإنجليزية، أخبره فيه أنه استلم مادة "الجزائر"، ومادة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري"، وشكره على إرسالهما، كما وطلب منه كتابة المصادر حسب سياسة تحرير الموسوعة في نهاية المادة وإرسال بعض المعلومات عن بعض الكتب المدوّنة.⁴ وبعد إرسال المطلوب، قام الأستاذ محمد علي صاري بإرسال رسالة أخرى بتاريخ 08 جويلية 1991م باللّغة

¹ الرسالة رقم STS/2171-0735 بتاريخ 30 مارس 1991م، الملفّ السابق.

² الرسالة المرسلّة بتاريخ 20/04/1991م والمسجّلة في الوارد تحت رقم 0767 بتاريخ 29 نيسان 1991م، الملفّ نفسه.

³ الرسالة المرسلّة بتاريخ 01/06/1991م، والمسجّلة في الوارد تحت رقم 1132، الملفّ نفسه.

⁴ الرسالة رقم STS/2171-1123 بتاريخ 05/06/1991م، الملفّ نفسه.

الإنجليزية، تحت رقم STS/2171-1291، أعلمه فيها أن المواد وصلت بأمان، وطلب منه صفحات المصادر في نهاية كل مادة، وصور بعض المدن الكبرى.¹

هذه هي إذاً المراسلات الإدارية التي تمت بين إدارة الموسوعة وبين الأستاذ المختار الدكتور ناصر الدين سعيدوني، بغية تأليف مادتي "الجزائر" و"محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري" لصالح الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية).

Abdülhamid'e takdim ettiği, Fransız isgalini anlatan ilk Arapça eser olan bu kitabıyla şöhret bulmuştur. Cezayir ve Emir Abdülkâdir'in cihadına dair geniş mülumat ihtiva eden eser, Cezayir'in coğrafyası ve İslâmî dönemdeki tarihîyle ilgili bilgilerin yer aldığı girişten sonra iki bölüme ayrılır. Birinci bölümde Emir Abdülkâdir'in Cezayir'deki mücadelesi (1830-1847) anlatılmakta, ikinci bölümde ise Abdülkâdir'in Cezayir'den ayrılışından vefatına kadar geçen hayatı (1847-1883) ele alınmaktadır. Cezâiri, eserin giriş bölümünde Cezayir tarihinin İslâmî döneminden bahsederken İbn Haldûn'un el-'İber'i gibi bazı kaynaklardan faydalandığı halde Emir Abdülkâdir'in mücadelesini ve Şam'daki hayatını anlatırken şahsi gözlemlerine, gazete haberlerine, resmi yazışmalara ve diğer bazı belgelere dayanmıştır. 2. 'İkûdül-ecyâd fi ş-şâindü'l-ciyâd (Dimaşk 1963). Müellif, atların vasıflarından ve eğitilmesinden bahseden bu eserini daha sonra Nuḥbetü 'İkûdül-ecyâd fi ş-şâindü'l-ciyâd adıyla kısaltmıştır (Beirut 1293, 1326).

Cezâir'in fikhî meseleleri ve bazı fikhî konularda ilgili üç risalesi Mecmû'atü'r-Resâ'îli's-şelâs adıyla yayımlanmıştır (Kahire 1327). Bunlardan biri Zikrû zevî'l-fa'iz fi muḥâbâkâli erkânü'l-İslâm ilâ-'akl adını taşımakta olup İslâmî esasların akla uygunluğu konusunu işlemektedir. Keşfü'n-nihâb 'an esrâri'l-hicâb adlı diğer bir risalesinde İslâm'da örtünme (tesettür) meselesi ele alınmakta, el-Tiryâk fi ta'addü'dü'z-zevât ve'l-falâk adını taşıyan üçüncü risâlede ise çok evlilik ve boşanma konusundaki görüşler tartışılmaktadır.

leri bakımından belâgatta "elfâz-ı cezele" ve "elfâz-ı rakıka" diye ikiye ayrılmaktadır. Sadme, kazâ, rahsan, gazanfer, hitabet, gûlbank, çekçek gibi kelimeler telaffuzlarındaki kalınlık ve çarpıklık dolayısıyla elfâz-ı cezeleden sayılmaktadır. Bunun aksini ise yumuşak ve ince telaffuzlarıyla kulağa oksayıcı bir tesir yapan elfâz-ı rakıka meydana getirir.

Belâgat anlayışında güzel yazma ve söylemenin birinci şartı, seçilen kelimenin ifade edilmek istenen şey ve mânaya yakınlığına, ona uygun düşmesidir. Bundan dolayıdır ki savaş, kavgâ, hakaret, tehdit, korku vb. durumlar ifade edilirken ses ve âhenk bakımından bu hallerin uygun düşecek kelimeler kullanmaya dikkat edilir. Bunlar anlatılanı hissettirip göz önünde canlandırmayı sağlar. Bu husus gerçekleştirildiğinde cezalet meydana gelmiş olur. Sevgi, merhamet, sefkat, güzellik, hayranlık gibi hallerin ifadesinde ise kulakta elfâz-ı cezeleden çok farklı tesir bırakan, ince ve yumuşak sesli kelimeler kullanılır.

Bir metnin baştan başa sadece elfâz-ı cezele veya elfâz-ı rakıkadan ibaret olması beklenemez. Esas olan, hal ve şartları gerektirdiği kelimeleri seçmek ve bunları yerli yerinde kullanmaktır.

Kur'ân-ı Kerim'de bu iki ifade tarzı da mevcuttur. Kıyamet gününden, cehennem azabından bahseden âyetlerde şiddet ifadesi olarak elfâz-ı cezele geçen cennet, rahmet, lütuf ve mağfirret söz konusu olan âyetlerde de elfâz-ı rakıka yer almaktadır.

Elfâz-ı cezele ve rakıkadan birinin diğeri yerine kullanılması güzel olmayan bir tesir bırakır. Meselâ Nef'î'nin, "Ça-

CEZAYİR
(الجزائر)
Kuzey Afrika'da müslüman ülke.
I. FİZİKİ VE BEŞERİ COĞRAFYA
II. TARİH
III. KÜLTÜR VE MEDENİYET

Akdeniz kıyılarında Büyük Sahrâ'nın güney kesimlerine kadar sokulan geniş toprakları ile, Afrika kıtasının alan bakımından Sudan'dan sonra ve çok küçük bir farıda ikinci büyük ülkesidir. Kuzeyde Akdeniz, doğuda Tunus ve Libya, batıda Fas ve Batı Sahrâ, güneydoğuda Nijer, güneybatıda Mali ve Moritanya ile çevrili olan Cezayir'in yüzölçümü 2.381.741 km², nüfusu 21,9 milyondur (1985; 1990 tah. 28 milyon). Resmî adı el-Cumhûriyyetü'l-



483

الصورة رقم 03: مادة الجزائر في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية).²

¹ الرسالة رقم STS/2171-1291 بتاريخ 1991/07/08م، الملف السابق.

² İslam Ansiklopedisi, op, cit, vol. 07, p.483.

CEZÂİRÎ

(الجزائري)

Muhammed b. Abdilkâdir b. Muhyiddîn
el-Hasenî el-Cezâirî
(1840-1913)

Cezayirli âlim.

Cezayir'in Maasker şehri yakınlarındaki Kaytane'de doğdu. Emir Abdülkâdir el-Cezâirî'nin büyük oğludur. Babasının Fransız işgal güçlerine karşı başlattığı direniş hareketi sebebiyle çocuk-

الصورة رقم 04: خاصة بمادة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري" في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) من تأليف الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني.¹



الصورة رقم 05: محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية).¹

¹ İslam Ansiklopedisi, op, cit, vol. 07, p.482.

لقد عرضنا سابقاً المراسلات التي أُجريت بين إدارة الموسوعة الإسلامية وبين الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني، وكيف تمّ الاتفاق على تحرير مادة "الجزائر" ومادة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري". ولأن سنسعى إلى عرض الخطة التي اتبعتها الأستاذ الدكتور ليحرّر مادة "الجزائر"، وكيف تمّ التدقيق فيها وإنجازها للطبع.

الملفت للنظر أنّ الهيئة العلمية للموسوعة قد تكبّدت عناء اقتراح خطة لتحرير كلّ نوع من المواد الموسوعيّة، سواء تاريخ، أو سيرة أو مصطلحات، وزوّدت الباحثين بها لتعينهم على تأليف المادة، حيث أرفقت خطة تحرير مادة "الجزائر" مع الرسالة الأولى المؤرّخة بـ20 أوت 1990م، تحت رقم STS/2171-1256 (ينظر الملحق رقم 03)، كي يلتزم بها الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني، ويُرَكِّز اهتمامه حول النّقاط المدرّجة فيها فقط. احتوت هذه الخطة على 05 أقسام: اختصّ القسم الأوّل بالفقرة التّقديميّة التي ضمّت الموقع، المساحة، مجموع عدد السّكان، العاصمة، النّظام الإداري، المدن الرّئيسيّة وعدد سكّانها. أمّا القسم الثّاني فركّز على الجغرافيا الطّبيعيّة والبشريّة كتضاريس سطح الأرض، المناخ والحياة النّباتيّة، الأنهار والبحيرات، السّكان، اللّغة، الدّين والحياة الدّينيّة، الاقتصاد ومنه البنية الاقتصاديّة العامّة، موارد الدّخل، الموارد الطّبيعيّة، الزّراعة وتربية المواشي، المعادن، الصّناعة، التّجارة، المواصلات ووسائل الاتّصال والسّياحة، فيما اختصّ القسم الثّالث بتاريخ البلاد قبل الإسلام وفي العهد الإسلاميّ حتّى عهد العثمانيين والفترة الأخيرة. أمّا القسم الرّابع فقد اهتمّ بالحضارة والثّقافة ومنها الأدب والفنّ كالعمارة والموسيقى والرّسم والفنون اليدويّة وغيرها، إضافة إلى التّعليم والتّربية، والعلم والحياة العلميّة في الجامعات والمعاهد والمكتبات والأرشفات والمتاحف ومراكز الأبحاث، ورجال العلم البارزين، دون نسيان التّيارات الفكرية، وخصّص القسم الأخير لعرض المصادر والمراجع.²

الظاهر هنا أنّ الهيئة العلميّة للموسوعة قد اجتهدت بغية توحيد الخطة الخاصّة بموادّ البلدان، حيث قامت بتحديد العناصر التي يتوجّب على الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني تأليفها، لأنّ بعض العناصر الأخرى أوكلت إلى أساتذة آخرين من تركيا متخصصين في التّاريخ. وقد تمّ إعلامه في الخطة بأنّ القسم الثّاني الخاصّ بالجغرافيا الطّبيعيّة والبشريّة قد تمّ تأليفه، وينقصه فقط عنصر الدّين والحياة الدّينيّة. وعلى هذا الأساس توجّب على الأستاذ الدكتور ناصر الدين

¹ İslam Ansiklopedisi, op, cit, vol. 07, p.483

² وثيقة خطة تحرير مادة الجزائر، ملفّ الجزائر، مرفق الرسالة الأولى التي أرسلت إلى الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني من قبل إدارة الموسوعة بتاريخ 1990/08/20م، مركز البحوث الإسلاميّة، إسطنبول، تركيا.

سعيدوني كتابة القسم الأول كفقرة تقديمية، والقسم الثالث الخاص بتاريخ البلاد دون عنصر العهد العثماني، والقسم الرابع المتمثل في الحضارة والثقافة ثم القسم الخامس المتعلق بذكر المصادر والمراجع.¹ وعلى هذا الأساس ألف الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني بخطّ يده مادة الجزائر في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، والتي تضمنت العناصر التالية:

(أ) تقديم يبدأ من "تقع الجزائر بشمال إفريقيا... إلى غاية باستقلالية يضمنها الدستور"، يتكوّن من صفحتين.

(ب) الدين والحياة الدينية، يبدأ من "قدّس سكّان الجزائر القدماء... إلى غاية مستقبلاً"، تتكوّن من 04 صفحات ونصف.

ج) التاريخ:

(1) ما قبل التاريخ والتاريخ القديم، يبدأ من "تعتبر الجزائر من المواطنين الأولى... إلى غاية القرن السادس الميلادي"، يتكوّن من صفحتين ونصف.

(2) العهد الإسلامي والعهد العثماني، يبدأ من "واجه الفاتحون العرب... إلى غاية حكموا الجزائر إلى 1830م"، يتكوّن من 07 صفحات.

(3) الفترة المعاصرة، الجزائر من الاستعمار الفرنسي إلى الاستقلال الوطني، يبدأ من "شاع الوفاق الأوروبي... إلى غاية الأوساط"، يتكوّن من 05 صفحات ونصف.

د) الحضارة والثقافة:

(1) الأدب، يبدأ من "عرفت الجزائر... إلى غاية الأقاليم العثمانية"، يتكون من صفحتين ونصف.

(2) * الموسيقى، يبدأ من "تبرز الأغاني الشعبية... إلى غاية الموشحات العصرية"، يتكوّن من نصف صفحة.

* الرسم، يبدأ من "تشكّل الرسوم الصخرية... إلى غاية مستوى فنّي راقٍ"، يتكوّن من نصف صفحة

* الفنون اليدوية، تبدأ من "عبّرت على مستوى... إلى غاية وسيوف وخناجر التّوارقي"، يتكوّن من نصف صفحة.

¹ وثيقة خطة تحرير مادة الجزائر، المرجع السابق.

(3 و 4) التعليم والتربية والعلم والحياة العلمية، يبدأ من "كان التعليم... إلى غاية آثاراً إسلامية هامة"، يتكون من صفتين ونصف.

(5) التيارات الفكرية في الجزائر، يبدأ من "ارتبطت أساساً... إلى غاية الذاتية"، يتكون من صفتين.

(هـ) المصادر والمراجع المعتمدة في تحضير مادة الجزائر بحسب كل قسم، حيث عرضت مراجع التقديم لوحدها، ومراجع التاريخ وحدها، وهكذا دواليك. وتكونت من 05 صفحات.

وبهذا يكون مجموع صفحات مادة الجزائر التي ألفها الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني باللغة العربية 32 صفحة، مكتوبة بخط اليد وبقلم الحبر.¹

وبخصوص **مراجعة وتدقيق** مادة "الجزائر" التي ألفها الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني من قبل الهيئة العلمية للموسوعة، وجدنا أنها أدت دوراً رائداً في ذلك، حيث تنبّهنا إلى ملاحظات مكتوبة باليد على الوثائق التي خطها الأستاذ، وعلامات استفهام عند المصطلحات غير المفهومة، وتسطير ودوائر على بعض الكلمات والجمل، وحذف لبعض الحروف، وهذا دليل على مراجعة المادة والتدقيق في كل ما ورد فيها، خاصة إذا علمنا أن الهيئة العلمية المشرفة على الموسوعة تكونت من 20 هيئة، ضمت هيئة التفسير، الحديث، الفقه، الكلام، تاريخ المذاهب، التصوف، تاريخ الإسلام وحضارته، تاريخ الأديان، الفلسفة الإسلامية والأخلاق، الفنون الإسلامية (المعماري، الموسيقي، الخط) اللغة العربية وآدابها، اللغة الفارسية وآدابها، تاريخ العلوم، المستشرقون والموضوعات المتفرقة)، وكل هيئة تدقق وتراجع المادة التي تدخل ضمن اختصاصها. من هذا المنطلق قامت الهيئة العلمية الخاصة بقسم التاريخ الإسلامي بفحص ومراجعة وتدقيق مادة "الجزائر" في جميع مراحلها، اعتباراً من مرحلة الاستلام إلى غاية مرحلة التتقيق العلمي، حيث أحييت مادة "الجزائر" بدايةً إلى رئاسة الهيئة العلمية المختصة التي قامت بعدّ كلماتها، بيد أنها كانت قد حدّدت من قبل العدّ التقريبي للكلمات بـ4.000 كلمة، ثم قامت بعد ذلك بفحص المادة وتقييمها، وحينها قرّرت قبولها مع اختصار بعض العناصر، كما قامت بحذف القسم الأول الخاص بالموقع والمساحة ومجموع السكّان، والعاصمة، والنظام الإداري، والمدن الرئيسية وعدد سكّانها، تفادياً لتكرار المعلومات التي وردت في القسم الثاني الخاص بالجغرافيا الطبيعية والبشرية من تأليف الأستاذ الدكتور التركي سيري أرنج (Sirri Erinç) (1918-

¹ مادة الجزائر باللغة العربية للمؤلف الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني، ملف سابق.

2002م)، وهو مختص في علم الجغرافيا، ألف 18 مادة جغرافية للموسوعة الإسلامية، منها جغرافية أمريكا، بنغازي، إندونيسيا، الهند، المغرب، الكويت، الغابون، غينيا بيساو، غامبيا، إيران، الجزائر وغيرها.¹

والملفت للنظر هنا أنّ الهيئة العلمية للموسوعة قد اعتمدت على باحثين متخصصين في مجالات معينة، ولم تترك تأليف المادة لباحث واحد شامل المعلومات، حتى وإن تعلق الأمر بجغرافية بلد ما. إضافة إلى ما ذكر سابقاً، قامت الهيئة العلمية للموسوعة بتغيير ترتيب عنصر "الدين والحياة الدينية الإسلامية" الذي ألفه الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني، وجعلته في قسم "الحضارة والثقافة". كما وأحالت عنصر "تاريخ الجزائر في العهد العثماني" إلى الأستاذ الدكتور التركي كمال قهرمان Kemal Kahraman (1958م)، الذي ألف 19 مادة موسوعية، ضمت تاريخ بعض البلدان مثل الجزائر، إضافة إلى مؤلفات حول شخصيات بارزة من علماء ورؤساء البلدان وبعض المستشرقين. ورغبةً منّا في معرفة المزيد عن الأستاذ الدكتور كمال قهرمان، تواصلنا معه وأخبرنا أنّ اهتماماته العلمية تدور حول التاريخ العثماني، وأنه يملك خلفية ثقافية جيدة حول الموضوع، الأمر الذي حوّل له التأليف عنه، فهو حاصل على ماجستير ودكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة البوسفور بإسطنبول، ويستعين في مؤلفاته بكتب التاريخ العثماني المؤلفة من قبل الباحثين الأتراك الذين يعتمدون على الأرشيف والوثائق العثمانية التي تنطق بحقائق الوقائع، وكذلك مؤلفات الباحثين الأجانب في التاريخ العثماني.²

من جانب آخر، تمت إحالة عنصر "الفترة الاستعمارية" إلى أستاذ مختص في العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية، وهو الأستاذ الدكتور التركي دورسن دافوت Davut Dursun (1954م)، متحصّل على شهادة الماجستير في العلوم السياسية ودكتوراه في العلوم الاجتماعية، وهو أستاذ العلوم السياسية والاجتماعية بجامعة سكاريا، ألف 54 مادة في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) عن بلدان إفريقيا وآسيا وأستراليا، والعديد من المقالات في السياسة والعلاقات الدولية في العالم الإسلامي.³ والراجح أنّ الهيئة العلمية قد استعانت بالكفاءة العلمية والثقافية للأستاذ دورسن

¹ سيرة مؤلفي مادة "الجزائر" في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، من قبل الأستاذ الدكتور أحمد أوزل، غير منشورة.

² تصريح المؤرخ التركي الأستاذ الدكتور كمال قهرمان، مدير قصر دولمه باغجه سراي، إسطنبول، تركيا، في حوار هاتفي معه بتاريخ 20 مارس 2019م، على 11 سا و24د.

³ تصريح الأستاذ الدكتور أحمد أوزل، نائب رئيس مركز البحوث الإسلامية، وعضو الهيئة العلمية للموسوعة الإسلامية، في حوار هاتفي معه بتاريخ 29 أوت 2018م، على 08 سا و59د.

دافوت لهدف معين، وهو قدرته العلمية على توظيف المعلومات التاريخية في المجال السياسي والاجتماعي بغية تحقيق تأليف مشكّل من مختلف المعارف. كما أحالت الهيئة العلمية عنصر "الوضع في الجزائر بعد الاستقلال" إلى الأستاذ الدكتور جورج موتان Georges Mutin (1934م)، متخصص في جغرافية وسياسة العالم العربي، اشتغل بجامعة الجزائر من سنة 1968م إلى غاية سنة 1978م.¹

استعانت إذاً الهيئة العلمية للموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) بغية تأليف مادة "الجزائر" بـ05 باحثين متخصصين في مجالات متعدّدة ومتنوّعة، في تكامل معرفي لا نظير له في الموسوعة الإسلامية (الاستشرافية)، حيث ألف الأستاذ الدكتور التركي الجغرافي سيربي أرنج "الفترة التقديمية"، و"الجغرافيا الطبيعية والبشرية" من الصفحة 483 إلى الصفحة 485، يليه الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني، المتخصص في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب العربي، والذي ألف "تاريخ الجزائر"، خاصة "ما قبل الإسلام" و"العهد الإسلامي حتى عهد العثمانيين" من الصفحة 485 إلى الصفحة 486، ثم يأتي دور الأستاذ كمال قهرمان المتخصص في التاريخ العثماني الحديث، والذي ألف عنصر "تاريخ الجزائر في العهد العثماني" من الصفحة 486 إلى الصفحة 489، يليه الأستاذ الدكتور التركي دوس دافوت، المتخصص في العلوم السياسية والاجتماعية والعلاقات السياسية في العالم الإسلامي، مؤلف "الفترة الاستعمارية الفرنسية" من الصفحة 489 إلى الصفحة 494، ثم ألف مرة ثانية الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني، قسم "الحضارة والثقافة الجزائرية" بجميع عناصرها من الصفحة 494 إلى الصفحة 497، وبعده ألف مرة ثانية الأستاذ الدكتور دوس دافوت، المتخصص في العلوم السياسية والاجتماعية، عنصراً خاصاً بتأسيس "مدينة الجزائر الكبرى" (العاصمة) حتى العصر الحالي من الصفحة 497 إلى الصفحة 499، وأخيراً ألف الأستاذ الدكتور جورج موتان المتخصص في جغرافية العالم العربي، "الوضع في الجزائر بعد الاستقلال" من الصفحة 499 إلى الصفحة 500. وبهذا يكون عدد صفحات مادة الجزائر في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) 18 صفحة. (ينظر الملحق رقم 04 (أ) و(ب)).

وبخصوص الأقسام والعناصر التي ألفها الأستاذ الدكتور سعيدوني فقد اعتمدت من قبل الهيئة العلمية للموسوعة، وتمت إحالتها للترجمة إلى اللغة التركية من قبل الأستاذ الدكتور سالم أوكوت Salim Ögüt (1956-2012م)، أستاذ بكلية الإلهيات بإسطنبول، وحاصل على دكتوراه في الفقه من جامعة أم القرى بمكة. قام بترجمة مادة "الجزائر" من اللغة العربية إلى اللغة التركية

¹ Georges Mutin, <http://www.bibliomonde.com/auteur/georges-mutin->, le 02/09/2018 à 19h 33mn.

بتاريخ 22 أوت 1991م،¹ أي عاماً بعد أول رسالة طلب من أجل تحرير المادّة بتاريخ 20 أوت 1990م. بعدها تمّ التنقيح الشكلي من حيث اللّغة، ثمّ التّدقيق في الصياغة والإملاء، والرّقابة الشكلية (أرقام الآيات القرآنية، مصادر الحديث النبويّ، التواريخ الهجرية والميلادية... وغيرها)، ثمّ الإمعان في اللّغة والأسلوب والصياغة والترتيب المنطقيّ بين الكلمات والجمل، وهكذا أخذت مادّة "الجزائر" شكلها النهائيّ وأُرسلت بعد ذلك إلى مديرية النّشر التي قامت بتنظيم الموادّ وتصحيحها وإثرائها بالصّور والخرائط، وتثبيت أشكال وحجم الحروف التي تُستخدم أثناء الطّبع والمراجع والمصادر، وأعدّت أخيراً للطّبع، دون نسيان طبعاً مديرية المحاسبة التي قامت بإجراء الأعمال الحسابية والمالية الخاصّة بمجهودات المؤلّف.²

بعد كلّ هذه المراحل التّدقيقية من قبل الهيئة العلميّة للموسوعة الإسلاميّة، وردت أقسام مادّة "الجزائر" التي ألّفها الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني بشكلها النهائيّ في الموسوعة الإسلاميّة (باللّغة التّركية) كالتّالي: قسم تاريخ الجزائر الذي يحوي عنصر ما قبل الإسلام، وعنصر العهد الإسلاميّ حتّى العهد العثمانيّ. ثمّ قسم الحضارة والثّقافة الذي يحوي 06 عناصر: عنصر الحياة الدّينية، المذاهب، التّصوّف، يليه عنصر الأدب، وبعده عنصر العمارة، ثمّ عنصر الموسيقى فعنصر الرّسم والفنون اليدويّة، وأخيراً عنصر التّربية والحياة العلميّة، الكلّ في 06 صفحات: من ص. 485 إلى ص. 486، ثمّ من ص. 494 إلى ص. 497.³ أمّا الأقسام الأخرى التي ألّفها الباحثون الآخرون فقد عرضناها سابقاً مع أرقام صفحاتها.

وعلاوةً على ما ذكرناه سابقاً، أخبرنا الأستاذ الدكتور أحمد أوزل أنّ الهيئة العلميّة للموسوعة الإسلاميّة عند استلامها للمادّة، وضعت ورقة من أمامها وورقة من خلفها تخصّ تقييم ومتابعة المادّة، منذ إرسالها إلى رئيس الهيئة العلميّة للموسوعة وإلى غاية طبعها، حيث عُرضت مادّة "الجزائر" على 17 طاولة علميّة للمراجعة والتّقييم.⁴ مثلما ذكرنا سابقاً بخصوص جداول التّقييم والمتابعة (ينظر الملحق رقم 02 (أ) و(ب))، تحوي الورقة الأولى ثلاثة جداول: نجد في الجدول الأوّل: الكود، اسم الكاتب، فرع المعرفة، حجم المخطّط، الفحص الأوّل، التّقييم وفيها يتمّ وضع إشارة إذا كانت المادّة جيّدة ويُسمح بإضافتها إلى الموسوعة، أو تُرفض ولا تُضاف، أو تحتاج إلى

¹ تصريح الأستاذ الدكتور أحمد أوزل، مرجع سابق.

² دليل وقف الديانة التّركي، الموسوعة الإسلاميّة، مرجع سابق، ص-ص. 04-05.

³ Islam Ansiklopedisi, op, cit, vol. 7, p.p.483-500.

⁴ التّسجيل الصّوتي، مرجع سابق، 04 و04ثا.

مراجعة إضافية. بينما يحوي الجدول الثاني: عنوان المؤلف، الإيميل، حجم الوارد، الوصف، فريق العلوم، أما الجدول الثالث، فنجد فيه رسوم حقوق الطبع والنشر، الدّفع للمؤلف، ومجلس المراجعة، إضافةً إلى الورقة الثانية الخاصة بالمتابعة، والتي تضم أربعة جداول: يختصّ الجدول الأول بتدقيق مجلس العلوم، وفيه التدقيق الأول والتدقيق النهائي، أما الجدول الثاني فيخصّ مجلس المراجعة، وفيه مراجعة أولى ومراجعة ثانية، فالمراجعة العلمية النهائية. في حين نجد أنّ الجدول الثالث خاصّ بتقنية التحرير، وفيه معلومات حول البيبليوغرافيا، الإملاء، والقراءة الأخيرة، أما الجدول الرابع فهو خاصّ بالتحكيم القابل للتّعديل، تحكيم لجنة العلوم، وتحكيم مجلس المراجعة، الحجم النهائي والوصف.¹

من هنا يُمكننا القول أنّ الهيئة العلميّة للموسوعة الإسلاميّة قد بذلت جهداً جباراً منذ استلام المادّة وإلى غاية تهيئتها للطّبع، حيث مارست المراجعة والتدقيق والمعالجة من ناحية الشّكل والمضمون، وأعانها في ذلك تسخيرها لعدد من المؤلّفين المتخصّصين في كلّ مجال بحث لتضمن الدقّة والموضوعيّة والمعرفة التّخصّصيّة.

وإذا توجّهنا صوب المصادر والمراجع التي استند إليها الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني في تأليف أقسام مادّة "الجزائر" للموسوعة الإسلاميّة التركيّة فإننا سنلمح تعدّدها وتنوّعها من عربيّة وفرنسيّة وتركيّة، الأمر الذي يوعز إلى سعة اطلاعه عليها وعمق ثقافته، ويكشف الجهد المضني الذي بذله بغية تحصيل المعلومات المطلوبة لبناء المادّة التاريخيّة حول الجزائر بدقّة متناهية، حيث اعتمد على المصادر التاريخيّة المعروفة مثل المقدّمة لابن خلدون، وذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم البستاني، ونزهة الأنظار في فضل علم التّاريخ والأخبار للورثاني وغيرها، إضافةً إلى مراجع تاريخيّة مهمّة مثل تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي، وتاريخ الجزائر الثّقافي لأبي القاسم سعد الله، كما استعان أيضاً بمؤلّفات حول التّاريخ العثمانيّ مثل النّظام الماليّ للجزائر أواخر العهد العثمانيّ، ودراسات وأبحاث، والجزائر في التّاريخ: العهد العثمانيّ بالشّراكة مع الأستاذ الدكتور المهدي البوعبدلي. ولقد عُني بذكر مصادره ومراجعته في القسم الأخير من مادّة الجزائر التي ألفها باللّغة العربيّة، بالشّكل المعهود، لكنّ سياسة الموسوعة فرضت شكلاً معيّنًا من الإحالات، وهو ذكر المؤلّف حسب الشّهرة أو باللّقب، فلا يُذكر اسم الوالد والجدّ، ويُختصر عنوان الكتاب، ويُذكر اسم المحقّق، ولا تُذكر دور النّشر، وهذا دفعاً

¹ وثائق التّقييم والمتابعة، مركز البحوث الإسلاميّة، إسطنبول، تركيا، 2017م.

للإطالة. وسُنحاول في هذا المقام عرض بيبليوغرافيا مادّة "الجزائر" كما وردت في الموسوعة الإسلامية مع ترجمتها إلى العربيّة، وقد استكملنا المعلومات الناقصة وعرضنا الاسم بالكامل ودار النّشر، ووضعناها بين قوسين أمام كلّ مصدر ومرجع بالعربيّة والفرنسيّة والتركيّة. ستكون البداية مع مصادر ومراجع قسم تاريخ الجزائر الذي ألفه الأستاذ نصر الدّين سعيدوني في الموسوعة، حيث وردت في الموسوعة كالتّالي:

- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، القاهرة، 1961م. (عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصريّ، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة بولاق، القاهرة، 1961م).
- أبو عبيد البكريّ، المغرب في أخبار بلاد إفريقيا والمغرب، المسالك والممالك، باريس 1965م. (جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكريّ). -الإدريسيّ، وصف إفريقيا الشماليّة والصحراويّة، الجزائر، 1957م (الإدريسيّ أبو عبد الله محمّد الشّريف عن دار الكتب بالجزائر).
- عبد الواحد المرّاكشيّ، المعجب في تلخيص أخبار دول المغرب، القاهرة، 1963م. (المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة شركة الإعلانات، القاهرة). -ابن حمّاد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، الجزائر، 1927م. (أبو عبد الله محمّد بن علي بن حمّاد، نشر فوندار هايدن، الجزائر).
- العبدريّ، الرّحلة المغربيّة، قسنطينة، 1964م (أو رحلة العبدريّ البلنسيّ، مطبعة البعث).
- ابن عذاريّ، البيان المغرب، بيروت، 1947م. (أبو العباس احمد بن محمّد بن عذاريّ المرّاكشيّ، صاحب كتاب البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، مطبعة المناهل).
- ابن خلدون، العبر، بيروت، 1957م (ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، دار الكتاب اللّبنانيّ). -ابن قنفذ، الفارسيّة في مبادئ الدّولة الحفصيّة، تونس، 1968م. (أبو العباس أحمد بن الخطيب بن القنفذ القسنطينيّ، الدّار التّونسيّة للنّشر).
- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تونس، 1967م. (العلامة أبو عبد الله الشّين محمّد بن أبي القاسم الرّعبيّ القيروانيّ المعروف باسم ابن أبي دينار. طبع المكتبة العتيقة بتونس). -أحمد توفيق المدنيّ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الجزائر، 1968م. (الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع). -جلال يحي، المغرب الكبير، بيروت، 1981م. (دار النّهضة العربيّة). -ناصر الدّين سعيدوني، دراسات وأبحاث، الجزائر، 1984م. (طبع المؤسسة الوطنيّة للكتاب). -المهديّ البوعبدليّ، الجزائر في التّاريخ: العهد العثمانيّ، الجزائر، 1984م. (الشّيخ المهديّ بن بوعبد الله عبد القادر بن محمّد الجيلاني بن الموهوب المعروف باسم البوعبدليّ، والكتاب من تأليف الأستاذ الدكتور ناصر الدّين سعيدوني، ولا نعلم

لماذا لم يُضف اسمه أيضاً؟ طبع المؤسسة الوطنية للكتاب). -ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، الجزائر، 1985م. (المؤسسة الوطنية للكتاب). -نيقولا زياد، عالم العرب، جغرافيته، تاريخه ومصادر ثروته، بيروت، 1984م. (طبع الأهلية للنشر والتوزيع).
-عبد الرحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، بيروت، 1986م (طبع دار الثقافة).
أما المصادر والمراجع باللغة الفرنسية فوردت كالاتي:

-George Marçais, les arabes en berbèrie, Paris 1913. (Édition Leroux) -Ch. A. Julien, Histoire de l'Afrique du nord, Paris, 1931. (Charles-André Julien, édition Payot). -L. Leschi, L'Algérie antique, Paris, 1952. (Louis Leschi, édition Paris arts et métiers graphiques). -L. Balout, La préhistoire de l'Afrique du nord, Paris, 1958. (Lionel Balout, édition Paris arts et métiers graphiques). -L. Golvin, Le Maghreb à l'époque des Zirides, Paris, 1962. (Lucien Golvin, édition Paris arts et métiers graphiques). -H. R. Idris, La berbèrie orientale sous les zirides, Paris, 1962. (Hady Roger Idris, édition Librairie d'Amérique et d'orient). -P. Boyer, La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Paris, 1963. (Pascal Boyer, édition Hachette). -J. C. Vatin, L'Algérie : politique, historique et société, Paris, 1974. (Jean Claude Vatin, édition Presse de la fondation nationale des sciences politiques). -A. Drina, Les états de l'occident musulman aux 13, 14 et 15 siècles, Alger, 1984. -G. Yver, Cezayir, I A. III, 133-135. (Georges Yver, Islam Ansiklopedisi, cilt III, MebYay, Istanbul, 1970).

وبخصوص مصادر ومراجع قسم الحضارة والثقافة، فكانت هي الأخرى مختصرةً بحسب شروط التأليف الموسوعي وإضافاتنا موجودة بين قوسين، ووردت في الموسوعة الإسلامية كالتالي:
-منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، المجوهرات والحلي، الفن، العمارة والمتاحف، الجزائر، 1970-1977م. -ابن قنفذ، الوفيات، بيروت، 1971م (أبو العباس أحمد بن الخطيب بن القنفذ القسنطيني. تحقيق عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة والنشر). -ابن زكري، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، الجزائر، 1953م. (ابن زكري محمد السعيد بن أحمد الجنادي الزواوي، مطبعة فونطانا). -ابن مريم البستاني، ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، 1908م. (أبو عبد الله محمد) -بن محمد أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي نسباً، مطبعة الثعالبية). -الورثاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الجزائر، 1908م. (سيدي الحسين بن محمد الشريف الورثاني والكتاب مشهور بالرحلة الورثانية، مطبعة بيير فونطانا الشرقية). -الغبريني، عنوان الدرية، محمد بن شنب، الجزائر، 1910م. (الشيخ أبو العباس الغبريني الجزائري والكتاب بعنوان الدرية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. وقد نُشر الكتاب بعناية محمد بن شنب عام 1910م، المطبعة الثعالبية بالجزائر).
-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، 1981م. (أبو القاسم سعد الله، طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع). -محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، بيروت، 1984م (مطبعة دار

الفكر بلبنان). - عبد العليم عبد الرحمن خضر، الإسلام والمسلمون في إفريقيا الشماليّة، 1986م. (طبع عالم المعرفة للنشر والتوزيع).

أمّا المصادر والمراجع باللّغة الفرنسيّة الخاصّة بقسم الحضارة والثّقافة فكانت كالتّالي، مع الإضافات بين قوسين:

-A. Berbrugger, L'Algérie historique, politique et monumentale, Paris, 1843. (Adrien Berbrugger, édition Delahaye). -Daumas, La vie arabe et la société musulmane, Paris, 1869. (Eugène Daumas, édition Michel Lévy, Frères). -Gonzalez, Essai chronologique sur les musulmans célèbres de la ville d'Alger, Alger, 1886. (Joachim Gonzalez, édition Victor Pèze). -O. Dupont Copplani, les confréries religieuses musulmanes, Alger, 1897. (Octave Depont et Xavier Coppolani, édition Typographie et lithographie Adolphe Jourdan). -P. Audel, l'orfèvrerie algérienne et tunisienne, Alger, 1902. (Paul Eudel, édition Typographie et lithographie Adolphe Jourdan). -M. Ricard Bel, Le travail de la laine à Tlemcen, Alger, 1913(Alfred Bel, Prosper Ricard, édition Typographie et lithographie Adolphe Jourdan).

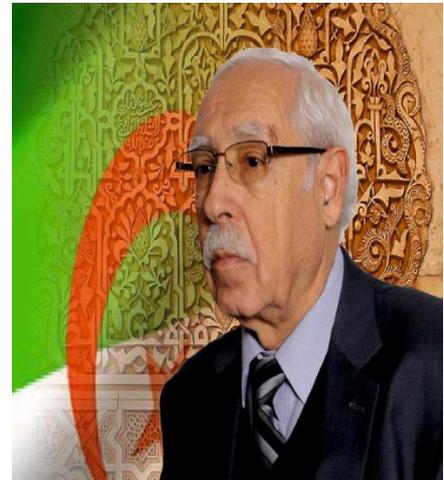
-L. Milliot, L'œuvre législative de la France en Algérie, Paris, 1930. (Louis Milliot, édition Alcan). -A. Berque, Art antique et art musulman en Algérie, Alger 1930. (Augustin Berque, édition publication du comité national métropolitain du centenaire de l'Algérie). -G. Esquer, Costume algérois, Alger, 1931. (Gabriel Esquer, revue africaine volume 72 édition A. Jourdan). -A. Bel, La religion musulmane en Bérabérie, Paris, 1938. (Alfred Bel, édition P, Geuthner). L. Golvin, Les arts populaires en Algérie, Alger, 1951. (Lucien Golvin, édition Typographie et lithographie Adolphe Jourdan). -G.H. Bousquet, L'islam maghrébin, Alger, 1955. (Georges-Henri Bousquet, édition La maison des livres). -J. Déjeux, La poésie algérienne de 1830 à nos jours, Paris, 1963. (Jean Déjeux, édition La Haye Mouton). -A. Merad, Le réformisme musulman en Algérie, Paris, 1967. (Ali Merad, édition La Haye Mouton). -Y. Turin, Affrontements culturels dans L'Algérie coloniale, Paris, 1971. (Yvonne Turin, édition François Maspero).

-R. Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, Alger, 1974. (Rachid Bourouiba, édition S.N.E.D Brenner). - M.B. Salhi, La Rahmania, Paris, 1979. (Mohammed Brahim Salhi, édition La Haye Mouton). -A. Berque, L'Algérie, terre d'art et d'histoire, Paris 1880, (Augustin Berque, édition Challamel Ainé).

استعان الأستاذ الدكتور ناصر الدّين سعيدوني في القسم الأوّل الخاصّ بـ "تاريخ الجزائر" بـ 10 كتب باللّغة العربيّة و 09 كتب باللّغة الفرنسيّة، إضافةً إلى الموسوعة التّركيّة التي ترجمت الموسوعة الإسلاميّة (الاستشراقية). أمّا القسم الثّاني الخاصّ بـ "الحضارة والثّقافة" فقد استعان فيه بـ 09 كتب باللّغة العربيّة، و 18 كتاباً باللّغة الفرنسيّة. الملاحظ هنا أنّ الأستاذ الدكتور ناصر الدّين قد نهل من المصادر أكثر من المراجع، وبما أنّه كان يملك خلفيّة ثقافيّة فرنكوفونيّة على إثر حصوله على دكتوراه دولة ثانية في التّاريخ الحديث من كليّة الآداب بجامعة إيكس آن بروفانس بفرنسا عام 1988م، فقد أثّرت فيه تلك الخلفيّة وجعلته يستند إلى المصادر والمراجع التّاريخيّة باللّغة الفرنسيّة أكثر من العربيّة، حيث استعان بـ 27 كتاباً أجنبيّاً مقابل 19 كتاباً باللّغة العربيّة. وإلى جانب هذا لاحظنا عدم استعانة الأستاذ الدكتور ناصر الدّين سعيدوني في تلك الفترة، أي عام 1990م-1991م، بالوثائق العثمانيّة ولا على الأرشيف العثمانيّ في استحضار المعلومات

الخاصة بمادة "الجزائر"، مع الإشارة إلى أنه لا يُتقن اللغة العثمانية ولا اللغة التركية، والرّاجح أنه السبب الذي أعاقه في الاستناد إلى الوثائق العثمانية، إلى حين توظيفها لاحقاً في مؤلفاته عبر مساعدة المترجمين المختصين.

ختاماً، يُمكننا القول أنّ التأليف الموسوعي للدكتور ناصر الدين سعيدوني قد ساهم في تخليد اسمه في عمل علمي ضخم مشهود له بالموضوعية العلمية داخل وخارج تركيا، إذ أنّ طلاب الجامعات التركية لا يُمكنهم مناقشة أيّ عمل بحثي دون الاستعانة بالموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، لما لهذه الأخيرة من مصداقية في الوسط العلمي الجامعي، وحتى خارجه، وإضافةً إلى تخليد اسم المؤلف فقد خلّد هذا العمل تاريخ الجزائر. وقد تمّ اختيار الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني ليمثّل النخبة الجزائرية ذات الكفاءة العلمية في مجال التاريخ نظراً لإنتاجه العلمي ولسعة ثقافته، حيث اصطفته الهيئة العلمية للموسوعة والمتكوّنة من 210 أساتذة، من مختلف جامعات تركيا، وخصّصت له ولكلّ المؤلفين دليلاً منهجياً، ووفّرت له مصادر ومراجع في ملفّ يحمل كلّ المعلومات المتعلقة بالجزائر، وقامت بمتابعة مادة "الجزائر"، منذ وصولها وإلى غاية طبعتها، حيث مرّت بمراحل عديدة، منها الفحص والتدقيق والتقييم والترجمة إلى اللغة التركية، والتتقح الشكليّ ومراجعة الصياغة والرقابة الشكلية والإمعان في اللغة والأسلوب والترتيب المنطقيّ للمواد والإثراء بالصّور ثمّ الطّبع في شكلها النهائيّ، وهذا خير دليل على أنّ هيئة الموسوعة تتابع كلّ الموادّ بدقة متناهية لتُساهم في تقديم عمل علميّ متقن ودقيق، مع الاستعانة بالباحثين المتخصّصين في كلّ المجالات، التاريخيّة منها والسياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة والجغرافيّة وغيرها، في عمل تتكامل فيه العلوم.



الصورة رقم 06: المؤرّخ الجزائريّ الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني.¹

¹ صورة للمؤرّخ ناصر الدين سعيدوني مأخوذة من مؤلّف، رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، مرجع سابق، الواجهة.

خلاصة الفصل:

تسعى المعاجم والقواميس والموسوعات ودوائر المعارف إلى تقديم المعرفة، وكأنموذج للموسوعات اخترنا عرض بواكير تأليف موسوعتين هما: الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي")، فجاءت الأولى غنيّة بالمعلومات حول التراث الإسلاميّ إلاّ أنّها لم تخلُ من الأخطاء، سواء عن قصد أو بدونه، الأمر الذي أثر على مصداقية معلوماتها. أمّا الموسوعة الثانية فقد ساهمت في حفظ تراث الأمة الإسلامية من خلال تصحيح ما ورد من أخطاء في الموسوعة الأولى، وحظيت بمصداقية كبيرة في الوسط العلميّ الجامعيّ، وحتىّ خارجه. وعند مقارنتهما وجدنا اختلافات وتشابهات بينهما على عدّة مستويات، حيث تجلّت على مستوى الأهداف، وعلى مستوى نوع الموادّ وعددها، كذلك على مستوى التّأليف، وعلى مستوى اللّجان العلميّة والمؤلّفين، وأيضاً على مستوى متابعة ومراجعة وتدقيق المواد الموسوعيّة المؤلّفة. وفي آخر الفصل عرضنا أنموذجاً للتّأليف الموسوعيّ لمادّة "الجزائر" في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) من قبل المؤرّخ ناصر الدّين سعيدوني الذي ساهم في تخليد اسمه، وتخليد تاريخ الجزائر في عمل علميّ ضخم مشهود له بالموضوعيّة العلميّة داخل وخارج تركيا، حيث تمّ اختياره ليُمثّل النّخبة الجزائريّة ذات الكفاءة العلميّة في مجال التّاريخ، بينما تمّت معالجة المادّة الموسوعيّة "الجزائر" بدقّة وبموضوعيّة منذ وصولها، حيث مرّت بمراحل الفحص والتّدقيق والتّقييم والتّرجمة إلى اللّغة التركيّة، والتّنتيخ والمراجعة إلى غاية الطّبع في شكلها النّهائيّ، الأمر الذي يُحيلنا إلى القول بأنّ الموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة) أصيلة وليست امتداداً للموسوعة الإسلاميّة (الاستشراقية)، وتُمثّل زاداً معرفياً لا غنى عنه للباحثين.

الفصل الثاني

التقدير الخارجي للتخصص الخطابية التاريخية ضمن موجز وأثره
المعارف الإسلامية (الإستشرافية) والموسوعة الإسلامية
باللغة التركية - وقف الريانة (التركي) - نصّ مائة - الجزائر -
أتموها.

المبحث الأول: مقارنة نقد التصوص الخطابية لماؤة "الجزائرني موجز وائرة
المعارف الإسلامية (الإستشراقية) والموسوعة الإسلامية
باللغة التركية "وقف الريانة (التركي)", مع الضبط
المفاهيمي لمتغيرات الدراسة.

المبحث الثاني: مقارنة سياق الكفاية والالكفاية العلمية في موجز وائرة
المعارف الإسلامية (الإستشراقية) والموسوعة الإسلامية
باللغة التركية "وقف الريانة (التركي)".

المبحث الثالث: سياق ماؤة "الجزائر" كنص خطابي تاريخي ضمن موجز وائرة
المعارف الإسلامية (الإستشراقية) والموسوعة الإسلامية
باللغة التركية "وقف الريانة (التركي)".

تمهيد:

إنّ الإطار العامّ وظروف تأليف نصّ مادّة الجزائر في الموسوعتين، وكلّ ما له علاقة بالزّمان والمكان، والمؤثرات الخارجيّة لهو يعبر بشكلّ مباشر عن سياق تلك المادّة، ولا يمكننا بأيّ شكلّ فصل أيّ نصّ عن سياق إنتاجه. الأمر الذي يجعلنا نعتمد في إطار النّقد الخارجي لنصّ مادّة الجزائر على سياق النصّ المنتج، والذي يحيلنا إلى تحليل ومقارنة كلّ ما له علاقة به. فالأفكار تردّ مقترنة بزمن تشكّلها، لأنّ صاحب النصّ قد انطلق من معرفة تشكّلت عبر خلفيّةه الثقافيّة الشموليّة بما فيها الأحداث التاريخيّة التي عاصرها والتي شكّلت أفكاره. للسياق إذا أهميّة كبيرة في فهم جذور النصّ الخطابيّ؛ من خلفيّة وهويّة وظروف ذات علاقة بالنّسق الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسي والديني،¹ تساعد كلّها في تحليل وفهم النصّ الخطابيّ، على أساس أنّ نصّ مادّة "الجزائر" لا يتكوّن من وحدات لسانیّة فقط، بل تتداخل فيه عوامل خارجية تؤثر في كيفية بنائه، فالنصوص تُنتج في ظروف معيّنة لأداء أغراض معيّنة، لذا يجب أن يؤخذ السياق بعين الاعتبار، لأنّه مكوّن أساسيّ من مكونات النصّ يعمل على تطيره وضبطه وتوجيهه. ونحن في هذا المقام سنركّز على السياق الثقافيّ الذي يربط النصّ بمنظومة ثقافية تحدّد خصوصيّة². ففي ظلّ سياق معيّن ينتقل النصّ من نتاج مادّي إلى سيرورة اجتماعية (لغة مرحلة مجتمع معيّن بكلّ ثقافته) يساهم فيها كخطاب³ موجّهة نحو الآخر، ضمن ديناميّة مفتوحة تتداخل فيها الذات والآخر والسياق. تحيلنا تلك الممارسة الخطابية إلى طرح يمسّ الإطار العامّ الخاصّ بإنتاج النصّ؛ فما هو سياق الكفاية العلميّة في الموسوعتين؟ وما هو مصدر نصّ مادّة "الجزائر"؟ ومن ساهم في تأليفه؟ وماهي الخلفيات الثقافيّة لمؤلّفه؟ وما هي المسائل المشكّلة لموضوع المادّة؟ وما هي المصادر التي تمّ الاعتماد عليها في إنتاج نصّ المادّة؟

¹ بهاء الدّين محمّد مزید، تبسيط النّداوليّة، شمس للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 2010م، ص24.

² قارة مصطفى نور الدّين، النصّ الأدبيّ من النّسق المغلق إلى النّسق المفتوح، رسالة دكتوراه، كليّة الآداب واللّغات والفنون، جامعة وهران، 2010/2009م، ص-ص56-57.

³ جولي كريستيفا، علم النصّ، ط2، ترجمة فريد الزّاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997م، ص-ص9-10.

المبحث الأول: مقارنة نقد النصوص الخطابية لمادة "الجزائر" في موجز دائرة المعارف**الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف****الديانة التركي)، مع الضبط المفاهيمي لمتغيرات الدراسة:**

يستلزم منّا نقد النصوص الخطابية التاريخية في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، نصّ مادة "الجزائر" أنموذجاً، الاستعانة بمقاربة تاريخية متعدّدة النظريات في إطار التكامل التخصصي ووفق إسهام أربعة علوم: التاريخ، الأنثروبولوجيا، السوسولوجيا واللسانيات (تحليل الخطاب)، بغية إتاحة قراءات متعدّدة بمنظورات مختلفة تُسهم في إثراء الطرح.

ومن هذا المنطلق، وظّفنا المقاربة المبنية على التنظير الخلدوني للنقد التاريخي، على أساس أنّ مقدّمة بن خلدون هي مقدّمة نظرية ابستمولوجية منهجية بتعبير الجابري،¹ أين انتقل فيها بالكتابة التاريخية من مستوى سرد الأخبار إلى مستوى التحليل العلمي المبني على التحقيق والتحليل والتعليل والتفسير، فسماه "باطن التاريخ" قائلاً: "نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق".² كما وأكد على ضرورة التّمييز بين الحقّ والباطل ذاكر: "...الغلط والوهم نسيب للأخبار وخليق، ولأنّ الحكايات والروايات فطنة الكذب ومطيّة الهذر، ولأنّ الكذب متطرّق للخبر بطبيعته، وله أسباب تقتضيه،³ وهي التحيز والتشيع للأراء والمذاهب، حيث بين ذلك جلياً قائلاً: "فإنّ النفس، إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر، أعطته حقّه من التّمييز والنظر، حتّى تتبين صدقه من كذبه... وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة، قبلت ما يوافقها من الأخبار لأوّل وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها،"⁴ من هنا نستشفّ رفضه القاطع لذكر المعلومات التي تصادم العقل.

ولمنهجّة دراستنا ونقد النصوص التاريخية اعتمدنا على النقد التاريخي للفرنسيين شارل فكتور لانجوا Charles-Victor Langlois (1863-1929م) وشارل سنيوبوس Charles Seignobos (1854-1942م) في مؤلّفهما "المدخل إلى الدراسات التاريخية" 1898م، الذي تُرجم إلى اللّغة

¹ محمد عابد الجابري، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1986م، ص264.

² عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدّمة، الدار النّسبية للنشر، تونس، 1984م، ص351.

³ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدّمة بن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد الوفي، القاهرة، 1962م، ص04

⁴ جميل صليبيبا، تاريخ الفلسفة العربيّة، الشركة العالميّة للكتاب، 1989م، ص566

العربية من قبل الباحث عبد الرحمن بدوي في مؤلفه "النقد التاريخي" عام 1962م¹. وهو يتطلب عملية التحليل المبنية على وصف المعلومات وتفسيرها، تليها عملية النقد التي قوامها نقد المعلومات الواردة في النصوص الخطابية تمحيصاً ومساءلةً، بدءاً بالنقد الخارجي أو نقد التحصيل، بغية معرفة سياق إنتاج النص (مصدره، مؤلفه وخلفيته الثقافية، تاريخه، كيفية إنتاجه وهدفه، ومصادره)، ثم ممارسة النقد الباطن الإيجابي عبر تحليل مضمون وطبيعة النص ومصدره، يليه النقد الباطن السلبي عبر التنقيب عن الأمانة والدقة للتأكد من صحة الأحداث المعروضة في الموسوعتين، على أساس وجود مسافة بين قول المؤلف وبين الأحداث التي تظل نسبيةً وغير مطلقة.

وفي الأخير استشهدنا بالوثائق العثمانية والمصادر في العملية التركيبية للأحداث بغية تدارك ما لم يتم التطرق إليه أو ما تم تزييفه وتشويهه، بغية الارتقاء بمستوى تلقي الروايات التاريخية. وظننا من جانب آخر المقاربة التاريخية للخطاب²، وهي مقارنة ذات بُعد متعدد التخصصات، بدءاً من التخصص اللساني الذي يُعنى بتحليل النصوص الخطابية، ضمن قراءة تاريخية للأحداث، مع التماس للمعرفة الثقافية الأنثروبولوجية من تمثيلات وتصورات خطابية للنمط الثقافي لجزائر الغرب في العهد العثماني، واستلهاً للمعرفة العلائقية السوسولوجية³، على أساس أن النص الخطابي فعل اجتماعي ذو علاقة بالقوى الفاعلة ضمن إيديولوجيات تؤثر في بعضها البعض.

إن الاستعانة بمقاربة متعددة التخصصات فرضت علينا تطعيمها بمختلف النظريات بغية الكشف عن الأنساق المضمرة المخفية ما بين السطور، حيث وظفنا نظرية النقد الثقافي، للمفكر السعودي عبد الله الغدامي (1946م)³، الذي يقف من ورائها عند كل ما هو غير رسمي في الخطاب⁴، من خلال التنقيب عن السياقات التي شكّلتها (الثقافية، التاريخية، السياسية الاجتماعية، الاقتصادية، الأخلاقية، وغيرها)، لمعرفة الأحداث ومقارنتها مع مثيلاتها، فالنص الخطابي من هذا المنظور، حامل لأنساق مضمرة أكثر منها معلنة، تمكنت عبر الزمن من الاختباء، واصطناع

¹ عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، ط4، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1981م، (المؤلف ككل).

² Reisigl Martin, The Discourse-Historical Approach, in Flowerdew and Richardson (Eds), the Routledge Handbook of Critical Discourse studies, New York and London: Routledge, 2018, p.44-59.

³ يشمل النقد الثقافي نظرية الأدب والجمال والتفكير الفلسفي، ويفسر النظريات النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية والتاريخية، والاتصال وغيرها، فهو شامل للأدب وغيره. يُنظر آرثر إيزابجر، النقد الثقافي، ترجمة وفاء إبراهيم ورمضان بسطاوي، المجلس الأعلى للثقافة، 2003م، ص.31.

⁴ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ط2، المركز العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، 2001م، ص.83.

الحيل في التّخفي،¹ بغية التأسيس لنسق ثقافيّ غربيّ مهيمن.² هي إذاً أنساق مضمرة كامنّة وُجدت عبر عمليّات التّراكم والتّواتر، حتّى صارت عنصراً نسقيّاً يلتبس الخطاب،³ ويُمارس تأثيره دون رقيب إلى أن يتمّ نقده وتحريكه نحو اللاسكون.

وظفنا أيضاً نظريّة الأنساق المتعدّدة التي يُمثّلها الباحث إيتمار إيفان زوهار Itamar Even-Zohar (1939م)، ومجموعة من الباحثين الآخرين، وهي نظريّة تؤمن بوجود أنساق متداخلة ومتفاعلة، منها الأنساق الكبرى، والأنساق الفرعيّة، الهامشيّة، هدفها تصنيف تلك الأنساق، مع وصفها وتفسير وظيفتها وعلاقتها ببعضها البعض، حيث تتنافس وتتصارع لتهيمن على موقع الصّدارة، فلا توجد أنساق منعزلة أو محايدة، بل متفاعلة ومترابطة ومتداخلة فيما بينها.⁴ وإلى جانبهم وظفنا نظريّة تحليل الخطاب للباحثة النمساويّة روث فوداك Ruth wodak (1950م)، التي تُحدّد استراتيجيّات الخطاب، خاصّة الخطاب الذي يُمارس الهيمنة الإيديولوجيّة، ضمن تحليل لصفات الفاعلين، والأفعال والحجاج والمنظوريّة وغيرها.⁵ اعتمدنا أيضاً على الممارسة التّأويليّة لمقاصد المؤلّف المستترة، ضمن تحليل يستند إلى نظريّة الأفعال الكلاميّة للباحث جون أوستين John Austin (1911-1960م)، التي تقوم على مبدأ أنّ لكلّ قول فعلاً، وأنّ هذا الفعل قد يكون وعداً، أو وعيداً، أو ترغيباً، أو ترهيباً، أو إقناعاً، أو إرغاماً، ويكون ذلك عن طريق تجاوز الجمل والنّصّ، مع تحليل المسكوت عنه،⁶ والبحث في بيئة إنتاج النّصّ، وما يؤثّر فيه، وكيف يؤثّر في متلقّيه، وما هي مقاصده المضمرة. وتتيح لنا هذه النّظريّة أيضاً تفكيك الخطابات المتقلّبة بالأضاليل المقدّمة بشكل حقائقيّ،⁷ وتحليل المضمون والمؤثّرات الاجتماعيّة والنّفسية والثقافيّة والبيئية والفكريّة، والزّمان والمكان بغية استخلاص مقاصد الخطاب.⁸

¹ عبد الله الغدّامي، عبد النّبيّ أصطيف، نقد ثقافيّ أو نقد أدبيّ، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2004م، ص-ص 37-38.

² المرجع نفسه، ص 31.

³ عبد الله الغدّامي، النّقد النّقائيّ (قراءة في الأنساق النّقافية العربيّة)، مرجع سابق، ص 71.

⁴ جميل حمداوي، نحو نظريّة أدبيّة ونقدية جديدة (نظريّة الأنساق المتعدّدة)، 2019/06/23م، استخرج من الرّابط www.alukah.net/Books/Files/Book_8058/BookFile/ansaaq.docx، ص 05.

⁵ Ruth wodak, The Discursive Construction of National Identity (Second Edition), translated by Angelika Hirsch, Richard Mitten and J. W. Unger, Edinburgh University, Press, 2009.

⁶ جميل حمداوي، مرجع سابق، ص، ص 15-16-18.

⁷ المرجع نفسه، ص 49.

⁸ المرجع نفسه، ص 53.

اعتمدنا كذلك على نظرية الدولة للعالم عبد الرحمن ابن خلدون، الذي نظّر لنشأتها وأطوارها، حيث اعتبر حالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار.¹ وقد جعلها على النحو التالي:² الطور الأول هو الظفر بالبغيّة وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك، ويقصد من ورائه مستهلّ نشأة الدولة، بينما يتمثّل الطور الثاني في الاستبداد (استبداد السلطان صاحب الملك) على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التّطاول للمساهمة والمشاركة، وفيه تشهد الدولة قمة قوتها وعنفوانها. في حين يتجلّى الطور الثالث في الفراغ والدّعة لتحصيل ثمرات الملك بما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصّيت، ويتميّز هذا الطور بتشييد المباني والتحصّن، أمّا الطور الرابع فاختصّه العالم ابن خلدون بالقبول والمسالمة، أي أنّ الدولة تقنع بما وصلت إليه وتُسلم وتسكن، بينما انفرد الطور الخامس والأخير بالإسراف والتبذير، الذي يؤدي إلى تدهور الدولة وانهارها، وعلى هذه الشاكلة تبدأ دورة ثانية لدولة أخرى.

وعلاوة على نظرية العالم عبد الرحمن بن خلدون، وظّفنا نظرية العالم الفرنسي فان جنب Van Genep (1873-1957م)، الخاصّة بطقوس العبور من مرحلة حياتية إلى أخرى، حيث قسّمها إلى ثلاث مراحل زمنية: المرحلة التمهيدية أو الانفصالية عن الوضع الأول «préliminaire- séparation»، ثمّ المرحلة الاستهلالية الهامشية، أي على العتبة «liminaire-marge»، وهناك من يُسمّيها المرحلة الإعدادية للدخول إلى المكانة الجديدة، وفي الأخير المرحلة الختامية أو الاندماجية، أو التجميعية، أو الانضمامية إلى الوضع الجديد «postiliminaire-agrégation»³، وقد قمنا بإسقاطها على نظام الدوشيرمه الخاصّ بالجندية البرية (طائفة الإنكشارية) بغية معرفة كيفية مساهمة هذه الطقوس ورمزيّتها في منح الجند الامتيازات الدالة على المكانة الاجتماعية داخل الجندية، بحيث يمرّ المجدّد بمراحل تتغيّر فيها منزلته الاجتماعية من خلال تطبيق إجراءات طقوسية تنتقل به من مرحلة إلى أخرى، وتسمح له بالحصول على امتيازات محدّدة كعضو في جماعة الجندية البرية.

لقد كان هدفنا من توظيف مختلف المقاربات، ومختلف النظريات السّعي وراء رصد الأنساق المضمرة الكبرى والفرعية الهامشية، وتحديد الإيديولوجيات المصاحبة لها كنظام اعتقاد

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط7، ج2، دار نهضة مصر للنشر، 2017، ص.543.

² المصدر نفسه، ج2، ص.543-544.

³ Arnold Van Genep, Les rites de passage, édition A.et J. Picard, Paris, 1981, p.20-30-195.

متكامل يكفل تفسيرات للواقع، ويؤسس أهدافاً في حالة الإيديولوجية المسيطرة، وخدمةً لمصلحة الجماعات الحاكمة،¹ عن طريق نشر فكرة، عقيدة، ميل، موقف، توجه، انتماء، أو هوى، خاصة مع قوة من يؤمنون بها.² فإيديولوجية النصّ نتاج عمل على الإيديولوجية العامة³ المهيمنة، إذ نجد أنّ الطبقات المسيطرة قادرة على إقناع الذين تستغلّهم بأنّ موقفهم هو موقف طبيعيّ عالمي، ومن ثمّ لا يمكن تغيير ما هو قائم بالفعل،⁴ وعلى أساس ذلك يتمّ تمرير الخطابات المساندة للإيديولوجيا المهيمنة.

وقبل الولوج إلى عملية نقد النصوص الخطابية التاريخية في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشرافية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، نصّ مادة "الجزائر" أنموذجاً، وجب علينا الوقوف عند المفاهيم اللغوية والاصطلاحات لمتغيرات الدراسة والمتمثلة في مصطلح النسق ومصطلح المضمّر. نستهلّ مع مصطلح النسق، حيث عرفه ابن منظور بقوله: "النسق من كلّ شيء، ما كان على طريقة نظام واحد، عامّ في الأشياء، وقد نسقته تنسيقاً... نسق الشيء يُنسقه نسقاً ونسقه نظمه على السواء وانسق هو وتناسق، والاسم النسق، وقد انسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض، أي تنسقت... والتنسيق: التّظيم. والنسق ما جاء من الكلام على نظام واحد.⁵ ويُعرفه الفيلسوف الفرنسي أندريه لالاند (André Lalande 1876-1963م) في موسوعته الفلسفية بمعنيين: المعنى العامّ الذي يعتبره جملة عناصر مادية أو غير مادية تتعلّق بالتبادل بعضها ببعض بحيث تُشكّل كلاً عضوياً مثل النظام المدرسيّ والجهاز العصبيّ، أمّا المعنى الخاصّ فهو يدلّ على مجموعة من الأفكار العلمية أو الفلسفية المترابطة منطقياً.⁶ أمّا الباحث جميل حمداوي فقد اعتبر النسق (système) نظاماً بنيوياً كلياً مترابطاً من الأبنية النظرية التي يُكوّنها الفكر حول موضوع ما، أي مجموعة من القواعد والمبادئ والفرضيات والمسلمات والنتائج التي تُكوّن نظرية كلية. وقد يُمثّل أيضاً مجموعة من المناهج والنظريات والإجراءات المنظمة بغية أداء وظيفة ما، مثل النسق التربويّ، نسق الإنتاج أو نسق الدفاع. وقد يُعبّر عن نظام فيزيائيّ مثل النسق النيوتونيّ، أو مجموعة من العناصر والبنىات العضوية المترابطة مثل النسق العصبيّ، أو نظاماً

¹ آرثر إيزابجر، مرجع سابق، ص. 103.

² بهاء الدّين محمّد مزيد، مرجع سابق، ص-ص. 105-107.

³ تيري إيجلتون، النقد والإيديولوجية، ترجمة فخري صالح، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص-ص. 84-85.

⁴ آرثر إيزابجر، مرجع سابق، ص-ص. 108-109.

⁵ أبو الفضل جمال الدّين بن محمّد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج10، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003م، ص 352.

⁶ أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، ج3، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1996م، ص. 1417.

آلياً وميكانيكياً يؤدي وظيفة مثل نسق الإضاءة ونسق السيارة. وعليه نجد أنواعاً مختلفة من الأنساق: النسق التاريخي، النسق الرياضي، البيولوجي، الاقتصادي، السياسي، الأدبي، الفني، الثقافي، التربوي، الاجتماعي، العلمي، الفلسفي، المنطقي، الإعلامي، التقني، الآلي، الفلكي وغيرها.¹ والتعريف الذي يتوافق مع دراستنا هو اعتبار النسق جملة الأفكار ومضمونها وترتيبها وموضعها وشكل توزيعها وآلية ارتباطها، أي تصور عقلي مركب من وحدات فكرية: مفاهيم، فروض، ونظريات... الخ.²

وبخصوص مصطلح **المضمّر** فقد ورد في معجم لسان العرب على النحو التالي: الضمير: السرّ وداخل خاطر، والجمع ضمائر، والضمير الشيء الذي تُضمّره في قلبك، تقول: أضمرت في نفسي شيئاً. والمضمّر: الموضع.³ أمّا المفكر السعودي عبد الله الغدامي فقد اعتبره النظام المخفي والسري في الخطاب، على أساس أنه يُمثّل "أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسل بها لعمل عملها الترويض".⁴ أمّا **النسق المضمّر** فيُمثّل "ترسبات مخفية تتكوّن عبر البيئة الثقافية والحضارية وتُتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص التاريخية المختلفة، تُمارس على الأفراد سلطة من نوع خاص، وينجذب نحوها المتلقون دونما شعور منهم، لأنها أصبحت تُشكّل جزءاً هاماً من بنيتهم الذهنية والثقافية".⁵

¹ جميل حمداوي، مرجع سابق، ص-ص 08-09.

² سليمان أحمد الظاهر، مفهوم النسق في الفلسفة، مقال في مجلة جامعة دمشق، م³⁰، ع 03-04، سوريا، 2014م، ص-ص 373-376.

³ أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور، مرجع سابق، ج4، ص.492.

⁴ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، مرجع سابق، 2005م، ص.78.

⁵ إسماعيل خلباص حمّادي وإحسان ناصر، النقد الثقافي، مفهومه، منهجه، إجراءاته، مجلة كلية التربية، جامعة واسط العراقية، ع13، 2013م، ص.17.

المبحث الثاني: مقارنة سياق الكفاية واللاكفاية العلمية في موجز دائرة المعارف**الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) "وقف****الديانة التركي".**

لقد عرضنا في الفصل السابق تاريخ الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) وتاريخ الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، ومن خلال ذلك العرض يمكننا أن نقوم بمقارنة بين سياق الكفاية العلمية لكلا الموسوعتين، ونرصد الاختلافات والتشابهات الموجودة بينهما على عدة مستويات. فبادئ أمر وجب الوقوف عنده هو الاختلاف الواضح من حيث المعرفة بالتاريخ الإسلامي، فالموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) حاملة لأخطاء كثيرة حول هذه المعرفة، ولا تحو الكفاية العلمية التي ينشدها العالم الإسلامي والغربي بصورة موضوعية، وذلك بشهادة العلماء المتخصصين، خاصة الأتراك منهم، الذين هبوا إلى استدرارك ما جاء فيها وتصحيحه عبر مشروع الموسوعة الإسلامية الشامل للعلوم والثقافة والحضارة الإسلامية

وبرغم التشابه الموجود بين الموسوعتين في مسألة عرض تاريخ التراث الإسلامي، إلا أن الأهداف والغايات متباينة تماماً، فعلى مستوى الأهداف مثلاً، نجد أن الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) قد كرّست معظم مؤلفاتها بغية ضرب النسق الثقافي الإسلامي والتشكيك فيه. وسنبيّن ذلك من خلال اعترافات الباحثين المستشرقين أنفسهم، حيث اعترف المستشرق الإيطالي ليون كايتاني أنه "يُريد أن يفهم سرّ المصيبة الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي الملايين من الأتباع في شتّى أنحاء الأرض"¹. ولن يفهم سرّ تلك المصيبة التي ألمّت بهم سوى باللجوء إلى البحث والدراسة، حينها يُمكنهم استرداد الملايين من الأتباع المسيحيين والسعي إلى تنصير المسلمين أيضاً. ثمّ يعترف المستشرق الهولندي أدريان ريلاند في كتاب الباحث محمد محمود زقزوق قائلاً: "صحيح أنّ الدين الإسلامي سيءٌ جدّاً وضارٌّ بالمسيحية إلى حدّ بعيد، ولكن أليس من حقّ المرء لهذا السبب أن يبحثه؟ ألا ينبغي للمرء أن يكشف أعماق الشيطان وحيله؟ إنّ الأحرى هو أن يسعى المرء للتعرف على الإسلام في حقيقته لكي يُحاربه بطريقة أكثر أماناً وأشدّ قوّة"². القصد من المخطّط الاستشراقي واضحٌ جدّاً هنا، فالمستشرق يرى أنّه من حقّ المرء أن يبحث ويدرس تراث الدين الإسلامي ليتعرّف عليه عن كثب ومن ثمّ يُحاربه، ليس عن طريق

¹ رائد أمير عبد الله، المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، م8، ع1/1، 2014م، ص.05.

² محمد محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط2، دار المنار، 1989م، ص.43.

الحرب بل بطريقة تبدو له أكثر أماناً ولكنها أشدّ قوّة، وهي حرب الكتابة والتشويه والترويج المطلق للتّحيز العنصريّ، والمناداة للتّمرّكز حول السّلالة والتّعصّب العنصريّ، هي أفكار تُدعّم الاستعمار وتُضفي عليه شرعيّة الممارسة للإبقاء على النّوع الأصلح.

وفي السّياق نفسه يذكر الباحث ديريك هوبود، على لسان الحاكم الليبراليّ العامّ للجزائر موريس فيولويت، اعترافه بالهدف المنشود من قبل المستشرقين في سبيل إعلاء العرق الغربيّ، ومعبراً عن نضرتهم للمسلم قائلاً: "إنّ المواطن الأصليّ لا يرقّ في وجوده إلى الأوروبيّ مهما كان مبلغه من التّحضّر والثّقافة... ذلك الكبرياء العرقيّ... المترسخ... الذي يُصنّف البشر إلى رعايا وأسياد... وهذا يُمثّل نظريّة الأعراق التي اختلقت وأرسيت قواعدها في سبيل الإعلاء من شأن الأعراق المنّخبة".¹

وتأكيداً على أهميّة الطّباعة التي تُسهّل عمليّة تداول الكتب المملوءة بالمعارف الخاطئة عن التّراث الإسلاميّ، سواء كانت كتباً أو مخطوطات أو موسوعات، يذكر الباحث محمّد عبد الله الشّرقاوي اعتراف المستشرق جوليوس مول قائلاً: "مهما كررنا وأعدنا فإننا لا نُكرّر بما فيه الكفاية، أنّ طبع المخطوطات الشّرقية الأهمّ وهو الحاجة الأكبر، والأكثر ضغطاً وإحاحاً بالنّسبة لدراساتنا... وبعد أن تكون الطّباعة قد سهّلت عمليّة تداول الكتب، بعد ذلك فقط يُمكن للعقل الأوروبيّ أن ينفذ فعلاً إلى أعماق الشّرق".² وفي إطار فرض الهيمنة الغربيّة، يعترف عالم الاجتماع الأستراليّ البريطانيّ براين تورنر بأنّ مهمّة الكتابات الاستشراقية هي "تمثيل المختارات الأدبية للشّرق الغريب في جدول منظم من المعلومات المتاحة منتوجاً ثقافياً نموذجياً للهيمنة الغربيّة".³ وما نظنّ أنّنا نُغالي إذا قلنا أنّ الخلفيات الثّقافية لبعض المستشرقين قد وُظفت في دراسة القضايا الإسلاميّة، بغية إخضاع النّصوص الدّينية إلى التّحليل الماديّ الذي لا يتوافق مع النّسق الإسلاميّ، حيث استُبدلت المعارف اليقينية بافتراضات واهية لتفسير تلك النّصوص، من خلال الاعتماد على الروايات والأسانيد الضّعيفة التي تُدعّم آراءهم وإيديولوجياتهم، فتمت الدّراسات بناءً على الآراء الشّخصية والعامّة التي ساهمت في تحريف وتزييف التّراث الإسلاميّ، وعملت على توارثه كنوع من الرّوااسب

¹ ديريك هوبود، التّصوّرات الجنسيّة عن الشّرق الأوسط، البريطانيون والفرنسيون والعرب، ترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، 2009م، ص-ص 118-119.

² محمّد عبد الله الشّرقاوي، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2016م، ص. 18.

³ براين تورنر، الاستشراق ومشكلة المجتمع المدنيّ في الإسلام، ترجمة مصطفى شادي إدريسيّ، مجلّة الباب، ع08، منشورات مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، 2016م، ص. 04.

الثقافية التي تقوم "بالضغط الشديد على كل من يلتحق بصفوف الكتاب والباحثين"،¹ فتسود تلك الكتابات "قواعد ملزمة، ومنظورات خاصة، وانحيازات إيديولوجية ملائمة".²

لقد حملت تلك الدراسات الاستشراقية بين طياتها خطابات موجّهة ومرسلة إلى العقل الغربي، تحيله إلى دلالات معيّنة، سلبية في غالبيتها، ترفع من شأن الجنس البشري الغربي وتحطّ من قيمة الجنس البشري غير الغربي، فتساهم بذلك في إنتاج صورة تمثيلية للأخر الشرقي في الفكر الغربي، لا تمتّ بصلة بتاتاً إلى الصورة الحقيقية للشرقي المسلم. وقد منحتهم تلك المعرفة بالتراث الإسلامي، المطبوعة على شكل مؤلفات عادية أو موسوعية، قوة السيطرة، حيث ارتبط جلّ مؤلفيها بمخططات إيديولوجية تخدم الأنساق الدينية والسياسية والعلمية الغربية، فانسابت أغلبية الخلفيات الثقافية المؤدلجة من حقبة إلى أخرى عبر المؤلفات بكلّ أنواعها.

وإذا ولّينا صوب الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، ألفينا هدفها الأسمى هو تصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، فعند ترجمتها إلى اللغة التركية تبين لعلماء تركيا البعد الإيديولوجي المرافق لها والأخطاء الجمة التي مسّت التراث الإسلامي، وبناءً عليه تمّ التفكير في مشروع إصدار الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وتصحيح ما تعلّق بالأنبياء عليهم السلام وعظماء المسلمين، ومفاهيم الدين الإسلامي، ومواضيع أخرى، ومن ثمّ ترجمتها إلى باقي اللغات العالمية. كما سعى علماء تركيا المسلمين إلى جعل الموسوعة الإسلامية مصدرًا موثوقاً يُلبّي حاجة المسلمين (رجال العلم والباحثين) إلى المعلومات الصحيحة، استناداً إلى الأسس العلمية والموضوعية في ميادين العلوم والثقافة والحضارة الإسلامية، ومن ثمّ نقل رسالة الإسلام وتبليغها بشكل صحيح، وبأسلوب مفهوم للقارئ الأجنبي الذي نهل الأخطاء من الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية). كما سعت أيضاً إلى تبيين رأي الإسلام بخطوطه العريضة في المسائل التي أفرزها العصر الحديث، ولفت نظر الشباب إلى ثروته الثقافية، ونقل التراث الإسلامي إليه بمنهج صحيح وسليم، والتذكير بالرسالة السامية التي تحملها الأجيال المسلمة الجديدة، مع فتح آفاق جديدة للإنسانية كافة في ضوء القيم الإسلامية الخالدة.³ نلاحظ اختلافاً واضحاً جداً بين ما

¹ إدوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1981م، ص.319.

² المرجع نفسه والصفحة نفسها.

³ دليل وقف الديانة التركي، مرجع سابق، ص.03.

رمت إليه الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) وبين ما ترمي إليه الآن الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية).

وعلى **مستوى نوع المواد المؤلفة** نجد تشابهاً فيما بينهما، ومرد ذلك إلى أنهما ألفتا معاً مواداً حول التراث الإسلامي، حيث تناولت الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) مفهوم الإسلام: العقيدة والفقهاء، الآداب، اللغة، الفلسفة، تاريخ الشعوب الإسلامية، الأعلام، والفنون وغيرها. بينما تناولت الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) التفسير، الحديث، علم الكلام، وتاريخ المذاهب، الفقه الإسلامي، التصوف، الفلسفة الإسلامية والأخلاق، تاريخ وحضارة الإسلام، الفنون الإسلامية، الأدب العربي، تاريخ الأديان، تاريخ العلوم، تاريخ الترك وحضارته، الأدب التركي، الأدب الفارسي، الجغرافيا، العمارة، الموسيقى وغيرها. وهنا نلمح اختلافاً على مستوى كمّ المواد المؤلفة من قبل الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) التي تُعتبر أشمل وأغنى من الأولى، حيث سعت جاهدةً إلى عرض كلّ التراث الإسلامي، دون استثناء، ولم تُهمل أيّ تاريخ إسلامي، سواء في الشرق أو في الغرب، بل ألفت عن بلدان وشخصيات ومصطلحات ومواضيع لم يتمّ التعرّض إليها في الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، كما ألفت مواداً كثيرةً عن الأديان الأخرى غير الإسلام، وعن المستشرقين ونقدت أعمالهم، كما ذكرنا ذلك سابقاً.

يتجلّى الفرق بين الموسوعتين أيضاً على **مستوى عدد المواد المؤلفة**، إذ احتوت الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) في الطبعة الأولى ما بين 1913م و1938م على 6.176 مادة،¹ بينما وصل عدد مواد الموسوعة الإسلامية إلى 17.771 مادة، يعني ضعف مواد الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، حيث عُنيبت بتخصيص مواد كثيرةً تتعلّق بالتراث الإسلامي مثل الفقه 1.671 مادة، الحديث 1.309 مادة، التفسير 575 مادة، كما اعتنت الموسوعة الإسلامية بنقد المواد الخاطئة التي كُتبت في دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، إذ تمّ التأليف عن 300 مستشرق مشهور مع نقد أفكارهم، وهذا أكبر بيّنة على اهتمام مسؤولي الموسوعة بتصحيح المعارف وعرض كلّ ما يتعلّق بالحضارة الإسلامية عرضاً علمياً وموضوعياً، الأمر الذي يُخوّل للموسوعة الإسلامية أن تكون عملاً أصيلاً.

وبالنسبة للاختلافات والتشابهات **على مستوى التأليف**، وفقد جدنا أنّ إدارة الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) قد وفّرت المصادر والمراجع التي يستند إليها الباحث أثناء التأليف، حيث تمّ تزويد مكتبة مركز البحوث الإسلامية بـ360.000 مجلّد و2.750 دورية، و720 منها ما

¹ İslam Ansiklopedisi, op, cit, vol. 11, p.181.

يُتابع دورياً، وتم إدخال المعلومات البيبليوجرافية لـ 703.981 كتاباً مطبوعاً ومخطوطاً من 116 مكتبة داخل إسطنبول وخارجها، كما سُخِّرت 17.000 ملفٍ وثائقيٍّ ذو علاقة بكلِّ مدخل من مداخل الموسوعة. وقام المركز بتمشيط 700.000 عددٍ من الدوريات، و 174.000 عددٍ من الكتب، وتم إلحاق ما صُوِّر منها من المعلومات إلى ملفات مواد الموسوعة، واقتنت المصورات الميكروفيلمية للسجلات الشرعية للمحاكم العثمانية جميعها، داخل تركيا وخارجها، وتم تصوير 9.895 دفترًا من سجلات 27 محكمةً شرعيةً موجودةً بدار إفتاء إسطنبول، إضافةً إلى توفير 20 مليون ورقةٍ من الأرشيف العثماني، من البلقان، الأردن وسوريا ومن تركيا، و 114.000 عنوانٍ لرسائل جامعية، وتم نقل مقالات عددها 687.000 مقالةً إلى قاعدة معلومات المقالات.¹ بينما لم نجد أيَّ معلومة تُفيد هكذا عملاً قامت به الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، والمرجح أن كلَّ باحث كان يستعين بمصادره الخاصة التي تخدم أهدافه الذاتية والجماعية.

وعلى مستوى اللجان العلمية والمؤلفين فقد ضمت اللجنة العلمية للموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) كبار المؤلفين المستشرقين، أمثال المستشرق الهولندي أرنت جان فنسك،² الذي هاجم الإسلام والقرآن والرسول ﷺ في جلِّ مؤلفاته، فكيف ستكون بقية الكتابات الموسوعية إذا كان من يترأسها يحمل كلَّ هذا الحقد تجاه الإسلام؟ تظهر جلياً غايات أعضاء اللجنة العلمية والمؤلفين من خلال توجهاتهم، حيث اشتملت على نخبة مقصودة لمهاجمة الإسلام، خاصة اليهود منهم، كما اشتملت على نخبة أخرى كان هدفها التنصير من خلال التأليف الموسوعي من قساوسة وعلماء لاهوت، وقد عرضناهم سابقاً، ولكن لا بأس أن نذكر بعض الأسماء أمثال المستشرق الإنجليزي دافيد صموئيل مرجليوث المعروف في كتاباته بتعصبه الشديد للإسلام، إضافةً إلى المؤلفين اليهود الذين عُرفوا بكرههم للإسلام، حيث استماتوا في كتاباتهم ضده أمثال المستشرق اليهودي الألماني جوزيف شاخ، والمستشرق اليهودي المجري إجناس جولد تسيهر، وغيرهم... أمّا من اهتموا بعملية التنصير، فيمكننا ذكر المستشرق الإنجليزي دافيد صموئيل مرجليوث الذي شغل منصب قسّ في الكنيسة الإنجليزية، وعالم اللاهوت المستشرق هنري لامنس الذي عمل بالتنصير في مدينة بيروت، وكان من علماء الرهبان اليسوعيين، حيث عُرف بالحقد الشديد على الإسلام، إضافةً إلى المستشرق الفرنسي لويس ماسينوس رائد الحركة التنصيرية في

¹ أحمد أوزل، خطاب في اجتماع بمركز جمعية الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص. 03.

² خالد بن عبد الله القاسم، المعتزلة في دائرة المعارف الإسلامية، عرض ودراسة، مرجع سابق، ص-ص. 01-03.

مصر، وغيرهم الكثير، وهذا خير دليل على توجهات أعضاء اللجنة العلمية ومؤلفي الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية).

وعلى العكس تماماً نجد أنّ الهيئة الإدارية للموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) قد ضمت وزراء الشؤون الدينية على مرّ سنوات التأليف وإلى غاية الانتهاء، منهم الأستاذ طيار التي قولاج، والأستاذ علي باردق أوغلو، إضافةً إلى نائب رئيس الشؤون الإسلامية أحمد كورتاش، وضمت أيضاً نخبةً من كبار العلماء الأجلاء والباحثين والأساتذة من تركيا ومن خارجها، تخصصوا في علم الفقه والتفسير وحفظوا القرآن ودرسوه وحققوه، وعلماء في مختلف الميادين الأخرى من رياضيات وفيزياء وكيمياء وجغرافيا، منهم الأستاذ الدكتور أحمد أوزل، متخصص في الفقه الإسلامي ورئيس لجنة الفقه في الهيئة العلمية للموسوعة، وعالم الحديث الأستاذ الدكتور راشد كوجك، رئيس مركز البحوث الإسلامية، والعالم الكبير والمحقق، رئيس الهيئة العليا، الأستاذ بكر طوبال أوغلو، كذلك العلامة التركي طيار التي قولاج، حافظ للقرآن الكريم وحاصل على رسالة دكتوراه في علم التفسير، ورئيس شؤون الديانة التركية، وهو أول من سجل القرآن الكريم المرثّل بصوته في تركيا برواية حفص، وقد قام بتحقيق 07 مصاحف تاريخية تعود إلى القرن الأول والثاني الهجري، والمؤرخ العراقي عبد العزيز الدوري، رئيس جامعة بغداد الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لعام 1986م، وعالم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الأستاذ الدكتور التونسي محمد السويسي، وغيرهم من العلماء الأجلاء الذين يُقدّمون لنا نظرةً معمّقةً عن توجهاتهم التي تخدم انشغالات الموسوعة، فكيف لعالم في الفقه، وزير للشؤون الإسلامية، وعلماء مسلمين أن يكتبوا معلومات خاطئة عن الإسلام؟

وما العلماء في جميع التخصصات سوى دلالة على الاختيار الصائب للنخبة التي ستمثل العالم الإسلامي وتكتب عنه بالدقة العلمية والموضوعية المرجوة.

أما على مستوى الهيئة العلمية التي تُتابع وتُراجع وتُدقّق المواد الموسوعية المؤلفة، فقد

قامت بتوفير لجان متابعة، حيث تكوّنت اللجنة العلمية للموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) من 12 لجنة، وبحسب قول الأستاذ الدكتور أحمد أوزل، فإنّ اللجان لم تكن تقم بمهامها المتعلقة بالمتابعة والتدقيق والتنقيح بل كان يقوم بها رئيس هيئة التحرير، فهو من يقرأ المواد المؤلفة ويُجيزها ثم يرسلها إلى الطبع،¹ بينما وفرت إدارة الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) 20 هيئة

¹ التسجيل الصوتي، مرجع سابق، 57د و 47ثا.

علمية زوّدت المؤلفين بالدليل المنهجي ووفّرت لهم المصادر التي ذكرناها سابقاً، وقامت بمتابعة المادة منذ وصولها وإلى غاية طبعها، من خلال مرورها بعدة مراحل، بدءاً بالفحص والتدقيق والتقييم والترجمة إلى اللغة التركية، والتنقيح الشكلي ومراجعة الصياغة والرقابة الشكلية والإمعان في اللغة والأسلوب والترتيب المنطقي للمواد والإثراء بالصّور إلى غاية الطبع النهائي.

ختاماً، نجد أنّ ما ذكرناه سابقاً يُحيلنا إلى القول بأنّ الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) تمتاز بكفاية علمية أصيلة وليست امتداداً للموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، علماؤها مسلمون، غايتهم كانت تصحيح ما ورد في الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، تابعوا بدقة كلّ مراحل التأليف واستعانوا بالباحثين المتخصّصين في كلّ المجالات التاريخية منها والسياسية والاجتماعية والدينية والجغرافية وغيرها، في عمل تكاملت فيه كلّ العلوم، وهذا ما لم نجده في الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) من خلال ما عرضناه سابقاً، والشّيء الذي يجعل الاختلاف واضحاً بين الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، كما أخبرنا عنه الأستاذ الدكتور أحمد أوزل، هو نزوح بعض الباحثين الأجانب الآن إلى تعلّم اللغة التركية¹ بغية الاستفادة من الموسوعة، إضافةً إلى أنّ الباحث التركي لا يُمكنه أن يحصل على درجة علمية كالمجستير والدكتوراه إلاّ إذا نهل من مكتبة مركز البحوث الإسلامية واستعان كشرط أساسي بالموسوعة الإسلامية، التي ساهمت بشكل كبير في رقيّ المستوى العلمي في تركيا.

¹ التّسجيل الصوتي، المرجع السابق، 42 و 09 ثا.

المبحث الثالث: سياق مادة "الجزائر" كنصّ خطابيّ تاريخيّ ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشرافية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) "وقف الديانة التركيّ".

نبتغي في هذا المقام معرفة ظروف إنتاج نصّ خطاب مادة "الجزائر" في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشرافية)، والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، انطلاقاً من الخلفية الثقافية للمؤلفين الذين أنتجوا تلك النصوص الموجهة للآخر، بما فيها من خلفية إثنوية هوياتية مرتبطة بمختلف الأنساق الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والدينية المحيطة بهم، وضمن طرح يغطّي السياق العام لنصّ مادة "الجزائر" من خلال التساؤلات التالية: ما هو مصدر نصّ مادة "الجزائر"؟ ومن ساهم في تأليفه؟ وما هي الخلفيات الثقافية لمؤلفيه؟ وما هي المسائل المشكّلة لموضوع المادة؟ وما هي المصادر التي تمّ الاعتماد عليها في إنتاج نصّ المادة؟

1) سياق مادة "الجزائر" كنصّ خطابيّ تاريخيّ في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشرافية):

لقد رأينا في الفصل السابق أنّ الضوء الأخضر قد أُعطي للبدء في تأليف الموسوعة الإسلامية (الاستشرافية) عام 1906م، وقد صدر أول كراس لها عام 1908م، تحت إشراف المستشرق الهولنديّ مارتين ثيودور هوتسما،¹ وصدرت الطبعات اللاحقة بثلاث لغات هي الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ثمّ تُرجمت إلى اللغة العربية في ثلاثة إصدارات وسُمّيت بـ"دائرة المعارف الإسلامية".² وفي عام 1998م، صدر موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشرافية) النهائيّ في 32 جزءاً في حلّة جديدة مرتّبة ومزوّدة بالكشّافات التحليلية للأعلام والأماكن والوقائع والأحداث التاريخية، مع استحداث المعلومات القديمة والتعليق عليها.³ وقد أنجز هذا العمل الضخم من قبل مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، وضمن هذا المنجز العلميّ الموسوعيّ، اخترنا مادة "الجزائر" الموجود في الطبعة الموسومة بـ"موجز دائرة المعارف الإسلامية"، الصادرة عن مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، الطبعة الأولى لعام 1998م، الجزء التاسع والجزء العاشر.

هذا بالنسبة لمصدر المادة محلّ اهتمامنا، أمّا محتواها فقد اختصّ بتاريخ الجزائر، في الجزء التاسع من الصفحة 2.816 إلى الصفحة 2.895، وفي الجزء العاشر من الصفحة 2.901

¹ خالد بن عبد الله القاسم، المعتزلة في دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، ص.01.

² المرجع نفسه، ص.04.

³ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، ج9، مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، الإمارات العربية المتحدة، 1998م، ص.ح.

إلى الصفحة 2.954، حيث ورد في الجزء التاسع مقدّمة مختصرة جدًّا (فقرة) عن الجزائر من عام 1962م إلى عام 1992م، في الصفحة 2.816، ألفها الدكتور عبد الرحمن الشيخ، متناولاً فيها تاريخ الجزائر بعد الاستقلال من ناحية عدد السكّان في تلك الفترة، والعرق، والمساحة، إلى غاية عام 1992م، أين تمّ اغتيال الرئيس الجزائري آنذاك المرحوم محمد بوضياف (1919-1992م). تليها مواضيع ألفها ثلّة من المستشرقين من بينهم المؤرّخ الفرنسي جورج إيفير Georges Yver (1870-1961م)، الذي درّس في كلية الآداب في الجزائر، حيث ألف من الصفحة 2.816 إلى غاية الصفحة 2.862 موضوعاً تناول فيه الجانب الجغرافي للبلاد، خاصّة المنطقة الساحليّة أو التلّ، والسهول الداخليّة، والصحراء، ثمّ تحدّث عن تاريخ الجزائر وسكّانها ونظام البلاد في ذلك الوقت، وختم الموضوع بالمصادر. يليه موضوع إضافيّ رُمز له بعلامة (+) كإضافة لما ذكر سابقاً، ألف من الصفحة 2.862 إلى الصفحة 2.924، في الجزء العاشر، احتوى الموضوع الأول منه على جغرافيّة الجزائر من تلّ وسهول عالية وصحراء للمؤرّخ الفرنسي جون دييوا Jean Despois (1865-1947م)، الذي شغل منصب أستاذ بكلية الآداب في الجزائر.¹

أمّا الموضوع الثّاني الخاصّ بتاريخ الجزائر، فقد قسّم إلى ثلاثة مراحل: مرحلة عُنوت بـ"حتى القرن السادس عشر"، ألفها المستشرق الفرنسي جورج مارسيه Georges Marçais (1876-1962م)، ثمّ مرحلة عُنوت بـ"في العصر التّركي"، للمستشرق الفرنسي مارسال كولومب Marcel Colombe (1913-2001م)، وهو من أساتذة مدرسة اللّغات الشّرقية بباريس،² وفي الأخير مرحلة عُنوت بـ"بعد عام 1830م" للمؤرّخ الفرنسي مارسال إيميري Marcel Emerit (1899-1985م).

أمّا الموضوع الثّالث فقد اهتمّ بسكّان الجزائر، وعُني بإحصاء السكّان ثمّ الاقتصاد، ولم يُذكر اسم مؤلّف هذا الموضوع. بينما تناول الموضوع الرّابع التّنظيمات بما فيها التّنظيم السّياسي، والتّنظيم الإداري، ثمّ النّظام القضائيّ للمؤرّخ الفرنسي جون دييوا. أمّا الموضوع الخامس الخاصّ باللّغات، فقد تناول حسب تقسيمهم اللّهجات العربيّة، لهجات ما قبل الغزوة الهلاليّة، لهجات القرى، اللّهجات الحضريّة بما فيها اللّهجات اليهوديّة واللّهجات الإسلاميّة، ثمّ اللّهجات البدويّة، ولم يتمّ ذكر مؤلّف هذا العنصر.

بعدها ورد موضوع إضافيّ حامل للرمز (+) على شكل تلخيص لكلّ ما ذكر سابقاً، حيث جُمع في موضوع واحد مكثّف في الجزء العاشر، من الصفحة 2.924 إلى الصفحة 2.946 للمؤرّخ

¹ يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ت، ص. 363.

² المرجع نفسه، ص. 595.

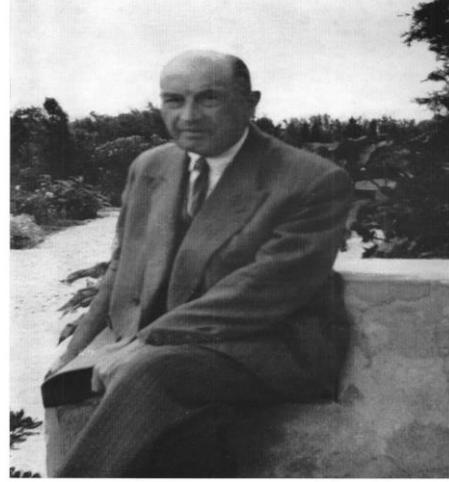
جورج إيفير، تليه إضافة أخيرة تحمل الرمز (+)، اهتمت بعرض تاريخ الجزائر بشكل مختصر، من الصفحة 2.946 إلى الصفحة 2.953 للمستشرق روجي لوتورنو، ليصل بذلك عدد صفحات مادة "الجزائر" في الجزئين التاسع والعاشر إلى 134 صفحة، تكفل بترجمتها الكاتب والناقد المصري إبراهيم زكي خورشيد. من خلال ما ذكرناه.

يُمكننا القول أن أول صدور لمادة "الجزائر" باللغات الأجنبية كان عام 1908م، أي في الفترة الاستعمارية، وقد ألفها ثلثة من المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين التابعين للنسق الفرنسي بنظامه وإيديولوجياته، ثم صدرت مادة "الجزائر" باللغة العربية عام 1933م، ودائماً في الفترة الاستعمارية، بينما صدرت الطبعة النهائية للغة العربية بجميع الحروف عام 1998م، أي بعد استقلال الجزائر عام 1962م. الملاحظ أن الطبعة الأجنبية قد تناولت تاريخ الجزائر ما قبل 1908م، بحيث ركزت على أحداث القرن السابع الميلادي بظهور المسلمين، وإلى غاية أحداث ما بعد عام 1830م، أي بعد الاستعمار الفرنسي، بينما تكفلت الموسوعة المترجمة لاحقاً، طبعة عام 1988م، بعرض المواد مترجمة من قبل الكاتب والناقد المصري إبراهيم زكي خورشيد، مع إضافة بعض المستجدات الموجزة جداً من قبل المؤرخ الدكتور عبد الرحمن الشيخ، والمتعلقة بتاريخ الجزائر بعد الاستقلال وإلى غاية عام 1992م.

وإذا ولينا اهتمامنا صوب محتوى المادة التي عُنت بعرض "تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، سنجدها في الجزء التاسع، من الصفحة 2.821 إلى الصفحة 2.840، للمؤرخ جورج إيفير، تليه الإضافة الخاصة بتاريخ الجزائر "في العصر التركي"، للمستشرق مارسال كولومب، من الصفحة 2.873 إلى الصفحة 2.877، ثم الإضافة الموجودة في الجزء العاشر المتعلقة دائماً بتاريخ الجزائر في ذلك العهد، من الصفحة 2.924 إلى الصفحة 2.946، للمؤرخ جورج إيفير في كرة ثانية، وأخيراً الإضافة الخاصة بذلك العهد، من الصفحة 2.946 إلى الصفحة 2.953، للمستشرق روجي لوتورنو.

الظاهر هنا أن عدد المستشرقين والمؤرخين الذين اهتموا بتدوين نص مادة "الجزائر" في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشرافية) قد بلغ 06 مؤلفين وهم: جون ديبوا Jean Despois، جورج مارسيه Georges Marçais، مارسال كولومب Marcel Colombe، مارسال إمريث Marcel Emerit، جورج إيفير Georges Yver وروجي لوتورنو Roger Le Tourneau، منهم 03 اختصوا بتاريخ الجزائر في العهد العثماني، وهم جورج إيفير Georges Yver، روجي لوتورنو Roger Le Tourneau ومارسال كولومب Marcel Colombe.

وفي تعاطينا مع نصّ مادّة "الجزائر" في العهد العثماني، كان لزاماً علينا التّطرق إلى الخلفيّة الثقافيّة لمؤلّف تلك المادّة، ومن بينهم المؤرّخ الفرنسي جورج إيڤير Georges Yver (1870-1961م).



الصّورة رقم 07: المؤرّخ الفرنسي جورج إيڤير Georges Yver.¹

هو أستاذ درّس في كليّة الآداب في الجزائر، متخصّص في التّاريخ الاقتصاديّ بحكم أطروحته التي تناولت موضوع "التّجارة والتّجار في جنوب إيطاليا في القرنين 13 و14م"، «Le commerce et les marchands dans l'Italie Méridionale au 13s et 14 siècles»، عام 1902م، والتي جعلت منه أوّل مؤرّخ ومستشرق اقتصادي.²

وهنا يستوقفنا تخصّصه برهّة، فموضوع أطروحته خصّ إيطاليا وليس الجزائر، الأمر الذي يُحيلنا إلى التّفكير في أنّ تاريخ الجزائر لم يكن ضمن اهتماماته إلّا بعدما درّس في الجزائر، حيث تناول بعض المواضيع التي اهتمّت بشمال إفريقيا في المجلّة الإفريقيّة، وعرض تاريخ إفريقيا في العشرين الوسيط والمعاصر عام 1906م، ووثائق متعلّقة بالحرب الفرنسيّة المغربيّة عام 1844م، الغزوة الهلاليّة عام 1918م، الهجرة الأجنبيّة إلى الجزائر عام 1918م، الإيرلنديون في الجزائر عام 1919م، عبد القادر والمغرب عام 1919م، شمال إفريقيا الفرنسيّة في التّاريخ عام 1927م، مع الثنائيّ المستشرق جورج مارسيه، وأوجين ألبرتيني Eugène Albertini (1880-1941م) عام 1927م، ومباحث عن تاريخ الاستعمار الخاصّ بشمال إفريقيا عام 1935م، والجزائر في المجلّة التّاريخيّة

¹ Fernand Braudel, Nécrologie, Georges Yver, p.407, tiré du site:

<https://www.cambridge.org/core/.../div-class-title-georges-yver-1870-1961-div.pdf>, le 12/08/2018

à 19h 20mn.

² Ibid, p.407.

عام 1932م.¹ المكاتب العربية، حوليات الاقتصاد والاجتماع والحضارة 1955م.² وقد كان من بين المؤرخين الذين وقعوا تحت تأثير حركة مزدوجة تتمثل في إبراز قدرتهم على الإنتاج المحلي للمعارف من جهة، ومن جهة أخرى كسب الاعتراف والقبول في جامعة باريس.³ حتى وإن سلّمنا أنّ اهتمام المؤرخ جورج إيفير بتاريخ الجزائر قد بزغ بعد إتمام أطروحته، وبعد البدء في التدريس في الجزائر، فإننا لاحظنا أنّ أعماله اللاحقة كانت منصبّة على دراسة الفترة الاستعمارية أكثر من الفترات الأخرى، حيث درّس بدايةً تاريخ إفريقيا في مرحلتي العصر الوسيط والمعاصر، واستثنى التاريخ الحديث الذي ضمّ العهد العثماني، ثمّ ألف مرةً ثانيةً حول شمال إفريقيا وركّز على الفترة الفرنسية وعلى شمال إفريقيا الفرنسية بمشاركة جورج مارسيه، وأوجين ألبرتيني، وعندما تناول تاريخ الجزائر بعينه، اهتمّ بفترة ما بعد الاستعمار، حيث ألف الهجرة الأجنبية إلى الجزائر عام 1918م، الإيرلنديون في الجزائر عام 1919م، عبد القادر والمغرب عام 1919م، الجزائر في المجلة التاريخية عام 1932م.

من هنا نستشف أنّ ميولات المؤرخ كانت نازحةً نحو تاريخ الجزائر في الفترة الاستعمارية أكثر من العهد العثماني، ممّا يجعل عطاءه العلمي أجود في الفترة التي اشتغل حولها (الاستعمارية)، من الفترة التي ألف فيها مادّة "الجزائر" في العهد العثماني. والشيء الذي يشفع له كونه لم يختصّ بتأليف موضوع ثابت عن العهد العثماني، بل اهتمّ بتناول تاريخ الجزائر كلّه كمادّة بعينها، ضمّت العديد من المواضيع وغطّت العديد من الفترات من ق07م إلى 1896م، في نصّ الموضوع الأصلي، ثمّ من عام 371م إلى عام 1906م في نصّ الموضوع الإضافي، وهذا الأمر يحدّ من الكفاية العلمية للمؤرخ جورج إيفير فيما يخصّ تاريخ الجزائر في العهد العثماني.

أمّا المؤلّف الثاني الذي اهتمّ بموضوع الجزائر في العهد العثماني، فهو المستشرق الفرنسي مارسال كولومب Marcel Colombe (1913-2001م)، الذي شغل منصب مدير لمجلة "الشرق" من عام 1957م إلى عام 1969م، ثمّ عين أستاذاً في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحديثة بباريس من عام 1962م إلى عام 1979م.⁴ وقد قضى أعواماً في دراسة الشرق، وأنجز أطروحته حول

¹ نجيب العقيقي، المستشرقون، موسوعة تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه، منذ ألف عام حتى اليوم، ط³، ج1، دار المعارف، مصر، 1964، ص.310.

² المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

³ -1 فؤاد صوفي، التاريخ والذاكرة، الإسطوريوغرافية الاستعمارية، مقال نُشر في دفاتر إنسانية، ع02، 2010م، ص.52.

⁴ Colombe, Marcel, <https://www.persee.fr/authority/27516>, le 14/04/2019, à 06h 59mn.

"تطور مصر: 1924-1950م"، قدّم فيها صورة عن تطورها في فترة ما بين الحربين، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، حيث تناول القسم الأول منها الصراع والملازمات السياسيّة في تلك الفترة، خاصّة ما تعلق بصراعات الهوية ما بين مصريّة، إسلاميّة، وعربيّة. ووصف في القسم الثاني الحياة الاجتماعيّة وتطورها نتيجة تطوّر الصراع السياسيّ، مركّزا على المشكلات الاجتماعيّة، وتنامي الأفكار الاشتراكيّة، ومشكلات العمّال وحركاتهم النقابيّة. وقد خلص إلى أنّ جميع القوى السياسيّة في مصر كانت في جميع الأحوال، ساعيةً إلى السّلطة بشكل أو بآخر، وما أُعيب على المؤلّف، العشوائيّة في سرد الأحداث والتّواريخ.¹ ثمّ تناول بالتأليف مواضيع أخرى اهتمّت بتاريخ الشّرق الأوسط، عام 1968م، الشّرق العربيّ والقوى العظمى، عام 1972م، الحياة في القاهرة في القرن 18م، عام 1951م، النّصّ الجديد للدستور التّركي، دراسة المفردات، عام 1946م، سنتان من تاريخ مصر (08 أكتوبر 1944-09 ديسمبر 1946م)، عام 1947م، تركيا والدّول العربيّة والدّفاع عن الشّرق الأوسط، عام 1951م، تركيا والإسلام، عام 1955م، الاستقلال ومحاولات تجميع الدّول العربيّة في الشّرق الأوسط، عام 1960م.²

إنّ المتمعّن في المسار العلميّ للمستشرق الفرنسيّ مارسال كولومب يجده أكثر اهتماماً بتاريخ الشّرق الأوسط، وأكثر تركيزاً على تاريخ مصر بحكم أنّها شكّلت لبّ موضوع أطروحته، نُضيف إلى ذلك أنّ اهتماماته كانت تدور كلّها حول الفترة الحديثة في الشّرق الأوسط، ولا صلة لها بتاريخ شمال إفريقيا، وبالخصوص في العهد العثمانيّ، إذ أنّ كيف نُفسّر إسناد موضوع مهمّ مثل تاريخ الجزائر في العهد العثمانيّ إلى مستشرق له اهتمامات وتطلّعات شرق أوسطيّة أكثر منها إفريقية؟ مع العلم أنّه قد أوكلت إليه مهمّة تغطية تاريخ الجزائر من عام 1516م إلى عام 1816م، أي العهد العثمانيّ والفترة الاستعماريّة في الموسوعة الإسلاميّة (الاستشراقية)، الأمر الذي يُحيلنا إلى فرضيّة تأليف موضوع الجزائر في العهد العثمانيّ لأغراض أخرى ذات علاقة بالنسق السياسيّ الاستعماريّ أكثر منها علميّة موثوقة، وسنّسعى إلى توضيحها في المبحث التّاليّ.

نولّي اهتمامنا الآن صوب المستشرق التّالث الذي ألف نصّ مادّة "الجزائر" في العهد العثمانيّ، وهو المستشرق الفرنسيّ روجي لوتورنو Roger Le Tourneau (1907-1971م).

¹ تطوّر مصر 1924-1950م، 09/02/2013م، استخرج من الرّابط

Hsjov <https://www.goodreads.com/book/show/15853061-1924-1950> بتاريخ 14/04/2019م، على 08 سا و11د.

² Colombe Marcel (1913-2001), 29/09/2015, <https://www.idref.fr/028426878>, le 14/04/2019, à 07h 11mn.



الصورة رقم 08: المستشرق روجي لوتورنو Roger Le Tourneau.¹

المتخصص في شؤون المغرب العربي. بدأ مشواره كصحفي ثم مؤرخ،² انتقل إلى فاس عام 1929م للتعلّم، ثم عاد إليها في العام الموالي كأستاذ في اللغة الفرنسية واللاتينية، درس في كلية مولاي إدريس لمدة 05 سنوات، ثم ترقى إلى منصب مدير في الكلية نفسها عام 1935م، بعدها شغل منصب المدير العام للتربية العامة والفنون الجميلة بتونس من عام 1941 إلى عام 1942،³ ثم رحل إلى ألمانيا، وبعدها حصل على منصب مدرّس في ثانوية رومن Lycée de Rouen عام 1943م، ثم منصب نائب مدير الدراسات في معهد الدراسات العليا للإدارة الإسلامية في باريس، بعدها عُيّن أستاذاً بكلية الآداب بالجزائر العاصمة عام 1947م، ثم أستاذاً بكلية الآداب في إكس أن بروفانس بفرنسا عام 1957م.

أسس مركزاً للدراسات الإسلامية، ويُعتبر مساهماً نشطاً في مركز دراسات المجتمعات المتوسطية، الأمر الذي سمح له باكتساب خلفية ثقافية حول البلدان المغاربية الثلاثة: المغرب، تونس والجزائر، خولت له الكتابة في عمود سياسي في حولية شمال إفريقيا من عام 1962م إلى عام 1969م. وفي عام 1958م، حظي بمهام تدريسية في جامعة Princeton الأمريكية بصفته مستشرقاً، كما ساهم في إنشاء مجلة "الغرب المسلم والبحر الأبيض المتوسط" عام 1966م.⁴ وقد

¹ Roger Le Tourneau, http://www.memoireafriquedunord.net/biog/biog03_tourneau.htm, le 2019/04/13, à 13h 31mn.

² Samir Saul, Roger Le Tourneau, un historien de l'Afrique du nord face à la décolonisation, Outre –Mers, Revue d'histoire, 2006, n°350-351, p.336.

³ حكومة الهادي الإخوة، الحماية الفرنسية في تونس، الوزراء الفرنسيون، استخرج من الموقع <https://wikipedia.ml/wiki> بتاريخ 2019/04/13م، على 18 سا 12د.

⁴ Samir Saul, Roger Le Tourneau, op, cit, p.335-365.

حظيت مدينة فاس والحضارة العربية الإسلامية باهتمام كبير من لدن المستشرق روجي لوتورنو، حيث تعلم العربية الديالكتية والعربية الكلاسيكية في المدّة التي عاش فيها في مدينة فاس، وألّف رسالته حول "فاس قبل الحماية، دراسة اقتصادية واجتماعية للمدينة في المغرب الإسلامي" «Fès avant le protectorat, étude économique et sociale d'une ville de l'occident musulman» قام من خلالها بوصف البيئة المادية للمدينة الإسلامية¹. ثمّ ألّف "الحياة اليومية في فاس في العام 1900م «La vie quotidienne à Fès en 1900»، وملخصاً آخر بعنوان "المدن الإسلامية في شمال إفريقيا" «Les villes musulmanes de l'Afrique de Nord»².

انصبّت اهتماماته حول 03 محاور أساسية وهي: تاريخ البلدان التقليدية الإسلامية، وتاريخ شمال إفريقية من القرن 12م إلى القرن 16م، وتاريخ المغرب من القرن 19م إلى القرن 20م،³ فراح يُقدّم محاضرات ومدخلات حول المواضيع التالية: بداية الإسلام، حياة الرسول ﷺ، الحروب الصليبية، الدولة الموحدية، الدولة السعدية، الدولة المرينية، الغرب المسلم من القرن 07م إلى القرن 15م، العالم الإسلامي من القرن 11م إلى القرن 20م، الجزائر التركية، فاس، ابن خلدون، المغرب في القرن 20م، شمال إفريقيا المعاصرة، الشعب البربري، البرجوازية في شمال إفريقيا، الأسرة الشّمال إفريقية، مصر والسودان في القرن 19م، العراق، الفن الإسلامي، المدن الإسلامية والتقاؤها بالغرب، الديموغرافيا في الجزائر، الاقتصاد الجزائري، تعليم الفتيات، الثقافة والدين⁴.

وقد اختير للإشراف على محور "العصر الوسيط والأزمة الحديثة" في مؤلّف "خمسة وعشرون سنة من تاريخ الجزائر" الذي نُشر عام 1956م من قبل المجلة الإفريقية بمناسبة ذكرى تأسيسها المئوية، مع كلّ من المؤرّخ وعالم الآثار الفرنسي ليونال بالو Lionel Ballout، بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ، وعالم الآثار جون لاسوس Jean Lassus، لفترة العصور القديمة، وكزافيي يكونو Xavier Yacono، لفترة ما بعد 1830م.⁵ وقد عُرف عن المستشرق روجي لوتورنو أنّه لم يكن من مؤيدي

¹ محمّد علال سي ناصر، مستقبل القرويين وإشعاع الثقافة الإسلامية، يناير 1993، استخرج من الرّابط

<http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/7614> بتاريخ 2019/04/13م، على 11 سا و57د.

² جانيت أبو لغد، المدينة الإسلامية، الميثولوجيا التاريخية، الأصل الاسمي، والمعنى المعاصر، مجلة دراسات الشرق الأوسط، ع19، 1987م، ص. 155-176، استخرج من الرّابط <https://thearchilogue.wordpress.com> بتاريخ 2019/04/13م، على 12 سا و10د.

³ Samir Saul, op, cit, p.340.

⁴ Ibid, p.344.

⁵ فؤاد صوفي، مرجع سابق، 2010م، ص-ص 42-43.

فكرة استقلال دول شمال إفريقيا عن فرنسا، ولم يكن يحلم بجزائر مستقلة بقدر حلمه بجزائر فرنسية إصلاحية،¹ حيث اعتبر أحداث ماي 1945م "تعبيراً عن سخط وحشي ضدّ الفرنسيين" في كتابه "التطور السياسي في شمال إفريقيا"،² الأمر الذي أثار سلباً على نظريته لتاريخ الجزائر في الفترات التي سبقت الفترة الإستعمارية، على أساس اعتبار الفترة الفرنسية من أزهى فترات الجزائر مقارنة بالفترات الأخرى، والتي توجب على الجزائر الاستمرار بالعيش تحت نيرها. وهنا يتغلب النسق السياسي الاستعماري عند هذا المستشرق على النسق العلمي المطالب باحترامه كباحث.

نستشف من خلال سيرته العلمية أنه متخصص في تاريخ مدينة فاس المغربية، وبعيداً عن تاريخ الجزائر، خاصة في العهد العثماني، اللهم إلا في بعض المداخلات مثل "الجزائر التركية"، فهو يميل أكثر إلى العصر الوسيط، وإلى تاريخ فاس في العصر الحديث من خلال مؤلفاته "فاس قبل الحماية، دراسة اقتصادية واجتماعية للمدينة في المغرب الإسلامي"، ومؤلف "الحياة اليومية في فاس في العام 1900م". لكن هذا التخصص لم يشفع له أمام المغالطات التي وقع فيها، إذ أن ملخصه "المدن الإسلامية في شمال إفريقيا"، قد عرف، في أغلبه، تعميمات استمدّها من مدينة فاس كحالة دراسية قام بها من قبل. وهنا نلمح تأثره الكبير بتاريخ تلك المدينة، الأمر الذي جعله يقوم بإسقاط تاريخها على شمال إفريقيا، وهو عمل بعيد كل البعد عن المنهجية العلمية، فلكل مدينة خصوصياتها وتاريخها، ولا يمكن تعميمها على باقي المدن والبلدان، خاصة وأنّ الأوضاع التاريخية في العهد العثماني تختلف تماماً بين الجزائر والمغرب.

وقد وقع مرة ثانية في المغالطة نفسها، حيث أنّ وصفه لمدينة فاس في مؤلف "الحياة اليومية في فاس العام 1900"، ورد كما هو مرة أخرى في مؤلف "فاس في عصر بني مرين" "Fez in the age of the Marinides"، فهل يُعقل أن تُسقط مواصفات فترة تاريخية على فترة أخرى، وكما وردت تماماً؟ إضافة إلى أنّ وصفه لمدن شمال إفريقيا قد حمل تشابهاً مريباً مع الأوصاف الخاصة بمدينة فاس في العام 1900م، وفي العصور الوسطى،³ في ظلّ تعميمات غير منطقية، الأمر الذي جعل جلّ أعماله تحمل مغالطات تاريخية فادحة، فهل يُمكن لمن قدّم مغالطات بهذا الحجم أن يتقاضي الوقوع فيها مرة أخرى؟ وهل يُمكن له أن يتناول مادة أخرى غير متخصص فيها

¹ Samir Saul, op, cit, p.363.

² زبير رشيد، انقضاة ماي 1945 هل كانت من تدبير حزب الشعب الجزائري أم مؤامرة كولونيالية؟، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية، 13، جانفي 2015، ص.100، نقلا عن:

Roger Le Tourneau, L'évolution politique de l'Afrique du nord, A. Colin, Paris, 1962, p.353.

³ جانيت أبو لغد، مرجع سابق، ص، ص.155-176.

مثل مادة "الجزائر" في العهد العثماني دون أن يقع في مغالطات من نوع آخر قد تكون مغلفة بإيديولوجيات نسقيّة سياسية؟

وإذا ما توجّهنا صوب **محتوى نصّ** مادة "الجزائر" في العهد العثماني، سنجد أنّ المؤرّخ جورج إيفير قد استحوذ على النسبة الأكبر من التّأليف، حيث ورد موضوعه مفصّلاً أكثر من مواد المؤلفين الآخرين، فقد وقف عند عدّة مسائل مهمّة عرفها ذلك العهد، فتناول بشكل موجز نوعاً ما: استتجاد الجزائر بالأخوين بربروس، الدّخول تحت حماية الدولة العثمانيّة، الحملة الإسبانيّة على وهران، الوضع في مدينة تلمسان، قسنطينة وتونس، الفتن التي شهدتها ذلك العهد، الضّرائب، القرصنة، الأسواق، والسّياسة التركيّة. بينما توسّع في سرد تاريخ بعض الجزئيّات الأخرى ومنها: الجيش الإنكشاريّ، نظام الحكم، التّقسيم الإداريّ، الأسرى، الحملات على مدينة الجزائر، وصف القصور والمساجد والمباني، نوع السّكان.

أمّا المستشرق مارسال كولومب فقد شرح بشكل مختصر: دخول العثمانيين إلى الجزائر، نظام الحكم، التّقسيم الإداريّ، الضّرائب، سياسة الأتراك، الفتن، القرصنة، والأسرى، وقدم فكرة موجزة عن السّكان، الأمراض، والجزائر ككيان. ويُمكننا اعتبار هذا الموضوع تلخيصاً لما ذكره المستشرق جورج إيفير من قبل، وبشكلٍ مختصرٍ جدّاً، ونُرجّح إمكانية تجاوز تلك المعلومات دون الإخلال بمحتوى مادة "الجزائر" في موجز دائرة المعارف الإسلاميّة.

من جانب آخر، قدّم المستشرق الثالث روجي لوتورنو عرضاً موجزاً لأهمّ الأحداث حول تاريخ جزائر الغرب في العهد العثمانيّ، فذكر بشكل مختصر مسألة دخول الأخوين بربروس إلى الجزائر، وانضمام الجزائر إلى الإمبراطورية العثمانيّة، وأوجز في مسألة القرصنة، بينما توسّع قليلاً في وصف مدينة الجزائر، وعدد ونوع السّكان. والملاحظ هنا أنّه اجتهد في إضافة مسألتين جديدتين وهما النّظام القضائيّ والشّرطة بشكل لم يُذكر آنفاً. من خلال هذا العرض نتبيّن أنّ المستشرق الذي أتى على ذكر أحداث تاريخيّة حول الجزائر في العهد العثمانيّ بشكل موسّع قليلاً هو المؤرّخ جورج إيفير، بينما تمّ تكرار المعلومات عند المستشرقين الآخرين، وبشكل مختصر جدّاً، باستثناء موضوع النّظام القضائيّ والشّرطة الذي كان إضافةً مقتضبةً لم تُذكر من قبل، تناولها المستشرق روجي لوتورنو، بإيجاز طبعاً.

وإذا ولّينا اهتمامنا صوب **المؤلّفات الإسطوغرافيّة** التي اعتمد عليها مؤلّفو نصّ مادة "الجزائر" في موجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشرافية)، سنجد أنّ إجمالها قد وصل إلى

127 مؤلفاً، حيث استعان المؤرخ جورج إيفير بـ96 مؤلفاً، بينما وظّف المستشرق مارسال كولومب 10 مؤلفات، في حين استخدم المستشرق روجي لوتورنو 21 مؤلفاً.

وبخصوص المؤلفات الإسطوغرافية 96 التي استعان بها المستشرق جورج إيفير، نجدها تشمل 12 مؤلفاً متعلقاً بجغرافية الجزائر، و42 مؤلفاً مختصاً في تاريخ الجزائر، بينما حظيت مواضيع العادات والتقاليد والدين ونظم الجزائر على 15 مؤلفاً، بالإضافة إلى ملاحق وفهارس وجرائد بلغ عددها 13، كما استعان أيضاً بـ14 مؤلفاً بغية إعداد الإضافة في الجزء العاشر من موجز دائرة المعارف الإسلامية.

ويمكننا في هذا المقام عرض بعض المؤلفات الإسطوغرافية التي استعان بها المؤرخ في عرض الأحداث التاريخية لجزائر الغرب في العهد العثماني، وهي 42 مؤلفاً كما ذكرنا سابقاً، ضمت بعض المؤلفات العربية المهمة مثل مؤلف "العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" للعالم ابن خلدون، ومؤلف "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، للمؤرخ المغربي المتخصص في العهد المريني ابن أبي زرع (.....-1315م)، ومؤلف "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب"، للمؤرخ الأندلسي المراكشي أبي العباس أحمد بن محمد عذاري (القرن 13م- بعد عام 712هـ)، إضافة إلى مؤلف "تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية" للمؤرخ التونسي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي المعروف بالزركشي (.....-بعد 1526م)، ومؤلف "المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين"، للمؤرخ المغربي محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (1185-1250م)، وكذلك مؤلف "المؤنس في أخبار إفريقية وتونس"، للمؤرخ أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار (.....-نحو 1698م)، ومؤلف "تزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي"، للمؤرخ المغربي محمد الصغير الإفرائي أو الوفراني (1670-1747م)، ومؤلف "الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى"، للمؤرخ المغربي شهاب الدين أبي العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلوي (1835-1879م)، وأخيراً مؤلف "تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، للمؤرخ الجزائري محمد أبي راس بن أحمد بن ناصر الراشدي العسكري.

وهنا نستشف استعانة المؤرخ جورج إيفير بالمؤلفات الإسطوغرافية المغربية أكثر من الجزائرية، رغم أنّ ساحة التاريخ الجزائرية قد شهدت بروز الكثير من المؤلفات المهمة التي ذكرناها سابقاً في مبحث الإسطوغرافيا المحلية في الفصل الثاني، نذكر على سبيل المثال المؤلفات المحلية التالية:

"تحفة المرضية في الدولة البكداشية" للشيخ أبي عبد الله محمد بن ميمون الجزائري، "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية إسبان بوهران من الأعراب كني عامر" للشيخ محمد أبي راس الناصري العسكري، "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" للشيخ الحسن بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف الورثلاني، "نغر الجماني في ابتسام نغر الوهراني" للشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، "رحلة محمد الكبير باي وهران إلى الجنوب الصحراوي الجزائري" للشيخ أحمد بن هطال التلمساني، "المرآة للمؤرخ حمدان بن عثمان خوجة، "تاريخ حاضرة قسنطينة" للحاج أحمد المبارك القسنطيني، "مذكرات الشريف الزهار" للحاج أحمد الشريف الزهار، "تاريخ قسنطينة" لصالح بن محمد العنترى القسنطيني، "فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها" للمؤرخ صالح بن محمد العنترى القسنطيني، "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر" للأغا إسماعيل بن عودة المزارى، "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" للشيخ محمد بن يوسف الزياتي.

حتى وإن فرضنا أن بعض هذه المؤلفات لم تكن في متناول مؤلفي نص مادة "الجزائر" في تلك الفترة لأسباب مختلفة، فإن استعانة المؤرخ جورج إيفير بمؤلف "تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" للمؤرخ الجزائري محمد أبي راس بن أحمد بن ناصر الراشدي العسكري، ينفي تلك الفرضية، ويجعل من احتمال توافر بعض من تلك المؤلفات وليس كلها، احتمالاً وارداً جداً، الأمر الذي كان سيضيف مصداقية أكثر للمعلومات المقدمة حول تاريخ جزائر الغرب في العهد العثماني، علماً أن الفكر السائد في تلك الفترة كان يدور حول فكرة تجاوز كل ما له علاقة بالتاريخ الجزائري والوثائق العثمانية، والاعتماد أكثر على المؤلفات والوثائق الغربية.

وهنا وجدنا استثناءً من قبل المستشرق جورج إيفير الذي وظّف بعضاً من المؤلفات الإسطوغرافية العربية المشهورة، ونعزي ذلك إلى الحاجة إليها، ربما بسبب عدم توافر بعض المعلومات حول تاريخ جزائر الغرب في المؤلفات الإسطوغرافية الأجنبية، الأمر الذي جعل اللجوء إليها أمراً حتمياً وضرورياً. وبالموازاة مع توظيف المؤلفات الإسطوغرافية العربية، استعان المؤرخ جورج إيفير بمؤلفات إسطوغرافية فرنسية، وأخرى إسبانية وإنجليزية لأسماء معروفة على الساحة العلمية مثل المؤرخ الإسباني ديبغو دو هايدو Diego de Haedo (1527-1608م)، والمؤرخ الفرنسي هنري دالماس دو غرامون Henri-Delmas De Grammont (1830-1892م)، الذي كتب عن تاريخ الجزائر

تحت الهيمنة التركية، إضافةً إلى المستشرق الفرنسي المعروف جورج مارسلي، وغيرهم كثير، نذكر منها:

-Sander-Rang et Denis, Fondation de la régence d'Alger, 1837 **-Mercier**, Chronique du beylik d'Oran , 1888 **-Faure Biguet**, Histoire de l'Afrique septentrionale, 1905 **-Rambaud et Lavisse**, La révolution di nord, Masqueray, dans L'histoire générale **-Fournel**, Les berbères, 1875-1888 **-A. Bel**, Les benou Ghaniya, 1903 **-A. Cour**, L'établissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les turs de la régence d'Alger, 1904 **-De Grammont**, Histoire d'Alger sous la domination turque, 1886 **-De Grammont**, Etudes algériennes l'esclavage, la rédemption, dans Revue historique, 1844-1885 **-Haedo, Topografia** , hitoria general de argel, 1612 **-Haedo**, Epitom de los France 1579-1883, 1900 **-de Grammont**, Correspondances des consules de France, la barbarie et de ses corsaire, 1637 **-Walzin Esterhazy**, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, 1830 **-Playfair**, Relation de la Grand -Bretagne avec les états barbaresques, dans la revue africaine **-Gramaye**, Africae illustratae libri decem, 1662 **-E. de la Primaudaie**, Documents sur l'histoire de l'occupation espagnole africaine **-Cat, Mission** bibliographique en Espagne, 1891 **-Ruff**, La domination espagnole à Oran sous le gouvernement de comte d'Alcaudete. **-Masson**, Histoire des établissement du commerce français dans l'Afrique barbaresque, 1903 **-Nettement**, Histoire de la conquête d'Alger, 1879 **-Pélissier de Raynaud**, Annale Algériennes, 1854 **-C. Rousset**, l'Algérie à 1840, 1887 **-C. Rousset**, La conquête de l'Algérie 1830-1860, 1860 **-Rinn**, Histoire de l'insurrection de 1871, 1891 **-Lamartinière et Lacroix**, Documents sur le nord-ouest africain **-Jules Ferry**, Le gouvernement de l'Algérie, 1891 **-Burdeau**, L'Algérie en 1891, 1892 **-Baudicour**, La colonisation de l'Algérie, ses éléments, 1856 **-Baudicour**, l'histoire de la colonisation de l'Algérie, 1860 **-Baudicour**, Enquête sur les résultats de la colonisation officielle de 1871-1895, 1906.

أمّا المؤلفات الإسطوغرافية التي استعان بها المستشرق جورج إيفير في تأليف موضوع "العادات والتقاليد والدين"، فقد اشتملت على 15 مؤلفاً، و13 ما بين فهارس وجرائد باللّغة الفرنسيّة، والملفت للانتباه أنّه استعان بمؤلف للمؤرخ والأديب الجزائريّ محمّد بن أبي شنب (1876-1929م) حول الأمثال العربيّة من الجزائر والمغرب العربيّ، يُمكننا أن نذكر منها على سبيل المثال:

-Villot, Mœurs, coutumes et situation des indigènes de l'Algérie, 1888 **-E.Douté**, L'islam Algérien en 1900, 1900 **-Trumelet**, Les saints de l'islam, 1881 **-Trumelet**, L'Algérie légendaire, 1892 **-Rinn**, Marabouts et Khouans, 1884 **-A. Bernard** 1905-1907 **et N. Lacroix**, L'évolution du nomadisme, 1906 **-Pouyane**, La propriété foncière en Algérie, 1903 **-Larcher**, Traité élémentaire de législation algérienne, 1903 **-Ismaël Hamet**, Les musulmans du nord de l'Afrique, 1906 **-Brunel**, la question indigène en Algérie, 1906 **-Marçais**, L'art en Algérie, 1906 **-Richard**, De la civilisation du peuple arabe, 1850 **-Richard**, Les mystères du peuple arabe, 1860 **-R. L. Playfair**, bibliography of Alegria **-G. Coin**, Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie **-De Mas Latrie**, Traité de paix et de commerce entre Chrétiens et Arabes au moyen Age, 1866 **-Planet**, Correspondances des deys d' Alger avec la Cour de reyes de Argel, la revue africaine, Statistique générale de l'Algérie, 1866-Journal officiel.

واستعان أيضاً بـ14 مؤلفاً باللّغة الفرنسيّة، والإسبانيّة بغية إعداد الإضافة الموجودة في

الجزء العاشر عن تاريخ الجزائر، نذكر منها:

-Haedo, Topografia e hitoria general de Argel, 1612 **-A. Devoux**, Les édifices religieuse d'Alger, Revue Africains **-A. Devoux**, Notes historiques sur les mosquées d'Alger **-A. Devoux**,

Etude aux époques romaine, arabe, turque -Rozet, Voyage dans la régence d'Alger, 1833 -Boutin, Reconnaissances de la ville, des forets et batteries d'Alger, 1839.

الظاهر هنا أنّ المؤرخ جورج إيفير قد استعان بكمّ معتبر من المؤلفات الإسطوغرافية المتنوعة، الأجنبية أكثر من العربية، وحتى في توظيفه للمؤلفات العربية فقد اقتصر على أمّهات الكتب العربية المعروفة، بينما استثنى المؤلفات الإسطوغرافية المحلية إلاّ الندر، وبالتحديد مؤلف "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" للمؤرخ الجزائري محمد أبي راس بن أحمد بن ناصر الراشدي العسكري، ومؤلف المؤرخ محمد بن أبي شنب «Proverbes arabes de» «l'Algérie et du Maghreb»، رغم أنّ هذا الأخير لا يعرض الأحداث التاريخية بشكل مباشر، وإنّما يُمكن أن تُساهم الأمثال في تقديم لمحة عن الأوضاع السائدة، الأمر الذي يُحيلنا إلى سرد تاريخي عن جزائر الغرب في العهد العثمانيّ بوجهة نظر غربية.

وبما أنّ المؤرخ جورج إيفير غير متخصص في تاريخ الجزائر في العهد العثماني بل في اقتصاد إيطاليا، فقد كان لزاماً عليه الاستعانة بالمؤلفات الإسطوغرافية التي تناولت تاريخ الجزائر، وهنا نتبين أنّه قد استعان بأول المؤلفين حول العهد العثماني، وهما بول شارل ليونار أليكساندر الملّقب بسوندر رانج Paul Charles Léonard Alexandre Rang des adrets, dit Sander-Rang (1793-1844م)، وجون فارديناند دنيس Jean-Ferdinand Denis (1798-1890م)، اللذان ألفا عام 1837م، "تأسيس إيالة الجزائر" «Fondation de la régence d'Alger»، وملخصاً تحليلياً لتاريخ الجزائر في ظلّ الاحتلال التركيّ «Précis analytique de l'histoire d'Alger sous l'occupation turque»، عام 1841م للمؤلف بول شارل ليونار أليكساندر لوحده.

كما استعان أيضاً بمؤرخين معروفين أمثال ألبار دوفولوكس Albert devoulex، الذي قام بترجمة "دفتر التّشريفات" عام 1852م، ولكنّه في الوقت نفسه استثنى بعض الإسطوغرافيين الأجانب الذين تناولوا تاريخ جزائر الغرب في العهد العثمانيّ أمثال المؤرخ ألفونس روسو Alphonse Rousseau (1820-1870م) الذي ترجم "التحفة المرضية في الدولة البكداشية" عام 1845م، والمستشرق أوسيب فرانسوا دوسال Eusèbe-François De Salle (1796-1873م)، صاحب مؤلف "غزو الجزائر" «Ali le renard, ou la Conquête d'Alger» عام 1830، إضافةً إلى أعمال المؤرخ بيير جانتي دي بيسي Pierre Genty de Bussy (1793-1867م)، الذي قدّم حوصلةً للمعارف حول الجزائر غداة الاحتلال في جزأين، عام 1835م تحت عنوان "حول استيطان الفرنسيين بإيالة مدينة الجزائر ووسائل الحفاظ على رخائها"، إضافةً إلى مؤلف "الاستكشاف العلمي للجزائر" المقرّر من طرف الوزارة الحربية عام 1837م، والمتكوّن من 31 جزءاً، كُتب ما بين 1844م

و1845م، تناول 16 جزءاً منه العلوم التاريخية والجغرافية، حيث يُعتبر شبكة قراءة لماضي الجزائر.

إضافةً إلى مؤلفات أخرى لم يستعن بها تناولت العهد العثماني مثل مؤلف الجنرال والسين إزتيلازي Estherazy Walsin (1847-1923م) عام 1840م، بعنوان "الهيمنة التركية على إيالة القديمة لمدينة الجزائر"، ومؤلف "الجزائر" «L'Algérie» لرجل السياسة والمؤرخ البارون جون جاك بود Jeans-Jacques Baude (1792-1862م) عام 1841م في جزأين، والذي وصف فيه الأشياء التي رآها، مع التذكير في بعض الأحيان بالشكل الذي كانت عليه قديماً. ورغم أن المؤلفات الأسطوغرافية التي ذكرناها تندرج ضمن المشروع الفرنسي صاحب الجوهر الإيديولوجي النسقي السياسي، إلا أنها ذات فائدة علمية، حيث تناولت أحداثاً تاريخية متعلقة بالعهد العثماني، ولكن المستشرق جورج إيفير لم ينهل منها ولم يُوظفها، رغم أهميتها ورغم علاقتها المباشرة بالمادة التي يؤلفها في الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، مما يدل على أن خلفيته الثقافية حول المؤلفات الأسطوغرافية المتخصصة في تاريخ جزائر الغرب في العهد العثماني كانت مقتضبة، ولا تتعدى المعرفة بالمؤلفات المشهورة.

وإذا ولينا صوب المؤلفات الأسطوغرافية التي استعان بها المستشرق مارسال كولومب في تأليف العنصر الثاني الخاص بتاريخ الجزائر "في العصر التركي"، سنجد أنه استعان بـ10 مؤلفات، من بينها:

-Ch. A. Julien, Histoire de l'Afrique du Nord de la conquête arabe à 1830
-Haedo, Dialogos de la captividad, 1895-1897, 1911 -E. d'Aranda, Relation de la captivité et liberté du sieur Emmanuel d'Aranda, 1656 -L. Rinn, Le Royaume d'Alger sous le dernier dey, 1900 -Vayssette, Histoire de Constantine sous la domination turque -J. Deny, Les registres de solde des Janissaires conservés à la bibliothèque nationale d'Alger, 1920 -J. Deny, Chansons de la Janissaires d'Alger, 1923.

يُمكننا القول أن عدد المؤلفات قليل مقارنةً بالمؤلفات التي وظفها المؤرخ جورج إيفير، والتي بلغت 96 مؤلفاً، كما أن المستشرق مارسال كولومب قد ركّز فقط على المؤلفات الأجنبية، الفرنسية منها والإسبانية، واستثنى منها العربية، ولكنه خلافاً للمؤرخ جورج إيفير، استعان بالمؤلفات الأسطوغرافية التي تطرقت لتاريخ جزائر الغرب في العهد العثماني، والتي تخدم موضوعه بشكل جيد، حيث تناولت تاريخ إفريقيا الشمالية، والجزائر في عهد آخر الداي، وتاريخ قسنطينة تحت الهيمنة التركية.

وبخصوص المؤلفات الإسطوغرافية التي استعان بها المستشرق روجي لوتورنو فقد بلغ عددها 21 مؤلفاً، منها مؤلفات عربية لم يتم ذكر عنوانها، وتم التركيز فقط على أسماء مؤلفيها فقط، من بينهم المؤرخ أبو القاسم محمد بن حوقل لابن حوقل (943-988م)، والرّاجح أنّه استعان بمؤلفه المشهور "صورة الأرض"، والذي يُسمّى أيضاً "المسالك والممالك" عام 977م، إضافةً إلى الجغرافيّ أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكريّ (1030-1094م)، ولربّما قد استعان بمؤلفه "المسالك والممالك"، الذي طبع منه البارون ماك جوكان دي سلان McGuckin De Slane (1801-1879م)، جزءاً باسم "كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" عام 1857م.¹ إضافةً إلى العالم المغربيّ أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسيّ (1100-1166م)، والرّاجح أنّه نهل من مؤلفه المشهور "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ثمّ العالم المغربيّ محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود أبو عبد الله العبدريّ (1250-1300م)، ومن الممكن أنّه استعان بمؤلفه المشهور الذي كان قبلة جلّ المستشرقين، وهو "الرحلة المغربية" التي دوّنها في تلمسان،² وقد استعان المستشرق روجي لوتورنو أيضاً بمؤلفات إسطوغرافية أجنبية، فرنسيّة وإسبانية وإنجليزية، نذكر منها:

-S. Colin, Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie, 1901 -Leo Africanus, Descr, de l'Afrique -Haedo, Topografia e hitoria general de Argel, 1612 -H. de Grammont, Histoire des rois d'Alger, 1880-1881 -P. Dan, Histoire de Barbarie et de ses corsaires, 1637 -Venture de paradis, Alger au XVIII siècle, 1898 -Boutin, Reconnaissances de la ville, des forets et bactéries d'Alger, 1839 -Nettement, Histoire de la conquête d'Alger, 1879 -S. Lane Poole, The Barbary Corsiars, 1890 -A. Devoux, Les édifices religieuse d'Alger, Revue Africains -H. Klein, Feuilles d'El Djezair, 1937 -Lespés, Alger, 1930 -G. Esquer, Les commencements d'un Empire. La prise d'Alger, 1929 -G. Esquer, Alger et sa région, 1949 -Documents Algériens.

الملاحظ هنا أنّ هذه المؤلفات ذات علاقة مباشرة بتاريخ جزائر الغرب في العهد العثمانيّ لمؤرخين معروفين أمثال المؤرخ الإسباني دييغو دو هايدو، هنري دالماس ودو غرامون وغيرهم، الذين تناولوا بالدراسة التاريخ العام للجزائر، وتاريخ ملوك الجزائر، وتاريخ البربر، ومؤلفات أخرى تصف مدينة الجزائر: آثارها، تاريخها ودينها.

نستشف ممّا ذكرناه أنّ الحصّة الأكبر من المؤلفات الإسطوغرافية قد وُظّفت من قبل المؤرخ جورج إيفير، حيث بلغت 96 مؤلفاً، يليه المستشرق روجي لوتورنو بـ21 مؤلفاً، ثمّ مارسال كولومب بـ10 مؤلفات. وقد وُظّف المستشرق جورج إيفير، والمستشرق روجي لوتورنو بعضاً من

¹ أبو عبيد الله البكريّ، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، بتاريخ 2019/04/17م، على 07 سا 02د.

² محمد العبدريّ الحاحي، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، بتاريخ 2019/04/17م، على 07 سا 27د.

المؤلفات العربية المعروفة، بينما اكتفى المستشرق مارسال كولومب بالمؤلفات الأجنبية البحتة. يُمكننا إذاً القول بأن نوع المؤلفات الإسطوغرافية التي وُظفت لغرض التأريخ لجزائر الغرب في العهد العثماني ضمن مشروع الموسوعة الإسلامية (الاستشرافية) المترجمة إلى العربية تحت عنوان "موجز دائرة المعارف الإسلامية" تُعطينا لمحة صادقة عن محتواها وعن الخلفية الثقافية والإيديولوجية المسخرة في إنتاج تلك النصوص الخطابية الموجهة للآخر.

2) سياق مادة "الجزائر" كنص خطابي تاريخي في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية):

على إثر شيوع الموسوعة الإسلامية (الاستشرافية) في العالم الإسلامي، وترجمتها إلى عدة لغات، من بينها اللغة التركية، ونظراً إلى جل محتواها الذي كان يمت بصلة أكبر إلى العلم المؤدلج، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول وما قبله، قرّر وقف الديانة التركي عام 1983م، إصدار موسوعة تعكس الغنى العلمي للعالم الإسلامي، وتُلبي عوز المسلمين إلى المعلومات غير المغلوطة والمبنية على الأسس العلمية والموضوعية بمنهج سليم.

وقد باشر وقف الديانة التركي إصدار الموسوعة الإسلامية باللغة التركية عام 1988م، واستقامت موادها عام 2013م بصدور 44 مجلداً، ثم أُضيف لها عام 2016م مجلداً ملحقان يحتويان على الأعلام والمواضيع والمفاهيم التي لم تُدرج في المجلدات السابقة، ليكتمل ويصل بذلك عدد المجلدات حالياً إلى 46 مجلداً متضمناً 23.200 مادة.

هذا عن الموسوعة بشكل عام، أما عن المادة محط اهتمامنا، فهي تتطرق لتاريخ الجزائر في المجلد السابع من الموسوعة الإسلامية الصادرة عام 1993م، وقد اشترك في تأليف مادة "الجزائر" 05 باحثين متخصصين في مجالات متعدّدة، وهم على التوالي: الأستاذ الدكتور التركي الجغرافي سيرري أرنج، اهتم بتأليف "الفقرة التّقديمية"، وموضوع "الجغرافيا الطبيعيّة والبشريّة"، من الصّفحة 483 إلى الصّفحة 485، يليه الأستاذ الدكتور الجزائري ناصر الدين سعيدوني، المتخصّص في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب العربي، والذي ألف موضوع "تاريخ الجزائر"، خاصّة ما "قبل الإسلام" و"العهد الإسلامي حتى عهد العثمانيين"، من الصّفحة 485 إلى الصّفحة 486. ثم الأستاذ الدكتور كمال قهرمان Kemal Kahraman (1958م)، وهو متخصّص في التاريخ الحديث، ألف موضوع "تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، من الصّفحة 486 إلى الصّفحة 489، وبعده نجد الأستاذ الدكتور التركي داوود دورسن Dursun Davut (1954م)، متخصّص في العلوم السياسيّة والاجتماعيّة والعلاقات السياسيّة في العالم الإسلامي، اهتم بتأليف موضوع "الفقرة

الاستعمارية الفرنسية"، من الصفحة 489 إلى الصفحة 494. وقد أسند للأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني مرة ثانية تأليف موضوع "الحضارة والثقافة الجزائرية" بجميع عناصرها، من الصفحة 494 إلى الصفحة 497. كما أسند أيضاً، وللمرة الثانية، للأستاذ الدكتور دوس داووت موضوع تأسيس "مدينة الجزائر الكبرى" (العاصمة) حتى العصر الحالي، من الصفحة 497 إلى الصفحة 499، وأخيراً اهتم الأستاذ الدكتور الفرنسي جورج موتان، المتخصص في جغرافية العالم العربي، بتأليف موضوع عن "الوضع في الجزائر بعد الاستقلال"، من الصفحة 499 إلى الصفحة 500. وبهذا يكون عدد صفحات مادة "الجزائر" في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) 18 صفحة (ما يُعادل 55 صفحة عادية)، مقابل 134 صفحة في موجز دائرة المعارف (الاستشراقية) (ما يُعادل 268 صفحة عادية، مع العلم أنّ صفحة موجز دائرة المعارف الإسلامية أقل حجماً من صفحة الموسوعة الإسلامية).

نستشف مما ذكرناه أنّ الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) قد غطت عدّة فترات من تاريخ الجزائر، حيث تناولت الجزائر في فترة ما قبل الإسلام، وفي العهد الإسلامي حتى عهد العثمانيين، ثمّ الفترة الاستعمارية الفرنسية، وتناولت أيضاً موضوع الحضارة والثقافة الجزائرية، بعدها قدّمت نبذة عن مدينة الجزائر الكبرى حتى العصر الحالي، إضافةً إلى لمحة عن الوضع في الجزائر بعد الاستقلال. وهنا نلاحظ غنى على مستوى موادّ الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) مقارنةً بالموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، ولاحقاً دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى العربية، إذ ركّزت على أحداث القرن السابع الميلاديّ بظهور المسلمين، وإلى غاية أحداث ما بعد عام 1830م، وبالتحديد إلى غاية عام 1959م، مع إضافات مستجدة في موجز دائرة المعارف الإسلامية، تناولت تاريخ الجزائر إلى غاية عام 1992م.



الصورة رقم 09: نص مادة "الجزائر" في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية).¹

لقد استعرضنا سابقاً مؤلفي الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، حيث حصلنا على نظرة واضحة بخصوص تخصصاتهم وتوجهاتهم التي تتماشى وانشغالات الموسوعة، فوجدنا فيهم العالم في الفقه والوزير في الشؤون الإسلامية وعالم في الرياضيات ومحقق القرآن وعالم الجغرافيا والمتخصص في تاريخ البلدان وغيرهم، الأمر الذي يدل على تضافر جهود نخبة مختصة بغية التأليف العلمي والموضوعي للتاريخ الإسلامي الحقيقي، البعيد عن المغالطات والزيف، حيث عهدت الموسوعة للأستاذ الدكتور التركي الجغرافي سيري أرنج تأليف موضوع يتماشى واختصاصه في مجال الجغرافيا، فكان المسؤول عن موضوع "الجغرافيا الطبيعية والبشرية"، كما عهدت للأستاذ الدكتور الجزائري ناصر الدين سعيدوني موضوع "تاريخ الجزائر"، خاصة أنه جزائري ومختص في التاريخ.

وهنا يتبادر إلى ذهننا سؤال: لماذا لم يتم إسناد موضوع تاريخ جزائر الغرب في العهد العثماني للأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني بما أن أطروحته تناولت هذا العهد؟ سألنا الأستاذ الدكتور أحمد أوزل عن هذا الأمر، فأخبرنا أن الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني كان لا يزال في بدايات مشواره العلمي في تلك الفترة (1990-1991م). ولم يكن يحظ بمثل هذا الصيت العلمي في الدراسات العثمانية، كما أنه لم يكن يُتقن اللغة التركية التي تُساعده في الاستعانة بالإسطوغرافيا التركية، ولا يُتقن أيضاً اللغة العثمانية التي تُحوّل له توظيف الأرشيف العثماني للحصول على حقائق الأحداث التاريخية منها، نُضيف إلى ذلك أن أغلب الباحثين الجزائريين في تلك الفترة كانوا

¹ İslam Ansiklopedisi, op, cit, vol. 07, p.483.

يستعينون أكثر بالمؤلفات الإسطوغرافية الفرنسية الحاملة للبعد الإيديولوجي الضيق، لهذا أُوكلت المهمة إلى دكتور تركي يتمتع بإمكانية استغلال المؤلفات الإسطوغرافية التركية التي وظفت الأرشيف العثماني في تعاملها مع تاريخ جزائر الغرب في العهد العثماني. أُسند إذاً موضوع جزائر الغرب في ذلك العهد إلى الأستاذ الدكتور التركي كمال قهرمان، وهو متخصص في التاريخ الحديث، وأُسند موضوع الفترة الاستعمارية الفرنسية، مع إعطاء لمحة عن مدينة الجزائر الكبرى (العاصمة) إلى الأستاذ الدكتور التركي داوود دورسن، بحكم أنه متخصص في العلوم السياسية والاجتماعية والعلاقات السياسية في العالم الإسلامي، وفي الأخير اختير الأستاذ الدكتور الفرنسي جورج موتان من أجل إعطاء لمحة عن الوضع في الجزائر بعد الاستقلال، على أساس أنه متخصص في جغرافية العالم العربي، وقد درّس في جامعة الجزائر طيلة 10 أعوام (من 1968م إلى غاية عام 1978م)، أي في فترة ما بعد الاستقلال، الأمر الذي يُحوّل له الحديث عن الوضع في تلك الفترة عن طريق الملاحظة بالمعايشة، خاصة وأنه عضو ضمن مجموعة مختصة في الأبحاث والدراسات حول البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط.¹ وهنا نلمح البعد المنطقي الذي ينشد الموضوعية العلمية في توزيع المواضيع على الباحثين أهل الاختصاص.

نعود إلى نصّ مادّة "الجزائر في العهد العثماني"، الذي يُمثّل لبّ موضوعنا، لنجد كما سبق الذكر، أنّ الأستاذ الدكتور التركي كمال قهرمان هو الذي تكفّل بتأليفه، من الصّفحة 486 إلى الصّفحة 489.



الصورة رقم 10: المؤرخ التركي الأستاذ الدكتور كمال قهرمان Kemal Kahraman.²

¹ Georges Mutin, <http://www.bibliomonde.com>, le 17/04/2019, à 20h 41mn.

² أرسلت إلينا الصورة من قبل المؤرخ التركي الأستاذ الدكتور كمال قهرمان بتاريخ 2019/04/15م.

الدكتور التركي كمال قهرمان من مواليد عام 1958م في نازيلي، آيدن، في مقاطعة بحر إيجه بتركيا. رجل مسلم درس بجامعة إيجه وجامعة البوسفور في إسطنبول، تحصّل على ماجستير في التاريخ الحديث من جامعة إسطنبول عام 1988م حول موضوع "النضال الوطني في أعمال كمال طاهر وطارق بوغرا، دراسة مقارنة"، National Struggle at the Works of Kemal Tahir and Tarık Buğra—A Comparative Approach، ودكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة إسطنبول عام 1991م، حول موضوع "مارمادوك ويليام بيكتال وتوركو، العلاقات البريطانية في الحرب العالمية الأولى"، Marmaduke William Pickthall and Turko – British Relations at the World War I. له 03 مؤلفات: "النضال الوطني" "Milli Mücadele"، عام 1992م، و"ضياء باشا (السيرة الذاتية)" «Ziya Paşa (Biyografi)»، عام 2001م، و"قصة مقاومة إفريقيا، عثمان دان فوديو وخليفة سوكوتو"، "Afrika'da Bir Direniş Öyküsü-Osman Dan Fodio ve Sokoto Hilafeti, İlke"، "Yayımları" عام 2018م. ترجم عدّة مواضيع حول "الإسلام وأوروبا" عام 1955م، و"ثقافة التاريخ والحضارة الإسلامية" عام 1988م، وأشعار لبعض الشعراء العرب عام 1982م، منهم الشاعر نزار قبّاني، والشاعر محمود درويش عام 2007م. ألف عدّة مقالات حول مواضيع شتى، من بينها: السلطان عبد المجيد، الفنون التقليدية التركية، قصر دولمة باشا، كما ألف 19 مادة موسوعيّة في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، اشتملت على تاريخ بعض البلدان، وعلى سيرة شخصيات بارزة من علماء ورؤساء البلدان وبعض المستشرقين، وعُني بتأليف موضوع تاريخ "الجزائر في العهد العثماني". عمل أستاذاً في الجامعة، ثمّ مستشاراً في وزارة الطاقة، وفي عام 2005م، شغل منصب نائب مدير قصر دولمة باشا بإسطنبول، ثمّ مديراً للقصر، ونائب رئيس القسم في إدارة القصور الوطنيّة، يُتقن اللغة الإنجليزيّة جيّداً بحكم تعلّمها في لندن.¹ إنّ المتمعّن في الخلفيّة الثقافيّة للأستاذ الدكتور التركي كمال قهرمان يجد أنّه متخصص في التاريخ الحديث، وقد حصل على الدكتوراه عام 1991م، أي أنّه كان يُمثّل النخبة التركيّة في تلك الفترة، الأمر الذي خوّله المشاركة في تأليف موادّ كثيرة في الموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة)، ولكننا في الوقت نفسه نلاحظ تخصّصه في العلاقات البريطانيّة، الأمر الذي قد يضيف على اختيار تاريخ الجزائر بعض التساؤلات، إلّا أنّنا في الوقت نفسه لمحنا اهتمامه بسيرة البشوات، وميولاً نحو إفريقيا من خلال تأليفاته حول مقاومة إفريقيا في موضوع خاصّ. إضافةً إلى أنّ اهتماماته قد توسّعت لتشمل

¹ حوار مع المؤرخ التركي الأستاذ الدكتور كمال قهرمان، عام 2018م.

ترجمة بعض المؤلفات حول الإسلام وأوروبا، وحول التاريخ والحضارة الإسلامية، هذه الأخيرة التي من المفروض أنها أمدته بدعم كبير في تأليفاته اللاحقة.

وإذا توجّهنا صوب **مضمون** نصّ مادّة "الجزائر" في العهد العثمانيّ، سنجد أنّ الأستاذ الدكتور كمال قهرمان Kemal Kahraman، قد تناول بالدراسة عدّة مسائل، وبمنهجية موجّهة، سمحت له بإدغام ودمج أحداث تاريخية متعدّدة في 03 صفحات (حجم الموسوعة، ما يُعادل 09 إلى 10 صفحات عادية)، عُولجت بطريقة مختصرة مشدّدة على الأحداث في عرض منطقيّ غير مكرّر، يُمكننا حصرها في المسائل التّالية: دخول الأخوين بربروس إلى الجزائر، انضمام الجزائر إلى الدّولة العثمانيّة، مسلمو الأندلس، حملة شارلكان على الجزائر عام 1541م، فتح تلمسان، الإنكشاريّة، التّقسيم الإداريّ، نظام وسياسة الحكم، القرصنة، الأسرى، عدد السّكان ولغتهم ومذاهبهم، أسباب دخول فرنسا، وأوضاع الدّولة العثمانيّة.

3. Osmanlı Dönemi. Endülü's'teki müs-lümanlara karşı giriştikleri "yeniden fe-tih'i (reconquista) tamamlayarak bu si-yaseti Kuzey Afrika'ya yaymak isteyen İspanyollar'ın 1505'te Mersâ el-Kebir, 1509'da Vehran (Oran), 1510'da Bicăye ve kısa bir süre sonra da Tilimsân'i ele geçirdikleri sırada Ege ve Akdeniz'de korsanlık faaliyetlerinde bulunan Oruç ve Hızır reislerin Cezayir'e gelip İspanyol-lar'a karşı mücadeleye girişmeleri, Os-manlı nüfuzunun yerleşmesinin ilk adı-mını teşkil eder. Cerbe adasına yerleşen ve Yavuz Sultan Selim'in himayesi altı-na giren Barbaros kardeşler, Cezayir'den gelen bir heyetin İspanyollar'a kar-şı kendilerinden yardım istemesi üle-rine Cezayir şehrini ve onun batısında-ki Şerşel'i (Césarée) ele geçirdiler (1516). Şerşel ve Cezayir sultanı ilân edilen Oruç

 KEMAL KAHRAMAN

الصورة رقم 11: نصّ مادّة "الجزائر" في العهد العثمانيّ من تأليف الأستاذ الدكتور كمال قهرمان.¹

لقد أثار انتباهنا أمر إسناد تأليف موضوع واحد إلى باحث واحد، وعدم إسناده مرّة أخرى لباحث آخر أو أكثر، عكس مادّة "الجزائر" في العهد العثمانيّ في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشرافية) التي أوكلت إلى 03 باحثين فرنسيين بغية تأليفها، الأمر الذي أدّى إلى تكرار فادح في المعلومات، بينما تخصص باحث واحد يضمن عرضاً سلساً بأسلوب واحد وبمنهجية واحدة وبمنطق بحث واحد. تُحيلنا هذه الجزئية إلى الهيئة العلميّة للموسوعة الإسلاميّة التي أدّت دورها

¹ İslam Ansiklopedisi, op, cit, vol. 07, p-p.486-489.

بشكل محوري وجوهري، حيث تابعت تأليف المادة مراجعةً وفحصاً وتدقيقاً وتصحيحاً بغية تقديم عمل علمي وبشكل احترافي، كما رأينا سابقاً. وكان ذلك خلافاً لما رأيناه في موجز دائرة المعارف الإسلامية من تكرار للمعلومات، وعرض يتناسب والإيديولوجيات المتنبئة.

وبخصوص المؤلفات الإسطوغرافية التي استعان بها الأستاذ الدكتور كمال قهرمان في تأليف مادة "الجزائر" في العهد العثماني، فقد لاحظنا أنه وظّف 17 مؤلفاً، ما بين التركي والفرنسي والإنجليزي، لأسماء جُلّها معروفة على الساحة التاريخية، يُمكننا أن نذكر على سبيل المثال:

-E. Planet, Correspondances des deys d'Alger avec la cour de France, 1889.
-A. Samih Iter, Simali Afrika d'a Turkler, 1936. -Usun Carsili, Osmanli Tarihi.
-Karal, Osmanli Tarihi. -Ercument Kuran, Cezayir in fransizlar Tarafindan Isgali Karsisinda Osmali siyaseti 1827-1847, 1957. -Abdurrahman Al-Shayji, Buyuk Sahra 'da Turk-Fransiz Rekabeti 1858-1911. -W. Spencer, Algiers in the age of the Corsairs, 1976. -A. C. Hess, The Forgotten Frontier; A history of the 16 th century Ibero - African frontier, 1978. -J. M. Abun – Nasr, A history of the Maghrib, 1980. -Feridun Emecen, Kanuni devri, 1989. -F. Braudel, Akdeniz ve akdeniz dunyasi, 1989. -Zakiya Zahra et Naima Bouhamchouche, L'arrivee des Ottomans en Algérie, 1999. -G. Yver, Cezayir. -M. Emrite et M. Colombe, Algeria. -Sarafettin Turan, Barbaros Hayereddin Pasa.

عندما تصفّحنا ببليوغرافيا مادة "الجزائر" لأول وهلة أثار انتباهنا ورود اسم المؤرخ الفرنسي جورج إيفير G. Yver, Cezayir، إضافةً إلى المستشرق الفرنسي مارسال كولومب والمستشرق الفرنسي مارسال إميري M. Emrite-M. Colombe, Algeria، حيث استعان المؤرخ التركي بمؤلفاتهم حول تاريخ جزائر الغرب في العهد العثماني، وبالتالي وجدنا أنفسنا أمام عدوى الاستعانة بالمؤلفات الإسطوغرافية الاستشراقية التي طالت مؤرخي تركيا أيضاً. وإذا ما عدنا إلى الغاية من الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، سنجدها تحوم حول ضرورة تدارك الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الاستشراقية، فهل نُصح خطأً بخطأ آخر؟ أم أنّ الأستاذ الدكتور كمال قهرمان قد نهل منها الأحداث التي تتمتع بنسبة كبيرة من الموضوعية وتتوافق مع مادته، والتي اقتصت بها تلك المؤلفات الإسطوغرافية الاستشراقية دون سواها؟ حاولنا التدقيق حول هذا الجزئية، لكن وبسبب عدم كتابة أرقام التهميش أمام كلّ معلومة في نصّ مادة "الجزائر"، لم نتمكن من رصد المعلومات التي استقاها من مؤلفات هؤلاء المستشرقين، إضافةً إلى أنه لا يُمكننا الجزم إن كان قد وظّفها للحصول على المعلومات أم من أجل نقدها وتبيان الجانب المؤدلج فيها، حتى نقوم بالدراسة التحليلية لتلك النصوص الموسوعية، خاصة بعدما علمنا أنه قد قام بتأليف مادة خاصة بنقد الموسوعة الإسلامية الاستشراقية، كما عرضنا ذلك سابقاً. (ينظر الملحق رقم 05 (أ) و(ب)).

لكنّ الأستاذ الدكتور كمال قهرمان قد تدارك مصداقية مادته حول "الجزائر" من خلال توظيف

مؤلفات إسطوغرافية لمؤرخين أتراك يتمتعون بصيت واسع، وبمصداقية كبيرة في التعامل مع الأحداث التاريخية، الأمر الذي سيجعله يُلاحظ الفرق بينها وبين المؤلفات الاستشراقية الأخرى، نذكر على سبيل المثال المؤرخ التركي عزيز سامح إتر A. Samih Iter, Simali Afrika d'a Turkler, 1936، المعروف بتوظيف المصادر العثمانية والغربية والعربية، إضافة إلى الوثائق العثمانية في تأليفاته، والملاحظ هنا أنه استعان بالمؤلف الأصلي باللغة التركية، وليس المؤلف المترجم للدكتور محمود علي عامر.

استعان أيضاً بالمؤرخ التركي أرجمنت قوران Ercument Kuran, Cezayir in Fransizlar Tarafından Isgali Karsisinda Osmali siyaseti 1827-1847, 1957. في مؤلفه "السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر (1827-1847م)"، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه، والمعروف عن المؤرخ أرجمنت قوران أنه يستند في تأليفاته على وثائق الأرشيف العثماني في التاريخ لموقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسي بكل موضوعية. يمكننا أن نذكر أيضاً استعانه بمؤلف المؤرخ التركي عبد الرحمن تشايجي Abdurrahman Al-Shayji, Buyuk Sahra 'da Turk-Fransiz Rekabeti 1858-1911، "الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى (1858-1911م)"، والذي تناول فيه العلاقات التركية الفرنسية ونظام الحكم العثماني في شمال إفريقيا، وقد استند فيه على وثائق الأرشيف العثماني والأرشيف الإيطالي والأوروبي¹. وإلى جانبهم وظّف الأستاذ الدكتور كمال قهرمان مؤلفات أخرى مهمة، نذكر منها مؤلفا لباحثين جزائريين هما زكية زهرة، ونعيمة بوحمشوش، Zakiya Zahra et Naima Bouhamchouche, L'arrivée des Ottomans en Algérie, 1999، حول دخول العثمانيين إلى الجزائر. مع العلم أنهما شاركتا في تأليف مؤلف جدّ مهم بعنوان "الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها" عام 2007م، إلى جانب الباحثة سعيّة سرفين. وتساءلنا بما أن الأستاذ الدكتور كمال قهرمان قد تناول مؤلف الباحثين الجزائريين زكية زهرة، ونعيمة بوحمشوش، فكان من الأفضل أن يتناول أيضاً مؤلفات الباحثة المعروفة في ميدان تاريخ الدولة العثمانية في الجزائر، وفي تاريخ المغرب الحديث، الأستاذة الدكتورة عائشة غطّاس (1955-2011م)، حاملة مشعل المؤرخين الجزائريين المعروفين أمثال المؤرخ مولاي بالحميسي، والمؤرخ أبو القاسم سعد الله، والمؤرخ ناصر الدين سعيدوني وغيرهم.

¹ عبد الرحمن تشايجي، الصراع التركي-الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي أعزاي، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، 1982م، (المؤلف ككل)

لاحظنا أيضاً أنّ الأستاذ الدكتور كمال قهرمان قد وظّف بشكل أكبر المؤلفات الإسطوغرافية المعاصرة التي صدرت في الأعوام 1976م، 1978م، 1980م، 1989م، 1999م. والتي كانت تحمل بين طياتها الأحداث التاريخية بمنهج معاصر، اعتمد في أغلبه على الوثائق العثمانية، إلى جانب اعتماده على مؤلفات إسطوغرافية أخرى ألفت بعد دخول فرنسا إلى الجزائر وقبل الاستقلال في الأعوام 1889م، 1936م، 1957م.

خلاصة الفصل:

يُمكننا أن نركّز على فرق جوهري بين الموسوعتين، والذي نراه غايةً في الأهمية، حيث أنّ موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشرافية) قد عرف تضافر جهود 03 مؤلفين بغية تأليف موضوع واحد حول تاريخ جزائر الغرب في العهد العثماني، رغم أنّ تخصصاتهم متنوّعة، فمنهم المختصّ في التاريخ الاقتصادي لإيطاليا، والثاني مختصّ في تاريخ مصر، والثالث مختصّ في تاريخ مدينة فاس، الأمر الذي يجعل تأريخهم للجزائر بحثاً عاماً وجمعاً للمعلومات، مع توظيف للإيديولوجيات الغربية أكثر منه دراسةً تخصصيةً.

وفي المقابل نجد أنّ الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") قد أوكلت مهمة تأليف مادّة "الجزائر" في العهد العثماني إلى باحث واحد متخصصّ في التاريخ الحديث، الأمر الذي جعله يتفادى التكرار الذي عرفه موجز دائرة المعارف الإسلامية من ناحية الشكل الخارجي، أمّا الاختلاف في المضمون والغايات والإيديولوجيات فسنتناوله بالتّحليل والمقارنة والنقد في الفصل الثالث. كما لاحظنا من خلال عرض مواضيع كلّ من موجز دائرة المعارف والموسوعة الإسلامية، وجود اختلاف قد يؤدي في الأخير إلى تكامل في المعلومات. فموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشرافية) قد ركّز أكثر على مسألة أسباب دخول العثمانيين إلى الجزائر وعلى مسألة الفتن التي حدثت في نهاية ذلك العهد، بينما ركّزت الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، على مسألة أسباب دخول فرنسا إلى الجزائر، وأحجمت عن عرض مسألة الفتن والثورات، وفي الأخير تناولت وضع الدولة العثمانية في تلك الفترة، الأمر الذي يقودنا إلى استنتاج مهمّ، وهو أنّ الأستاذ الدكتور كمال قهرمان قد تعمّد النّطرق إلى المواضيع التي تجنّب المستشرقون الآخرون التّحدّث عنها بحكم اطلاعهم على الموسوعة الإسلامية (الاستشرافية) التي تُرجمت إلى اللغة التركية، وبحكم تأليفه مادّة خاصة بنقد الموسوعة الإسلامية الاستشرافية، كما عرضنا ذلك سابقاً. **(ينظر الملحق رقم 05 (أ) و(ب))**، وهذا الأمر يُحيل إلى توظيف إيديولوجية مضادة، هدفها دحض مزاعم المستشرقين.

الفصل الثالث

التقر الباطن (الإيجابي والسلبي) للنصوص الخطابية التاريخية
ضمن موجز وأثره المعارف الإسلامية (الاستشرافية)
والموسوعة الإسلامية باللغة التركية - وقف الريانة (التركي)
والوثائق العثمانية استشهداً

المبحث الأول: بولكير الثقاف التاريخي الجزائري العثماني وأنساقه (المضمرة ضمن موجز وائرة المعارف الإسلامية (الإستشرقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الريانة التركي)، رصد، تحليل ونقد.

المبحث الثاني: الحملات الأوروبية على جزائر الغرب، وعمليات الفتح العثمانية ضد الأعداء بجمعية قولات ولاية الجزائر ضمن رصد وتحليل ونقد للأنساق المضمرة في التصوص الخطابية لموجز وائرة المعارف الإسلامية (الإستشرقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الريانة التركي) والوثائق العثمانية استشهداوا.

المبحث الثالث: التنظيم الإداري لجزائر الغرب، ضمن رصد وتحليل ونقد للأنساق المضمرة في التصوص الخطابية لموجز وائرة المعارف الإسلامية (الإستشرقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الريانة التركي) والوثائق العثمانية استشهداوا.

المبحث الرابع: مراحل وسياسة الحكم في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني، ضمن رصد وتحليل ونقد للأنساق المضمرة في التصوص الخطابية لموجز وائرة المعارف الإسلامية (الإستشرقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الريانة التركي) والوثائق العثمانية استشهداوا، مع مقترح أطوار جديدة لمراحل الحكم على ضوء النظرية الخلدونية.

المبحث الخامس: النظام العسكري بشقيه ومسألة الأسرى في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني، ضمن رصد وتحليل ونقد للأنساق المضمرة في التصوص الخطابية لموجز وائرة المعارف الإسلامية (الإستشرقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الريانة التركي) والوثائق العثمانية استشهداوا.

تمهيد:

لقد تطرقنا سابقاً إلى عرض مفصل تناولنا فيه المقاربة التي تبينناها بغية رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية التاريخية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي")، وقد اعتمدنا على مقاربة متعدّدة النظريات في إطار التكامل التخصصي المعرفي، حيث وظّفنا النقد التاريخي من خلال عملية التحليل والنقد الخارجي أو نقد التحصيل والنقد الباطن الإيجابي والنقد الباطن السلبي، وأخيراً العملية التركيبية التي تطلبت منا الاستشهاد بالوثائق العثمانية.

كما وظّفنا أيضاً المقاربة التاريخية للخطاب، وهي مقاربة ذات بعد متعدّد التخصصات، وفق إسهام أربعة علوم: التاريخ، الأنثروبولوجيا، السوسولوجيا واللسانيات (تحليل الخطاب)، وهذا بغية رصد المقاصد غير المعلنة أو المضمرة لتلك النصوص الخطابية الموسوعية، الأمر الذي قادنا إلى تبني طرح مبني على التساؤلات التالية:

ما هي بواكير التثاقف التاريخي الجزائري-العثماني؟ وفيما تمثلت مسوغات (موجبات) طلب أهالي الجزائر العصد (الإغاثة) من العثمانيين؟ وكيف كانت فاتحة التثاقف بين الجزائر والدولة العثمانية (الاستغاثة بالأخوين عروج وخير الدين)؟ وكيف استمر ذلك التثاقف بعد انصواء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية؟ وما هو منظور مؤلّفي مادّة "الجزائر" في الموسوعتين حول تأسيس الدولة الجزائرية، وسيادة العثمانيين؟ وكيف كانت الحملات الأوروبية على جزائر الغرب؟ وما هي أحداث حملات الفتح العثمانية بمعيرة قوات جزائر الغرب؟ وكيف كانت أحداث الحملة المهمة التي نالت شهرةً كبيرةً، ونخصّ بالذكر حملة شارل الخامس عام 1541م؟ وما هي حقيقة الجدل الذي دار حول مسألة خيانة البيلرباي المجاهد حسن باشا ومحاولة تسليمه مدينة الجزائر للإسبان؟ وما هي خصوصية التنظيم الإداري لجزائر الغرب في العهد العثماني؟ وكيف تمّ تنظيم أجهزته وموظّفيه؟ وما هي مراحل وسياسة الحكم التي تمّ اعتمادها في جزائر الغرب في تلك الفترة؟ وكيف كان التنظيم العسكري بشقيه، الجندية البحرية (طائفة رياس البحر) والجندية البرية (طائفة الإنكشارية والجيش الموازي)؟ وكيف تمّ التعاطي مع مسألة الأسرى؟

سنحاول إذاً الإجابة عن هذه الأسئلة ضمن رصد ونقد للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً.

المبحث الأول: بواكير التثاقف التاريخيِّ الجزائريِّ-العثمانيِّ وأنساقه المضمرَّة ضمن موجزدائرة المعارف الإسلاميَّة (الاستشراقِيَّة) والموسوعة الإسلاميَّة (باللغة التُّركِيَّة"وقف الديانة التُّركِيَّة") رصد، تحليل ونقد.1) مُسوِّغات (موجبات) طلب أهالي الجزائر الإغاثة من الدَّولة العثمانيَّة (رصد للأنساقالمضمرَّة وتركيب للأحداث التَّاريخِيَّة):

يجدر بنا أن نُشير في المستهلِّ إلى مسائل ذات أهميَّة بالغة متعلِّقة بالتَّوسُّع الإسبانيِّ، وبالأوضاع السَّائدة في تلك الفترة، والتي ساهمت بشكل مباشر في تعزيز ذلك التَّوسُّع، وحال ذلك ما ذكره المؤرِّخ جورج إيفير في موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة (الاستشراقِيَّة) من أن ملوك الكاثالكة قد صمَّموا أن "يُخضعوا لسلطانهم جميع بلاد الشَّاطئ الشماليِّ لإفريقيَّة، وتنبه سگان الجزائر إلى ما يحذق بهم من خطر داهم إثر استيلاء Pedro Navaroo على مدينة وهران سنة 1509م، واحتلال بجاية سنة 1510م، فلما عجزوا عن مقاومة الجيوش المسيحيَّة أعلنوا رغبتهم في التَّسليم، ووعدوا أن يعترفوا بسلطان الملك الكاثوليكيِّ عليهم وأن يؤدِّوا جزيَّة سنويَّة ويطلقوا سراح الأسرى المسيحيِّين وأن يقلعوا عن أعمال القرصنة، ويمنعوا أعداء إسبانيا من الالتجاء إلى مينائهم. ورحل الشَّيخ سالم التَّوميِّ نفسه ومعه جماعة من الأعيان إلى إسبانيا ليُقسموا يمين الطَّاعة ويُقدِّموا الهدايا للملك فرديناند.¹

إذا تأملنا النَّصَّ الخطابيِّ الذي بين أيدينا، وإستناداً إلى نظريَّة النَّقد التَّثقافيِّ للمفكِّر عبد الله الغدَّاميِّ، ونظريَّة الأنساق المتعدِّدة التي يُمثِّلها الباحث إيتيمار إيفان زوهار، وإلى جانبهما نظريَّة تحليل الخطاب للباحثة التَّمساويَّة روث فوداك، مع نظريَّة الأفعال الكلاميَّة للباحث جون أوستين، يُمكننا القول أنَّ التَّسق الفرعيِّ المضمر الذي يحكم خطاب المؤرِّخ جورج إيفير هو نسق التَّقديم الإيجابيِّ للذات الاستشراقِيَّة، ضمن تأكيد للشَّخصيَّة الأنموذجيَّة، وتقديم سَلبيِّ لآخر، ويتَّضح الأمر أكثر من خلال عمليَّة إسنادٍ للأفعال السَّلبيَّة جدًّا إلى الجزائريِّين: "عجزوا، أعلنوا رغبتهم في التَّسليم، يعترفوا بسلطان الملك الكاثوليكيِّ، يؤدِّوا جزيَّة، ويُطلقوا سراح الأسرى، يُقلعوا عن أعمال القرصنة، يُقسموا يمين الطَّاعة"، بينما أسندت الأفعال القويَّة الفاعلة إلى الذات المسيحيَّة: "فرض الإسبان ضربيَّة، واحتلُّوا الجزائر لقمع حركة القرصان"، والمؤكِّد أنَّ الغرض من الاستعانة بتلك الأفعال السَّلبيَّة المنسوبة إلى الجزائريِّين هو عرض وتصوير ضعفهم ووهنهم، واقتصار عيشهم على القرصنة، في مقابل إظهار قوَّة الفعل المسندة إلى المسيحيِّين.

¹ جورج إيفير، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مرجع سابق، ج10، ص.2929.

بينما إذا ولينا صوب مسألة التَّوسُّع الإسباني ودوافعه في شمال إفريقيا، سنجد أن ملوك إسبانيا والبرتغال قد خطَّطوا من أجل الهيمنة على خيرات شمال إفريقيا وإجبار سكَّانها على دفع الضَّرائب لهم بغية تمويل حروبهم الاستدماريَّة.¹ هي دوافع مرتبطة إذاً بالتَّسق العامِّ الاقتصاديِّ الَّذي يتجسَّد من خلال التَّسق الفرعيِّ المتمثِّل في نسق السَّطو على خيراتهما، نُضيف إلى ذلك التَّسق السِّياسيِّ الاستدماريِّ العامِّ، والمتجسِّد في نسق احتلال الموانئ، ونسق تمويل توسَّعاتهم. وقد ساند الفكرة نفسها المؤلِّف **ويليام سبنسر** قائلاً: "لقد امتعض سكَّان مدينة الجزائر من التَّدخُّل الإسبانيِّ في تجارتهم، ففي عام 1511م، فرض الملك فرديناند مرسوم ضريبة إضافية قدرها خمسون بالمائة على مستورداتهم من الصَّوف، وذلك كي يُحمِّلهم تكاليف حملته الإفريقيَّة".² وثمة دافع ثالث يُشكِّل مسألةً مهمَّةً لسكَّان الجزائر، وهو قمع القرصنة، المورد الرَّئيسيِّ للسكَّان، حيث يؤكِّد ذلك المستشرق الفرنسيُّ **روجي لوتورنو** ذاكراً: "وفي سنة 1510م، فرض الإسبان ضريبةً على المدينة، واحتلُّوا الجزائر لقمع حركة القرصان".³

يُحيلنا هذا الفعل إلى مسألة مماثلة تخصَّ الوثيقة الرِّسميَّة التي كانت مخصَّصة لجيش حملة العدوان الفرنسيِّ على الجزائر عام 1830م، الصَّادرة بأمر من وزير الحرب الفرنسيِّ، والمستقاة من تقرير المهندس العسكريِّ والجاسوس الفرنسيِّ **فانسونا يفس بوتان**، الَّذي أرسل من قبل الإمبراطور نابليون بوناپرت إلى الجزائر عام 1808م، بهدف إعداد تقرير يتضمَّن خطَّةً لاحتلال الجزائر، حيث جاء في الوثيقة: "وما الحاجة إلى تخصيص الشكاوى والمظالم التي كانت لنا في المدَّة الأخيرة ضدَّ الجزائر، بينما مجرد وجود الجزائر ذاته مظلمة وشكوى كافية بالنسبة لجميع الأمم المتحضِّرة، ومبرِّر عادل دائم لتخريب هذا الوكر للقرصان وقطاع البحر؟ فمنذ مدَّة والفلسفة والسِّياسة الإنسانيَّة والدين، كلُّ هذا يتطلَّب منا إبادة دولة تُمثِّل جميع مفاهيمها خرقاً دائماً لكلِّ مبدأ أخلاقي، وتُشكِّل مساساً بكلِّ حضارة".⁴ هي إذاً نظريَّات ومزاعم وادِّعاءات ومغالطات واستراتيجيَّات استدماريَّة متشابهة ومتفق عليها، وإن اختلف الزَّمان، فاعتبار الجزائر وكراً للقرصنة مطيَّة خولت لهم إضفاء الشَّرعيَّة على استدمار وإبادة شعبها.

¹ عمَّار بوحوش، التَّاريخ السِّياسيِّ للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص.52.

² ويليام سبنسر، الجزائر في عهد "رياس" البحر، تعريب عبد القادر زيادية، دار القصبه للنشر، 2006م، ص.36.

³ روجي لوتورنو، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مرجع سابق، ج10، ص.2948.

⁴ مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصيَّة الجزائر الدُوليَّة وهيبتها العالميَّة قبل سنة 1830م، ج1، دار الأُمَّة، الجزائر، 2007م، ص-

وهذا شأن النسق الهدام للآخر والبناء للذات المسيحية، والذي يستلزم الترويج والتبرير لتلك الذات، تأكيداً لشرعية الأفعال التي تقوم بها، وبناءً على ذلك تم اللجوء إلى توظيف نسق مهم جداً، وهو نسق الدفاع عن النفس، فالمسيحيون احتلوا تلك المدن الجزائرية بسبب القرصنة ودفاعاً عن أنفسهم، والقرصنة هنا مفهوم أساسي في النصوص الاستشراقية حول جزائر الغرب في العهد العثماني، إذ تُمثّل عاملاً حاسماً في عملية غزو الجزائر، حيث سعى المؤلفون إلى تحويل الهوية القائمة إلى هوية أخرى قرصنية، يتصورها المؤلف في خطابه ويُمرّرها إلى متلقي الخطاب ضمن إيديولوجية اضطهادية تُبرّر مصالح المستدمر تحت قناع الصالح العام الذي يُناسبه، على أساس أنّ أقطاره تمتاز بالرقّي والحضارة، ولا علاقة لها بالدول "البربريسك" كما كانوا يُسمونها، والتي كانت تقعات من القرصنة وقطع الطرق.¹ ولمّا كانت تلك الدول الغربية تعتبر الجزائر شردمة قرصنة تُشكّل عبئاً على الأمم المتحضّرة، فقد خوّل لهم ذلك استدمارها وإبادة شعبها، تحت مطية تخريب وكر القرصنة وقطاع البحر، ضمن نسق الدور المبني على أساس معايير غير متساوية (الدول الغربية المتحضّرة، ودول شمال إفريقيا المتوحّشة)، وهو نسق تضليلي، يسعى إلى إرساء المقارنة المغالطة المهاجمة للآخر، والتي تستلزم إقصاءه، وتُجيز إبادته.

يُودج الواقع إذاً في إطار الرؤية الغربية الاستشراقية للجزائريين، تلك الرؤية الدونية التي قوامها الآخر، الإنسان الجزائري "الأنديجان"، ذلك البليد الذهن الذي لا يعرف لا التفكير ولا التّوقّع ولا الإنتاج، غير قادرٍ على فهم أبسط الأشياء العامة، وغير واعٍ بمآل حالته الاجتماعية، ولا يتطلّع إلى التّقدّم، بيد أنّ عمليات التفكير العقلاني والتّوقّع تُعدّ أشياءً غريبةً بالنسبة إليه، ما عدا العمل الشاقّ، بل إنّه لا يحبّذ إلاّ الانغماس في الخيال المبهم الغريزي، وحتى في هذه الممارسة أحياناً فهو لا يُحسن التّصرّف بشكلٍ إرادي.² ولعلّ خير مثال نسوقه ما ذكره الباحث مبروك بوطقطوقة على لسان الكاتب الفرنسي بول راينال في كتابه «L'expédition d'Alger»، ص.101، واصفاً الجزائر والجزائريين: "لا شيء يُساوي قبح الجزائر، ولا شيء يُضاهيها، الأرض خالّبة ولا تتقصّها إلاّ الحضارة، خاصّة لدى البدو الرّحل الذين يبدون وكأنّهم بشر متوحّش، يقطعون الرّؤوس بشغف كبير... يتفنّنون في تعذيب الأسير، يقطعون يديه، ثمّ أذنيه ويوشمونه بالدم على العنق ثمّ يجتثّون

¹ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطّباعة الشّعبية للجيش، الجزائر، 1972م، ص.07.

² فيليب لوكا وجون كلود فاتان، جزائر الأنثروبولوجيين، ترجمة محمّد يحياتن ويشير بولفراق، منشورات الذّكري الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002، ص.152.

أنفه ولا يقطعون رأسه إلاّ عندما يُقارب لفظ أنفاسه".¹ وهذا ما يدفعنا إلى تأكيد وجود نسق تصوّريّ استشرافيّ يتميّز بالنزعة العنصريّة التي تعتبر الآخر الجزائريّ المتوحّش والجاهل، الذي يقطن العالم المخيف، والمتكاسل الذي يحتاج لمن يقوده دائماً، كما رأينا ذلك سابقاً في الفصل الأوّل، ولا نُغالي إذا أشرنا في هذا المقام إلى نسق إعادة الصياغة المتمثّلة في إستراتيجية قلب الجاني ضحيةً، والقصد منها اعتبار المسيحيين ضحايا للقرصنة، ضمن تصوّر يستصيغه الغرب، لما يمتلكه من قوة تؤدّي وتُشرعن استدماره للأخر.

هذا فيما يتعلّق بالنصوص الاستشرافية في موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، أمّا نصوص الموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة)² فقد تناولت هي الأخرى مسألة التوسّع الإسبانيّ، حيث تطرّق المؤرّخ التركيّ الدكتور كمال قهرمان إلى مسألة مهمّة، لم يُعرها المؤلّفون السابق ذكرهم أهميّة، وهي الأندلس. بل قد نذهب إلى اعتبارهم قد تفادوا الإشارة إليها وأهملوها عمداً لما لها من مكانة عالية وعالية في نفوس المسلمين، أو ليس هذا السلوك دليل على استحسان المؤلّفين لتقديم الأحداث التاريخيّة ذات الميولات التي تصب في المنفعة العامّة للغرب؟

وهنا يُمكننا أن نستشعر كرهاً للأمة الإسلاميّة من خلال تفادي الحديث عن علاقة التوسّع الإسبانيّ بسقوط بلاد الأندلس ضمن إستراتيجية مُجانبة الحياض. والحق أنّ المؤرّخ التركيّ لم يحذ حذوهم بل أشار، ولو باقتضاب، إلى أنّه: "في إطار عملية استرداد الأندلس من المسلمين، عمل الإسبان على التوسّع والانتشار في شمال إفريقيّة، ففي سنة 1505م تمّ احتلال المرسى الكبير، وفي سنة 1509م احتلّت وهران، وفي سنة 1510م احتلّت بجاية، وبعد مدّة قصيرة وصلوا إلى تلمسان (1517م)".³ وإذا دققنا في النصّ الخطابيّ للمؤرّخ التركيّ سنجد أنّه لم يأت متقلّلاً بالأنساق المضمّرة، بقدر تضمّنه السرد التاريخيّ للأحداث، ومع ذلك نجد أن النسق المضمّر الغالب فيه هو نسق استيعاب وإدماج مسلمي الأندلس مع شمال إفريقيا، ضمن سيناريو متجانس، مع تأكيد نسق الاستعماريّة للاستعمار الإسبانيّ للمدن الجزائريّة ضمن زمن محدّد من 1505م إلى 1517م.

ونُبادر هنا في إطار العملية التركيبيّة للأحداث التاريخيّة إلى الاستشهاد بما أشار إليه المؤرّخ محمد الميليّ الجزائريّ حول تلك العلاقة مبيناً أنّه قد "كان لسقوط غرناطة في يد الإسبان

¹ مبروك بوطقطوقة، عرض كتاب جزائر الأونثروبولوجيين، رابط سابق، استخرج بتاريخ 20/12/2017م، على 18 سا و42.

² تمت ترجمة نصوص الموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة) من قبل الباحث الجزائريّ في التاريخ العثماني خضر عبد الرزاق، جامعة إسطنبول، 2017م.

³ Kemal Kahraman, İslam Ansiklopedisi, op, cit, vol. 07, p.486.

عام 1492م بدء مرحلة جديدة في التوسع الاستعماري الإسباني، حيث سعى الكاردينال الإسباني كسيمانس، المشهور بتعصبه الديني ضد المسلمين على نقل الحرب إلى المغرب العربي ضد المسلمين... فهاجم المرسى الكبير عام 1505م ووهران عام 1509م، وكانت لديهم الرغبة في الاستيلاء على مملكة تلمسان، بجاية وعنابة.¹ وسانده الرأي المؤلف ويليام سبنسر مبيّن أن "هجرة الموريسكيين وفرت سبباً لتدخل الإسباني، ولقد اشتدت المخاوف في إسبانيا من هجوم المسلمين المضاد إثر ثورة المسلمين القصيرة في الجبال المحيطة بغرناطة عام 1501م".² ويؤيد الفكرة أيضاً المؤرخ أحمد توفيق المدني، مشيراً إلى أن مساهمة العثمانيين (عروج ريس وخير الدين باشا) في إنقاذ مسلمي الأندلس قد أدت إلى أن يوجه "الإسبنيول أنظارهم الدنسة إلى هذه البلاد، فجعلوا احتلالها نصب أعينهم، وكان احتلالهم لوهران وبجاية وتونس... مثلاً من أفضح وأبشع مثل التاريخ، وارتكبوا من المذابح والنهب وانتهاك الحرمات ما يعجز عن وصفه القلم ويخجل من ذكره الفم".³

لقد اتفق الجميع على جزئية أن إنقاذ مسلمي الأندلس قد ساهم بشكل، ولو غير مباشر، في توجيه أنظار الغرب نحو شمال إفريقيا، خاصة إسبانيا، ونحن نعتبرها مطية مثل مسألة القرصنة وحادثة المروحة بغية احتلال الجزائر، والحقيقة أن الأسباب موهلة ذات علاقة بالنسق الديني والسياسي السلطوي، وقد ذكرناها في الفصول السابقة. كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نُشير إلى حال بلاد الجزائر قبيل الاحتلال الإسباني، حيث أدى ضعف الدولة الزيانية إلى انفلاقها إلى إمارات صغيرة شبه مستقلة، متنازعة فيما بينها، في منطقة القبائل والداوودة والزّاب (بسكرة) والحضنة (المسيلة) وبني جلاب في توقرت، الأمر الذي أدى إلى بروز زعامات محلية مُسيّرة من قبل القبائل والعروش الكبيرة.⁴ فضلاً عن تكوين شبه جمهوريات بحرية في شواطئ البحر المتوسط، مثل بجاية وجزائر بني مزغنة وشرشال ووهران وغيرها.⁵ وقد شهدت تلك الإمارات صراعات دائمة، خارجية وداخلية، شغلت زعماءها في محاولة منهم لإحباط المؤامرات والفتن.⁶

¹ محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، الجزائر، 1965م، ص.117.

² ويليام سبنسر، مصدر سابق ص.34.

³ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص.32.

⁴ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، ديوان المطبوعات البيّاتة، الجزائر، 2009م، ص.23.

⁵ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص.12.

⁶ عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص.12.

ولتوضيح الرؤية أكثر نستعين بوصف حال المنطقة من قبل الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي في مؤلفه "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، والذي ذكر أنه "قد كان لهذه الأمة من الأنفة والمنعة ما كان يمنعهم من الانقياد إلى الملوك، والرّضا باستدامة الدّول، والدّخول تحت جناح الدّلّ، فكانوا لا يُقرّون لملوّكهم على قرار ولا يزالون يثورون على حكامهم في سائر الأمصار والأقطار... ولا تتمّ قوّة سلطان إلّا والثورة تُبشّره بضعفه، حتى... هرمت دولهم واستولى الخراب على مدنهم وقراهم، وهلكت حاميتهم، فكم من قاعدة لهم أمست مقعدة... ولما خمدت نارهم وبادت ملوكهم وثوراتهم وهلك السلف وضعف الخلف، طمحت إلى بلدهم نفوس الكفرة المتغلبين على عدوة الأندلس، فانتهزوا إلى وهران فانتزعوها... وضربوا الضرائب" على أهلها.¹

لقد جسّرت وشجّعت تلك الأوضاع المتدهورة الإسبان للقيام بغزو المنطقة، ففي الثالث من مايو 1493م، أي بأقلّ من ثلاثة أسابيع بعد رجوع كريستوفر كولومبس Christopher Columbus (1451-1506م) من رحلته التي اكتشف فيها أمريكا، وبعد سنة فقط من سقوط غرناطة وتسليم أبو عبد الله محمد الثاني عشر (1460-1532م)، آخر ملوك الأندلس، مفتاحها إلى فرناندو الثاني الكاثوليكيّ Fernando II (1452-1516م) وزوجته إيزابيلا الأولى Isabella I، خوّل البابا "إسكندر السادس" Alexander VI (1431-1503م) إسبانيا حقّ ملكيّة الأراضي المكتشفة،² ومنحها براءةً يسمح لها فيها بالتوسّع في إفريقيا،³ وبعد يوم رجوع وعدّل من نصّ الوثيقة وأشرك البرتغال في هذه الملكيّة، فاعتُبرت آنذاك قسمة منطقيّة يُمكنها أن تضمّ أيضاً وبالضرورة مناطق أخرى. وتمّ الاتفاق على ذلك في معاهدة تورديسيلاس Tordesillas يوم 07 نوفمبر 1494م، وباركها البابا يوليوس الثاني Julius II (1443-1513م) يوم 24 يناير 1506م. وبعد ثلاث سنوات من تاريخ تلك المعاهدة، أي عام 1497م، احتلت إسبانيا سبتة ومليلية في المغرب،⁴ ثمّ قرّرت الملكة إيزابيلا غزو مدينة تلمسان، حيث جنّدت جيشاً قوامه 12.000 جنديّ، لكنّ موتها عام 1504م حال دون تنفيذ

¹ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشديّ، الثغر الجمانيّ في ابتسام الثغر الوهرانيّ، ط1، تحقيق وتقديم الشيخ المهديّ البوعبدلي، عام المعرفة للنشر والتوزيع، 2013م، ص.456.

² مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص.57.

³ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.15.

⁴ مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص.57.

العملية مؤقتاً، لكنّها لم تتوان في كتابة وصية توصي فيها بأنّه "لا ينبغي إيقاف غزو إفريقيا ولا إنهاء الصّراع ضدّ الكفّار (أي المسلمين) من أجل العقيدة"¹.

وهكذا احتلّت إسبانيا المرسي الكبير عام 1505م، ثمّ وهران وأرزيو عام 1509م، وفي عام 1510م، تمّ احتلال مستغانم وتنس ودلس وشرشال والعاصمة وبجاية طوال السّاحل حتّى تونس، كما لم تُستثنَ طرابلس من ذلك الاحتلال الإسباني. في حين احتلّت البرتغال، قبل تاريخ المعاهدة، مدينة طنجة المغربيّة عام 1468م، ومدينة أنفا (الدار البيضاء حالياً) عام 1471م، ومدينتي آسفي وأغادير عام 1507م، وأزمور عام 1513م.² بل وقد باركت الكنيسة تلك الغزوات، حيث قدّمت مساعدات قيّمة من خلال بيع ذخائرها وكنوزها الثمينة.³

والواضح هنا أنّ الجمل التّالية: "منحها براءة يسمح لها فيها بالتّوسّع في إفريقيا)، (الصّراع ضدّ الكفّار؛ أي المسلمين، من أجل العقيدة"، دالّة على العلاقة الوثيقة بين التّسق الدّينيّ والتّسق السّياسي الاستدماريّ. من هذا المنطلق يُمكننا القول أنّ تلك الطّروف الصّعبة التي مرّت بها المنطقة، بداية القرن 16م، قد شكّلت مسوّغات أدّت إلى طلب الإغاثة من الأخوين عروج وخير الدّين بربروس لإنقاذ البلاد والعباد من الاحتلال والتّصير، وسوف نتناول حيثيات هذه المسألة وأنساقها المضمرة باستفاضة في الجزء الموالي.

(2) فاتحة التّثاقف بين الجزائر والدولة العثمانية (الاستغاثة بالأخوين عروج وخير الدّين):

(أ) رصد الأنساق المضمرة في النّصوص الخطابيّة ضمن الموسوعتين:

تعرّست الأوضاع بأهالي الجزائر جزاء الاحتلال الإسبانيّ الذي تمخّض عنه استغلال للموانئ، وابتغاء للضّريبة، وحظر لممارسة الجهاد البحريّ (اللّصويّة بالمفهوم الاستشراقيّ). الأمر الذي جعل الأهالي يلتمسون المساعدة من الأخوين عروج وخير الدّين مُتطيراً الشّهرة وذائعا الصّيت. ويُزكّي قولنا ما ذكره الشّيخ أحمد بن محمّد بن علي بن سحنون الرّاشديّ عنهما، مبيناً أنّهما كانا "مشتغلان بجهاد الكفرة في البحر، ونقل المسلمين من جبال عدوة الأندلس إلى هذه

¹ مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص. 57.

² المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

³ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 15.

العدوة، ولهم في ذلك أخبار مأثورة ومفاخر مشهورة... سيرتهم تحيّر الألباب، وتوقف العقول على التّعجب من أمرها العجائب، ولما شاعت أخبارهم وحُمدت في تلك النّاحية آثارهم، طمحت لهم الآمال.¹

واستناداً إلى ما تقدّم، يُمكننا القول أنّ أصرة (رابطة) الجزائريين بالعثمانيين لم تكن وليدة اللّحظة التي طلب فيها الأهالي المساعدة من الأخوين عروج وخير الدّين، أي عام 1512م، بل امتدّت إلى ما قبل ذلك، وبالضّبط في فترة إغاثة العثمانيين لأهالي الأندلس وإحضارهم إلى الجزائر، ويؤيّد رأينا المؤرّخ أبو القاسم سعد الله الذي ردّ تلك الأصرة إلى أواخر القرن التّاسع الهجريّ، أي بعد سقوط غرناطة عام 897هـ/1492م، أين كان أهالي المدن السّاحليّة الجزائريّة، خاصّة رجال الدّين، يتداولون مع العثمانيين مسألة محاربة العدوّ المشترك.²

وتبادر هنا إلى إيضاح مسألة طلب الإغاثة من الأخوين بربروس في الإسطوغرافيا الاستشراقية، وبالأخصّ في موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، لتتوقف عند المؤرّخ جورج إيفير الذي ركّز في سرده للأحداث على طلب وفد أمير مدينة الجزائر سالم التّوميّ، ذاكراً: "ولما ضاقت سبل العيش بأهل الجزائر بعد القضاء على قرصنتهم لم يطبقوا صبراً على هذه الأحوال، وحاولوا الخلاص من نير الإسبان، فطلبوا من سالم التّوميّ أن يُرسل وفداً إلى القرصان التّركيّ عروج الذي كان يُسيطر على جيجل منذ عام 1513م، يلتمسون منه العون، فلما جاء إلى مدينة الجزائر استقبله أهلها استقبال المنقذ."³ وسانده الرّأي المستشرق مارسال كولومب قائلاً: "في سنة 1516م، استنجد سكّان الجزائر بعروج فنادى بنفسه سلطاناً واحتلّ مليانة ومدية وتنس وتلمسان."⁴ وكرّر المستشرق روجي لوتورنو الحادثة بتفصيل أكثر، معتمداً على التّواريخ على النّحو التّالي: "استنجدوا بالقرصان التّركيّ عروج الذي كان آنذاك يحكم جيجل، ولم ينجح في طرد الإسبان، ولكنّه استولى هو نفسه على المدينة واتّخذها القاعدة الأولى لعملياته. وحاول الإسبان استعادة مدينة الجزائر سنة 1516م و1519م ولكنهم باءوا بالخيبة في المرّتين. ولما توفّي عروج سنة 1518م، تولّى أخوه خير الدّين السّلطة ولكنّه لم يستطع أن يُحافظ على السّيطة على مدينة الجزائر، وارتدّ إلى جيجل من سنة 1520 إلى 1525م، وهناك استنجدت به الجزائر مرّة أخرى سنة 1525م، وفي

¹ أحمد بن محمّد بن علي بن سحنون الرّاشدي، مصدر سابق، ص-ص. 457-458.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر التّقافي، تاريخ الجزائر التّقافي، ج1، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص-ص. 137-138.

³ جورج إيفير، مرجع سابق، ج10، ص. 2929.

⁴ المرجع نفسه، ج9، ص. 2873.

27 مايو سنة 1529م، نجح خير الدين في الاستيلاء على قلعة Penon، وهُدِّمت واستُخدمت الأنقاض في إنشاء سدّ.¹

ما يتبادر إلى ذهننا الآن هو اعتماد المستشرق روجي لوتورنو على اختصار الأحداث المتعلِّقة بمسألة الاستتجاد وإضافة أحداث أخرى تلت دخول الأخوين إلى مدينة الجزائر في فترة مركّزة جدًّا، ومع ذلك، وأثناء محاولتنا رصد الأنساق المضمرّة والأمانة العلميّة، استشعرنا بدايةً وجود سرد تاريخيٍّ للأحداث فقط، لكنّه كان يحمل بين طيّاته نسقاً مضمرّاً حاجياً يُبرّر من خلاله مشروعيةً معيَّنةً، وينال من مشروعيةٍ أخرى، حيث نجد الألفاظ التّالية: "يُسيطر، استولى، الاستيلاء"، والتي تدلّ على أنّ مدينة الجزائر قد استتجت بشخص عرّوج فاحتلّها. وهنا وظّف السّر كمقدّمة ذات اعتبارات قيمية تسوغ فعلاً معيَّناً كالاحتلال والاستيلاء. وعلاوةً على ذلك نستشفّ أنّ رؤية المؤلِّفين الثّلاثة قد توحدت في خطابهم حول وصف المجاهد عرّوج ريس بـ"القرصان التّركيِّ عرّوج"، أي الخارج عن القانون، والذي يسعى إلى تحصيل مصالحه ومآربه الشّخصية.

وشبيهه باختصار الأحداث من قبل المؤلِّف روجي لوتورنو ما ورد في الموسوعة الإسلاميّة (باللغة التّركية)، إذ نجد أنّ المؤرّخ التّركيِّ الدّكتور كمال قهرمان قد حدا حدوه، مركّزاً على أنّ "عرّوج والخضر كانا يجوبان بحر إيجه والبحر الأبيض المتوسّط، حيث قدّما وعملا على محاربة الإسبان من أجل وضع الخطوة الأولى للوجود العثمانيّ هناك. انتقل الإخوة بربروس من قلعة جربة التي كانوا بها تحت حماية السّلطان العثماني سليم الأول، إلى مدينة الجزائر وغربها (شرشال) بطلب من أهاليها لمحاربة الإسبان. وفي سنة 1518م سقط أروج (عرّوج) شهيداً، فخلفه الرّيس خضر الذي حاول بدوره الحصول على الدّعم العثمانيّ."² وهنا يؤكّد المؤرّخ التّركيِّ على أنّ عرّوج ريس وخضر ريس قد عملا على محاربة الإسبان بغية تثبيت الحكم العثمانيّ فقط "من أجل وضع الخطوة الأولى للوجود العثمانيّ هناك"، على أساس أنّهما كانا تحت حماية السّلطان سليم الأول (1512-1520م).

أثارت انتباهنا هذه المسألة واستوقفنا للحظة: كيف يعمل الأخوان على تثبيت الحكم العثمانيّ، وقد قدّما إلى الجزائر بطلب من أهلها ودون نيّة مسبقة؟ الحقيقة أنّنا لم نجد ما يُزكّي وجهة نظر المؤرّخ التّركيِّ، بل إنّ المنظور الاستشراقيّ يُخالفه الرّأي تماماً، حيث ذكر المستشرق مارسال كولومب في موجز دائرة المعارف الإسلاميّة حول هذه المسألة ما يلي: "لم يكن استقرار الأتراك في الجزائر نتيجة سياسة في الفتح مدبّرة خُطّطت ونُقّدت على يد العثمانيين بل إنّ الأمر على العكس

¹ جورج إيفير، المرجع السّابق، ج10، ص.2948.

² Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.486.

من ذلك، على الأقلِّ في بدايته، فقد كان مغامرةً خاصَّةً قام بها قرصانان مقدامان عُرفا في المصادر الغربيَّة بالأخوين بربروسه عرّوج وخير الدّين.¹

نُضيف إليه قول المجاهد خير الدّين باشا في مذكراته: "خرجت أنا وأخي في عشرة مراكب، كان مقصدنا الذهاب إلى مضيق سبته... على أن نمرّ من هناك إلى الأندلس لنقوم بإنقاذ من نقدر عليه من إخواننا في الدّين، وفي هذه الأثناء وصل وفد من مدينة بجاية الجزائريَّة حاملاً رسالة جاء فيها: "إن كان ثمة مغيب فليكن منكم أيّها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصّلاة ولا تعليم أطفالنا القرآن الكريم، لِمَا نلقاه من ظلم الإسبان، فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم، جعلكم الله سبيلاً لخلّصنا بتسليمه إيانا إياكم، فتنفّضوا بتشريف بلدنا وعجّلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفّار."² وقوله أيضاً: "عندما كنتُ مع أخي في مدينة جيجل وصلت وفود عديدة من المدن الجزائريَّة... كان أهالي الجزائر يشكون من ظلم الإسبان، ويرجون تدخلنا لإنقاذهم..."³

قد يكون رأي المؤرّخ التّركيِّ مبنياً على نيّته في إثبات قوّة الدّولة العثمانيَّة ونفوذها، الأمر الذي يجرّنا إلى تأمل النّص الخطابيِّ جيّداً بغية رصد المضمّر فيه وتبيّن الأمور، وبناءً عليه رصدنا نسق التّلطيف، أين اعتمد فيه المؤرّخ التّركيِّ على إستراتيجيَّة، استخدم من خلالها مفردات دالّة على التّلطيف، عكس التّهويل مثل: "يجوبان بحر إيجة والبحر الأبيض المتوسّط، بطلب من أهاليها"، وعندما نقف عند العبارة: "بطلب من أهاليها"، ثمّ "حيث قدماً وعملاً على محاربة الإسبان من أجل وضع الخطوة الأولى للوجود العثماني"، نجد التّناقض واضحاً، فالمؤرّخ يعلم جيّداً أنّ الطّلب قُدّم من الأهالي، وهنا تتأكّد لدينا نظرتة التّلطيفيَّة التي يسعى من ورائها إلى تمرير فكرة وتشكيل انطباع عن استماتة الأخوين في خدمة الدّولة العثمانيَّة، ولكنها غير مؤسّسة وغير مبنية على حجج أو دلائل تُثبتها.

نترك هذه المسألة لننتقل إلى نسق آخر رصدناه في النّص ثمّ نعود إليها في العمليَّة التّركيبيَّة. يتمثّل المضمّر إذاً في نسق الإسناد الخاصّ بالصفات أو الأفعال التي أسندت للشّخصيَّة البطوليَّة المجاهد عرّوج ريس، فالصفة البارزة في النّص هي صفة الشّهاد: "سقط أروج (عرّوج) شهيداً"، وهي صفة ذات دلالة دينيَّة إسلاميَّة، وفي هذا رفع لمرتبة عرّوج ريس عند المسلمين، من شخصيَّة عروج المجاهد في سبيل الله إلى المستشهد، خلافاً لصفة القرصان التي

¹ مارسال كولومب، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، مرجع سابق، ج9، ص.2873.

² خير الدّين بربروس، مذكرات خير الدّين بربروس، ترجمة محمّد دراج، شركة الأصالة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 2010م، ص.66.

³ المصدر نفسه، ص.74.

أطلقها عليه المؤلّفون الفرنسيّون، فيما ثمة أفعال أسندت لشخصيّة عرّوج وخير الدّين -خضر- أهمّها التّوطيد للفترة العثمانيّة في الجزائر، "حيث قدماً وعملاً على محاربة الإسبان من أجل وضع الخطوة الأولى للوجود العثماني".

وعلاوةً على تلك الأنساق المضمرّة يُمكننا رصد نسق المسؤوليّة التي تحمّلها الأخوان، فيما أنّهما يدينان بالإسلام فإنّه من واجبهما الدّفاع عن حوزة المسلمين وبيضتهم، وهذا ما قاما به فعلاً، الأمر الذي جعل أهالي الجزائر يلتقون حولهما ويطلبون بقاء المجاهد عرّوج ريس لتولّي الحكم إلى غاية استشهاده -بغضّ النّظر عن المؤامرات التي أُحيكت ضده-: "انتقل الإخوة بربروس من قلعة جربة التي كانوا بها تحت حماية السلطان العثمانيّ سليم الأوّل، إلى مدينة الجزائر وغربها (شرشال) بطلب من أهاليها لمحاربة الإسبان. وفي سنة 1518م، سقط أروّج (عرّوج) شهيداً"، نُضيف أيضاً نسق التّسمية ذو الطّابع الإيجابي، والذي عُني بشخصيّة بطوليّة، هي المجاهد عرّوج ريس، إذ خصّه المؤرّخ التركيّ بصفة الرّيس لما لها من دلالة قويّة.

وتجدد بنا في هذا المقام الإشارة إلى أنّ النّصوص الخطابية السّابقة في الموسوعتين قد ركّزت على مدينة الجزائر وأهملت الإشارة إلى بقية المدن، خاصّة مدينة بجاية وجيجل وغيرها، وما ذُكرت مدينة جيجل من قبل المؤرّخ جورج إيغير والمستشرق روجي لوتورنو إلاّ على أساس أنّها مدينة سيطر عليها عرّوج ريس وخير الدّين ريس، حيث كانا يرتدّان إليها عند الشّعور بالخطر والانهازم: "القرصان التركيّ عرّوج الذي كان يُسيطر على جيجل منذ عام 1513م"، "القرصان التركيّ عرّوج الذي كان آنذاك يحكم جيجل"، "وارتدّ إلى جيجل من سنة 1520م إلى 1525م"، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى افتراض احتمالين: الاحتمال الأوّل يُحيلنا إلى فكرة تعمّدهم عدم الإشارة إلى المدن الجزائريّة الأخرى التي طلبت الإغاثة من الأخوين لما عرفته من أحداث بطوليّة بزعامتهما، خاصّة في مدينة بجاية. لكنّ الغريب في الأمر عدم استغلال هذه المسألة من قبل المؤرّخ التركيّ لما لها من أهميّة في تاريخ جزائر الغرب في العهد العثمانيّ. أمّا الاحتمال الثّاني فيتعلّق بجهل المؤلّفين الفرنسيّين بتاريخ الجزائر في العهد العثمانيّ، بحكم أنّ المؤرّخ جورج إيغير كان مختصّاً في التّاريخ الاقتصاديّ لإيطاليا ومهتماً بتاريخ الجزائر في الفترة الاستعماريّة، بينما كان المستشرق روجي لوتورنو مختصّاً في تاريخ مصر، في حين اهتم المستشرق مارسال كولومب بتاريخ فاس، وقد ذكرنا سابقاً أنّه لم يكن من مؤيّدَي استقلال الجزائر عن فرنسا، الأمر الذي يُفسّر عدم اهتمامه بعرض التّاريخ البطوليّ للأخوين.

ولعلّ الاحتمال الأوّل هو الأرجح على أساس أنّ المؤلّفين قد اعتمدوا على مصادر مهمّة جدّاً في تأليفهم لمادّة الجزائر، بحيث لا يُمكنها إغفال مثل تلك الأحداث، مثلما بيّنا ذلك سابقاً في النّقد الخارجي. وهذا الفعل، أي تعمّد إخفاء الأحداث البطوليّة للأخوين عرّوج وخير الدّين في بجاية، لدليل على مجانية الحياد في عرض الأحداث التّاريخيّة.

ونُبادر الآن إلى الوقوف عند نقطة مهمّة تتعلّق بالدقّة في عرض تاريخ الأحداث، تلك الدقّة التي تميّز بها المستشرق روجي لوتورنو، إذ وعلى عكس المؤلّفين الآخرين، عرض الأحداث موجزةً ولكنّه ركّز على ذكر التّواريخ بدقّة: "حاول الإسبان استعادة مدينة الجزائر سنة 1516م و1519م -ثوْفِي عرّوج سنة 1518م- وارتدّ إلى جيجل من سنة 1520م إلى 1525م -استنجدت به الجزائر مرّة أخرى سنة 1525م -في 27 مايو سنة 1529م، نجح خير الدّين في الاستيلاء على قلعة Penon، في حين نجد أنّ المؤرّخ التّركيّ الدكتور كمال قهرمان، وإضافةً إلى ما ذكره من أحداث، قد ساق مسألةً لم يتعرّض إليها المؤلّفون الفرنسيّون، وهي التأكيد على أنّ عرّوج ريس وخير الدّين ريس كانا تحت حماية السّلطان العثمانيّ سليم الأوّل، وأنّهما كانا في قلعة جربة بتونس أثناء استنجد أهالي مدينة الجزائر بهما: "انتقل الإخوة بربروس من قلعة جربة التي كانوا بها تحت حماية السّلطان العثمانيّ سليم الأوّل، إلى مدينة الجزائر وغربها (شرشال) بطلب من أهاليها لمحاربة الإسبان".

وبالرّغم ممّا لدينا من نصوص فإنّ المعطيات تبقى غير كافية، بل قد غشّها الإيجاز والتّشديد على حادثة واحدة متعلّقة بطلب أهل مدينة الجزائر الإغاثة من عرّوج ريس وخير الدّين ريس عبر أميرها سالم التّومي، وهو في نظرنا إيجاز يُخلّ بالأحداث ويبترها.

ب) العمليّة التّركيبية لبعض الأحداث التّاريخيّة ضمن موجز دائرة المعارف الإسلاميّة

(الاستشراقية) والموسوعة الإسلاميّة (باللغة التّركيّة "وقف الديانة التّركي"):

نُبادر في هذا المقام إلى إيضاح بعض المسائل المهمّة التي تغاضى عنها المؤلّفون في الموسوعتين لنستدرك بعض الأحداث في تركيبة منطقيّة تُضفي قيمةً تاريخيّةً أكبر لما ورد في النّصوص، ولا نُغالي إن قلنا أنّ أفضل ما يُمكننا الاعتماد عليه في تناول تلك الأحداث المبتورة، مذكّرات المجاهد خير الدّين باشا، فهي ذات علاقة وطيدة بموضوع النّصوص الخطابية في الموسوعتين. وسنركّز هنا على:

* أحداث إنقاذ مدينة بجاية من الاستعمار الإسباني:

ذكر المجاهد خير الدين في مذكراته أنه طلع هو والشهيد عروج ريس باتجاه مضيق سبتة، على أن يمرّ من هناك إلى الأندلس ليقوما بإنقاذ المسلمين، وفي تلك اللحظات أدركهم وفد من مدينة بجاية ناقلاً رسالةً جاء فيها: "إن كان ثمة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة ولا تعليم أطفالنا القرآن الكريم، لِمَا نلقاه من ظلم الإسبان، فما نحن نضع أمرنا بين أيديكم، جعلكم الله سبيلاً لخلّصنا بتسليمه إيانا إياكم، ففضّلوا بتشريف بلدنا وعجّلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفّار."¹

لم يتقاعس الأخوان عروج ريس وخير الدين باشا في الردّ على الطّلب وإغاثة أهل بجاية عام 1512م من نير الإسبان، إذ ذكر المجاهد خير الدين باشا في مذكراته أنهم وفدوا إلى بجاية في 2.033 بحاراً و10 سفنٍ و150 مدفعاً وآلاف الأسرى الذين كانوا يُجَدّفون، واشتبكوا مع الإسبان في معركة دامت ثلاث ساعات ونصف، انهزم فيها الكفّار، ثمّ لحق بهم قرابة 20.000 رجلٍ من أعراب البوادي لإجارتهم على العدو، فتحصّن الإسبان بالقلعة واستمروا في المقاومة 29 يوماً، وكان الأخوان على وشك الاستيلاء على القلعة لولا افتقارهم للمدافع التي تقصف الحصون وتفتح الثغرات فيها. بعدها علما أنّ قوّات إسبانية كبيرة في طريقها إليهم فتركوا بجاية، وارتدّوا إلى جبل ليشتبكا مع القوّات الإسبانية القادمة، حيث استولوا على 10 سفن إسبانية، واتّجها بها نحو بجاية، وقاما بخداع الجنود الإسبان المتحصّنين داخل القلعة، إذ ظنّوا أنّ السفن لإخوانهم الإسبان التي قدمت لنجدتهم، ففتحوا القلعة وتدقّقوا لاستقبالهم، وهكذا تمكّن الأخوان من الانتصار عليهم ودخول القلعة، وإذ ذاك قدم جميع شيوخ وقواد المناطق المجاورة لبجاية مبايعين لهم، ويضيف المجاهد خير الدين باشا: "ومن هنا انتصبتُ أنا وأخي ملكين على هذه البلاد."²

هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد أنّه من البديهيّ أنّ عروج ريس وخير الدين ريس قد قاما بإغاثة العديد من المدن الجزائرية التي كانت تحت نير الإسبان مثل جبل وتتس وغيرها، وقد عرضنا سابقاً رسالة أهل بجاية، نُضيف إليها شهادة خير الدين باشا التي تؤكد أنّ طلب الإغاثة لم يقتصر على سكّان مدينة الجزائر فقط، حيث ذكر: "عندما كنتُ مع أخي في مدينة جبل

¹ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص.66.

² المصدر نفسه، ص-ص.71-72.

وصلت وفود عديدة من المدن الجزائرية، وكان أهمها وفد مدينة الجزائر التي كانت تُمثّل مركز

البلاد، كان الأهالي يشكون من ظلم الإسبان، ويرجون تدخلنا لإنقاذهم.¹

وثمة رأي آخر يؤكد هذا الأمر ذكره الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، مشيراً إلى أنّ "الشيخ العالم سيدي محمد التوّاتي قد خاطب أهل وهران لما رأى كثرة فسادهم وتقاعدهم عن حفظ بلادهم فنهاهم عن ذلك، وأمرهم باستقدام التّرك إلى بلادهم لما تفرّس فيهم من الحزم، وسمع عنهم من القيام بالجهاد والحرص على هتك حرّم الكفرة، حيث كتب قصيدة تُبيّن ذلك:²

يا أهل وهران انظروا نظر شفقة	لبلادكم قبل أن تــــردت
ولا يحمي مرساكم ضعاف رجالكم	ولا البدو، بل تحميه أهل الجزيرة
فإن لهم بالطّعن والضّرب خبرة	وكم فتكوا بالكفر أكبر فتكة
فلا أنكى للكفار منهم وإنهم	لنصرة دين الله أعظم نصرة
عليكم بهم فاستعملوا في وصولهم	إليكم ذكا عقل وأطف حيلة

وفي هذا المقام لابدّ علينا أيضاً أن نتطرّق لمسألة إنقاذ مدينة الجزائر من قبل المجاهد عروج ريس، لكننا ألفينا تضارباً في الروايات، حيث ذكر المؤرخ توفيق المدني أنّ المجاهد عروج ريس قد قرّر الاستجابة للدّاء، وسار إلى مدينة الجزائر براً في قوّة مؤلّفة من 800 من الأتراك، و3.000 من مجاهدي الجبال القبائليّة، بينما سار المجاهد خير الدّين باشا إلى مدينة الجزائر بحراً، ومعه 18 سفينة "قاليرة"، و03 سفن "بركنتي" تحمل 1.500 مجاهد، فوصل المجاهد عروج ريس أولاً ثمّ لحق به المجاهد خير الدّين ريس، واستقبلتهم المدينة استقبال الفاتحين. ثمّ سار بعدها إلى مدينة شرشال فاستخلصها من الإسبان وعاد إلى مدينة الجزائر، وحدث هذا الأمر الجلل عام 1516م، وهو العام نفسه الذي تُوفّي فيه ملك إسبانيا فرديناندو الكاتوليكي.³

وعلى نقيض ذلك، ذكر المجاهد خير الدّين ريس في مذكّراته أنّ المجاهد عروج ريس قد خرج إلى مدينة الجزائر في 500 بحار، وتركه وراءه في مدينة جيجل، ذاكرًا: "عندما كان أخي عروج ريس في طريقه لفتح الجزائر، غادرتُ جيجل متّجهاً إلى تونس التي كان سلطانها قد جاهر بعداوتها

¹ خير الدّين بربروس، المصدر السابق، ص.74.

² أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص.457-458.

³ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، الشركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر ص-173-174.

لنا.¹ ونحن هنا إذ نُزَكِّي الرواية الثانية لأنها مستقاة من مذكَرات أخ المعنيّ بأمر إنقاذ مدينة الجزائر.

وبالتالي، ومن منطلق ما ذكرناه سابقاً، يُمكننا القول أنّ تدخل المجاهد عرّوج ريس والمجاهد خير الدين ريس في شؤون المدن الجزائرية لم يكن ذا نية مسبقة ومُبيّنة ومدبرة بل حدث الأمر نتيجة طلب الأهالي الإغاثة منهما لمحاربة الاستعمار الإسباني الذي استباحهم، حيث عملاً على النيل منه بغية استتباب الأمن الذي ظلّ مؤقتاً طبعاً إلى حين الاستقلال النهائي عام 1962م.

* مسألة خيانة أمير مدينة الجزائر سالم التّوميّ للمجاهد عرّوج ريس (رصدٌ للأنساق المضمرة وتركيبٌ للأحداث التاريخية):

ننتقل إلى مسألة خيانة أمير مدينة الجزائر السابق سالم التّوميّ للمجاهد عرّوج ريس، حيث تناولها المؤرّخ الفرنسيّ جورج إيفير في موجز دائرة المعارف (الاستشراقية) على النحو التالي: "...الجزائريين لجؤوا إلى الثعالب والإسبان للتخلص من الترك، وكشف عرّوج مؤامرتهم وقبض على زعماء الحركة وقتلهم... وهكذا قضى على كلّ مقاومة وبقي عرّوج سيّداً على مدينة الجزائر.² ثمّ يُضيف: "تخلص القرصان (عرّوج) من سالم التّوميّ بقتله ونادى به جنّده سلطاناً على الجزائر."³

عندما نتأمل النصّ الخطابيّ جيّداً نلمح وجود نسق الإسناد المضمّر الخاصّ بالصفات أو الأفعال، والذي ركّز على شخصيّة المجاهد عرّوج ريس، حيث خصّها المؤرّخ الفرنسيّ بصفة "القرصان"، "تخلص القرصان (عرّوج) من سالم التّوميّ"، وهي صفة تمتاز بطابع سلبيّ، وتعمل على ترسيخ دلالة لشخصيّة تعمل من أجل مصلحتها الذاتية، فتُخرّب البنية الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، كما تُهدّد استمرار الحياة. في حين نجد أنّ الأفعال التي أُسندت لتلك الشخصيّة ذات علاقة وطيدة بعملية القتل: "قتلهم، قضى، تخلص، قتله"، والمقتولون هم أهالي الجزائر الذين حاولوا التخلص منهم: "الجزائريين لجؤوا إلى الثعالب والإسبان للتخلص من الترك"، يُضيف إليها عبارة: "ونادى به جنّده سلطاناً على الجزائر"، أي أنّه نصّب نفسه حاكماً على الجزائر

¹ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.74.

² جورج إيفير، مرجع سابق، ج10، ص.2929.

³ المرجع نفسه، ص.2929.

دون مباركة الجزائريين بل بمباركة جنده، وفي هذا إبرازٌ لدموية المجاهد عروج ريس، وما هي إلا دلالات تصبّ كلها في بوتقة سلبية خادمة للفكر الاستشراقي.

وثمة نسق مضمر آخر، وهو **نسق التهديد** على أساس أنّ المجاهد عروج ريس يُشكّل تهديداً وخطراً على الجزائريين بقتله الزافضين لأطماعه وأطماع العثمانيين من خلفه، وحثّهم في ذلك حكمه الذي فرض بحدّ السيف، وبمباركة جنده دون الأهالي. ولن يمرّ هذا النسق التهديدي دون وجود **نسق التّهويل**، إذ يُركّز المؤرّخ الفرنسي في نصّه على المفردات: "قرصان، قتل، نادى به جنده سلطاناً"، وهي مفردات دالّة على التجريم وإلقاء اللوم على المجاهد عروج ريس.

من جانب آخر، نجد أنّ المؤرّخ الفرنسي قد ذكر في النصّ الخطابي "الثعالبة" على أساس أنّ سالم التوميّ من قبيلة الثعالبة، كما أنّه عرض مسألة مهمّة، وهي استنصار أهالي مدينة الجزائر بالإسبان، ونوّه هنا بأنّهم لا يُمثّلون كلّ المدن الجزائرية "الجزائريين لجؤوا إلى..."، وهنا دليل تعميم، وافتقارٌ للدقّة أثناء تناول الأحداث التاريخية.

استنصروا إذاً بالإسبان للتخلّص من الأخوين عروج ريس وخير الدين ريس، بعدما استغاثوا بهما من قبل ضدّ الإسبان، والقصد منه تغليب المصالح الشخصية على مصلحة البلاد، وقد اعتبرها خيانة ضدّهما وضدّ البلاد والعباد. والظاهر في النصّ الخطابي أنّ المؤرّخ الفرنسي لم يذكر بالتدقيق لماذا لجأوا إلى الإسبان؟ وبمن استنصروا بالتحديد؟ ولا تاريخ ذلك الحدث. ولا نظنّ أنّ تلك المسائل غابت عن المؤرّخ، مع العلم أنّه استند إلى مصادر مهمّة في تأليفه لمادّة "الجزائر" في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية). ثمّ يلج بنا بعد ذلك في نصّه إلى مسألة تصفية المجاهد عروج ريس للخائن سالم التوميّ، ولا يذكر كيف جرى الأمر، ممّا يدعو إلى الشكّ بأنّه تعمّد بتر الأحداث وعرضها بشكل عموميّ يؤثّر على أمانتها (صحتها) ودقّتها (خطئها).

يدفعنا هذا التعميم إلى تركيب بعض الأحداث مع ما ذكره المؤرّخ الفرنسي جورج إيفير بغية توضيح المسألة أكثر، فالمؤكّد أنّ دوام الحال من المحال، إذ أدّى طموح المجاهد عروج ريس إلى إثارة مخاوف أمير الجزائر السابق سالم (سليم) التوميّ، حيث بدأ هذا الأخير يتقطّن إلى أنّ زمام الأمور قد أفلت من يده وأنّ شأنه في زوال، فسوّلت له نفسه إحاكة الدسائس بمعية الإسبان بغية طرد الإخوة، فتقطّن المجاهد عروج ريس للمكيدة المدبّرة وقضى عليه.¹

¹ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص 22.

وعن هذه الحادثة أشار المؤرِّخ أحمد توفيق المدني إلى وثيقة تُدين سالم التَّومي وتعرض خيانتة للمجاهد عرَّوج ريس، وثيقة خُطَّت بأسلوب بسيط قريب من العاميَّة من قبل أحد شيوخ العشائر، وموجَّهة إلى الكاردينال الإسباني فرانشيسكو خمينيس ثيسنيروس Francisco Jiménez de Cisneros (1436-1517م)، صاحب الغاية التَّصويريَّة في البلاد الإسلاميَّة، وهي تُصوِّرُ غدرًا انطلق من فكرة مفادها أن تأسيس دولة إسلاميَّة قويَّة متينة ستقضي على مصالحهم وتُفوّض نفوذهم، فلا مجال آخر سوى الاستغاثة بالإسبان واستنصارهم على المسلمين.

وقد ورد فيها ما يلي: "الحمد لله-إلى مدبرِ المملكة القشتليَّة (قشتالة) وكبيرها وخليفة سلطانها قرضنال (كردينال) بعد سلامنا عليكم فالذي نُعرِّفكم به هو أن ابن سلطان تنس هو ابنكم ومتعلِّق بكم ومحسوب عليكم، وكذا ابن التَّومي صاحبكم في الجزائر اندبح عليكم وعلى خدمتكم، وغفلتم عليه وعلى ابن السلطان في تنس وعلى جميع من عاملكم. حاشكم من هذا فإن كنتم تعملون على همتكم اعزموا للجزيرة (الجزائر) قبل ما تجي عمارة التُّركي فيستولي على هذا البرِّ الكلِّ. ونحن عرفناك ولو يكون هذا الخبر عنكم. وأيضاً ابن سلطان تنس كان عنده خاله الشَّيخ المنتصر ينغر عليه (أي يدافع عنه) واليوم مات. ما بقالوا أحد إلا الله وأنتم. إذا ما عزمتم إليه ينفسد ويفسد الحال عليكم كثيراً في هذا البرِّ. والقائد مرَّتين أدرغوت عارف بكلِّ شيء، وهو يكون عرفك بكلِّ مقصد، وكتب لكم من مدينة مستغانم. وابن سالم التَّومي استنجد أيضاً بالإسبان في وهران بعد مصرع أبيه حتى ترجع إليه مشيخة أبيه على مدينة الجزائر.¹

جدير بنا أن نذكر هنا أن نصَّ الرِّسالة يحتوي على نسق استعطاف وتمجيد للكاردينال، إضافة إلى نسق التقاطب بين الأتراك والجزائريين والإسبانيين، ضمن إستراتيجيَّة صوّرت الأتراك على أنهم لا ينتمون إلى مجموعة المتكلِّم، بل ينتمون إلى خارج المجموعة، بينما الملك القشتالي ينتمي إلى مجموعة المتكلِّم بما فيهم السُّلاطين وأبنائهم، ويتوضَّح لنا الأمر أكثر إذا ركَّزنا على الجملة التَّالية: "وكذا ابن التَّومي صاحبكم في الجزائر اندبح عليكم وعلى خدمتكم"، وهي في الأصل إشارة تشبيهيَّة إلى استخدام ابن التَّومي طقساً رمزيّاً أساسه تقديم نفسه كقربان تضحية خدمة للإسبان، تشبهاً بسيدنا إسماعيل عليه السلام، المتقدِّم طوعاً للذَّبح قرباناً لله عزَّ وجلَّ، فطقس التَّضحية هنا رمز بديل ومكسب لضمان وضع جديد، يُضفي القداسة على شخص ابن التَّومي² ليتمكَّن من الانتماء إلى إسبانيا، فيجري عليه وعلى قبيلته ما يجري على الإسبان من حقوق وواجبات.

¹ أحمد توفيق المدني، حرب التَّلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص-ص 175-176.

² محمَّد خالد، المقدَّس والعنف في التَّجربة الصَّوفيَّة: حالة شمال شرق الصَّحراء الجزائريَّة، المركز الوطني للبحث في

الأنثروبولوجيا الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، مجلَّة إنسانيَّات، ع11، ماي-أوت 2000م، الجزائر ص.69.

وهنا يقف المجاهد عروج ريس في وضع ميؤوس، خيانة من الداخل، وخيانات من الخارج. وفيما يتعلّق بحادثة مقتل سالم التوميّ، فإننا لم نجد إفادة عنها في مذكرات المجاهد خير الدين ريس بخلاف نصّ صغير مفاده "وصلني كتابٌ آخر من أخي عروج يأمرني فيه بإلقاء القبض على أحد شيوخ العرب المنافقين، فخرجتُ في الحال في 500 بحارٍ إلى الجبال، حيث ألقيت القبض على الشيخ المنافق، وأمرت بضرب عنقه، وعيّنت شيخاً آخر بدلاً عنه".¹ ولم يُشر إلى اسم هذا الشيخ، ممّا يجعل الروايات تختلف حول الحادثة.

فها هو المؤرخ جورج إيفير يؤكد على أنّ المجاهد عروج ريس هو من قتل سالم التوميّ: "تخلّص القرصان (عروج) من سالم التوميّ بقتله"، بينما يجنح المؤرخ أحمد توفيق المدني إلى رواية أخرى مفادها أنّ المجاهد عروج ريس قد وكلّ شخصاً آخر للتخلّص من سالم التوميّ، ذاكراً: "أمر (عروج) بقتل سالم التوميّ والتخلّص منه"²، ومن ثمّ يكون الاحتمال القويّ رواية خير الدين ريس في مذكراته، والتي تتوافق مع رواية المؤرخ أحمد توفيق المدني إلى حدّ بعيد، في مقابل رواية المؤرخ الفرنسي جورج إيفير التي تزعم أنّ المجاهد عروج ريس قد قتل سالم التوميّ وب نفسه.

* حادثة استشهاد المجاهد عروج ريس، (رصدٌ للأنساق المضمرّة وتركيبٌ للأحداث

التاريخية):

ننتقل الآن إلى مسألة أخرى عرفت شجراً كبيراً لحيثياتها في الموسوعتين، حيث تمّ تناولها باقتضاب كبير من قبل المؤرخ جورج إيفير، فوردت على النحو التالي: "توفي عروج سنة 1518م، تولى أخوه خير الدين السلطنة".³ وسار على منواله المستشرق مارسال كولومب مبيّناً تاريخ وفاته والسبب ذاكراً: "وقتل عروج في تلمسان بعد مقاومته الحصار الذي ضربه عليه الإسبان ستة أشهر، سنة 1518م".⁴ كما سار في الطريق نفسه المؤرخ التركي الدكتور كمال قهرمان مبيّناً أنّه في سنة 1518م، سقط أرووج (عروج) شهيداً، فخلفه الرئيس خضر.⁵

¹ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.79.

² أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص.175.

³ جورج إيفير، مرجع سابق، ج10، ص.2948.

⁴ مارسال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص.2873.

⁵ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.486.

إذا تأملنا هذه النصوص الخطابيَّة نجد أنّ مجملها قد وردت سرديَّة إخباريَّة لأحداث تاريخيَّة، ولا تحمل بين طياتها أيَّة أنساق أو إستراتيجيَّات، حيث اتَّفَق المؤلِّفون على تاريخ استشهاد، وهو عام 1518م، بينما عيَّن المستشرق **مارسال كولومب** مكان الاستشهاد، وهو مدينة تلمسان، وأكَّد على أنّ الأمر قد حدث بعد الحصار الذي ضُرب عليه من قبل إسبانيا. كما واتَّفَقوا أيضاً على أنّ من خلفه هو خير الدِّين ريس، الذي سمَّاه المؤرِّخ التُّركيَّ **كمال قهرمان** الرِّيس خضر، نسبةً إلى اسمه الأصليِّ خضر بن يعقوب، مع العلم أنّ السُّلطان سليم الثاني (1524-1574م) هو من لقَّبه بخير الدِّين باشا، في حين لقَّبه الأوروپيُّون بخير الدِّين بربروسا نسبةً لأخيه **عروِّج بربروسا** صاحب اللّحية الحمراء.

والظَّاهر أنّها أحداثٌ اتَّفَق عليها الجميع وتمّ تقديمها بأمانة ودقَّة، وقد يُزكِّي رأينا هذا أنّ الواقعة معروفة لدرجة أنّه لو تمّ التّفكير عمداً في تغييرها لانفضح الأمر وبانت النّوايا جلياً. لكننا نؤاخذهم على الاختصار الشَّديد في تناول واقعة مهمَّة جدًّا لشخصيَّة عملاقة في تاريخ جزائر الغرب في العهد العثمانيِّ، الأمر الذي يضطرنا إلى الوقوف عند حيثيَّاتها وتبينها. ولن نجد أفضل من أخيه المجاهد خير الدِّين ريس ليصف حادثة استشهاده في مذكِّراته، حيث ورد فيها أنّ أهل مدينة تلمسان قد قدّموا إلى الجزائر متضرِّعين إلى أخيه المجاهد **عروِّج ريس**، ملتمسين منه أن يأخذ لهم حقَّهم من ظلامهم، مضيفاً أنّ أهالي تلمسان ثاروا على سلطانهم ففرّ، وأرسلوا وفداً إلى أخيه **عروِّج** يُبايعونه سلطاناً عليهم، وقد سرَّ المجاهد **عروِّج ريس** لإعلان دخولهم في ولايته دون قتال، ثمّ استرسل في مذكِّراته ذاكرةً أنّ المجاهد **عروِّج ريس** ذهب لقضاء الشتاء في تلمسان، وكان معه 4.000 جنديّ، ولم يرض أن يترك قلعة الجزائر التي فُتحت حديثاً خاليةً من الجنود، فاحتفظ بـ 1.000 جنديّ فقط.

وبخصوص الخطر الذي كان يترصّد المجاهد **عروِّج ريس**، فقد ذكر المجاهد خير الدِّين ريس في مذكِّراته أنّه لم يكن متمثلاً في الإسبان فقط، بل كان يتربّص به أيضاً السُّلطان الهارب من مدينة تلمسان، حيث جمع حوله 20.000 من البربر الذين استمالهم بالوعود والإغراءات، ثمّ التحقت به قوَّات أخرى من وهران مكوَّنة من 10.000 جنديّ، ثمّ أضاف المجاهد خير الدِّين ريس أنّه كان في مدينة الجزائر، وعلم أنّ الأوضاع في تلمسان تزداد سوءاً، فأوفد قوَّة من 1.000 جنديّ تركيِّ و 2.000 فارسٍ عربيِّ، كانوا تحت إمرة المجاهد **إسحاق ريس** (الأخ الثَّالث لهما)، وعندما علم المجاهد **عروِّج ريس** أنّ المجاهد **إسحاق ريس** قد خرج لنصرته، خرج من القلعة ليؤخِّد قوَّاتهما، حينها سقطت تلمسان في يد السُّلطان الهارب، ثمّ عاد المجاهد **عروِّج ريس** إلى تلمسان

ومعه 2.000 جنديّ، فتصدّى له 10.000 جنديّ من الإسبان والعرب، واشتبكوا في معركة عنيفة دامت ثلاث ساعات ونصف، أسفرت عن مقتل أكثر الكفّار، ولم ينج منهم سوى 3.000 أو 4.000، سيقوا أسرى إلى الجزائر.¹

حينها أرسل ملك إسبانيا كارلوس فرماناً إلى واليه في وهران قال فيه: "إذا كنت تُريد أن تحتفظ برأسك فعليك أن تقضي على عرّوج رئيس وجميع من معه من الأتراك. يجب أن تُرسل إليّ عرّوج حياً إلى إسبانيا وأنا أعرف القنلة التي أذيقه إيّاها". تدبّر حاكم وهران حيلةً غادرةً ليوقع بالمجاهد عرّوج رئيس، حيث سار إليه في 30.000 أو 40.000 جنديّ، ودارت بينهما معارك كبيرة دامت 03 أشهر، إلاّ أنّ المجاهد عرّوج رئيس لم يُذعن ولم يستكن لهم، حينئذ جمع حاكم وهران قائدي قوّاته وقال لهم: "إنّ هؤلاء الأتراك قومٌ في غاية العناد، لا يرضون بالاستسلام ولو هلكوا جميعاً. إلى متى ننتظر تحت أسوار هذه القلعة؟ لئُرسل إليهم رسولاً نعرض عليهم أن يأخذوا أسلحتهم ويدعوا لنا القلعة، فإنّهم سيقبلون بذلك إذا نفذت مؤنّتهم، أمّا إن لم تنفذ فإنّهم لن يستسلموا إلى أن يهلك آخر رجل فيهم."²

بعدما استلم المجاهد عرّوج رئيس رسالة حاكم وهران، استشار جنده فأجابوا: "بكلّ تأكيد الحياة أفضل من الموت، لنخرج إلى الجزائر ثم نعود بعد ذلك لاسترجاع القلعة من جديد."³ قبل إذاً المجاهد عرّوج رئيس تسليم القلعة، وخرج منها مع جنوده المصابين والمنهكين من شدّة الجوع وعدم النّوم لأيّام طويلة، إضافةً إلى نفاذ ما بأيديهم من سلاح وذخيرة. وبسبب غدر حاكم وهران لهم، أدركتهم فرقة إسبانية مكوّنة من 15.000 إلى 20.000 جنديّ، بعدما قطعوا مسافةً قصيرةً، فدارت بينهما معركة يائسة، في غير صالح المجاهد عرّوج رئيس وجنوده، إذ لم يكن عددهم يزيد عن 340 جنديّ فقط.

ثمّ يُطلّنا المجاهد خير الدّين رئيس أنّ عرّوج رئيس وصل ومن معه إلى النّهر، فعبر نصف من معه، وهمّ أن يُلقي بنفسه فيه، لكنّه لم يتحمّل صرخات جنوده الذين كانوا يستغيثون به، فقد كان يُحبّهم كحبّ الوالد لولده، إذ كانوا يدعونه بـ"بابا... هل يُمكن لأب أن يفرّ تاركاً أولاده تحت ضربات السيّوف؟"⁴ لهذا السّبب عاد المجاهد عرّوج رئيس إلى الجسر وألقى بنفسه في

¹ خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص-ص. 86-89.

² المصدر نفسه، ص. 90.

³ المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

⁴ المصدر نفسه، ص. 92.

صفوف الإسبان، ضارباً بسيفه كلَّ من لقيه، فقتل تقريباً 100 إسباني قبل أن يسقط شهيداً، ثم قطعوا رأسه وبعثوا به إلى الملك الإسباني¹ كارلوس الأول (1500-1558م). بعد استشهاد المجاهد عزّوج ريس والمجاهد إسحاق ريس²، وجد خير الدين ريس نفسه وحيداً يُقاتل قوى الإسبان، وفي هذا الصدد ذكر الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: "ولمّا قُتل عزّوج وأخوه بقي ثالثهما يُصادم الكفرة ويُدافعهم عن الجزائر ويُلاقيهم في البحر فيُشَبِّت شملهم ويفلّ جموعهم ويغنم سفنهم ويسبي أهلها... ثم وقع له مع أهل الجزائر ما أوجب أن خرج عنها وتركهم في أودية ضلالهم يهيمون، فأتى تونس واتخذ بها سفناً بأمر سلطانها وصار يُجاهد منها في البحر إلى أن كثرت في الكافرين نكايته، وعظمت فيهم وطأته، وامتلأت يده وأيدي جنده وسلطانه من مغانمهم."³

3) استمرار التثاقف من خلال انضواء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية:

أ) رصد الأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية ضمن الموسوعتين:

بعد مقتل المجاهد عزّوج ريس والمجاهد إسحاق ريس ألقى المجاهد خير الدين باشا نفسه وحيداً، خالي الوفاض، منقوص السلاح والعتاد، وبدون علاقات قويّة مع رؤساء القبائل. أخذ يُقارع ويُقاوم الأعداء ميؤوساً من الدّاخل والخارج. فها هي شوكة الإسبان قد استحكمت واحتدّت في تلمسان ووهران، بينما استقوت دولة بني حفص في الشّرق، وقد رامّ الجميع إحاكة الدّسائس قصد الإطاحة به، الأمر الذي دفع به إلى التّطلّع صوب الدولة العثمانية التي كانت في أوج قوتها حينها⁴ وعلى هذا الأساس أوفد أعيان مدينة الجزائر رسالةً إلى السلطان سليم الأوّل يُناشدونه فيها الانضواء تحت لوائه (ينظر الملحق رقم 06).

ولتوضّح الأمور أكثر، نُبادر إلى إيضاح مسألة انضواء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية في الموسوعتين، فنّمّة عدّة نصوص خطابية وردت في موجز دائرة المعارف الإسلامية

¹ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص-ص. 91-92.

² استشهاد المجاهد إسحاق ريس في قلعة سيدي راشد بالجزائر سنة 1518م في معركة ضدّ الإسبان، ينظر خير الدين بربروس، المصدر نفسه، ص. 57.

³ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص. 459.

⁴ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 24.

(الاستشراقية) حول هذه المسألة، ومثال ذلك ما ذكره المستشرق روجي لوتورنو من أن المجاهد خير الدين ريس قد "وهب ما فتح الله عليه للإمبراطورية العثمانية، وبذلك ملكت هذه الإمبراطورية قاعدة بحرية هامة في غربي البحر المتوسط".¹ ثم أضاف في موضع آخر: "أعلن ولاء الدويلات التي يحكمها للباب العالي العثماني، وقبل منه لقبى الباشوية والبيكركية، فحصل بذلك على التأييد الأدبي والعون المالي الكفيلين بتحقيق أغراضه... وفي المدة 1518م و1536م، سوّد نفسه على أغلب مدن الساحل والتل مثل بونة والقالة وشرشال وقسنطينة، وأجبر جانباً من بلاد القبائل على أداء الجزية له".²

وفي هذا الشأن ساندته المستشرق مارسال كولومب ذاكراً: "أهدى (خير الدين باشا) للسلطان العثماني سليم الممتلكات المفتوحة حديثاً، وبذلك علت هيبتة وحصل على العون العسكري والمالي الذي كان يُريده، فبسط سلطانه على بونة وقسنطينة وشرشال".³ هذا وقد تفحصنا النصوص جيداً، حيث ثبت لنا وجود النسق المضمّر المتمثّل في نسق التمثيل أو التقديم الإيجابي للذات والتمثيل السلبي للآخر، وهو نسق حاضر في جلّ نصوصهم، الأمر الذي يدفعنا إلى الجزم بندرة الخطاب الموضوعي والمحايد في موجز دائرة المعارف الإسلامية، وذلك استناداً إلى ما ذكرناه سابقاً، حيث يبرز هذا النسق جلياً في العبارات الموظفة في النصوص، إذ أثارت انتباهنا عبارة "سوّد نفسه"، وهو تعبير ضمنيّ تتمثّل دلالاته في أنّ المجاهد خير الدين باشا لم يُختر للحكم بل فرض نفسه على أهالي الجزائر، وما يُعزّز هذه الدلالة أنّه أهدى للسلطان العثماني ممتلكات بلاد الجزائر: "أهدى (خير الدين باشا) للسلطان العثماني سليم الممتلكات المفتوحة حديثاً ووهب ما فتح الله عليه للإمبراطورية العثمانية".

وبناءً عليه فإنّ هذه الدلالة تُصوّر وتثبّت شخصية المجاهد خير الدين باشا في مخيال القارئ على أنّه شخصٌ مستغلٌّ يُفكّر في مصلحته الذاتية الضيقة والبعيدة كلّ البعد عن مصالح أهالي الجزائر الغرب، حيث جاد بما لا يملكه ليكسب الدّعم العثماني، وما تعمّد توظيف العبارات السلبية: "سوّد نفسه، أهدى، وهب"، إلّا والقصد منها هو انتقاص متعمّد من قيمة المجاهد خير الدين باشا والدولة العثمانية لدى الآخر، المتلقّي للخطاب.

وبحثاً عن لهجة الأمانة في هذه النصوص، تولّد لدينا انطباع بتعمّد بتر الأحداث وعدم استكمالها وإخفائها ونبذ عرضها، إذ نجد أنّ المؤلفين قد تعمّدوا عدم التطرّق للرسالة التي أوفدها

¹ روجي لوتورنو، مرجع سابق، ج10، ص.2948.

² المرجع نفسه، ج9، ص.2827.

³ مارسال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص.2873.

أهالي وأعيان الجزائر إلى السُّلطان العثمانيِّ سليمان الأوَّل، والتي يُناشدونه فيها بضرورة قبول انضوائهم تحت لواء الدَّولة العثمانيَّة، فهل سوَّد المجاهد خير الدِّين باشا نفسه على الجزائر؟ أم أنَّ الأهالي قد رغبوا في ذلك؟

الأمر الجليُّ لنا أنَّ هذه الرسالة تدحض كلَّ المزاعم التي طرحها المستشرقان في نصوصهما في زعم منهما أنَّ المجاهد خير الدِّين باشا قد سوَّد نفسه على البلاد، دون موافقة من أهلها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وبالعودة إلى مذكِّرات خير الدِّين باشا، نجده قد فنَّد وأبطل مزاعم تسويد نفسه على الجزائر، وبيَّن في مذكِّراته عن فتح قلعة بجاية قائلاً: "جاء جميع شيوخ وقواد المناطق المجاورة لبجاية مبايعين لي، ومن هنا انتصبتُ أنا وأخي ملكين على هذه البلاد."¹ وهنا نلمح توظيفاً ناجحاً لمصطلح "المبايعة" الذي يدلُّ قطعاً على أنَّهما لم يسوِّدا نفسيهما. هذا عن بجاية، وبخصوص مدينة الجزائر ذكر المجاهد خير الدِّين باشا أنَّه "وصلت وفود عديدة من المدن الجزائريَّة، وكان أهمُّها وفد مدينة الجزائر التي كانت تُمثِّل مركز البلاد، كان أهالي الجزائر يشكون ظلم الإسبان، ويرجون تدخُّلنا لإنقاذهم."²

والأمر نفسه حدث في مدينة تنس، إذ قام أهلها بطلب بقاء المجاهد عرَّوج ريس وخير الدِّين باشا على رأسهم بعد انتصارهما على أميرهم المتحالِّف مع الإسبان، فقالوا مرحِّبين بهما: "مرحباً بكم أيُّها المجاهدون، لقد غادر الإسبان القلعة ليلاً مع حليفهم أميرنا... أمّا من بقي في المدينة فإنَّهم لا يرضون بغيركم وغير أخيك السُّلطان عرَّوج."³

أمّا عن مدينة تلمسان فقد ذكر المجاهد خير الدِّين باشا أنَّ أهالي تلمسان "كانوا يُعانون من ظلم الإسبان، ومن ظلم سلطانهم أيضاً، ومنذ مدَّة... جاء التلمسانيُّون إلى الجزائر متوسِّلين إلى أخي عرَّوج أن يأخذ لهم حقَّهم من ظلامهم... ثار أهالي تلمسان ففرَّ السُّلطان وأرسلوا وفداً إلى أخي عرَّوج يُبايعونه سلطاناً عليهم."⁴

وعن حكم المجاهد خير الدِّين باشا لمدينة الجزائر فقد بيَّن في مذكِّراته أنَّه قبلَ حكم الجزائر بعد أن زارته العديد من الوفود الجزائريَّة المتكوِّنة من أعيان المدن وعلمائها من أجل قبول سيادة الجزائر، بعدما رفضوا كلا من الشَّيخ ابن القاضي في الجزائر، والسُّلطان الزَّيَّانيُّ أبو حمو موسى

¹ خير الدِّين بربروس، مصدر سابق، ص.72.

² المصدر نفسه، ص.74.

³ المصدر نفسه، ص.81.

⁴ المصدر نفسه، ص.86.

الثالث في تلمسان (حكم من 1516م إلى 1528م)، حيث ذكر: "أرسل الأهالي وفداً كبيراً من العلماء إلى سفينتي، فلما حضروا رجوني أن أصرف النظر عن فكرة الرّحيل، وأبقى في الجزائر... اليوم التالي وصل إلى جيجل شيوخ القبائل وأعيانها من الجزائر... قبلوا يدي وأعلنوا خضوعهم وتبعيتهم لمولانا السلطان سليمان خان، وأنهم سامعون مطيعون لما يأمر به... وقالوا: "معاذ الله أن نكون قد شققنا عصا الطاعة لمولانا... فنحن لا نرضى أن تُنسب إلينا هذه اللّوثة. إننا معتزّون بتبعيتنا للسلطان سليمان خان، ولا صلة لنا بما جرى في الجزائر من تمرد وعصيان."¹ وذكر في موضع آخر: "شرعت الوفود تصل إلينا من الجزائر وغيرها من المناطق الأخرى، كانوا كلهم يتوسّلون إليّ أن أعود إلى الجزائر وأتولّى إدارتها من جديد، وكان من بينهم وفد أهدى لي فرساً شقراء يعجز اللسان عن وصف جمالها، فقبلتها منهم بامتنان كبير."²

من هنا يتّضح لنا أنّ جلّ المدن الجزائريّة: بجاية، تنس، الجزائر وتلمسان، قد قامت بمبايعة الأخوين عروج ريس وخير الدين باشا، ولم يسوّد أحد منهما نفسه ملكاً على الجزائر دون موافقة ومبايعة أهلها. من هنا يُمكننا القول أنّ عبارة "سوّد نفسه" التي ذكرها المستشرق روجي لوتورنو، القصد منها، حسب رأينا، وحسب ما عرّزنا به من استشهادات، هو التّأثير في المتلقّي وصرفه عن حقيقة ما جرى، وهو سلوك بعيد كلّ البعد عن الأمانة والدقّة.

فلا نُعالي إذا قلنا أنّنا نستشعر من ورائه كرهاً لشخصيّة المجاهد خير الدين باشا، بإخفاء حادثة بيّنة كهذه قد فضحت رغبة المؤلّفين في تجاوزها عمداً. ومع ذلك أثر المؤلّفان التّطرق ضمناً إلى ردّة فعل السلطان العثمانيّ، والعبارات التّالية تدلّ عليها: "فحصل بذلك على التأييد الأدبيّ والعون الماليّ الكفيلين بتحقيق أغراضه"، "وحصل على العون العسكريّ والماليّ الذي كان يُريده، فبسط سلطانه على بونة وقسنطينة وشرشال".

وهنا نتساءل على أيّ أساس بُنيت ردّة الفعل تلك؟، فلا نجد جواباً مقنعاً في نصوصهما، ولعلّ السبب الرّاجح يعود إلى المسألة بالغة الأهميّة التي بُترت عمداً، وهي رسالة أعيان الجزائر إلى السلطان سليم الأوّل. فإذا تساءل المتلقّي لماذا حصل المجاهد خير الدين باشا على العون من السلطان العثمانيّ؟ وبناءً على ماذا؟ سنجد أنّ الجواب في النصوص الاستشراقية مقرون بإهداء الجزائر كممتلكات مفتوحة إلى السلطان، وهنا يجدر بنا توخّي الحذر لأنّ الأحداث لم تكن

¹ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص-ص 119-120.

² المصدر نفسه، ص-ص 126-127.

على تلك الشَّاكلة، بل تمَّ الحصول على العون بناءً على الرِّسالة التي تمَّ إيِّفادها إلى السُّلطان العثمانيِّ، وليس بناءً على الهدايا التي تلقَّاهَا.

من هنا يتوضَّح لدينا أنَّ سياق الأحداث -رسالة أعيان الجزائر إلى السُّلطان سليم الأوَّل- قد غُيِّب، وتمَّ تعويضه بعبارات تفتقد إلى الدِّقَّة في عرض المسبِّبات والنتائج معاً، فكيف حصل المجاهد خير الدِّين باشا على التأييد والعون والدِّعم من السُّلطان العثمانيِّ؟ ولماذا؟ وكيف جرت بروتوكولات الانضمام؟ أسئلة لا جواب لها في موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة (الاستشراقيَّة).

وجدير بنا أن نذكر هنا أنَّه، وخلافاً للتَّغيب والتَّعقيم الذي عرفه موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة حول مسألة انضواء الجزائر تحت لواء الدَّولة العثمانيَّة، ونخصَّ بالذكر رسالة أعيان الجزائر إلى السُّلطان العثمانيِّ، نجد أنَّ المؤرِّخ التُّركيِّ الدُّكتور كمال قهرمان قد عُنِي بذكرها في نصوص الموسوعة الإسلاميَّة (باللُّغة التُّركيَّة)، حيث بيَّن أنَّ "أحد رجال أهالي الجزائر المسمَّى الحاج حسين (قام) في شهر أكتوبر من سنة 1519م، بتوجيه عريضة إلى السُّلطان العثمانيِّ سليم الأوَّل يطلب فيها دعمه، فوافق السُّلطان سليم على تعيين خير الدِّين بربروس الملقَّب بخضر حاكماً على الجزائر، وأرسل له حوالي 2.000 شخص من الإنكشاريَّة والمدفعيَّة مع الأسلحة الحربيَّة ومستلزمات السفن، علاوة على ذلك أعطى الإذن بذهاب المتطوِّعين وكذا التَّجنيد من الأناضول قدر الحاجة، وعلى هذا النَّحو بدأت قراءة الخطبة باسم السُّلطان، ودخلت الجزائر بصفة رسميَّة تحت الحكم العثمانيِّ".¹

إذا تأمَّلنا النَّصَّ الخطابيَّ جيِّداً سنجدُه لأوَّل وهلة سرداً تاريخياً مرَّكزاً يحمل معلومات عن الأحداث السَّائدة في تلك الفترة، مع تركيز المؤرِّخ على الرِّسالة التي أرسلها أعيان الجزائر إلى السُّلطان سليم الأوَّل، بخلاف موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة (الاستشراقيَّة).

لكن لو تعمَّقنا قليلاً سنجدُه يمتاز بالدِّقَّة العلميَّة، إذ يعرض الأحداث بتناسق وترتيب وتوظيف منطقيِّ، وإن دلَّ على شيء فإنَّه يدلُّ على معرفة المؤرِّخ بالأحداث التَّاريخيَّة، ورغبته في توضيحها لمتلقِّي الخطاب، بل وإنَّه تحرَّى الأمانة العلميَّة المتجليَّة في ذكر اسم الشَّخص الذي وجَّه الرِّسالة (المسمَّى الحاج حسين)، كما وضبط زمن الحدث فذكر الشَّهر والسَّنة (شهر أكتوبر من سنة 1519م)، وهي معلومات كافية لفهم سياق الأحداث.

ونحن نستعرض الأمانة العلميَّة تمكِّنا من رصد بعض الأنساق المضمرة في النَّصَّ الخطابيِّ، والتي تتجلَّى في نسق الحماية، الذي يدلُّ ضمناً على أنَّ العثمانيِّين إنَّما قدموا من

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.486.

أجل الدِّفاع عن أهالي الجزائر وبدعوة منهم. أوَّلِيستُ هذه حجةً تدحض مزاعم المؤلِّفين حول تسويد المجاهد خير الدِّين باشا نفسه حاكماً على الجزائر دون رغبة أهاليها؟

لن نتوقف هنا بل سنستحضر في النَّصِّ نسق التَّمجيد الخاصَّ بالدَّولة العثمانيَّة، فما هو المؤرِّخ يُبيِّن عظمتها وأفضليَّتها، مشيراً إلى نوع التأييد الممنوح للمجاهد خير الدِّين باشا: "فوافق السُّلطان سليم على تعيين خير الدِّين بربروس الملقَّب بخضر حاكماً على الجزائر، وأرسل له حوالي 2.000 شخص من الإنكشاريَّة والمدفعيَّة مع الأسلحة الحربيَّة ومستلزمات السُّفن، علاوةً على ذلك أعطى الإذن بذهاب المتطوِّعين وكذا التَّجنيد من الأناضول قدر الحاجة"، ومقابل ذلك التأييد "بدأت قراءة الخطبة باسم السُّلطان، ودخلت الجزائر بصفة رسميَّة تحت الحكم العثماني"، وعلاوةً على الأنساق المضمرة السَّابقة، رصدنا نسق استعطاف للدَّولة العثمانيَّة من خلال عرض أحداث تاريخيَّة مؤسَّسة على حجة الرِّسالة الموجَّهة إلى السُّلطان سليم الأوَّل.

ب) العمليَّة التَّركيبيَّة لبعض الأحداث التاريخيَّة ضمن موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة

(الاستشراقيَّة) والموسوعة الإسلاميَّة (باللُّغة التَّركيَّة "وقف الديانة التَّركي")، والوثائق

العثمانيَّة استشهاده:

إذا ما توجَّهنا صوب العمليَّة التَّركيبيَّة للأحداث الأنفة الذَّكر، يُمكننا القول بأنَّ البلاد قد شهدت أوضاعاً عسيرةً بعد استشهاد المجاهد عزَّوج ريس والمجاهد إسحاق ريس. حيث قويت شوكة الأعداء، خاصَّة الإسبان، ورغبةً من المجاهد خير الدِّين ريس في حماية البلاد والعباد من خطر التَّوسُّع الإسبانيِّ والحفصيِّ، اضطرَّ إلى ربط مصيره ومصير البلاد بالدَّولة العثمانيَّة، فسعى مع أعيان مدينة الجزائر إلى الانضواء تحت لوائها، خاصَّة وأنَّها دولة مسلمة في أوج قوتها، حينها توجَّه وفد من أعيان البلاد يترأسهم الفقيه العالم أبو العباس أحمد بن عليِّ بن أحمد، وبقيادة الحاج حسين، حاملين معهم رسالة إلى السُّلطان سليم الأوَّل تُعرب عن رغبة أهالي مدينة الجزائر في الانضواء تحت لواء الدَّولة العثمانيَّة. وقد عرضوا فيها الأوضاع العامَّة التي شهدتها البلاد، خاصَّة بعد طرد الإسبان للمسلمين من الأندلس وقيامهم بالتَّجاوزات على سواحل شمال إفريقيا، والتي انجرَّ عنها احتلالهم لبعض المدن الساحليَّة كجاية ووهران، بحيث اضطرَّ أهاليها لمجاراتهم

حفاظاً على أرواحهم وأموالهم، ثمَّ أشادوا بأعمال الأخوين الشَّهيد عرّوج ريس والمجاهد خير الدّين ريس، وتوعّدوا بطاعة السّلطان وبذكر اسمه في الخطبة والسّكّة¹ (ينظر الملحق رقم 06).

ويُعزّز ما ذكرناه الأحداث التي ذكرها المجاهد خير الدّين باشا في مذكّراته قائلاً: "أوفدتُ حاجي حسين آغا الذي كان أوثق رجالي إلى سيدي السّلطان سليم خان، وبعد واحد وعشرين يوماً من رحلة بحريّة، وصل الآغا إلى لؤلؤة العالم إسطنبول... فاستقبله السّلطان في قصره السّاحليّ، ووضع حسين آغا بين يدي السّلطان الهدايا المتواضعة... مكث الآغا في عرش العالم إسطنبول واحداً وأربعين يوماً... وعندما أزيّت ساعة رحيلهم، أمر السّلطان أن تمرّ السّفن الجزائريّة قريباً من قصره لكي يتفرّج عليها، فقامت السّفن بالاستعراض بين يديه وهي تطلق قذائفها تحيّةً له... وقبل مغادرته لإسطنبول، قام الآغا بزيارة وداع للسّلطان... وفي هذه الزّيارة سلّمه السّلطان فرماناً كان قد كتبه بيده، ورد فيه أمر تعييني بيلرباياً على الجزائر، ثمَّ سلّمه سيفاً مرصّعاً وخلعةً مذهبةً وراية الإمارة... عندما غادر حسين آغا إسطنبول... قام... بزيارة مجاملة لأميرال السّفن البندقية، وقال له: "لقد صارت الجزائر تابعة للسّلطان سليم، وسيدي خير الدّين باشا بيلرباياً عثمانياً عليها، كما أنّ أسطولنا صار قطعة من الأسطول العثماني... وصل حسين آغا إلى الجزائر.... شعرتُ بسرور عارم يغمرنني، لن يتمكّن الإسبان من إزعاجي بعد اليوم، لأنّ السّلطان الكبير سليم خان يسندني... وكافأتُ حسين آغا على حسن سفارته وأدائه لمهمّته على أكمل وجه."²

الملاحظ هنا أنّ المجاهد خير الدّين باشا قد تحدّث عن إيفاد حسين آغا إلى إسطنبول في مهمّة، ولكنه لم يأت على ذكر رسالة أعيان الجزائر، وهنا قد تكون المهمّة التي أشار إليها هي إرسال الرّسالة إلى السّلطان سليم الأوّل بغية الانصواء تحت لواء الدّولة العثمانيّة، وما يُعزّز رأينا قوله: "لن يتمكّن الإسبان من إزعاجي بعد اليوم، لأنّ السّلطان الكبير سليم خان يسندني... فكلّ ما أطلبه منه لن يتردّد في إجابتي بكرمه وعنايته."³ وقبلها قول حسين آغا لأميرال السّفن البندقية "لقد صارت الجزائر تابعة للسّلطان سليم، وسيدي خير الدّين باشا بيلرباياً عثمانياً." وفي الصّد نفسه لا يفوتنا أن نذكر بأنّه قد ورد في مؤلّف "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا" للمؤرّخ أحمد توفيق المدني أنّ المجاهد خير الدّين باشا قد قرّر البقاء على كرسيّ الدّولة إلى أن يتخذ السّلطان

¹ فاضل بيّات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، ط¹، م⁸، مركز إرسيا، إسطنبول، تركيا، 2019م، ص.28.

² خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص-ص.95-98.

³ المصدر نفسه، ص.98.

العثمانيّ قراره فيما عرضه عليه أهالي الجزائر بواسطة الوفد الذي سار إلى القاهرة، حيث كان السلطان سليم مقيماً هناك، وكان الوفد تحت رئاسة الحاج حسين.¹

وهنا نلمح تناقضاً بين ما جاء به المؤرخ وبين ما أدلى به المجاهد خير الدين باشا في مذكراته من أنه أرسل الوفد إلى إسطنبول وليس إلى القاهرة. قبل إذاً السلطان سليم الأول العرض، وأمر بإرسال قوة من الإنكشارية مؤلفة من 2.000 جنديّ مع العتاد والمؤن الضرورية. وبناءً عليه تمكّن المجاهد خير الدين باشا من الإغارة على تونس بجرأاً للحدّ من عداء الحاكم الحفصيّ أبو عبد الله محمد بن الحسن المتوكل (القرن 14م-1526م)، وألحق الهزيمة بحاكم تلمسان أبو حمو موسى الثالث الذي اضطرّ إلى قبول ضريبة قدرت 10.000 دركة ذهبية.²

ولتبيّن الأحداث أكثر نعرض ترجمةً لرسالة أعيان الجزائر إلى السلطان سليم الأول، الذين أشادوا بمآثر الإخوة عروج ريس وإسحاق ريس وخير الدين ريس، وناشدوا السلطان انضواء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية، وإبقاء المجاهد خير الدين ريس على رأسهم من أجل حمايتهم من الغزاة الإسبان، وكان ذلك بتاريخ 925هـ/1519م، حيث ورد في الرسالة ما يلي:

"المكتوب الوارد من قاضي الجزائر وخطيبها وفقهائها وأئمّتها وتجارها وأمنائها وعمامة أهلها"
إلى المقام السلطاني العالي

"هذا ما كتبه وأبلغه عبيدكم في مدينة الجزائر بعد الدعاء بالسعد والنصر الذي يوصل إلى أقصى

الأمانى:

إنّ لمقامكم العظيم عندنا منزلةً عظيمةً إلى درجة نعترف بوجوب عهدكم علينا ولزومه، ونجلّ عتبتكم السامية بحيث تعجز الرسالة عن الوفاء بحقه، نحن فرحون بأيام سعادتكم ومستبشرون بزمام عبوديتكم ومنقادون لأمركم، ونعتمد عليكم اعتماداً باطنه وظاهره مخلصان وأوله وآخره مستحسنان، نُصغي إلى أمركم، ولا نملك إلا غاية التعظيم لجنابكم المعظم، وندعو أن يكون مقامكم الشريف مشرفاً. والأحوال التي ألمت بهؤلاء العبيد من أعداء الدين والنصر الذي حققه المؤمنون أحباب الله، والهزيمة التي ألحقت بالكفار أعداء الله هي أخبار طويلة وحوادث جسيمة وقد تمخض عنها ما يلي: إنّ الطائفة الطاغية بعد أن استولوا على بلاد الأندلس انتقلوا إلى قلعة وهران ثم توجهوا إلى غيرها من البلاد بغية الاعتداء عليها، فبعد استيلائهم على بجاية وطرابلس لم تبق أمامهم غير مدينتنا الجزائر، وأصبحنا غرباء وحائرين كنقطة في وسط الدائرة.

وضيق أهل الكفر الخناق علينا من كلّ النواحي، إلا أننا تشبّثنا بالدين/الحبل المتين، ولجأنا إلى الله، ولكنّ الطائفة الطاغية سعوا إلى إدخالنا تحت سيطرتهم، ونظراً إلى الأمر رأينا أنّ المحن والشدائد قد اشتدت

¹ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص-ص. 197-198.

² ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، الجزائر، 2014م، ص. 28.

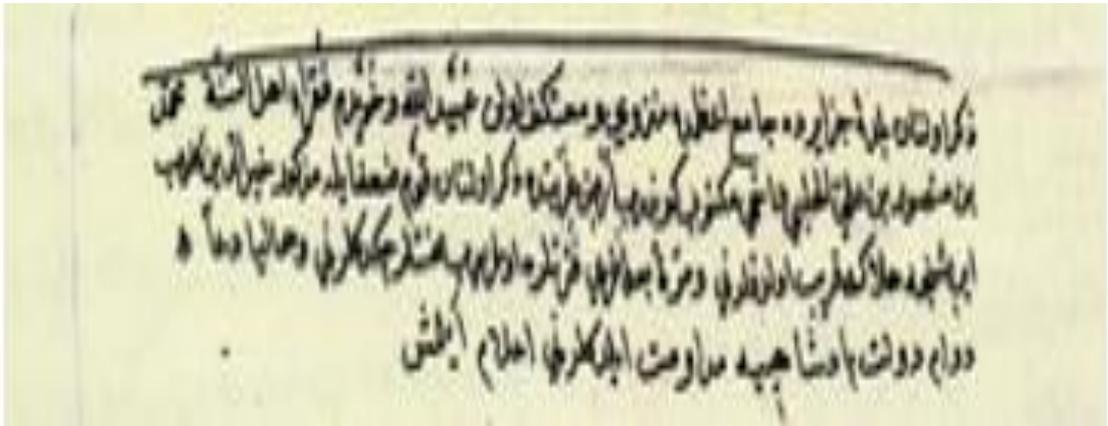
علينا، واضطررنا إلى التّصالح مع أهل التّثليث خوفاً على أرواحنا ونسائنا وأولادنا وأموالنا، وقمنا بمجاراتهم خوفاً من السّبي والتّشتيت، إنّنا لله وإنا إليه راجعون. وبعد هذه المضايقة جاء الكفّار واستولوا على وهران وبجاية وطرابلس، وكانوا ينوون احتلالنا بالسّفن وإيقاعنا أسرى بأيديهم، وتشتيت شملنا، إلى أن جاءنا فجأة ناصر الدّين وحامي المسلمين والمجاهد في سبيل الله أروج (عزّوج) بك مع ثلّة من مجاهديه. وقمنا نحن باستقباله بحفاوة وتقدير، لأنّه وبفضل الله خلّصنا من خوفنا. وكان أروج بك قبل أن يأتينا قد قصد قلعة بجاية متوجّهاً من مدينة تونس، وذلك بغية تحريرها من أعداء الدّين وتسخيرها للإخوان المسلمين، فقام وإلى جانبه المجاهد الصّالح الفقيه أبو العباس أحمد بن القاضي بمحاصرة القلعة المذكورة، وزلزلوا أركانها وهدموا بنيانها، وعند دخول القلعة شاهد الكفّار بأنّ بنياتهم قد اختلت وأيقنوا أنّ أجلهم قد دنا. وهاجم المسلمون القلعة المذكورة وسيطروا على برج عظيم البناء فيها، ودخلوا القلعة عنوةً، فلاذ بعض الكفّار بالفرار منها، وعجّل الله تعالى وصول أرواح البعض الآخر منهم إلى النّار فوقعوا قتلى. وخلاصة القول أنّ المسلمين قاتلوا أولئك الكفّار بكلّ أنواع القتال وحاربوهم آناء اللّيل والنّهار، ومن الشّروق إلى الغروب، إلى أن قامت جماعة من أصحاب أروج بك المشار إليه بتركه، فبقي هو مع جماعة قليلة بين الكفّار. فقصدنا المشار إليه والتقى بنا فكان السّبب في إنقاذنا من أعداء الدّين. إلّا أنّ المشار إليه أروج بك استشهد في معركة مدينة تلمسان فرحمة الله عليه، فخلفه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التّقى خير الدّين فأصبح خير خلف لخير سلف، وقام بحمايتنا. ولم تُشاهد منه غير العدل الكامل وإتباع الشّرع الشّريف النّبويّ. ويقوم المذكور أيضاً بتعظيم مقامكم العالي غاية التّعظيم ويسعى في أمر الجهاد ويبذل ماله وروحه في رضى ربّ العباد، ويحرص على إعلاء كلمة الله، وكلّ ما يتمناه هو التّعلّق بسلطنتكم العليّة وتقديم كمال الاحترام بكم، ولهذا فإنّ محبتنا تجاهه أصبحت خالصةً وثابتةً. وكيف لا نُكنّ له المحبّة وقد حلّ بيننا، وشمر عن ساعديه، وجاهد إلى جانبنا في سبيل الله بنية خالصة وقلب صادق. وحرص على التّقيد بأمر الله تعالى في الشّدة والرّخاء وهو كالكوكب الوهاج والدّلّيل واضح المنهاج في العقيدة الإيمانيّة. واليوم فإنّ ما يُريد هؤلاء العبيد إبلاغه للمقام العالي هو: إنّ أميرنا المذكور خير الدّين قد عزم على التّوجّه إلى طرفكم العالي، وقد توّسل إليه أعيان البلدة المذكورة لثنيه عن السّفر، نحن الآن نُعاني من ضعف شديد، وتُحدق بنا الكارثة فنخاف من الكفرة الطّاغية لأنّ النّصارى ينوون شرّاً بنا. ولهذا السّبب فقد تمّ إيفاد الفقيه العالم المدرّس السيّد أبو العباس أحمد بن عليّ بن أحمد إلى عتبتكم العاليّة، نحن وأميرنا المذكور خدم لجنابكم الأعلى، كما أنّ أهالي إقليم بجاية والغرب والشرق هم في خدمة مقامكم الأعلى. وعند وصول المذكور حاملاً هذه الرسالة سيقوم بتبليغ مقامكم الأعلى عن الأمور الأخرى المتعلّقة بهذه البلاد. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. " حُرّر في أوائل شهر ذي القعدة من عام 925هـ، 25 تشرين الأوّل/أكتوبر 1519م.¹

¹ فاضل بيّات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، م⁸، مرجع

* دحض مغالطة خاصة بالرسالة الثانية التي أرسلت مع رسالة أعيان الجزائر بغية تدعيمها، إضافة إلى مسألة ترجمة رسالة أعيان الجزائر من العربية إلى العثمانية:

تستوقفنا هنا مسألة مهمّة جدًّا يتداولها الباحثون كثيراً بحيث أصبحت من الرّواسب الثقافيّة المسلّم بها، حيث تبين لنا وجود مغالطة تتعلق بما ذكره المؤرّخ التّركي أحمد آق كوندز من أنّه قد تمّ تدعيم رسالة أهالي الجزائر برسالة أخرى خُطّت من قبل شخصين هما: عبّيد الله المنزوي وخادمه محمّد بن منصور الحلبيّ، حيث ذكر ما يلي: "وقد تمّ إرسال رسالة أخرى من قبل عبّيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم في الجزائر وخادمه محمّد بن منصور الحلبيّ، وقد شرّحا في هذه الرّسالة مدى ضخامة المحن والمشكلات التي صادفوها قبل وصول خير الدّين حتّى أشرفا على الهلاك".¹

وهنا تكمن المغالطة المهمّة، حيث قمنا بمقارنة ترجمة المؤرّخ التّركي أحمد آق كوندز مع ترجمة المؤرّخ العراقيّ فاضل بيّات، فخلصنا إلى أنّ المؤرّخ التّركي أحمد آق كوندز لم يُفسّر التّرجمة العثمانيّة بالشّكل المناسب، حيث اعتبر عبارات التّناء الموجودة في الرّسالة اسم لشخص ثانٍ، وخُصّ إلى أنّ هناك رسالة ثانية أرسلها شخصان هما: عبّيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم في الجزائر وخادمه محمّد بن منصور بن عليّ الحلبيّ، بينما الصّحيح أنّهما شخص واحد وهو محمّد بن منصور بن عليّ الحلبيّ. أمّا "عبّيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم" فهي عبارات تشريف تسبق الاسم. وللتّوضيح أكثر نُورد العبارة باللّغة العثمانيّة ثمّ ترجمتها الصّحيحة باللّغة العربيّة.



الصّورة رقم 12: جزء من رسالة أعيان الجزائر يتحدّث عن الرّسالة الثانية المرافقة لرسالة أهالي الجزائر إلى السّطان سليم الأوّل.²

¹ أحمد آق كوندز، الوثائق تنطق بالحقائق، وقف البحوث العثمانيّة، إسطنبول، 2014م، ص. 135.

² فاضل بيّات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، م⁸، مرجع

سابق، ص. 319.

"ذكر أولنان بلده جزايرده جامع أعظمه منزوي ومعتكف أولن عبيد الله وخويدم فقراء أهل السنة محمد بن منصور بن علي الحلبي داخي مكتوب كوندروب، أرض غربته ذكر أولنان قوم ضعفا إليه مذكور خير الدين كلوب إيريشنجه هلاكه قريب أولدقرني ومرة بعد أخرى فترتله أوغريوب محنتلر جكدكرني وحاليا دعاء دوام دولت بادشاهيه مداومت إيلدكرني أعلام إيلمش."

وترجمتها الصحيحة إلى اللغة العربية كالتالي: "كما أرسل عبيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم ببلدة الجزائر المذكورة وخويدم فقراء أهل السنة محمد بن منصور بن علي الحلبي هو الآخر رسالة أبلغ فيها أن القوم المذكورين عندما قصدهم خير الدين المذكور كانوا يعانون من الضعف وعلى وشك الهلاك في أرض الغربية وقد تعرضوا إلى الضربات والمحن مرةً تلو الأخرى، ويواصلون اليوم الدعاء لدوام الدولة السلطانية." ¹ فالعبارة: "عبيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم ببلدة الجزائر المذكورة وخويدم فقراء أهل السنة"، هي ثناء وتقديم يسبق الاسم محمد بن منصور بن علي الحلبي، وكانت هذه العبارات متداولةً في الرسائل في تلك الفترة، غير أن ترجمة المؤرخ التركي أحمد آق كوندز قد أضافت شخصية ثانية، وسأقت مغالطةً لازالت متداولةً إلى يومنا هذا.

نُضيف أيضاً أنه قد ورد في الترجمة العبارة التالية: "أن القوم المذكورين عندما قصدهم خير الدين المذكور كانوا يعانون من الضعف وعلى وشك الهلاك في أرض الغربية وقد تعرضوا إلى الضربات والمحن مرةً تلو الأخرى." فالقوم هنا هم أهالي الجزائر الذين استغاثوا بالمجاهد خير الدين ريس ضد الإسبان، وليس عبيد الله المنزوي وخادمه محمد بن منصور بن علي الحلبي، كما ذكر المؤرخ التركي أحمد آق كوندز: "وقد شرحاً في هذه الرسالة مدى ضخامة المحن والمشكلات التي صادفوها قبل وصول خير الدين حتى أشرفاً على الهلاك." ²

وعبارة: "في أرض الغربية" لا تعود على شخص عبيد الله المنزوي وخادمه محمد بن منصور بن علي الحلبي بتفسير المؤرخ التركي، بل تعود على أهالي الجزائر الذين راسلوا السلطان واستعطفوه على أساس أن لا عون لهم ولا ظهير، حيث شبهوا أنفسهم في الرسالة بالغرباء في فضاء واسع كنقطة في وسط دائرة: "إن الطائفة الطاغية بعد أن استولوا على بلاد الأندلس انتقلوا إلى قلعة وهران ثم توجهوا إلى غيرها من البلاد بغية الاعتداء عليها، فبعد استيلائهم على بجاية وطرابلس لم تبق أمامهم غير مدينتنا الجزائر. وأصبحنا غرباء وحائرين كنقطة في وسط الدائرة." فلم يجدوا من يُساندهم ولا

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، المرجع السابق، م⁸، ص.32.

² أحمد آق كوندز، مرجع سابق، ص.135.

من يُكاتفهم من أجل التَّصديِّ للإسبان، خاصَّة بعدما تمَّ الاستيلاء على وهران وغيرها من المدن السَّاحليَّة.

أمَّا المسألة الثَّانية فهي ثانويَّة ولكنَّها مهمَّة أيضاً، مفادها أنَّ المؤرِّخ أحمد آق كوندز أكَّد على أنَّ رسالة أعيان الجزائر إلى السُّلطان العثمانيِّ سليم الأوَّل قد تُرجمت من قِبَل المجاهد خير الدِّين باشا قبل أن تُرسل، حيث ذكر: "وُترجم المکتوب الخاصَّ بأهالي الجزائر من قِبَل خير الدِّين شقيق المرحوم أروج بك."¹

وبعد قراءة لمذكَّرات خير الدِّين باشا لم ترد فيها أيُّ إشارة تُثبت أنَّه هو من ترجمه، حيث يتبادر إلى ذهننا السُّؤال التَّالي: إذا كان مترجم الرِّسالة هو المجاهد خير الدِّين باشا، كما ذكر المؤرِّخ التُّركيِّ، فمن الَّذي ترجم الرِّسالة الثَّانية الَّتِي دَعَمَت رسالة أهالي الجزائر؟ هل هو المجاهد خير الدِّين باشا أيضاً؟ هل فرغ من كلِّ أعماله الجهاديَّة ليتفرَّغ لعملِيَّة التَّرجمة؟ وهل شخَّ النَّسَّاخ والمترجمون لكي يقوم بعملهم؟

وتعزيزاً لما ذكرناه يُمكننا أن نسوق مثلاً نراه مقنعاً إلى حدِّ ما: فإذا كان المجاهد خير الدِّين باشا يستطيع التَّرجمة من العربيَّة إلى العثمانيَّة، والكتابة بالعثمانيَّة بأسلوب جيِّد، فلماذا لم يُدوِّن مذكَّراته الَّتِي طلبها منه السُّلطان العثمانيُّ لوحده؟ لماذا أملاها على البحَّار المجاهد والأديب والشَّاعر سيد عليِّ المراديِّ ليخطِّها بأسلوبه، حيث ذكر المجاهد خير الدِّين باشا في مذكَّراته: "في أثناء اتِّصالي بالسُّلطان سليمان خان، ورد إليَّ فرمان سلطانيِّ، هذا نصّه: "كيف خرجت أنت وأخوك عروج من جزيرة ميدلي وفتحتم الجزائر؟ وما الغزوات الَّتِي قتمت بها في البرِّ والبحر حتَّى الآن؟ دون كلِّ هذه الحوادث بدون زيادة أو نقصان في كتاب، وعندما تنتهي أرسل إليَّ نسخة لأحتفظ بها في خزينتي". عندما استلمتُ هذا الأمر، استدعيْتُ أحد أرباب القلم، زميلي في الكثير من غزوات البحر "المراديِّ"، وأخبرته بفرمان السُّلطان، فبدأنا على الفور في التَّدوين، أنا أملي و"المراديِّ" يكتب."²

نستشفَّ إذاً أنَّ كاتب المجاهد خير الدِّين بربروس هو زميله "المراديِّ"، وبناءً عليه نجد أنفسنا أمام عدَّة فرضيَّات، فقد يكون البحَّار المجاهد والأديب والشَّاعر سيد عليِّ المراديِّ هو مترجم رسالة أعيان الجزائر إلى اللُّغة العثمانيَّة، إذا كان يُتقن اللُّغة العربيَّة طبعاً، ويُمكن أن تكون الرِّسالة قد كُتبت أصلاً باللُّغة العثمانيَّة بناءً على إملاء ما جاء فيها باللُّغة العربيَّة، على أساس أنَّ نسخة الرِّسالة باللُّغة العربيَّة غير موجودة.

¹ أحمد آق كوندز، المرجع السَّابق، ص. 135.

² خير الدِّين بربروس، مصدر سابق، ص. 20.

وقد يكون أحد المترجمين الموجودين في قصر المجاهد خير الدين باشا قد ترجمها من اللُّغة العربيَّة إلى اللُّغة العثمانيَّة. لكنَّ الرَّاجح لدينا أنَّ الرِّسالة كُتبت باللُّغة العربيَّة وتُرجمت في الدِّيوان الهمايونيِّ إلى اللُّغة العثمانيَّة، على أساس أنَّ الرِّسائل كانت تصل إلى السُّلطان العثمانيِّ من كلِّ الولايات التي كانت تحت لوائه وبلغات محلِّيَّة مختلفة، وكانت تُترجم في الدِّيوان الهمايوني من قِبَل مترجمين مختصِّين، كما كانت تُرسل فرمانات إلى تلك الدُّول بلغاتها المحليَّة أيضاً، ودليل ذلك إرسال العديد من الفرمانات السُّلطانيَّة إلى جزائر الغرب باللُّغة العربيَّة.

* مسألة التَّمردات ضدَّ المجاهد خير الدين باشا، رصدٌ للأُتساق المضمرة في الموسوعتين، وتركيب للأحداث التَّاريخِيَّة:

أُوفد إذاً المجاهد خير الدين باشا القائد العامِّ حاجي حسين آغا (1486-1543م)، وهو من أوثق رجاله إلى السُّلطان سليم الأوَّل بإسطنبول، حاملاً معه الهدايا التي قبلها السُّلطان وأبدى إعجابه بها، وعندما همَّ بالعودة سلَّمه السُّلطان فرماناً ورد فيه أمر تعيين المجاهد خير الدين باشا بيلرباياً على الجزائر، وقال له: "اسمع أيُّها الرِّئيس؛ سلَّم هذا السِّيف لخير الدين باشا ليتقلَّده بعزَّة وشرف، وليلبس خلعتي السُّلطانيَّة، ولتكن رأيي دائماً معه لا تُفارقه، دعواتي لكم أن يتولَّكم الله بنصره، وأن يُبيِّض وجوه جميع خدمي المجاهدين بالجزائر في الدَّارين، أمين بحرمة سيِّد المرسلين ﷺ".¹ بعد هذه البروتوكولات السُّلطانيَّة أصبحت الجزائر تابعةً للدُّولة العثمانيَّة في عهد السُّلطان سليم الأوَّل، وتمَّ تعيين خير الدين باشا بيلرباياً عثمانياً عليها، وانضمَّ الأسطول الجزائريُّ إلى الأسطول العثمانيِّ. لكنَّ الوضع لم يثبت على حاله، إذ سرعان ما أُحكيت الدَّسائس ضدَّ المجاهد خير الدين باشا، فنشبت ثورات أدَّت إلى رحيله عن جزائر الغرب لفترة.

نستهلَّ عرض تلك الدَّسائس مع سلطان تونس أبو عبد الله محمَّد بن الحسن المتوكِّل، حيث كان يُساند المجاهد عرَّوج ريس والمجاهد خير الدين ريس في غزواتهما، لكن وبعدما حظيا بمباركة السُّلطان العثمانيِّ لغزواتهما وإرساله سفينةً لكلِّ واحد منهما وسيفان ونيشائين (وسامين) مع رسالة إلى سلطان تونس جاء فيها: "إلى أمير تونس إذا وصلك كتابي هذا عليك أن تعمل به، واحذر أن تُخالفه، وإيَّاك أن تُقصر في تقديم أيِّ عون لخدمينا: عرَّوج وخير الدين".²

¹ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 96-97.

² المصدر نفسه، ص 68.

وعلى إثر ذلك تغيّرت معاملة سلطان تونس لهما، حيث ذكر المجاهد خير الدّين باشا أنّه "منذ هذه اللّحظة تغيّر موقف السّلطان منّا، وبدأ يُبدي لنا خلاف ما يُبطن لِمَا كان يجده في نفسه من الحسد... وهكذا شرع منذ ذلك الحين في التّحفظ منّا والابتعاد عنّا، خوفاً من أن نأخذ منه مملكته لحساب السّلطان سليم خان".¹ فلم يعد يُزوّدُهما بالبارود من أجل غزواتهما كما كان يفعل من قبل، وبعدها جاهر بعداوته لهما،² حيث شرع مع أمير تلمسان في التّحالف مع إسبانيا وحبك المؤامرات ضدّهما.³ كما قام بتحريض الأمراء المحليّين من أجل التّمرد ضدّهما، وقد انصاع له أمير تلمسان المعزول عن عرش الزيانيّين، أبو حمّو موسى الثالث، حيث أوفد السّلطان الحفصيّ رسالةً إلى الأمير المعزول جاء في مضمونها: "إنّ هذا المدعو خير الدّين قويّ جدّاً، بل هو أشدّ بلاء من أخيه عزّوج، ها هو الآن قد استند إلى السّلطان سليم خان، ولذلك فلا حدّ لغروره. لقد وضع في ذهنه التّطلع لدولة عالميّة تشمل حتّى إسبانيا. إنّ السّلطان سليم يظنّ أنّ خير الدّين رجل دولة حقّاً، فجعله بايلرباياً وباشاً، وقلّده السّيف المرصّع والخلعة والسّنجق السّلطانيّ، وسمح له أن يجمع من الأناضول ما يحتاج إليه من الرّجال والسّلاح وغير ذلك من التّجهيزات العسكريّة. الأحوط لنا هو أن نكون معاً يداً واحدة، فلا ندع أيّ تركيّ في إفريقيا، فهم خلال عشر سنوات من دخولهم شمال إفريقيا صاروا أسياداً علينا".⁴

نُضيف إلى رسالة التّمرد هذه تمرد بعض القبائل التي أذعنّت لتحريض السّلطان الحفصيّ، فما كان على المجاهد خير الدّين باشا سوى أن أرسل إليهم قوّة مكوّنة من 6.000 رجل و6.000 فارس،⁵ بغية تأديبهم وجعلهم عبرة للغير. هذا جانب عن بعض التّمردات الداخليّة، أمّا خارجيّاً فقد أحكم الإسبان تمركزهم في عدّة مناطق حسّاسة من السّاحل مثل وهران وبجاية، إضافةً إلى تدخلهم في شؤون تلمسان.⁶

سنُحاول في هذا المقام التّركيز أيضاً على مسألة مهمّة متعلّقة بقضيّة التّمرد الداخليّ من قبل ابن القاضي بن الشّيخ أحمد بن القاضي (.....-1527م)، مؤسس مملكة كوكو (1510م) بمنطقة القبائل الأمازيغيّة، ضدّ المجاهد خير الدّين باشا، وقد انصبّ اهتمامنا عليها نتيجة تغييب

¹ خير الدّين بربروس، المصدر السابق، ص-ص. 68-69.

² المصدر نفسه، ص-ص. 73-74.

³ المصدر نفسه، ص. 98.

⁴ المصدر نفسه، ص. 100.

⁵ المصدر نفسه، ص. 101.

⁶ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج2، ص. 15.

هذه المسألة المهمة من قبل المؤلفين في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، فلم يتمّ التطرّق إليها، اللهمّ إلاّ بإشارات لا يفقه منها المتلقّي العاديّ أيّ علاقة بالتمرد ابن القاضي بن الشيخ أحمد بن القاضي.

حيث ذكر المستشرق روجي لوتورنو أنّه: "لمّا تُوفّي عرّوج سنة 1518م، تولّى أخوه خير الدين السلطة ولكنّه لم يستطع أن يُحافظ على السيطرة على مدينة الجزائر، وارتدّ إلى جيجل من سنة 1520م إلى 1525م، وهناك استنجدت به الجزائر مرّة أخرى سنة 1525م، وفي 27 مايو سنة 1529م، نجح خير الدين في الاستيلاء على قلعة Penon، وهُدمت واستُخدمت الأنقاض في إنشاء سدّ.¹"

لقد أشار المستشرق في النصّ إلى أنّ المجاهد خير الدين باشا لم يتمكّن من السيطرة على مدينة الجزائر، ولكنّه لم يعرض سبب ذلك؟ كما أشار أيضاً إلى أنّه ارتدّ إلى جيجل من عام 1520م إلى عام 1525م، ولم يذكر لماذا ارتدّ؟

وثمة نصّ آخر للمؤرخ جورج إيفير يذكر فيه خصوم المجاهد خير الدين باشا، دون أيّ إشارة إلى المتمرد ابن القاضي حيث ورد في النصّ: "وما وافت سنة 1529م حتى كان قضى (خير الدين) على خصومه جميعاً، وعادت مدينة الجزائر فاستقبلته من جديد بعد أن كانت القبائل قد أخرجته منها من خمس سنين مضت.²"

الأكيد إذاً أنّ هذه المسألة لم تتل القسط الأكبر من الاهتمام في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) رغم أنّها تكتسي أهميةً بالغةً في سيرورة أحداث وسيرة الشهيد عرّوج ريس والمجاهد خير الدين باشا جزائر الغرب، حيث وردت الأحداث في النصوص الخطابية المشار إليها مبتورةً لا تؤدّي إلى الفهم المطلوب، بل تُسهم في تشوُّش الأفكار عند محاولة فهم الأحداث، نُضيف إليها أنّها غير كافية وغير دقيقة، نستشعر من خلالها تفاقياً لعرض الأحداث المهمة، والزاجح أنّ سبب ذلك هو منع تأثر المتلقّي بخيانة ابن القاضي للمجاهد خير الدين باشا، ومن ثمّ منع تولّد التعاطف لديهم تجاه هذا الأخير.

والمشكلة أنّ المؤلفين لم يتكبّدوا عناء تزويد أنفسهم بالمعطيات اللازمة حول تلك المسألة، رغم اعتمادهم على مصادر ومراجع مهمة، ساعدت في تأليف مادّة "الجزائر" في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية). وبالمقابل، وكما سبق وذكرنا، فقد اعتنى المؤلفون بعرض مسألة سالم التوميّ وأكّدوا أنّه قُتل من قبل المجاهد عرّوج ريس بعدما استنجد به ضدّ الإسبان، في

¹ روجي لوتورنو، مرجع سابق، ج10، ص.2948.

² جورج إيفير، مرجع سابق، ج10، ص.2930.

عملية تزييفية تُشير إلى أنَّ المجاهد عرَّوج ريس خائن للأمانة، في حين تغاضوا عن ذكر خيانة ابن القاضي للمجاهد خير الدين باشا بعدما تحالف مع السلطان الحفصي.

وبناءً على ما تقدّم يُمكننا الجزم بأنَّ المؤلِّفين قد استعانوا **بالمناهج الانتقائيَّة**، الذي يتناسب مع تطلُّعاتهم ويخدم توجُّهاتهم، حيث ينعقون ويعتمدون على الأحداث التي تخدم افتراضاتهم،¹ إضافةً إلى توظيف **منهج نفي**² القضايا وإهمال كلِّ ما يتعارض مع إيديولوجياتهم الاستشراقية.

وإذا ولينا صوب الموسوعة الإسلامية (باللغة التركيَّة) سنجد أنَّ المؤرِّخ التركيَّ الدكتور كمال قهرمان قد تطرَّق في نصِّه الخطابيِّ لمسألة تمرد ابن القاضي بن الشيخ أحمد بن القاضي على المجاهد خير الدين باشا، ذاكراً أنَّه: "بسبب انتفاضات أهالي مدينة الجزائر اضطرَّ خير الدين إلى المغادرة إلى مدينة جيجل حيث بقي هناك إلى غاية 1524م، بعد ثلاث سنوات وبطلب من الأهالي عاد إلى مدينة الجزائر وقام بالقضاء على تمرد ابن القاضي واسترجعها من جديد، كما تمكَّن سنة 1530م، من الاستيلاء على حصن البنيون، ثم عمل كاسر أمواج بين الساحل والجزيرة، وأنشأ ميناءً من أجل المحافظة على السفن، في الوقت نفسه تمَّ نقل ما يزيد عن 70.000 من مسلمي الأندلس المضطَّهدين إلى أطراف الجزائر."³

إذا تأملنا النصَّ الخطابيَّ جيِّداً، وغصنا بين ثناياه بغية رصد الأنساق المضمرَّة سنجد أنَّه يحمل أحداثاً سرديَّة تاريخيَّة، ولكنَّها في الوقت نفسه حاملة لإيديولوجيا مرتبطة بنسق **التقديم الإيجابي** للدولة العثمانيَّة، ويتأتَّى ذلك من خلال توظيف المؤرِّخ التركيِّ عبارات محدَّدة، ساهمت في التأكيد على أنَّ إلحاق الجزائر بالدولة العثمانيَّة كان نتيجة طلب من أهالي الجزائر: "وبطلب من الأهالي عاد إلى مدينة الجزائر".

كما رصدنا أيضاً **نسق الإسناد** الذي يتمظهر في صفة المضطَّهَد: "تمَّ نقل ما يزيد عن 70.000 من مسلمي الأندلس المضطَّهدين إلى أطراف الجزائر"، وهي صفة مرتبطة بالنسق الدِّينيِّ والسياسيِّ معاً، وذات علاقة بالمسألة الإثنيَّة باعتبار المسيحيِّين يضطَّهدون المسلمين في إسبانيا. يُحيلنا هذا الأمر إلى رصد نسق آخر، وهو **النسق التصوريِّ**، الذي يُصوِّر لنا القوى

¹ خالد بن عبد الله القاسم، المعتزلة في دائرة المعارف الإسلامية، عرض ودراسة، رابط سابق.

² جميلة الشمريِّ، المستشرقون ومناهجهم في دراسة علوم القرآن الكريم، 2013/06/02م، استخرج من الرابطة <https://vb.tafsir.net/tafsir36527>

³ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.486.

العثمانية على أنها قوى منقذة ومخلصه لمسلمي الأندلس ولأهالي الجزائر من وطأة الاستعمار الإسباني.

ورغم انتهاء المؤرخ التركي للإيديولوجيا الممّدة للدولة العثمانية إلا أنه حاول تَوْحِي الدقّة أثناء عرضه للأحداث التاريخية، حيث ارتكز على الزمن، وبين أن المجاهد خير الدين باشا قد بقي في مدينة جيجل إلى غاية 1524م، ثم ذكر أنه بعد 03 أعوام عاد إلى مدينة الجزائر، وقد وجدنا ما يُعزّز قوله، إذ ذكر المجاهد خير الدين باشا في مذكراته: "مضت ثلاثة أعوام على مغادرتنا لمدينة الجزائر. تضاعفت خلالها الوفود التي كانت جميعها تطلب منا العودة إلى الجزائر".¹ لم يذكر هذا الأخير تاريخ عودته، لكن المؤرخ التركي كمال قهرمان أشار إلى أنه "بقي هناك إلى غاية 1524م، بعد ثلاث سنوات وبطلب من الأهالي عاد إلى مدينة الجزائر"، بينما حدّد المستشرق روجي لوتورنو الفترة مبيّناً أنه "ارتدّ إلى جيجل من سنة 1520م إلى 1525م".

إذاً ذكر المستشرق أنه عاد عام 1924 وذكر المؤرخ التركي أنه عاد عام 1525م، وهنا نلمح تقديراً زمنياً غير دقيق، وتبايناً في عرض زمن الأحداث التاريخية. من جانب آخر تطرّق المؤرخ التركي إلى مسألة تمرّد ابن القاضي باختصار شديد، يُضفي الإبهام على تلك المسألة لغير المتخصّص في تاريخ جزائر الغرب: "وبطلب من الأهالي عاد إلى مدينة الجزائر وقام بالقضاء على تمرّد ابن القاضي واسترجاعها من جديد"، فهي إذاً معطيات معمّمة وغير كافية وقابلة للتأويل.

وثمة جانب مهمّ وجب علينا الوقوف عنده، ذو علاقة بالأمانة والدقّة، ونقصد بقولنا دقّة التواريخ المقدّمة في النصوص الخطابية في الموسوعتين، فقد رصدنا تبايناً واضحاً، حيث اتّفق المؤلفان الفرنسيّان روجي لوتورنو وجورج إيفير على أنّ المجاهد خير الدين باشا قد استقرّ في مدينة جيجل خمس سنوات: "وارتدّ إلى جيجل من سنة 1520م إلى 1525م"، "وعادت مدينة الجزائر فاستقبلته من جديد بعد أن كانت القبائل قد أخرجته منها من خمس سنين مضت". أمّا المؤرخ التركي الدكتور كمال قهرمان فقد حدّد نهاية بقاءه في جيجل إلى عام 1524م، أي بسنة أقلّ ممّا ذكره روجي لوتورنو وجورج إيفير.

وقد اتّفقا أيضاً على أنّ المجاهد خير الدين باشا قد قضى على خصومه كلّهم عام 1529م ونجح في الاستيلاء على قلعة البنيون في العام نفسه: "وما وافت سنة 1529م حتّى كان قضى (خير الدين) على خصومه جميعاً"، "وفي 27 مايو سنة 1529م، نجح خير الدين في الاستيلاء على

¹ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.125.

قلعة Penon، بينما أكد المؤرخ التركي الدكتور كمال قهرمان خلاف ذلك، وذكر أنه تمكن من ذلك عام 1530م: "كما تمكن سنة 1530م، من الاستيلاء على حصن البنيون"، أي بزيادة عام. وفي السياق نفسه، ذكر أنّ المجاهد خير الدين باشا اضطرّ "إلى المغادرة إلى مدينة جيجل؛ حيث بقي هناك إلى غاية 1524م، بعد ثلاث سنوات وبطلب من الأهالي عاد إلى مدينة الجزائر وقام بالقضاء على تمرد ابن القاضي واسترجاعها من جديد." بعد 03 أعوام، يعني عام 1927م.

وقد ساند هذا الرأي المؤرخ أحمد توفيق المدني قائلاً: "حكم ابن القاضي في مدينة الجزائر سنة أعوام 1521-1527م.¹ والأمر هنا يختلف مع ما ذكره المستشرق روجي لوتورنو: "ارتد إلى جيجل من سنة 1520م إلى 1525م"، ورغم أنّ الاختلاف لا يتجاوز العام، سواء قبل أو بعد الحادثة في الموسوعتين معاً، إلا أنه يظلّ اختلافاً يُعبّر عن معطيات غير دقيقة تؤدي إلى عدم الفهم والتشّيت الذهني لدى المتلقي، خاصة الذي يطّلع على الأحداث التاريخية نفسها في الموسوعتين معاً.

نواصل مع مسألة التمردات الداخليّة، حيث سنقف عند أحداث تمرد ابن القاضي بن الشيخ أحمد بن القاضي، ضمن عملية تركيبيّة تُساعد في توضيح الأمور. وبدايةً نذكر أنّ المجاهد خير الدين باشا قد جزّأ جزائر الغرب إلى جزأين: جزء شرقيّ ضمّ البلاد القبائليّة الجبليّة من شرقي العاصمة الجزائرية إلى حدود المملكة الحفصية التونسيّة، وكان على رأسه الشيخ أحمد بن القاضي الغبرينيّ، سلطان مملكة كوكو ببلاد القبائل، أمّا الجزء الغربيّ الممتدّ من الجزائر إلى حدود دولة بني زيّان غير المحدّد بالضبط فقد ترأّسه السيّد محمّد بن عليّ، بينما اختصّت مدينة الجزائر بالسلطة العليا، ومباشرة أمور الحرب والسياسة.

لكن، وحسب المؤرخ أحمد توفيق المدني، فقد أساءت الدسائس إلى العلاقات بين الشيخ أحمد بن القاضي الغبرينيّ، والمجاهد خير الدين باشا، حيث استكان وامتلّ الشيخ لمساعي السلطان الحفصيّ، معتمداً على مدده ورجاله،² وتوكّد ذلك المؤرخة عائشة غطّاس مبينةً أنّه في عام 1520م، حدث اضطراب سببه المنافسة على الملك،³

وهنا نقف عند نقطة مهمّة جدّاً، حيث ذكر المؤرخ أحمد توفيق المدني أنّ "الحالة قد تغيّرت بصفة فجائيّة، فالسيّد أحمد بن القاضي الغبرينيّ، الذي أساءت الدسائس العلاقات بينه وبين خير

¹ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص. 212.

² المرجع نفسه، ص. 211-212.

³ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 26.

الدِّين، أعلن الثَّورة والانفصال عن الدَّولة الجزائريَّة، منصاعاً لمساعي الدَّولة الحفصية، معتمداً على مددِها ورجالها، فما وسع خير الدِّين إلّا إخراج رجاله، ومقاتلة ابن القاضي قتالاً مريراً في جبال زواوة المنيعَة الشَّامخة واضطرَّه لالتجاء إلى عَنَابَة.¹ ثمَّ تلقَى ابن القاضي مدداً من السُّلطان الحفصيِّ التُّونسيِّ، فعاد إلى الحرب... إلى أن قرَّر خير الدِّين الخروج بنفسه لمقاتلة الصِّديق القديم المنشقَّ.² ثمَّ يعرض الحادثة من وجهة نظر دي غرامون فيبروي الذي بيَّن أن السُّلطان الحفصيِّ قد تأمر مع الشَّيخ ابن القاضي بغية إخضاع الجزائر لسُلطته، فحاكماً معاً خطَّة تقتضي الإيحاء إلى المجاهد خير الدِّين باشا على أن الشَّيخ ابن القاضي سيُساعد في قتال السُّلطان الحفصيِّ، وعندما يحين الوقت ينقلب عليه. وهكذا خرج المجاهد خير الدِّين باشا إلى الجهاد، وهو يعتقد أنه سيردَّ هجوم الحفصيين، معتمداً على جيشه وجيش ابن القاضي، وما كادت المعركة تحتدم حتَّى أدار جنود ابن القاضي سلاحهم ضدَّ المجاهد خير الدِّين باشا وجيشه فوقعوا بين نارين، وقُتلوا عن آخرهم تقريباً، إلّا القليل منهم، فمضى المجاهد خير الدِّين باشا وبعض رجاله إلى مدينة جيجل.³ ثمَّ يُضيف في موضع آخر: "ولم تستمرَّ الحرب طويلاً بين الجانبين... وجاء الحسين بن القاضي شقيق أحمد، الذي تولَّى الإمارة بعد مصرع أخيه، إلى مدينة الجزائر سنة 1539م يستسلم استسلاماً شريفاً بين يدي خير الدِّين."⁴

نُلاحظ هنا أنّ المؤرِّخ أحمد توفيق المدنيِّ ومن تبعه من المؤرِّخين، ومنهم المؤرِّخة عائشة غطَّاس في قولها: "تمردَّ شيخ قبيلة كوكو، الذي سعى إلى التَّعاون مع الإسبان."⁵ إضافةً إلى قول المؤرِّخ عبد الحميد بن أبي زيَّان بن أشنهو: "وعلى كلِّ حال فإنَّ موقف أحمد بن القاضي كان دائماً غامضاً غير واضح، الأمر الذي يجعل المؤرِّخ حائراً."⁶ هؤلاء لم يُفرِّقوا بين الشَّيخ ابن القاضي وبين ابنه ابن القاضي الذي يحمل الاسم نفسه، فالَّذي أحاك الدَّسائس ضدَّ المجاهد خير الدِّين باشا لم يكن صديقه الشَّيخ أحمد بن القاضي الغبرينيِّ بل ابنه ابن القاضي، وهذا حسب ما ذكره المجاهد خير الدِّين باشا في مذكِّراته، حيث قال: "لقد كان ابن القاضي أحد عظماء العرب بالجزائر، كما كان يُكَنَّى لي قدراً كبيراً من الصِّدق والمودَّة. حاول سلطان تونس أن يُحرِّضه للخروج

¹ أحمد توفيق المدنيِّ، حرب الثَّلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص.212.

² المرجع نفسه، ص.212.

³ المرجع نفسه، ص.212-213.

⁴ المرجع نفسه، ص.214.

⁵ عائشة غطَّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.33.

⁶ عبد الحميد بن أبي زيَّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص.150.

عليّ إلاّ أنّه لم يُوافقهُ على ذلك، ودعاهُ إلى لزوم الطَّاعة للأتراك والتَّبعية لهم. الآن تُوفي هذا الرَّجُل العاقل وحلَّ محلّه ولد طائش يُدعى ابن القاضي أيضاً، فكان أوّل ما فعله أن اتَّفَق مع سلطان تونس على أن يكوناً يداً واحدةً ضديّ.¹

وما يُعزِّز قولنا رسالة ابن قاضي بن الشَّيخ أحمد بن القاضي (الابن) التي أرسلها إلى السُّلطان الحفصيّ، حيث ورد فيها ما يلي: "لنكن أنا وإياك يداً واحدةً لاستئصال شأفة الأتراك، ونطرد خير الدِّين من الجزائر، فأكون أنا سلطاناً عليها في مكانه، وقتها سوف أغدق عليك أموالاً طائلةً، لقد كان والدي يحب الأتراك كثيراً، أمّا أنا فلا يوجد قوم أبغض إليّ منهم".² فالعبارة: "الآن تُوفي هذا الرَّجُل العاقل وحلَّ محلّه ولد طائش يُدعى ابن القاضي أيضاً"، والعبارة: "لقد كان والدي يحب الأتراك كثيراً، أمّا أنا فلا"، تدلّان معاً على أنّ المتمرّد المنشقّ هو الابن ابن القاضي وليس الشَّيخ ابن القاضي.

خرج إذاً المجاهد خير الدِّين باشا لمحاربة سلطان تونس، وعندما رآه السُّلطان ظنَّ أنّه حليفه ابن القاضي (الابن)، الأمر الذي سهَّل على المجاهد خير الدِّين باشا الانتصار وأسر سلطان تونس، لكنّه عفا عنه، وعندما همَّ بالعودة إلى الجزائر عبر ممراً شديد الوعورة، وكان ابن القاضي (الابن) قد كمن له هناك هو ورجاله، فهجموا عليه من كلّ حذب وصوب، حيث فقد المجاهد 750 شهيداً من رجاله طيلة 03 ساعات ونصف من المعركة، واستطاع أن ينسحب إلى الجزائر. عندها راح ابن القاضي (الابن) يُجاهر بقوله: "لقد هزمت خير الدِّين باشا، وعن قريب سأضرب عنقه إن شاء الله"³، وراح يُرسل إلى نواحي ولاية الجزائر، يحشد النَّاس ويدعوهم إلى التَّمرّد قائلاً: "ما الذي جاء بالأتراك إلى الجزائر؟ هذه بلاد العرب لنجتمع ونتخلَّص منهم جميعاً".⁴ أمّا المجاهد خير الدِّين فقد كان يُفكِّر فيما لو ترك الحكم له فإنّ جزائر الغرب ستضيع حتماً، حيث جاء في مذكِّراته: "إنّ ابن القاضي كان متلهِّفاً ليكون سلطاناً على الجزائر، إلاّ أنّني لو تركتُ الجزائر فإنّها سوف تتمرِّق مرّة أخرى إلى ألف قطعة، كلّ منها سوف تترامى في أحضان

¹ خير الدِّين بربروس، مصدر سابق، ص.109.

² المصدر نفسه والصَّفحة نفسها.

³ المصدر نفسه، ص-ص.110-111.

⁴ المصدر نفسه، ص.111.

الإسبان... فلا ابن القاضي يملك القدرة على توحيد الجزائر، ولا هو يملك الشجاعة ولا الجيوش التي تُمكنه من التصدّي للإسبان.¹

لاحقاً وبعدما حشد ابن القاضي (الابن) جيشه المتكوّن من 40.000 رجل، قام بهجوم على المجاهد خير الدين باشا وجيشه المتكوّن من 10.000 بحار، حيث دارت بينهما معركة انتهت بالقضاء على المتمرّدين من أتباع ابن القاضي (الابن)، ولم ينج منهم سوى 700 متمرّد،² وفرّ ابن القاضي (الابن) إلى عنّابة. بعدها قرّر المجاهد خير الدين باشا التخلّي عن جزائر الغرب وقفل عائداً إلى قاعدته بجيجل.³ وقد تناول الحادثة في مذكراته قائلاً لجنوده: "أهالي هذا البلد لا يرغبون فينا، وليسوا سعداء بوجودنا، فالأنسب لنا هو أن نجمع أمرنا وننسحب... نحن هنا في شمال إفريقيا لسنا سوى حفنة من الأتراك متناثرين في بلد أكبر أضعاف المرات من الأناضول."⁴ وعلى إثر قراره بالانسحاب خيّم أجواء الحزن على قلوب عدد كبير من الأهالي، وعندما طفق يركب السفن تعالت أصواتهم مردّدين: "إذا جاء الإسبان غداً من يحمينا منهم، ثمّ شرعوا في الدّعاء على ابن القاضي."⁵

ومن جانبه بعث ابن القاضي (الابن) رسوله إلى المجاهد خير الدين باشا طالباً الاعتذار منه إلا أنّ هذا الأخير رفض اعتذاره، وقال لرسوله: "ها هي مفاتيح قلعة الجزائر سلّمها لسيدك المتلهّف على السلطان والمُلك، وليأتي إلى الجزائر وليستمتع بالجلوس على عرشها بعد أن ولغ في دماء المسلمين، ولننظر كيف يُدير أمور البلاد."⁶

وهكذا اعتذر المجاهد خير الدين باشا من الأهالي ثمّ رحل إلى مدينة جيجل، وفي اليوم الموالي زاره شيوخ القبائل وأعيانها من الجزائر قائلين: "معاذ الله أن نكون قد شققنا عصا الطّاعة لمولانا... إنّنا معتزّون بتبعيتنا للسلطان سليمان خان، ولا صلة لنا بما جرى في الجزائر من تمرد وعصيان."⁷ لكنّ المجاهد خير الدين باشا لم يستجب لدعوتهم وبقي في مدينة جيجل. استفرد ابن

¹ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص.112.

² المصدر نفسه، ص.114.

³ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.26.

⁴ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص-ص.116-117.

⁵ المصدر نفسه، ص.118.

⁶ المصدر نفسه، ص.119.

⁷ المصدر نفسه، ص.120.

القاضي (الابن) بحكم مدينة الجزائر 06 أعوام (1521-1527م)، أين سادت فيها الفوضى والاضطراب.¹

وهنا ننف هنيئاً عند هذا التاريخ، حيث أنّ المؤرخ التركي قد ذكر سابقاً أنّ المجاهد خير الدين باشا قد عاد إلى الجزائر عام 1924م، وذكر المستشرق الفرنسي أنّه عاد في عام 1525م، بينما حدّد المؤرخ أحمد توفيق المدني تاريخ عودته بـ1527م. نلمح إذاً اختلافاً واضحاً بين المؤرخين حول تاريخ عودة المجاهد خير الدين باشا إلى الجزائر.

وبخصوص الأوضاع التي سادت في فترة حكم ابن القاضي (الابن)، فيمكننا القول أنّ مدينة الجزائر قد تدهورت، حيث اختلّ نظام الأمن، فتدمّر الأهالي من حكمه، وأرسلوا إليه وفداً قال له: "نعنقد بأنّ استدعاء خير الدين باشا فيه خير لنا جميعاً، فقد بلغ به الكمال أن غادر المدينة من أجل أن يعيش أهلها في أمن وسلام، فهل يوجد أحد فعل مثل هذا من قبل؟ لقد جنّناك راجيين أن تسمح لنا بدعوة خير الدين من جيجل وتتصرف أنت إلى قبيلتك.² اغتاز ابن القاضي (الابن) فأمر بضرب عنق زعيم الوفد الذي اقترح دعوة المجاهد خير الدين باشا، وقد كان عالم دين عربي.³

والملاحظ من هذه التصرفات أنّها ليست تصرفات شيخ عاقل بقدر ما هي تصرفات شاب طائش، كما وصفه المجاهد خير الدين باشا من قبل، وقد أشار هذا الأخير في مذكراته أنّ مدينة الجزائر في عهد حكم ابن القاضي كانت "تُدار فعلياً من طرف قارة حسن"،⁴ وهو بحار تركي كان تحت إمرة المجاهد خير الدين باشا ثمّ تمرد عليه وانضمّ إلى ابن القاضي (الابن).

يتبيّن لنا أنّ هذا الأخير لم يكن يملك حسّ التسيير والحكم، ولا يفقه فيه، بل أوكل المهمة إلى قارة حسن البحار التركي المتمرد، حيث "كانت له بضعة سفنٍ راسيةً في الميناء، غير أنّه لم يكن يستطيع الخروج للغزو لأنّه لم يكن لديه بحارة. وهكذا، وخلال فترة قصيرة من الزمن، بُليت تلك السفن لاحتياجها إلى عناية كبيرة، وما لم تتمّ صيانتها فإنّها ستعرض للبلبلى والقدم، ممّا يؤدي إلى ركود التجارة في المدينة تبعاً لذلك."⁵ وقد عاد هذا الأمر بالسلب على المدينة وأهاليها، حيث

¹ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص-ص. 112-114.

² خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص. 123.

³ المصدر نفسه، ص. 124.

⁴ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ المصدر نفسه، ص. 124.

تدهورت وتقهقرت في عهده. وبعد فترة التقى جيش المجاهد خير الدين باشا مع جيش ابن القاضي (الابن)، حيث ألحق به المجاهد خير الدين باشا هزيمة نكراء،¹ وعندما كان ابن القاضي (الابن) يهجم بالفرار طعنه أحد شيوخ العرب بزُمحه حتى خرجت من ظهره، ثم أمر الشيخ بقطع رأسه وإرسالها إلى المجاهد خير الدين باشا.² وهكذا لقي ابن القاضي بن القاضي (الابن) مصرعه على أيدي أتباعه بثنية بن عائشة في منطقة القبائل عام 1527م،³ حينها دخل المجاهد خير الدين باشا إلى مدينة الجزائر، فاستقبله أعيانها بحفاوة، وبعد فترة أعاد النظام والأمن إليها،⁴ حيث طرد الإسبان من برج الفنار في ماي 1529م،⁵ في حين يذكر المؤرخ الإنجليزي ويليام سبنسر William Spencer (1895-1963م) أنه تم استرجاعها عام 1530م، بعد 60 يوماً من القنبلة،⁶ وقد أدى ذلك إلى تعزيز شأن المجاهد خير الدين باشا لدى الأهالي.

وظل يُقارع الكفار ويردّهم عن جزائر الغرب إلى أن استدعاه السلطان سليمان القانوني إلى إسطنبول عام 1533م،⁷ حيث نصّب قائداً على الأسطول العثماني برتبة قوبدان باشا.⁸ ويؤكد ذلك المجاهد خير الدين باشا في مذكراته ذاكراً: "خاطبني السلطان قائلاً: "اسمع يا باشا... أريد أن أجعلك قبطان... لتتولى إدارة أسطولنا السلطاني وقيادته في حروبك المظفرة... ولتعلم أنني لن أنزع منك ولاية الجزائر بل ستحتفظ بها بصفتك بيلرباياً عليها، (أي أميراً على جميع أمرائها)، إلا أنه يتعين عليك أن تختار من تراه مناسباً لإدارتها نيابة عنك والإشراف عليها باسمك."⁹ فتاب عنه في حكم جزائر الغرب أحد أتباعه من أعلاج سردينيا، وهو حسن آغا الطوشي (1486-1543م)، الذي واصل جهود المجاهد خير الدين باشا.

¹ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص.28.

² خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.128.

³ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص.28.

⁴ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.131.

⁵ محمد الميلي، مرجع سابق، ص.120.

⁶ ويليام سبنسر، مصدر سابق، ص.46.

⁷ يوسف صاريناي ومجموعة من المؤلفين، الجزائر في الوثائق بالعثمانية، مشروع رئاسة الوزراء، ترجمة فاضل بيّات، أنقرة، 2010.

⁸ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص.30.

⁹ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص-ص.164-165.

4) تأسيس الدولة الجزائرية، وسيادة العثمانيين من منظور مؤلفي مادة "الجزائر" ضمن**موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) مع رصد للأنساق المضمرّة وتركيب****للأحداث التاريخية:****أ) رصد الأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية****(الاستشراقية):**

لقد ساق بعض المؤرخين ضمن الاسطوغرافيا الفرنسية حُججاً مبنيةً على المزاعم والإدعاءات والمغالطات التي ابتغوا من ورائها شرعنة استعمارهم، والإنقاص من شأن الدولة الجزائرية، على أساس أن الوطنية الجزائرية قد أوجدتها فرنسا بناءً على الإصلاحات والتنظيمات الإدارية والاقتصادية والمالية التي شكّلت الدولة الجزائرية.¹ وقد برزت عدّة ردود من قبل المؤرخين الجزائريين حول هذه المسألة، أمثال المؤرخ مولود قاسم نايت قاسم، والمؤرخ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، والمؤرخ عبد الرحمان الجيلالي، والمؤرخ أحمد توفيق المدني، والمؤرخ صلاح العقّاد، والمؤرخ ناصر الدين سعيدوني وغيرهم، الذين أبطلوا تلك الحجج الواهية. وقد أقرّ المؤرخ الفرنسي جورج إيفير، حسب ما أورده المؤرخ أبو القاسم سعد الله، أنّ فرنسا استعارت "هذا النظام وطبقته على الأهالي ولكنها جعلته أكثر إنسانية"،² وهو يقصد بذلك النظام الذي كان سائداً في العهد العثماني، فكيف تعرف بلاد جزائر الغرب النظام، ولا يُصاحبه شعور بالانتماء إليها، ولا وطنية ولا دولة؟

ونحن إذ نقوم في هذا المقام بعرض إضافات أخرى تتعلّق بالنصوص الخطابية في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، فإننا قد استثنينا الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) لعدم ورود نصوص حول هذه المسألة. فما هو إذا منظور مؤلفي مادة "الجزائر" حول مسألة تأسيس الدولة الجزائرية وسيادة العثمانيين بناءً على النصوص الخطابية في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)؟

تجدد بنا الإشارة في مستهلّ دراستنا إلى موقف المستشرق مارسال كولومب حول بداية استقرار العثمانيين في الجزائر، إذ اعترف أنّها لم تكن سياسة مدبرة ذاكراً: "لم يكن استقرار الأتراك في الجزائر نتيجة سياسة في الفتح مدبرة خُطّطت ويُقَدّت على يد العثمانيين بل إنّ الأمر على العكس من ذلك،

¹ بلعالية الميلود، من أجل إعادة الاعتبار لتاريخ الدولة العثمانية في الجزائر قبل 1830م، مجلة "Route educational and social science journal"، م5، ع08، جوان 2018م، ص.799.

² أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، طبعة خاصّة، الجزائر، 2007م، ص.30.

على الأقلِّ في بدايته، فقد كانت مغامرةً خاصَّة قام بها قرصانان مقدامان عُرفاً في المصادر الغربيَّة بالأخوين بربروسة عرّوج وخير الدّين.¹

وبالتدقيق الجيّد في هذا النّصّ الخطابيِّ، نلمح وجود نسق التّسمية الذي ركّز على اسم "الأتراك" عوض العثمانيّين: "لم يكن استقرار الأتراك"، وهو في نظرنا خطأ مقصود في توظيف المصطلحات الدّالة على ذلك التّنافر الذي يُشيع التّفرقة والبغضاء وينفي التّوحيد تحت راية الإسلام، ومع ذلك نجد المستشرق يعرض في موضع آخر عبارة: "على يد العثمانيّين"، الأمر الذي يُضفي التّباساً قصديّاً في توظيف المصطلحات، وحسبنا أنّ اختيارها ليس بريئاً، فليس كلّ الأتراك عثمانيّون.

من جانب آخر، وصف المستشرق الشّهيد عرّوج ريس والمجاهد خير الدّين باشا بصفة القرصنة: "فقد كانت مغامرة خاصَّة قام بها قرصانان مقدامان عُرفاً في المصادر الغربيَّة بالأخوين بربروسة عرّوج وخير الدّين"، والقرصنة هنا مفهوم أساسيٌّ في النّصوص الاستشراقيَّة، فهي العامل الأساسيُّ الذي بنّت حوله الدّول الأوروبيَّة مشروعها لغزو جزائر الغرب.

وبناءً عليه يُمكننا القول بأنّ المؤلِّفين الفرنسيّين قد اجتهدوا من أجل تحويل الهويَّة المجاهدة إلى هويَّة أخرى قرصنيَّة ضمن تصوّر إيديولوجيٍّ مجحف يُبرزها "شخصيَّةً مصلحيَّةً" أكثر منها "شخصيَّةً جهاديَّةً" لتفقد بذلك الشّرعيَّة عند المتلقّي.

من زاوية أخرى رصدنا نسق الإسناد من خلال إسناد صفة المغامرة للفاعلين المجاهدين عرّوج ريس وخير الدّين باشا: "فقد كانت مغامرة خاصَّة قام بها قرصانان مقدامان". ولعلّنا هنا نستطيع إضافة هذه الصّفة إلى المعجزة السّلبية التي تتماشى مع نسق التّلطيف اللّفظيِّ، فبدل القول أنّه جهاد ضدّ الكفار، وصفه المستشرق بالمغامرة للانتقاص من أهمّيّته، وهو نوع من التّغيب القصدّي للبعد الحقيقيّ للجهاد ضدّ الكفار.

ونحن نرى أنّه يدخل في إطار منهجيَّة البناء ثمّ الهدم التي أشرنا إليها سابقاً في الفصل الأوّل، إذ يُقدّم المستشرق نظرةً إيجابيّةً: "الفتح" بدل الاستعمار حتّى يرتاح القارئ نفسياً للخطاب الموجّه إليه، ثمّ يسعى المستشرق تدريجيّاً إلى هدم تلك النّظرة الإيجابيّة لتحوّل إلى مجرد "مغامرة". وإحاقاً بتلك الأنساق نلمح نسق التّنصّل، الذي تدلّ عليه العبارة: "بل إنّ"، حيث أنّ "بل" قد وُظفت لنفي ما قيل قبلها، والقصد من وراء توظيفها الدّلالة على أنّ الأتراك لم يكونوا

¹ مارسال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص.2873.

فاتحين بقدر ما كانوا قراصنة مُغيرين، وهو في اعتقادنا إنكارٌ ظاهر لأعمال الأخوين الجهادية، وسوقٌ لمعلومات مختلفة عن المعلوم.

وعن سعي العثمانيين إلى تأسيس دولة إسلامية ذكر المؤرخ جورج إيفير: "وجاء الترك فوقفوا في وجه النصارى وأنقذوا الإسلام في إفريقية، وأسسوا بقوة السلاح دولةً إسلاميةً تشمل المغرب الأوسط بأسره، على أنقاض الدويلات البربرية بعد أن قوّضت أركانها الفوضى التي دامت أمداً طويلاً".¹

عندما وقفنا عند هذا النصّ الخطابي بغية تقصي الأنساق المضمرّة وجدنا المؤرخ يُمجد العثمانيين: "الترك"، لكنّه في الوقت نفسه يُقلّل من قيمة الدويلات البربرية في العبارات التالية: "وجاء الترك... وأنقذوا الإسلام... وأسسوا... دولةً إسلاميةً... على أنقاض الدويلات البربرية"، وضمن إطار نسق التقديم السلبي للآخر، البربري المتوحّش، الحيوان، المتخلف، اللإنسان... وغيرها من الصفات التي ألصقتها فرنسا بالجزائريين من أجل شرعنة استعمارها.

وبخصوص نسق التسمية، فقد اعتمد المؤرخ الفرنسي على توظيف المصطلحات الدينية "النصارى" - "الإسلام"، والإثنية "ترك" - "بربر" ضمن مقاربة إيديولوجية تنتقص من الآخر البربري. وعن نسق الإسناد، يمكننا القول بأنّ المؤرخ قد ركّز على نسق الدور التقاطبي الفرعي للأفعال المسندة للعثمانيين والبربر، ذات الدلالة المرتبطة بموقع كلّ منهما، فالعثمانيون: "أنقذوا" - "أسسوا"، وهي أفعال تُبرز قوتهم، بينما الدويلات البربرية عاشت في "الفوضى التي دامت أمداً طويلاً"، وهي عبارة تُبرز جلياً ضعفهم ضمن نسق التصنيف الإيجابي للعثمانيين "الترك"، والسلبي للبربر "الدويلات البربرية"، ولا نُغالي إن قلنا أنّها إيديولوجيا تخدم الأفكار الاستشراقية السابقة حول الجزائر التي زعمت أنّ الآخر البربري غير متميّز ويحتاج لمن يقوده.

ننتقل الآن إلى مستوى آخر من التحليل والنقد أين نشهد وجود النسق الرمزي الأسطوري الذي يؤسس لأسطورة المنقذ في العبارة التالية: "وجاء الترك فوقفوا في وجه النصارى وأنقذوا الإسلام في إفريقية"، وهو نوع من النسق الحجاجي السياسي، أين قدّم المؤرخ "الترك" على أنّهم منقذو فوضى المسلمين، وهذا الفعل ما هو إلاّ تمرير لأفكار إيديولوجية تنفي صفة القوة لدى المسلمين، وتُعزّز وتُرسّخ صفة الضعف والهوان والدّلّ التي كانت تُنادي بها النظريات الاستشراقية من قبل ك"القدريّة"، و"التطورية".

¹ جورج إيفير، مرجع سابق، ص. 2827.

نأتي الآن إلى جزئية مهمة أيضاً، وهي الشخصية المؤسسة للدولة الجزائرية في العهد العثماني، حيث نجد أن المؤرخ جورج إيفير قد أكد على أن مؤسسيها هما المجاهد عروج ريس والمجاهد خير الدين باشا ذكراً: "وكان مؤسساً هذه الدولة هما عروج وخير الدين"،¹ وهنا، وبدون أن ندقق في العبارة، نجد اعترافاً واضحاً بوجود دولة في ذلك العهد ووجود مؤسس لها، عكس ما روج له المستشرقون السابقون في الفصل الأول. هذا وتتضح رؤية المستشرق مارسال كولومب أكثر حول سيادة العثمانيين على جزائر الغرب، حيث أشار إلى أن "سيادة الأتراك كانت نظرية أكثر منها عملية"،² وهنا اعتراف صريح من لدن المؤرخ جورج إيفير والمستشرق مارسال كولومب على أن الشهيد عروج ريس والمجاهد خير الدين باشا هما من أسس الدولة الجزائرية في العهد العثماني، وأن سيادة العثمانيين كانت شكلية فقط، على خلاف ما روج له من قبل ضمن الظاهرة الاستشراقية.

ننتقل الآن إلى جانب آخر مهم يستلزم منا نقد النصوص الخطابية والوقوف عند الأمانة والدقة، حيث رصدنا عند المستشرق مارسال كولومب تعصباً حول فكرة اعتبار جهاد الأخوين ضد الكفار مجرد مغامرة، وهو في نظرنا انتقاص وإخفاء لتفاصيل وحقائق لحساب تفاصيل أخرى، وبالتالي هي مغالطة حجاجية تُعبّر عن كلام زائف ومضلل، وتستند إلى التفسير الخاطيء للأحداث حول بداية استقرار العثمانيين في الجزائر: "كانت مغامرة خاصة قام بها قرصانان مقدامان".

وتؤكد رأينا المبالغة في تعميم الأفعال والأحداث السلبية المبنية على الأحكام المسبقة التي تندرج ضمن نسق التقديم السلبي للآخر: "لم يكن استقرار الأتراك في الجزائر نتيجة سياسة في الفتح مدبرة خُطّطت ونُفذت على يد العثمانيين بل إنّ الأمر على العكس من ذلك، على الأقل في بدايته، فقد كانت مغامرة".

ورغم وجود تفاعل سياسي إيديولوجي هدفه تزييف الأحداث في كثير من النصوص الخطابية السابقة، إلا أننا رصدنا في لاتفاقية مع ما ذكره المستشرق مارسال كولومب، اعتماد المؤرخ جورج إيفير على إيديولوجية أخرى تعترف بشكل واضح وتؤكد بأن الشهيد عروج ريس والمجاهد خير الدين باشا قد أسس الدولة الجزائرية في العهد العثماني: "وكان مؤسساً هذه الدولة هما عروج وخير الدين"، وهذا دليل على أنها ليست مغامرة عابرة.

¹ جورج إيفير، المرجع السابق، ج9، ص.2827.

² مارسال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص.2875.

وهنا يظهر التباين في الآراء والمنظوريّة الذي يؤدي إلى الاضطراب والتشويش الفكريّ في عرض المعلومات في إطار تأليف مادّة موسوعيّة حول موضوع واحد، ومرّد ذلك ربّما إلى اعتماد موجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقيّة) على أكثر من مؤلّف لمادّة واحدة، الأمر الذي يجعل اختلاف الآراء والإيديولوجيات ما بين المؤلّفين الفرنسيّين في بعض المسائل، وليس كلّها، أمرٌ واردٌ جدًّا.

ولابدّ علينا في هذا المقام الوقوف أيضاً عند المعجزة الموظّفة من قبل المؤلّفين الفرنسيّين، والتي تضمّنت ما يلي: "قرصانان"، "مغامرة"، "مدبرة"، "خطّطت"، "تقدّت"، "أنقذوا"، "أسسوا"، "السلاح"، "الفوضى"، "نظريّة". وبالتمعّن فيها نجدها معجزة سلبية أكثر منها إيجابية، تُمثّل أداة كاشفة للإيديولوجيا، ومعزّزة لمنظور المؤلّفين الفرنسيّين حول شخصيّة المجاهدين عروج ريس وخير الدين باشا، وحول بدايات تأسيس الدولة الجزائريّة، إذ تُشغّر المفهوم وتُعيد توجيه المعنى إلى مقصديّة أخرى، وهذا خير دليل على مقارنة الأحداث التاريخيّة بنزعة ذاتيّة مؤدلجة في أغلبها.

ب) العمليّة التركيبية لبعض الأحداث التاريخيّة ضمن موجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقيّة)، مع الاستشهاد بالوثائق العثمانيّة:

نُبادر الآن إلى تجاوز ما استحضرناه سابقاً في عمليّة تركيبية مركّزة حول مسألة تسمية ووصف الشهيد عروج ريس والمجاهد خير الدين باشا بالقرصانين، وسنتحدّث بإسهاب عن القرصنة لاحقاً ضمن المبحث الخاصّ بالجنديّة البحريّة (طائفة رياس البحر) لجزائر الغرب. لقد خبرنا من خلال النصوص الاستشراقيّة التي حلّلناها سابقاً أنّ القرصنة مفهوم أساسيّ ومتداول في تلك الفترة، وقد استعمل كمطيّة من قبل الأوروبيّين بهدف غزو جزائر الغرب، حيث أطلق المستشرقون والحكّام والملوك الأوروبيّون تلك الصّفة على الشهيد عروج ريس والمجاهد خير الدين بغية تشويه صورتها وتحويل هويّتهما إلى هويّة لصوصيّة منبوذة، رغم أنّ الفرق شاسع بين لصوصيّة البحر التي يُمارسها مغامرون بنية النهب والسّرقة، والتي تُدعى بالفرنسيّة Piraterie وبين القرصنة Course التي تُعتبر نوعاً من أنواع الحروب البحريّة التي تنتشب بين الدّول المتعادية بغرض ضرب اقتصاد العدو بالاستيلاء على البضائع وأسر ركابها.¹ والمفهوم الثّاني يُقابله عند

¹ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مصدر سابق، ص.72.

المسلمين "الجهاد البحري"، الذي يُرَكِّز على محاربة العدوِّ غير المسلم بحراً، خلافاً لمفهوم اللّصويَّة الذي يُمارس ضدَّ المسلمين والمسيحيِّين وغيرهم دون تفریق.

ودليل ذلك أنّ المجاهدين عرّوج ريس وخير الدّين باشا كانا يخرجان إلى الجهاد البحري، وهما يقصدان أماكن وجود الكفّار، مثل سواحل البندقية، ألبانيا، جزيرة ميورقة، جزيرة كورسيكا، جزيرة صقلية، سواحل إسبانيا، قبرص، خليج جنوة، مضيق جبل طارق، جزر البليار، برشلونة، جزيرة سردينيا، سواحل إيطاليا، وغيرها.¹

ولا يوجد أفضل ممّا نستهلّ به وهو قول الشهيد عرّوج ريس أمير تنس الذي تعاون مع الإسبان وأشاع بأنّ المجاهد عرّوج ريس قرصان لا همّ له إلاّ قطع الطّريق في عرض البحر، حيث ردّ عليه قائلاً: "نحن لسنا قرصنة بل مجاهدون نُقاتل في سبيل الله والله الحمد."² ولقد كان معروفاً لدى سلاطين الدولة العثمانية وأمرائها على أنّه مجاهد، حيث ورد في حديث خازن الأمير شاهرزاده قورقود (1467-1513م)، ابن السلطان بايزيد الثاني (1447-1512م)، المسمّى بيالة باي، الذي طلب المساعدة من المجاهد عرّوج ريس بعد أن أحرقت سفينته من قبل الروديسيون، ما يلي: "إنّ عرّوج ريس عبد من عبيدكم المجاهدين، وهو يقوم بمجاهدة الكفّار ليلاً ونهاراً. لقد انتصر عليهم في معارك كثيرة، غير أنّه فقد سفينته، وهو يرغب في أن تتفضّلوا عليه بسفينة يغزو عليها."³

وقد عُرف الشهيد عرّوج ريس والمجاهد خير الدّين باشا عند أهالي الجزائر بالمجاهدين، حيث ورد في رسالة وفد من مدينة بجاية الموجهة إليهما ما يلي: "إن كان ثمة مغيث فليكن منكم أيّها المجاهدون الأبطال. لقد صرنا لا نستطيع أداء الصّلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان. فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم. جعلكم الله سبباً لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم، فتفضّلوا بتشريف بلدنا وعجّلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفّار."⁴

إنّ المتمعّن في الرّسالة يُلاحظ استعمال عبارة: "أيّها المجاهدون الأبطال"، في مقابل عبارة: "هؤلاء الكفّار"، وهذا دليل على أنّ النّسق الدّينيّ حاضرٌ بقوة في تلك الفترة، فخلفية تلك المعارك والغزوات والجهاد خلفيّة دينيّة بامتياز، فهي صون للإسلام من قبل المجاهدين المسلمين

¹ خير الدّين بربروس، مصدر سابق، (المصدر ككل).

² المصدر نفسه، ص. 84.

³ المصدر نفسه، ص. 37.

⁴ المصدر نفسه، ص. 67.

أمثال الشَّهيد عرّوج ريس وخير الدين باشا ومن معهم، وبين المسيحيين الراغبين في تنصير البلدان الإسلاميّة، إذاً هو صراع بين الأنساق الدينيّة منذ آلاف السنين، ولا زال موجوداً إلى يومنا هذا بأشكال ومسمّيات أخرى.

ومن الدلائل التي تُبطل مفهوم القرصنة اللّصوصيّة التي ألصقت بالشَّهيد عرّوج ريس هو طلب الإذن من السلطان بغية الخروج للغزو، وهو ما يتنافى مع مفهوم القرصنة اللّصوصيّة، حيث ذكر المجاهد خير الدين باشا في مذكّراته: "حلّ الربيع فكتب أخي إلى السلطان يستأذنه في الخروج للغزو، فإذا له بذلك، فركب البحر متوجّهاً إلى سواحل قبرص".¹ وذكر أيضاً أنّهما قالاً لبعضهما البعض في بداية جهادهما: "ما دام الموت هو نهاية كلّ حيّ، فليكن في سبيل الله"²، وهو دليل على نيّتهما الجهاد في سبيل الله.

إضافةً إلى ما ذكرناه، وجدناهما قد طلبا من سلطان تونس مكاناً لحماية سفنهما بينما يقومان بالجهاد: "نريد أن تتفضّل علينا بمكان نحمي فيه سفننا بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله".³ وإلحاقاً بما ذكرناه وجدنا المجاهد خير الدين باشا يصف خرجاته للجهاد بمصطلح آخر وهو "الغزو"، علماً أنّ الغازي معناه المجاهد عند العثمانيين، حيث ذكر: "صعدنا إلى السفينة، فوجدناها مشحونةً بالقمح، سلّمنا على دليّ محمد وقلنا له: "غزو مبارك".⁴ ويُضيف "بعد... الغزوة شاع أمرنا بين ممالك الكفر، فاتّفقوا على القضاء علينا"⁵ ويُضيف أيضاً: "عندما حلّ الربيع... خرجنا في ثمانية مراكب للغزو فوصلنا إلى سواحل الأندلس حيث كانت المدينة الإسلاميّة غرناطة قد سقطت قريباً بيد الإسبان".⁶ ويقول في موضع آخر: "قأتيّ الجزائر حيث لقيتُ أخويّ عرّوج وإسحاق، فتعانقنا بحرارة وشوق وهنأني رئيس الغزاة عرّوج بقوله: "بارك الله في غزوكم يا أخي".⁷ وهنا نلاحظ توظيف العبارات التّالية: "الغزوة"، "ممالك الكفر"، "الغزو"، الأمر الذي يجعل من عرّوج ريس وخير الدين باشا غازيين مجاهدين، وليس المفهوم الذي روّج له المستشرقون "القرصنة".

¹ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص.42.

² المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

³ المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

⁴ المصدر نفسه، ص.48.

⁵ المصدر نفسه، ص.49.

⁶ المصدر نفسه، ص.54.

⁷ المصدر نفسه، ص.82.

ومما يزيد من تعزيز ذلك، وصفهما للمتوقِّين في الغزوات البحريَّة والبريَّة بـ"الشَّهداء"، حيث ورد في مذكِّرات المجاهد خير الدِّين باشا ما يلي: "أعطى أوامره (عروج) بالشَّروع في الهجوم على قلعة بجاية... التي كانت تُمطر علينا وابلأً من قذائف المدفعية والقنابل. خلال ذلك فقدنا ستين شهيداً..."¹ ويُضيف في موضع آخر: "استقبلتُ الغزاة على مشارف قلعة تنس فهنأتهم بالنصر، واحتسبت الشَّهداء عند الله."² وقد حظي المجاهدان عروج ريس وخير الدِّين باشا بدعوات السلطان العثماني لهما لما قاما به من غزوات قائلاً: "اللهم بيض وجهي عبدك عروج وخير الدِّين في الدنيا والآخرة، اللهم سدِّ رميتهما واخذل أعداءهما وانصرهما في البر والبحر."³ فهل من لصِّ بحري يحظى بدعاء السلطان له؟

والملاحظ هنا أنَّ جهادهما لم يكن بحراً فقط بل حتّى برّاً، ودليل ذلك مقتل الشهيد عروج ريس في البر بعد غزوته بتلمسان. وإضافةً إلى ما ذكرناه نجد أنَّ السلطان العثماني قد وصف المجاهد خير الدِّين باشا ومن معه بالمجاهدين في سبيل الله، حيث ورد في فرمان تعيينه بيلرباياً على جزائر الغرب ما يلي: "اسمع أيها الرِّئيس؛ سلّم هذا السيف لخير الدِّين باشا لينقلده بعزة وشرف، وليلبس خلعتي السلطانية، ولتكن رأيتي دائماً معه لا تُفارقه، دعواتي لكم أن يتولاكم الله بنصره، وأن يبيّض وجوه جميع خدمي **المجاهدين بالجزائر** في الدارين، أمين بحرمة سيّد المرسلين ﷺ".⁴ فهل يوجد أفضل من اعتراف السلطان العثماني بأنَّ عروج ريس وخير الدِّين باشا ومن معهم مجاهدون بأنَّ معنى الكلمة.

وهناك جزئيةٌ أخرى مهمّةٌ تنفي صفة القرصنة عنهما ومن معهما، وهي طلب الفتوى من العلماء، فهل يُعقل أن يطلب القراصنة اللصوص الفتوى من العلماء؟ لكنَّ المجاهد عروج ريس قد فعلها مستفتياً علماء الجزائر عن أمير مدينة تنس يحيى بن الثابتي الزباني، وهو ابن أخ سلطان تلمسان، بعدما تحالف مع الإسبان، قائلاً: "أيها السادة: ما حكم الشرع فيمن تمالاً مع الكفار الإسبان، وبائع ملك إسبانيا الذي سار لقتل إخواننا في الدِّين، وقابل نُصحنًا بالكنود؟ فكان جواب العلماء: "قتله واجب ودمه هدر وماله مباح".⁵

¹ خير الدِّين بربروس، المصدر السابق، ص.52.

² المصدر نفسه، ص.81-82.

³ المصدر نفسه، ص.64.

⁴ المصدر نفسه، ص.97.

⁵ المصدر نفسه، ص.83.

وفي حادثة أخرى متعلّقة بثورة ابن القاضي (الابن)، وبعد إخمادها، أحضر المجاهد خير الدّين باشا 185 من رؤساء الفتنة مقيّدي الأيدي، وجمع علماء الجزائر وسألهم قائلاً: "سادتي المشايخ، ما حكم هؤلاء الأسرى في ديننا وشريعتنا؟. أجاب أحد العلماء الطّاعنين: "إنّ حكم الشّرع في حقّ الخارجين عليك وعلى عساكرك هو الموت، لأنك تُمثّل في هذا البلد ملك البرّ والبحر مولانا السّلطان سليمان خان، فأنت أمير أمرائه... إلّا أنّ من بينهم كثير من الغزاة الذين تصدّوا لكفّار إسبانيا... فإن كان ثمة مجال للعفة فاعف عنهم... فالعفو عند المقدرة هو عين المروءة والشرف".¹

وفي حادثة أخرى طلب المجاهد خير الدّين باشا من سلطان تلمسان أن يُجِدّد دينه لأنّه ارتدّ عندما تحالف مع الإسبان، فهل يُعقل أن يطلب لصّ بحر تجديد الدّين لأمر ارتدّ؟ نعم لقد قام بها المجاهد خير الدّين باشا، حيث قال لسلطان تلمسان: "دع عنك هذا أيّها الكافر المرتدّ وجدّد إيمانك... لقد قمت بموالاتة أكبر أعداء ديننا والخروج عليّ وأنت تعلم بأنّي أمثّل خليفة المسلمين وسلطان الدّنيا فسلّمت سيفك في وجهي". وهكذا أعلن السّلطان توبته بتلاوة الشّهادتين وجدّد دخوله في الإسلام، وقام أيضاً بإعادة العقد على زوجاته اللاتي كان قد فسد نكاحه بهنّ بسبب ارتداده عن الإسلام.²

ثمّ ختم المجاهد خير الدّين باشا مذكّراته بعبارة تدلّ على تفانيه في الجهاد خدمةً لدينه، حيث ذكر: "يُمكّني أن أضع نهايةً لمذكّراتي وأختتمها بحمد الله عز وجلّ الذي أتاح لي -أنا العبد الضّعيف- فرصاً عديدةً مكّنتني من **خدمة ديني** ودولتي وسلطاني".³ فالنّسق الدّينيّ الإسلاميّ كان مرافقاً دائماً لغزوات المجاهدين عرّوج ريس وخير الدّين باشا، الأمر الذي ينفي عنهما صفة اللّصوصية بالمفهوم الغربيّ. واستعانة المجاهد خير الدّين باشا بمصطلحات مضبوطة في مذكّراته أمثال: "المجاهدين"، "الغزاة"، "الغزوة"، "الشّهداء" لخير دليل مدحّض للتسويق الاستشراقيّ لمصطلح القرصنة اللّصوصيّة ومحاولة إلصاقها بشخصيّة المجاهدين عرّوج ريس وخير الدّين باشا ومن معهما.

ننتقل الآن إلى مسألة مهمّة أخرى، وهي اعتبار بداية استقرار العثمانيين في الجزائر مجردّ مغامرة قام بها قرصانان، كما ورد ذلك في النّصّ الخطابيّ الاستشراقيّ للمستشرق مارسال

¹ خير الدّين بربروس، المصدر السابق، ص-ص. 114-115.

² المصدر نفسه، ص. 157.

³ المصدر نفسه، ص. 214.

كولومب: "لم يكن استقرار الأتراك في الجزائر نتيجة سياسة في الفتح مدبرة حُطِّطت ونُقِّذت على يد العثمانيين بل إن الأمر على العكس من ذلك، على الأقل في بدايته، فقد كانت مغامرة".

وقد أشرنا سابقاً إلى أن هناك لاتفاقية حول هذه المسألة، حيث ذكر المؤرخ جورج إيفير المادّة نفسها أن "مؤسساً هذه الدولة هما عروج وخير الدين". ولتعزيز قولنا نعرض وجهة نظر المعني بالأمر، وهو المجاهد خير الدين باشا، حيث ورد في مذكراته ما ينفي أنها مجرد مغامرة، إذ أكد أن الشهيد عروج ريس قد رأى من قبل رؤيةً صالحةً ساهمت في اهتمامه بالمنطقة الغربية، حيث ذكر: "ذات صباح قال لنا (عروج): "لقد رأيتُ في الليلة الماضية رؤيا صالحةً، رأيت ذلك الشيخ ذا اللحية البيضاء الذي بشرني بالنجاة عندما كنتُ أسيراً في رودوس، يقول لي: يا عروج توجه إلى الغرب، إن الله قد كتب لك هناك كثيراً من الغزو والعز والشرف".¹

نلاحظ هنا إيماناً قوياً بالرؤية، سببه تحقق رؤيته الأولى بالخلاص من السجن الذي أُسر فيه في رودوس، ثم نجد في موضع آخر تأكيداً من المجاهد خير الدين باشا على أن وفداً وصل من مدينة بجاية حاملاً معه رسالة استغاثة في الوقت الذي كان يهمن فيه للخروج إلى الغزو وإنقاذ أهالي الأندلس: "خرجت أنا وأخي في عشرة مراكب، كان مقصدنا الذهاب إلى مضيق سبته... على أن نمر من هناك إلى الأندلس لنقوم بإنقاذ من نقدر عليه من إخواننا في الدين، وفي هذه الأثناء وصل وفدٌ من مدينة بجاية الجزائرية حاملاً رسالة جاء فيها: "إن كان ثمة مغيب فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة ولا تعليم أطفالنا القرآن الكريم، لما نلقاه من ظلم الإسبان، فما نحن نضع أمرنا بين أيديكم، جعلكم الله سبيلاً لخلصنا بتسليمه إيانا إياكم، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار؟"² وقوله أيضاً: "عندما كنتُ مع أخي في مدينة جيجل وصلتُ وفودٌ عديدة من المدن الجزائرية... كان أهالي الجزائر يشكون من ظلم الإسبان، ويرجون تدخلنا لإنقاذهم"³ ويضيف في موضع آخر: "كانت الوفود تتوالى علينا من الجزائر"⁴، "لم يتوقف أهالي الجزائر عن إرسال الوفود إلينا."⁵

¹ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص.57.

² المصدر نفسه، ص.66.

³ المصدر نفسه، ص.74.

⁴ المصدر نفسه، ص.123.

⁵ المصدر نفسه، ص.126.

وهنا تأكيدٌ في أكثر من موضع على توافد الأهالي إليهما طلباً لحمايتهم، كما أن الأمر الذي جعلنا نرفض الفكرة الاستشراقية التي مفادها أن وجود الشهيد عزّوج ريس والمجاهد خير الدين باشا مجرد مغامرة، هو قول هذا الأخير أنّه بعد فتحهم لقلعة بجاية وانتصارهم على الإسبان قد "بات من اللازم علينا أن نؤسس لأنفسنا دولةً جديدةً".¹ فقد تولدت لديهما رغبةً قويّةً في البقاء في الجزائر بعد طلبات الوفود التي توالى عليهم وبعد انتصارهم على الإسبان، وليس بعد مغامرة قرصنيّة لصوصيّة قاماً بها، كما زعم المستشرق مارسال كولومب، لا في بداية الأمر ولا في نهايته.

تقودنا هذه النقطة الأخيرة إلى الخوض في مسألة تأسيس الدولة الجزائرية، حيث سننطلق من اعتراف فرنسيّ للسفير الفرنسيّ جون ميشال دي فونتير دي بارادي Jean Michel de Venture de Paradi (1739-1799م)، أثناء تمثيله لدولته لدى الجزائر في القرن 18م، حيث ذكر المؤرخ أحمد توفيق المدني أنّه ألف كتاباً بعنوان "الجمهورية الجزائرية في القرن الثامن عشر؟" والمؤكّد هنا أنّ هذا العنوان خير إقرار على أنّ الجزائر قد خبرت مقومات الدولة في القرن 18م. وفي محاكاة للسفير الفرنسيّ استعار المؤرخ أحمد توفيق المدني العبارة ذاتها الموجودة في عنوان الكتاب، وأضاف إليها كلمة "العثمانيّة" لتصبح "الجمهورية الجزائرية العثمانية"،² ثم وصف معالم هذه الجمهورية قائلاً: "دولة ذات معالم معيّنة وحدود مرسومة فوق تراب تشكّلت منه أرض الوطن وتكوّنت فوقه وحدة سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة، بعد الوحدة الدينيّة التي كانت القاسم المشترك الأعظم، وقامت على رأسه دولة لا تنتسب لعائلة ولا لقبيلة، إنّما تنتسب لوطن معيّن، ثمّ اختزقت هذه الدولة في ميادين الكفاح والجهاد ثلاثة قرون ونيفاً مرفوعة الرأس، خفاقة الأعلام، سائرةً ضمن دائرة الخلافة العثمانية نحو استكمال السيادة المطلقة، فهذه الدولة التي أقامها الشعب بإعانة الأتراك العثمانيين قد وُلدت بين فرث الحوادث ودم المعارك".³ وسانده الرأي المؤرخ صلاح العقّاد ذاكراً: "والحق أنّ الجزائر كوحدة سياسيّة قائمة بذاتها إنّما تمّ تشكيلها خلال العهد العثماني".⁴

¹ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص.73.

² أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص.67-68.

³ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص.06.

⁴ صلاح العقّاد، المغرب العربيّ في التاريخ الحديث والمعاصر، ط6، مكتبة الأنجلو-المصرية، 1993م، ص.28.

وإذا ولينا صوب مظاهر كينونة هذه الدولة سنجدها متجليةً في نظام الحكم والعلاقات الخارجية التي حاكتها الجزائر مع عدة دول، نُضيف إليها الصلاحيات التي تمتعت بها من خلال إبرام المعاهدات واستقبال البعثات الدبلوماسية، وقرار إعلان الحرب والسلم، حيث أنه بعد سنة 1516م، تكونت في مدينة الجزائر حكومة ذات ثلاث سلطات: الأولى مدنية والثانية قضائية والثالثة تنفيذية، حيث جعل على رأس السلطة المدنية شيخ المدينة يُساعده مجلس بلدي مختص في المحافظة على الأمن والنظافة ومكلف بجمع الضرائب التي كانت تُفرض في ذلك الوقت على الدكاكين، مع ضبط غرامة على اليهود والأغنياء تتناسب مع ثروتهم وتتماشى مع قانون البلاد من أجل حمايتهم وضمان معتقداتهم. أما السلطة القضائية فقد ضمت محكمتين مكوّنتين من قاضيين، أحدهما مالكي والآخر حنفي، في حين اهتمت السلطة التنفيذية بتنفيذ الأحكام التي تُصدرها السلطة القضائية والتشريعية، وجمع المداخل العمومية، ودفع مستحقات موظفي الدولة، إضافة إلى مساعدة المعوزين، والحفاظ على الحصون والجسور والطرق والغابات.¹

ويُزكى ما ذكرناه سابقاً المؤرخ مولود قاسم نايت بلقاسم مبيناً أن "طابع الشخصية الدولية الفذة والوجود الدولي البارز والدور العالمي المشرق الواضح السمات، وممارسة المسؤوليات الدولية بمعنى الكلمة، بالإحساس العميق بهذا الدور، مثل الدول الكبرى اليوم تماماً، مع الفارق الكبير في طريقة أدائه والنظرة إلى الهدف منه، كل ذلك كان للجزائر بدون منازع في العهد العثماني في القرن 16م".²

وفي السياق نفسه اعترفت الجمهورية الجزائرية الديمقراطية، حسب المؤرخ أحمد توفيق المدني، بحكومة الثورة الفرنسية الكبرى عام 1789م، في الوقت الذي حاربتها فيه أغلب دول العالم، واعترفت أيضاً باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، وعُرفت بأنها من أفضل بلاد العالم آنذاك نظاماً ورفاهيةً وأمناً طيلة ثلاثمائة سنة 1530-1830م، من خلال انتعاش وارداتها التجارية، وانتشار صناعاتها المحلية على المستوى العالمي، إضافةً إلى وفرة محاصيلها الزراعية داخلياً وخارجياً، فقد كانت تُصدّر الفواكه والحبوب والزيت والصّوص.

من جانب آخر، عُرف أهل الجزائر من العثمانيين والعرب بالسعي لفعل الخير، إذ برزت الأوقاف الطائلة على المساجد والمدارس والمنشآت العامة، كما حظي الجانب العلمي في ذلك العهد برقي كبير، فقد كانت دور العلم عامرةً، وحلقات الدروس غاصةً بالطلّاب في كل مساجد

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005م، ص-ص 70-72.

² مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص-ص 49-50.

المدن الكبرى، حيث وصل عدد "الكتاب" إلى 3.000، ونتيجةً لانتشار العلم في ربوع الدولة نبغ رجال أفاض ذاع صيتهم في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، من أشهرهم: العالم أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي (مطلع القرن 11هـ-1080هـ)، والعالم أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرئ القرشي التلمساني (1522-1616م)، والعالم المفتي أبو العباس أحمد بن عمّار الجزائري (1119هـ-1707م) وغيرهم من عظماء الأمة الإسلامية.¹

واستكمالاً لمقومات الدولة من سكان وحدود، وتركيزاً على عدد العثمانيين في ولاية الجزائر، نجد أنه لم يكن بها من الجند العثمانيين الكثير، حيث جاء في مذكرات المجاهد خير الدين باشا على لسان أحد جنوده: "نحن هنا في شمال إفريقيا لسنا سوى حفنة من الأتراك متناثرين في بلد أكبر أضعاف المرات من الأناضول، محاولين ضبطه ببضعة آلاف من الأتراك".² أما المؤرخ أحمد توفيق المدني فقد ذكر أنّ عدد العثمانيين في جزائر الغرب كان زهاء 3.000 رجلٍ لا غير.³ ففي عام 1533م، وُجد بمدينة الجزائر 1.800 عثماني، في حين توزّع 884 منهم على مناطق مختلفة من البلاد على النحو التالي: 25 في تنس، 10 في برسك (الأصل برشك وليس برسك)⁴، 30 في شرشال، 150 في المدينة، 100 في مليانة، 60 في تدلس، 20 في بنورة، 20 في جيجل، 20 في القل، 300 في قسنطينة،⁵ في بسكرة والزّيان 63 عثمانياً، في بجاية 44 عثمانياً، وفي معسكر 42.⁶ وقد وصل عددهم الإجماليّ إلى 2.684 عثمانياً. وفي مقارنةٍ مع باقي سگان الولاية نجد نحو 3.000 عائلة عربية بمدينة الجزائر و300 عائلة يهودية.⁷

¹ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مرجع سابق، ص-ص. 72-73.

² خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص. 116.

³ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مرجع سابق، ص. 75.

⁴ ذكر المؤرخ مولود قاسم نايت بلقاسم بخصوص مدينة برشك، أنّها تُسمّى الآن بني حواء، وقد خُزيت عام 1610م من قبل الملك الفرنسي لويس 13، ضمن غارة على مدينة الجزائر وشرشال قام بها المغامر الهولندي سيمون دانسر Simon Danser، يُنظر مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص. 41. وذكرت الباحثة شريفة طيّان أنّها تقع غرب مدينة شرشال وتُدعى باسم "قورايا"، يُنظر، شريفة طيّان، الفنون التطبيقية، الجزائر في العهد العثماني، دراسة أثرية فنية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007/2008م، ص. 21.

⁵ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص. 277.

⁶ أحمد الشريف الزّهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزّهار نقيب أشرف الجزائر، 1754-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص. 08.

⁷ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص. 277.

هذا بالنَّسبة لعدد العثمانيِّين في ولاية الجزائر، أمَّا عن حدودها فقد ذكر الشَّيخ أحمد بن محمَّد بن عليِّ بن سحنون الرَّاشديِّ: "إنَّ دولة التُّرك... مدَّت رواقها على ما بين وجدة إلى منتهى أعمال تونس".¹ أمَّا جنوباً فقد امتدَّ نفوذ المجاهد خير الدِّين باشا حتَّى وصل إلى واحات الميزاب في الصَّحراء.² ويحضرنا أيضاً تحديد المؤرِّخ الإنجليزيِّ ويليام سبنسر للحدود، والتي حصرها من جبال طرارة قرب القالة ومنه باتَّجاه الجنوب حتَّى شطَّ الجريد، وهو ما يتطابق مع الحدود الحاليَّة للجزائر وتونس، أمَّا غرباً فقد حصرها من ميناء حنين باتَّجاه الجنوب عبر طرارة إلى الصَّحراء، وهي تشمل كلَّ ما هو الشَّأن عليه الآن.³ كما قام محمَّد حسن باشا بضمِّ بسكرة وغيرها من بلاد الرِّيبان وما يُحيط بها إلى الصَّحراء الكبرى داعياً بذلك إلى الوحدة وجمع الشَّمْل تحت راية الدَّولة الجزائريَّة العثمانيَّة.⁴

واستكمالاً لما ذكرناه، نتطرَّق الآن إلى الحديث عن السِّيادة النَّظريَّة والفعلِيَّة للدَّولة العثمانيَّة، مع العلم أنَّ حكمها لجزائر الغرب قد دام حوالي 03 قرون، بدأ بحكم فعليِّ من قِبَل السُّلطان العثمانيِّ ثمَّ صار تدريجياً حكماً اسمياً فقط، ولَّدته الظُّروف التي عرفتها جزائر الغرب لاحقاً. ويُمكننا أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض نماذج الحكم الذاتيِّ، أهمُّها: **تمرد الحنديَّة البريَّة (طائفة الإنكشاريين)**، حيث كانوا يُشكِّلون الحكومات ويخلعونها، دون الأخذ بعين الاعتبار الأوامر القادمة من إسطنبول، فكانوا يختارون الدَّايات من بين الأوجاق، وغالباً ما يتمُّ **اغتيالهم** بعد تنصيبهم من قِبَل آخرين طامعين في الحكم.⁵

نُضيف إليها بدايةً **ثورة الكراغلة (الأراغلة) (والصَّواب هو قول أوغلو)**⁶ عام 1630م، ورغبتهم في الاستيلاء على الحكم وطرد أجدادهم العثمانيِّين، لكن ثورتهم أُحبطت وتمَّ الإقرار بعدم السَّماع لهم بشغل المناصب السَّامية، وعزل كلِّ من كان يشغل منصباً حسَّاساً في الدَّولة،⁷ ثمَّ

¹ أحمد بن محمَّد بن عليِّ بن سحنون الرَّاشديِّ، مصدر سابق، ص.460.

² عبد المنعم الجميحي، الدَّولة العثمانيَّة والمغرب العربيِّ، دار الفكر العربيِّ، القاهرة، مصر، 2006م، ص.08.

³ ويليام سبنسر، مصدر سابق، ص.65.

⁴ أحمد توفيق المدنيِّ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص.299.

⁵ كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات البيَّاتة، 2007م، ص.05.

⁶ ينظر فهرس المصطلحات المعرَّبة ذات التَّأصيل العثمانيِّ الفارسيِّ، آخر أطروحتنا، بناء على مؤلف فاضل بيَّات، بلاد الشَّام في

الأحكام السَّكانيَّة الواردة في دفاتر المهمَّة 951هـ/1544م-973هـ/1566م، ج1، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشَّام، الجامعة الأردنيَّة، عمان، 2005م، ص.ص.376-388، بتصرُّف.

⁷ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.116.

محاولة الداي الحاج حسين ميزومورتو Hacı Hüseyin Mezamorta (القرن 17م-1701م)، عام 1688م، جعل الحكم محلياً، حيث رفض قدوم الوالي العثماني الباشا إسماعيل الذي عاد أدراجه بسبب هذا الموقف الرافض لتبعية السلطان. فقد قام الداي الحاج حسين ميزومورتو بجمع سلطة الداي وسلطة الباشا في آن واحد، لكن المحاولة لم تدم طويلاً إذ سرعان ما عاد الوضع كما كان.¹

وفي عام 1710م، حصلت الواقعة نفسها، حيث رفض الداي علي باشا شاوش (الذي حكم ما بين 1710م و1718م) قبول الباشا مبعوث السلطان وممثله الشرفي لدى ديوان جزائر الغرب بحجة تسببه في الفتن وإحداث القلاقل، فقام بإعادة الباشا إلى إسطنبول على ظهر مركب، مما اضطر الباب العالي إلى قبول الأمر الواقع، حيث اقتنع السلطان العثماني أحمد الثالث (1673-1736م) بحجج الداي علي باشا شاوش حول مساوئ ازدواجية السلطة، ولم ير مانعاً من منح علي شاوش لقب الباشا بالإضافة إلى منصب الداي الذي كان يشغله، فكان بذلك أول الدايات الباشوات الذين تمتعوا بالحكم الذاتي بعيداً عن الدولة العثمانية.²

وهكذا تم انفصال حكم جزائر الغرب عن الباب العالي، وتم دمج منصب أمير الأمراء الباشا مع منصب الداي، وعلى إثره صار يُدوّن في فرمان الوارد من إسطنبول العبارة: "إلى أمير أمراء الغرب ودايها".³ الأمر الذي سمح لدايات الجزائر بممارسة السلطة بشكل فعلي وبعيد عن تدخلات الباب العالي.

ثمة رأي للمؤرخ ناصر الدين سعيدوني يُعزّز ما ذكرناه سابقاً، حيث بين أن الباشا الذي كان يُرسل به من إسطنبول إلى الجزائر قد تحوّل إلى موظف شرفي وممثل للسلطان بجزائر الغرب، شريطة تكفل الديوان بالإنفاق على الحامية البالغ عددها حوالي 22.000 مجنّد، أغلبهم استُقدم عن طريق التجنيد الطوعي من الأناضول والروملي (أراضي الدولة العثمانية الواقعة في أوروبا)، وعلى إثر ذلك ظلّ الباشا موظفاً شرفياً، بينما أصبحت شؤون البلاد من صلاحيات الديوان ومن اختصاص الأغوات الذين كانوا يحرصون على نيل القفطان الشرفي من إسطنبول، ثم تولى الدايات حكم الجزائر دون أن يكتسبوا اللقب الشرفي، فتم اختيارهم من مجموع الضباط والموظفين الكبار دون شروط، ومواصفات محدّدة مما حوّل لهم صلاحيات واسعة، حيث تُركت

¹ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.57.

² ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص.67.

³ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.57.

فترة حكمهم دون تحديد، عكس ما كان عليه الحال مع الباشوات والأغوات من قبلهم، ولم يعودوا ملزمين بموافقة الديوان مسبقاً على ما يقومون به من أعمال. وهكذا صار الداي الحاكم الفعلي لجزائر الغرب، يُطلق عليه عند الخطاب اسم "سلطان الجزائر"، ويُذكر اسمه في المراسلات بـ"أفندينا"، ويُنتعت لدى أعضاء الديوان احتراماً بلقب "بابا"، وفي بعض الأحيان يحمل لقب الباشا مثل الداي حاج حسين ميزومورتو والداي محمد بكداش الذي دام حكمه من 1706م إلى 1710م، وآخر دايات الجزائر الداي حسين (1773-1838م)، الذين انفردوا بلقب الباشا دون بقية الدايات الآخرين.

لقد أدت إذاً السلطة التي تمتع بها الدايات إلى أن يُصبح لجزائر الغرب حكماً محلياً ذاتياً مستقلاً عن الدولة العثمانية، فكانت جمهوريةً منتخبةً ذات صيغة عسكرية، يحرص داياتها على تلقي فرمان التولي وإبداء الاعتراف الأدبي بأحقية السلطان العثماني باعتباره الخليفة الشرعي لكافة المسلمين.¹

تُحيلنا هذه النقطة إلى مسألة مهمة شائعة، والقائلة باحتكار المناصب الحساسة من قبل العثمانيين، بل بالعكس لم تكن المناصب، بما فيها الداي والباي، مغلقة في وجه الجزائريين، فأساس الترشح للمناصب العليا في جزائر الغرب كان بالدرجة الأولى التفرغ لخدمة الدولة العثمانية وليس الانتماء إلى العنصر العثماني،² حيث ذكر المؤرخ أحمد توفيق المدني أن السلطة الفعلية صارت كلها تحت إدارة الباشات الدايات، وبإيد شيوخ البلاد الجزائريين غرباً وشرقاً، سهلاً وجبلاً،³ والشيء نفسه ينطبق على باقي الدول العربية التي كانت تحت لواء الدولة العثمانية، حيث أن مناصب كبيرة في الدولة العثمانية شغلها العرب، فقد تم منح الأميران محمد باشا ومحي الدين باشا، أكبر أولاد الأمير عبد القادر، رتبة فريق في الجيش العثماني، كما شغل بعض العرب منصب صدور الدولة العثمانية، منهم سليمان أفندي الكيلاني من بغداد، ومنصب قاضي إسطنبول منهم محمد عطا الله أفندي الكواكبي من حلب، وتوفيق البكري من مصر وحمزة أقدس من حضرموت وغيرهم.⁴

¹ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص-ص 49-53.

² جون بابتيست وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية للكتاب، 1986م، ص129.

³ أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص.08.

⁴ عبد العزيز العظمة، مرآة الشام، تاريخ دمشق وأهلها، تحقيق نجدة فتحي صفوة، رياض الرئيس للكتب والنشر، 1987م، ص-

لقد كانت الدولة العثمانية تنتهج سياسة عدم التمييز وعدم التفضيل بين رعاياها من العسكر والمدنيين، وخير دليل على ذلك الحكم الذي أرسله السلطان العثماني إلى أمراء جزائر الغرب وأعيانها وأغاوتها وقادتها كافة، حيث جاء فيه: "...فإن هذه الولاية لا تقل شأناً في نظري عن بلادي جليلة الاعتبار المندرجة ضمن الأرجاء الواسعة لبلاد خلافتي، ولعل كونها دار الجهاد يفرض الخوف عليها بحرص أكثر، والموجودون هنالك من الأمراء والأغاوت من (الإنكشارية) وغيرهم من عساكري المنصورة، وأعيان الولاية هم بمثابة عبيدي الموجودين في سدة سعادتني..." أرسل إلى صاحب السعادة في 23 شوال 979هـ، 09 آذار/مارس 1572م.¹ (ينظر الملحق رقم 07).

وعلى أساس ما ذكرناه سابقاً، يُمكننا القول أن سيادة الدولة العثمانية كانت فعلية في بداياتها ثم صارت شكلية، تجلت مظاهرها في الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة، إضافة إلى التعاون المتبادل ما بين جزائر الغرب والدولة العثمانية أثناء الحروب. وقد أكد ذلك المؤرخ مولود قاسم مبيياً أنه "في حروب الدولة العثمانية ضد التكتلات الأوروبية تتصرف الجزائر كجزء من الخلافة العثمانية، ولكنها في الظروف العادية تتعامل مع الخلافة، فضلاً عن الدول الأخرى، بكل استقلالية وسيادة، وتحرص بكل صرامة على فرض احترام هذا الاستقلال التام وهذه السيادة الكاملة بكل حزم وعزم، وبكل شدة وحدة،"² إذ لم تقبل الجزائر أن تكون معاهدة الامتيازات الأجنبية التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوروبية سارية المفعول في الجزائر، وهذا الرفض قد تسبب في توتر العلاقات مع الدول الأوروبية عشية الاحتلال الفرنسي.³

أما عن مظاهر الدولة في جزائر الغرب فقد تحققت عن جدارة في تلك الفترة، حيث كان لها حاكم منتخب، ووزراء معينين، ووزارات متنوعة كوزارة البحرية والمالية والخارجية والحربية والأوقاف وغيرها، لها شعب وعقيدة دينية ولغة وجيش وعلم وعملة، تربطها علاقات ودية مع عدة دول في مختلف المجالات، تستقبل البعثات الدبلوماسية، وتعلن الحرب وتبرم معاهدات السلام، أشهرها معاهدة التحالف بين فرانسوا الأول (1494-1547م) والمجاهد خير الدين باشا، عام 1524م،⁴ وتعترف بولائها للدولة العثمانية كخليفة إسلامية.

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص.37.

² مولود قاسم، مرجع سابق، ص.84 نقلاً عن عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م، الدار التونسية للنشر، 1972م.

³ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج2، ص.175.

⁴ عبد المنعم الجميعي، مرجع سابق، ص.08.

يجدر بنا الوقوف في ختام هذا المبحث الخاص ببولكير الثقاف التاريخي الجزائري- العثماني، عند مسألة غاية في الأهمية، متعلقة بالأمن والاستقرار الذي نعمت بهما جزائر الغرب في بداياتها، حيث ذكر المجاهد خير الدين باشا في مذكراته أنّ أهالي الجزائر يحبوننا وهم يعرفون جيداً قيمة النعمة التي يعيشون في كنفها منذ أن حللنا ببلدهم، فقد استطعنا أن نُوجد إمارات وقبائل هذا البلد الكبير، وازدهرت التجارة... وأمن المسلمون من ظلم الإسبان، فصاروا أحراراً يسيرون مرفوعي الرؤوس، كلّ ذلك لأنهم تابعون لأكبر سلاطين الدنيا.¹

كما اعترف أحد علماء الجزائر مخاطباً المجاهد خير الدين باشا: "إنك قمت بإنقاذ رقابنا من ذلّ التبعية للكفار وظلمهم، وكنت سبباً في مضاعفة خير وبركة بلدنا بما فتحه الله على يديك من أسباب الرزق والرّفاهية، ورأينا في عهدك وعهد أخيك المرحوم عزّوج رئيس من حسن الإدارة والتدبير ما لم نره من قبل،"² ثمّ يعرض المجاهد خير الدين باشا بعض الأعمال الخيرية التي كان يقوم بها في جزائر الغرب قائلاً: "قمتُ بجمع يتامى وأبناء وبنات فقراء مدينة الجزائر وضواحيها اللاتي بلغن سنّ الزواج، فقمتُ بتختين الأطفال وتزويج البنات، كما أعطيتُ كلّ واحد منهم ما يحتاج إليه من المال، وأمرتُ بإعطاء مساكن لمن لا بيوت لهم، وتشغيل العاطلين عن العمل منهم."³ وهذا دليل على الرّخاء والطّمانينة والأمان الذي وفّره المجاهد خير الدين باشا لأهالي جزائر الغرب.

وتعزيزاً لقوله، سنعرض محتوى 04 وثائق عثمانية أرسلها سلاطين الدولة العثمانية إلى بكربايات⁴ جزائر الغرب، مشدّدين على ضرورة إحلال الأمن فيها، وقد وصل بهم الأمر إلى

¹ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص101.

² المصدر نفسه، ص115.

³ المصدر نفسه، ص147.

⁴ إنّ عدم ذكر أسماء بكربكي جزائر الغرب في الوثائق العثمانية، أمر قد عرف في كلّ الولايات العثمانية، وليس في جزائر الغرب فقط، فقد كان نادراً جداً ما يتمّ ذكر الاسم، والوثائق المترجمة خير دليل على ذلك. فالأحكام هي عبارة عن أوامر سلطانية تصدر من قبل الديوان الهمايوني برئاسة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء)، باعتباره يجمع السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية، فهو الذي يُشرّع القوانين والأنظمة والتعليمات ويُنفّذها من خلال كوادره الإدارية، ويُراقب عمل هذه الكوادر بالاعتماد على القضاة المُعيّنين من قبله، الأمر الذي يعني أنّ القرارات كانت تُتخذ من قبل الديوان الهمايوني ويُصادق عليها السلطان بنفسه. وبعد تدوين الأحكام في دفتر المهمة يتمّ إعداد نسخة منها على شكل رسالة تتصدّرها طغراء السلطان التي هي بمثابة توقيع له. وبعد وصول الحكم إلى الجهة المعنية، كجزائر الغرب مثلاً، تُسلّم الرسالة إلى القاضي بغضّ النظر عن عنوان الحكم حتّى يتأكّد من صحّة الطّغراء التي تحمل اسم السلطان، ممّا يعني أنّ الأحكام المرسلة إلى بكربكي الجزائر كانت تحمل اسم السلطان، بينما النسخة المسجلة في الدفاتر فلا تحمل اسمه. وقد حُصّصت لهذه الأوامر دفاتر خاصة بها، إلّا أنّ بعضها أُدخلت ضمن دفاتر المهمة

توبيخ كل من يتقاعس عن فعل ذلك. وهي من بين الوثائق التي لم يتم تداولها من قبل، بحيث نُشرت لأول مرة في مجلد خاص أصدره مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية "إرسিকা" بإسطنبول، دولة تركيا في نهاية هذا العام، أي 2019م، وهي من جمع وإعداد وترجمة الأستاذ الدكتور العراقي فاضل بيات، ونحن أول من حصل على هذه النسخة.



الصورة رقم 13: تسلّم المؤرخ العراقي الأستاذ الدكتور فاضل بيات جائزة الشيخ حمد للترجمة عام 2015م.

نبدأ بالوثيقة الأولى التي تُخبرنا عن إبلاغ بكربكي جزائر الغرب¹ السلطان العثماني سليم الثاني بأن أهالي جزائر الغرب ينعمون بالطمأنينة والأمان، وكان ذلك عام 1570م، حيث أمره السلطان العثماني بمواصلة السهر على ذلك، وبذل قصارى جهده لينعم الأهالي بالأمن والزّاهية، مع الحرص على ترصد حركات العدو.

وحملت خطأ اسم دفاتر المهمة. من هنا يُمكننا القول أنّ هذه الأوامر قرارات عامّة لا تحمل عادةً أسماء المرسل إليهم، خلافاً لأحكام دفاتر المهمة التي تحمل أسماء المرسل إليهم. للمزيد من المعلومات، يُنظر فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص.04.

¹ نظراً لمهام قليج (علاج، لوج) علي بالقسطنطينية، حكم الجزائر بالإنابة كل من محمد باشا 1568-1570م، وعرب أحمد 1570-1574م، ثم قايد رمضان 1574-1577م، يليه حسن فينيزيانو 1577-1580م، وبعده جعفر باشا 1580-1582م، ثم رمضان قايد عام 1582م، وحسن فينيزيانو للمرة الثانية 1582-1589م. يُنظر موقع ويكيبيديا

وقد جاء في الوثيقة ما يلي (ينظر الملحق رقم 08): "بكلربكي جزائر الغرب. أرسلت رسالة تُبلغ فيها أنّ هذه الديار تشهد استقراراً في أوضاعها وينعم الرعايا والبرايا كافةً بالأمن والأمان، وعليه فقد أمرت أن تعمل بعد اليوم كذلك على التدبير الحسن وتبذل قصارى جهودك فيما يتعلّق برفاه وأمن البلاد في تلك الأرجاء وأمرت: عند وصوله، تكون قلباً وقالباً مع الأمراء وغيرهم من أعيان الولاية التابعين لولايتك، وتعمل على الحيلولة دون إحاق الضرر والأذى لبلادي المحروسة من جانب الأعداء ذوي الأفكار الخبيثة، وتُظهر الهمة والإقدام في مجال الحفظ والحراسة، ومن المقرّر تكريمك بشكل كبير إزاء ما تبدله من مساعٍ في هذا الصدد، فتتقيد وفق ذلك، وتولي الدقّة والاهتمام بالشكل اللازم في مجال حفظ الولاية والبلاد المحروسة وضبط حماية الرعايا والبرايا." سلّم إلى شعبان رئيس جاوشية المشار إليه، في 22 ربيع الأول 978هـ، 24 آب/أغسطس 1570م.¹

وفي الصدد نفسه رصدنا أنّ أعيان وأمراء جزائر الغرب كانوا يُبلّغون السلطان العثمانيّ بسير حكم بكلربكي، سواء بالإشادة والثناء عليه، أو بالشكوى منه، وهو فعل يدلّ على العلاقة الوطيدة التي كانت تربط الأهالي بالسلطان العثمانيّ، حيث تُبين الوثيقة الثانية أنّ أمراء جزائر الغرب وأعيانها وشيوخ العشائر قد راسلوا السلطان العثمانيّ سليم الثاني، وأشادوا بما قام به بكلربكي عرب أحمد من أعمال في مجال تعمير القلاع والأبراج وإرساء الأمن والاستقرار. وعلى إثر ذلك قام السلطان العثمانيّ بتكريمه، حيث أرسل إليه خلعاً (قفطاناً) فاخرةً، وأمره ببذل المزيد من الجهود في الأمور المتعلقة بالدين والدولة وفرض الأمن والنظام وحسن معاشره الأمراء وتحسين ظروف الرعايا وحفظ البلاد.

حيث ورد في الحكم السلطانيّ ما يلي (ينظر الملحق رقم 09): "حكم إلى بكلربكي جزائر الغرب. أرسل أمراء ولاية الجزائر وغيرهم من أعيان الولاية ومشايخها رسائل أعلموا فيها عن قيامك ببذل المساعي الجميلة وبكلّ أشكالها في تعمير القلاع والأبراج الواقعة في تلك الديار وإحيائها وفي كلّ الأمور المتعلقة بدفع مضارّ الأعداء وشروهم وردعها، وبالإجمال في السبيل السلطانيّ والدّود عن حياض الدين المبين، وعليه فقد تمّ شمولك بمزيد عناية السلطانية، وأرسلت إليك خلعاً (قفطاناً) فاخرةً، كتبت حكمي السلطانيّ المقّصل بموجب فرماني، جليل القدر، الصادر في هذا الصدد، وأرسلت إليك وأمرت: عند وصوله، تستلم تلك الخلعة الفاخرة وترتديها وتُشمر عن ساعدك في كلّ الأمور المتعلقة بالسبيل السلطانيّ والدين المبين وحفظ حمى وكرامة سلطنتي الأزلية، ولا تهدر دقيقةً واحدةً في تعمير القلاع الواقعة في الأماكن اللازمة والمناسبة وإحيائها، ودفع مضارّ الأعداء وشروهم وردعها بالوجه الحسن، وتقوم بحسن المعاشره

¹ فاضل بيات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، م⁸، مرجع

سابق، ص-ص.33-34.

مع الأمراء الكرام وجند الإسلام وضبطهم وحمايتهم، ورعاية الرعايا والبرايا، وحفظ وحراسة البلاد والولاية، على أن تكون على أتم بصيرة وانتباه. "سُلم إلى كِتْخَدَاه في 28 ذي القعدة 980هـ، نيسان/أبريل 1573م.¹ ورغم وفاة السلطان سليم الثاني عام 1574م واعتلاء السلطان مراد الثالث (1546-1595م) العرش من 1574 إلى 1595م، إلا أنه سار على النهج نفسه، حيث أرسل حكماً سلطانياً إلى بكربكي جزائر الغرب عام 1582م، أمره فيه بضبط وحماية الأهالي في البر والبحر وحراسة العسكر بكل عدل.

حيث ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 10): "وَصَلَّتْ إِلَى جَانِبِ السَّفْنِ (القدرغوات) الْخَاصَّةِ الْمُرْسَلَةِ مِنْ سَعَادَتِي إِلَى الْوَلَايَةِ الْمَذْكُورَةِ حَسَبَ مَا كُفِّتَ بِهِ، وَدَخَلَتْ الْوَلَايَةَ الْمَذْكُورَةَ، وَبَاشَرَتْ بِضَبْطِ وَحَمَايَةِ الرِّعَايَا وَالْبَرَايَا الْمَوْجُودِينَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَحَفِظَتْ وَحَرَسَتْ جَنُودِي الْمَوْجُودِينَ هُنَاكَ بِكُلِّ عَدَالَةٍ، وَأَمَرْتُ بِإِيصَالِ جَعْفَرِ الَّذِي كَانَ يَتَوَلَّى الْوَلَايَةَ مَعَ السَّفْنِ (القدرغوات) الْمَذْكُورَةِ بِأَمَانٍ وَسَلَامٍ إِلَى سِدَّةِ سَعَادَتِي، وَأَمَرْتُ: عِنْدَ وَصُولِهِ، تَتَقَيَّدَ فِي هَذَا الصِّدَدِ، وَتَقُومَ بِمَوْجِبِ أَمْرِي السُّلْطَانِيِّ بِضَبْطِ وَحَمَايَةِ طَائِفَةِ الرِّعَايَا وَالْبَرَايَا فِي هَذِهِ الدِّيَارِ، وَحَفِظَ وَحَرَسَ جُنْدِي فِيهَا بِكُلِّ عَدْلٍ وَحَسَنِ تَدْبِيرٍ، كَمَا تَقُومُ بِإِرْسَالِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ، دَامَ إِقْبَالُهُ، مَعَ جَمِيعِ مَقْتَنِيَاتِهِ الثَّمِينَةِ إِلَى سِدَّةِ سَعَادَتِي مَعَ قَدْرَغَوَاتِي الْخَاصَّةِ بِأَمْنٍ وَسَلَامٍ." في 12 محرم 990هـ، 06 شباط/فبراير 1582م.²

وفي استمرارية لرصد أوضاع جزائر الغرب، وحرصاً من الدولة العثمانية على رعاية الأهالي وحمايتهم، تدخل السلطان العثماني مراد الثالث في السنة الموالية وأرسل حكماً سلطانياً للبكربكي حسن فينيزيانو وبخه فيه بسبب تقاعسه عن الاهتمام بالرعايا والبرايا، وعن تأخره في تزويد الديوان الهمايوني بالمعلومات المطلوبة عن تحركات العدو الذي يهدد الأمن والنظام في جزائر الغرب، خاصة التهديد الخارجي القادم من البرتغال أو الإسبان، والذي يُشكّل خطورة على الولاية، حيث أمره بإيلاء الاهتمام بحفظ وحراسة البلاد وراحة الرعايا والبرايا، مع إشعار الديوان تباعاً بالأخبار عن العدو.

وقد جاء في الوثيقة الرابعة من الحكم السلطاني ما يلي (ينظر الملحق رقم 11): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. إن حفظ وحراسة الولاية المذكورة وتنعّم رعاياها وبراياها في أيام عدالتي السلطانية بالرفاه وراحة البال على وجه الخصوص لم يغب عن بالي في أي وقت، ونظراً لكون رصد تحركات الأعداء الأدلاء والكفار الذين مأواهم جهتم، ومعرفة أوضاعهم بشكل مستمر، وعرض واقع حالهم دائماً على العتبة السلطانية من الأمور المهمة، إلا أن عدم وصول مثل هذه الأخبار من ذلك الطرف، ومنذ فترة طويلة، يعود

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 44-45.

² المرجع نفسه، ص. 53.

سببه إلى إهمالك فقط، وأمرت: عند وصوله، تتقيد في هذا الصدد بالشكل اللازم وتولي الاهتمام في مجال حفظ وحراسة البلاد والولاية وراحة الرعايا والبرايا، وترصد تحركات الأعداء الأذلاء، بشكل مستمر، وتتلقى أخباراً صحيحة عن أوضاعهم الشاذة، وتطلع على ماهية خيالهم الكاسد، وتحول دون تعرض أي محل من بلادي المحروسة إلى الضرر والأذى من جانب العدو والعياذ بالله تعالى، وتبذل ما في وسعك في الأمور المتعلقة بالدين والدولة. ولا تتوانى عن إبلاغ الأخبار التي تتلقاها وتحصل عليها تباعاً. " في 28 محرم الحرام 991هـ، 21 شباط/فبراير 1583م.¹

من خلال هذه الوثائق العثمانية نخلص إلى أن الدولة العثمانية في بداياتها، وعلى اختلاف سلاطينها، قد أولت اهتماماً كبيراً بولاية جزائر الغرب، بالرعايا والبرايا، وحرصت على تلقي المعلومات حول الأوضاع السائدة هناك، كما وبخت الأمراء الذين تقاعسوا عن توفير الطمأنينة والأمن، ودعت إلى ممارسة العدل بين الرعايا، وإلى رصد تحركات العدو الذي يترصد بالولاية والأهالي.

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 54-55.

المبحث الثاني: الحملات الأوروبيَّة على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانيَّة ضدَّالأعداء بمعيَّة قوَّات ولاية الجزائر ضمن رصد، تحليلٍ ونقدٍ للأنساقالمضمرة في النصوص الخطابيَّة لموجز دائرة المعارف الإسلاميَّة(الاستشراقيَّة) والموسوعة الإسلاميَّة (باللغة التركيَّة "وقف الديانة التركي")والوثائق العثمانيَّة استشهاده.

في إطار المشروع الغربيِّ الصليبيِّ الرامي إلى غزو العالم الإسلاميِّ، اشتدَّت الهجمات والتحرُّشات بسواحل شمال إفريقيا، خاصَّة بجزائر الغرب التي شهدت الحملات تباعاً، ومن مختلف البلدان الأوروبيَّة، بغضِّ النظر عن المسيبات التي كانت تتوحَّد في مجمل الأوقات، وقد أولاهما المستشرقون اهتماماً كبيراً في مؤلفاتهم.

نسعى إذاً في هذا المبحث إلى تحليل ونقد النصوص الخطابيَّة التي تناولت مسألة الحملات والوقوف عندها، سواء في موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة (الاستشراقيَّة) أو الموسوعة الإسلاميَّة (باللغة التركيَّة). فهل تناولت الموسوعتان الحملات بموضوعيَّة أم بذاتيَّة مؤدلجة؟ أمَّا العمليَّة التركيبيَّة للأحداث التاريخيَّة المتعلِّقة بالموضوع محطَّ اهتمامنا، فسُحِّلنا إلى مسائل مهمَّة أثارت جدلاً كبيراً، وتطلَّبت منا الاستشهاد بالوثائق العثمانيَّة، حيث أحالنا الطرح إلى التفكير في التساؤلات التَّالية: ما هي الأحداث المرتبطة بالحملات المهمَّة التي نالت شهرةً كبيرةً، ونقصد بالذَّكر حملة الملك شارل الخامس، عام 1541م؟ وما هي حقيقة الجدل الذي دار حول مسألة خيانة البيلرباي المجاهد حسن آغا الطوشي (1486-1543م) (أول آغا حكم جزائر الغرب نيابةً عن المجاهد خير الدين باشا)، ومحاولة تسليمه مدينة الجزائر للإسبان؟ وهل كانت الحملات من الجانب الغربيِّ فقط ضدَّ جزائر الغرب، أم أنَّ قوَّات ولاية الجزائر قد شاركت من جانبها في حملات استهدفت الدَّول الأوروبيَّة؟

1) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية**(الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي"):****أ) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية):**

نستهلّ دراستنا بعرض مختلف النصوص الخطابية في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، والتي تناولت الحملات الموفدة ضدّ جزائر الغرب، حيث ركّز المؤرخ جورج إيفير على حملة شارل الخامس التي دارت رحاها عام 1541م، ذاكراً أنّ "رسوخ أقدام التّرك في مدينة الجزائر (كان) تهديداً دائماً للدول المسيحية، لذلك أخذ شارل الخامس على نفسه أن يُقوّض سلطانهم... عبر... إلى إفريقيا في سبتمبر سنة 1541م، وكانت الحملة تتألف من عمارة بحرية تحمل 12.300 بحار تحت إمرة أندريا دوريا Andria Doria، وجيشاً برياً عدته 24.000 جندي. نزل إلى البرّ في الثالث والعشرين من أكتوبر عند مصبّ نهر الحراش... ثارت في الليلة عاصفة دمّرت 140 من سفن الإسبان وأفقدت الجيش جميع مؤنّه، وأصبح الانسحاب أمراً محتوماً".¹

إذا تأملنا النصّ الخطابيّ الذي بين أيدينا، يُمكننا أن نرصد نسق التسمية المضمّر في العبارة: "تهديداً دائماً للدول المسيحية"، الذي يُمثّل بداية تعريف للحملة من منطلق النسق الدينيّ الغربيّ وليس المدنيّ أو العسكريّ، فتوظيف عبارة: "الدول المسيحية" يقتضي حرباً دينيةً ضدّ الدول الإسلامية، يليها ما يتعلّق بالمصالح الاقتصادية كشرطٍ ثانٍ من المشروع الغربيّ الصليبيّ. من جانب آخر، تُضفي هذه الحرب الدينية، من منظورها الغربيّ، شرعيةً على محاربة الدولة العثمانية الإسلامية باعتبارها شوكة المسلمين، ومن ثمّ شرعنة الحملات ضدّ جزائر الغرب. وإذا دققنا أكثر في كلمة "تهديداً" سنجد أنّها تدخل ضمن نسق الإسناد، فهي تُشير إلى صفة سلبية مرسلة إلى المتلقّي الغربيّ لتلك النصوص الخطابية، على أساس أنّ الحضور العثمانيّ المسلم في الجزائر يُشكّل تهديداً للدول المسيحية. والمفروض أن يكون التهديد عسكرياً في الغالب، لكنّ المؤرخ جورج إيفير يميل أكثر إلى اعتباره دينياً، ومن ثمّ فإنّه من واجب الدول الغربية الدفاع عن نسقها الدينيّ المسيحيّ ضدّ خطر النسق الإسلاميّ المتمثّل في جزائر الغرب، المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية الإسلامية.

بالإضافة إلى أنّ كلمة "تهديداً" تُحفّز الآخر على ضرورة اتّخاذ قرارات كنوع من ردّة الفعل، الأمر الذي يُحوّل له مواجهة هذا التهديد بشرعنة الحرب ضده. وفي السياق نفسه نجد أنّ

¹ جورج إيفير، مرجع سابق، ج 10، ص 2931.

كلمة "تهديداً" تدخل أيضاً ضمن نسق الحجاج، فالتهديد هنا قد استعمل كحجة بغية التحرش والاعتداء على جزائر الغرب.

وإلى جانب تلك الكلمة نجد عبارة أخرى تدخل ضمن نسق الحجاج، والتي تعتبر قوة الطبيعة حجة أدت إلى انسحاب الأسطول الغربي من المعركة، حيث ذكر المؤرخ الفرنسي: "ثارت في الليلة عاصفة دمرت 140 من سفن الإسبان وأفقدت الجيش جميع مؤنّه، وأصبح الانسحاب أمراً محتوماً". وإحاطاً بنسق الحجاج يجنح المؤرخ إلى تعزيز مصداقية نصّه من خلال توظيف الأرقام كأداة أساسية من أجل إضفاء الموضوعية عليه، وبصورة مقنعة لآخر: "في سبتمبر سنة 1541م"، "عمارة بحرية تحمل 12.300 بحار"، "وجيشاً برياً عدته 24.000 جندي"، "دمرت 140 من سفن الإسبان".

وإذا ولينا صوب النصّ الخطابية الثاني الذي ركّز على حملة الملك شارل الخامس على جزائر الغرب عام 1541م، نجد أنّ المستشرق روجي لوتورنو قد ذكر: "سببُ يدعونا إلى أن نعجب أيّ عجب إذا رأينا شارل الخامس يُحاول الاستيلاء على مدينة الجزائر سنة 1541م، وقد رست جنوده في 23 أكتوبر على سواحل الجزائر، وعبروا وادي الحراش وعسكروا على تلّ يُشرف على المدينة يُعرف الآن بقلعة الإمبراطور، ولكنه كان يُعرف في تلك الأيام بكدية الصابون، على أنه حدث في 24-25 أكتوبر أن اكفهر الجوّ سريعاً، وفُقد نصف الأسطول الراسي إثر العاصفة التي تلت هذا الاكفهار. واضطرّ شارل الخامس، الذي تعاونت على هزيمته الطبيعة والأتراك، إلى التخلّي عن مؤونة كثيرة، وانسحب من مدينة الجزائر تاركاً إياها تنعم بأسطورة المناعة التي ظلت سليمة حتى سنة 1830م".¹

وبالتدقيق في النصّ نلمح نسق التسمية المعبر عنه بكلمة "الطبيعة" في العبارة: "واضطّرّ شارل الخامس الذي تعاونت على هزيمته الطبيعة والأتراك إلى التخلّي عن مؤونة كثيرة، وانسحب من مدينة الجزائر"، والقصد من وراء هذه التسمية هو الإشارة إلى قدرة غير إلهية، أي استبعاد كليّ لأن تكون هناك قدرة إلهية حالت دون احتلالهم لمدينة الجزائر، ودون نجاح حملتهم.

ننتقل الآن عبر هذا النصّ إلى مستوى آخر يقودنا إلى النسق الرمزيّ الأسطوريّ الذي يتقاطع مع نسق التسمية ونسق الحجاج، وذلك حينما ذكر المؤرخ عبارة: "أسطورة المناعة"، تلك التسمية التي تؤسس إلى فكرة وحجة مفادها أنّ عدم استطاعة الدول الأوروبية دخول مدينة الجزائر ما هي إلا أسطورة تؤدي بالضرورة إلى التشكيك في القوة المزعومة لجزائر الغرب. كما تُحيلنا العبارة مباشرة إلى نسق إضفاء المنظور، حيث نجد أنّه في عبارة: "وانسحب من مدينة

¹ روجي لوتورنو، مرجع سابق، ج10، ص.2949.

الجزائر تاركاً إياها تنعم بأسطورة المناعة التي ظلت سليمةً حتى سنة 1830م"، أخذ لموقفٍ من الجزائر، وإبراز لمنظور منحازٍ عند المستشرق روجي لوتورنو.

وإذا كان صاحب النّصّ الأول قد تطرّق لقوّة الطّبيعة إحياءً بالعبارة: "ثارت في اللّيلة عاصفة دمّرت 140 من سفن الإِسبان وأفقدت الجيش جميع مؤنّه، وأصبح الانسحاب أمراً محتوماً"، فإن صاحب النّصّ الثّاني قد وظّف الكلّمة مباشرةً، حيث ذكر: "على أنّه حدث في 24-25 أكتوبر أن اكفهر الجوّ سريعاً، وفُقد نصف الأسطول الرّاسي إثر العاصفة التي تلت هذا الاكفهرار. واضطرّ شارل الخامس، الذي تعاونت على هزيمته الطّبيعة والأتراك..."، وذلك ضمن نسق الحجاج الذي تناولناه سابقاً في النّصّ الأوّل. وفي النّسق نفسه نلاحظ أنّ النّصّين يتّصفان بالتكرار في عرض المعلومات للمادّة نفسها، حيث تمّ تكرار تاريخ الحملة: "سنة 1541م"، "نزل إلى البرّ في الثالث والعشرين من أكتوبر"، "الجزائر سنة 1541م"، "وقد رست جنوده في 23 أكتوبر على سواحل الجزائر"، إضافةً إلى أنّ الحملة نفسها مكرّرة في المادّة نفسها، لهذا كان من الأفضل تقادي تكرار المعلومات والتّركيز على الأحداث التي لم يتمّ تناولها.

وإلى جانب حملة الملك شارل الخامس على مدينة الجزائر، تناول المؤلّفان جورج إيفير ومارسال كولومب حملات أخرى يُمكننا أن نعرضها وفق تقسيم يضمّ حملات القرن 17م والقرن 18م والقرن 19م.

نستهل بنصّ المؤرّخ جورج إيفير عن الحملات في القرن 17م: "لم تُوفّق المحاولة الجزئيّة التي قام بها الملاح الإسبانيّ دون خوان كاسكون Don Juan Cascon عام 1567م للنّفاذ إلى المدينة، وإطلاق سراح الأسرى، وإحراق سفن القرصنة... وقد ضرب الإنجليز المدينة بمدافعهم عدّة مرّات (أعوام 1622، 1655، 1672م...) ثمّ ضربها الدنمركيون عام 1770م، ولكن ذلك لم يُجدهم نفعاً... كانت حرّيّة الملاحة في البحر المتوسّط تهتمّ فرنسا... لموقعها الجغرافيّ وأهمّيّة تجارتها... فحاولت مراراً أن تؤدّب الجزائريّين، فضربت وحدات الأسطول الفرنسيّ الحاجز البحريّ عام 1661-1665م بغير طائل، وقاد دوكنس Duquesne حملتين بحريّتين على مدينة الجزائر عامي 1682 و1683م؛ أطلقت إحداهما النّار على المدينة بين 20 أغسطس و20 سبتمبر 1682م، فأدّى ذلك إلى تدمير 50 منزلاً وقتل 500 من السكّان. وفي المرّة الثّانية في 01 يونيو ويوليه سنة 1683م، أصيبت المدينة بأضرار مادّيّة جسيمة، ولكنها أثارت الإضراب... فدبحوا الفرنسيّين المقيمين بينهم بما فيهم القنصل الأب ليفاشيه Levacher الذي شدّ إلى فوهة مدفع. ولكن حملةً ثالثةً أرسلت عام 1688م بقيادة ديستريه Déstrées، كانت أعظم من الحملتين السابقتين خطراً على الجزائريّين فاضطرتهم إلى طلب الصّلح".¹

¹ جورج إيفير، مرجع سابق، ج10، ص. 2932-2933.

أمّا الحملات التي شهدتها جزائر الغرب في القرن 18م فقد عرضها المؤرخ جورج إيفير على النحو التالي: "ولكن أموالاً طائلة ضاعت، وأرواحاً كثيرةً أزهقت في هذه الحملات مما جعل تكرارها غير مأمون... أمّا إسبانيا فقد حاولت، بعد أن أعلن الّدّاي محمود عثمان عليها الحرب سنة 1773م، أن تضرب مدينة الجزائر، وسيّرت لذلك أسطولاً من 20 بارجة، و24 مدمرة صغيرة، وجيشاً من 25.000 مقاتل بقيادة أمير البحر دون بيدرو كاستيخو Don Pedro Gastejo والقائد أوريلي Oreilly... في الثامن من يولييه 1775م. ولكنّ العدو حاصر الحملة وكان أكثر من رجالها عدداً... فاضطرت إلى الانسحاب في اليوم التالي بعد أن فقدت 2.800 من رجالها... الغارة الموفّقة التي قادها أمير البحر الإسباني الدّون أنجلوا بارسلو Don Angelo Berceo، والتي ضربت مدينة الجزائر بالمدافع في عام 1783م.¹ وكرّر المستشرق مارسال كولومب حملات إسبانيا باختصار شديد قائلاً: "وقد بذلت إسبانيا عدّة محاولات فاشلة للاستيلاء على مدينة الجزائر (1541م، 1567م، 1775م)."²

وبخصوص حملات القرن 19م فقد عرض المؤرخ جورج إيفير تحالف واتفاق الدّول الأوروبيّة على شنّ حملات وتحرّشات بجزائر الغرب ذاكراً: "بدا عام 1815م أنّ الدّول الأوروبيّة قد اعتزمت أن تقضي نهائياً على هذه الحالة (القرصنة) التي لم تعد تُطبق صبراً عليها، أرسل اللّورد إكسموث Exmouth في 15 مايو 1816م يُبلّغ الّدّاي قرارات مؤتمر فيينا الخاصّة بمنع تجارة الرقيق، فلقي في الجزائر معاملة سيّئة، قرّرت على إثرها الحكومة البريطانيّة، يؤيّدتها الرّأي العامّ، أن تغسل هذه الإهانة، وظهر أمام المدينة أسطول مؤلّف من 32 سفينة تحت إمرة اللّورد إكسموث Exmouth يُعاونه أمير البحر الهولنديّ كيبيلين Cappelen، ودخل إلى المدينة تحت حماية الرّاية البيضاء، وأطلق النّار على المدينة فقتل 500 من التّرك وحطّم مدفعية السّواحل وجرح ألفاً من السّكان، بيد أنّ الجزائريّين هبّوا للدّفاع عن أنفسهم وأوقعوا بأسطول الحلفاء خسارةً بلغت 883 رجلاً في 27 أغسطس سنة 1816م... وحدثت غارة بحريّة أخرى بقيادة أمير البحر نيل Neal في يولييه عام 1825م، لخلافٍ حدث بين الّدّاي حسين والحكومة البريطانيّة، ولكنّ المدينة لم تُصب من جزائها بضرر... اتّضح من هذه الحملات المتكرّرة أنّ في وسع مدينة الجزائر أن تُقاوم كلّ حملة بحريّة خالصة، مهما تكن قوتها."³

إذا دقّقنا في هذه النّصوص الخطابيّة نجدها حاملةً للأنساق المضمّرة، أولها نسق التّسمية الذي يُركّز على القرصنة في العبارة: "وإحراق سفن القرصنة"، إنّ الدّول الأوروبيّة قد اعتزمت أن تقضي نهائياً على هذه الحالة (القرصنة) التي لم تعد تُطبق صبراً عليها"، وهي تسمية تعرّضنا إليها من قبل، ولا بأس أن نُذكّر بأنّها تُشير إلى البعد السّلبى للفاعلين، أي "القرصان" من منظور الغرب

¹ جورج إيفير، المرجع السّابق، ص 2933.

² مارسال كولومب، مرجع سابق، ج 9، ص 2876.

³ جورج إيفير، مرجع سابق، ج 10، ص ص 2933-2934.

و"المجاهد" من منظور المسلمين. كما يقوم المؤرِّخ جورج إيفير بنعت البحَّارين الغربيين بألفاظ شريفة: "الملاح الإسباني"، "أمير البحر دون بيدرو كاستيخو"، "القائد أوريلي"، "أمير البحر الإسباني الدون أنجلوا بارسلو"، "اللورد إكسموث"، "أمير البحر الهولندي كيبلين"، "أمير البحر نيل"، تُوحى أيضاً بالنسق السلطوي في إشارة إلى سلطة "الملك شارل الخامس"، و"اللورد إكسموث"، وهي سلطة تُدعم القضية الغربية الرامية إلى محاربة القراصنة وشرعنة احتلالهم لجزائر الغرب.

ونجدها تنطوي أيضاً تحت معجزة نسق التَّهويل "القراصنة"، ونسق التلطيف "أمير البحر، الملاح". تُحيلنا هذه التسميات إلى نسق إضفاء المنظور، أين نجد أنّ أسلوب المؤرِّخ جورج إيفير في التفرقة بين القراصنة والبحَّارين الغربيين يُشير إلى أحكام قيمية منحازة. وإحاقاً بالأنساق السابقة رصدنا نسق التلطيف في العبارة: "أُصيبت المدينة بأضرار مادية جسيمة"، حيث لطف المؤرِّخ جورج إيفير العدوان الأوروبي على جزائر الغرب، وأضفى غموضاً أكثر، فعبارة "أضرار مادية جسيمة" هو تلطيف من أجل تجنب تشكُّل انطباع سلبي لدى المتلقي، إضافةً إلى أنها عبارة غامضة لا تُشير إلى حجم الضرر الذي لحق بجزائر الغرب وسكانها، وهو تلطيف تزيد حدته بعد سوق ما فعله الجزائريون بالفرنسيين المقيمين بها، وخصوصاً الأب لوفاشي، ليتحوَّل نسق التلطيف الذي مارسه في وصف حال جزائر الغرب إلى نسق التَّهويل والمبالغة في وصف ما جرى للفرنسيين في العبارة: "فدبحوا الفرنسيين المقيمين بينهم بما فيهم القنصل الأب ليفاشيه Levacher الذي شدَّ إلى فوهة مدفع"، (سنعرض لاحقاً في نقد الأمانة لماذا حدث هذا الأمر، وماذا فعل الجانب الفرنسي أيضاً).

ووقوفاً عند العبارة "فحاولت مراراً أن تؤدب الجزائريين، فضربت وحدات الأسطول الفرنسي الحاجز البحري عام 1661-1665م بغير طائل"، والعبارة "اتضح من هذه الحملات المتكررة أنّ في وسع مدينة الجزائر أن تقاوم كلّ حملة بحرية خالصة، مهما تكن قوتها"، وقد بذلت إسبانيا عدّة محاولات فاشلة"، يؤكِّد أننا أمام النسق الحجاجي الذي يركز على حجة المناعة أو أسطورة المناعة التي يتمتع بها الأسطول الجزائري، خاصة في العبارات: "بغير طائل"، "تقاوم كلّ حملة بحرية خالصة، مهما تكن قوتها".

وثمة أيضاً نسق حجاجي فرعي خاص بحجاج العباء المالي والبشري في العبارة: "ولكن أموالاً طائلة ضاعت، وأرواحاً كثيرة أزهقت في هذه الحملات"، عبء عاد بالخسارة على الحملات الغربية أكثر من جزائر الغرب من منظورهم طبعاً. وفي النسق نفسه (الحجاج) نجد النسق الفرعي الخاص

بحاج الإجماع: "بدا عام 1815م أنّ الدّول الأوروبيّة قد اعترمت أن تقضي نهائياً على هذه الحالة (القرصنة) التي لم تعد تُطبق صبراً عليها"، كإستراتيجية سياسيّة وإيديولوجيّة عنصريّة تُمرّج بوحدة تلك الدّول الأوروبيّة ومصالحها، من خلال اتّحادهم ضمن قرارات أوروبيّة، ويتجلّى ذلك في العبارة: "قرارات مؤتمر فيينا الخاصّة بمنع الرقيق"، عبارة تُوحى بتحركات إيديولوجيّة سياسيّة تُحاول الإقناع بضرورة التصدّي لظاهرة القرصنة بمفهومهم عن طريق الاحتلال القسريّ، مع إضفاء الشّرعيّة عليه، وتجريد الآخر من كلّ حقّ في تقرير مصيره تحت جناح نسق التّقديم السَّلبيّ **للاّخر.**

واستكمالاً لنسق الحجاج الذي زخرت به هذه النّصوص الخطابية لمحا التّسق الفرعيّ المتمثّل في نسق التّخيل كأنموذج الحدث المقطعيّ Episodic الذي يُعنى بتقديم الأمثلة على شكل سردٍ سهل التّخيل كأحداث مقطعيّة تكون أكثر قدرة في عمليّة التّدكّر الخاصّة بالمتلقّي، ومثال ذلك العبارات التّالية: "نزل إلى البرّ... عند مصبّ نهر الحراش... ثارت في اللّيلة عاصفة... أفقدت الجيش جميع مؤنّه"، "رست جنوده... على سواحل الجزائر وعبروا وادي الحراش وعسكروا على تلّ"، "دخل إلى المدينة تحت حماية الرّاية البيضاء، وأطلق النّار على المدينة... وحطّم مدفعيّة السّواحل، وجرح ألفاً من السّكّان".

وعلاوةً على الأنساق المضمرّة السّالفة الذّكر، نلمح وجود نسق التّفاعل السّيافيّ المؤسّس للإيديولوجيا الهجومية على الآخر في إطار تفاعليّ بين النّسق الدّينيّ والنّسق السّياسيّ الاستعماريّ الذي يبيّن وجود وضع (حملات ضدّ الآخر)، وأشكالا من التّفاعل المتنوّعة كالقتال والتّنافس على مناطق معيّنة، نُضيف إليها الأدوار المختلفة للفاعلين من قرصنة بالمفهوم الغربيّ والملك شارل الخامس، وأمراء البحار واللّوردات، وغيرهم الحاملين لمعتقداتهم وأهدافهم وإيديولوجياتهم المتّقة والمختلفة، المهاجمة والمدافعة.

نمرّ الآن إلى الجانب التّقديّ للنّصوص الخطابية، أين يُمكننا القول بناءً على ما سبقت الإشارة إليه، بأنّ المؤلّفين الفرنسيين قد استعانوا بنسق الحجاج في مناسبات كثيرة بغية إقناع متلقّي النّصوص بصحّة المعلومات الواردة فيها ومعقوليتها. فقاموا بعرض التّواريخ والأرقام كأداة أساسيّة مقابل الرّأي والانطباع، حيث تعمل تلك الأداة على تعزيز المصداقيّة وتوكّد الموضوعيّة بصورةٍ مقنعةٍ للاّخر (المتلقّي): "سبتمبر سنة 1541م"، "رست جنوده في 23 أكتوبر"، "حدث في 24-25 أكتوبر أن اكفّهّر الجوّ"، "سنة 1830م"، "عام 1567م"، "أعوام 1622، 1655، 1672م... ثمّ ضربها الدّنمركيون عام 1770"، "عام 1661-1665م"، "عامي 1682-1683م"، "بين 20

أغسطس و20 سبتمبر 1682م"، "01 يونيوه ويوليه سنة 1683م"، "عام 1688م"، "سنة 1773م"، "عام 1783م"، "عام 1815م"، "في 15 مايو 1816م"، "أغسطس سنة 1816م"، "في يونيو عام 1825م"، هي أرقام ذات علاقة بتواريخ الأحداث التاريخية، أمّا أعداد الأشخاص والعُدّة والعتاد فقد وردت على النحو التالي: "12.300 بحار"، "24.000 جندي"، "140 من سفن إسبان"، "تدمير 50 منزلاً وقتل 500 من السكّان". "20 بارجة، و24 مدمّرة"، "25.000 بقيادة أمير البحر"، "فقدت 2.800 من رجالها" "32 سفينة"، "فقتل 500 من التّرك"، "خسارة بلغت 883 رجلاً".

من جانب آخر، لمحاولة من المؤلّفين الفرنسيّين لتشويه صورة المجاهدين (القراصنة من منظورهم) مقابل لغة ترويجيّة "للملك واللّورد وأمير البحار" وغيرهم، تسعى إلى تمجيد الجماعة الغربيّة وتبيان أفضليّتها على المسلمين.

والى جانب ذلك وردت المعلومات الخاصّة بالأحداث التاريخية ناقصةً وغير دقيقة، حيث ركّزت على حملات دون أخرى، ضمن تعميم للمعطيات، وهو أمر يدفعنا إلى القول بأنّ عرض الأحداث على هذا النحو يُسيء إلى عمليّة الفهم ويُضفي تشويشاً على الأفكار أثناء محاولة فهم الأحداث. ونحن نعتقد أنّه قد تمّ اختيار إدراج حملات دون أخرى ابتغاء تسهيل عمليّة تمرير الإيديولوجيا الغربيّة المناهضة للإسلام والمسلمين، والتي تُعطي الحقّ للغربيّ في حملته ضدّ جزائر الغرب.

فمن حملات إسبانيا ضدّ الجزائر لم يتطرّق المؤلّفون الفرنسيّون إلى حملة عام 1518م، التي كان سببها، حسب ما ذكره الباحث خير الدّين سعيد نسبةً إلى الشيخ ابن رقيّة التلمسانيّ، هو توجّس إسبانيا من سيطرة المجاهدين عروج ريس وخير الدّين باشا على حصن البنيون، حيث ذكر الشيخ أنّ الإسبان "توجّهوا إليها في 320 جفناً، وكان عساكرهم المقاتلة 15.000، فوصلوا إليها وأرسوا أجفانهم بقربها وأنزلوا في البرّ بقصد حصارها والتضييق عليها... انتهز عروج ريس الفرصة وخرج فتبعه كافّة عسكره وفتحوا أبواب المدينة وكبّروا تكبيراً واحدةً، وهجموا على عسكر العدو كنفس واحدة... لم ينج منهم إلاّ قدر ألفٍ والباقي كلّهم قُتلوا عن آخرهم... ثمّ هذه البقيّة ركبوا أجفانهم وذهبوا إلى بلادهم، فلمّا سمع الطّاغية بهم وبما لحقهم من أهل الجزائر... لطم وجهه وشقّ ثيابه ونادى بالويل والثّبور".¹

¹ خير الدّين سعديّ، الحملات الإسبانيّة على مدينة الجزائر خلال العهد العثمانيّ 1518-1775م من خلال مخطوط الزّهرة النّائرة، لابن رقيّة التلمسانيّ، مجلّة دراسات وأبحاث، ع 29 ديسمبر 2017م، ص-ص 94-95.

وبخصوص حملة عام 1783م، فقد ذكر المؤرِّخ جورج إيفير أنَّها كانت موفَّقةً في العبارة: "الغارة الموفَّقة التي قادها أمير البحر الإسبانيِّ الدُّون أنجلو بارسلو Don Angelo Bercelo والتي ضربت مدينة الجزائر بالمدافع في عام 1783م"، بينما الرَّاجح أنَّه في صيف 1783م، ظهر الأسطول الإسبانيِّ قبالة مدينة الجزائر يتجاوز عدد سفنه 80 قطعة، حيث قصف المدينة بالمدافع، لكنَّه واجه مقاومة شديدة، أجبرته على الانسحاب، دون أن ينزل إلى البرِّ، وقد أحدثت القذائف خسائر في المباني دون المساس بالحصون، بينما قدَّر عدد الشهداء المسلمين بـ46 شهيداً.¹ فأين هي الحملة الموفَّقة؟ وأين هو التَّوفيق في ذلك؟ لقد ضربوا المدينة بالمدافع على حين غرّة ثمَّ انسحبوا؟

وعن حملات فرنسا لم يذكر المؤرِّفون الفرنسيُّون الحملة الفرنسيَّة ضدَّ ولاية الجزائر في 23 جويلية 1664م، أين قرَّر ملك فرنسا لويس الرَّابع عشر غزو الجزائر والتَّمرُّكز بأحد شطوطها، ليكون على مقربة من تحركات سفن الجزائريِّين ضدَّ مراكب التَّجَّار الفرنسيِّين. وقرَّر احتلال جيجل، حيث جهَّز أسطولاً مؤلَّفاً من 83 سفينة حربيَّة تحمل 5.200 محارب تحت قيادة القائد بوفورت Beaufort، وبعد معركة عنيفة لصالح جزائر الغرب، أُجبر حاكم الجزائر شعبان آغا الأسطول الفرنسيِّ على مغادرة المدينة.² وها هو فشلٌ ذريعٌ آخرٌ يُضاف إلى الحملات الفاشلة السَّابقة. وعن حملة فرنسا عام 1863م، ذكر المؤرِّخ جورج إيفير عبارةً فيها إساءةٌ قاسيةٌ إلى الجانب الجزائريِّ، حيث تعمَّد تبيان مدى فظاعة ما ارتكبه الجزائريُّون ضدَّ الفرنسيِّين: "فدبحوا الفرنسيِّين المقيمين بينهم بما فيهم القنصل الأب ليفاشيه Lavacher الذي شدَّ إلى فوهة مدفع"، هي عبارةٌ يشمئزُّ فيها متلقِّي الخطاب من الفعل الجزائريِّ إزاء الفرنسيِّين، على أنَّ المؤرِّخ جورج إيفير هنا لم يكن موضوعياً، فهو يرسِّخ بامتياز الفكرة الغربيَّة القائلة بوحشيَّة وهمجيَّة الجزائريِّين، ويؤكِّدها من خلال توظيف هذه العبارة التي تُمثِّل في الأصل نصف الحدث التَّاريخيِّ.

ولا نُغالي إن قلنا أنَّ المؤرِّخ الفرنسيِّ قد تعمَّد إخفاء الشَّطر التَّاني من الأحداث المتعلِّق بردَّة فعل العدو، وكذلك سبب ظاهرة شدِّ المحاربين إلى فوهة المدافع. فالعبارة إذاً قد وردت من وجهة نظر غربيَّة ذاتيَّة مؤدلَّجة، ونحن في هذا المقام، نجد أنفسنا مضطَّرين إلى عرض حيثيَّات حادثة الشدِّ إلى فوهة المدفع لتتضح الصُّورة أكثر وتكون موضوعيَّة.

¹ عبد القادر فكايير، آثار الاحتلال الإسبانيِّ على الجزائر خلال العهد العثمانيِّ 10-12هـ/16-18م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص49.

² محمَّد بن ميمون الجزائريِّ، التَّحفة المرضيَّة في الدُّولة البكداشيَّة في بلاد الجزائر المحميَّة، ط2، تقديم وتحقيق، محمَّد بن عبد الكريم، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م، ص-ص16-17.

تعود باكورة أحداثها إلى القرن 16م، أين اقترح المجاهد خير الدين باشا على قائد قلعة البنيون Penon، دون مارتين دي فريرغاس، تسليم القلعة والانسحاب منها، فرفض العرض، حينها شرع المجاهد خير الدين باشا في قصف القلعة بالمدافع على مدى عشرين يوماً، ليلاً ونهاراً، إلى أن تمكّن من اقتحامها، وبعد معركة عنيفةٍ وداميةٍ أعلن دون مارتين مع 700 من رجاله استسلامهم.¹ وقد تناول المجاهد خير الدين باشا أحداث القصف المدفعي في مذكراته قائلاً: "عندما كانت القلعة في يد الإسبان كانوا يقومون بقصف المآذن عندما يسمعون الأذان. لقد كانوا يفعلون ذلك فقط من باب التسلية... ولما قمنا بالاستيلاء على القلعة، جيء إليّ بقائد المدفعية الذي كان قد دمر العديد من المآذن، وقتل كثيراً من المؤذنين عندما كانوا يرفعون أصواتهم بالأذان، فقلتُ له: "أيها الكافر... أنت رامٍ ماهرٌ... لقد كنت تُدمرُ المنارة بقذيفةٍ واحدة... انظر الآن كيف يكون الرمي الحقيقي". ثم أمرتُ بوضع الكافر في فوهة مدفع وأمرت بقذفه في البحر، وضربتُ عنق مساعده مع عشرة من جنود المدفعية، أمّا الباقون فقد أمرت بإلقائهم في الزنازين،² ثم أضاف بخصوص مصير القلعة: "لم تكن لنا حاجة إلى هذه القلعة، فقمّت بتلغيم الصخرة وتفجيرها، وبعد ذلك جمعتُ ثلاثين ألف أسير كافر كانوا يقبعون في السجون فاستخدمتهم في جمع صخور القلعة لبناء كاسر أمواج يربط القلعة والميناء. وبهذا الشكل تمكّنا من بناء ميناء محميٍّ وجميلٍ لمدينة الجزائر.³ هذه هي إذاً حيثيات بداية القذف عبر فوهة المدفع ودوافعها (قذف المآذن وتدمير المساجد وقتل المصلين).



الصورة رقم 14: رسم تخيلي عن عملية تلغيم مدفع "بابا مرزوق" بالجنود الفرنسيين.⁴

¹ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص. 135.

² المصدر نفسه، ص. 136.

³ المصدر نفسه والصفحة نفسها.

⁴ مجهول، "بابا مرزوق"... مدفع جزائري عملاق "سرقته" فرنسا، 2018/01/02م، استخراج من الرابطة

و29د. <https://www.maghrebvoices.com/a/Algeria-history-France/462626.html> بتاريخ 2018/11/20م، على 13سا



الصورة رقم 15: رسم تخيلي عن عملية قذف القنصل الفرنسي من فوهة مدفع "بابا مرزوق".¹

يُسمى المدفع المقصود بـ"بابا مرزوق"، صُنِعَ في مصنع النحاس بجزائر الغرب عام 1542م، من قِبَل مهندس من البندقية، وبطلب من حسن آغا الذي عوَّض المجاهد خير الدين باشا في الحكم. يبلغ طوله 07 أمتار، ويبلغ مداه حوالي 05 كيلومترات، وبالتحديد 4872 متراً، وقُدِّرَ ثقله بـ12 طنًا.² أما الفرنسيون فيطلقون عليه اسم "القنصلي" أو "القنصليير" نسبةً إلى القنصل الفرنسي الأب ليفاشيه Lavacher الذي شُدَّ إليه عام 1683م. وبعد احتلال الجزائر عام 1830م، سارع البارون غي دوبيري إلى الإستيلاء عليه ونقله إلى فرنسا، حيث وُضِعَ كمنصب تذكاري تخليداً لذكرى إعدام قناصلهم وجنودهم، وزُيِّنَتْ به إحدى ساحات مدينة بريست Brest الفرنسية، يعلوه ديك مصنوع من البرونز يرمز إلى فرنسا، في إشارة منها إلى تفوقها عليه في آخر المطاف.



الصورة رقم 16: المدفع العثماني الحقيقي "بابا مرزوق" الموجود في ساحة مدينة بريست الفرنسية.³

¹ عبد الله بن عمارة، مدفع بابا مرزوق... حكاية مقاومة، 2018/06/11، استخرج من الرابط

² مجهول، دفع بابا مرزوق، 2019/04/03 بتاريخ <http://www.almayadeen.net/articles/blogculture> على 16 سا و19د.

³ مجهول، دفع بابا مرزوق، 2019/12/06، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org/wiki/> بتاريخ 2020/01/03 على 23 سا و08د.

³ مدفع بابا مرزوق، رابط سابق.

ورغم الجهود التي بذلتها السلطات الجزائرية ومنظمات المجتمع المدني الجزائري وغيرها من المؤسسات من أجل استرجاع المدفع إلا أن الدولة الفرنسية رفضت تسليمه. وعلى إثر ذلك الرفض قامت القوات البحرية التابعة لوزارة الدفاع الوطني الجزائري في الذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر عام 2012م، بصنع مدفع مقلد لمدفع "بابا مرزوق" الحقيقي، يُشبهه في أدق التفاصيل والمقاييس والمواصفات، حيث يتجاوز مداه الـ 05 كلم، ويبلغ طوله 07.5 متراً.¹



الصورة رقم 51: مدفع "بابا مرزوق" المقلد من صنع وزارة الدفاع الجزائري عام 2012م.²

وبخصوص مسألة ذبح الجنود الفرنسيين فقد مارستها فرنسا أيضاً، وكان أمراً شائعاً أثناء الحروب في تلك الفترة، فلا يجب علينا الحكم على الأحداث التاريخية من وجهة نظر آنية تستحضر قانون حقوق الإنسان وغيرها.

وجدير بالذكر أن ردة فعل فرنسا بخصوص الشد إلى فوهة المدفع كان قوياً أيضاً، حيث قامت بذبح العثمانيين المسلمين الأسرى، وأرسلتهم إلى سواحل مدينة الجزائر، وسيتوضح الأمر أكثر من خلال وقوفنا على الحملة الموالية على مدينة الجزائر. فالظاهر إذاً أن المؤلفين الفرنسيين لا يُشيرون إلى الأحداث من الجانبين بل يعرضون نصفها الذي يُضفي السلوك الوحشي على الجزائريين، ويُشوّه صورة الآخر ضمن مغالطة إخفاء تفاصيل لحساب تفاصيل أخرى.

من ناحية أخرى نرصد لدى المؤرخ جورج إيفير كلاماً زائفاً مظللاً في النص التالي: "ولكن حملةً ثالثة أرسلت عام 1688م بقيادة ديستريه D'Estrées كانت أعظم من الحملتين السابقتين خطراً على الجزائريين فاضطرتهم إلى طلب الصلح"، حيث أن هذه الحملة لم تُشكل خطراً على الجزائريين ولم

¹ نؤارة باشوش، مدفع "بابا مرزوق" مرعب فرنسا يعود إلى الجزائر بعد 150 سنة، 2012/07/08م، استخرج من الرابط <https://www.echoroukonline.com> مدفع-بابا-مرزوق-مرعب-فرنسا-يعود-إلى-الجزائر، بتاريخ 2018/01/03م، على 23 و37د.

² نؤارة باشوش، مدفع أبو مرزوق يتحرر من الأسر، 2012/07/09م، استخرج من الرابط <https://www.vitamedz.com> بتاريخ 2020/01/03م، على 22 و56د.

تضطرّهم إلى طلب الصّح، بحسب رواية المؤرّخ الجزائريّ محمّد بن ميمون الجزائريّ الذي ذكر أنّه: "في جوان 1688م، فوجئت الجزائر بأسطول فرنسيّ بقيادة المشير ديستري D'Estrées، والذي بقي بميناء الجزائر 15 يوماً، أطلق أثناءها 10.000 قنبلة على المدينة، فأحدثت خسائر جسيمةً في البنيان والأرواح، ولمّا أبى المشير أن يكفّ عن هذا العدوان المبين، أراد الجزائريّون أن ينتقموا من جماعة الفرنسيّين الذين كانوا تحت سلطتهم فوضعوا حوالي 40 شخصاً منهم في أفواه مدافعهم، ورموا بهم الأسطول الفرنسيّ، ومن بينهم القنصل الفرنسيّ بيول Piolle، وقد فعل المشير الفرنسيّ مثلما فعل الداي، بل أشدّ منه قساوةً، وذلك أن ذبح 17 تركياً كانوا أسرى عنده، ووضع جثثهم على ظهر شقف ودفع بهم إلى ميناء الجزائر، ثمّ عاد بأسطوله إلى ميناء طولون.¹

نستشفّ من خلال هذه الأحداث أن لا وجود لعملية صلح بل انسحاب، حيث عاد الأسطول الفرنسيّ أدراجه. يستوقفنا قليلاً قول المؤرّخ الجزائريّ محمّد بن ميمون الجزائريّ حينما عرض ما فعله الجزائريّون بالفرنسيّين، وبالمقابل عرض ما فعله الفرنسيّون بالأترّك، وهذا الفعل ينمّ عن مؤرّخ يتحلّى بالموضوعيّة في عرض الأحداث من الجانبين، بعيداً عن التّركيز على جانب العدو فقط بغية تبيان مدى فظاعة أفعاله، وشرعنة احتلاله مستقبلاً.

من ناحية أخرى، عرض المؤرّخ جورج إيفير حملات القرن 19م، ومنها حملة اللورد إكسموث عام 1816م، وغارة أخرى عام 1825م، بينما غضّ الطّرف عن الحصار البحريّ الذي فرضته فرنسا على السّواحل الجزائريّة في يوم 16 جوان 1827م، والذي دام 03 سنوات، بعد أن رفض الداي حسين تقديم الاعتذار الرّسميّ للقنصل الفرنسيّ. ففي 25 ماي 1830م غادرت الحملة الفرنسيّة بقيادة الجنرال وزير الحرب دي بورمون لويس أوغوست De Bourmont Louis Auguste (1772-1876م) ميناء طولون، مكوّنة من 3.700 جنديّ، ونزلت في 14 جوان 1830م بشاطئ سيدي فرج، أين استولت عليه وانتصرت على قوّات الداي، وعلى إثر ذلك تمّ توقيع اتّفاقيّة الاستسلام، فغادر الداي حسين الجزائر يوم 10 جويلية 1830م متّجهاً نحو نابولي فالإسكندريّة، إلى أن وافته المنية عام 1838م. وقد تمّ ترحيل العثمانيّين الموجودين في جزائر الغرب، وكان عددهم حوالي 2.500 وسُمح للجنود المتزوّجين بالبقاء مع عائلاتهم.²

وإذا ولّينا صوب الحملات الإنجليزيّة ضدّ جزائر الغرب نجد تغاضي المؤرّخين الفرنسيّين عن الإشارة إلى حملة الإنجليز عام 1669م، حيث شهد عام 1668م قيام اتّفاق بين البدو المقيمين

¹ محمّد بن ميمون الجزائريّ، مصدر سابق، ص 22.

² حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائريّة الأوروبيّة ونهاية الإيالة 1815-1830م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007م، ص 93.

في ضواحي مدينة الجزائر مع القبائل بغية القيام بثورة ضدّ العثمانيين، وقد استغلّ الإنجليز هذه الثورة الداخليّة، فشنّ أسطولهم الهجوم على المدينة عام 1669م، لكنّ المدفعيّات الجزائريّة تصدّت له وردّته خائباً على أعقابها. وفي عام 1671م أغار الأسطول الإنجليزيّ على ميناء بجاية، وأضرم النّار في 12 مركبٍ كانت راسيةً هناك. وفي العام نفسه أعاد الكرّة على ميناء الجزائر وأحرق 03 مراكب.¹

وفي السّياق نفسه نجد أنّ المؤرّخ جورج إيفير قد تناول مسألة مؤتمر فيينا الخاصّة بمنع تجارة الرقيق، ولكنّه أحجم عن ذكر مؤتمر "إكس لاشابيل" الذي انعقد عام 1818م بين الدّول الأوروبيّة المتحالفة، أين تقرّر فيه التّدخّل في شؤون الجزائر وتونس والمغرب تحت غطاء محاربة القرصنة، وقد كلّف المؤتمر بريطانيا وفرنسا بتبليغ الدّول المغاربيّة بأنّ كلّ نيل ومساس بتجارة إحدى الدّول الأوروبيّة يتسبّب مباشرةً في ردّ سريع من طرف الدّول الأوروبيّة المتحالفة. وقد رفض الدّاي حسين القرارات وأجاب بأنّ الجزائر لن تتخلّى عن حقّها في التّعرف على البواخر الأجنبيّة لمعرفة العدوّة من الصّديقة. وبقيت إنجلترا تتحيّن الفرص لإنشاح حرب ضدّ جزائر الغرب، إلى أن وجّهت قوّة بحريّة للإغارة على المدينة في 12 جويلية 1824م، فنشبت معركةً بينهما في عرض البحر، واستمرّ تبادل النيران إلى يوم 13 جويلية، حيث اضطرّ في الأخير الإنجليز إلى الانسحاب بعد أن نفدت ذخيرتهم.²

أمّا حملات أمريكا ضدّ جزائر الغرب فلم يُشر إليها المؤلّفون الفرنسيّون، لا من قريب ولا من بعيد، ولا بأس أن نُقدّم مختصراً عنها، حيث وقّعت الجزائر مع أمريكا معاهدةً في 05 سبتمبر 1796م، نصّت على أن تدفع أمريكا ما يُساوي حوالي مليون دولار، وكانت أمريكا تتماطل من حين لآخر في دفع ما هو عليها، الأمر الذي أدّى بالدّاي أحمد بن عليّ خوجة المعروف بالدّاي أحمد الثّاني، إلى إعلان الحرب عليها عام 1807م، من خلال شنّ الغارات البحريّة على سفنها التجاريّة. وفي عام 1815م استغلّ الكونغرس الأمريكيّ تراجع البحريّة الجزائريّة، فرفض مواصلة دفع الإتاوة، وأرسل أسطولاً إلى سواحل المدينة، وعند وصولهم استولوا على بعض السفن الجزائريّة، واقترحوا معاهدةً سلميّةً، وبسبب غياب رياس البحر وافق النّواب على الشّروط بدون

¹ محمّد بن ميمون الجزائريّ، مصدر سابق، ص-ص 17-18.

² محمّد الميليّ، مرجع سابق، ص-ص 134-135.

نقاش، وتمّ التوقيع على المعاهدة يوم 30 جوان 1815م، والتي نصّت على حماية تجارة أمريكا من جميع أنواع القرصنة، وإنهاء تقديم الإتاوة، إضافةً إلى تحرير الأسرى، وتعويض أمريكا.¹

ب) رصد الأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية ضمن الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي"):

لقد تناول مؤلف مادّة "الجزائر" في العهد العثماني المؤرخ التركي كمال قهرمان الحملات ضدّ جزائر الغرب مع التركيز الشّديد على الحملات المشهورة، واستثنى منها الحملات الصّغيرة، حيث استهلّ الموضوع بالحملة المشهورة للملك الإسباني شارل الخامس عام 1541م، تليها حملة اللورد إكسموث عام 1816م، ثمّ الحصار الفرنسي عام 1827م، وأخيراً حملة الاحتلال الفرنسي عام 1830م، فورد في نصوصه الخطابية ما يلي: "قاد الإمبراطور الملك شارل الخامس الحملة بنفسه على الجزائر سنة 1541م، حيث تلقى على إثرها هزيمة نكراء"² وأضاف: "تقرّر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا 1815م... بهذه الحجّة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدول الأوروبية بإرسال أسطولها البحري إلى الجزائر بقيادة اللورد إكسموث سنة 1816م، كما شارك في ذلك الأسطول الهولندي أيضاً"³. وعن حملات فرنسا ضدّ جزائر الغرب ذكر: "أعلنت الحرب على الجزائر، وقامت بفرض حصارٍ بحريّ بأسطولها على الكثير من السواحل الجزائرية... قامت في 14 حزيران/جوان 1830م بإرسال أسطول بقوات... قوامها 37 ألف فرد بقيادة الجنرال دوبورمون... وتمّ احتلال مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830م، وأوّل ما قام به الفرنسيون هو إخراج العناصر التركية من أجل تسهيل عملية إدارة السكّان المحليين"⁴.

واستوقفته حادثة المروحة، فتناولها على النحو التالي: "قامت الحكومة الفرنسية بأخذ قرضٍ قدره 05 ملايين فرنك، ومقدارٍ من الحبوب من الجزائريين اليهوديين بوشناق وبجري (بكري). لما وصل الأمر إلى دائرة الملك وقف عملية دفع الديون، ما دفع بالداي حسين إلى العمل من أجل استرجاع حقوق التاجرين، فقام بمصادرة بعض السفن الفرنسية... في 29 نيسان/أفريل 1829م وأثناء الجدل الذي حصل بين الداوي حسين وقنصل فرنسا بيار دافال Pierre Duval (1758-1829م) حول الديون، أشار الداوي حسين

¹ حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815-1830م، مرجع سابق، ص 22-23.

² Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.486.

³ Ibid, p488.

⁴ Ibid, p489.

للقنصل بالمروحة التي كانت بيده، ما اعتبرته فرنسا إهانةً وتمَّ قطع العلاقات وتحوّلت إلى عداة بينهما...
فرنسا اتخذت هذه الحادثة حجةً.¹

وفي محاولة منّا لرصد الأنساق المضمرّة في التَّصوُّص الخطابيَّة الخاصّة بالموسوعة الإسلاميَّة (باللغة التُّركيَّة) لاحظنا للوهلة الأولى أنّها نصوصٌ سردٍ تاريخيَّة فقط، لكنّ السرد يكون أحياناً وسيلةً للإقناع والحجاج. ورغم ذلك، ومع التَّدقيق، رصدنا نسق الحجاج، أين ركّز المؤرِّخ التُّركيُّ على حجة أساسية هي الجميع ضدّ واحد، أي اجتماع الدّول الأوروبيَّة ضدّ جزائر الغرب بغية احتلالها: "تقرّر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا 1815م... بهذه الحجة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدّول الأوروبيَّة"، والقصد هنا ليس أهالي الجزائر كلّهم، بل العناصر العثمانيَّة الموجودة في الجزائر باعتبارها من يُشكّل خطراً على الأطماع الأوروبيَّة، والعبارة التّالية دالة على ذلك: "وتمَّ احتلال مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830م، وأول ما قام به الفرنسيون هو إخراج العناصر التُّركيَّة"، أمّا أهالي الجزائر فقد صوّروهم المؤرِّخ التُّركيُّ بصورة تُعطي انطباعاً سلبياً نوعاً ما لدى المتلقّي، ففي العبارة: "من أجل تسهيل عمليَّة إدارة السكّان المحليين"، إشارةً ضمنيَّة إلى أنّه شعب منقاد.

دائماً، وفي إطار نسق الحجاج، نجد أنّ المؤرِّخ التُّركيُّ قد اتَّفق مع المؤلِّفين الفرنسيين في عرض حجة مؤتمر فيينا: "تقرّر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا 1815م... بهذه الحجة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدّول الأوروبيَّة"، وبين من خلال عبارته الإيديولوجيا العنصريَّة الممزوجة بوحدة مصالح الدّول الأوروبيَّة ضمن قرارات المؤتمر الرّامية إلى إقناع الآخر بضرورة التّصدي لظاهرة القرصنة عن طريق إضفاء الشّرعيَّة على حملاتهم والوصاية عليهم، ونفي حقّهم في تقرير مصيرهم.

رصدنا إلى جانب نسق الحجاج نسق الإسناد الموجود في العبارة: "حيث تلقى على إثرها هزيمة نكراء"، أين أسندت صفة "نكراء" إلى الهزيمة التي تلقّاها الملك الإسباني، وفي الوقت نفسه تُحيلنا هذه الصّفة مباشرةً إلى نسق التهويل، على اعتبار أنّ الحملة كانت من أشرس الحملات ضدّ جزائر الغرب، وقد تمّت الهزيمة بشكل كُسرت فيه شوكة الملك الإسباني شارل الخامس.

وفي ختام النّص الخطابيِّ قدّم المؤرِّخ التُّركيُّ حجة احتلال جزائر الغرب ضمن نسق الحجاج، أو بالأحرى المطيَّة التي استُعلت بغية شرعنة الاحتلال الفرنسي في العبارة: "أشار الدّاي حسين للقنصل بالمروحة التي كانت بيده، ما اعتبرته فرنسا إهانةً وتمَّ قطع العلاقات وتحوّلت إلى عداة

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p-p.488-489.

بينهما... ففرنسا اتخذت هذه الحادثة حجة". ويمكننا ان نستشهد في هذا المقام بمضمون وثيقة رسمية مخصصة لجيش حملة العدوان الفرنسي على الجزائر عام 1830م، صادرةً بأمر من وزير الحرب الفرنسي ومستقاةً من تقرير المهندس العسكري والجاسوس الفرنسي فانسونا يفس بوتان، الذي أرسل من قبل الإمبراطور نابليون بونابرت إلى الجزائر عام 1808م بهدف إعداد تقرير يتضمن خطةً لاحتلال الجزائر، وقد ورد فيها: "وما الحاجة إلى تخصيص الشكاوى والمظالم التي كانت لنا في المدة الأخيرة ضدّ الجزائر، بينما مجرد وجود الجزائر ذاته مظلمة وشكوى كافية بالنسبة لجميع الأمم المتحضرة، ومبرر عادل دائم لتخريب هذا الوكر للقرصان وقطاع البحر؟ فمنذ مدة والفلسفة والسياسة الإنسانية والدين؛ كل هذا يتطلب منا إبادة دولة تمثل جميع مفاهيمها خرقاً دائماً لكل مبدأ أخلاقي، وتُشكّل مساساً بكل حضارة"¹.

نستشف من الوثيقة النية المسبقة منذ قرون لاحتلال الجزائر، وما حادثة المروحة إلا مطية فقط لبلوغ المآرب ضمن مؤامرة جامعة للدول الأوروبية من صنع عقل عاجز يبحث عن حلّ سريع يُحاكي أحكاماً سابقة تُلقى بأثقال جهلها المعرفي والسياسي على "كبش محرقة"² (كبش الفداء)، وهي الدولة الجزائرية، وكر القراصنة في نظرهم.

ننتقل الآن إلى نقد أمانة ودقة النصّ الخطابي الخاصّ بالمؤرخ التركي كمال قهرمان، حيث وظّف هو أيضاً نسق الحجاج بغية إقناع المتلقّي بالمؤامرة التي استهدفت جزائر الغرب عبر المؤتمرات التي جمعت الدول الأوروبية، والتي شرعنت من خلالها احتلال وكر اللصوص والقراصنة: "تقرّر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا 1815م... بهذه الحجة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدول الأوروبية"، وقد كان المؤرخ التركي دقيقاً جداً في اختيار الحملات، حيث ركّز على ذات الشهرة منها فقط، دون النزوع إلى التخبّط في عرض الحملات الأخرى، علماً أنّها كانت تتوالى كلّ سنة على جزائر الغرب في العهد العثماني.

كما قام أيضاً بعرض التواريخ والأرقام كأداة أساسية مقابل الرأي والانطباع، بغية تعزيز المصداقية وتأكيد الموضوعية بصورة مقنعة للآخر (المتلقّي): "سنة 1541م"، " مؤتمر فيينا 1815م"، "سنة 1816م"، "في 16 حزيران/جوان 1827م"، "في 14 حزيران/جوان 1830م"، "في 5 جويلية 1830م"، "في 29 نيسان/أفريل 1829م"، بينما لم يول أهمية لعرض الإحصاءات المتعلقة بعدد الجنود أو عدد السفن أو معلومات أخرى حول عدد القتلى وغيرها من المعلومات الحربية، إلا ما

¹ مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص-ص 21-22

² إبراهيم علوش، المؤامرة في التاريخ، حقيقة أم خيال، مجلة طلقة تنوير، ع42، 2017م، ص.02.

اختصّ بحصار فرنسا للولاية، حيث ذكر أنّ قوامها "37 ألف فرد بقيادة الجنرال دوبرمون"، وهي معلومات نجدها ناقصةً ضمن احتمالين: يتجسد الاحتمال الأول في جهل المؤرخ التركي بحوثات الحملات الأخرى، وهو احتمال ضعيف مقارنةً بالاحتمال الثاني المتمثل في تعمد عدم إقبال المادّة الجزائريّة بمعلومات كثيرة، والاقتصار على ما هو أهمّ، وباختصار شديد. وهنا اختلافٌ شديدٌ بين الموسوعتين، فالأولى أسهبت في تقديم التواريخ والمعلومات المتعلقة بعدد وعدة الحملات من الجانبين، بينما اختصر النصّ الخطابيّ التركيّ الحملات واشتغل وفق معطيات غير كافية.

وقد لاحظنا بخصوص حملة الملك الإسبانيّ شارل الخامس أنّ النصوص الخطابية المتعلقة بها في الموسوعتين قد عرضت الأحداث التاريخية مع تحريّ نسبة كبيرة من الصدق، والسبب الراجح في رأينا أنّ الواقعة التي تناولوها حقيقيةً ومشهورة ومعروفة ومتناولة من قبل العديد من المصادر، خاصّة تلك التي عايشت الحدث، فاليقين يمنع محاولة عرض أيّ مغالطة وتزييف، الأمر الذي يُضفي أثناء تلقّيها انطباعاً بالشعور بحقيقة الأحداث.

من خلال رصدنا للأنساق المضمرة في النصوص الموسوعيّة تبين لنا أنّ النصوص الخطابية الاستشراقية تستعين بإستراتيجية التّفكيك، فالمؤلف الفرنسيّ يُحاول تفكيك الأساطير المرتبطة بالجزائر وبقوتها، أمّا النصّ الخطابيّ في الموسوعة الإسلاميّة باللّغة التركيّة فهو يدخل ضمن إستراتيجية تبريرية تعتمد على السرد التاريخيّ في تبرير الوضع الذي كانت فيه جزائر الغرب منضوية تحت لواء الدولة العثمانيّة، وكيف كانت في مأمن عن حملات الدّول الأوروبيّة، خاصّة ما بعد حملة الملك الإسبانيّ شارل الخامس.

2) العملية التركيبية لبعض الأحداث التاريخية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلاميّة

(الاستشراقية) والموسوعة الإسلاميّة (باللّغة التركيّة "وقف الديانة التركي") والوثائق

العثمانيّة استشهاده (حملة الملك شارل الخامس عام 1541م، مسألة خيانة المجاهد حسن آغا الطوشي، الحملات الفاتحة التي شنتها جزائر الغرب إلى جانب الأسطول السلطانيّ العثمانيّ ضدّ الأوربيين):

لكي تتمّ عملية الفهم وتركيب الأحداث، يُمكننا القول أنّ جزائر الغرب قد شهدت حملات متوالية ضدها، واحدة تلو الأخرى، طيلة 03 قرون، الأمر الذي يدعونا إلى التّركيز على عرض

أحداث حملة واحدة، وهي حملة الملك شارل الخامس عام 1541م. فما هي حيثيات أحداث هذه الحملة المشهورة، والتي نالت جزائر الغرب على إثرها شهرةً عالميَّة؟ وفي شقِّ ثانٍ تستوقفنا مسألة مهمَّة جدًّا، تناولها المؤرِّخون الغربيُّون والجزائريُّون بوجهات نظر مختلفة، وهي مسألة خيانة المجاهد حسن آغا الطوشيِّ، وتعاونه مع الملك شارل الخامس من أجل تسليمه مدينة الجزائر، فهل فعلاً خان المجاهد حسن آغا جزائر الغرب، وهل خان في الوقت نفسه المجاهد خير الدين باشا الذي استأمنه على الولاية؟ ومن ثمَّ هل خان السلطان العثمانيُّ حامي جزائر الغرب المنضوية تحت لوائه؟

أمَّا الشَّقُّ الثالث من العملية التَّركيبيَّة فيقودنا إلى مسألة قلَّما تناولها الباحثون، وهي الحملات الفاتحة التي شنتها جزائر الغرب إلى جانب الأسطول السلطانيِّ العثمانيِّ ضدَّ الأوربيِّين، سواء في معاقلمهم أو على الأراضي الإسلاميَّة المحتلَّة من قبلهم، مستشهدين في ذلك بالوثائق العثمانيَّة، فكيف جرت أحداث تلك الحملات الفاتحة، وأين تمَّ ذلك؟ سنُحاول إذاً أن ننتيِّن كلَّ هذه المسائل من خلال العمليَّة التَّركيبيَّة للأحداث التَّاريخيَّة.

(أ) العمليَّة التَّركيبيَّة لأحداث حملة الملك شارل الخامس ضدَّ جزائر الغرب عام 1541م:

تجدد بنا الإشارة في بادئ الأمر إلى أنَّ المجاهد خير الدين باشا قد حقَّق انتصارات عديدة من على أرض جزائر الغرب ضدَّ الأعداء، وعلى إثر ذلك عهد إليه السلطان العثمانيُّ قيادة الأسطول العثمانيِّ وعيَّنه قبودان دريا، أي قائداً عامًّا على القوَّة البحريَّة بإسطنبول. فغادر الجزائر عام 1532م، واستأمن المجاهد حسن آغا الطوشيِّ على جزائر الغرب نائباً عنه.¹ في هذه الأثناء أرسل الملك الإسبانيُّ شارل الخامس جواسيسه ليُعدِّوا له تقارير عن حالة الولاية، فورد في أحد التَّقارير عام 1533م ما يلي: "يُحكَم الجزائر الآن حسن آغا، وينوب عنه في حالة غيابه حاج باشا والقائد الصَّورودو. ويوجد بمدينة الجزائر 1.800 تركيٍّ... ونحو 3.000 عائلة عربيَّة و300 عائلة يهوديَّة. أمَّا القوَّة التي بين يدي حسن آغا، وهو مخيِّم الآن خارج المدينة، فهي تشمل 700 تركيٍّ، وألف فارس وألفي راجل من العرب."² كما وحصل الملك شارل الخامس على معلومات من عبيد مسيحيِّين تمكَّنوا من الفرار عام 1536م مفادها أنه يوجد في مدينة الجزائر

¹ فاضل بيات، الدولة العثمانيَّة في المجال العربيِّ، دراسة تاريخيَّة في الأوضاع الإداريَّة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانيَّة حصراً، مطلع العهد العثمانيِّ-أواسط القرن التَّاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، لبنان، 2007م، ص.537.

² أحمد توفيق المدني، حرب التَّلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص.277.

2.000 من الأتراك، و7.000 إلى 8.000 من مهاجري الأندلس في مدن الجزائر ومليانة وبقاع أخرى، وأنّ حاكم الجزائر مرتدّ سارد، أي من سردينيا، اسمه حسن آغا.¹

وفي عام 1541م، استغلّ الملك شارل الخامس فرصة وجود المجاهد خير الدين باشا على رأس القوّات البحريّة العثمانيّة على سواحل الأدریاتيك، وانشغال السّلطان العثمانيّ بحملته التّاسعة² على المجر، ليسير في 18 أكتوبر 1541م على رأس أسطول مكوّن من 516 سفينة، منها 274 قدرعة، والباقي سفن حربيّة، ودعم أسطوله أيضاً بـ65 سفينة عملاقة، كلّ واحدة منها تبدو وكأنّها قلعة تسبح في عرض البحر، بينما بلغ عدد الجنود الذين استقدموا عدا الجدّافين 12.330 بحّاراً، و23.900 جنديّ من القوّات البريّة، ليصبح المجموع الكلّيّ للمحاربين 36.230 جنديّاً. وقد رافق الحملة أشهر نبلاء وأمرآء إسبانيا وألمانيا وإيطاليا.³

إضافة إلى أنّ الحملة كانت مدعومة بفصائل عسكريّة مختلفة، حيث انضمّ إليها فيلق من فرسان مالطا بقيادة أندري دوريا، وخيرة رجال المسيحيّة: كولونا حفيد البابا، وهيرناندو كورتيس Hernan Cortés Monroy Pizarro Altamirano (1485-1547م)، فاتح المكسيك، وحاكم مدينة وهران الكونت دالكوت أو ألكوديت⁴ Le comte d'Alcaudete، وهو مارتن ألونزو فيرنونديز دي كوردوبا مونتيمايور وفيلاسكو Martin Alonso Fernandez de Cordoba Montemayor y Velasco (1498-1558م).

هذه نظرة مختصرة عن الوضع من الجانب الإسباني، بينما لو ولينا صوب الجانب الجزائريّ، فثمّة قوّة تحت إمرة المجاهد حسن آغا قدّرت بـ600 بحّار تركيّ، و2.000 فارس عربيّ متطوّع،⁵ وهنا الفارق واضح جدّاً بين الطرفين.

ففي 20 أكتوبر 1541م، خطّ الملك كارلوس رسالة إلى المجاهد حسن آغا باللّغة التّركيّة مفادها: "إنّ القوّة التي تراها اليوم، ليس أنت فحسب بل إنّ سيّدك الكبير لا يقدر على صدّها، فإذا كانت لك عينان مفتوحتان وتملك ذرّة من العقل، ألق سلاحك واربط رأسك بمنديل، وأتني بمفاتيح قلعة الجزائر. وإذا قدّمت عليّ وقبّلت الأرض بين يديّ سوف أعفو عنك، فأنا ملك إسبانيا ونابولي

¹ أحمد توفيق المدنيّ، حرب التّلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، المرجع السابق، ص-ص 278-279.

² خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.197.

³ المصدر نفسه، ص.197-198.

⁴ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.29.

⁵ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.199.

وصقلية وهولندا وبلجيكا وأمريكا، وإمبراطور ألمانيا.... فحذاري أن تفقد عقلك وتُشهر السِّلح في وجهي، لأنك إن فعلت ذلك فإنني أقسم ببعيسى بأنني سوف أمزقك، وأعلق أشلاءك على أبراج الجزائر.¹

فردّ عليه المجاهد حسن آغا: "إن قلعة الجزائر ليست ملكاً لي حتّى أسلمها لك، ولن أمكّنك من بلد مولانا السُّلطان سليمان لأبوء بخسارة الدُّنيا والآخرة، وليكن معلوماً لديك بأنّ قلبي لا يحمل ذرّة خوف منك، فأنت قد أمضيت حياتك في تلقّي هزائم شنيعة أمام والدي خير الدّين، وأنا على يقين بأنّ الله تعالى سوف ينصرني عليك."² وعليه قام المجاهد حسن آغا بإعداد خطة للدِّفاع عن مدينة الجزائر، بيد أنّه لم يكن يمتلك إلاّ قوّة متواضعة، ورغم ذلك دافع عن المدينة دفاعاً مستميتاً،³ حيث راقب بنفسه الوضع عن كثب، وأشرف على توزيع فرق الإنكشاريّة على كافّة أبواب المدينة، حيث وضع في باب عزّون فرقة هامّة من الجيش الإنكشاريّ، وعيّن على رأسها القائد الحاج محمّد، كما جعل القائد حسن في حراسة جزء من السُّور القريب من باب الوادي، ووضع القائد يوسف في باب الوادي.⁴

بعدها شرع الملك شارل الخامس، المسمّى كارلوس، في مهاجمة القلعة بفرقة العسكريّة الشّجاعة، إلاّ أنّه قوبل بمقاومة صنيديّة في اليوم الأوّل جعلته يُصاب بالذهول، وعندما حلّ المساء أجاز لعساكره أخذ قسط من الرّاحة في خيامهم، لكنّهم قضوا ليلتهم تلك في لهو ومجون. في تلك الأثناء دسّ المجاهد حسن آغا جواسيسه في صفوف العدو، بعدما ارتدوا ملابس فرسان إسبانيا، فقد كان الكثير من البحّارة المسلمين يجيدون التحدّث بالإسبانيّة كما لو كانت لغتهم الأمّ، ومنهم من أمضى سنواتٍ أسيراً يُجذّف السفن الإسبانيّة.⁵ أعلم إذا هؤلاء الجواسيس المجاهد حسن آغا بأحوال الإسبان، فقرّر على الفور مهاجمتهم ليلاً بقوّة تتشكّل من 600 مقاتل و2.000 فارس،⁶ حيث توغّل رجاله في صفوف الجنود الذين كانوا في حالة سكر شديد، فمنهم من احتّمى بخيمته بسبب شدّة المطر، ومنهم من ترك موقع حراسته ليجتث عن مكان يقيه هول العاصفة.

¹ خير الدّين بربروس، المصدر السّابق، ص-ص. 199-200.

² المصدر نفسه، ص. 200.

³ فاضل بيّات، الدّولة العثمانيّة في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص. 538.

⁴ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 29.

⁵ خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص. 200.

⁶ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 30.

استغلّ جنود حسن آغا الوضع وأغاروا عليهم، فأخذ الأعداء يصرخون مذعورين: "لقد عاد بربروس من إسطنبول لقد جاء التركيّ الكبير". وهكذا سقط 3.000 من العدوّ تحت ضربات سيوف جنود المجاهد حسن آغا،¹ الذين ألحقوا بهم خسائر جسيمة في تلك الليلة. استيقظ الإمبراطور شارل الخامس بهلع، وصاح برجاله ووزرائه قائلاً ومتعجباً، هل هذا ما كنتم قد أخبرتموني به؟ بأنّ الجزائريين لا يتحمّلون الوقوف أمام هجماتنا، انظروا ماذا عملوا فينا هذه الليلة!² كانت الأحوال الجوية في هذه الأثناء آخذة في السوء، فخلال الليل من 24 إلى 25 أكتوبر³ نزلت أمطارٌ غزيرة، وهبت عاصفةٌ شديدة، وهاج البحر على إثرها، وراحت سفن الأسطول الإسباني تتكئ يميناً وشمالاً،⁴ إلى أن تحطّم بعضها وغرق البعض الآخر، وغرق معهم عدد كبير من الإسبان، كما استطاع عدد ضخم من الأسرى المسلمين الذين كانوا يُجَدِّفون على متن السفن الإسبانية النجاة.⁵ حين علم ورأى الملك الإسباني ما حصل بأسطوله الملكي، "انكسرت شوكتة، وضعفت قوته، وأخمدت ناره، وبرد شراره وظهرت عليه مخايل الدّل".⁶ وفي اليوم التالي، الأربعاء 26 أكتوبر، وصلت رسالة من القائد أندريا دوريا إلى الملك الإسباني يُعلمه فيها بأنّه بذل قصارى جهده في إنقاذ الجيش، وأنّه ينتظره في تامنفوست، كما وطلب منه اللّحاق ببقية الأسطول وإعادةه إلى المملكة سالماً، فقرّر الملك الإسباني الانسحاب في 26 أكتوبر بناءً على نصيحة الأدميرال أندريه دوريا، إلى رأس تامنفوست، حيث كان الأسطول قد التجأ إلى هناك، ثمّ سار ما تبقى منه نحو بجاية ومنها ألقع في اتجاه إسبانيا.⁷

تكبّد العدوّ خسائر جسيمة، إذ تمّ القضاء على 20.000 من الجنود، وتلفت 4.000 من الفرّس إمّا غرقاً وإمّا نحرّاً من طرف العدوّ الذي تاه في أطراف البلاد، وشرع باقي الجنود الذين نجوا من القتل والغرق في تسليم أنفسهم جماعات وفرادى، في حين علّق الذين كانوا يلبسون دروعاً معدنيّة في الأراضي الموحلة، وتناثرت جثثهم وأشلاء حيواناتهم على مسافات طويلة من ساحل

¹ خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص-ص. 200-203.

² كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص. 94، ويُنظر أيضاً الأغا إسماعيل بن عودة المزارّي، طلوع سعد السّعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التّاسع عشر، ج1، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، د.ت، ص. 223.

³ المرجع نفسه، ص. 95.

⁴ أحمد السّليمانّي، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات البيّاتية، الجزائر، 1998م، ص. 20.

⁵ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 30.

⁶ الأغا إسماعيل بن عودة المزارّي، مصدر سابق، ص. 224.

⁷ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص-ص. 30-31.

الجزائر، وتكدّست آلاف الجثث الأخرى تحت أنقاض السفن المحطّمة، كما وقع عدد كبير من الجنرالات والدّوقات والأمراء والأميرات والنّبلاء والفرسان وغيرهم من أبناء القصور والعائلات الكبيرة أسرى حرب.¹ أمّا الملك شارل الخامس فقد مُني بهزيمة شنعاء، واضطرّ إلى ذبح فرسه الثّمينة ليقتات من لحمها، وعندما لاذ بالفرار من الجزائر مهزوماً، خلع تاجه الملكي من رأسه وألقى به في البحر غيضاً.²

بعد الانهزام الذي مُني به الأسطول الملكي الإسباني غمرت الفرحة أرجاء جزائر الغرب، حيث أُقيمت الأفراح، وظلّ السكّان يحتفلون بذكرى الانتصار لمُدّة ثلاثين عاماً.³ كما وصلت أصداء الانتصار إلى البلاط العثماني، أين أثنى السُلطان العثماني سليمان القانوني على المجاهد حسن آغا، ووجّه إليه خلعاً عظيمةً، وأمرّاً يقضي بتعيينه حاكماً على جزائر الغرب.⁴ وفي السّياق نفسه ذكر المجاهد خير الدّين باشا في مذكّراته أنّه "بعد هذا الانتصار أُطلق على حسن باي لقب الغازي، وكانت رتبته العسكريّة "بحريّة سنّجق بايي (والصّواب هو سنّجاق بكّي)"، أي قائد لواء البحريّة، وبعد هذه المعركة... تكرّم مولانا السُلطان بقبول ألف أسير بعث بهم حسن باي كجدافين للسّفن، كما مُنح ولدي نيشان (وسام) رتبة البيلربايك والباشويّة،⁵ تقديراً للجهود التي قدّمها أثناء حملة الملك شارل الخامس على جزائر الغرب. في هذه الأثناء ذاعت أخبار هزيمة الملك الإسباني في كامل بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي أكسب ميناء المدينة شهرةً كبيرةً بالقوّة والمناعة برّاً وبحراً،⁶ وعُرفت مذاك بالمدينة المحروسة من طرف العناية الإلهيّة،⁷ حيث قلّت التحرّشات بها، وانصرف الحكّام والسكّان إلى الاشتغال بالبحر.

¹ خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص-ص. 205-206.

² المصدر نفسه، ص. 207.

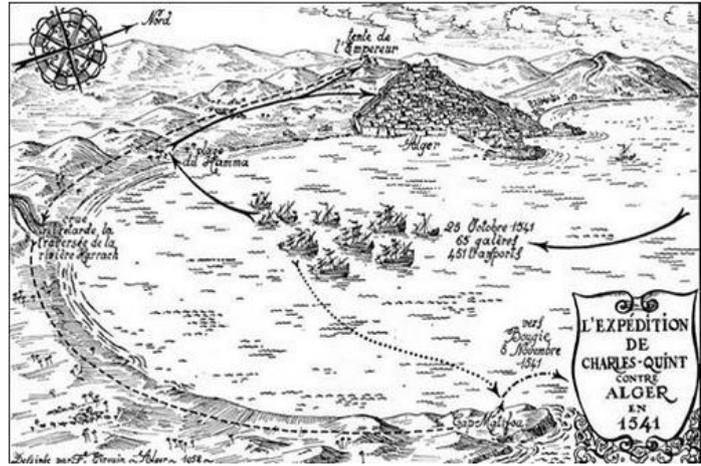
³ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 32.

⁴ ويليام سبنسر، مصدر سابق، ص. 39.

⁵ خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص-ص. 208-211.

⁶ محمّد المليّي، مرجع سابق، ص. 121.

⁷ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 32.



الصورة رقم 18: صورة وصفية لمخطط حملة الملك شارل الخامس ضدّ الجزائر عام 1541م.¹

ب) العملية التركيبية لأحداث مسألة خيانة المجاهد حسن آغا الطوشي وتعاونه مع الملك شارل الخامس من أجل تسليمه مدينة الجزائر:

ننتقل الآن إلى مسألة غاية في الأهمية تناولها المؤرخون الغربيون والجزائريون بوجهات نظر مختلفة، وهي مسألة خيانة المجاهد حسن آغا الطوشي، وتعاونه مع الملك شارل الخامس بغية تسليمه مدينة الجزائر، فهل فعلاً خان المجاهد حسن آغا الطوشي جزائر الغرب، وهل خان في الوقت نفسه المجاهد خير الدين باشا الذي استأمنه على الولاية؟ ومن ثم هل خان السلطان العثماني حامي جزائر الغرب المنضوية تحت لوائه؟

تجدد بنا الإشارة هنا إلى أنه بعدما انهزم الملك الإسباني شارل الخامس في حملته ضدّ جزائر الغرب عام 1541م، اهتزّت الدول الأوروبية، منتقدةً ومتهمةً الملك، فراح فريق ينعتة بالعنيد المتصلّب، ووصفه فريق آخر بالمتهور والمغامر، على أساس أنه غامر عندما قرّر توجيه الحملة في فصل الخريف غير الملائم للملاحة،² واتهمه فريق ثالث بالتهاون وعدم عناية الإدارة الإسبانية بلوازم الجيش من خيم وملابس دافئة.³

¹ مجهول، معالم تاريخية وحضارية، 12 ماي 2015م، استخرجت الصورة من الزايط

² عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.31. <https://ar-ar.facebook.com/algeriaDiscove/posts/758902770875567>، بتاريخ 2018/04/25، على 16 سا و04.د.

³ كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص.91.

إلا أن الاتهام لم يطل فقط الملك شارل الخامس بل تعداه ليمسّ شخص المجاهد حسن آغا الطوشي، حيث ذكرت المؤرّخة كورين شوفالييه أن مؤرّخي القرن 19م أمثال غرامونث، زعموا بأن المجاهد حسن آغا قد تواطأ سرّاً مع الإسبان، ووعدهم بتسليم مدينة الجزائر، حيث جاء على لسانها: "هؤلاء المؤلّفون لم يذكرُوا مصدر معلوماتهم، ومن الصّعب علينا تنفيذها بالكامل".¹ وخلصت إلى أن سبب المراسلات بين الملك شارل الخامس والمجاهد حسن آغا، كانت تتعلّق بالاتفاقيات التجاريّة ومبادلة الأسرى. أمّا المؤرّخة عائشة غطّاس فقد ذهبت إلى أن مؤرّخي الغرب حاولوا تبرير فشل الملك الإسباني، فנסجوا وأحاكوا فكرة تفاوض واتّفاق حول تسليم مدينة الجزائر إلى الإسبان، مستنديين في ذلك إلى عبارات وردت في رسائل إسبانيّة تعود إلى عام 1542م، جاء فيها:

«Le more... est celui qui, il ya un peu plus d'un an, entreprit Don Olonzo, au sujet de négociation de la part de Hassan-Agha... Que Don Alonso entende ce qui lui veut le more et qu'il avise!»²

واعتبرت العبارات غامضة تُحيل إلى تأويلات كثيرة، متسائلة هل المفاوضات كانت بشأن مفاداة الأسرى، أو اتّفاق تجاريّ أو قضايا أخرى؟

لقد حاولت جاهدةً دحض تهمة الخيانة التي ألصقت بالمجاهد حسن آغا، لكنّها لم تجد دلائل تُثبت ذلك، فاقترحت على ذكر استماتته في الدّفاع عن المدينة كحجّة منطقيّة، ذاكرةً ما يلي: "إنّ الأعمال الكبيرة التي قام بها حسن آغا للتصدّي للحملة لا تجعل مجالاً للشكّ في إخلاصه، فقد قام بتحسين المدينة ومنع السّكان من الفرار خارج المدينة لما وصلتهم أخبار الحملة الإسبانيّة... فكافة أعماله لم تكن أعمال رجل ينوي تسليم المدينة، فقد أظهر حسن آغا شجاعةً فائقةً في تصدّيه للحملة وفي بثّ الحماس في نفوس الأهالي".³ وبيّنت المؤرّخة كورين شوفالييه التي صعب عليها تنفيذ خيانة المجاهد حسن آغا، حيث أرجعت سبب المراسلات بين الإمبراطور والمجاهد إلى اتّفاقيات تجاريّة ومبادلة للأسرى. لم تستطع المؤرّخة عائشة غطّاس تنفيذ ذلك أيضاً، واقتصرت على ردّة فعل المجاهد حسن آغا واستماتته في الدّفاع عن مدينة الجزائر كمبرّر دالّ على عدم خيانتته.

¹ كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص-ص. 87-88.

² عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 31.

³ المرجع نفسه، ص-ص. 31-32.

والصَّراحة أنَّه كان بإمكانهما دحض تهمة الخيانة بالعودة إلى هذا المصدر القِيَم الذي سنقوم من خلاله بدحض كلِّ الأقاويل الغربيَّة الرّامية إلى إصاق التَّهمة بالمجاهد حسن آغا، وهي مذكِّرات المجاهد خير الدِّين باشا التي تناولت الحملة والخيانة المزعومة باستفاضة، ونحن لا نقصد النسخة العربيَّة التي بين أيدينا، بل النسخ القديمة منه، والتي كانت متوفِّرةً بلغات مختلفة - سنعود إلى هذه النقطة في الفقرات التَّالية -.

ففي بادئ الأمر قدّم لنا المجاهد خير الدِّين باشا التفسير المنطقيِّ لهزيمة الملك شارل الخامس، وهو تفسيرٌ مختلفٌ تماماً عن التفسيرات الأوروبيَّة، إذ ذكر أنّ الملك شارل الخامس لم ينشأ قطّ نشأةً عسكريَّةً مثل مولانا السُّلطان، ولم يتولَّ قيادة أيِّ جيش بمفرده طيلة حياته، وفوق ذلك كان جاهلاً بفنون الحرب وعلوم البحار... إنّ هذا الملك المغرور بنفسه وقواته كاد أن يقع في الأسر لولا حماية فرسان مالطا وقلة رجال حسن باي.¹

نعود إلى مسألة خيانة المجاهد حسن آغا، ومحاولة تسليمه مدينة الجزائر إلى الملك شارل الخامس، لنجد أنّ المجاهد خير الدِّين باشا قد تناول في مذكِّراته حيثيات المسألة كلّها، فذكر أنّه بعد الهزائم التي مُني بها ملك إسبانيا، خاصّة معركة بروزة، "صار كارلوس (الملك شارل الخامس) يتصرّف بطريقة يائسة تدعو للسخرية، ذلك أنّه أراد التَّغريب، إذ عرض عليّ خيانة بلدي وسلطاني وديني وقومي فبعث إليّ رسالةً جاء فيها: "إنّ تنزيلك من منصبك كملك للجزائر لتكون بيلرباياً عليها حسبما تقضي به التقاليد العثمانيَّة يُعتبر إهانةً بالغةً لك، وها أنا أعرض عليك أن تتخلّى عن خدمة السُّلطان سليمان، على أن أجعلك ملكاً وحيداً على كلّ البلاد الإفريقيَّة... لا أريد أن تكون حليفاً لي، بل يكفي أن تكون صديقاً لي، وتقطع صلتك بالعثمانيين، فهذا كلّ ما أريده منك."²

قام المجاهد خير الدِّين باشا مباشرةً بمراسلة الوزير الأعظم لطفي باشا، وأعلمه بالأمر، وأخبره أنّه يستشعر هجوماً من لدن الملك ضمن حملة كبيرة ضدّ جزائر الغرب، فردّ عليه الوزير الأعظم: "سيدي الباشا... أنت تعرف الملك كارلوس أكثر مني... إلّا أنّ نصيحتي إليك هي أن لا تعجل برفض عرض الملك كارلوس، بل عليك أن تقوم بإلهائه وتسويف الردّ عليه قدر ما تستطيع، ريثما تتضح لنا الأمور بشكل أفضل."³

¹ خير الدِّين بربروس، مصدر سابق، ص. 208.

² المصدر نفسه، ص. 193.

³ المصدر نفسه، ص. 194.

وبناءً على نصيحة الوزير الأعظم ردّ المجاهد خير الدين باشا على أندريا دوريا الذي عُيّن للتفاوض معه قائلاً: "إني على استعداد للتفاوض معكم بشأن العرض الذي تقدّم به ملككم، إلا أنّ هذا لا يُمكن أن يتمّ في إسطنبول خوفاً من وصول الخبر إلى السلطان، فعليكم أن تبعثوا رسولاً إلى نائبي بالجزائر ولدي حسن باي".¹

الأكيد هنا أنّ هذه الرسالة لو وصلت إلى المؤرخين، خاصّة المستشرقين، دون الأخذ بعين الاعتبار سياقها، لألصقوا أيضاً بالمجاهد خير الدين باشا تهمة الخيانة والتآمر ضدّ جزائر الغرب والسلطان العثمانيّ معاً، مثلما فعلوا بالمجاهد حسن آغا. وهنا نتوقّف عند مسألة مهمّة جدّاً، مفادها أنّ الوثائق بدون سياق قد تُسهم بشكل كبير في تزييف الأحداث، فللسياق أهميّة كبرى في تموضع الأحداث التاريخيّة، والمثال الذي بين أيدينا خير دليل على ذلك.

هذا ويتّضح الأمر أكثر عندما علمنا أنّ الوزير الأعظم لطفي باشا هو الذي أرشد المجاهد خير الدين باشا بنصيحة داهية مفادها عدم رفض عرض الملك الإسبانيّ بغية كسب الوقت. وبناءً على تلك النصيحة، طلب المجاهد خير الدين باشا من نائبه المجاهد حسن آغا، التفاوض معهم لكسب الوقت.

تطوّرت الأحداث بعدها حيث ذكر المجاهد خير الدين باشا أنّ الحيلة "انطلت... على الكافر دوريا، وسرّ سروراً عظيماً عندما أبيت له رغبتى في خيانة دولتي. أما أنا فقد أرسلتُ سرّاً إلى حسن باي بتعليماتي، أعلمه فيها بما يجب عليه أن يفعله. كما أمرته بإلهاء رُسل الملك كارلوس مدّة من الزمن، وخلال ذلك عليه أن يقوم بما يلزم من استعدادات لمواجهة أيّ تطوّرات مرتقبة... كتب إليّ حسن باي يُعلمني بأنّ الملك كارلوس عرض عليه أن يجعله ملكاً على الجزائر، وكلف الحاكم الإسبانيّ العامّ على وهران، الكونت الكوديت، لإقناعه بتلك الخيانة... كتبتُ إلى حسن باي أطلب منه أن يستمرّ في إلهاء الكونت، وبذلك كانت مواقفنا مطابقةً لسياسة الوزير الأعظم".²

وفعلاً خطّ المجاهد حسن آغا رسالةً إلى الكونت يُلهيه فيها قائلاً: "إنكم تعتقدون بأنني قادرٌ على انتزاع الجزائر من السلطان سليمان ولأجل ذلك عرضتم عليّ هذا الأمر... إلا أنّه يجب أن تعلموا بأنني عندما أخطو خطوةً واحدةً في هذه الطّريق، فإنّ آلاف البحارة المعسكرين على ظهر الأسطول التركيّ سوف يقومون بتقييدي بالسلاسل وإرسالني إلى إسطنبول، ولذلك أرى بأنّه عندما يُرسل ملككم جيشه الكثيف، ويرسو

¹ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص.194..

² المصدر نفسه، ص-ص.195-196.

أسطوله في سواحل الجزائر فإنني لن أدافع عن المدينة، وهناك يُمكنكم القضاء على الأسطول التُّركي، وحينما تتمكّنون من الاستيلاء على المدينة سوف تكون الجزائر كلّها لكم.¹

نستشفّ من الرّسالة فكراً سديداً وخطّةً محكمةً قام بها هو والمجاهد خير الدّين باشا، لكنّهما لم يتوقّعا أن تتطلي الحيلة على الملك شارل الخامس والكونت ودوريا، حيث ذكر: "إنّ سرعة تصديقهم لي ولحسن باي، بأننا سننجرف معهم في مسار الخيانة الذي عرضه علينا، وأخذهم لذلك مأخذ الجدّ جعل حسن باي يُصاب بالذهول.² الحرب خدعة، والعثمانيّون معروفون بحسن تسيير المعارك والحروب، استمرّت السّنوات، وبقي المجاهد خير الدّين باشا والمجاهد حسن آغا يُلهيان الملك كسباً للوقت، حيث ورد في المذكّرات: "هكذا قضينا ثلاث سنوات منذ معركة بروزة، حتّى حملة كارلوس على الجزائر في مناورات سياسيّة كانت تبدو سخيّةً جدّاً."³

لقد استعناّ بمذكّرات المجاهد خير الدّين باشا بغية دحض ادّعاء الغربيّين حول مسألة خيانة المجاهد حسن آغا، وقد استعصى ذلك على المؤرّختين كورين شوفالييه وعائشة غطّاس، رغم أنّ المذكّرات قد نُشرت من قبل بعد أن تمّ تحويلها إلى رواية ملحميّة من قِبل الكاتب التُّركي أرتوغرول دوزداغ Ertuğrul Düzdağ (1941م) عام 1975م، بعنوان "مذكّرات بربروس خير الدّين باشا"، ثمّ نُشرت باللّغة التُّركيّة الحديثة من قِبل المؤرّخ التُّركي يلماز أوزتونا في ستّينات القرن الماضي على شكل مقالات، ثمّ جُمعت ونُشرت في كتاب مستقلّ عام 1989م. بعدها قامت قيادة البحريّة التُّركيّة بنشر هذه المذكّرات عام 1995م باسم "غزوات خير الدّين باشا"، وابتداءً من القرن 19م، تمّت ترجمة الكتاب إلى لغات عديدة منها المجرية والإيطاليّة والإسبانيّة.⁴

وهنا نتساءل كيف أنّ المؤرّخة كورين شوفالييه لم تستطع دحض مسألة خيانة المجاهد حسن آغا المزعومة رغم أنّها ذكرت في مقدّمة كتابها "الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510-1541م"، أنّها اعتمدت على وثيقة غزوات خير الدّين باشا، كما أنّها اعتمدت أيضاً على الرّسائل الإسبانيّة المحفوظة في أرشيف سيموناكس، مع العلم أنّ مذكّرات المجاهد خير الدّين باشا كانت مترجمةً إلى اللّغة الإسبانيّة؟

¹ خير الدّين بربروس، المصدر السابق، ص.196.

² المصدر نفسه، ص.197.

³ المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

⁴ المصدر نفسه، ص-ص.05-06.

ج) العمليَّة التَّركيبيَّة لأحداث الحملات الفاتحة التي شنتها جزائر الغرب إلى جانب**الأسطول السَّلطانيِّ العثمانيِّ ضدَّ الأوربيِّين، سواء في معانقهم أو على الأراضي****الإسلاميَّة المحتلَّة من قبلهم، مع الاستشهاد بالوثائق العثمانيَّة:**

ننتقل الآن إلى مسألة قليلة التَّداول بين المؤرِّخين، تتعلَّق بالحملات المعاكسة، أو الفتوحات التي شاركت فيها جزائر الغرب ضدَّ الأوروبيِّين تحت لواء الدَّولة العثمانيَّة، فالمعلوم أنَّ الأسطول البحريِّ الجزائريِّ كان ذا نشاط عسكريِّ مكثَّف في البحر الأبيض المتوسِّط بهدف درء الأخطار التي تُواجه البلد وتُهدِّد مصالحه. وقد أدَّى الأسطول الجزائريِّ دوراً مهماً ومحوريّاً وفعّالاً في تلك الحملات الفاتحة، فما هي أهمّ الحملات الفاتحة التي شارك فيها الأسطول الجزائريُّ؟ وما هي حيثياتها؟

*** حملة فتح قلعة مالطة:**

نستهلّ دراستنا بجملة **فتح قلعة مالطة**، أكبر معقل للمسيحيِّين¹ المشهورين بقطع الطَّريق على الحجاج والتَّجَّار المتوجِّهين إلى مصر عبر البحر، الأمر الذي أدَّى إلى إرسال حكم سلطانيِّ من قبل السلطان سليم الثَّاني، كلَّف فيه بكربكي جزائر الغرب المجاهد حسن باشا في ديسمبر 1564م، بتهيئة الأسطول الجزائريِّ بمعدَّاته وأسلحته، وتعيين أحد رجاله الأكفَّاء قائداً على هذه السَّفن، والالتحاق بالقائد العامِّ للأسطول السَّلطانيِّ مصطفى بياله باشا (1515-1578م)، بغية الهجوم على قلعة مالطا.

وقد ورد في الحكم السَّلطانيِّ ما يلي (ينظر الملحق رقم 12): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب حسن باشا. بعد الاتِّكال التَّام على العناية السَّامية لله سبحانه وتعالى والتَّوسُّل الكامل بمعجزات رسول الله صلوات الله عليه وسلّم... تمَّ تعيين الدَّستور المكرَّم مصطفى باشا أدام الله تعالى معاليه على نيَّة الجهاد لفتح قلعة مالطة الواقعة في ديار الغرب وإنقاذها بعد أن أصبحت ومنذ مده مقلِّراً للأذلاء الذين يقومون بقطع طريق الحجاج وغيرهم من التَّجَّار المتوجِّهين إلى مصر عبر البحر، ولا يتوانون من إلحاق الأضرار بهم، فعدت إزالة القلعة وهدمها من مستلزمات الدين ودولتي السَّلطانيَّة... عند وصول حكيمي الشَّريف، تقوم بمقتضى وفور الفراسة والإقدام وحسن الاهتمام المركز في جلبتكم... بتهيئة السَّفن بمعدَّاتها وأسلحتها، وتعيّن أحد رجالك ممَّن تعتمد عليهم قائداً... ليلتقوا بأسطولي السَّلطاني عند وصوله إلى تلك الأرجاء بمشيئة الله... وتبذل قصارى جهدك وتولي الاهتمام بما يتعلَّق بالدين المتين." في 25 جمادى الأولى 972هـ، 29

¹ أحمد توفيق المدني، حرب التَّلثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص-ص 383-384.

كانون الأول/ديسمبر 1564م¹ وبدخول عام 1565م، جهّزت الدولة العثمانية الحملة بـ250 قطعة بحرية بقيادة أكبر أمراء البحر العثمانيين القُبودان بيالة مصطفى باشا (1515-1578م)، وقوة برية قوامها 35.000 فرد بقيادة الوزير لاله قره مصطفى باشا (1500-1580م)، واشترك فيها بكربكي طرابلس الغرب المجاهد طورغود ريس الذي استشهد في الحملة، حيث احتدمت المعركة بين الطرفين، ودافع الفرسان المسيحيون عن الجزيرة باستماتة رادين هجوماً عنيفاً قام به المجاهد حسن باشا وجيشه، لكنّ المدد الغربي وصل تحت قيادة نائب الملك في صقلية، بأسطول مؤلف من 28 سفينة حربية، تحمل 12.000 مقاتل، الأمر الذي أدى إلى هلاك نصف الجيش الإسلامي، فاضطرّ قائد الحملة إلى فكّ الحصار والانسحاب.²

لم تُحقّق إذاً الحملة العثمانية أهدافها بسبب معرفة فرسان مالطا المسبق بانطلاق الأسطول العثماني نحوهم، حيث حصّنوا القلعة وطلبوا المدد، لكنّ السلطان العثماني سليمان القانوني لم ييأس بل نفّذ حملة فتح أخرى، حيث أمر بخروج الأسطول العثماني إلى البحر في شهر أبريل عام 1566م، وقد تمكّن فيها من فتح جزيرة ساقر (هيلوس) الواقعة في بحر إيجه، والتي ألحقت بالدولة العثمانية.³

* حملة فتح قبرص:

نُوي الآن صوب حملة فتح أخرى شارك فيها الأسطول الجزائري، وهي حملة فتح قبرص عام 1571م، وكان ذلك في إطار الحرب بين العثمانيين والبنادقة، هؤلاء الذين انضمّ إليهم حلفٌ مكونٌ من إسبانيا والبابا وجنوة ودوقية سافوا وفرسان الإسطورية، بينما حافظت فرنسا على علاقتها الحسنة مع السلطان العثماني، بيد أنّ ملكها شارل التاسع كان منشغلاً بالحروب الأهلية في بلاده، فلم يكن قادراً على تقديم أيّ مساعدة للعثمانيين.⁴

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص-ص. 197-198.

² أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص. 384.

³ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص-ص. 196-197.

⁴ نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 1987م، ص. 281.

أصدر السلطان العثماني سليم الثاني حكماً إلى بكربكي الجزائر عرب أحمد الحاكم النائب عن قليج علي باشا، للمشاركة بقواته في الحملة الفاتحة لقبّرص، والانضمام إلى قائد الحملة العثمانيّة، بغية الإغارة على الأماكن التابعة لجزر العدو (البنادقة وحلفائهم).

وقد ورد في الحكم السلطاني ما يلي (ينظر الملحق رقم 13): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. بعد الاتكال والاعتماد على عناية الله وجلّ وعلا، وتتوسّل بمعجزات سيّد الكائنات رسول الله عليه وعلى آله أفضل الصلوات... تمّ في هذه السنة تهيئة حملة مظفّرة على الكفار سيّئي الطباع من جهة البرّ والبحر للإغارة على جزرهم... ولأجل تأديبهم بعناية الله فقد سبق أن أرسل جنودي المظفرين وأسطولي السلطانيّ إلى جزيرة قبرص. كما أمرت بتهيئة مائتي قطعة من سفن أسطولي السلطانيّ، وتعيين وزير بريو باشاً قائداً... وقد خرجوا جميعاً إلى سطح البحر قبل خمسة عشر يوماً من هذا اليوم، وذلك بغية الهجوم على أسطول الكفار الأذلاء. ونظراً لاعتماد السلطانيّ على حسن فراستك وكياستك ووفور شجاعتك وشهامتك، فقد أمرت أن تتوجّه أنت كذلك وعلى وجه السرعة إلى جانب السفن... وتكون في الخدمة وأمرت عند وصوله تقوم ودون تأخير مطلقاً بتعيين رجال أكفاء لحفظ الجزر والبلاد والقلاع والبقاع التابعة لولايتك، والتي يستلزم حفظها وحراستها من هذا الجانب، وتقوم أنت بموجب أمري بإكمال معدّات... السفن الموجودة عندك وأسلحتها وآلاتها والمؤن الغذائيّة للفنّين والمقاتلين، وتخرج مع المعدّات الحربيّة إلى البحر وتقصد المشار إليه وتلتقي به وتتوكّل على عون وعناية الله، وتتوسّل بالمعجزات كثيرة للرسول عليه وعلى آله أفضل الصلوات، وتقوم بقلع وإزالة الكفار من القلاع والبقاع، والإغارة على بعض الأماكن التابعة لجزر العدو وإلحاق الأضرار بها، ودفع ورفع أضرارهم وفسادهم، وبالإجمال تكون قلباً وقالباً مع وزير بري... وتبذل قصارى جهودك وبحسن الاتحاد والاتفاق في كافّة الأمور المتعلقة بالدين والدولة وحمى وكرامة سلطنتي... وثنّبته رجالك الذي عيّنتهم في خدمة الحفاظ على الولاية تنبيهاً شديداً أن يقوموا بمراقبة البلاد والولاية من جهة البحر والبرّ، وبالشكل المناسب وحفظها وحراستها وتقصي الأطراف والأرجاء بالشكل اللازم وتحريها، وأن يكونوا على أتمّ البصيرة، وأن يتوخّوا الحذر توخيّاً كبيراً من احتمال إلحاق الضّرر ببلادي المحروسة من جانب الأعداء بغفلة، ولا يهدروا دقيقة واحدة في باب المحافظة." سلّم إلى الجاوش عيسى لإيصاله إلى قره خواجه في ذي الحجة 978هـ، 27 نيسان/أبريل 1571م.¹

بعدما تلقّى قليج علي باشا الأمر السلطانيّ، ردّ على السلطان، وأبلغه بأنّه أصبح جاهزاً مع أسطوله للمشاركة في الحملة. وقد ألفينا إشارة لهذا الردّ في حكم سلطانيّ أرسل إلى الوزير برتو باشا ورد فيه (ينظر الملحق رقم 14): "حكم إلى الوزير برتو باشا. أرسل أمير الأمراء الكرام بكربكي جزائر الغرب علي، دام إقباله، رسالةً إلى سدة سعادتني يُبلغ فيها باستلامه حكمي السلطانيّ القاضي

¹ فاضل بيات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، م⁸، مرجع

باستعداده للحملة، وقد تهيأ بالفعل بموجب أمري الشريف مع السفن المقرونة بالنصر، والموجودة عنده، وأصبح جاهزاً....¹ أرسل إلى الجاوش أحمد البوسنوي في 17 محرم 979هـ، 11 حزيران/يونيو 1571م.¹ بعدها أرسل الوزير برتو باشا رسالةً إلى السلطان العثماني يُخبره أنه وصل إلى جزيرة آغريبور الكائنة في بحر إيجه، وأنّ قليج علي باشا، بكربكي جزائر الغرب، قد التحق به مع سفن الولاية وقواتها، وقد توجه إلى أسطول العدو مستهدفاً الإغارة على جزرهم. وقد تبينّت هذه المعلومات من خلال الحكم السلطاني الذي أرسل إلى الوزير برتو باشا.

حيث جاء فيه (ينظر الملحق رقم 15): "حكم شريف إلى حضرة برتو باشا. أرسلت رسالةً إلى سدة سعادي تُبلغ فيها أنه تم الوصول إلى آغريبور في غرة شهر محرم الحرام، وتم تزيت السفن خلال ستة إلى سبعة أيام... وفي اليوم الثاني من الشهر المذكور وصل بكربكي جزائر الغرب علي دام إقباله على رأس ستة قطع من الباشتردة، وقطعة قدرغة، وإحدى عشر قاليته، والتقى بك... ولم يتم إيقاف أمير الأمراء الكرام علي دام إقباله عن سيره بل توجه بموجب أمري الشريف صوب الأسطول المشؤوم للكفار الخبثاء بغية الإغارة على جزر الكفار وإلحاق الأضرار بها..." في صفر 979هـ، حزيران/يونيو 1571م.²

دارت رحى المعركة بين الدولة العثمانية وإسبانيا وحلفائها في 07 تشرين الأول/أكتوبر 1571م، وانهزم الأسطول العثماني لأول مرة في تاريخه،³ حيث تربص أسطول العدو خلف المضيق، أين لمح قليج علي باشا فأخبر القائد العام للأسطول العثماني أنّ سفن العدو الثقيلة تتربص بهم خلف المضيق، وطلب منه الانسحاب من أمامها، ثم العودة لمهاجمتها إمّا من الخلف أو من الوسط كحيلة حربية، لكنّ القائد العام رفض فكرته وأعلمه أنه لا يستطع أن يتسبّب في القول بأنّ أسطول السلطان قد ولّى هارباً، وهكذا واجه الأعداء، ضارباً عرض الحائط نصيحة قليج علي باشا. وفي تلك الأثناء خرجت 50 سفينة من سفن العدو من خلف رأس المضيق، واختفت بقيّة السفن، فاتّجهت السفن العثمانية إليها، وبينما كانت في خضمّ المعركة محاولة إسكات مدافعها وإضعافها، خرجت السفن المختفية خلف رأس المضيق وأحاطت بالسفن العثمانية، وأطلقت عليها مدافعها.

في هذه الأثناء حاولت السفن العثمانية التّجمّع في مكان مناسب، لكنّ القائد انسلخ بسفينة القيادة وهجم على سفينة محاولاً إسكاتها، فأدرك العدو أنها سفينة القيادة من فوانيسها الثلاثة، فتجمّعت سفن العدو حولها وقتلوا الرّبّان وأسروا من في داخلها، كما أغرقوا سفينة برتو باشا لكنّه

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص. 203-204.

² المرجع نفسه، ص. 206.

³ المرجع نفسه، ص. 209.

نجا. أمّا قليج عليّ باشا فقد اتّجه بسفينته عرض البحر، وعمل على سحب سفينة القائد، وهزم عدّة سفن أخرى ممّا أدّى إلى تفرّقها في عرض البحر، حينها اصطفت السفن الجزائريّة خلف بعض، وبقيت تُحارب معاً حتّى نجت.¹ فغنم قليج عليّ باشا السفينة التي تحمل علم البابا، ورجع بها إلى إسطنبول، حيث استقبل هناك استقبال الفاتحين، رغم الشّعور بمرارة الهزيمة، فقام السلطان العثمانيّ سليم الثاني بترفيه قليج عليّ باشا إلى رتبة قائد البحريّة العثمانيّة (قبودان باشا) مع الاستمرار في منصبه كبيلرباي الجزائر.²

نستشفّ من هذه الحملة أنّ القرارات الفرديّة غير المؤسّسة على أرضيّة صلبة تضمّ استشارة من لهم باعٌ في القتال ستؤدّي حتماً إلى الانهزام، فلو عمل القائد بنصيحة قليج عليّ باشا لَمَا انهزم الأسطول العثمانيّ.

* حملة فتح قلعة حلق الوادي بتونس:

نمرّ الآن إلى حملة فتح أخرى شاركت فيها قوَّات البحريّة والبريّة لجزائر الغرب، وهي حملة فتح قلعة حلق الوادي بتونس ضدّ الإسبان المحتلّين، حيث صمّمت الدّولة العثمانيّة على هدم آخر معاقل الإسبان في الشّمال الإفريقيّ، ولكي تبلغ مبتغاها وجب عليها أولاً أن تأمن تدخل البندقيّة حليفة الإسبان، لهذا وقّعت معها في 07 مارس 1573م معاهدةً ختمت على إثرها حالة الحرب بينهما، حيث تنازلت بموجبها البندقيّة عن قبرص، وقدمت غرامةً ماليّةً كتعويض حرب للدّولة العثمانيّة.³

من جهتها كثّفت الدّولة العثمانيّة جهودها من أجل الحملة الفاتحة، واستدعت ولاة المنطقة للمشاركة، كما وخطّطت للهجوم براً وبحراً، حيث أصدر السلطان العثمانيّ سليم الثاني عام 1573م أمراً إلى بكربكي جزائر الغرب عرب أحمد، نيابةً عن قليج عليّ باشا، وبكربكي طرابلس الغرب من أجل تجهيز أساطيلهم بالمعدّات والأسلحة اللاّزمة، والاستعداد لإرسالها إلى سواحل تونس.

¹ حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمّد حرب وتسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، 2017م، ص-ص 162-163.

² نبيل عبد الحيّ رضوان، مرجع سابق، ص. 283.

³ نعم طالب عبد الله، السّياسة العثمانيّة تجاه النمسا من فتح بلغراد حتّى معاهدة كارلوفتس، المعطيات التاريخيّة وتحليل النتائج، مجلّة «Route educational and social science journal»، م⁵، ع09، 2018م، ص. 953.

وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 16): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب وبكربكي طرابلس الغرب بتجهيز السفن الموجودة عندهم بالمعدات والأسلحة والمستلزمات اللازمة، والاستعداد للانتحاق بالأسطول السلطاني الذي يزمع القيام بالجهاد في البحر وذلك في حالة تلقّيهم طلباً من القُبوْدان/بكربكي الجزائر، والحضور في المكان المتفق عليه، وبذل الجهود في الأمور المتعلقة بالدين المبين والدولة." في 18 ذي القعدة 980هـ الموافق لـ 22 آذار/مارس 1573م.¹

ثم أمر السلطان العثماني سليم الثاني عام 1573م بكربكي جزائر الغرب بالتوجه على رأس جنود الولاية إلى تونس عن طريق البر، وأمر بكربكي طرابلس الغرب بالتوجه على رأس جنود طرابلس إلى تونس والالتقاء بقوات الجزائر، كما نبّه من يتولّى قيادة السفن الجزائرية بالسّير دون توقّف والالتقاء بالأسطول السلطاني هناك.

حيث ورد في الحكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 17): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب وطرابلس الغرب. الإبلاغ عن اعتزام الأسطول السلطاني التوجه إلى أرجاء الجزائر للقيام بالجهاد في سبيل الله، وصدور الأمر إلى بكربكي الجزائر بتجهيز السفن الموجودة عنده وبأنواعها المختلفة بالأسلحة والمعدات والمستلزمات اللازمة، وتعيين قائد كفؤ عليها وإرسالها إلى سواحل تونس للالتقاء بالسفن القادمة من طرابلس الغرب والانتظار هناك، والأمر بتعيين عدد كاف من الرجال ممن يُعتمد عليهم لحفظ وحراسة المدن والأرجاء المختلفة في كلّ من جزائر الغرب وطرابلس الغرب، وتوجه بكربكي جزائر الغرب على رأس جنود الجزائر إلى تونس بطريق البر، وتوجه بكربكي طرابلس الغرب على رأس جنود طرابلس إلى تونس والانتظار هناك ريثما تصل سفن الأسطول السلطاني، وتنبيه من يتولّى قيادة السفن الجزائرية بالسّير دون توقّف والالتقاء بالأسطول السلطاني عند وصوله ليكون في الخدمة، والأمر بتوجه بكربكي طرابلس الغرب إلى تونس مع جنود طرابلس والالتقاء بقوات جزائر الغرب للمساهمة في خدمة الأسطول السلطاني." في 22 ذي القعدة 980هـ الموافق لـ 26 آذار/مارس 1573م.²

من جانب آخر لم يتوان السلطان العثماني سليم الثاني في الحرص على أمن جزائر الغرب أثناء غياب حكامها ومشاركتهم في الحملة، إذ أرسل عام 1573م أمراً إلى بكربكي جزائر الغرب يأمره فيه، ويأمر الأمراء وغيرهم من أعيان الجزائر بالعمل على حفظ وحراسة البلاد، ووضع عدد كافٍ من المسلّحين للقيام بذلك، وطلب من الأسطول الجزائري التوجه بكامل معدّاته الحربية إلى

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص. 216.

² المرجع نفسه، ص-ص 216-217.

حيث يتواجد الأسطول السلطاني، مع بذل المساعي لتأديب العدو، ووعده بتكريم المقاتلين حسب ما يؤدونه من خدمات في حملة الفتح هذه.

وقد ورد في الحكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 18): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. الإبلاغ عن إعداد الأسطول العثماني للقيام بحملة عسكرية بحرية على حلق الوادي وغيرها من قلاع العدو في تلك الأجزاء، والأمر إلى بكربكي جزائر الغرب وأمرائها وغيرهم من أعيان الجزائر بالعمل على حفظ وحراسة البلاد، ووضع عدد كافٍ من المسلّحين للقيام بذلك وقيام القوّات البحرية الجزائرية بكامل معدّاتها وتجهيزاتها العسكرية بالتوجّه إلى حيث يوجد الأسطول السلطاني لالتحاق به، وبذل المساعي لتأديب العدو، والوعد بتكريم المقاتلين حسب ما يؤدونه من خدمات في الحملة." في 28 ذي القعدة 980هـ الموافق لـ 01 نيسان/أبريل 1573م.¹

استمرّت الاستعدادات لفتح قلعة حلق الوادي بتونس إلى غاية عام 1574م، أين عيّن السلطان العثماني الوزير سنان باشا (1506-1596م) لقيادة الحملة، وبمعية قوّة من الجزائريين بقيادة قايد رمضان باشا، وقوّة من طرابلس بقيادة مصطفى باشا،² وقوّة من القيروان بقيادة حيدر باشا ومن التّفّ به من العرب والبربر.³

واستكمالاً لما ذكرناه أرسل السلطان العثماني سليم الثاني عام 1574م، حكماً إلى بكربكي جزائر الغرب قايد رمضان باشا، ووالي تونس وطرابلس يطلب منهم المشاركة في الحملة إلى جانب مقاتلي الأعراب والتنسيق فيما بينهم حول وجهة الانطلاق ونقطة الالتقاء، وذلك قبل وصول القائد إلى المنطقة.

وقد جاء فيه التّالي (ينظر الملحق رقم 19): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب رمضان باشا. الإعلان عن اعتزام الأسطول العثماني بقيادة الوزير سنان باشا شنّ حملة عسكرية لفتح قلعة الوادي، وصدور الأمر إلى بكربكي الجزائر رمضان باشا ووالي طرابلس الغرب وتونس للمشاركة في الحملة إلى جانب قوّات ولاياتهم ومقاتلي الأعراب والتنسيق فيما بينهم حول وجهة الانطلاق والالتقاء مع بعضهم البعض وذلك قبل وصول الأسطول العثماني إلى المنطقة. وشكوى أهالي الجزائر من الولاة لقيامهم باستحداث بعض البدع وإرهاقهم بها وعدم تحمّلهم إيّاها واضطرارهم إلى الفرار إلى جهة الكفار، والأمر برفع هذه البدع وعدم

¹ فاضل بيّات، المرجع السابق، ص. 217.

² نبيل عبد الحّي رضوان، مرجع سابق، ص. 287.

³ محمّد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجاريّة عرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903م، ص. 68.

التعدي على الرعايا خلافاً للشرع والقانون، وتوفير الأمن والأمان للولاية وتحقيق الرفاه والاطمئنان للأهالي وحفظ وحماية البلاد." في 15 ذي الحجة 981هـ الموافق لـ 07 نيسان/أبريل 1574م.¹

من جانب آخر، لمحنا اهتمام السلطان العثماني سليم الثاني بتوفير كل شروط الراحة للمقاتلين، عكس ما حدث مع الملك شارل الخامس في حملته ضدّ الجزائر عام 1541م، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، حيث أصدر حكماً أعلم فيه بكربكي الجزائر قايد رمضان باشا بإرسال ألف قطعة من الخيم التي صنعت في إسطنبول لاحتمال حاجة جنود الجزائر المشاركين في حملة حلق الوادي إليها، وأمره بالسهر على التحاق الجنود بالوزير سنان باشا حال وصول الأسطول السلطاني إلى تونس.

وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 20): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. تجهيز ألف قطعة من الخيم في المهترخانة العامرة (معمل الخيم) في إسطنبول وتحميلها على السفن وإرسالها مع الأسطول السلطاني لاحتمال حاجة جنود الجزائر المشاركين في الحملة على حلق الوادي إليها، والأمر إلى بكربكي جزائر الغرب بتبنيه الجنود بشأن مسألة الخيم وتبدير مستلزماتهم والتحاقهم بالوزير سنان باشا حال وصول الأسطول السلطاني إلى هناك، وتوزيع الخيم لهم كي لا يعانون من المضايقة في هذا الصدد." في 25 ذي الحجة 981هـ الموافق لـ 17 نيسان/أبريل 1574م.²

التقت إذاً الجيوش خارج قلعة حلق الوادي، وأحاطت بها من كل جانب، فدخلها المقاتلون المسلمون، وهزموا عساكر إسبانيا، وعلى إثر هذه الحملة الفاتحة انقرضت دولة بني حفص بعد أن مكثت ثلاثمائة ونيفاً وأربعين سنة.³

وفي السياق نفسه ذكر المؤرخ أحمد توفيق المدني ناقلاً عن المؤرخ التونسي ابن أبي الضياف (1804-1874م)، وصف حملة الفتح: "إنّ تونس لفي هذا الكرب العظيم (الاحتلال الإسباني) إذ تراءت لها طلائع الأسطول العثماني... فينزل على مقربة من أطلال قرطاجنة جيش عثمانيّ قويّ، تحت قيادة المجاهد البطل سنان باشا، ويستقدم لإعانتته فوراً جيش الجزائر... وجيش طرابلس... وجيش القيروان... ففرّ من بها من الصبنيول... وتملك العسكر العثماني على الحاضرة وقصبتها.⁴ وقد كان ذلك في 14 تموز 1874م، أين حوصرت القلعة، فلم تتمكن القوات

¹ فاضل بيات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص.222.

² المرجع نفسه، ص.223.

³ محمّد بن الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص.68.

⁴ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص-ص 400-401.

الإسبانية من الصمود أمام هجمات الأسطول العثماني من جهة البحر، وهجمات الأهالي من الداخل، فاضطروا للفرار إلى قلعة البستيون، أين اعتزم سنان باشا اللّحاق بهم والقضاء عليهم، فحاصروهم في تلك القلعة،¹ ثم اقتحمها في 24 أوت 1574م.² ويذكر محمّد ابن الأمير عبد القادر أنّه ثبتت قدم سنان باشا فيها، و"استفحل أمره وقطع دعوة بني حفص فيها واستلحم الثّوار، ومن عهده صارت الولاية تختلف على تونس من قبل السلطنة السّنيّة كاختلافهم على الجزائر".³ وبهذا انتهت شوكة الإسبان في تونس.

¹ رابحه محمّد خضير عيسى الجبوريّ، القائد العثمانيّ سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م، مجلّة جامعة تكريت للعلوم، م¹⁸، ع01، كانون الثّاني، 2011م، ص.370.

² فاضل بيّات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/ السادس عشر الميلاديّ، م⁸، مرجع سابق، ص-ص.221-222.

³ محمّد بن الأمير عبد القادر الجزائريّ، مرجع سابق، ص.68.

المبحث الثالث: التنظيم الإداري لجزائر الغرب، ضمن رصد، تحليل ونقد لأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً.

نُحاول في هذا المبحث الوقوف عند مسألة التنظيم الإداري لجزائر الغرب من خلال تحليل ونقد بعض النصوص الخطابية في الموسوعتين: دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، ثم القيام بالعملية التركيبية للأحداث التاريخية، يليها الاستشهاد ببعض الوثائق العثمانية بغية عرض ما تغاضى عن ذكره المؤرخون في الموسوعتين، الأمر الذي سيقودنا إلى طرح التساؤلات التالية:

ما هي خصوصية التنظيم الإداري لجزائر الغرب في العهد العثماني من خلال نصوص الموسوعتين؟ وما هي أجهزته وموظفوه؟ وهل تمّ العرض بموضوعية علمية أم بذاتية مؤدلجة؟ وما هي الأنساق المضمرة التي احتوت عليها نصوص الموسوعتين؟ وما هو الجديد الذي أضافته الوثائق العثمانية؟

1) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي"):

أ) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية):

نبدأ دراستنا بعرض النصّ الخطابي الموسوعي الذي تناول التنظيم الإداري لولاية جزائر الغرب بهرمية، حيث ذكر المؤرخ الفرنسي جورج إيفير أنّ الداي كان "يحكم إقليم الجزائر الذي كان يشمل دار السلطان بواسطة أربعة من القواد الأتراك... قُسمت بقية الإمارة إلى ثلاث نواح أو بكوات؛ البكوية الغربية وكانت قصبها مزونة، ثمّ بعدها معسكر منذ 1710م، ثمّ وهران منذ سنة 1792م. والبكوية الوسطى أو بكوية تيطري وعاصمتها المدينة، والبكوية الشرقية وعاصمتها قسنطينة. ثمّ قُسمت هذه البكويات إلى أوطان تضمّ منازل عدّة قبائل، وتنقسم القبائل أيضاً إلى دور، أي طائفة من

المضارب... على رأس كل بكوية بك، وكلّ وطن قائد، إمّا من التّرك وإمّا من العرب، وكلّ دوّار شيخ... كان الدّاي يُعيّن البكوات، وجرت الحال بأن يكون ذلك لقاء مال يدفعونه... ثمّ إنّ البكوات كانوا يختارون من يعملون تحت إمرتهم بالطريقة نفسها.¹

ثمّ أضاف بخصوص الجهاز الإداريّ ذاكراً: "مجلس يُعرف بالديوان يتألف من وزراء... هم الخرنجي أي وزير المال، وآغا المعسكر أي القائد الأعلى، ووكيل الخرج وهو وزير البحريّة، وبيت المالجي، أي مدير الأملاك... وخوجة الخيول، وهو جابي الضرائب، أمّا شيخ المدينة فكان يُشرف على الشرطة والقضاء في العاصمة".² وعن الوظائف الأخرى ذكر: "وكان التفتيش في الأسواق منوطاً بـ"المكاتب"... الشوارع في أثناء النهار من أعمال "الكخيا" (وهي كلمة مشتقة من اللفظ الفارسيّ كتحداً)، وكان التفتيش عليها أثناء الليل من أعمال "آغا الكلّ" ولا بدّ أن يكون هذا تركياً. أمّا المزوار فكان عليه أن يُراقب الحمامات وبيوت الدّعارة. وكان على "أمين العيون" أن يُحافظ على عيون الماء ويتأكد من سلامة أبنيتها، وكان هذا النظام الإداريّ يفي بالأغراض المرجوة منه، ويحفظ الأمن والنظام على أحسن حال، كما يشهد بذلك جميع الرّحالة الذين زاروا مدينة الجزائر التّركيّة، ثمّ زال هذا بزوال هذه السيادة التّركيّة."³

وفي محاولة منّا لرصد الأنساق المضمرّة استشرعنا نقصاً واضحاً مقارنةً بالأنساق المضمرّة في المباحث السابقة، ومرّد ذلك، حسب رأينا، إلى أنّ الموضوع يتطلّب عرضاً للمعلومات ضمن سرد تاريخيّ عاديّ أكثر منه إبداء للإيديولوجيّة والموقف المنحاز، لكن ورغم ذلك أبقينا إلاّ أن ندقّق أكثر ونبحث ما بين السطور والكلمات علّنا نجد أنساقاً مضمرّة، وعلى هذا الأساس، استنتجنا أنّ النّصّ الخطابيّ الذي بين أيدينا تفكيك للبنية السياسيّة لجزائر الغرب في العهد العثمانيّ، وأنّ هذه البنية هي التي تُحدّد السّلطة وطبيعة ممارستها، أي أنّها معروضة هرمياً من الأعلى إلى الأسفل، وبشكل مبسّط يُسهّل على المتلقّي فهم التنظيم.

وثمة نسق مضمرّ رصدناه وهو نسق التسمية، حيث أثارت انتباهنا تسمية "إقليم"، و"إمارة"، وهما يدلّان على وجود ارتباك في إطلاق اسم صحيح على جزائر الغرب، فتارةً إقليم وتارةً إمارة. رصدنا أيضاً نسق التصنيف أو التّفْيئة، فالمرقبون والمفتشون مصنّفون إلى مكاتب، آغا الكلّ، المزوار، أمين العيون وغيرهم، وهم يشتغلون نهاراً وليلاً. والمثير للاهتمام في العبارة التّالية: "وكان التفتيش عليها أثناء الليل من أعمال "آغا الكلّ" ولا بدّ أن يكون هذا تركياً"، هو أنّ أعمال الليل كانت موكلة إلى العنصر العثمانيّ، وهذا إيحاءً من قبل المستشرق إلى عدم التّقة في الأهالي

¹ جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص.2832.

² المرجع نفسه، ج9، ص.2832.

³ المرجع نفسه، ج10، ص.2942.

أو بشيء من هذا القبيل. وهناك إحياء آخر في العبارة التالية: "أما المزوار فكان عليه أن يُراقب الحمامات وبيوت الدّاعة"، ينفي ضمناً البعد الديني للدولة العثمانية على أساس موافقتها على وضع مراقب على بيوت الدّاعة.

أما إذا ولينا صوب نصّ المستشرق مارسال كولومب حول التنظيم الإداري لجزائر الغرب نجده قد ذكر أنّ "إقليم الجزائر... الذي هو "دار السلطان" كان مقسماً إلى سبعة "أوطان" يديرها قواد تحت الإشراف المباشر للذّي... بلاد الجزائر كلّها كانت مقسّمة إلى ولايات (بكلق) يدير كلّها منها بك... وكانت هذه الولايات هي: تيطري وقاعدتها مديّة، والولاية الشرقية وقاعدتها قسنطينة، والولاية الغربية وكانت قاعدتها مزونة ثمّ المعسكر، ثمّ وهران بعد عام 1792م. وكان البكوات في نظر الحكومة المركزية يُعدّون جامعي دخل أو محصلي ضرائب تعاقداً بحكم أنّهم في معظم الأحوال قد اشتروا مناصبهم على أن يؤدّوا لخزائن الدولة مبالغ كبيرة تُحدّد قيمتها في مدينة الجزائر. الغرض الوحيد من وضع الذّي لهذا التنظيم هو تمكينه من أن يُمارس إشرافاً أدقّ ما يكون على ولاية الأقاليم، وإقصائهم عن مناصبهم ولأية شبيهة من شبهات التقصير.¹

وعن موظفي الإدارة بين أنّ الديوان "يتكوّن من الخازندار أو الخرنجي (أمين الخزانة)، وآغا المعسكر (قائد المعسكر) ووكيل الخرج (رئيس المصلحة البحرية)، والبيت مالجي (أمين الضياع الشاغرة)، وخوجة الخول أو الأتخوجان (متسلم الجزية)".²

وأثناء رصدنا للأنساق المضمرة في هذا النصّ ألفينا وجهة نظر استشرافية بحتة صوّرت العثمانيين على أنّهم كانوا ينظرون إلى جزائر الغرب نظرة استغلالية في العبارة "وكان البكوات في نظر الحكومة المركزية يُعدّون جامعي دخل أو محصلي ضرائب"، أي أنّ جزائر الغرب هي مكان لتحصيل الضرائب فقط.

أما العبارة "البكوات) محصلي ضرائب تعاقداً بحكم أنّهم في معظم الأحوال قد اشتروا مناصبهم على أن يؤدّوا لخزائن الدولة مبالغ كبيرة تُحدّد قيمتها في مدينة الجزائر"، فهي حجة تدلّ على الفساد السياسي في الدولة العثمانية على أساس أنّ اعتلاء المناصب كان عن طريق مبالغ كبيرة (الرشاوى)، كلّ ذلك ضمن نسقين مضمّرين هما: نسق الحجاج ونسق التقديم السلبي للآخر "اشتروا مناصبهم".

وإلى جانبهما رصدنا نسق الإسناد في العبارة: "إشرافاً أدقّ"، فالدقّة صفة تحمل بعداً تقويمياً، وغالباً ما يكون إيجابياً يُعنى بالتدبير الإيجابي للإدارة، لكنّه ورد في هذا النصّ حاملاً لدلالة سلبية مفادها أنّ الإشراف الدقيق كان من أجل التّحكّم في الأموال لصالح خزينة الدولة

¹ مارسال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص.2874.

² المرجع نفسه، ص.2874.

العثمانية. إلحاقاً بالأنساق المضمرة السابقة رصدنا إضفاء المنظور أو المنظورية، فعبر نسق التسمية والإسناد، ومن خلال الاتهامات، تبرز الأحكام القيمية والصورة السلبية ضمن إيديولوجيا متهمة للسياسة الإدارية لجزائر الغرب في العهد العثماني.

بعدما رصدنا الأنساق المضمرة في النصين الاستشراقيين، جدير بنا الآن الوقوف عند الدقة العلمية والأمانة، وهنا تستوقفنا عبارة "إقليم الجزائر" التي وظّفها المؤرخ جورج إيفير، وهي في نظرنا تعبير غير دقيق، فالجزائر لم تكن إقليماً بل ولاية عثمانية، ولم تكن "دار السلطان" أيضاً إقليمياً بل لواء/سنجقاً/بيلاً، وسنتوسّع في عرض هذه المصطلحات بالتفصيل في العملية التركيبية لموضوع التنظيم الإداري لجزائر الغرب.

كما عرفت العبارة: "يُحكم إقليم الجزائر الذي كان يشمل دار السلطان بواسطة أربعة من القواد الأتراك"، انعداماً للدقة، فلم يُبين المستشرق من هم القواد الذين يقصدهم، فهل هم البكركي/البيلربي/المير الميران/أمير الأمراء/الوالي، أم الدايات الثلاثة، بالرغم من أنهم ليسوا قواداً، على أساس أنه توجد وظيفة إدارية في جزائر الغرب خاصة بالقائد ولا علاقة لها بمنصب البكركي أو الدايات/الدايي، أي الخال، وليس "الداي" كما يرد عند الباحثين الجزائريين خاصة، والعرب عامة.

وثمة تناقض رصدناه في عبارتين هما: "يُحكم إقليم الجزائر الذي كان يشمل دار السلطان بواسطة أربعة من القواد الأتراك"، و"على رأس كلّ بكوية بك وكلّ وطن قائد". ففي بادئ الأمر ذكر المستشرق أنّ إقليم الجزائر يُحكم بواسطة أربعة قواد، بعدها ذكر أنه يوجد على رأس كلّ بكوية بك وعلى كلّ وطن قائد، فهل يحكم القائد دار السلطان وفي الوقت نفسه يحكم الأوطان؟ سنركّز على هذه النقطة في العملية التركيبية من خلال عرض موظفي الإدارة المركزية والإدارة المحلية.

ثمّ يذكر المؤرخ جورج إيفير عبارة "قُسمت بقية الإمارة إلى ثلاث نواح أو بكوات"، والمعروف أنّ الإمارة هي نفسها اللواء/سنجق/بيك، يعني وجود ثلاث إمارات، فكيف يُقسّم اللواء (الإمارة) إلى ثلاث نواح أو بكوات؟ إضافة إلى أنّ الناحية في الترتيب الهرمي للتقسيم الإداري في العهد العثماني تكون بعد اللواء على أساس أنّ الولاية تُقسّم إلى ألوية ثمّ نواح ثمّ أقضية (سنعود إلى هذا التقسيم في العملية التركيبية). فاللواء ينقسم إلى نواح كثيرة، وليس إلى ثلاث عبر كامل البلاد.

أمّا الكلمات "نواح أو بكوات" فنُميّز من خلالها خطأً في توظيف المصطلحات، فالناحية ليست بكوات/بكلّ/بيك، بل البيك هو الذي ينقسم إلى عدّة نواح. وإذا تأملنا العبارة التالية: "كان

الذاي يُعَيِّن البكوات وجرت الحال بأن يكون ذلك لقاء مال يدفعونه"، التي وظَّفها المؤرِّخ جورج إيفير، وشبيهه بها العبارة التي استعان بها المستشرق مارسال كولومب: "وكان البكوات قد اشتروا مناصبهم على أن يؤدّوا لخزائن الدولة مبالغ كبيرة تُحدّد قيمتها في مدينة الجزائر"، فإننا نقف عند مزاعم استشرافية صارت رواسب ثقافية ونهل منها المؤرِّخون المحليون، وهي مزاعم لُفقت للدولة العثمانية مفادها تقديم الرشاوى بغية الظفر بمنصب عالٍ، هي عبارة إذا تُشير إلى الفساد الإداري المزعوم من قبل معظم المتحاملين على الدولة العثمانية ومن تبعهم دون تمحيص، والصحيح أنها رؤومات كانت تؤدّى إلى خزينة الدولة وليست رشاوى، وسنفضل في هذا الأمر في العملية التركيبية من خلال الوثائق العثمانية نفسها التي تدحض تلك المزاعم.

نُبادر الآن بالتدقيق في نصّ المستشرق مارسال كولومب الذي ابتلي هو الآخر بالخط بين المصطلحات والوقوع في خطأ توظيفها. ففي العبارة: "وبلاد الجزائر كلّها مقسّمة إلى ولايات يُدير كلّها منها بك. وكانت هذه الولايات هي: تيطري وقاعدتها مديّة، والولاية الشرقية وقاعدتها قسنطينة، والولاية الغربية وكانت قاعدتها مزونة ثمّ المعسكر، ثمّ وهران بعد عام 1792م"، توظيف لمصطلح "ولاية" للدلالة على اللواء/السَنجَق/البيك، "وبلاد الجزائر كلّها مقسّمة إلى ولايات"، وهو توظيف بعيد كلفة عن الدقّة، فبلاد الجزائر هي ولاية جزائر الغرب، وقد قسّمت إلى ألوية/سناجق/بيالك وليس إلى ولايات. وبخصوص أسماء ألوية/سناجق/بيالك التي وردت في النصّ فهي صحيحة، وخاصّةً بأواخر العهد العثمانيّ، أمّا في بداياته فقد كانت هناك ألوية أخرى سنذكرها بالتفصيل في العملية التركيبية.

نمرّ الآن إلى مسألة أخرى متعلّقة بأعضاء الديوان، حيث ذكر المؤلفان الفرنسيان الأعضاء أنفسهم، ولكنهما ركّزا على أعضاء الديوان المركزيّ ولم يتطرّقا إلى موظفي المركز، كما لم يوليا أعضاء الديوان المحليّ أيّ اهتمام. وبالتدقيق في نصوصهما نجد أنّهما لم يذكرنا صاحب المنصب الأعلى وهو البكركي، العضو الأهمّ في الديوان، وإلى جانبه آغا الإنكشارية والقاضي بوصفهما عضوين أصليين.¹ كما لم يذكرنا هيئة الكتاب في الديوان، ولا هيئة الخوجات. بينما انفرد المؤرِّخ جورج إيفير بذكر شيخ المدينة في العبارة: "أمّا شيخ المدينة فكان يُشرف على الشرطة والقضاء في العاصمة"، ولكنّه أضاف إليه منصب الشّرطيّ بالرغم من وجود منصب خاصّ بمدير الشرطة، فمهمّة شيخ المدينة تقتضي البتّ في النزاعات والخلافات التي كانت تنشب بين الجماعات الحرفية، إضافةً إلى جباية الضرائب المستحقّة على الحرف، وقد توسّعت صلاحياته

¹ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص-ص 547-548.

لتمس المجال العقاري رفقة عدد من الموظفين المساعدين له.¹ وسنعود بالتفصيل إلى أعضاء الإدارة المركزية وأعضاء الإدارة المحلية ومهام كل واحد في العملية التركيبية.

(ب) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية ضمن الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الذبابة التركي"):

إذا ولينا صوب الموسوعة الإسلامية باللغة التركية نجد أن المؤرخ التركي كمال قهرمان قد تناول هو الآخر التنظيم الإداري لجزائر الغرب في العهد العثماني على النحو التالي: "إذا جئنا إلى التنظيم الإداري بعد دخول الجزائر تحت الحكم العثماني، فيمكن تقسيمها إلى قسمين؛ القسم الشرقي حيث الأمير أحمد بن القاضي، والقسم الغربي أين يوجد محمد بن علي، والذي أصبح تحت إدارة خير الدين بربروس... كانت آليات الإدارة في هذه المرحلة منظمة جداً، تم بدقة حفظ (السجلات الرسمية، الفرمانات السلطانية، نصوص، الاتفاقيات المبرمة، الغنائم، الجوائز التي فازوا بها، وقيود الضرائب) في أرشيفات الدولة... قُسمت الجزائر إدارياً إلى أربعة أقسام؛ مركز مدينة الجزائر، والذي يُحكم من طرف الوالي، أو الذي مباشرة، وأطلق عليه دار السلطان... أما بقية الأقاليم الثلاثة فيطلق عليها اسم البايلك، حيث كانت تحت حكم السنجاق -الباي-، وكانت كالاتي: بايلك الشرق؛ مركزه قسنطينة، بايلك التيطري؛ مركزه المدينة، بايلك الغرب؛ مركزه معسكر وبعد سنة 1792م وهران. وكان السنجاق والقضاة والمشائخ منفصلون عن بعضهم، وكان البايات الذين يُعينون في السنجاق من طرف البايات في السلطة مكفون بضمان الأمن في السنجاق وجمع الضرائب. كانت البيالك أوطان تتشكل من عدة قبائل متحدة، وكانت هذه الأوطان تُحكم من طرف شيوخ القبائل، كان البايات واليولوش (رفيق الطريق) القادمون من الأناضول يعيشون في مقرات منفصلة عن السكان."²

وعن الجهاز الإداري ذكر أنه "كان للبايات صلاحيات واسعة؛ إذ يحكمون بأنفسهم الأسطول العسكري، الضرائب، القضاء، الأمن، يُساعدهم في ذلك أعضاء الديوان المسمى ديوان الغزاة، المتكون من 05 أعضاء وهم؛ الخزانجي؛ مسؤول الشؤون المالية، آغا الجيش؛ قائد الجيش البري، وكيل الخرج؛ مسؤول الشؤون البحرية، بيت المالجي، مسؤول المالية وتحصيل الضرائب، وخوجة الخيل."³

عندما ندقق في النصوص الخطابية نجدها يحوي أنساقاً مضمرة متنوعة، نستهلها بنسق التسمية الذي يتجلى في الكلمات التالية: "البايلك-السنجاق-الباي-اليولوش"، والتي تُعبر عن الرتب والتنظيمات الإدارية بكلمات عثمانية، وهو في نظرنا نوع من التناقض أو التكيف الثقافي

¹ عائشة غطاس وآخرون، مرجع سابق، ص-ص 123-124.

² Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p-p.486-487.

³ Ibid, p.487.

اللغوي في إطار الامتزاج الثقافي بين المجتمع الجزائري والمجتمع العثماني، بمعنى اتصال ثقافي بين شعبين يفضي إلى احتكاك ثقافة بسيطة مع ثقافة مركبة عن طريق الأخذ والعطاء مع قبول أو رفض السمات الثقافية الدخيلة. وهذا المفهوم بعيد كل البعد عن مفهوم التثاقف الذي مارسه فرنسا على الجزائر، فلم نشهد تثاقفاً بالمعنى الذي عرضناه بل وجدت هيمنة لثقافة دخيلة على الثقافة الأصلية في محاولة منها لإبادتها وأخذ مكانها.

وعلاوة على نسق التسمية رصدنا نسق الإسناد في العبارة: "كانت آليات الإدارة في هذه المرحلة منظمة جداً، تم بدقة حفظ (السجلات الرسمية، الأوامر السلطانية، نصوص، الاتفاقيات المبرمة، الغنائم، الجوائز التي فازوا بها، وقيود الضرائب) في أرشيفات الدولة"، فصفات التنظيم والدقة تحمل منظورا إيجابيا عن الإدارة في العهد العثماني، كما وتعكس نسق إضفاء المنظور من خلال عرض منظور المؤرخ الذي يحيلنا إلى استشعار عطف تجاه الدولة العثمانية التي ينتمي إليها فيمجد أعمالها وتنظيمها.

لن نتوقف عند هذا الحد بل سنتوجه صوب الدقة والأمانة العلمية لنجد أن نص المؤرخ التركي كمال قهرمان المتعلق بالتقسيم الإداري صحيح إلى حد بعيد، ورغم ذلك يستوقفنا مصطلح استعان به للدلالة على مركز مدينة الجزائر، وهو "دار السلطان"، وقد استغربنا توظيف هذا المصطلح من قبل مؤرخ تركي على أساس أنه يوجد سلطان واحد هو السلطان العثماني، بينما من يحكم ولاية الجزائر الغرب فهو البكركي، أي أمير الأمراء وليس السلطان، فكان من الأجدر به أن يعوضه بـ"مركز ولاية الجزائر الغرب" أو "مركز الدولة الجزائرية" أو "قصر الداوي"، أو كما كان يُسمى في القرن 16م "قلعة الجزائر"، على أساس أنه الأكبر ضمن الأراضي التي كانت تابعة للدولة العثمانية بعد قصر "طوب كابي" في إسطنبول¹، أو يُسمى بكل بساطة "لواء/بيلك جزائر" الخاص بالبكركي كما كان يُسمى عام 1550م (سُرُكُز بالتفصيل على هذه الفترة في العملية التركيبية)، مع العلم أن دار الحكم في إسطنبول التي كانت في الأساس قصراً للحكم العثماني، يُطلق عليها اسم "دار السعادة"²، وليس دار السلطان.

¹ قصر الداوي "دار السلطان" مكان حادثة المروحة، 26 جوان 2018م، استخرج من الرابط

<http://www.ech-chaab.com/ar/صفحات-خاصة/صيفيات-item/98426/2017> - قصر-الداوي-«دار-السلطان»-مكان-حادثة-المروحة، بتاريخ 2019/09/19م، على 20 سا و07د.

² سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000م، ص.108.

وما يُفسِّر لنا توظيف المؤرِّخ التُّركيِّ لعبارة "دار السُّلطان"، هو اعتماده في تأليف مادّة "الجزائر" على بعض المؤلِّفات الاستشراقية والمحلية التي وظّفت هذا المصطلح، وبالتالي بدت المحاكاة واضحة، وقد تطرّقنا من قبل إلى المصادر التي اعتمد عليها، حيث استعان بمؤلِّفات المؤرِّخ جورج إيفير، والمستشرق مارسال كولومب، والمستشرق مارسال إميري، إلى جانب مؤلِّفات لباحثين جزائريّين هما زكية زهرة، ونعيمة بوحمشوش.

2) العملية التركيبية لبعض الأحداث التاريخية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية

(الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق

العثمانية استشهداً (المصطلحات الإدارية، الأسلوب الإداري، التقسيم الإداري، الجهاز الإداري):

بعد استظهارنا للنصوص الخطابية الاستشراقية والتركية في الموسوعتين، وبعد رصد الأنساق المضمرّة وتحليلها ونقد الأمانة والدقّة العلميّة فيها، وجب علينا استكمال الأحداث من خلال العملية التركيبية لموضوع التنظيم الإداري لولاية جزائر الغرب في العهد العثماني، والوقوف عند المسائل الناقصة والتي لم يتطرّق إليها المؤرِّخون، حيث لمحنا عرضاً موجزاً في الموسوعتين معاً حول التنظيم الإداري، واقتصارهما على عرض أسماء الألوية/السناجق/البيالك وأجهزتها باختصار شديد، الأمر الذي لا يُضفي الفهم الصحيح عند قراءة تلك النصوص الخطابية.

أ) العملية التركيبية للمصطلحات الإدارية الخاصة بجزائر الغرب مع الاستشهاد بالوثائق

العثمانية:

سنتوقّف بدايةً عند مسألة مهمّة جدّاً تتعلّق بالمصطلحات التي وظّفها العثمانيون من أجل إدارة جزائر الغرب في العهد العثماني، وقد ألفينا تبايناً كبيراً بين المؤرِّخين من ناحية المصطلحات الإدارية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، سُمّيت الجزائر بالإيالة، وتارةً بالمملكة، وتارةً أخرى بالولاية، وأحياناً نجدها المحميّة فالمحروسة. من هذا المنطلق نجد أنفسنا أمام مسألة تتطلّب منا الوقوف هنيهة للتبصّر، فما هو المصطلح الإداري الحقيقي الذي أُطلق على الجزائر في العهد العثماني ووظّف في الوثائق العثمانية؟

لقد ذكرنا سابقاً أنّ المؤرّخ جورج إيفير قد وظّف عبارة "إقليم الجزائر" للدلالة على جزائر الغرب، كما استعان المستشرق مارسال كولومب بعبارة: "إقليم الجزائر... الذي هو دار السلطان"، للدلالة على بيلك دار السلطان.

بينما لو ولّينا صوب "معجم المصطلحات والألقاب التاريخيّة"، وبحثنا عن المصطلحات الإداريّة في العهد العثمانيّ، سنجد أنّ استخدام مصطلح "ولاية/ولاية" (وصاية) في القرن 16م، كان يُقصد به وحدة إداريّة يرأسها الباشا أو والي، تنقسم إلى عدّة ألوية/سناجق/بيالك¹، وكان ينقسم اللّواء في بداية العهد العثمانيّ إلى نواحٍ، وليس إلى أقضية²، ثمّ تغيّر الوضع في القرن 19م وأصبح اللّواء ينقسم إلى أقضية، والقضاء إلى نواحٍ³. بينما مصطلح "إيالت/إيالة" فقد حلّ محلّ مصطلح ولاية/ولاية في أواخر القرن 16م، واستُخدم بشكل رسميّ للدلالة على أكبر وحدة إداريّة⁴.

وقد اعتُبرت الجزائر في "المعجم الموسوعيّ للمصطلحات العثمانيّة التاريخيّة"، "إيالةً مستثناةً"، أي ولاية من ولايات الدولة العثمانيّة التي حافظت على وضعها الأوّل ولم تُقسّم أراضيها بعد دخول العثمانيّين إليها، ويعود السبب في ذلك إلى كون أهاليها من البدو الرّحل، وأصحاب الأديان والمذاهب المختلفة، بالإضافة إلى بعدها عن العاصمة العثمانيّة، وكونها تقع في مواقع إستراتيجيّة، وقد أُطلق عليها أيضاً "ولاية ذات ساليانة"⁵، أي ذات ضرائب، أو ذات مقرّر سنويّ من الرواتب التي تُمنح للجنود⁶، مثلها مثل مصر، اليمن، الحبشة، البصرة، بغداد، طرابلس الغرب، وتونس⁷.

ثم استُخدم المصطلحان ولاية وإيالت معاً في الفترة نفسها، أي في نهاية القرن 16م، مع العلم أنّه عند استخدام مصطلحيّ إيالة وولاية معاً، فإنّ أحدهما يدلّ على البكرية والآخر يدلّ على السنجق/اللّواء/بيالك، بمعنى أنّه عند استخدام مصطلح "ولاية" للدلالة على الوحدة الإداريّة الكبيرة، كولاية جزائر الغرب، يُستخدم مصطلح "إيالة" للدلالة على الألوية أو السناجق/البيالك.

¹ مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيّة، ط¹، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، 1996م، ص.58.

² أقضية مفرداً قضاء، وهي منطقة قضائيّة تقع تحت إدارة القاضي، ثمّ استُخدمت في القرن 19م كوحدة إداريّة، والمدينة التي ترد تحت اسم القضاء هي مدينة تحت إدارة القاضي، الذي كان مفوّضاً للنظر في الأمور الإداريّة والماليّة والعسكريّة والبلديّة داخل القضاء. يُنظر فاضل بيّات، الدولة العثمانيّة في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص.64.

³ المرجع نفسه، ص.63-64.

⁴ المرجع نفسه، ص.49.

⁵ ولاية ذات ساليانة؛ أي ذات ضرائب تُحصّلها الدولة مرّة واحدة في السنة على سبيل الإقطاع لدفع رواتب الموظّفين وإرسال الباقي إلى الإدارة المركزيّة في إسطنبول. يُنظر سهيل صابان، مرجع سابق، ص.131.

⁶ مصطفى عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص.234.

⁷ سهيل صابان، مرجع سابق، ص.44-45.

واستمرّ الوضع على حاله إلى غاية عام 1864م، أين صدر قانون الولايات، الذي تقرّر على إثره ترك استعمال مصطلح "الإيالة" والاختصار على مصطلح "الولاية".¹

وبالرغم من اعتبار الجزائر في القرن 16م في الكثير من المؤلفات التاريخية "إيالة عثمانية" أو "إيالة مستثناءة"، إلا أننا لم نجد أيّ حكم سلطانيّ عثمانيّ من الأحكام التي سنتناولها في هذه الدراسة قد ذكر جزائر الغرب على أنها إيالة، بل وجدنا أنّ كلّ تلك الأحكام قد دونت اسم **بَكْلَرْبِكِي/بَكْلَرْ بَكْلَك** (بَيْلَرْ بَيْلَك)²، أي إمارة الإمارة على جزائر الغرب، وهنا يجب الإشارة إلى أنّ حرف الكاف يُلفظ بالعثمانية ياءً، لهذا يُنطق **جزائر بَيْلَرْبَيْلِي** Beylerbeyligi، ومثله بـ **بكلربكي** Beylerbgi **جزائر الغرب**، أي بـ **بيلربايي** جزائر الغرب (أمير الأمراء).³ وإلى جانب **بَكْلَرْبِكِي** جزائر الغرب كانت تُدوّن ولايت، أي ولاية (وصاية) **جزائر الغرب**.

ومن الأحكام السلطانية التي وظّفت مصطلح "بَكْلَرْبِكِي" الذي يعني إمارة الإمارة **جزائر الغرب**، الحكم السلطانيّ الذي صدر عام 1571م من قبل السلطان سليم الثاني، والذي تناول تعيين بكلربكي جزائر الغرب قليج عليّ باشا قائداً للقوات البحرية ووالياً على الجزائر، مع إسناد ولاية جزائر الغرب إلى حسن باشا بن خير الدين باشا، وقد ورد فيها مصطلح "جزائر بَكْلَرْبِكِيكُنْ"، بمعنى جزائر إمارة الإمارة في العبارة التالية: "الحاله هذه سنوك حقهه مزيد عناية بادشاهانم ظهوره كتوروب أسبو سنة 979 جمادى الآخريك سكرنجي كوننده قبودانغمله جزائر بَكْلَرْبِكِيكُنْ سكا تفويض أيديوم بيوردوم كه". ما يعني بالعربية "تمّ شمولك اليوم بمزيد عنايتي السلطانية فأسندت إليك القُبودانية وولاية الجزائر اعتباراً من اليوم الثامن جمادى الآخرة من هذه السنة 979هـ". وفي مضمون الحكم وردت العبارة التالية: "وجزاير غرب بَكْلَرْبِكِي خير الدين باشا أوغلي حسن دام إقباله"، ومعناها بالعربية: "وتمّ إسناد ولاية جزائر الغرب إلى حسن بن خير الدين باشا دام إقباله"⁴ (ينظر الملحق رقم 21).

¹ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص-ص. 49-50.

² المرجع نفسه، ص. 49.

³ عرفت بداية الدولة العثمانية بكلربكي واحد، كان مسؤولاً عن الجيش وأموره، وكان نافذ الكلمة يأتي بعد السلطان مباشرة، وعندما توسّعت الفتوحات العثمانية في أوروبا انقسم هذا المنصب إلى قسمين: بكلربك الأناضول، وبكلربك الروملي (تشمل أقاليم الدولة في البلقان) (شبه جزيرة تقع جنوب شرق أوروبا، شرق الجزيرة الإيطالية)، ثمّ ازداد عدد البكلربك كلما زاد النفوذ، فأصبحوا يعيّنون ولاءاً على الولايات وقواداً على الجيش. يُنظر سهيل صابان، مرجع سابق، ص. 64.

⁴ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، م⁸، مرجع

سابق، ص. 63.

وفي السياق نفسه وجدنا حكماً سلطانياً صدر عام 1572م، وأُرسل إلى آغا الإنكشارية (قائد الإنكشارية) وكتّخدا الإنكشارية (قائد وحدة من وحدات الإنكشارية)، ورؤساء البلوك (رؤساء الوحدات العسكرية العثمانية)، ورؤساء الأود (رؤساء الثكنة العسكرية العثمانية) والإنكشارية في جزائر الغرب لإبلاغهم بنقل بكربكي جزائر الغرب قليج علي باشا من الجزائر وإحلال أحمد باشا (عرب أحمد) محلّه، إضافةً إلى الأمر بالتقيّد التام بأوامره والتّوافق معه.

وقد ورد مصطلح "جزائر غرب بَكْرَبِكِي" في العبارة التالية: "سابقاً جزائر غرب بَكْرَبِكِي قليج علي دام إقباله نك في سبيل الله تعالى غزا وجهاده وخدمات مبروره مك اداسنده كلي يولداسلق ودلاورلكي مشاهده ازلنماغين، حقنده مزيد عنايت شاهانم ظهوره كتوروب، دركاه معلام ده قبودانغمله جزائر بَكْرَبِكِي عنايت أولنوب، وولايت تونس." ما يعني بالعربية "نظراً للرفقة والبسالة التي أبداها بَكْرَبِكِي جزائر الغرب السابق قليج علي، دام إقباله، في الغزوات والجهاد في سبيل الله وفي خدماتي المبرورة فقد تمّ شموله بمزيد عنايتي السلطانية وأسند إليه في سدتي العليا القُبودانية وولاية الجزائر، كما أسندت إليه كذلك تونس.¹ (ينظر الملحق رقم 22).

وهنا نستشف أنّ الجزائر كانت تُسمّى "جزائر بَكْرَبِكِي" باللغة العثمانية، بمعنى إمارة الإمارة جزائر الغرب، بينما أُطلق في الوثيقة نفسها على تونس ولاية تونس/ولاية تونس، وهنا يُمكننا القول أنّه في عام 1572م كانت بَكْرَبِكِي/إمارة الإمارات أكبر من ولاية/الولاية، على أساس أنّ تونس كانت تابعة لإمارة الإمارات جزائر الغرب، وما يؤكّد ذلك أنّه بعد فتح تونس تمّ إلحاقها بالجزائر، فأصبحت ولاية جزائر الغرب تضمّ الوحدات الإدارية التي كانت تتبع تونس، وقد أرسل أعيان تونس عام 1572م، رسالةً إلى السلطان العثماني سليم الثاني يستعطفونه إبقاء قائد رمضان قائم مقام، أي وكيل بكربكي جزائر الغرب في تونس في وظيفته، ولكنّ الحال لم يدم على ما كان عليه، إذ في العام نفسه أي 1572م، صدر أمرٌ بفكّ ارتباط تونس عن الجزائر.²

مع العلم أنّ جزائر الغرب في بداية انضوائها تحت لواء الدولة العثمانية كانت تضمّ كلّاً من طرابلس الغرب التي دخلت تحت الحكم العثماني في عام 1551م، وتونس بعد انضواء كامل أراضيها، لكنّ الوضع تغيّر، إذ سرعان ما قُسمت إمارة الإمارات جزائر الغرب إلى ثلاث ولايات: تونس، وطرابلس الغرب، وجزائر الغرب.³

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص75.

² فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص554.

³ المرجع نفسه، ص548.

ألفينا أيضاً حُكماً سلطانياً يتناول مصطلح " بَكْرَبِكِيكِي "، صدر في عام 1573م، تناول تعيين أمير سَنَجَقْ تونس السابق القائد رمضان والياً على جزائر الغرب، وقد ورد المصطلح في العبارة التالية: "حلا سنك حقه مزيد عواطف عليه شاهانه وعوارف سنيهء ملوكانم ظهوره كتوروب سنه 981هـ ذي الحجة سنك دردنجى كونندن سابقا أولان بكربكيلكن سكا عنایت ايدوب، وخلق فاخرمدن بر خلعت دخی احسان ايدوب." ما يعني بالعربية: "لقد تم شمولك بمزيد عنايتنا العلية السلطانية، وعوارفنا الملكية السامية وأسندت إليك ولاية جزائر الغرب بنفس المخصصات التي كان يتقاضاها الولاة السابقون وذلك اعتباراً من اليوم الرابع من ذي الحجة سنة 981هـ، كما تم منحك خلعة من خلعي الفاخرة." ¹ (ينظر الملحق رقم 23).

ورغم ورود مصطلح " بَكْرَبِكِيكِي " في الوثيقة العثمانية إلا أن مصطلح "ولاية جزائر" قد وُظف في العام نفسه، أي 1572م للدلالة على إمارة الإمارات جزائر الغرب، وقد ظهر ذلك جلياً في الحكم السلطاني الذي تناول إشادة أمراء ولاية جزائر الغرب وأعيانها وقادتها العسكر بجهود البكربكي قليج علي باشا، مع تأكيد مركز الدولة على مكانة ولاية الجزائر والأمر بامتثال منتسبي القوات المسلحة فيها بأوامر البكربكي الجديد، حيث ورد في العبارة التالية مصطلح "ولاية": "عموما ولاية جزائر غربك بكربينه زاعياننه وآغالرينه وقايدلرينه حكم كه"، ما يعني بالعربية "حكم إلى أمراء ولاية جزائر الغرب وأعيانها وأغواتها وقادتها كافة"، وفي مضمون الحكم وردت العبارة التالية: "أمدى ولاية مزبور به نظر فرصت آثارم ساير حيطهء خلافت واسعة الأقطار مده داخل ممالك جليلة دون دكل"، ومعناها بالعربية: "وعليه فإن هذه الولاية لا تقل شأناً في نظري عن بلادي جليلة الاعتبار المندرجة ضمن الأرجاء الواسعة لبلاد خلافتي المحمية." ² (ينظر الملحق رقم 24).

وفي العام نفسه، أي 1572م، صدر حكم سلطاني بالعربية يتناول إخبار أحد الزعماء المحليين في الجزائر بتعيين عرب أحمد باشا والياً على الولاية ومطالبته بإجراء ما يقتضيه الشرع، وضبط البلاد وحفظها وحسن التعامل مع الأهالي، وقد ورد فيه مصطلح "ولاية الجزائر": "قد أصدرنا عواطفنا الجليلة السلطانية وأظهرنا عوارفنا الجميلة الخاقانية في حق مملوك حضرتنا العلية، وخلصنا خدام سدتنا السنوية أمير الأمراء الكرام أحمد دام إقباله، وقلدنا ولاية الجزائر الغربية وما تابعها إياه وفوضنا إليه جميع ما يتعلق بولاية الولاية المحمية لكامل الاعتناء لدينه وديانته، وفرط شجاعته وشهامته وحسن

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع

سابق، ص. 63.

² المرجع نفسه، ص. 36.

تدبيره بالرأي الصائب وتداركه الثاقب وأمرناه بإجراء ما اقتضاه الشرع المبين وإحياء مراسم الدين المتين وضبط الرعايا والممالك وحفظ البلاد والمسالك.¹ (ينظر الملحق رقم 25)

نستشفّ ممّا سبق أنّه في السنتين 1572م و1573م، كان يُطلق تارةً على الجزائر مصطلح "جزائر بَكْرَبَكِيلِي"، بمعنى إمارة الإمارات جزائر الغرب، وتارةً أخرى مصطلح "ولاية جزائر". ولكننا لم نجد أيّ أثر لمصطلح "إيالت جزائر/إيالة الجزائر" في الأحكام السلطانية التي راجعناها، ويعود السبب في ذلك، حسب ما رأيناه سابقاً، إلى أنّ مصطلح "إيالت/إيالة" كان يُقصد به في بداية القرن 16م، اللّواء/السَّنَجَق/البيك، وأيضاً حكومت/حكومة، أي الألوية التي كانت تُدار إدارياً بأسلوب الحكومة (سنعود إلى مفهومه لاحقاً)، وهذا النوع من الحكومات كانت تُسمى إيالة في بداية القرن 16م، ممّا يدلّ على أنّ ولاية جزائر الغرب لم تكن إيالة، أي حكومة، بل ولايةً على اعتبار أنّ الولاية على رأس هرم التقسيمات الإدارية. بينما في نهاية القرن 16م وبداية القرن 17م، حلّ مصطلح إيالت/إيالة محلّ ولاية/ولاية ليستخدم معاً، فإذا استخدم مصطلح الولاية دلّت الإيالة على اللّواء/السَّنَجَق/البيك، وإذا استخدم مصطلح الإيالة دلّت الولاية على اللّواء/السَّنَجَق/البيك، كما ذكرنا ذلك من قبل.

ولكن حسب الوثائق العثمانية التي استشهدنا بها فإننا لم نرصد وجودهما معاً في الوثائق الخاصة بجزائر الغرب، كما أنّنا لم نرصد أيضاً مصطلح إيالت/إيالة للدلالة على ولاية جزائر الغرب، والرّاجح أنّ المصطلح الأخير قد استخدم في الشرق أكثر. يُمكننا القول إذاً أنّ جزائر الغرب كانت تُسمى من قبل سلاطين الدولة العثمانية في بدايتها بـ"جزائر غرب بَكْرَبَكِيلِي" إلى جانب "ولاية جزائر غرب"، بينما "المحمية" و"المحروسة" فكانت صفاتٌ وصفت بها ولاية جزائر الغرب على أساس أنّ الله وَجَّكَ حماها وحرسها من الحملات والتحرّشات الأوروبية الكثيرة في العهد العثماني، كما وصفت أيضاً بـ"دار الجهاد"، و"دار السلام"، في حين نجد أنّ الأوروبيين قد وصفوها، بـ"عشّ اللصوص" أو "جهنّم المحرقة".²

نبقى دائماً في إطار المصطلحات العثمانية، حيث استوقفنا مصطلح مهمٌ أيضاً في التاريخ الجزائري العثماني، وهو المتداول حالياً بخصوص التقسيمات الإدارية لولاية جزائر الغرب، وهو "بيك/بايك"، لنجد أنّه مستخرج من المصطلح بَكْرَبَكِيلِي /بَكْرَبَكِيلِي، وبما أنّ الكاف تُتطق ياءً

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص.36.

² حمّادي عبد الله، جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الإسبان، مجلة جزائر القرن السادس عشر، ع01، 1994م، ص.194.

تُصبح "بَيْلَر بَيْلِك" إمارة الإمارات، ممّا يدلّ على أنّ كلمة "بيلك" يُقصد بها "الإمارة"، أمّا أمير اللّواء/سنجق/بيلك فيُسمّى "سنجق بكّي/ببّي"، أي أمير السَّنَجَق/أمير اللّواء، الذي يأتي في المقام الثّاني من حيث الأهمّيّة بعد الوالي، على أساس أنّ مصطلح "السَّنَجَق" يدلّ على العلم أو اللّواء الخاصّ بالدّولة، أي العلم المنسوب على سارية مدبّبة الرّأس، ثمّ خصّ بها اللّواء الذي يمنحه السّلطان للوالي أو الأمير تعبيراً عن ثقته بأنّه أهل للحكم. بعد ذلك تطوّرت الدّلالة فأصبحت تعني وحدة إداريّة من وحدات الدّولة، وبالتالي يُقصد بمصطلح "لواء" "إمارة سَنَجَق".¹ فمثلاً "لواء المديّة" معناه "إمارة سنجق المديّة"، ويُقابلة بالعثمانيّة "مديّة سَنَجَاغِي بَكِي"، ثمّ اختصرت لاحقاً إلى "إمارة المديّة" أي "بيلك المديّة".

وخير دليل على ما ذكرناه، الأمر الديوانيّ الذي صدر عام 1571م، والمتعلّق بالتعيينات في الولاية والصّادر بناءً على العروض المرفوعة من كبار المسؤولين إلى الديوان بخصوص الموافقة على مقترح التعيين أو الترقية أو الترفيع أو الشّمول بمكرمة سلطانيّة وغيرها. وطبقاً لما ورد في هذا الأمر فإنّ الحاج مراد بك قد ناشد الديوان استصدار أمر سلطانيّ بتعيينه "أمير سنجق على لواء المديّة" بجزائر الغرب والتّصرّف به مثلما كان يتصرّف أمير السَّنَجَق السّابق المتوفّى يحي بك، فصدر الأمر التّالي (ينظر الملحق رقم 26): "أمر ديوانيّ. قصد أمير سَنَجَق المديّة في جزائر الغرب (جزائر غربده مديه سناغاي بكّي) الحاج مراد بك سدة سعادتني وناشد إصدار حكم شريف يقضي بقيامه بالتّصرّف على اللّواء المذكور مثلما كان يتصرّف به المتصرّف السّابق المتوفّى يحي، فصدر الأمر بالموافقة على قيامه بالتّصرّف على اللّواء المذكور بالشّكل الذي كان يتصرّف به المتوفّى المشار إليه على أن يُسَدّد للميري مثلما اعتاد سلفه تسديده." في 32 محرّم الحرام 979هـ، 17 حزيران/يونيو 1571م.²

وتجدد بنا الإشارة هنا أنّنا سننتاول مصطلحات عثمانيّة أخرى في الجانب الإداري ومراحل الحكم وفي النّظام العسكريّ بشقّيه، وقد تمّ تصويب كتابتها ونطقها ومعناها الحقيقيّ بناء على ترجمة المصطلحات العثمانيّة من قبل المؤرّخ العراقيّ فاضل بيّات في المتن وفي فهرس المصطلحات المعرّبة ذات التّأصيل العثمانيّ الفارسيّ المرفق آخر أطروحتنا.

¹ سهيل صابان، مرجع سابق، ص. 136.

² فاضل بيّات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السّادس عشر الميلاديّ، م⁸، مرجع

سابق، ص. 59.

ب) العملية التركيبية الخاصة بالأسلوب الإداري الذي مارسته الدولة العثمانية في جزائر الغرب مع الاستشهاد بالوثائق العثمانية:

إذا ولينا صوب التقسيم الإداري لجزائر الغرب، فنحن مجبرون على محاولة فهم الأساليب الإدارية التي كانت تُدار في الدولة العثمانية أولاً، ومن ثمّ تتوضّح الأمور، ويسهل علينا فهم تطبيق تلك الأساليب في جزائر الغرب.

لم تستخدم الدولة العثمانية نمطاً إدارياً واحداً لكل ولاياتها، بل كانت تُحدّد الأسلوب الإداري الذي يُناسب كلّ ولاية وبحسب خصوصية كلّ مجتمع. ومن بين الأساليب الإدارية التي مارستها، نجد الإدارة بأسلوب الخاص والزعامة والتّيمار (الأرض)، والذي يُطلق عليه اختصاراً اسم "التّيمار"، على أساس أنّ التّيمارات تُشكّل الجزء الأكبر من الإقطاعات في الدولة العثمانية، وقد طبّق هذا الأسلوب على الولايات التي خضعت للتحرير (مسح الأراضي وإحصاء السكّان)، وقد ساهم في عملية التنظيم والمراقبة والإعمار وحلّ الخلافات وتأمين استعادة الخزينة المركزية من الموارد الزائدة عن حاجة المنطقة، مع إقامة قوّات تُساعد حملات الدولة العثمانية عند الحاجة، وقد طبّق في الشّام وطرابلس الشّام، وحلب والزرقّة والموصل.

ولكننا عثرنا على وثيقة عثمانية تدلّ على أنّ أسلوب التّيمار قد اعتمد في جزائر الغرب عام 1595م، ضمن حكم سلطاني أمر بمنع قائد السّباهية في لواء قسنطينة بجزائر الغرب من منح الأراضي المخصّصة لقادة السّباهية لأبنائه والحيلولة دون التّدخّل في شؤون هذه الأراضي، ويُقصد بالسّباهية الخيالة والفرسان في الجيش العثماني، ثمّ اصطلح على استخدامه للدلالة على الخيالة صاحب الأرض الميري، الذي يشترك في الحرب.¹

وقد ورد في الحكم السلطاني ما يلي (ينظر الملحق رقم 27): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب خضر باشا. أرسلت رسالة إلى سدة سعادي تُبلغ فيها أنّ حسين محمّد الذي كان فيما سبق قائد السّباهية في لواء قسنطينة قام بمنح الأراضي المخصّصة لقادة السّباهية إلى أبنائه بطريقة من الطّرق، ويتصرّف أبنائه بها على طريقة الملكية في الوقت الزّاهن، الأمر الذي ألحق حيفاً لمن يتولّون قيادة السّباهية، ولم تبق لهم القدرة على الخدمات الميريّة، وناشدت استصدار حكمي السلطاني بشأن ضبط تلك الأراضي من قبل من يتولّون قيادة السّباهية حسب الأسلوب السّابق، وعليه فقد امرت: عند وصوله، تعمل في هذا الصّدق وفق ما

¹ سهيل صابان، مرجع سابق، ص. 132.

أُعيد عليه من القدم، وتحول دون قيام المذكورين بالتدخل في الأراضي المخصصة لقادة السباهية خلافاً لما أُعيد عليه. في 11 شوال 1003هـ، 19 حزيران/يونيو 1595م.¹

نستشف من الحكم السلطاني أن الدولة العثمانية قد خصّصت قسماً من أراضي لواء قسنطينة لقادة السباهية، أي أصحاب التيمار من الفرسان، الذين كانوا يتجمعون تحت قيادة آلاي بكي، أي قائد السباهية،² عند مشاركتهم في الحملات العسكرية، لكن القائد منح الأراضي المخصصة لهم لأبنائه على سبيل الملكية دون أن يؤدوا رسوماً وضرائب عنها، الأمر الذي أضرّ بالقادة.

إحاقاً بالأسلوب الأول استعانت الدولة العثمانية أيضاً بأسلوب الأوجاقلق في إدارة بعض ولاياتها، فلم تتفرد بالحكم ولم تقم بإبعاد العناصر المحلية من الإدارة، بل راعت حقوق الأهالي والأسر والزعامات المحلية، فتركت لمن ساندها منهم ما كان لديه من أراضٍ أو قلاع أو قرى أو قصبات ليديرها باسم الدولة، وعيّنت أمراء محليين لإدارة الألوية/البيالك، وكانت على أساس هذا الأسلوب تعزل الذين يتمردون وتوجه الحكم إلى شخص آخر من العائلة نفسها، وفي حال انقراض العائلة يُوجه الحكم إلى أحد الأمراء العثمانيين، وفي هذه الحالة يتغير وضع اللواء/البيالك من الناحية الإدارية ليصبح تابعاً إدارياً إلى الأمراء العثمانيين. لقد اختص هذا الأسلوب ببعض المناطق التي كانت تتحكم فيها أسرٌ محليةٌ بالوراثة فقط، ولم يُعمّم لتسيير الولايات، حيث شاع في العراق وبلاد الشام.

إلى جانب الأسلوبين السابقين طبقت الدولة العثمانية أيضاً الإدارة بأسلوب الحكومة، حيث أطلقت على بعض الألوية/البيالكات/الإمارات اسم حكومت/حكومة، وعلى أميرها اسم حاكم، والحكومة تُشبه إلى حدّ كبير اللواء/البيالك، ولكنه يُدار بأسلوب الأوجاقلق، أين يكون الحكم فيه وراثياً ضمن أسرة محلية، وهي تكون "مفروزة القلم ومقطوعة القدم"، أي أراضي لا تجري فيها عملية التحرير (الإحصاء)، وتنقطع عنها أقدام موظفي الحكومة المركزية، ولا تدخل مواردها المالية في الخزينة، أي أن كلّ ما فيها عائدٌ إلى حكامها، ولم تكن الدولة العثمانية تُعيّن حكامها ولا تتدخل في عزلهم، إضافةً إلى أن جنودها العثمانيين لا يُربطون فيها، ولكنها كانت تُعيّن فيها قاضياً حنفياً، وتُطالبهم بالمشاركة معها في الحملات السلطانية تحت إمرة البكاربكي المرتبطين به،

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص-ص 108-109.

² المرجع نفسه، ص-ص 107-108.

مع الانصياع لأوامر السلطان، وإرسال ما يُحدّد عليهم من التزامات مالية إلى خزينة الدولة مرة واحدة في السنة. وهذا النوع من الحكومات كانت تُسمى إيالة في القرن 16م، أي أنّ الإيالة كان يُقابلها اللواء/السُنَجَق/البيك، وليس الولاية. تغيّر الأمر لاحقاً في القرن 17م، بعد أن حلّ مصطلح إيالة وولاية محلّ الآخر، كما ذكرنا ذلك سابقاً، ثمّ تغيّرت لتُصبح "سنجق"، ويرد إلى جانب الاسم عبارة "واسمه الآخر حكومة كذا"، وقد استُخدم هذا الأسلوب في اليمن، واعتُبرت مكّة المكرمة حكومةً، والبصرة حكومةً وغيرها.

إضافة إلى الأساليب الإدارية التي ذكرناها نجد الإدارة بأسلوب إمارة العشيرة، في المناطق التي يغلب عليها الطابع العشائري البدوي الذي لا يستقرّ في مكان معيّن، ويتنقل من منطقة إلى منطقة دونما معرفة لحدود اللواء/السُنَجَق/البيك، وذلك بحثاً عن الموارد الطبيعيّة كالماء والكأل. وتتبع العشائر رئيسها، إذ تنضوي أحياناً تجمّعات عشائرية تحت لواء شيخ عشيرة كبير، الأمر الذي كان يؤدّي في أغلب الأحيان إلى اضطرابات كثيرة بين العشائر. لقد مورس أسلوب إمارة العشائر بين العشائر العربيّة في بلاد الشام، حيث يوجد 70 أميراً وشيخاً للبدو في بلاد الشام حتّى الوصول إلى الحرمين، إضافةً إلى العشائر الكرديّة، والعشائر التركمانيّة.

نجد أيضاً الإدارة بأسلوب الأربالق (الشعير)، حيث كانت الدولة سابقاً تمنح مخصّصات مالية للمشاركين في الحملات لتغطية نفقات علف أو شعير الخيول، وهي سناجق/ألوية/بيلاكات أُديرت بطريقة الأربالق، أي المخصّصات العينيّة والنقدية التي تُقدّمها الدولة لرجالها، عسكريين كانوا أو مدنيين، فتمنحهم بعض القرى لتغطية نفقاتهم ونفقات ألويتهم. وقد مورس هذا الأسلوب في بلاد الشام، وبالتحديد في لواء القدس الشريف، لواء غزّة، لواء بيروت، لواء نابلس، وغيرها.

وإلى جانب الأساليب الإدارية التي ذكرناها، مارست الدولة العثمانية الإدارة بأسلوب الالتزام، ويُقصد به تولّي شخص جمع أيّ نوع من أنواع الضرائب العائدة للدولة لقاء بدل سنويّ يحدّد مسبقاً، والقائم بالمهمّة يُسمى "ملتزم"، وكان معظمهم من الولاة، والباشوات، وأمراء الألوية، وقد شاع هذا النظام في المشرق العربيّ، ورغم ذلك وجدنا وثيقة عثمانية صادرة عام 1582م عن السلطان العثمانيّ مراد الثالث تدلّ على أنّ بعض نواحي جزائر الغرب قد اتّبع أسلوب الالتزام، حيث منحت بعض المقاطعات إلى طالبيها بشكل مقطوع بأسلوب الالتزام، أي تحدّد مستحقّات الدولة منها مسبقاً، وقد بيّنت الوثيقة أنّه أُعتيد العمل بهذا الأسلوب منذ بداية العهد العثمانيّ في جزائر الغرب، حيث تعرّضت هذه المقاطعات للتجاوزات من قبل بعض الأشخاص بغية جعلها زعامات لهم، الأمر الذي أدّى إلى حرمان الجند من مواردها وحدث مضايقة مالية في الولاية،

فأرسل السلطان العثماني حكماً إلى بكربكي جزائر الغرب. جاء فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 28): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. تم الإبلاغ عن أن بعض النواحي في ولاية الغرب خصّصت منذ القدم مقطوعاً على وجه الالتزام لتغطية علوفة جنود الجزائر، وفي الوقت الذي أُعتيد العمل بذلك، فقد قام بعض الأشخاص من تلك الجهة باستحصال أوامر من سدة سعادتني بجعل موارد النواحي التي اعتبرت مقطوعاً زعاماً لهم، والتصرف بها بهذا الشكل، مما أدى إلى عدم التمكن من دفع العلوفات التي يستحقها جنود الجزائر، وتعرضهم للمضايقة، وعليه فقد أمرت أن يتم العمل وفق ما أُعتيد عليه، وأمرت: عند وصوله، بتقييد في هذا الصدد بالذات وتحول بمقتضى أمري جليل القدر دون تعرض الطائفة المذكورة بعد اليوم إلى المضايقة في هذا الصدد خلافاً لما أُعتيد عليه ومغائراً لأمري الشريف، بل تقوم بضبط النواحي التي أُعتيد تحصيل مواردها بشكل مقطوع من جانب الميري لمرتبات الجند أيضاً، وتحول دون قيام أحد بالتنازع في هذا الصدد خلافاً لأمري، وفي حالة وجود من تم عزلهم من أمره السناجق بهذه الحجة، يتم إسناد أماكن أخرى مناسبة لهم، وتعرض الموضوع ليتم إصدار أمري السلطاني بقيام الأمراء بضبط تلك الأماكن والتصرف بها." في 01 جمادى الآخرة 990هـ، 23 حزيران/يونيو 1582م. سُلم إلى مصطفى وهو من القبوجية (البوابين).¹

استكمالاً للأساليب الإدارية السابقة، نُورد أيضاً الإدارة بأسلوب المالكانة (ملك خاص)، هو شكل متطور لأسلوب الالتزام، أين تُمنح فيه المقاطعات بطريقة الالتزام مدى العمر، بدايةً من القرن 17م، ويتصرف فيها صاحبها حتى وفاته، دونما انتقالها عبر الوراثة إلى أبنائه، أي أنه ليس ملكاً خاصاً للعائلة. وقد مورس هذا الأسلوب في المناطق التي سبق وأن طُبّق فيها نظام الالتزام، خاصة في بلاد الشام والأناضول الجنوبي.

وأخيراً الإدارة بأسلوب الساليناه، وهي لفظة فارسية معناها "سنوي"، ويُقصد بها مرتبات البكربكي وأمراء السناجق والجنود، والنققات المختلفة التي تخرج مرة واحدة في السنة، حيث يتم جمع موارد البلاد، أي الضرائب وهي عُشر موارد المؤسسات الإنتاجية كالأراضي الزراعية والأنهار والطواحين والتجارة وغيرها باسم خزينة الدولة بشكل مباشر، وبعد أن يتم دفع مرتبات البكربكي وأمراء الألوية والجنود، وإخراج مختلف نفقات الولاية يُرسل ما تبقى منها إلى خزينة الدولة تحت اسم "إرسالية"، ويمكن تحديد مبلغ الإرسالية مسبقاً. وقد مورس هذا الأسلوب في مصر وبغداد واليمن والحبشة والبصرة، في حين استُثنت جزائر الغرب وطرابلس الغرب، وتونس من إرسال هذه الزيادة إلى الدولة العثمانية، فكانت تُحفظ في خزينة الولاية بغية صرفها على القوات العسكرية باعتبارها دار حرب وعلى كل ما يستجد من نفقات.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 104-105.

² فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص-ص 73-119.

وهنا يُمكننا التأكيد على أنّ الشئون المالية لجزائر الغرب وطرابلس الغرب، وتونس كانت تُدار ضمن إدارةٍ ماليّةٍ واحدةٍ يترأسها مسؤولٌ رفيعٌ، وهو **دفتردار ولاية الغرب**. وخير ما يدلّ على ذلك الحكم السلطاني الصادر عام 1580م، والخاصّ بإبلاغ دفتردار المال في ولاية الغرب بالتجاوز على المال العامّ من قبل ولاية الجزائر وتونس وطرابلس، والمطالبة السلطانية بالصرف على الجند بما يكفي، والاحتفاظ بالمتبقي من الموارد لصرفه على احتياجات الولاية عند الحاجة.

حيث ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 29): "حكم إلى بلكربي طرابلس الغرب. أرسل مصطفى دفتردار المال في ولاية الغرب دفتر قضايا أبلغ فيه أنّ الولاية الذين تولّوا ولايات تونس وجزائر الغرب وطرابلس الغرب وبسبب طمعهم في بيت المال قاموا بأكل المال الميري (مستحقّات الدولة) متذرعين أحياناً بأنّ طائفة العسكر قد تمردوا، وأحياناً أنّ أهالي الولاية قد رفعوا راية العصيان. وأنّ كلّ ما يُمكن استحصاله في الولايات المذكورة، كلياً كان أم جزئياً، ينبغي أن يتمّ الصرف منه على طائفة الجند بمقدار ما يكفيهم، وما يتبقى منه لا يُهدر بل يُخزّن للصرف عليهم عند اللزوم وبالمقدار الذي يكفيهم، وبناءً على ما أبلغه فقد تمّ إرسال حكيمي الشريف إلى المشار إليه يقضي بأن يتمّ صرف ما يكفي طائفة الجند ممّا يتمّ استحصاله في الولاية المذكورة من المال الميري (مستحقّات الدولة)، كيلاً كان أم جزئياً، وما يتبقى منه يتمّ خزنه في مكان آخر وأمرت: عند وصوله، تتقيّد أنت كذلك في هذا الصدد، وتعمل على صرف ما يكفي طائفة الجند ممّا يتمّ تحصيله في الولاية المذكورة من المحاصيل وغيرها من الأموال الميريّة، بشكل كليّ أو جزئيّ، وحفظ ما عداها في خزنة أخرى وبمعرفة المشار إليه، وذلك لكي يتمّ صرفها عند اللزوم على طائفة الجند وتغطية النفقات اللازمة الأخرى، كما تعمل على تهيئة عددٍ كافٍ من الرجال من طائفة الجند لاستخدامهم في تحصيل الأموال الميريّة. صورة منه إلى بلكربيك جزائر الغرب، صورة منه إلى بلكربيك تونس، صورة منه إلى مصطفى دفتردار المال لألوية الغرب. سلّم إلى القائد يوسف ممثّل دفتردار المذكور في 12 محرّم 988هـ، 28 شباط/فبراير 1580م.¹

لقد شملت السلطنة العثمانية في شمال إفريقيا كلاً من تونس وطرابلس الغرب وجزائر الغرب ضمن سلطة حاكمية واحدة مركزها الجزائر، لكنّها فصلت عن بعضها البعض لاحقاً، وتمّ تعيين بلكربي على كلّ واحدة منهم. فبعد أشهر قليلة من اتهام ولاية تونس وطرابلس الغرب وجزائر الغرب بالتجاوز على المال العامّ تمّ فصل الإدارة المالية الموحّدة التي جمعهم، حيث صدر الحكم السلطاني في يونيو عام 1580م حول هذه المسألة.

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع

سابق، ص-ص. 100-101.

وورد فيه التالي (ينظر الملحق رقم 30): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب، سبق أن قام مصطفى دام علوه المعزول عن دفتر دار تونس، بالتزام دفتريّة المال لولايات جزائر الغرب وتونس وطرابلس الغرب ببعض الشّروط، وصدر حكمي السلطاني وبشكل مفصل يقضي بإجراء عمليّة تحرير (مسح أراضي الولاية وإحصاء السكّان) الولايات المذكورة، ونظراً لبعد جزائر الغرب وطرابلس الغرب وتونس عن بعضها البعض، فقد استوجب أن تكون لكل ولاية دفتريّة مستقلة، ولهذا تقرّر أن تكون دفتريّة الولاية المذكورة مستقلة، وإسنادها إلى عبيدي (عبيدي جلبي)، دام علوه، وهو من الزّعماء، وقد صدر أمري الشريف المفصل بهذا الخصوص وأمرت: عند وصوله، تحول دون تدخل الموما إليه مصطفى بالمسائل المتعلقة بالولاية المذكورة، وتستخدم المشار إليه وفق فرماني جليل القدر، وأنّ الولاية المذكورة بحاجة إلى التحرير، وفي حالة رضى طائفة الجند وأهالي الولاية تعمل على قيام الموما إليه عبيدي (جلبي) دام علوه بتحريرها إلى جانبك أو بمعرفتك. ولكن تتدبّر الأمر بالشكل الذي لا يؤدي إلى إحداث فتنة وفساد من قبل طائفة الجند أو وقوع اضطرابات بين أهالي الولاية، وتقوم باستخدام من يتصفون بالنزاهة في مجال تحصيل المال الميري (مستحقّات الدولة)، وذلك ممّن سبق أن عيّنوا في الولاية المذكورة قبلك أو خلال ولايتك بأمر شريف سلطاني، وتعزل كلّ من يعترضون عليك ويرتكبون خيانة، وتستخدم محلّهم الأشخاص الذين تعتمد عليهم، وتعمل وفق ما يمتلكون من أوامر وأحكام، وتكتب مبلّغا عن كلّ من لا يطيعونك ويخالفونك، حتّى يتمّ فيما بعد تأديبهم،" جمادى الأولى 988هـ، حزيران/يونيو 1580م. سلّم إلى عبيدي جلبي دفتر دار الولاية.¹

يستوقفنا في هذا الحكم حرص السلطان العثمانيّ مراد الثالث على تفادي حدوث الاضطرابات بين الأهالي بسبب هذا القرار، إضافةً إلى تأكيده على الاستعانة بالأشخاص النّزاهة بغية جمع المال الميريّ (مستحقّات الدولة).

بناءً على الأساليب التي تناولناها بالشرح. يُمكننا القول إذاً أنّ الدولة العثمانية قد مارست أنواعاً مختلفةً من الأساليب الإدارية حسب خصوصية كلّ مجتمع، وقد عرف المجتمع الجزائري أنواعاً متعدّدة، حيث مارست الدولة أسلوب التّيمار في بعض المناطق، وأسلوب الالتزام في مناطق أخرى، إضافةً إلى الأسلوب الغالب وهو أسلوب السّاليانه في الجزائر مع استثناء عدم دفع ما تبقى من الموارد والضرائب لخزينة الدولة على أساس أنّها دار حرب، وفي حاجة دائمة إلى دفع المستلزمات العسكريّة وغيرها.

¹ فاضل بيّات، المرجع السابق، ص-ص 102-103.

ج) العملية التركيبية الخاصة بالتقسيم الإداري لجزائر الغرب مع الاستشهاد بالوثائق**العثمانية والخرائط الأصلية للرحالة والجغرافي العثماني بيدي رئيس:**

وعن التقسيم الإداري لجزائر الغرب فقد وجدنا أنّ جلّ المؤرخين قد اتفقوا على تقسيم ولاية جزائر الغرب إلى 04 بيلاكات، لكننا سنتجاوز هذا التقسيم المعروف، ونعرض التقسيم الذي شاع في جزائر الغرب بداية الانضمام إلى الدولة العثمانية.

حيث وجدنا أنّ المصطلح الذي كان شائعاً عام 1550م للدلالة على البيلاك في جزائر الغرب هو مصطلح الألوية/لواء، وقد عرفت جزائر الغرب في تلك الفترة 07 ألوية، تمتّ التّعيينات فيها بمصادقة السلطان العثماني سليمان القانوني، وهي: لواء قلعة المهديّة، لواء المدينة، لواء تنس، لواء الشرق، لواء بلد العنّاب (عنّابة)، لواء قلعة وسرية، لواء الجزائر الخاصّ بالبكركي.¹ (ينظر الملحق رقم 31)

وقد عُهد لواء المهديّة إلى المجاهد طرغود ريس في ماي 1550م، وعُهد بلواء المدينة إلى بيالة بك كتحداً حسن باشا ابن المجاهد خير الدين باشا، ولم ترد السنة التي عُهد بها إليه. أمّا لواء تنس فقد عُهد إلى محمّد بك كتحداً حسن باشا ابن المجاهد خير الدين باشا في 27 أكتوبر 1550م، كما عُهد بلواء الشرق إلى صفا بك، وهو من رجال المجاهد خير الدين باشا، في حين عُهد بلواء بلد العنّاب إلى عثمان بك، وهو من رجال حسن آغا، أمير لواء الجزائر السابق، ثمّ عُهد به إلى حسن بك المعزول عن لواء المهديّة في 27 أكتوبر 1550م، وقد عُهد هذا اللواء أيضاً إلى قايد محمّد عام 1571م. أمّا لواء قلعة وسرية فكان في عهدة سليمان، ولم يتمّ ذكر رتبته ولا عام حكمه. وظلّ هذا التقسيم موجوداً إلى غاية 1583م، أين تمّت الإشارة إلى لواء تنس في الدفتر العثماني رقم 262 الخاصّ بتقليد السناجق/الألوية، بالخصوص في حقل إيالة طرابلس الغرب، حيث ورد فيه أنّ لواء جربة قد عُهد به في 1583م إلى محمد بك المعزول عن سنجق تنس (تنس)، بالرغم من أنّه في الدفتر نفسه، وفي حقل جزائر الغرب الذي دُوّنت فيه التّعيينات أواخر القرن 16م، لم يرد فيه من ألوية جزائر الغرب سوى 03 وهي: لواء الجزائر، لواء قسنطينة، ولواء بلد العنّاب، والزّاجح حسب المؤرخ الأستاذ الدكتور فاضل بيات أنّ عدم إدراج أسماء الألوية الأخرى يعود إلى إجراء التّعيينات فيها دون الإشارة إلى اسمها أو إلى عدم إجراء التّعيين فيها من قبل مركز الدولة،² ثمّ أُضيفت ألوية أخرى إلى الألوية السبعة المذكورة سابقاً عام 1584م، حيث

¹ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص-ص 553-555.

² المرجع نفسه، ص 553.

وجدنا في الوثائق العثمانية لواء تلمسان، وبالتحديد في الحكم السلطاني الخاص بالخلاف بين جزائر الغرب والمغرب حول تبعية تلمسان.

وهنا نتوقف قليلاً عند المجاهد حسن باشا بن خير الدين باشا وعلاقته بمدينة تلمسان، حيث مارس هذا الأخير سياسة معادية للفرنسيين، خلافاً لتوجهات الدولة العثمانية، الأمر الذي أدى إلى عزله واستدعائه إلى إسطنبول. وبعد غياب دام 04 أعوام قضاها في الجهاد في ميادين أخرى أعيد إلى منصبه، واستتبشّر الناس به خيراً،¹ خاصة بعد استيلاء الشريف السعدي محمد المهدي (1490-1557م) على تلمسان عام 1557م، حيث تمكّن المجاهد حسن باشا من استعادة تلمسان، ونجح في إرساء الأمن والطمأنينة في ربوع الولاية، لكنّه عجز عن التصدي للنفوذ الإنكشاري المتصاعد، فتمردّ عليه جند الإنكشارية، وألقوا القبض عليه، وأرسلوه مكبلاً إلى إسطنبول عام 1561م. وبعد مرور عام أُعيد مرةً ثانيةً إلى جزائر الغرب والياً عليها عام 1562م، وبقي كذلك حتّى عام 1567م، أين عُزل من الحكم.²

وفي عام 1571م أُسندت إليه ولاية جزائر الغرب، حيث أرسل السلطان العثماني سليم الثاني حكماً إلى بكربكي جزائر الغرب قليج (علاج، علوج، أولوج) علي باشا (1500-1587م)، يُعيّنه فيه قائداً للقوات البحرية، وفي الحكم نفسه أسند ولاية جزائر الغرب إلى المجاهد حسن باشا، ولكنّه أبدى شكوكه في تقبل المجاهد الولاية (1566-1574م).

حيث ورد في الحكم السلطاني إلى بكربكي جزائر الغرب قليج علي باشا ما يلي (ينظر الملحق رقم 32): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. تمّ شمولك اليوم بمزيد عنايتي السلطانية فأسندت إليك القُبودانية... اعتباراً من هذه السنة 979هـ (1571م)... وتمّ إسناد ولاية جزائر الغرب إلى حسن بن خير الدين باشا، دام إقباله، وأرسلت أحكام شريفة إلى المشار إليه، إلّا أنّ المشار إليه ربّما يميل إلى عدم القبول بالمنصب والتخلي عنه، وفي حال عدم قبول المنصب تقوم أنت باختيار من هو جدير بذلك من الأمراء وغيرهم ممن يقدرّون على ضبط وإدارة البلاد والولاية ويحسنون التعامل مع أهالي جزائر الغرب...". سلّم إلى الجاوش رضوان في 08 جمادى الآخرة 979هـ، 28 تشرين/أكتوبر 1571م.³

¹ نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق، ص. 253.

² فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص. 66.

³ المرجع نفسه، ص. 63-64.

وفي يناير من عام 1572م، صدر حكم آخر من السلطان العثماني سليم الثاني أمر فيه بتعيين المجاهد حسن باشا والياً على الجزائر، وذلك لكمال شجاعته وحسن فراسته، مع الاستفسار عن سبب عدم التحاقه بالوظيفة، وقد جاء في الحكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 33): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب، سبق أن أرسل إليك حكمي السلطاني ذكرته فيه أن كمال شجاعتك وحسن فراستك أصبحا اعتمادى السلطاني، فأصبح من المناسب إسناد مهمة حفظ وحراسة ولاية جزائر الغرب إليك لكونها بلداً فتحها في السابق والدك وقدم خدمات وجهوداً فيها، وقد أمرت بالتوجه والوصول إلى هناك في الوقت المحدد. وأمرى هذا ما زال نافذ المفعول، إلا أنني لم أحظ علماً لحد الآن كيفية قيامك بالاستعداد للأمر ووقت توجهك هناك." سلم إلى الجاوش بهلوان حسن في 03 رمضان 979هـ، 19 كانون الثاني/يناير 1572م.¹

في اليوم الموالي أرسل السلطان العثماني سليم الثاني حكماً آخر مع الجاوش نفسه إلى القُبودان قليج علي باشا يسأل فيه عن ظروف المجاهد حسن باشا الذي عُين والياً على جزائر، ولم يُباشر عمله، حيث ورد في الحكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 34): "حكم إلى القُبودان. سبق أن أرسل حكمي السلطاني إلى بكربكي الجزائر حسن، دام إقباله، أمرت فيه بأن يتوجه إلى جزائر الغرب وبذل ما في وسعه من جهود في الأمور المتعلقة بالدين والدولة وحسب ما يراه مناسباً، إلا أنه لم يُتلقَ منه أي خبر لحد الآن، ونظراً لكون المحافظة على الولاية المذكورة من مهمات الأمور ولقرب حلول موسم البحر كذلك، فقد أمرت أن تنقيد في هذا الباب وتستعلم عما وصل إليه وضع المشار إليه، وهل تهيأ للذهاب إلى الجزائر وفق أمري؟ وكيف؟ وما تدبيره. تستعلم كل ذلك بالكامل وتعلمه حسب وقعه." سلم إلى الجاوش بهلوان حسن في 04 رمضان 979هـ، 20 كانون الثاني/يناير 1572م.²

ويذكر المؤرخ أحمد توفيق المدني أن المجاهد حسن باشا بقي في منصب القيادة البحرية العامة للأسطول الإسلامي إلى أن تُوفي عام 1570م، ودُفن إلى جانب والده المجاهد خير الدين باشا في مسجد باكداش في حي بويوك دارة بإسطنبول،³ إثر مرض ألمّ به.⁴ يستوقفنا تاريخ وفاته هنيئة، حيث ذكر المؤرخ أحمد توفيق المدني أنه تُوفي عام 1570م، عن عمر يُناهز 53 عاماً، بينما الوثائق العثمانية التي عرضناها، والخاصة بطلب تعيينه كحاكم لجزائر الغرب، قد أرسلت عام 1572م، ممّا يدلّ على تضارب في عرض التواريخ.

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص. 67.

² المرجع نفسه، ص. 68.

³ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص. 385.

⁴ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع

سابق، ص. 66.

بعدما استعاد المجاهد حسن باشا تلمسان من يد الشَّريف السَّعديِّ محمَّد المهديِّ، لم يتمكَّن السَّعديُّون من استعادتها ثانيةً، إلاَّ أنَّهم كانوا يُرسلون جندهم إلى تلمسان لتحصيل مواردها، ومنع جنود جزائر الغرب من تحصيل المستحقَّات، وادَّعوا بأنَّ تلمسان قد مُنحت إليهم من قِبَل السَّلطان العثمانيِّ، فعاثوا فيها فساداً، وقتلوا مشايخ العرب المُعيَّنين من قِبَل الولاية لضبط الأمن، فأرسل السَّلطان مراد الثالث عام 1584م حكماً سلطانيّاً مصادقاً عليه ومؤشراً عليه بخطه لما له من خطورة على أمن جزائر الغرب.

وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 35): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. أرسلت رسالةً مع قاضي جزائر الغرب وآغا الإنكشارية إلى سدتي العليا، أبلغت فيها أنَّ المحلَّ المعروف بـ"فلاوسن" الواقع في لواء تلمسان، وهو من ملحقات جزائر الغرب، أُعتيد تحصيل رسومه من هذا الجانب منذ الفتح السلطانيِّ، ولكن عند وصول الجنود هناك في هذه السنة لأجل طلب رسومه وفق العادة القديمة أيضاً، قُدم جنود من طرف حاكم فاس مولانا أحمد يحملون رسالة مفادها "إنَّ هذا الوطن مُنح لنا من قِبَل أستانة السَّعادة"، وقتلوا مشايخ العرب الذين تمَّ نصبهم هناك من هذا الجانب، ومنعوا تحصيل الرِّسوم التي أُعتيد أخذها منذ القدم، ولكي لا يؤدي هذا الأمر إلى فساد قفل الجنود المرسلون عائدين، وفي حالة منح الوطن المذكور إلى حاكم فاس فإنه سيقوم بالتدخُّل والتعرُّض لبقية الأوطان أيضاً، ويترتب بذلك ضرر كبير على البلاد المحروسة، وغدر للرعايا والبرايا، ومن المقرَّر أن يؤدي إلى نقص كبير في مرتبات طائفة الجند. وبناءً على ما عرضته فقد أمرتُ ضبط المحلَّ المذكور من هذا الجانب وفق ما أُعتيد عليه منذ القدم وأمرتُ: عند وصوله، تنظر في الأمر، فإذا كان ضبط المحلَّ المذكور من هذا الجانب لا يترتب عليه ضرر على البلاد والولاية، تقوم بإرسال رجال إلى هناك لضبطه والتصرُّف به وفق الأسلوب نفسه الذي أُعتيد ضبطه والتصرُّف به من هذا الجانب منذ القدم، وتحول دون التدخُّل به والتعرُّض له من جانب حاكم فاس، ولكن تدبِّر الأمر بشكل بحيث لا يكون هناك أيُّ احتمال لحدوث مسألة تؤدي إلى فساد كليِّ بحجة جزئية، وتكون على البصيرة والانتباه بالشكل اللازم، وفي حالة حدوث وضع مخالف لحمى وكرامة سلطنتي فإنك تتحمَّل تبعاتها، فتدبِّر الأمر وفق ذلك." 13 محرم 992هـ، 26 كانون الثاني/يناير 1584م. بالخطِّ الهمايونيِّ (السَّلطاني)¹

وهنا نلمح تأكيداً على ضرورة عدم منح منطقة فلاوسن لواء تلمسان إلى حاكم فاس كي لا يتمادى ويتعرَّض لبقية المدن، حيث طلب السَّلطان العثمانيِّ من البكربكي تدبِّر الأمر بما لا يُسيء إلى الرعية هناك. كما نلمح أيضاً ورود عبارة "لواء تلمسان"، وهذا دليلٌ على إضافة لواء تلمسان إلى الألية 07 المذكورة سابقاً. ومع البحث في الوثائق العثمانية وجدنا ألية أخرى أُضيفت لاحقاً، منها لواء بسكرة، ولواء قسنطينة، وذلك في الحُكم السلطانيِّ الموجَّه إلى بكربكي

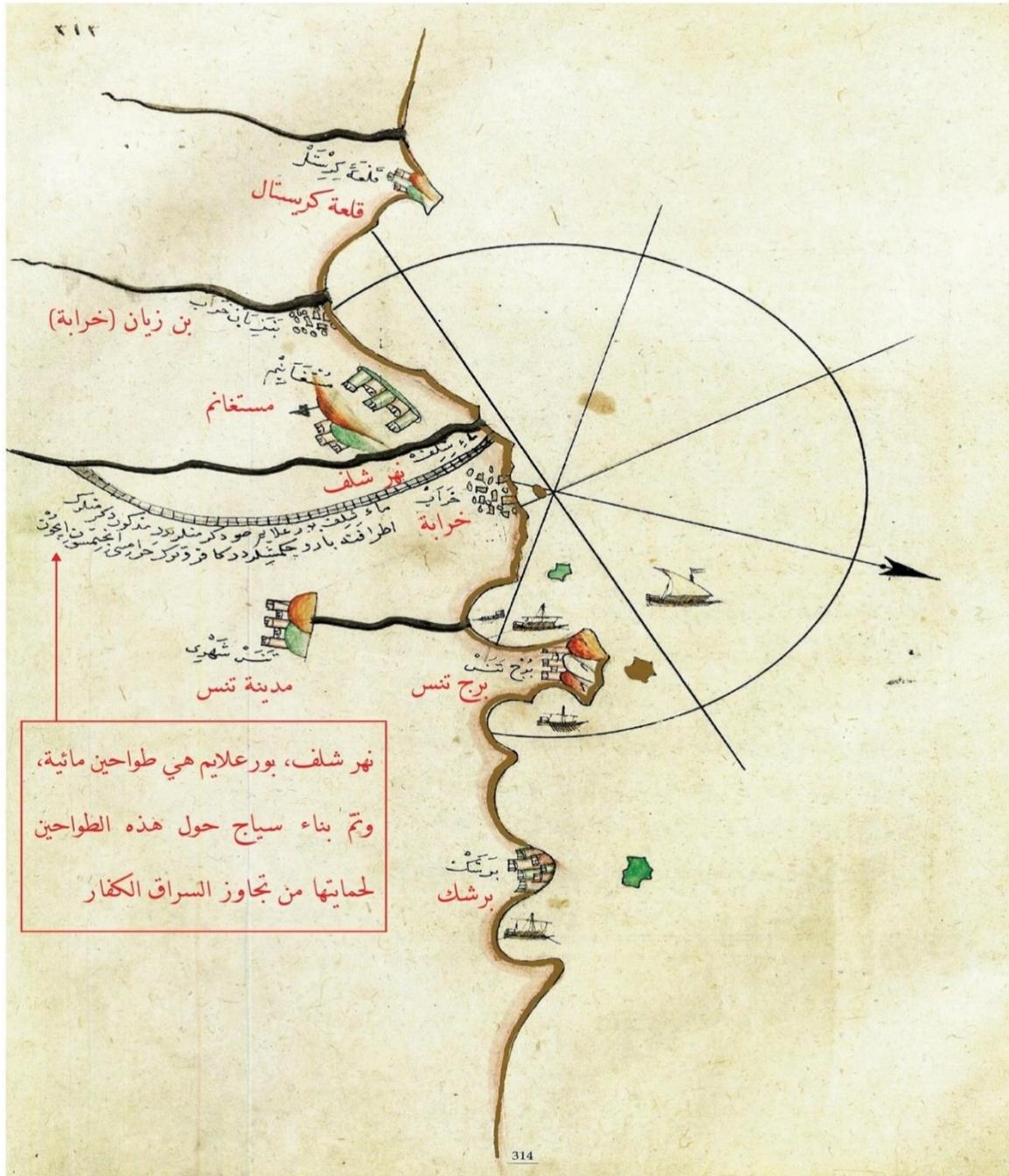
¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 79-81.

جزائر الغرب خضر باشا، عام 1595م من قبل السلطان مراد الثالث، والخاصّ بالإبلاغ عن وقوع عنابة وقسنطينة وبسكرة وتنس وتلمسان وألوية أخرى في ولاية جزائر الغرب بأيدي بعض الأشخاص الذين تمكّنوا من استصدار أوامر من مركز الدولة بالتصرّف بها، وقد نتج عن ذلك عدم تحصيل مواردها التي كانت تُساهم في دفع رواتب الجند. وقد ورد في الحكم السلطاني ما يلي (ينظر الملحق رقم 36): "حكم إلى بكبركي جزائر الغرب خضر باشا. أرسلت رسالةً إلى سدة سعادتني أبلغت فيها أنّ بعض الأملاك في بلدات العنابة وقسنطينة وبسكرة وتنس وتلمسان، وغيرها من الألوية (سنجاقلده) التابعة لجزائر الغرب، والتي كان يتمّ ضبطها منذ القدم باسم الميري، والمخصّصة مواردها لمرتبات الجند، قد وقعت بطريقة ما بأيدي بعض الأشخاص، وترتّب على ذلك مضايقةً في صرف مرتبات الجند وغيرها من النفقات، وسبق أن تمّ النّظر لمثل هذه المسائل فتمّ ضبطها باسم الميري، ولكن تمّ نزعها مرةً أخرى من الميري بطريقة ما، مما أدى إلى حصول مضايقةٍ في مرتبات الجند وغيرها من النفقات، رجوت استصدار حكمي السلطاني بشأن ضبطها من قبل الميري، وعليه فقد أمرت: عند وصوله، تنظر في الأمر لترى هل أنّ المزارع والأملاك التابعة منذ القدم للميري وقعت بطريقة ما بأيدي الآخرين رغم التملك السلطاني، وإذا كانت كذلك تضبطها باسم الميري، وتمنع أي شخص من التّدخل فيها خلافاً للشّرع الشّريف والأمر المنيف." في 11 شوال 1003هـ، 19 حزيران/مايو 1595م.¹

يُعتبر هذا الحكم السلطاني في نظرنا دليلاً واضحاً على وجود تلك الألوية في تلك الفترة. وثمة لواءٍ آخر ورد عام 1640م ضمن التشكيلات الإدارية لولاية جزائر الغرب، تحت اسم "إمارة حجّ جزائر الغرب"، وقد عُهد بهذا اللواء إلى الشيخ زين العابدين حسين. وقد استمرّ تدوين التّعيينات الخاصّة بالألوية في دفتر تقليد السّناجق/الألوية إلى غاية القرن 18م، لكن دون الإشارة إلى أسماء الألوية التابعة لها، ويعود السّبب في ذلك إلى أنّ أمراء الألوية/السّناجق/البيالك أصبحوا يُعيّنون من قبل دايات الجزائر الذي تولّوا البكبركية ومنحوا لقب الباشوية، بعدما تمّ توحيد مناصبي الداي والبكبركية.² ويُمكننا في هذا المقام الاستشهاد بخرائط جزائر الغرب الأصليّة للرّحالة والجغرافيّ العثمانيّ بييري ريس (1470-1553م) غير المتداولة بين المؤرّخين، والتي تعرّض حالة جزائر الغرب الجغرافيّة بداية الانضمام إلى الدولة العثمانيّة، وقد طلبنا من المؤرّخ العراقيّ فاضل بيّات ترجمة المدن المذكورة فيها من اللّغة العثمانيّة إلى اللّغة العربيّة، وبتصرّف من قبلنا.

¹ فاضل بيّات، المرجع السابق، ص-ص 106-107.

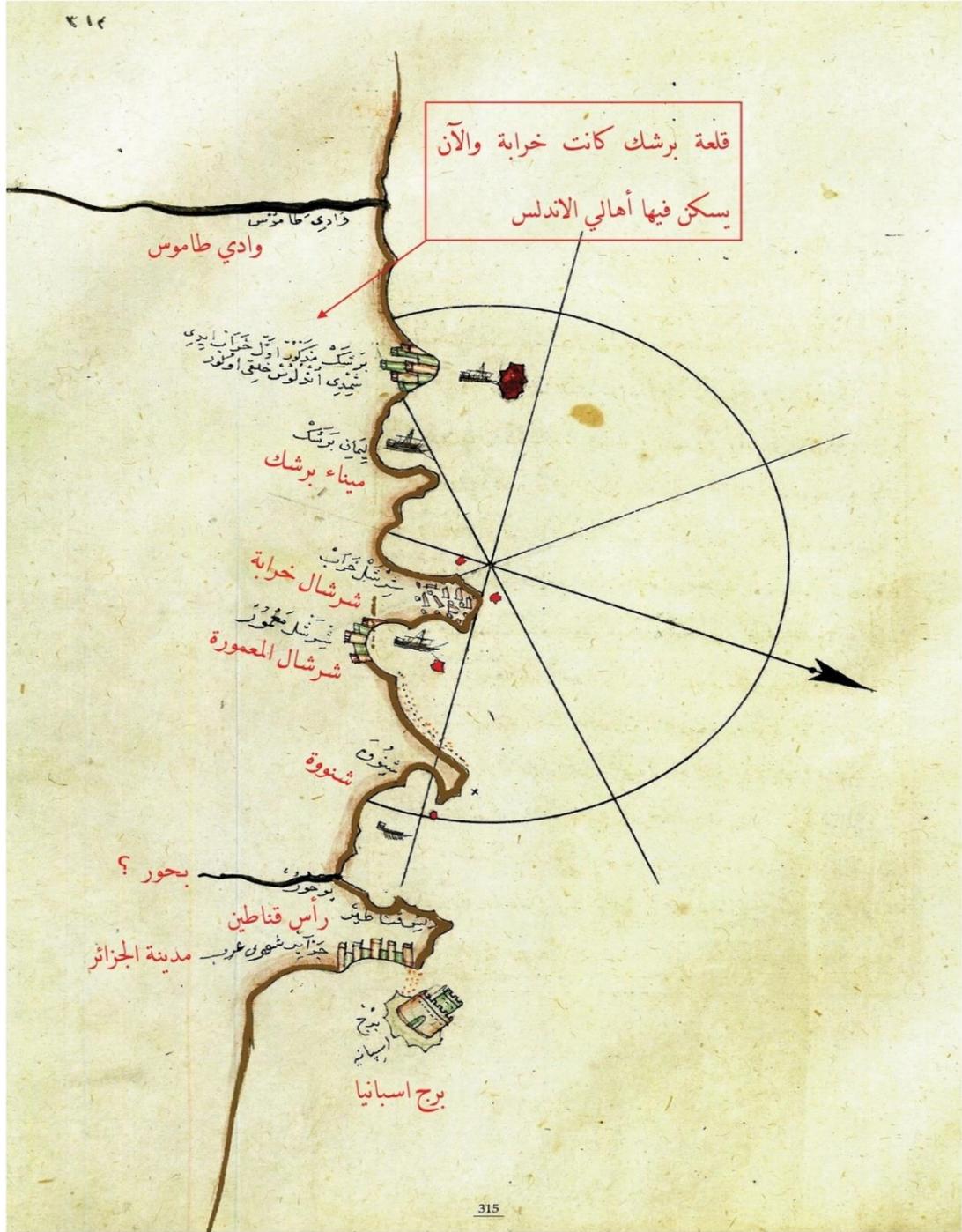
² فاضل بيّات، الدولة العثمانيّة في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص.556.



الصورة رقم 19: خريطة نادرة لجزائر الغرب قبل عام 1553م، تاريخ وفاة الرحالة والجغرافي العثماني بيري ريس، وقبل هدم القلعة الإسبانية 1529-1530م، وفيها قلعة كريستال، خرابة بن زيان، مدينة مستغانم، نهر الشلف، برج ومدينة تنس، ومدينة برشك (قوراية، سيدي إبراهيم غرب ولاية تيبازة).¹

¹ Piri Reis, Kitab-I Bahriye. Araştırma, Planlama Ve Koordinasyon Dairesi Başkanlığı, Ankara. 2002, p.314.

(تمت ترجمة أسماء البلدان من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية بمساعدة من قبل الأستاذ الدكتور فاضل بيّات، وبتصرف من قبلنا)



الصورة رقم 20: خريطة نادرة لجزائر الغرب قبل عام 1553م، تاريخ وفاة الرحالة والجغرافي العثماني

بيري ريس، وقبل هدم القلعة الإسبانية 1529-1530م، وفيها وادي تاموس،

قلعة وميناء برشك، مدينة شرشال، مدينة الجزائر، برج إسبانيا.¹

¹ Piri Reis, op, cit, p.315.

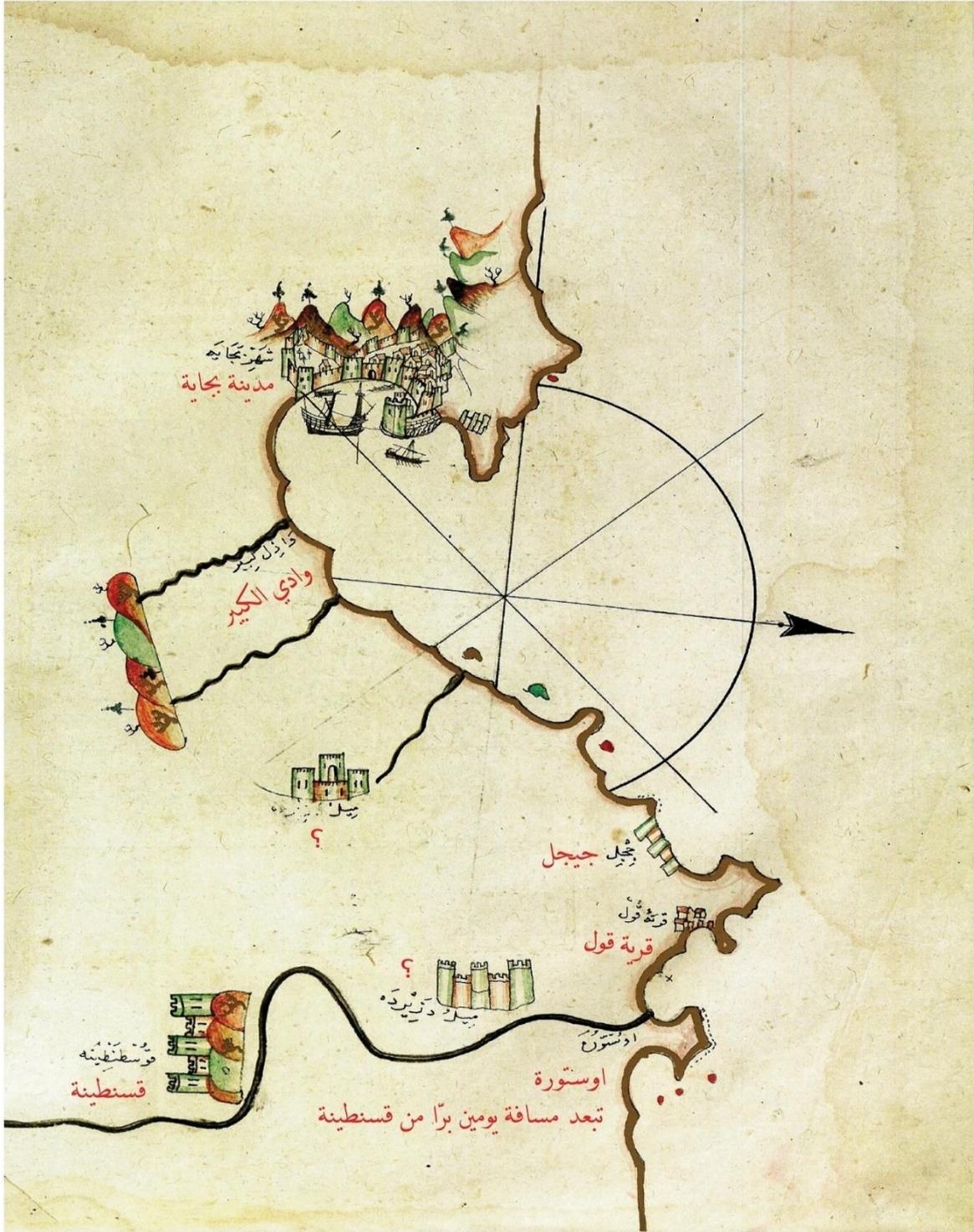
(تمت ترجمة أسماء البلدان من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية بمساعدة من قبل الأستاذ الدكتور فاضل بيات، ويتصرف من قبلنا)



الصورة رقم 21: خريطة نادرة لجزائر الغرب قبل عام 1553م، تاريخ وفاة الرحالة والجغرافي العثماني بييري ريس، وقبل هدم القلعة الإسبانية 1529-1530م، وفيها قلعة الجزائر، برج إسبانيا، قلعة تلمس، جزيرة بيزان، مدينة بجاية.¹

¹ Piri Reis, op, cit, p.316.

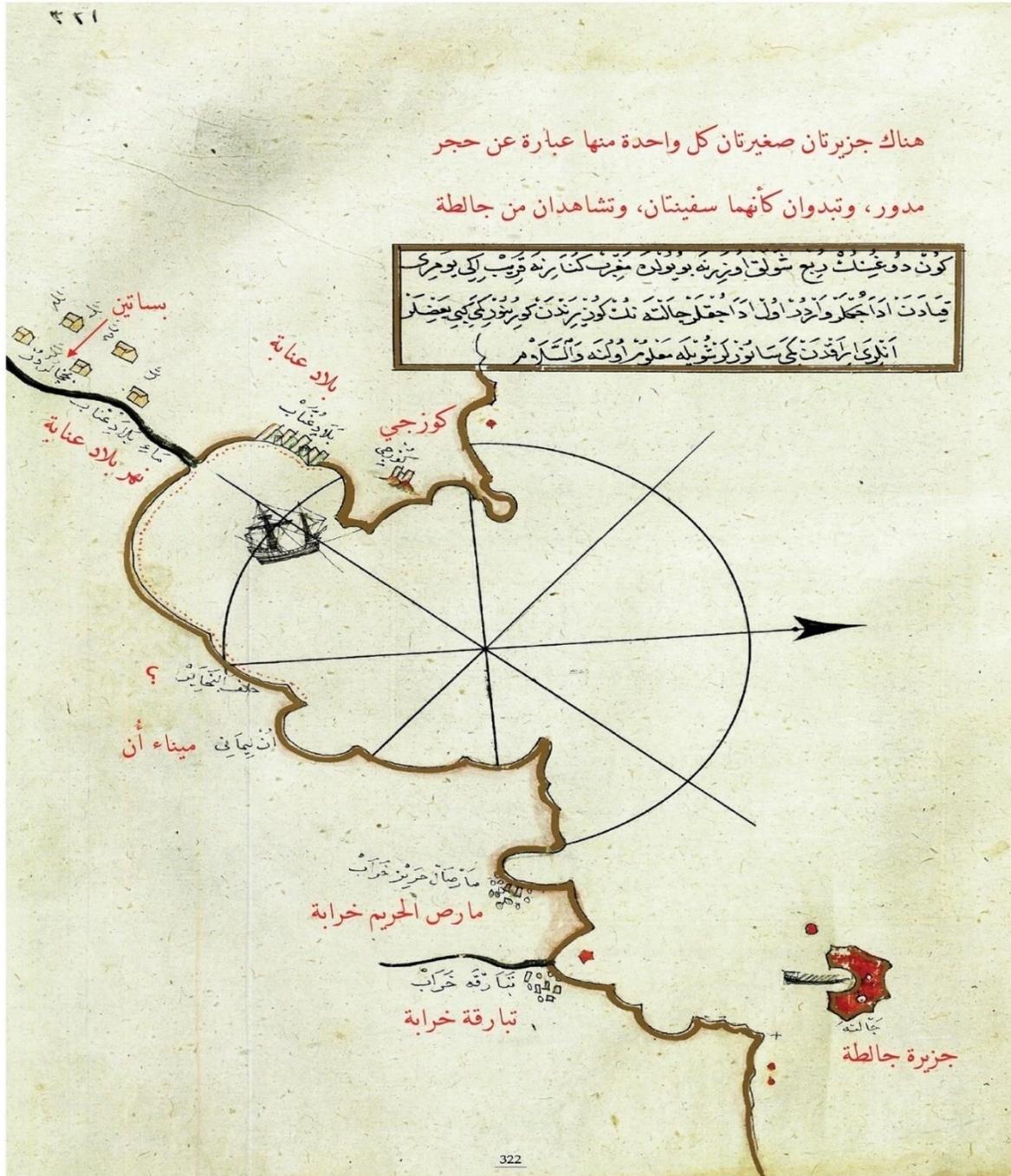
(تمّت ترجمة أسماء البلدان من اللّغة العثمانية إلى اللّغة العربية بمساعدة من قبل الأستاذ الدكتور فاضل بيات، وبتصرّف من قبلنا)



الصورة رقم 22: خريطة نادرة لجزائر الغرب قبل عام 1553م، تاريخ وفاة الرّحالة والجغرافيّ العثمانيّ بييري ريس، وقبل هدم القلعة الإسبانيّة 1529-1530م، وفيها مدينة بجاية، وادي الكبير، جيجل، قرية قول، أوستورة، مدينة قسنطينة.¹

¹ Piri Reis, op, cit, p.313.

(تمّت ترجمة أسماء البلدان من اللّغة العثمانيّة إلى اللّغة العربيّة بمساعدة من قبل الأستاذ الدكتور فاضل بيات، وبتصرّف من قبلنا)



الصورة رقم 23: خريطة نادرة لجزائر الغرب قبل عام 1553م، تاريخ وفاة الرحالة والجغرافي العثماني بييري ريس، وقبل هدم القلعة الإسبانية 1529-1530م، وفيها مدينة كوزجي، مدينة عنابة، نهر مدينة عنابة، ميناء أن، خرابة مارص الحريم، خرابة تبارقة، جزيرة جالطة.¹

¹ Piri Reis, op, cit, p.322.

(تمت ترجمة أسماء البلدان من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية بمساعدة من قبل الأستاذ الدكتور فاضل بيات، وبتصرف من قبلنا)

هذا بشأن التّقسيمات التي ذُكرت في الوثائق العثمانية والمؤلفات العربية، أمّا بخصوص التّقسيمات الواردة في المصادر المحلية، فقد ذكر الحاج أحمد شريف الزّهار في مذكراته أنّها كانت 03: "كان للأتراك بأرض الجزائر ثلاث بايات: باي وهران، وباي قسنطينة، وباي المدينة ... فأول فتوحهم كان ناحية تيطري، فأولوا هنالك باياً وسموه باي البايات وأسكنوه المدينة، وجعلوا له خليفةً وأعاوناً وأغواتٍ: آغا الدوائر، وهم من الأعراب، وآغا الصّبايحية، وهم من الأتراك".¹

أمّا المؤرخ محمد بن ميمون الجزائريّ فقد ذكر في مؤلفه "التّحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" أنّ الجزائر قد قُسمت إلى 04 ولايات: ولاية الجزائر، ويدخل تحتها خمس مدن بضواحيها، وهي: الجزائر، البليدة، القليعة، شرشال، ودلس، وكانت تُعرف بـ"دار السلطان"، وهي تحت تصرّف الباشا أو الداي مباشرةً. ثمّ أسست ولاية الجنوب، وهي تيطري، عام 1540م، بعدها أسست ولاية الغرب عام 1563م، عاصمتها أولاً مازونة ثمّ معسكر فوهران. أمّا عام 1567م، فقد تأسست ولاية الشرق وعاصمتها قسنطينة.²

وهنا نتوقّف للإشارة إلى أنّ المؤرخ قد استعان بمصطلح "ولاية" للدلالة على اللّواء/السّنجق/البيالك، والمؤكّد أنّ هذا التّعبير غير دقيق استناداً إلى الوثائق العثمانية التي استشهدنا بها سابقاً، بيد أنّ الهرم الإداري في الدولة العثمانية، حسب ما ذكرناه سابقاً، يبدأ بالولاية ثمّ الألوية/السّناجق/البيالك، فالنواحي فالأقضية.

يحضرننا أيضاً تقسيم المؤرخة عائشة غطّاس، حيث اعتبرت الألوية/البيالك، دوائر إدارية كبرى، وهي دار السلطان، بايلك التّيطري المدينة، بايلك الشرق قسنطينة، بايلك الغرب وهران. وذكرت أنّ دار السلطان تشمل مدينة الجزائر، المتيجة والسّاحل من تنس غرباً إلى دلس شرقاً³، أمّا بايلك التّيطري فهو أصغر البيالك وأفقرها وأكثرها ارتباطاً بالسلطة المركزية، يحده من الشمال الجزائر، ومن الشرق الزّاب، ومن الغرب معسكر، بينما حدوده من الجنوب فهي غير واضحة المعالم، إذ توجد به من الشمال إلى الجنوب سلسلة من الجبال تحمل الأسماء التالية: زكار سحاري، زاغوس، تجتمع في الشمال في جبال الأطلس التليّ، وفي الجنوب جبال الأغواط.⁴ أمّا بايلك الشرق فيحده من الشمال البحر المتوسط، من الجنوب الصّحراء الكبرى غير المأهولة، ومن

¹ أحمد الشّريف الزّهار، مصدر سابق، ص.35.

² محمد بن ميمون الجزائريّ، مصدر سابق، ص-ص.35-36.

³ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.144.

⁴ المرجع نفسه، ص.177.

الشّرق الحدود التّونسيّة، ومن الغرب جبال اليبان وقرى بني منصور، ومن الجنوب الغربيّ القرى الصّغيرة لسيدي هجرس وسيدي عيسى التي تفصله عن بايلك التّيطري. وقد عُيّن على رأس البايك رمضان تشولاق (جولاق) من عام 1567م إلى غاية عام 1574م.¹ عاصمته قسنطينة، ويُعتبر من أكبر البايكات. في حين أُسس **بايلك الغرب** عام 1563م، وكان أوّل باي عُيّن على رأسه هو الباي "أبو خديجة"، والذي اتّخذ من مدينة مازونة قاعدةً لحكمه،² ومع مطلع القرن الثامن عشر اتّخذ الباي مصطفى بوشلاغم مدينة معسكر عاصمةً للبايلك، وعقب فتح وهران انتقل مركز السّلطة إلى وهران من 1708م إلى 1732م، وعلى إثر استرجاع الإسبان لها تحوّلت العاصمة إلى مستغانم لفترة وجيزة من 1732م إلى 1737م، ثمّ انتقلت القاعدة إلى معسكر من 1737م إلى 1792م، وأخيراً انتقلت العاصمة بصفة نهائيّة إلى مدينة وهران بعد الفتح النهائيّ على يد الباي محمّد الكبير.³ ويمتد بايلك الغرب من الحدود المغربيّة غرباً إلى الحدود التي تفصله عن دار السّلطان وعن بايلك التّيطري شرقاً، ومن سواحل البحر المتوسّط إلى نواحي البيّض.⁴ (ينظر الملحق رقم 37)

لقد أُسست البيالك 03 حسب المؤلّفات المحليّة بدايةً من 1540م (التّيطري)، 1563م (بايلك الغرب)، 1567م (بايلك الشّرق)، وقد اتّفق معظم المؤرّخين حول هذه التّواريخ، بينما بيّنا من خلال الوثائق العثمانيّة أنّه في عام 1550م، كان هناك **07 ألوية**، وهي: **لواء قلعة المهديّة، لواء المديّة، لواء تنس، لواء الشّرق، لواء بلد العنّاب (عناية)**،⁵ ثمّ أُضيف في عام 1584م، **لواء تلمسان**، وفي عام 1595م كان موجوداً **لواء بسكرة، ولواء قسنطينة**، وفي عام 1640م ظهر اسم "إمارة حجّ جزائر الغرب" ضمن الألوية المشكّلة لولاية جزائر الغرب.

الواضح هنا أنّه من عام 1550م وإلى غاية 1640م كان هناك 09 ألوية، فلماذا تمّت الإشارة إلى 04 ألوية/بيالك فقط في الفترة نفسها؟ الرّاجح أنّ المؤرّخين المحليّين قد اعتمدوا على دفتر تقليد السّناجق، الذي استمرّ تدوين التّعيينات الخاصّة بالألوية فيه إلى غاية القرن 18م، دون الإشارة إلى أسماء الألوية التّابعة لجزائر الغرب ولتلك التّعينات. وقد ذكرنا أنّ أمراء

¹ عائشة غطّاس وآخرون، المرجع السابق، ص. 207.

² المرجع نفسه، ص. 220.

³ المرجع نفسه، ص. 233-234.

⁴ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص. 292.

⁵ فاضل بيّات، الدّولة العثمانيّة في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص. 553.

الألوية/السناجق/البيالك أصبحوا يعيّنون من قبل دايات الجزائر الذين تولّوا البكبركية ومُنحوا لقب الباشوية، بعدما تمّ توحيد منصبَي الداي والبكبركية.¹

د) العملية التركيبية الخاصة بالجهاز الإداري لجزائر الغرب مع الاستشهاد بالوثائق العثمانية:

لاحظنا أنّ النصوص الخطابية في الموسوعتين قد تناولت الجهاز الإداري لجزائر الغرب في العهد العثماني بشكل مقتضب جدًّا، حيث تحدّث المؤرِّخ جورج إيفير عن الديوان دون ذكر اسمه، وبيّن أنّه يتألّف من وزراء هم: "الخزنجي أي وزير المال، وآغا المعسكر أي القائد الأعلى، ووكيل الخرج وهو وزير البحرية، وبيت المالجي، أي مدير الأملاك... وخوجة الخول، وهو جابي الضرائب، أمّا شيخ المدينة فكان يُشرف على الشرطة والقضاء في العاصمة".²

ثمّ تحدّث عن نوع آخر من الأعضاء بشكل مشوّش مع تغييب للكثير من الأعضاء فذكر "وكان التفتيش في الأسواق منوطاً بـ "المكاتب"... الشوارع في أثناء النهار من أعمال "الكخيا" (وهي كلمة مشتقة من اللفظ الفارسي كتحداً)، وكان التفتيش عليها أثناء الليل من أعمال "آغا الكل" ولا بد أن يكون هذا تركياً. أمّا المزوار فكان عليه أن يُراقب الحمامات وبيوت الدعارة. وكان على "أمين العيون" أن يُحافظ على عيون الماء ويتأكّد من سلامة أبنيتها".³

أمّا المستشرق مارسال كولومب فقد ذكر أنّ الديوان يتكوّن "من الخازن دار أو الخزنجي (أمين الخزانة)، وآغا المعسكر (قائد العسكر) ووكيل الخرج (رئيس المصلحة البحرية)، والبيت مالجي (أمين الضياع الشاغرة)، وخوجة الخول أو الأتخوجان (متسلّم الجزية)".⁴

وشبيه به ما ذكره المؤرِّخ التركي كمال قهرمان قائلاً: "كان للدايات صلاحيات واسعة، إذ يحكمون بأنفسهم الأسطول العسكري، الضرائب، القضاء، الأمن يُساعدهم في ذلك أعضاء الديوان المسمّى ديوان الغزاة، المتكوّن من 05 أعضاء وهم: الخزنجي، مسؤول الشؤون المالية، آغا الجيش، قائد الجيش البري، وكيل الخرج، مسؤول الشؤون البحرية، بيت المالجي، مسؤول المالية وتحصيل الضرائب، وخوجة الخيل".

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص. 556.

² جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص. 2832.

³ المرجع نفسه، ج10، ص. 2942.

⁴ مارسال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص. 2874.

والملاحظ هنا أنّ المؤرّخ التركيّ قد ذكر أنّ اسم الديوان الذي يضمّ 05 أعضاء هو "ديوان الغزاة"، بمعنى المجاهدين، وقد تناولنا هذا المفهوم "الغزاة" في العهد العثمانيّ من قبل. ولكي نفي هذا الجهاز الإداريّ حقّه ارتأينا أن نُسلط الضوء عليه، ونبرز دوره ضمن التشكيلة الإداريّة لجزائر الغرب، حيث تجدر بنا الإشارة إلى أنّ الجهاز الإداريّ لجزائر الغرب قد ضمّ أجهزةً مركزيّةً وأخرى محليّةً. اشتملت الإدارة المركزيّة على الديوان أو مجلس الحكومة، وهو أعلى سلطة أسسها خير الدين باشا، فكان لكلّ من بكربكي الجزائر وآغا الإنكشاريّة ديوانٌ خاصٌّ بهما، ديوان الباشا وديوان الآغا.¹

أمّا المؤرّخة عائشة غطّاس فقد أطلقت عليهما اسم الديوان الصّغير والديوان الكبير، حيث يضمّ الأول كبار ضباط الإنكشاريّة وعدداً من الموظّفين الكبار ويرأسه الباشا، الذي كان في بادئ الأمر يُمسك بالسلطتين التشريعيّة والتّفيذيّة في آن واحد، دون تدخّل لهيئة الديوان الكبير. أمّا الديوان الكبير فقد ضمّ ضباط أو قادة الجند وممثليّ السّلطة الدينيّة، وكان يحضره ممثّلون عن الجنديّة البحريّة (طائفة رياس البحر) وعدد من أعيان ووجهاء المدينة، ما يربو عن 1.000 شخص، ويرأسه القائد الأعلى للجيش الإنكشاريّ.² وفي عام 1711م، حلّ محلّ الديوان الصّغير مجلس الموظّفين الكبار (مجلس الحكومة أو الدّولة)، ومحلّ الديوان الكبير (المجلس العامّ) الذي حدّد نشاطه في نطاق احتفال شكليّ بمناسبة الأعياد الدينيّة وحفلات توزيع الأجر كلّ شهرين.³

يتكوّن ديوان الباشا من 05 أعضاء بالإضافة إلى البكربكي، وهم: الخبزينة دار (والصّواب هو الخبزينة دار)، أي ناظر الخبزينة أو الأموال (الدّفتر دار)، وكان يُعدّ أهمّ إداريّ في الولاية بعد الباشا، ثمّ وكيل خرج السّاحل وهناك من يُسمّيه أمين الجمارك، أو المسؤول عن أمور الصّرف، يقوم بمهمّة ناظر البحريّة، أي النّظر في أمور التّرسّانة، والسّفن، وما يتعلّق بالقوّة البحريّة، بالإضافة إلى إدارة القلاع، يليه حجّة الخيل (ناظر الخيول)، يُقابله أمير آخور أو أمير الإسطبل عند العثمانيّين، ينظر في الأمور المتعلّقة بالأملّك الوطنيّة، وبيع الحيوانات وشرائها، ثمّ ناظر بيت المال، وبعده آغا الحرب الذي يهتمّ بشؤون وأمن القبائل في المناطق الواقعة خارج

¹ فاضل بيّات، الدّولة العثمانيّة في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص.547.

² عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.113.

³ ناصر الدّين سعيديوني، النّظام الماليّ للجزائر أواخر الفترة العثمانيّة (1792-1830م) ويليه قانون أسواق مدينة الجزائر

1695-1705م، البصائر الجديدة للنّشر والتّوزيع، ط³، 2012م، ص.24.

مدينة الجزائر. يُشكّل هؤلاء الأعضاء هيئة الحكومة، ويُطلق عليهم اسم كراسا Kerassa، وينضم إليهم آغا الإنكشارية والقاضي بوصفهما عضوين أصليين.¹

أمّا المؤرخة عائشة غطّاس فقد فرّقت بين منصب الخزينة دار (والصواب هو الخزنه دار) والخزناجي (والصواب هو الخزنه جي)، فهذا الأخير يُشرف على المالية من خلال مراقبة الخزينة، أمّا الخزينة دار أو الخزنّدار فهو أمين الداي الخاص الذي يُحافظ على ممتلكات الداي الخاصة من أسلحة وأثاث،² كما وظّفت مصطلح وكيل الخرج أو وزير البحرية بدل مصطلح وكيل خرج الساحل أو أمين الجمارك الذي يهتم بشؤون البحرية والغزو البحري والعلاقات الخارجية، واستعملت خوجة الخيل أو آت خوجة سي بدل مصطلح حجة الخيل، مهمته الإشراف على مداخيل الأرض وما يُقدّمه البايات عيناً من خيول ومواشٍ، ثمّ بيت المالجي بدل ناظر بيت المال، وتقتصر مهمته في النظر في الموارث، وبيع ما هو على ملك بيت المال من الدور والأراضي، ومراقبة تركات جميع من يتوفى دون عقب أو دون عاصب، ومن يطول غيابه كالأسرى، فيعدّون في عداد الموتى، أو غريب أو مجهول، كما لا يؤذن بدفن أيّ ميّت إلاّ بأمر من بيت المالجي، وذكرت آغا المحلّة أو آغا الصباحية بدل مصطلح آغا الحرب، أي القائد الأعلى للحرب البرية.³

وبخصوص هيئة الكتاب الكبار أو الخوجا باشي، فيعتمد عليهم في المحاسبات المالية والقضايا الاقتصادية،⁴ تضمّ 04 كتاب يختارهم الداي، وهم: الكاتب الأول أو المكتباجي المكلف بفرض الضرائب والمحافظة على سجلّ محاسبات الدولة الذي يتمّ فيه تثبيت القوانين العسكرية وأسماء ورتب وأجور فرق الإنكشارية، يليه الكاتب الثاني أو الدفتر دار، والذي يهتم بتسجيل مصادر دفتر دخل البلاد من الضرائب، وله حقّ مراقبة مخازن الدولة، الأمر الذي أكسبه لقب وكيل الخرج الكبير. أمّا الكاتب الثالث أو وكيل الخرج الصغير فيهتم بالسجلات الخاصة بغنائم البحر وأمور الديوانة (الجمارك)، ويُلقّب أحياناً بقُبودان بالي، ثمّ في الأخير الكاتب الرابع أو الرّفمجي، مهمته الحفاظ على السجلات المتعلقة بمصالح البايلك والمتصلة بالشؤون الخارجية للبلاد، مثل شكايات القناصل المقيمين بالمدينة.⁵

¹ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص-ص 547-548.

² عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص 121.

³ المرجع نفسه، ص 115.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص 31.

⁵ حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2008م، ص 142.

وقد ذكرت المؤرخة عائشة غطّاس أيضاً 04 كتاب، وهم: باش دفتر وباش مقطّاعجي، والمقطّاعجي (الصواب هو المقاطعه جي) والرّفمجي، ثمّ أضافت 02. يُعرف الأول بوكيل الخرج الكبير والثاني وكيل الخرج الصغير،¹ وهنا يتبين لنا خلط لدى المؤرخة، فالكاتبان اللذان أضافتهما ما هما إلاّ الدفتردار، أي باش مقطّاعجي بتعبيرها، ووكيل الخرج، المقطّاعجي بتعبيرها، فبالعودة إلى مؤلفها "الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسّساتها"، ومعرفة مهامهما يتبين ذلك جلياً. أما هيئة الخوجات، فقد ضمّت نحو 80 خوجة، يتصدّروهم باش خوجة، أي رئيس الخوجات، ولكل واحد مهمة محدّدة، منهم خوجة العيون، خوجة مخزن الزرع، خوجة الملح، خوجة الفحم، خوجة حمرك باب عزون، وخوجة التوت، وخوجة الجلد، وخوجة الشطبة،² بالإضافة إلى خوجة الغائم، وخوجة الرّحبة (السوق)، وخوجة الجمارك الذي يتسلّم رسوم البضائع الواردة من البلاد المسيحية عن طريق المراسي،³ وغيرهم من الموظّفين السّاهرين على خدمة القصر.

وعن موظّفي القصر فهم: الصّراف أو الصّانجي، يتولّاه شخصان يُختاران عادة من العنصر المحلي أو من غير الأتراك، مهمّتهما مراقبة وزن كلّ ما تشتمل عليه الدولة بحضور الخزنّاجي، ثمّ الترجمان، وهو من العنصر المحلي أيضاً، ويُشترط فيه أن يُتقن اللّغة العثمانيّة واللّغة العربيّة. بعده الكاتبان من العنصر المحلي أيضاً، وعُرف المنصب بخوجة العرب، مهمّتهما قراءة ما يرد إلى القصر من رسائل باللّغة العربيّة، سواء من الخارج أو من الدّاخل، وهما المكلفان بالردّ عليها، ثمّ الخزندان أو أمين الخزينة، الذي يُشرف على ممتلكات الدّاي الخاصّة، يليه أهجي باشا (أتشي باشا) (والصّواب هو أشيجي باشا)، طبّاخ القصر وتحت إمرته عدد كبير من الطّبّاخين، ثمّ البيكري سيدنا، وهو من العناصر الوافدة من بسكرة، وهو خادم الباشا أو الدّاي الخاصّ، يليه خوجة باب القصر، مهمّته فتح أبواب القصر كلّ صباح، والاحتفاظ بمفاتيحها إلى ما بعد العصر، ثمّ يُسلّمها ثانيةً إلى الدّاي أو الحاكم. وهناك المطرب باشي داي، وهو رئيس المطربين، يليه الشوّاش، وهم مجموعة تضمّ العرب واليهود والمسيحيين والأتراك، يقومون بأداء مهامّ داخل المدينة، منها: مهمّة الفلقة على مرتكبي المخالفات، ثمّ كاتب أو خوجة حرس الدّاي، وهو النّوبتجي حوجسي، (والصّواب هو حوجاسي)، وهم من الموظّفين الذين يحصلون على ثقة

¹ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 120.

² المرجع نفسه، ص. 120.

³ حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص. 143.

كبيرة على مستوى القصر ولا يبرحون القصر ليلاً ولا نهاراً، وأخيراً منظفوا القصر، وهم من الأرقاء المسيحيين، وبلغ عددهم أربعين أسيراً.¹

وبخصوص تسيير وإدارة المدينة فقد وُجِدَت مؤسسة مشيخة المدينة التي تسهر على المصلحة العامة، وهي سلطةٌ شبيهةٌ بسلطة شيوخ البلد، حيث ظهر في عام 1695م شيخان هما سي محند الفقير والحاج محمد بن النيا، وقد اشتغلا معاً للبحث في النزاعات والخلافات التي كانت تنشب بين الجماعات الحرفية، وكانا يقومان بحماية الضرائب المستحقة على الحرف. وامتدت صلاحية شيخ البلد إلى المجال العقاري رفقة عدد من الموظفين،² يلي ذلك مدير الشرطة، وهو المحافظ العام للشرطة، وقد امتدت صلاحياته إلى مراقبة الحمامات وأماكن الدعارة، ثم المحتسب، وهو الناطق الرسمي للقاضي، مهمته مراقبة السوق والسهر على تنفيذ أسعار الأسواق، ومراقبة جودة الخبز، ومعاقبة المخلين بالنظام بالجلد على الفور، وصيانة الشوارع ومنع ما يُعيق حركة المرور وعرقلتها، كما تمتع بصلاحيّة الأمر بتدمير البنايات القديمة المهذّدة بالانهيار والسهر على إنارة المدينة، لاحقاً أصبح يُشاركه هذه المهام أطرافٌ عديدة مما قلل من شأنه.

هناك أيضاً المزوار، وهي وظيفة اعتُبرت في القرن 16م ذات شأن عظيم، يُديرها إلى جانب المحتسب. وفي أواخر العهد العثماني تقلّصت مهام المزوار وراح يُعرف بقائد الليل، وكان له سجن يزج فيه من يقترف بعض الأخطاء كالخروج بعد صلاة العشاء إلى الشوارع دون استعمال الإنارة، كما أنيطت به مهمة تنفيذ عقوبة الإعدام والجلد على مرتكبي المخالفات من الأهالي. ومع نهاية القرن 18م، قلّ شأنه وغدت الوظيفة غير مستحبة بسبب ارتباطها بنساء الدعارة.³ من الموظفين أيضاً الدلال الذي يُنادي على البضائع في السوق، والبراح الذي يُعلّق قرارات السلطة الحاكمة.⁴

أما الإدارة المحلية فكانت تنقسم إلى 03 أقسام وهي:

أولاً: إدارة دار الباي، حيث كان يُعيّن على رأس كلّ بيك/لواء/سنجق، باياً يملك الصلاحيات المطلقة في مقاطعته، ويتم تعيينه مباشرةً بأمر من داي الجزائر، ويُراعى عند اختياره

¹ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص-ص 121-122.

² المرجع نفسه، ص-ص 123-124.

³ المرجع نفسه، ص-ص 125-126.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص-ص 47-48.

أن يمتلك قدرات عالية في مختلف ميادين التسيير.¹ وأن يكون تركياً أو أورغلياً (والصواب هو **قُولُ أَوْغَلُو**)، لكن هذا الأمر لم يُطبَّق حرفياً، فقد كان محمد بن فرحات باي وخير الدين باي، بايات قسنطينة من أصل عربي. من مهامّ الباي السهر على تأمين الأمن والاستقرار، وجمع الضرائب، ومصادرة الممتلكات، وإصدار العقوبات ضدّ المخالفين لقوانين البايلك، ولكن ظلّ إصدار حكم الإعدام ضدّ العثمانيين بموافقة من الداي.²

ثانياً: إدارة مدن البايلك، حيث يُعيّن على رأس كلّ مدينة **قائداً أو حاكماً** تركياً أو أورغلياً، يُختار من العائلات الكبرى ذات النفوذ،³ يستعين بشيخ القبيلة والدوّار والعرش من أجل تنفيذ مهامه، كما يُمكنه الاستتجاد عند الضّرورة بفرسان المخزن وفرق الحاميات العسكريّة.⁴ مهمّته مرتبطة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعيّة، حيث يتولّى إدارة الأوطان، ويُمثّل البايلك لدى سگان الرّيف بأمر من آغا العرب وبالاعتماد على الشيوخ وزعماء القبائل، مهمّته إقرار الأمن وجمع الضرائب، وتتوسّع صلاحيّاته لتشمل مراقبة الأسواق وإقرار الأمن بها، والحدّ من المنازعات والمشاجرات بين أفراد القبائل المتنافسين.⁵

وكان لكلّ حرفة **أمينٌ أو مفتشٌ**، ويُسمّى رئيس هؤلاء الأمناء **بشيخ البلد** (رئيس بلدية)، الذي كان دائماً عربيّ الأصل،⁶ يُشرف على الأمن، وله شرطة منظّمة مكوّنة من حضر المدينة العرب، مهمّته قبض الضرائب، ويُساعد في ذلك المحتسب الذي يقوم بمراقبة الأسواق حتّى لا يقع الغشّ، إضافةً إلى المزوار الذي يقوم بالحراسة الليليّة هو وأعوّنه.⁷ نجد كذلك **نقيب الأشراف** الذي يجمع في بيته شيخ البلد وسائر الأمناء التّابعين له، للبحث في شؤون المدينة من أجل تنظيمها والحفاظ على أمنها.⁸

¹ أرزقي شويتام، المجتمع الجزائريّ وفعاليّاته في العهد العثمانيّ، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص.31.

² المرجع نفسه، ص.32.

³ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.168.

⁴ ناصر الدّين سعيدوني، وراقات جزائريّة، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثمانيّ، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008م، ص.181.

⁵ المرجع نفسه، ص-ص.227-228.

⁶ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، 2005م، ص.87.

⁷ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، ص.54.

⁸ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص-ص.87-88.

ثالثاً: إدارة أوطان البايك، لقد قُسم البايك إلى عدّة أوطان (نواح)، ويحتوي كلّ وطن على مجموعة من الأعراش والدواوير، ويعيّن على كلّ وطن **قائد**، باقتراح من الباي،¹ وهو الممثل الرسمي في منطقته. يتم اختياره بناءً على مواصفات محدّدة بحيث يكون من الأتراك أو أورغلياً، يهتمّ بجمع الضرائب، والمحافظة على الأمن العام، والاتصال بالسلطات العليا عند الضرورة.² بينما كان **الشيوخ** يُعيّنون على القبائل والدواوير، وتتمثل مهمّتهم في لعب دور الوسيط بين الأهالي والإدارة وجمع الضرائب من المناطق التي تقع تحت إمرتهم.³ وبالنسبة لعدد الأوطان فهو يختلف من بايك إلى آخر، حيث احتوى بايك التيطري على 14 وطناً، بينما ضمّ بايك الغرب 40 وطناً، العدد نفسه في بايك الشرق.⁴

أمّا **موظفو الإدارة المحليّة** فهم: **الباي**، بمثابة الوالي في وقتنا الحالي، يُشرف على البايك نيابةً عن الداي ويعيّن من طرفه، ويتمّ اختياره من بين المقرّبين لحكام الجزائر والذين لهم صلات قرابة بالعشائر أو ممّن تولّوا منصب القيادة.⁵

يُقدّم عوائد البايك المكوّنة من الضرائب والهدايا المتمثّلة في الدّوش⁶ الأصغر، الذي يشمل الضرائب والهدايا التي تُمنح للدّاي كلّ سنة أشهر (في الربيع والخريف)، حيث يقوم خليفة الباي بإيصال اللّزمة،⁷ وهي ضريبة ماليّة إضافيّة إلى جانب المصنوعات المحليّة كالحياك والبرانس البيضاء والسوداء والجلود وأقمشة الصّوف وقطع الحرير والأحذية والسروج المطرزة وقناني العنبر والرّوائح والعبيد وقطعان الخيل والبغال والمواشي والجمال وكميّات الشمع والعسل والرّبة والأرز والحبوب والزيتون والكسكس... أمّا الدّوش الكبير فيُرسَل ضمن حامية تتكوّن من

¹ أرزقي شويتام، المجتمع الجزائريّ وفعاليّاته في العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص.38.

² عمّار بوحوش، مرجع سابق، ص.69.

³ أرزقي شويتام، المجتمع الجزائريّ وفعاليّاته في العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص.55.

⁴ المرجع نفسه، ص-ص.37-38.

⁵ ناصر الدّين سعيدوني، وراقات جزائريّة، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص.188.

⁶ الدّوش أو المحاسبة على الضرائب، يُنظر أحمد الشّريف الزّهّار، مصدر سابق، ص.133.

⁷ اللّزمة خراج يُمثّل ضريبة تُفرض على بعض قبائل الرّعيّة الجبليّة، وتُستخلص سنويّاً بصفة اعتياديّة عن طريق الشّيوخ، من بينها معونات بلاد القبائل، وضيّفة الباي التي تُقدّم كلّ سنة أشهر، ويُطلق عليها أهالي التيطري اسم غرامة الصّيف وغرامة الشّتاء، وخيل الرّعيّة، وتلتزم بها قبائل النّاحية الغربيّة. يُنظر ناصر الدّين سعيدوني، وراقات جزائريّة، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص.232 وحنيّفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص.149.

3.000 فارس من القبائل الحليفة، وعلى رأس كل قافلة 80 بغلاً، أي أنها ضريبة تُجمع عن طريق القبائل الحليفة.¹

بعد الباي نجد **الخليفة**، وهو نائب الباي، يُمثله وينوب عنه في غيابه، تكمن مهمته في تحميل الضرائب، حيث يقوم بتقديم الدنوش الأصغر للداي كل فصلي خريف وربيع. يليه **الباش** **خزناجي** (**الخزندار**) (**والصواب هو الخزنه دار**) الذي يُشرف على مصادر دخل البايلك، ويتولى تسديد مختلف أوجه الإنفاق بالبايلك، ويُساعده على ذلك كاتبان رئيسيان، يُعرف كل واحد منهما بالدفتردار، ثم نجد **آغا الدائرة**، ويُعرف في بعض المقاطعات بآغا العرب أو الباش آغا أو خوجة الخيل (**والصواب هو الأتحوجان**)، وهو قائد الحامية التركية المستقرّة بمركز البايلك، يتلقى أوامره مباشرة من الداى، ويقوم بعزل أو إعدام أو تعيين البايات الجدد عندما تصدر له الأوامر بذلك، ويخضع لإمرته فرسان المخزن، الأمر الذي مكّنه من التصرف في الأرياف ومراقبة البايات في تعاملهم مع السلطة المركزية، يليه **شيخ البلد**، **قائد الدار**، المكلف بالمحافظة على أملاك الدولة، وتوفير الخدمات الضرورية للحامية التركية، والإشراف على شؤون البلد، ورعاية مصالح الطوائف السكانية والحرفية بالمدينة، ثم **الباش كاتب**، **الكاتب العام**، وهو كاتب الباى الخاص وحافظ دفاتر الإدارة المحلية، وله ارتباط مباشر بالخزناجي نظراً لتوليه المحاسبات المالية للباي، يليه **الباش سينار**، المكلف ببريد البايلك ونقل الرسائل بين الباى والداى، أما **الباش سايس** أو **الباش سراج**، فهو المتصرف في إسبيلات البايلك والقائم بتجهيز حسان الباى عند السفر، إضافة إلى **باش الكاحلية**، قائد الفرقة المسلحة بالبنادق التي تخرج بصحبة الباى، وهناك **الباش علام**، حامل شارات الحامية التركية بالبايلك.²

في إطار تسلّم الوظائف تستوقفنا مسألة مهمة تعرض إليها المؤرخون المستشرقون، وحتى المحليون، في كثير من مؤلفاتهم، تخص **الرشاوى** التي كانت تُقدّم من أجل الحصول على منصب الوالي أو المناصب التي تليه.

فقد وجدنا المؤرخ أمين محرز في مؤلفه "الجزائر في عهد الأغوات" يستشهد بالمستشرقين وبمن تبعهم من المؤرخين العرب، حيث استشهد بالرحالة الفرنسي **جان تافرنيه J.B. Taverni** (1605-1689م)، الذي ذكر أنّ جميع البشوات الذين أسند إليهم السلطان العثماني الحكم، وبوجه عام كل الذين يخرجون من السراي لشغل مناصب، مُلزمون قبل توليها بتقديم هدايا مالية (رشوة)،

¹ حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص-ص 148-149.

² ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، مرجع سابق، ص-ص 20-21.

واستشهد أيضاً بقول المستشرق الألماني كارل بروكلمان في مؤلفه "تاريخ الشعوب الإسلامية"، أنه في حالة ما إذا تُوفِّي شاغل المنصب، يُعيَّن الشخص الذي يدفع أعلى ثمن للوظيفة خلفاً له، ثم استشهد بالمؤرخ العربي طقوش محمد سهيل في مؤلفه "العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة"، والذي أكد أن المناصب تُباع وتُشتري، والتعيينات في الجهاز الإداري لا تتم في الغالب إلا بالرشوة.¹

نحن لا ننفي وجود الرشوة، فهي موجودة في كل المجتمعات وينسب متفاوتة، وإلى يومنا هذا، ولكن الأجدر هو تبيين الأحداث من الوثائق العثمانية عوض المؤلفات الاستشراقية التي يسعى جلها إلى تشويه الدولة العثمانية، كما رأينا ذلك سابقاً. فمن خلال عودتنا إلى الوثائق العثمانية وجدنا أنها لم تكن رشاوى تُقدَّم بغية الظفر بمنصب، بل كانت رسوماً رسميةً ومقننةً ومحددةً ومفروضةً تُدفع إلى الدولة من أجل الحصول على امتيازات منها. ويتوضَّح الأمر جلياً في الحكم السلطاني الصادر عام 1571م من قبل السلطان سليم الثاني، والخاص بالأمر بتحصيل الرسوم العائدة للدولة والمفروضة على أمراء السناجق في جزائر الغرب.

حيث ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 38): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. إن الأمراء الذين أسندت إليهم ألوياً في جزائر الغرب في الوقت الراهن، لم يستصدروا أوامر تعيينهم، ولم يسدّدوا رسم أوامرهم العائد إلى الميري، كما لم يسدّدوا رسوم مير علم والجاوشية والقبوجية، والتي أُعتيد دفعها منذ القدم، وعليه فقد أمرت: أن تقوم بجمع وتحصيل الرسوم العائدة للميري، وكذلك الرسوم العائدة لمير علم، والجاوشية والقبوجية من أمثال هؤلاء، وتحفظ مبلغ الرسم العائد للميري في كيس مستقل وتختمه، وتضع مبالغ الرسوم الأخرى في كيس آخر، وتختمه ثم تُرسلهما، وتكتب مبلغاً عن مقدار كل رسم حتى يتم مطالبتهم بذلك على ضوئها." في 03 صفر 979هـ، 27 حزيران/يونيو 1571م.²

يتبين لنا من خلال الحكم السلطاني أن المزايم الخاصة بالرشاوى لم تكن سوى رسوم البرات، ويُقصد بالبرات الفرمانات أو المناشير التي صدرت للتعيين في وظيفة أو منح وسام أو امتياز،³ وكان على صاحب هذا الامتياز دفع رسم البرات للدولة، إضافةً إلى رسم مير علم، وهو

¹ أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671م، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص-ص 42-43.

² فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص-ص 60-61.

³ سهيل صابان، مرجع سابق، ص 59.

رسم عن منصب عسكري استخدم لرئيس الفوج (العقيد بمفهومنا الحال)،¹ ورسم الجاوشية، أي الحاجب والذي تتعدّد مهامه، فأحياناً يُعرف بصاحب البريد، والدليل في الحروب، وجامع الأخبار. وإلى جانبهم أيضاً رسم القنوجية، خاصّ بالبوابين أو الحراس المكلفين بحراسة بوابات القصور السلطانية والديوان الحكومي،² حيث كان على أمراء السناجق أو بايات البيالك تسديد تلك الرسوم قبل مباشرتهم العمل في الألية.

نعود إلى التقسيم الإداري لجزائر الغرب في العهد العثماني لنتبين آراء بعض المؤرخين حوله ونستشهد ببعض الوثائق العثمانية أيضاً، حيث أكد المؤرخ ناصر الدين سعيدوني على أنّ التقسيم قد استند إلى تقاليد محلية كانت متأصلة بالجزائر منذ بداية العهد الإسلامي، مثل وظائف المحتسب والقياد والشيوخ وشيخ البلد، ومنها ما أخذ عن الدولة العثمانية، خاصة ما تعلّق بالمجال العسكري من حيث الألقاب ونوعية الخدمات، وكيفية إسناد المناصب. وقد وصف الجهاز الإداري بالمرونة والفاعلية، فهو بسيط في تنظيماته وعملي في إجراءاته.³

وفي الصدد نفسه اعتبر المؤرخ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو أنّ الإدارة العثمانية قد ساهمت بشكل كبير في توحيد البلاد التي كانت تسودها الفوضى والشقاق، فوحدتها وجمعت الشمل وأزالت تلك الممالك والطوائف والإمارات، وساهمت في بثّ الاستقرار اللازم والنسبي لذلك العصر، حيث أحببت أطماع الإسبان، وأحييت نور الإسلام، وحسنت الأخلاق التي كانت منحلّة.⁴ وبناءً عليه، يُمكننا القول بأنّ التنظيم الإداري لجزائر الغرب في العهد العثماني قد ميّزها كدولة، حيث ساهم في ضبط الأمن، الشغل الشاغل للأهالي في ذلك العهد بعد معاناة طويلة من ويلات التحرّشات الأوروبية المتعدّدة، إذ سعت الإدارة العثمانية إلى ضبط الأمن بكلّ حزم، فكانت تُقدّم المنصب الإداري للشخص الذي تتوفر فيه النزاهة والشهامة والشجاعة، والذي يسهر على خدمة الأهالي وتوفير الأمن والأمان لهم.

وخير مثال على ذلك الخطاب السلطاني الذي يحمل اسم "مرسوم شريف"، الصادر عام 1572م من قبل السلطان سليم الثاني، والموجّه إلى العلماء والشرفاء والصّحاء والمشايخ والأعيان

¹ سهيل صابان، المرجع السابق، ص. 02.

² مصطفى عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص. 343.

³ ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص. 22.

⁴ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص. 219-220.

في ولاية جزائر الغرب، يؤكّد فيه على الاهتمام الذي تحظى به الولاية من الدولة العثمانية، ويُبلّغهم أسباب تعيين أحمد عرب باشا والياً على جزائر الغرب.

وقد ورد في المرسوم ما يلي (ينظر الملحق رقم 39): "مرسوم شريف. هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني، وأمرنا السامي الخاقاني لازال نافذاً في المشارق والمغرب أرسلناه إلى العلماء والشرفاء والصلحاء والمشايخ وأعيان الناس في مدينة الجزائر وجميع الرعايا، وكافة البرايا هناك يتضمّن إعلامهم أنّ مدينة الجزائر وما تبعها هي من جملة ممالكنا المحروسة، وخلص خلاصة بلادنا المحمية، نظرنا السعيد السلطاني والتفاتنا الوريقة أبداً ودائماً إلى انتظامها، وصون أهاليها أقصى مراد حضرتنا الجليلة، وغاية إرادتنا السنّية، أن يكون رعايانا هنالك في أيام دولتنا العادية آمنين مطمئنين منشرحين فرحين آمنين على أنفسهم مضبوطين في جميع أحوالهم، ثغورهم مسدودة بسدّ سديد، وقلاعهم مصونة بالأمن والأمان، وأفئدتهم وأسننتهم رطبة بالدعاء الصالح لدوام دولتنا الفائقة مدى الظهور والأزمان، وعن ذلك الشأن قلّنا أمور تلك الممالك المحمية، وتلك الأقاليم المحروسة... مملوك حضرتنا العلية أمير الأمراء الكرام أحمد دام إقباله لفرط شهامته وصلابته، وكمال عزمه وشجاعته وحسن تدبيره وكياسته، وفوضنا إليه ضبط تلك الأقاليم وصونها والاهتمام بها وحفظ البلاد وصون العباد، ودفع المحن والرزايا عن جميع الرعايا، وإحياء شرائع الدين المتين، وإجراء قوانين سيّد المرسلين، ليكون أهالي الإسلام في ظلّ ظليل، وعدل جميل تحت كنف حماية سلطنتنا السنّية، وفي زمن خلافتنا الفائقة عن إيمانهم وعن شمائلهم محفوفين بأكمل الراحة مُرْفَهين، وأجمل الاستراحة مُنعمين، آمنين مطمئنين بحيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون." سلّم إلى كتحذا أحمد عرب، في 19 شوال 979هـ، 05 آذار/مارس 1572م.¹

لقد حظي أحمد عرب باشا بمكانة عالية لدى السلطان سليم الثاني، ويظهر ذلك جلياً في المرسوم الشريف التالي الذي أرسل عام 1572م إلى أحد الزعماء المحليين (لم يُذكر اسمه) في جزائر الغرب، يُعلمه فيه بتعيين أحمد عرب باشا والياً على الولاية، ويُطالب فيه أحمد عرب باشا بإجراء ما يقتضيه الشرع وضبط البلاد وحفظها وحسن التعامل مع الأهالي. وقد ورد في المرسوم ما يلي (ينظر الملحق رقم 40): "هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني، وأمرنا المنيف السامي الخاقاني، لازال نافذاً بعون الربانيّ قد أرسلناه إلى الأميريّ الكبيريّ الأكرميّ العالييّ النصيريّ المختصّ بمزيد عناية الملك الصمد الأمير أحمد الحاكم يومئذ بولاية... دام سعده، يُنهى إليه أنّه قد أصدرنا عواطفنا الجليلة السلطانية، وأظهرنا عوارفنا الجميلة الخاقانية في حقّ مملوك حضرتنا العلية وخلاصة خدام سدّتنا السنّية أمير الأمراء الكرام أحمد، دام إقباله، وقلّنا ولاية الجزائر الغربية، وما تابعها إياه، وفوضنا إليه جميع ما يتعلّق بالولاية المحمية لكامل الاعتناء بدينه وديانته، وفرط شجاعته وشهامته وحسن تدبيره بالرأي الصائب

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع

وتدركها الثَّاقِب، وأمرناه بإجراء ما اقتضاه الشَّرْع المبيِّن، وإحياء مراسم الدِّين المتين، وضبط الرِّعايا والممالك، وحفظ البلاد والمسالك، وأن يكون معكم على أمل الاتفاق والاتِّحاد، وأجمل المعاشرة وأخلص الوداد؛ حيث يكون لسانكم واحداً وجنانكم (قلوبكم) متَّحداً فيما يتعلَّق بصيانة العرض والدِّين وإقامة الشَّرْع المبيِّن، ويظهر من حسن اتِّحادكم المبرور، ويحصل من سعيكم المشكور الأمن والأمان في البلاد والزَّفاهية والاطمئنان في قلوب العباد، على أنَّ نظرنا الشَّرِيف العالِي السُّلْطاني لا يخلو من أن يتعلَّق بمحاسن الإشفاق، وأن يتألَّق بمكارم الأخلاق إلى تلك الأرض بالطَّول والعرض، وإلى أهاليها وصلحائها ومواليها وأسافلها وأعاليتها؛ إذ أقصى مراد حضرتنا العلية أن تكون تلك الولاية المحمية وأهاليها مطمئنين مرفَّهين مصونين من تعدي الأعداء اللئام في ظلِّ عدالتنا ما دارت الليالي والأيام والشُّهور، وأسنتهم رطبة بالأدعية الصَّالحة لدوام دولتنا، وقيام حشمتنا السَّامية إلى قيام السَّاعة وساعة القيام والحمد لله وحسن توفيقه والصَّلاة على من لا نبيَّ بعده." سُلم إلى كِتْخًا أحمد عرب في 119 شَوَّال 979هـ، 05 آذار/مارس 1572م.¹

وهنا نلاحظ التَّقدير الكبير لشخصية المجاهد أحمد عرب باشا من قبل السُّلْطان العثمانيِّ سليم الثَّاني، وهذا خير دليل على حرص السُّلْطان الشَّديد على تقليد المناصب الإدارية لمن يكون أهلاً لها خدمةً للرَّعية والبلاد، ولكي ينعم الجميع بالرِّفاه والطَّمأنينة والصَّون من الأعداء، إضافةً إلى حرصه الشَّديد على معاملة الأهالي بما يقتضيه الشَّرْع، والسَّهر على إحياء مراسم الدِّين وحمايته.

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 71-73.

المبحث الرَّابِع: مراحل وسياسة الحكم في جزائر الغرب أثناء العهد العثمانيِّ، ضمن رصد وتحليل ونقد لأنساق المضمرة في النصوص الخطابيَّة لموجز دائرة المعارف الإسلاميَّة (الاستشراقيَّة) والموسوعة الإسلاميَّة (باللغة التركيَّة "وقف الديانة التركيَّة") والوثائق العثمانيَّة استشهاده، مع تقديم مقترح أطوار جديدة لمراحل الحكم على ضوء النظريَّة الخلدونيَّة.

نروم من خلال هذا المبحث معرفة وجهات النَّظر المختلفة حول مراحل وسياسة الحكم في جزائر الغرب، مع تحليل ونقد بعض النصوص الخطابيَّة في الموسوعتين: دائرة المعارف الإسلاميَّة (الاستشراقيَّة) والموسوعة الإسلاميَّة (باللغة التركيَّة)، مع محاولة التوفيق بين الآراء المختلفة من خلال العملية التركيبيَّة، إضافةً إلى الاستشهاد ببعض الوثائق العثمانيَّة بغية عرض ما تغاضى عن ذكره المؤرِّخون في الموسوعتين، الأمر الذي سيقودنا إلى طرح التساؤلات التَّالية:

ما هي مراحل وسياسة الحكم في جزائر الغرب أثناء العهد العثمانيِّ، التي أثَّرت في النصوص الخطابيَّة للموسوعتين؟ وما هي الأنساق المضمرة التي احتوت عليها تلك النصوص؟ وهل تمَّ عرض تلك المسألة بموضوعيَّة علميَّة أم بذاتيَّة مؤدلجة؟ وما هي الإضافات التي زوَّدتنا بها الوثائق العثمانيَّة؟ وهل يُمكننا تجاوز المراحل المعروفة وتقديم مقترح لمراحل أخرى ضمن تجاوز للمعطيات والرؤاسب الاستشراقيَّة وعمليَّة اجترار الأحداث؟

1) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابيَّة ضمن موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة (الاستشراقيَّة) والموسوعة الإسلاميَّة (باللغة التركيَّة "وقف الديانة التركيَّة"):

أ) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابيَّة ضمن موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة (الاستشراقيَّة):

نبدأ دراستنا بعرض النص الخطابيِّ الموسوعيِّ الاستشراقيِّ الذي تناول مراحل الحكم في جزائر الغرب في العهد العثمانيِّ، أين ميَّز المؤرِّخ الفرنسيِّ جورج إيفير "أربعة عهود مختلفة هي

عهد البكربكيّة (1518-1587م)، وعهد الباشوات (1587-1659م) وكانت مدّة حكم الباشا تدوم ثلاث سنوات، وعهد الأغوات (1659-1671م)، ثمّ عهد الدّايات (1671-1830م).¹

وقد ساندته الرّأي المستشرق الفرنسيّ ماريال كولومب بتوسّع أكثر، حيث ذكر أنّه "في سنة 1533م أقيم خير الدّين قائداً أعلى للأسطول العثمانيّ، وحلّ محلّه في مدينة الجزائر بكربكيّة تولّوا حكم البلاد مباشرةً، أو عن طريق نواب لهم حتى سنة 1587م... فتطلّع بعض هؤلاء العمّال إلى الاستقلال، فحمل ذلك الحكومة العثمانيّة على أن يستبدلوا بهم باشوات تستمرّ مدّة حكمهم ثلاث سنوات... وانتهى ذكر الباشوات بعد سنة 1659م؛ إذ غطّى عليهم أغوات فرق الجيش، ثمّ خلفهم في الحكم سلطة جديدة هي سلطة الدّايات الذين حكموا حتى استيلاء فرنسا على الجزائر... وكان هؤلاء الباشوات والأغوات والدّايات الذين يبقون في الحكم ثلاث سنوات أدوات في أكثر الأحوال في يد فرق الجيش (أوجاق) المجدّدة أساساً من أهل بلدان الأناضول أو من طائفة الرؤساء؛ وهي نقابة من ربانة القرصان ظلّت تزوّد الخزنة الجزائرية بمعظم مواردها... وقد اغتيل الأغوات الأربعة الذين حكموا على التوالي من سنة 1659م إلى سنة 1671م ولقي الدّايات الأربعة عشر من الثّمانيّة والعشرين داياً نفس المصير".²

وبالتدقيق في هذه النصوص، يُمكننا رصد بعض الأنساق المضمرّة، والمتمثّلة بدايةً في نسق التسمية، فعلاوةً على ذكر اسم المجاهد "خير الدّين" باشا قائد الأسطول العثمانيّ، نجد تسمية "ربانة القرصان"، وهي إشارةً إلى اعتبار السّلطة العثمانيّة فرقة من القرصنة، وقد استوقفنا كثيراً تسمية القرصنة وناقشناها باستفاضة في المباحث السابقة، ولا بأس هنا من التذكير بأنّ القرصنة تسميةً سلبيةً وعملاً يستوجب المحاربة بالمفهوم الذي يقصده الغربيّ، وقد كان مبرراً للاستيلاء على جزائر الغرب.

رصدنا أيضاً نسق الإسناد في العبارة: "أدوات في أكثر الأحوال"، والتي أسندت للباشوات والأغوات والدّايات، فهم بحسب المستشرق ماريال كولومب أدوات في يد فرق الجيش، فكلمة أداة لها دلالة انعدام الرّأي والاستقلاليّة، بل التبعيّة للفرق العسكريّة. وقد استعان المستشرق نفسه أيضاً بنسق الحجاج عندما ضرب مثلاً توضيحياً مبرهنًا على وجهة نظره بخصوص رغبة الحكّام العثمانيين في الاستقلال عن الدّولة العثمانيّة في العبارة التّالية: "فتطلّع بعض هؤلاء العمّال إلى الاستقلال"، وتمّ بعد ذلك إيفاد أنّ معظم هؤلاء الحكّام استبدلوا بالباشوات "فحمل ذلك الحكومة العثمانيّة على أن يستبدلوا بهم باشوات تستمرّ مدّة حكمهم ثلاث سنوات"، فالمثال هنا يُعدّ تحركاً قوياً عند تقديم الحجّة، يليه نسق آخر وهو نسق التلطيف والتّهويل، فأما التلطيف فيظهر جلياً في جعل

¹ جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص-ص. 2830-2831.

² ماريال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص. 2873.

احتلال الجزائر استيلاء "حكما حتى استيلاء فرنسا على الجزائر"، وهنا تغييب للبعد السلبي للاحتلال من سيطرة وامتلاك وقتل ونهب واستعمار، في حين نجد التَّهْوِيل في وصف فرق الجيش بـ"بابنة القرصان"، فالجيش النظامي للدولة العثمانية أضحى قرصنة يعيشون في الأرض فساداً.

يواصل المؤرخ جورج إيفير وصف العهود الأربعة مبيّناً أنه في عهد البكركية كان خير الدين وابنه حسن وعلج علي وحسن فينيزيانو يحكمون باسم الباب العالي العثماني، ويُمارسون سلطتهم بأنفسهم حيناً، ويُنيبون عنهم الولاة أو الحلفاء حيناً آخر، ويتصرفون في البلاد تصرف الملوك المستقلين، وإن اعترفوا بسيادة السلطان الأعظم... وقد سماهم "الرحالة هايدو" ملوك الجزائر".

ويضيف حول عهد الباشوات مبيّناً أن تغيير نظام الحكم كان على أساس أن مطامع البكركية قد أفلقت بال سلاطين الآستانة (إسطنبول)، فعدوا عزمهم على استعمال الباشوات على إفريقية، وجعلوا مدة حكم الواحد منهم ثلاث سنين، وانصرف هم هؤلاء أولاً وقبل كل شيء إلى جمع ثروة طائلة... نشبت حوالي منتصف القرن 17 فتنة عسكرية وضعت أزمة الحكم في يد الأغوات أو قادة الإنكشارية، ولم يعد للباشوات إلا بعض المهام التشريعية،

ثم انتقل إلى عهد الأغوات، ذاكراً أن الأمن قد اختل "وعمت الفوضى وأدى التناظر بين الإنكشارية والرؤساء (رؤساء البحر) إلى معارك دموية، واغتيل الأغوات جميعاً... إن الرؤساء (رياس البحر) استطاعوا اغتصاب السلطان (السلطة) بعد فترة دامت 12 سنة ونصبوا على البلاد داياً... انتخب القرصان خلفاءه -أي الدايا- الثلاثة، أما الآخرون فقد انتخبهم الإنكشارية الذين استطاعوا آخر الأمر استعادة سلطانهم والمحافظة عليه... يتميز هذا العهد باختفاء الباشوات وباضمحلال سلطان الجزائر".¹ وعن عهد الدايات ذكر أن "(جند إنكشارية) يُؤلون (ينتخبون) الدايات ويخلعونهم وفقاً لأهوائهم، وقد قُتل غيلة 14 داياً من 28 تعاقبوا على الحكم من سنة 1671م إلى سنة 1830م... (بعد نقص القرصنة) اضطرّ الدايات إلى نهب الأهلين".²

وبناءً على هذه النصوص الخطابية الاستشراقية يمكننا رصد نسق التسمية، والمتعلق أساساً بـ "خير الدين وابنه حسن وعلج علي وحسن فينيزيانو"، كحكام باسم الباب العالي، وهي أسماء لها وزن ثقيل تاريخياً، ولا نُغالي إن قلنا أن اختيارها ليس عفويًا وليس بريئاً، بل استعين بها للدلالة على الاستفراد بالسلطة: "يتصرفون في البلاد تصرف الملوك المستقلين، وإن اعترفوا بسيادة السلطان الأعظم".

¹ جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص.2831.

² المرجع نفسه، ص-ص.2831-2832.

وفي إطار نسق الإسناد تمّ إسناد السّلطة إلى الحكّام المذكورين بوصفهم فاعلين في عملية إرساء دعائم الدّولة الجزائريّة في العهد العثمانيّ. بعدها عمد المؤرّخ الفرنسيّ إلى ذكر الحجج في إطار نسق الحجج من خلال الاستشهاد بالرحالة هايدو الذي سمّاهم ملوك الجزائر، "وقد سمّاهم "الرحالة هايدو" ملوك الجزائر"، وهو مثال يؤكّد ويُدعم وجهة نظر المؤرّخ. لعلنا نستطيع القول أنّ النّصوص الأخيرة عموماً هي وصف لبنية السّلطة في جزائر الغرب، وفيها تصنيف للعهود: بكاربكيّة وباشوات وأغوات ودايات، وغاية هذا التّصنيف الفهم أولاً ثمّ عزو صفات إيجابيّة وأخرى سلبية لتلك العهود ضمن نسق التّصنيف.

وإذا ولينا صوب السياسة العثمانية في جزائر الغرب من وجهة نظر المستشرقين نجد بعض النّصوص التي اهتمّت بذلك، ومنها ما ذكره المستشرق مارسال كولومب "لم يفكر الأتراك في تحسين أحوال البلاد التي فتحوها، ذلك أنّ مستقبل القطر الجزائريّ، لم يكن في نظرهم ماثلاً في الأرض القائمة خلف الساحل، فقد كان التّرك قد قدموا بالبحر وظلّوا ينظرون إلى البحر... اضطرّ الأتراك إلى إشعال المنافسات القبليّة حفظاً لمكانتهم في البلاد... كانت قبائل المخزن إذا انتصرت لقضيّة الأتراك لم تضمن الحصانات الماليّة المختلفة فحسب، بل ضمنت أيضاً حقّ اضطهاد القبائل الخاضعة (رعايا) واستئصال سافة القبائل المتّقضة."¹

نلاحظ هنا أنّ النّصّ الخطابيّ الاستشراقيّ قائمٌ على نسق التّصنيف الرّامي إلى الفهم أحياناً، وأحياناً أخرى إلى إبراز التّجليات السّلبية للسياسة العثمانية في جزائر الغرب من خلال عبارة: "لم يفكر الأتراك في تحسين أحوال البلاد التي فتحوها". وهي تحمل بين طياتها أيضاً نسق الوصف السّلبيّ للأخر، سواء كانوا عثمانيين أو قبائل المخزن، والهدف من النّسقين هو نزع الشّرعيّة عن السياسة العثمانية المتّبعة في جزائر الغرب، ببيان فسادها وتأثيرها السّلبيّ، مع إبراز مقاومة بعض القبائل لهذه السياسة.

وفي السّياق نفسه يُضيف المؤرّخ جورج إيفير "بيد أنّ السياسة التّركيّة حرصت على أن تظلّ هذه القبائل مفرّقة الكلمة، وبيوت الأشراف متنافرة،... وذلك منعاً لكلّ اتّحاد يكون خطراً على حكام الإمارة... وعمل الأتراك على أن يكون لهم بين كلّ جماعة من هذه الجماعات أنصار مخلصون لهم، وطبقوا المبدأ نفسه، وهو مبدأ "فرق تسد" على السّكان الخاضعين لسلطانهم المباشر، وكانوا فريقين متمايزين، قبائل مخضّعة أي رعايا، وقبائل محكومة ومخزن."²

¹ مارسال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص.2875.

² جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص.2828.

الواضح هنا أنّ النسق الغالب هو نسق الإسناد، من خلال إسناد صفات سلبية للسياسة العثمانية المتبعة في جزائر الغرب، والتي سعت إلى جعل القبائل مفرقة الكلمة والبيوت متنافرة تحت شعار: "فرق تسد"، إنّ السياسة التركية حرصت على أن تظلّ هذه القبائل مفرقة الكلمة، وبيوت الأشراف متنافرة... وذلك منعاً لكل اتحاد يكون خطراً على حكام الإمارة... وطبقوا مبدأ "فرق تسد". وعلى إثره برزت؛ "قبائل مخصّعة أي رعايا، وقبائل محكومة ومخزن"، ولسنا في حاجة إلى التأكيد بأنّ هذه الأوصاف تُركّز على إبراز سلبيات السياسة العثمانية التي تتنافى وخدمة المصلحة الحقيقية للأهالي في نظرهم.

يستكمل المؤرخ جورج إيفير وصفه للسياسة العثمانية ذاكراً أنّ "الترك باعدوا بين كل جماعة من أهل البلاد وبين الأخرى بأراضي شاسعة غير ذات زرع. بيد أنّ الفتن كثرت رغم هذه التحوّطات كلّها، وكان السبب في اندلاع معظمها راجعاً إلى ما حلّ بالأهلين من مظالم عمال الترك... أمّا سكان الحضر ويُعرفون بالبلدي، فقد حُجّبوا عن الحياة السياسية بأسرها، فلم يُحرّكوا ساكناً لرفع النير التركيّ عن كواهلهم... واستطاع القلغلي - وهم موالدون من رجال الأتراك ونساء وطنيات - دون سواهم أن يلقوا في قلوب الأتراك بعض الخوف في القرن 17... فأدى ذلك فيما بعد إلى حرمانهم من جميع المناصب الرفيعة.¹

يعتري هذا النصّ الخطابي نسق الوصف الذي يُبرز سمةً سلبيةً جدّاً تتمثّل في ظلم العثمانيين للأهالي، الأمر الذي أدّى إلى التمرد والعصيان والمقاومة، والهدف منه نزع الشرعية عن الدولة العثمانية وإضفاء الشرعية من جهة أخرى على التمردات والمقاومات الشعبية، "بيد أنّ الفتن كثرت رغم هذه التحوّطات كلّها، وكان السبب في اندلاع معظمها راجعاً إلى ما حلّ بالأهلين من مظالم عمال الترك".

واستمرّ المؤرخ في إطار نسق الوصف يصف الحضر بوصف سلبّي على أساس أنّهم كانوا قابلين خانعين، ولم يلعبوا دوراً في المقاومة: "أمّا سكان الحضر ويُعرفون بالبلدي، فقد حُجّبوا عن الحياة السياسية بأسرها، فلم يُحرّكوا ساكناً لرفع النير التركيّ عن كواهلهم"، بينما وصف الأوروغليين بالشجعان الذين ألقوا الرعب في قلوب العثمانيين: "واستطاع القلغلي دون سواهم أن يلقوا في قلوب الأتراك بعض الخوف"، وذلك في إطار نسق التصنيف دائماً الرامي إلى تصنيف طبقات الشعب وتمييزهم عن بعضهم البعض.

وإلى جانب نصوص المؤرخ جورج إيفير حول سياسة الحكم العثماني، تناول المستشرق روجي لوتورنو اعتماد تلك السياسة على القضاء، حيث ذكر ما يلي: "كان النظام القضائي يقوم على

¹ جورج إيفير، المرجع السابق، ج، ص-ص 2829-2830.

قاضيان، أحدهما حنفي للأتراك والآخر مالكي للعرب، وكانا يعملان معاً مع محكمة الأحبار والقناصل تمثل الأقليات اليهودية والنصرانية... وكان للمجتمع اليهودي نظمه، وكان الأوروبيون ينعمون بحماية قناصلهم المختصين.¹

عند تأملنا للنص جيداً رصدنا نسق التصنيف، على أساس أن لكل مجموعة إثنية نظامها القضائي الخاص بها، والغرض من هذا التصنيف هو البعد المعرفي المتمثل في معرفة النظام القضائي، لكن إذا توغلنا قليلاً في المستتر نجده يعرض تنوعاً إثنيّاً قد تمّ اختراقه، بسهولة وبوساطة اليهود (عائلة بوشناق).

نُبادر الآن إلى نقد الأمانة والدقة في النصوص الاستشراقية التي تناولناها، والتي تُمثل في نظرنا استمراراً لعملية تفكيك أسطورة الدولة العثمانية الإسلامية، حيث رصدنا أنساقاً مضمرة تُشير ضمناً إلى أن الدولة كانت تُوظف حكماً واحداً وهو خدمة مصالحهم، وقد وُصف البيلبايات على أنهم كانوا أسياداً وملوكاً على البلاد يتصرفون فيها تصرف الملوك "يُمارسون سلطتهم بأنفسهم حيناً، ويُنيبون عنهم الولاء أو الحلفاء حيناً آخر. ويتصرفون في البلاد تصرف الملوك المستقلين"، وهنا تركيزٌ على جانب واحد، مع تجنب التطرق إلى الإنجازات العظيمة التي عرفتها هذه الفترة، والطمانينة التي نعم بها الأهالي في بداية الحكم العثماني.

فقد كانت جزائر الغرب في هذه المرحلة في أوج قوتها بحرياً وبرياً، وعلى إثر ذلك برزت شخصيات أثرت على الأوضاع داخلياً وخارجياً، ودافعت عن البلاد والأهالي ضدّ الحملات الأوروبية. فملوك الجزائر، كما ذكر هايدو، ضحوا بالنفس والنفيس، فهام الشهداء إلياس ريس وعروج ريس وإسحاق ريس، إخوة ثلاثة استشهدوا فاتحين لبجاية وتلمسان وقلعة بني راشد ضدّ الإسبان، أما رابعهم وهو المجاهد خير الدين باشا فقد بقي يُجاهد ضدّ الإسبان كما رأينا ذلك من قبل في المبحث الخاصّ بالحملات، فصّدّ هو والمجاهد حسن آغا حملة شارل الخامس العظيمة ضدّ جزائر الغرب والتي مُنيت بالهزيمة الشنعاء عام 1541م، إضافةً إلى جهود المجاهد قليج علي باشا في تحرير تونس، وغيرها من الحملات المشرفة التي خاضتها جزائر الغرب ضدّ الأعداء.

أما بالنسبة لفترة الباشوات والأغوات والدائيات فقد أجملها المؤرخ جورج إيفير في سلة واحدة، وجعل مهمة الحكام تتمركز حول عملية جبي الأموال فقط، وبخصوص فترة تعيينهم فقد ذكر أنها كانت تدوم 03 سنوات، وبعدها يتمّ التخلّص منهم، وهنا نتبين أنه سرد تاريخي غير دقيق أدى بالمؤرخ إلى الوقوع في الخطأ "وكان هؤلاء الباشوات والأغوات والدائيات الذين يقعون في الحكم ثلاث

¹ روجي لوتورنو، مرجع سابق، ج10، ص.2951.

سنوات أدواتٍ في أكثر الأحوال في يد فرق الجيش (أوجاق) المجدَّدة أساساً من أهل بلدان الأناضول أو من طائفة الرؤساء؛ وهي نقابة من ربابنة القرصان ظلَّت تُزوِّد الخزانة الجزائريَّة بمعظم مواردها... وقد اغتيل الأوغوات الأربعة الذين حكموا على التوالي من سنة 1659م إلى سنة 1671م ولقي الدايات الأربعة عشر من الثمانيَّة والعشرين داياً نفس المصير.

إنَّ مدَّة التَّعيين تختلف من مرحلة إلى أخرى، فالباشوات كانوا يُعيَّنون من قبل السُّلطان العثمانيِّ لمدَّة 03 أعوام، أمَّا الأوغوات فقد تمَّ اختيارهم للحكم مدَّة شهرين، وفي حالة ما إذا رغب الآغا في الاحتفاظ بالسلطة يكون مصيره القتل، بينما عرفت مرحلة الدايات استقراراً، حيث كان التَّقليد المتداول هو انتخابهم دون تحديد فترة لحكمهم، وقد تميَّزت آخر مرحلة والمتعلِّقة بالبايات بالاستقلال عن الباب العالي، حيث تمَّ دمج سلطة الداي والباشا معاً. فتمظهرت الاستقلاليَّة من خلال بناء جيش قويِّ، وميزانيَّة مستقلَّة، وإبرام معاهدات باسم الجزائر، وإرسال قناصل الجزائر إلى الدَّول الكبرى، واعتماد آخرين في جزائر الغرب، بدون مشاوره الباب العالي، إضافةً إلى صكِّ العملة الخاصَّة بالجزائر.¹

هي إذاً مؤشرات تدلّ على استقلاليَّة الجزائر عن الدَّولة العثمانيَّة في تلك الفترة، وسنتوسَّع أكثر حول هذه المسألة في العملية التَّركيبيَّة للأحداث. وبناءً على ما ذكرناه نجد مسافةً أمام قول المؤرِّخ الفرنسيِّ وبين الأحداث المعروفة تاريخياً، وهنا يغيب عنَّا الانطباع بالشَّعور بالحقيقة أثناء قراءة هذه النصوص الاستشراقيَّة، بسبب تركيزها على أحداث الاغتيال والقتل وجبي الضَّرائب والتنافس على المناصب، أي التَّركيز على الجوانب السَّلبيَّة لتلك المراحل وإهمال الجوانب الزَّاهية، وكأنَّها تمثِّل مراحل مظلمة من مراحل جزائر الغرب في العهد العثمانيِّ. فميولات المستشرقين الفرنسيِّين واضحةً بعدما رصدنا تلك الأنساق المضمرة، هي إذاً ميولات تُغلب المصلحة والمنفعة الجماعيَّة في إطار الانحياز ومجانبة الحياد، وتضليل المتلقِّي، حيث وردت بعض المعطيات معمَّمةً وغير دقيقة وغير كافية وغير صحيحة في بعض الأحيان، ممَّا يجعلنا نستشعر تشويهاً للوقائع بغية إعطاء فكرة سيئة عن واقع الحال الذي عرفته تلك المراحل. من جانب آخر، ومن أجل تعزيز المصداقيَّة، لمسنا اعتماد المؤلِّفين الفرنسيِّين تقديم أرقام السَّنوات في إطار عرض الحجَّة التي تُوكِّد موضوعيَّة النصوص، وهي أداة قويَّة للإقناع وإضفاء المصداقيَّة والموضوعيَّة، (1518-1887م)، (1587-1659م)، (1659-1671م)، (1671-1830م)، (1533م)، (1659م، 1671م).

¹ عمَّار بوحوش، مرجع سابق، ص.61.

ب) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابيَّة ضمن الموسوعة الإسلاميَّة (باللغة التركيَّة "وقف الديانة التركيَّ"):

إذا عرَّجنا صوب الموسوعة الإسلاميَّة باللُّغة التُّركيَّة، وتحديدًا عند نصوص المؤرِّخ التُّركيِّ الدكتور كمال قهرمان حول مراحل الحكم العثمانيِّ وسياسته، نجده قد ذكر بأنَّ الحكم العثمانيِّ قد "مرَّ بأربعة مراحل رئيسيَّة، عهد البيلربايات (1518-1587)، عهد الباشوات (1587-1659م)، عهد الأغاوات (1659-1671م)، عهد الدايات (1671-1830)"¹، ورصدًا منَّا للأنساق المضمرة في هذه النصوص، عثرنا على نسق التسمية في التسميات من قبيل "بيلربايات، باشوات، أغاوات، دايات"، فهي أسماء ليست عربيَّة ولها دلالة عثمانية، امتزجت مع اللُّغة المحليَّة في إطار التثقاف أو التكامَل الثقافيِّ بين اللُّغة العربيَّة واللُّغة العثمانيَّة.

بعدها يصف عهد البيلربايات قائلاً: "إذا كانت الروابط بين إسطنبول قويَّة في بداية عهد البيلربايات وقائد الأسطول العثمانيِّ الوالي عليِّ (قليج)، فإنَّها ستضعف بعده وتراجع".² وهنا نرصد نسق التسمية أيضاً في العبارة: "قائد الأسطول العثمانيِّ الوالي عليِّ (قليج)"، فبالإضافة إلى ذكر اسم المعنيِّ، ذكر رتبته إبرازاً للهويَّة واعترافاً بها، حيث قام بإضفاء وظيفة معيَّنة على الفاعل الاجتماعيِّ الوالي "عليِّ"، فهو قائد أسطولٍ ووالٍ، وهنا اعتراف به وبمكانته لدى المؤرِّخ. أمَّا التسمية الثانية الخاصَّة بـ"إسطنبول" فهي تعبير مجازيِّ المقصود منه السلطان العثمانيِّ وليس مدينة إسطنبول، ووظيفة الكناية هنا هي وضع الفاعل الحقيقيِّ في الخلفيَّة، أي عدم إظهاره إمَّا تبجيلاً له واحتراماً أو توريَّة وإخفاءً، والرَّاجح أنَّ المؤرِّخ قد قصد المعنى الأوَّل (تبجيلاً واحتراماً).

يسترسل المؤرِّخ التُّركيِّ متحدثاً عن عهد الباشوات ذاكراً ما يلي: "بدايةً من سنة 1587م، دخلت الجزائر عهد الباشوات، حيث يتمَّ تعيينه من طرف إسطنبول لمدة 3 سنوات، بالرَّغم أنَّهم كانوا مُعيَّنين من طرف السلطان إلاَّ أنَّهم لم يكونوا فعَّالين (لم يكن لهم تأثير في الحكم)، تركوا مهامَّهم واكتفوا بالمهامَّ الشكليَّة (البروتوكولات)، بينما تعرَّض الولاة الذين أرادوا فرض سلطتهم إمَّا للنفي أو القتل. كان خضر باشا الوالي الوحيد الذي تمكَّن من إخضاع الإنكشاريَّة سنة 1592م وإلى غاية 1635م، كان يتواجد حوالي 20.000 إنكشاريًّا".

نلمح في هذا النصِّ وجود نسق التصنيف، أين صنَّف المؤرِّخ التُّركيِّ الباشوات إلى 03 فئات: فئة غير فعَّالة: "لم يكونوا فعَّالين (لم يكن لهم تأثير في الحكم)، تركوا مهامَّهم واكتفوا بالمهامَّ الشكليَّة (البروتوكولات)"، وفئة حاولت الهيمنة فقتلت أو نُفيت: "بينما تعرَّض الولاة الذين

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.487.

² Ibid, p487.

أرادوا فرض سلطتهم إمّا للثّفي أو القتل"، وفئةٌ ضمّت الوالي خضر باشا الذي استطاع إخضاع الجيش الإنكشاريّ: "كان خضر باشا الوالي الوحيد الذي تمكّن من إخضاع الإنكشاريّة سنة 1592م وإلى غاية 1635م".

يُحيلنا هذا النّسق مباشرةً إلى نسق ثانٍ، وهو نسق الوصف، أين قام المؤرّخ بإظهار صفة السّلبية للباشوات غير الفعّالين، فجاء وصف الفئة الأولى بالتّخاذل والعجز والشكليّة: "لم يكونوا فعّالين... واكتفوا بالمهامّ الشكليّة"، أمّا الفئة الثّانية فصيفتها الفشل: "تعرّض الولاة الذين أرادوا فرض سلطتهم إمّا للثّفي أو القتل"، بينما صفة الفئة الثّالثة فهي الفاعليّة والقدرة والاستطاعة: "كان خضر باشا الوالي الوحيد الذي تمكّن من إخضاع الإنكشاريّة".

يوصل المؤرّخ التّركيّ حديثه عن عهد الآغوات مبيناً أنّه سنة 1659م أراد الوالي المعيّن علي باشا استخدام كامل صلاحياته في الجزائر، فتمّ إرساله عن طريق سفينة الغليوطة... إلى إزمير، وهكذا بدأ عهد الآغوات. وهو ما أغضب الصّدر الأعظم الكوبريلي محمّد باشا، فقام بإعدام الوالي المعاد، وأرسل خطاباً إلى الأغاوية بالجزائر مبلّغهم أن لن يُرسل خطاباً ثانياً، كما لن يسمح برُسو السفن الجزائريّة في السّواحل العثمانيّة، وقطع الذّخيرة عنها، حتّى ولو خاف الأغا وجاء إلى إزمير لطلب العفو فلن يتمّ مسامحته. وبعد وفاة الصّدر الأعظم الكوبريلي محمّد باشا، ومجيء الصّدر الأعظم الكوبريلي فاضل أحمد باشا، أصدر العفو وقام بتعيين إسماعيل باشا والياً على الجزائر، لكن بشرط أن لا يتدخّل الآغوات في أعمال إسماعيل آغا ممثّل السلطان العثمانيّ؛ حيث قبلت إسطنبول بهذه الحالة. جرت العادة في هذه المرحلة قتل الآغوات الذين لا يريدون الحكم، فالى غاية آخرهم علي آغا (1664-1671م) تمّ اغتيال آخر أربع آغوات من الإنكشاريّة بهذا الشّكل.¹

نرصد هنا نسق التّسمية من خلال ذكر الألقاب السّلطانيّة "باشا، الصّدر الأعظم، الآغوات، الإنكشاريّة"، وهي تسميات تُشير إلى وظائف معيّنة في السّلطة، وقد ركّز المؤرّخ التّركيّ بالخصوص على شخصيّة الوالي علي باشا الذي أراد استخدام كامل صلاحياته، وعلى إثر ذلك تمّ إرساله إلى إزمير، أين تمّ إعدامه بسبب إخفاقه في أداء مهمّته، وهنا كانت بداية مرحلة الأغووية، أي أنّ هذا الوالي قد شكّل نقطةً فاصلةً بين العهدين، "أراد الوالي المعيّن علي باشا استخدام كامل صلاحياته في الجزائر، فتمّ إرساله عن طريق سفينة الغليوطة... إلى إزمير، وهكذا بدأ عهد الآغوات".

يطرح النّصّ أيضاً نسق الإسناد، ضمن مجموعة من الأفعال المسندة إلى الآغوات، وهم متأثّرون بها لا يفعلونها، وهي "الإعدام والاعتقال"، وهما مصطلحان يُحيلان إلى حقل العقوبات، الأمر الذي يفترض أنّهم مذنبون، وأنّ سبب تلك الأفعال تعود إلى ارتكابهم جرائم معيّنة، وهذا ما

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.487.

يجعل معاقبتهم أمراً مشروعاً، لكن واقع الحال غير ذلك، فهناك أغواتٌ رفضوا المنصب وتمّ إعدامهم، "جرت العادة في هذه المرحلة قتل الأغوات الذين لا يُريدون الحكم"، وآخرون قُتلوا لأسباب لا تستدعي قتلهم، ضمن نزاعات قاتلة ودمويّة على السّلطة، ذهب ضحيّتها الصّالح والطّالح، ولنا عودةٌ إلى هذا المسألة في العمليّة التّركيبية لاحقاً.

يستمرّ المؤرّخ في تناول مرحلة أخرى، وهي مرحلة الدّايات قائلاً: "يُنْتخب الدّاي من طرف المجلس (أعضاء الدّيوان) الذي يُشترط أن يكون فيه منذ البداية طوال حياته، وتمّ اختيار الأربع دايات الأوائل من رياس البحر على هذا الأساس، ولكن فيما بعد، وخوفاً من نفوذ الأوجاق بدؤوا باختيار الدّاي. كان للدّايات صلاحيّات واسعة، يحكمون بأنفسهم الأسطول العسكريّ، الضّرائب، القضاء، الأمن، يُساعدهم في ذلك أعضاء الدّيوان... أما المعاملات الشرعيّة فكانت تُسيّر من طرف مفتيين اثنين، أحدهما للمذهب الحنفيّ وآخر للمذهب المالكيّ... فبعد سنة 1671م، ومن مجموع 28 داياً تمّ اغتيال نصفهم من طرف السكّان والعسكر".¹

رصدنا في هذا النّص الخطابيّ نسق التّسمية من خلال تقديم تسميات مرتبطة باللّغة العثمانيّة "الدّاي، الأوجاق"، وهي تسميات تُحدّد وظائف المسؤولين في الدّولة، وقد أُسندت إليهم صفات في إطار نسق الإسناد، حيث يملكون صلاحيّات يقومون بها ترتبط بمجالات الحكم كالعسكر والضّرائب والقضاء والأمن. وإلى جانب النّسقين رصدنا نسق الوصف الذي قدّم لنا صورةً سلبيةً عنهم، كون نصفهم تمّ اغتياله من طرف السكّان والعسكر "فبعد سنة 1671م، ومن مجموع 28 داياً تمّ اغتيال نصفهم من طرف السكّان والعسكر".

يُتابع المؤرّخ كمال قهرمان نصوصه الخطابيّة متناولاً سياسة الحكم في جزائر الغرب أثناء العهد العثمانيّ مركزاً على مرحلة الدّايات ومبيّناً أنّه "في مارس 1710م تمّ اغتيال الدّاي بكطاش بعدما قام بمهاجمة أمّ أحد جنود الإنكشاريّة، وخلفه صوقلي علي شاوش سنة 1711م، وعند تعيين إبراهيم باشا داياً على إيالة الجزائر رفض صوقلي عليّ شاوش الإذن له بالنّزول على الشاطئ وتمّ إرجاعه إلى إسطنبول. وقام أيضاً بإرسال رسالةٍ إلى السّلطان أحمد الثالث شرح فيها سلبيّات فصل الوالي والدّاي، وطلب منه دمج هاتين السّلطتين معاً، وتمّ قبول المقترح الذي تقدّم به صوقلي عليّ شاوش، وأصبح في رتبة الباشا بالإيالة، وبعدها صارت الفرمانات التي تُوجّه إلى الجزائر تُكتب بهذا الشّكل "بيلرباي الجزائر ودايها"، وبناءً عليه تمّ الجمع بين السّلطتين بيد شخص واحد بصفة رسميّة".²

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p-p.487-488.

² Ibid, p.488.

بالتركيز في النَّصِّ يُمكننا رصد نسق التَّسمية من خلال إدراج الأسماء التَّالية: "الدَّاي بكطاش، صوقلي علي شاوش، إبراهيم باشا، السُّلطان أحمد الثالث". كما ورَكَز المؤرِّخ التُّركيُّ على حادثة رفض صوقلي عليِّ شاوش الإذن لإبراهيم باشا المعين كوالٍ على جزائر الغرب وإعادته إلى إسطنبول، الأمر الَّذي ساهم في جمع سلطة الوالي مع الدَّاي لتُصبح سلطَةً موحَّدة: "وبعدها صارت الفرمانات الَّتِي تُوجَّه إلى الجزائر تُكتب بهذا الشَّكل "بيلرباي الجزائر ودايها"، وبناءً عليه تمَّ الجمع بين السُّلطين بيد شخصٍ واحدٍ بصفة رسميَّة"، وهي حادثةٌ فاصلةٌ في هذه المرحلة. نلمح أيضاً نسق الوصف المضمَّر من خلال وصف دايات جزائر الغرب على أنَّهم كانوا متمرِّدين على الدَّولة العثمانيَّة: "وعند تعيين إبراهيم باشا دايًّا على إيالة الجزائر رفض صوقلي عليِّ شاوش الإذن له بالنَّزول على الشَّاطئ وتمَّ إرجاعه إلى إسطنبول".

ثمَّ يُعلِّل لاحقاً ذاكراً سبب منح الاستقلاليَّة لجزائر الغرب قائلاً: "نظراً للنَّشاط الَّذي كان يقوم به الأسطول البحريُّ في البحر المتوسِّط، وقدم أوجاق الجزائر للمساعدة، قامت الحكومة العثمانيَّة بمنحهم الحرِّيَّة والاستقلاليَّة بالحكم بدل المركزيَّة... لم تكن الحكومة العثمانيَّة تضغط عليهم بل شجَّعتهم على الغزو، رغم كلِّ ذلك فدايات الجزائر لم يقبلوا بالولاء، ودخلوا في صراعات مع الأوجاق الآخرين، فكانوا لا يُراعون الاتفاقيات المبرمة بين الدَّولة العثمانيَّة والدَّول الأوروبيَّة، ويقومون بتصرُّفات غير مفهومة وضعت الدَّولة العثمانيَّة في حرج كبير، فكانت تُؤثِّر على أكبر مقياس للسياسة الخارجِيَّة للباب العالي، ولهذا السَّبب أُجبر أوجاق الغرب على ضرورة الالتزام بالأمن والسَّلام مع دولة النَّمسا في إطار معاهدة باساروفجا سنة 1718م الَّتِي وقَّعتها مع الدَّولة العثمانيَّة. ومع ذلك قامت سفن أوجاق الجزائر بوضع أيديهم على سفينة تجاريَّة نمساويَّة، ومن أجل التَّعويض عن الضَّرر قام الباب العالي بإرسال مبعوثين مع ممثَّلين من النَّمسا إلى الجزائر، غير أنَّ والي الجزائر عبيد باشا رفض الفرمان والهيئة نفسها. أمَّا تونس وطرابلس الغرب (ليبيا) فاستجابتا لأمر السُّلطان وقامتا بتوقيع المعاهدة مع النَّمسا سنة 1725م، وبسبب موقف عبيد باشا وعصيانه الأوامر تمَّ عزله وغيَّن مكانه الوالي أرسلان مصطفى باشا ومع ذلك لم يُعط عبيد باشا للوالي المُعين الإذن بالرسوِّ على الشَّاطئ وأصدر فتوى بقتله. من ناحية أخرى تمَّ تذكير المسؤولين الرِّسميين في الجزائر بأهميَّة مساعدات الدَّولة العثمانيَّة، وفتح سواحلها لهم وتقديم لوازم الحرب وتزويدهم بالجنود، فلم يُريدوا طاعتهم، فتمَّ إبلاغهم بالمنع من الاستفادة من الأراضي العثمانيَّة وعدم حمايتهم من الأعداء وأنَّهم سيُعاقبون (1729م). وبناءً على ذلك قامت الدَّولة العثمانيَّة بتوجيه أوامر إلى الموانئ والمدن العثمانيَّة كالإسكندرية، نيقوسيا، طرابلس، الشَّام... وغيرها بعدم تقديم المساعدة للسُّفن الجزائريَّة. لكنَّ... اغتيال الوزير الأعظم دامادا إبراهيم باشا، وعزل السُّلطان أحمد الثالث، كلِّ هذه الحوادث ومثلها، حمت الجزائر من العقوبة، وقام أهالي الجزائر في ديسمبر 1731م بإرسال وفد للاعتذار. بعد وفاة عبيد باشا بدأ الجزائريُّون

في اختيار البيروبايات بأنفسهم ومصادقة الحكومة، فكانت سياسة الدّايات الداخليّة والخارجيّة للدولة حرّة جزئيّاً، بإمكانهم إعلان الحرب والسّلم.¹

يُقدّم هذا النّصّ سرداً تاريخياً للأحداث التي ساهمت في جمع السّلطتين بيد الدّايات، والنّسق الغالب فيه هو نسق الوصف، أين يُصوّر لنا الدّايات على أنّهم كانوا متمرّدين على الدّولة العثمانيّة "تذكير المسؤولين الرّسميين في الجزائر بأهميّة مساعدات الدّولة العثمانيّة، وفتح سواحلها لهم وتقديم لوازم الحرب وتزويدهم بالجنود، فلم يُريدوا طاعتهم"، فرغم المساعدات التي كانت تُقدّمها الدّولة العثمانيّة، كانت تقع في حرج دائم مع الدّول الأجنبيّة بسبب تمرداتهم وإخلالهم بمعاهدات السّلام التي أبرمتها معهم.

وقد ضرب المؤرّخ عدّة أمثلة في إطار نسق الحجاج منها معاهدة النّمسّا، ويجدر بنا الذّكر بأنّ المثال التّوضيحيّ هنا يُعدّ تحركاً قوياً من أجل تعزيز المصادقية وإضفاء الموضوعيّة "ولهذا السّبب أُجبر أوجاق الغرب على ضرورة الالتزام بالأمن والسّلام مع دولة النّمسّا في إطار معاهدة باساروفجا سنة 1718م التي وقّعتها مع الدّولة العثمانيّة. ومع ذلك قامت سفن أوجاق الجزائر بوضع أيديهم على سفينة تجاريّة نمساويّة، ومن أجل التّعويض عن الضرر قام الباب العالي بإرسال مبعوثين مع ممثّلين من النّمسّا إلى الجزائر، غير أنّ والي الجزائر عبيد باشا رفض الفرمان والهيئة نفسها."

يُمكننا من خلال هذا النّصّ رصد نسق إضفاء المنظور كمقارنة بين العثمانيين ودّايات جزائر الغرب، أين نجد أحكاماً قيميةً عُنيّت بالتّقديم السلبيّ لدّايات الجزائر باعتبارهم متمرّدين على السّلطة المركزيّة العثمانيّة، ثمّ التّقديم الإيجابيّ للدّولة العثمانيّة باعتبارها حامية الدّول العربيّة والمسلمة، فهي من كانت تُقدّم المساعدات للدّايات وتزود عنهم وتمنع عنهم التّحرّشات الغربيّة، وخاصّة الاحتلال الإسبانيّ لقرون: "تمّ تذكير المسؤولين الرّسميين في الجزائر بأهميّة مساعدات الدّولة العثمانيّة، وفتح سواحلها لهم وتقديم لوازم الحرب وتزويدهم بالجنود، فلم يريدوا طاعتهم."

نُبادر الآن إلى نقد ما ورد في نصوص المؤرّخ التّركيّ، حيث استشرعنا عرضاً أميناً للأحداث التّاريخيّة، وبدرجة كبيرة، مقارنةً بالنّصوص الاستشراقيّة السّابقة، لكن سادها بعض التّعميم، ومثال ذلك ما ورد في العبارة التّالية: "إذا كانت الرّوابط بين إسطنبول قويّة في بداية عهد البيروبايات وقائد الأسطول العثمانيّ الوالي عرج عليّ (قلّيج)، فإنّها ستضعف بعده وتتراجع"، هي معلومات تاريخيّة معروفة، ولكن ينقصها تقديم الأمثلة والدلائل كحجج علميّة، لكنّ المؤرّخ التّركيّ تدارك الأمر لاحقاً واستشهد ببعض الأحداث التّاريخيّة مثل رفض الدّايات المرسلين من إسطنبول.

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.488.

من ناحية أخرى استشرعنا صدق معلوماته حينما تناول مدة تعاقب الباشوات على السّلطة، خلافاً لما ذكره المستشرقون من قبل "دخلت الجزائر عهد الباشوات، حيث يتم تعيينه من طرف إسطنبول لمدة 03 سنوات"، كما تحرّى الصّدق أيضاً من خلال عرضه لحادثة إعادة عليّ باشا إلى إزمير عام 1659م ورفض تولّيه الحكم، الأمر الذي أدّى إلى ظهور مرحلة الأوغوات: "سنة 1659م، أراد الوالي المُعيّن عليّ باشا استخدام كامل صلاحيّاته في الجزائر، فتمّ إرساله عن طريق سفينة الغليوطة... إلى إزمير، وهكذا بدأ عهد الأوغوات." إضافةً إلى الاستشهاد بحادثة رفض صوقلي عليّ شاوش الإذن بنزول إبراهيم باشا داياً على ولاية جزائر الغرب: "وعند تعيين إبراهيم باشا داياً على إيالة الجزائر رفض صوقلي عليّ شاوش الإذن له بالنزول على الشاطئ وتمّ إرجاعه إلى إسطنبول".

وقد تطرّق المؤرّخ التركيّ إليّ حيثيات دمج سلطنة الباشا مع الداي، ولكن باختصار شديد: "وتمّ قبول المقترح الذي تقدّم به صوقلي عليّ شاوش، وأصبح في رتبة الباشا بالإيالة، وبعدها صارت الفرمانات التي تُوجّه إلى الجزائر تُكتب بهذا الشكل "بيلرباي الجزائر ودايها"، وبناءً عليه تمّ الجمع بين السّلطتين بيد شخص واحد بصفة رسمية".

لاحظنا من جانب آخر توظيف المؤرّخ التركيّ لمصطلح "إيالة" عند الحديث عن جزائر الغرب، وهو ما يدلّ على عملية اجترار لهذا المصطلح، والتي طالت العديد من الباحثين دون تمحيص وتدقيق، وقد وقفنا في المبحث السابق عند هذا المصطلح وبيّنا أنّ مصطلح "إيالة" لم يرد في الوثائق العثمانية الكثيرة والمتنوعة التي استشهدنا بها في هذه الدراسة بل وردت مصطلحات أخرى، تناولناها بالتفصيل في المبحث الخاصّ بالمصطلحات.

تستوقفنا نقطة مهمّة في هذا النّص، وهي تركيز المؤرّخ التركيّ على شخصيّة الوالي خضر باشا، والتّعامل مع باقي الباشوات بشكل جماعيّ، دون ذكر لأسمائهم أو مواصفاتهم أو أعمالهم، وهي في نظرنا محاولته للاحتفاء بالبطل دون غيره، "الوالي خضر باشا": "كان خضر باشا الوالي الوحيد الذي تمكّن من إخضاع الإنكشارية سنة 1592م وإلى غاية 1635م".

هذا من جهة، ومن جهة أخرى قام بعرض مرحلة الدايات بشكل موجز جداً ولكنّه احتوى على مجمل معالم تلك المرحلة كالاستقلالية مثلاً: "كان للدايات صلاحيات واسعة، يحكمون بأنفسهم الأسطول العسكريّ، الضرائب، القضاء، الأمن، يُساعدهم في ذلك أعضاء الديوان... أما المعاملات الشرعيّة فكانت تُسيّر من طرف مفتيين اثنين، أحدهما للمذهب الحنفيّ وآخر للمذهب المالكيّ". ثمّة تركيز آخر من جانب المؤرّخ التركيّ على معاهدة النمسا مع الدولة العثمانية عام 1718م، وكيف أنّ ولاية جزائر الغرب لم تلتزم بها، ولكنّه في الوقت نفسه تغاضى عن ذكر أمثلة عن المعاهدات التي أبرمتها

الدولة العثمانية مع فرنسا والتي خالفها رجال البحرية الجزائرية والحكام في بعض الحالات، وإنما لنجد بدءاً من الوقوف عند العلاقات الفرنسية العثمانية والجزائرية، لنستتير أكثر عن حيثياتها من خلال الوثائق العثمانية، خاصة وأنه لم يتمّ التطرق إليها في النصوص الموسوعية.

لقد تأسست عام 1535م أول سفارة فرنسية في إسطنبول، وفي العام نفسه قامت الدولة العثمانية بمنح امتيازات عديدة، تجارية وعسكرية لفرنسا، حتى أنّ الدول الأوروبية كانت ترفع العلم الفرنسي على سفنها ليُسمح لها بممارسة التجارة مع الدولة العثمانية.¹ وقد حرصت الدولة العثمانية على الالتزام بالمعاهدات التي أبرمتها مع الدول الأوروبية، وعدم الإخلال بها، وكانت دائماً التأكيد على رجال البحرية الجزائرية بالتقيّد بها. ففي عام 1567م أرسل السلطان العثماني سليم الثاني خطاباً إلى الملك الفرنسي شارل التاسع ردّاً على خطاب الملك إليه، والذي طلب فيه الإيعاز إلى جنود جزائر الغرب بعدم التّدخل في شؤون فرنسا، كما أكّد فيها السلطان العثماني على العلاقات الودية التي تربط الدولة العثمانية بملوك فرنسا، وعدم تكرار تدخّل الجزائريين وتأديب كلّ من يُخالف المعاهدة التي تربطهما.

وقد ورد في الوثيقة العثمانية ما يلي (ينظر الملحق رقم 41): "صورة الخطاب السلطاني المرسل إلى ملك فرنسا. افتخار الأمراء العظام العيسوية، مختار الكبراء الفخام في الملة المسيحية، مُصلح مصالح جماهير الطائفة النصرانية، صاحب أذيال الحشمة والوقار، صاحب دلائل المجد والافتخار ملك فرنسا خُتمت عواقبه بالخير، عند وصول فرماني السامي السلطاني ينبغي أن يكون معلوماً: وصل مترجمكم وسفيركم جوغان بسته حاملاً خطابكم وهديتكم إلى عتبة سعادتي العليا وسدتي السنّية التي هي ملجأ السلاطين ذوي القدر العالي، وملاد الملوك ذوي الاقتدار، ليبلغ أنّ صداقتكم وإخلاصكم لأستانة سعادتنا دائماً وقائمة منذ عهد آبائكم وأجدادكم، وأنكم مستمرّون على العهد والأمان، وأشدتم تنبيه جنود الإسلام المنصورين المقيمين في الجزائر والتأكيد عليهم بعدم التّدخل ببلادكم وأماكنكم خلافاً للمعاهدة، وإرسال حكمي السلطاني بهذا الصّد إلى ولّاتي وجنودي في تلك الأرجاء ليتمّ تنبيههم والتأكيد عليهم... وعليه فإنّ آباءكم وأجدادكم تربطهم علاقة ودّ وصداقة مع أستانة سعادتنا منذ سوابق الأعوام ولحدّ الآن، وظالما أنّه لم يصدر من ذلك الطّرف ما يُخالف المعاهدة، فإنّه لم يصدر من هذا الجانب ما يخلّ بها، وظالما أنّ آباءكم وأجدادكم وكما أنتم ثابتو القدم وراسخو الدّم في الصّداقة والإخلاص تجاه عتبتنا العليا، وأصبحتم أصدقاء لأصدقائنا وأعداء لأعدائنا، فينبغي أن تراعوا العهد والأمان كما يجب، وقد تمّت مراعاة ذلك من هذا الجانب كذلك بأضعاف المضاعفات، ولم يتمّ الجواز لخلافه، وكلّ من يقومون بذلك يتمّ تأديبهم... وينبغي عند وصوله، أن

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع

تقوموا دائماً بمراعاة شروط العهد والأمان تجاه سدة سعادتنا مثل آبائكم وأجدادكم، ولا توافقوا على ما يخالف ذلك، وأن تبذلوا قصارى جهدكم في مجال تأديب من يقومون بذلك، وقد أرسلتُ أحكامي الشريفة إلى ولاية الجزائر وطرابلس الغرب تقضي بعدم التّدخل في شؤون بلادكم وولايتكم ورعاياكم بعد اليوم خلافاً للعهد، وتمّ التنبية عليهم بتأديب كلّ من يقوم بذلك. " في 17 ربيع الآخر 975هـ، 21 تشرين الأوّل/أكتوبر 1567م.¹

وبالنسبة للحكم الشّريف الذي أرسله السلطان العثمانيّ سليم الثاني عام 1567م إلى بكربكي جزائر الغرب، فقد شدّد فيه على عدم الإغارة على الأماكن التابعة للفرنسيين وعدم أسرهم وتأديب المخالفين للحكم والمعاهدة، حيث ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 42): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. أرسلَ ملك فرنسا رسالة إلى سدة سعادتي ليبلغ فيها، أنّ السفن الجزائرية تقوم إلى جانب الجنود بالتوجّه إلى البلاد والأماكن الواقعة قبالة الجزائر والإغارة عليها وأسر رعاياها خلافاً للمعاهدة. وبناءً عليه فإنّ الفرنسيين على علاقة ودّية مع سدة سعادتي منذ القدم، ولا يجوز التّدخل في بلادهم وأماكنهم، وأمرت: عند وصوله، تتقيّد في هذا الصّدّد دائماً وتنبّه العسكر، وتؤكّد عليهم بالشكل اللازم ألاّ يقوموا بعد اليوم بالإغارة على القلاع وغيرها من الأماكن التابعة للفرنسيين، وعلى رعاياهم، ولا يأخذوا أسرى منهم، وتحول دون قيامهم بعمل خلافاً للمعاهدة، وتؤدّب القائمين بذلك، وفي حالة قيامهم بالشكوى فإنّك تتحمّل عواقبها. " في 17 ربيع الآخرة 975هـ، 21 تشرين الأوّل/أكتوبر 1567م.

وقد سلّمتُ منه صورة إلى بكربكي طرابلس الغرب، وسلّمتُ إلى موفد سفير فرنسا في 22 ربيع الآخر 975هـ، 26 تشرين الأوّل/أكتوبر 1567م.² ويُمكننا في السياق نفسه إضافة حكم سلطانيّ آخر أرسل إلى أمراء جزائر الغرب وأعيانها وأغواتها وقادتها عام 1572م، يأمرهم فيه السلطان العثمانيّ سليم الثاني بعدم مهاجمة الأماكن التابعة للفرنسيين، وعدم التّدخل بشؤون تجارتها، والتأكيد على الإغارة على البلاد الإسبانيّة، حيث جاء فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 43): "حكم أمراء ولاية جزائر الغرب وأعيانها وأغواتها وقادتها. يرتبط ملك فرنسا، ومنذ قديم الزّمان، ولحدّ الآن بكمال الإخلاص، وأشدّ الارتباط بأستانة دولتي، ولهذا فإنّني لا أقبل التّدخل بالأماكن التابعة للفرنسيين، وبشؤون التّجار، فينبغي أن تحاطوا من حدوث وضع مخالف للعهد والأمان. ومن المزمع خروج أسطولي السلطانيّ العظيم إلى البحر في هذا الرّبيع المبارك بمشيئة الله الأعز، ويتمّ تدبير الأمر حسب ما هو مناسب، وتقومون بالإغارة على بلاد إسبانية اللّعينة ونهبها وإلحاق الضّرر بها، من هذا الجانب وبالوجه المناسب، وذلك بزوارق اللّونذ الموجودة في تلك الدّيار، والسفن الخاصّة (العثمانيّة الرّسميّة) التي استلمها البكلكي وذهب بها. " أرسل في 23 شوال 979هـ، 09 آذار/مارس 1572م.³

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص.242.

² المرجع نفسه، ص.244.

³ المرجع نفسه، ص.245.

وبالرغم من التأكيد على مراعاة المعاهدة وعدم الإخلال بها إلا أن رجال البحرية كانوا يخرقونها ويعتدون على الممتلكات الفرنسية، فتضطر فرنسا إلى تقديم شكوى إلى السلطان العثماني، الذي يُصدر بدوره حكماً يقضي بعدم التدخل في الشؤون الفرنسية وتأديب الفاعلين، حيث أبلغ السفير الفرنسي عام 1582م السلطان العثماني مراد الثالث بأن أحد رؤساء اللوند (رجال البحرية) قد أغار على إحدى البوارج الفرنسية، خلافاً للمعاهدة التي تجمعهما، الأمر الذي جعل السلطان يُصدر الحكم التالي (ينظر الملحق رقم 44): "حُكم إلى بكربكي جزائر الغرب. تم الإبلاغ بأن الرئيس المدعو مراد الأرنأووطي، هو من رؤساء اللوند (رجال البحرية) صادف إحدى البوارج الفرنسية، وأغار عليها وألحق الضرر بها خلافاً للصّح والصلاح، وعليه فقد أمرت بإرسال المذكور إلى هذا الطرف وأمرت: عند وصوله، أن تُلقى القبض على المذكور، وتُرسله عاجلاً إلى سدة سعادتني." في 07 ربيع الأول 990هـ، 01 نيسان/أبريل 1582م.¹

لكن الأمر لم يتوقف عند إغارة بعض رجال البحرية الجزائرية على الفرنسيين، بل إن بكربكي جزائر الغرب، عام 1587م، وهو حسن فينيزيانو باشا، وعض أن يُسهّل عمل المسؤولين الموفدين إلى جزائر الغرب من قبل مركز الدولة بغية إجراء التحقيقات اللازمة للفصل قضائياً في مسألة الإخلال بمعاهدة الصّح والسلام بين الدولة العثمانية وفرنسا، قام البكربكي بعرقلة سير التحقيق، حيث اعترض طريق موفد الدولة المكلف بالتحري عن بضائع التجار الفرنسيين المغتصبة في البحر، وقام باحتجازه.

وبناءً عليه أصدر السلطان العثماني مراد الثالث أمراً إلى البكربكي الجديد دالي أحمد باشا بإعادة موفد الدولة، والإبلاغ عن أسماء من أخلّ بالمعاهدة. وقد ورد في الحكم السلطاني ما يلي (ينظر الملحق رقم 45): "حُكم إلى بكربكي جزائر الغرب أحمد باشا. سبق أن أوفد محمد زيد قدره، وهو من بوابي عتبي العليا، إلى ولاية جزائر الغرب، وزوّد بأحكام شريفة بغية التحري عن بضائع تجار فرنسا التي سبق وأن تم نهبها في البحر، وعندما أراد التوجه إلى أستانة سعادتني، بعد أن وضع أمتعته في السفينة، أخرجته بكربكي جزائر الغرب السابق منها، ولم يسمح له بالسفر، بل احتجزه، ولهذا فقد استحق التوبيخ، وأمرت: عند وصول حكيمي الشريف، وعند وصولك إلى تلك الجهة تقوم دون أي تأخر أو توقف بإرسال البواب المشار إليه إلى أستانة سعادتني، وأن تكتب مبلّغا بموجب أمري الصادر عن أسماء من وضعوا اليد على أمتعته، واعترضوا سبيله خلافاً لأمري الشريف، كائنين من يكونوا، حتى يتم تأديبهم." أرسل في 15 ربيع الأول 995هـ، 23 شباط/فبراير 1587م.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص. 252.

² المرجع نفسه، ص. 253.

ورغم عمليات الإغارة على السفن الفرنسية من قبل رجال البحرية، خلافاً للمعاهدة بين الدولة العثمانية وفرنسا، إلا أنّ جزائر الغرب كانت تمتثل أحياناً لأوامر الباب العالي، وتقوم بتقديم المساعدة لفرنسا، ففي عام 1595م، أرسل سفير فرنسا في إسطنبول طلباً إلى السلطان العثماني محمد الثالث، ناشد فيه تعيين بكربكي الجزائر قائداً على سفن الجزائر وتونس للمشاركة في الحملة العسكرية الفرنسية ضدّ إسبانيا، العدو المشترك لهما. وبناءً على العلاقة الودية بين فرنسا والدولة العثمانية، أصدر السلطان العثماني حكماً إلى بكربكي جزائر الغرب يأمره بتولي قيادة سفن ولاية جزائر الغرب وتونس، والتّخاير مع ملك فرنسا وتقديم المساعدة له واقتحام الأراضي الإسبانية، دون نسيان تعيين رجال أكفاء بغية إدارة الولاية.

وقد ورد في الحكم السلطاني ما يلي (ينظر الملحق رقم 46): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. أرسل سفير ملك فرنسا في سدة سعادي عريضةً إلى عتبي العليا أبلغ فيها بأنّ المرحوم والذي السلطان أرسل في السنة السابقة خطاباً سلطانياً إلى ملك فرنسا... أورد فيه أنّه يتمّ شنّ حملة على عدوتنا إسبانيا، ونُرسِل نحن من هذا الجانب الأسطول السلطاني العظيم، فنتوجّهون أنتم من جهة البرّ والأسطول من البحر، حتّى يتمّ أخذ ثأري من العدو. وقام المشار إليه بموجب الخطاب بتهيئة جيش جزائر... لكن وبسبب حلول مناسبة جلوسي السلطاني فإنّه لم يتيسر انطلاق الأسطول العظيم في هذه السنة. ونظراً لكفاءتك ولكونك صاحب تدبير، فقد ناشد السّفير تعيينك قائداً على سفن الجزائر وتونس والتّوجّه بها إلى المحلّ المعين والمباشرة بفتحه. وبناءً عليه... وفي عهدي الشّريف أمرت أن تتولى أنت قيادة سفن الجزائر حسب فرماني جليل القدر، وتتخاير مع المشار إليه... وتقدّم المساعدة بكلّ أشكالها... وتتشاير مع بكربكي تونس وتعلمه بالأمر، وأن تقوموا عند انطلاقتكم بتعيين أشخاص أكفاء للمحافظة على جزائر الغرب وتونس... من الأعداء بالشكل اللازم، وتدبّر الأمر بالشكل الذي لا يُبقي هناك أيّ احتمال لتعرض البلاد من الضّرر من قبل العدو والعياذ بالله. وعند عبورك إلى جهة إسبانيا... تتوخّى الحذر وبشكل كبير من تعرض سفن أسطولي السلطاني الموجود عندك من الضّرر، وحمى وكرامة سلطنتي من الاعتداء من قبل سفن الكفار بأيّ شكل من الأشكال، وقد صدر أمر يقضي بعدم اعتراض عبيدي الإنكشارية في الجزائر وعبيدي الإنكشارية في تونس على أمري." فُدّم للسّفير الفرنسي في 06 محرّم 1004هـ، 11 أيلول/سبتمبر 1595م.¹

هذا عن العلاقة بين جزائر الغرب وفرنسا والدولة العثمانية في إطار معاهدات السلام المبرمة، فقد كان رجال البحرية يُخلّون بها أحياناً وأحياناً أخرى يحترمونها. وشبيه بما لجأ إليه المستشرقون الفرنسيون نجد أنّ المؤرخ التركي كمال قهرمان، ومن أجل تعزيز مصداقية نصوصه لجأ إلى الاستعانة بعرض الأعوام في إطار تقديم الحجّة التي تؤكّد على موضوعيّة النصّ، وهي

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 255-256.

أداة قويّة للإقناع وإعطاء المصادقية، كما أشرنا سابقاً: (1518-1587)، (1587-1659م)، (1659-1671م)، (1671-1830)، 1587م، 1592م، 1635م، 1635م، 20.000 إنكشاري، 1659م، (1664-1671م)، 28 دايا، 1710م، 1711م، 1718م، 1725م، 1729م، 1731م.

في الأخير، يُمكننا القول أنّ نصوص المؤرّخ التّركي تُعدّ نصوصاً جامعةً لمعلومات قيّمة ودقيقة وقرينة جدّاً من الأحداث المتداولة في معظم أمّهات الكتب التاريخيّة، وهي حاملة أيضاً لإيديولوجيّة ممجّدة ومفتخرة بالعهد العثمانيّ، بدون تضليلٍ للقارئ، بحيث نستشعر عطفاً وانحيازاً، ضمن ضبطٍ للأحداث زماناً ومكاناً. والمؤكّد أنّ نصوص المؤرّخ التّركي قد ساعدتنا بدرجة كبيرة على مقارنة الرواية الغربيّة مع الرواية التّركيّة، فالنصوص الاستشراقية تنزّع إلى تصوير العثمانيين مستغلّين للإمكانات الجزائريّة، وناهيين لثرواتها. بينما تُبرز الفقرات الأخيرة من نصوص المؤرّخ التّركي خلاف ذلك، فالدولة العثمانية كانت تُقدّم الإمدادات والمساعدات لجزائر الغرب، وفي المقابل كانت تتعرّض في بعض الأوقات للتعنّت من قبل حكّام جزائر الغرب، خاصّة في المرحلة الأخيرة، ممّا وضع الدولة العثمانية في مواقف حرجة مع الأوروبيّين.

2) العملية التّركيبية لبعض الأحداث التاريخية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية

(الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التّركية "وقف الديانة التّركي") والوثائق

العثمانية استشهداً (المراحل السياسيّة):

أ) العملية التّركيبية للمراحل السياسيّة التي عرفتها جزائر الغرب في العهد العثمانيّ،

مع الاستشهاد بالوثائق العثمانية:

ننتقل الآن إلى مرحلة مهمّة جدّاً، وهي العملية التّركيبية للأحداث، مع التّركيز على الجوانب التي أهملت في النّصوص الموسوعيّة، إضافةً إلى محاولة اقتراح مراحل بديلة عن المراحل التي عهدناها كنوعٍ من تجاوزِ الاجترار التاريخي للأحداث، لهذا سنعرض كبداية المراحل المعهودة ثمّ نُلحقها بمقترحنا.

* المراحل السياسية التي عرفتها جزائر الغرب في العهد العثماني:

اتفق جل المؤرخين في الموسوعتين، وفي المؤلفات الإسطوغرافية العربية والمحلية على أن جزائر الغرب قد عرفت 04 مراحل من الحكم، وقد أضاف المؤرخ أحمد توفيق المدني مرحلة خامسة في بداية الحكم العثماني وسمّاها "عصر الفتح؛ بابا عزّوج وخير الدين 1512-1546م".¹ المؤكّد لدينا أن مقترح هذه المراحل كان استشراقياً بالدرجة الأولى، ومصدره الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية)، وقد تمّ لاحقاً تداول ذلك التقسيم من قبل الباحثين، سواء المؤرخين الغربيين أو العرب أو المحليين أو حتى الأتراك منهم على أساس أن الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) قد تُرجمت إلى اللغة التركية، كما ذكرنا ذلك في الفصول السابقة، ونَهَل منها المؤرخون الأتراك قبل إصدار الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، الأمر الذي يدفعنا الآن إلى مسابقة تلك التقسيمات العامة 04 كمرحلة أولية وعرضها بشكل موجز، وبعدها سنعرض مقترحنا الزافض لتلك المراحل كرواسب الثقافية.

لقد ذكر المؤرخ محمد الميلي، وكغيره من المؤرخين المحليين المعروفين، أن الحكم العثماني قد عرف 04 مراحل، أطلق عليها أغلبهم مصطلح "عهد": عهد البيلربايات، عهد الباشوات، عهد الأغوات، وعهد الدايات.²

فأما مرحلة البيلربايات، وهي في الأساس جمع بيلرباي، أي أمير الأمراء، وهو لقب يمنحه السلطان العثماني مع كوة الشرف القفطان المذهب للحاكم. وقد حُدّدت فترتها من 1519م إلى 1587م، ويُمكننا الإشارة في هذا المقام إلى أن هذه الفترة هي فترة اعتلاء سدّة الحكم في جزائر الغرب من قبل الحكّام العظماء الذين بذلوا النفس والنّفس من أجل صون جزائر الغرب وأهاليها من التّحرّشات الأوروبية، وساهموا بشكل مباشر في الدفاع عن الإسلام بجهادهم في سبيل الله، أمثال المجاهد خير الدين باشا، وحسن آغا، وحسن باشا ابن خير الدين باشا، وقلّيج علي وغيرهم.

من جانب آخر، نجد أنهم مارسوا سلطتهم أحياناً بطريقة مباشرة وأحياناً أخرى عن طريق تفويض نواب لهم بسبب انشغالاتهم وارتباطاتهم بمركز الدولة في إسطنبول، كما جمع معظمهم بين وظيفة البيلرباي (أمير الأمراء) وبين منصب قبطان باشا، وقد علت سلطتهم على سلطة

¹ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص.23.

² محمد الميلي، مرجع سابق، ص.121.

باشوات طرابلس الغرب وتونس في بادئ الأمر، وسيطروا على القوتين العسكريتين الأساسيتين في جزائر الغرب: الجندية البرية (طائفة الإنكشارية) والجندية البرية (طائفة رياس البحر) بشكل قوي وصارم.¹ وقد تم اختيارهم على أساس شجاعتهم وقوتهم وبسالتهن ونزاهتهن وشهامتهن، حيث ذكرت هذه المواصفات في الوثائق العثمانية التي كانت تصدر أوامر التتصيب، وخير مثال على ذلك الخطاب السلطاني الذي يحمل اسم "مرسوم شريف" الصادر عام 1572م من قبل السلطان سليم الثاني، والموجه إلى العلماء والشرفاء والصالحاء والمشايخ والأعيان في جزائر الغرب، يُبلغهم فيه أسباب تعيين أحمد عرب باشا والياً على جزائر الغرب.

وقد ورد في المرسوم ما يلي (ينظر الملحق رقم 39): "... قلدنا أمور تلك الممالك المحمية، وتلك الأقاليم المحروسة... مملوك حضرتنا العلية أمير الأمراء الكرام أحمد دام إقباله لفرط شهامته وصلابته، وكمال عزمه وشجاعته وحسن تدبيره وكياسته، وفوضنا إليه ضبط تلك الأقاليم وصونها والاهتمام بها وحفظ البلاد وصون العباد، ودفع المحن والرزايا عن جميع الرعايا، وإحياء شرائع الدين المتين، وإجراء قوانين سيد المرسلين، ليكون أهالي الإسلام في ظل ظليل، وعدل جميل تحت كنف حماية سلطنتنا السنية، وفي زمن خلافتنا الفائقة عن إيمانهم وعن شمائلهم محفوفين بأكمل الراحة مرفهين، وأجمل الاستراحة منعمين، آمنين مطمئنين بحيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون." سلم إلى كتحذا أحمد عرب، في 19 شوال 979هـ، 05 آذار/مارس 1572م.²

وفي المرسوم المرسل في العام نفسه إلى أحد الزعماء المحليين (لم يُذكر اسمه) إظهاراً لخصال بيلرباي جزائر الغرب أحمد باشا من قبل السلطان العثماني سليم الثاني، وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 40): "وأظهرنا عوارفنا الجميلة الخاقانية في حق مملوك حضرتنا العلية وخلصنا خدام سدتنا السنية أمير الأمراء الكرام أحمد، دام إقباله، وقلدنا ولاية الجزائر الغربية، وما تابعها إياه، وفوضنا إليه جميع ما يتعلق بالولاية المحمية لكامل الاعتناء بدينه وديانته، وفرط شجاعته وشهامته وحسن تدبيره بالزأي الصائب وتداركها الثاقب، وأمرناه بإجراء ما اقتضاه الشرع المبين، وإحياء مراسم الدين المتين، وضبط الرعايا والممالك، وحفظ البلاد والمسالك." سلم إلى كتحذا أحمد عرب في 19 شوال 979هـ، 05 آذار/مارس 1572م.³

¹ محمد خير فارس، تاريخ الجزائر من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط¹، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1969، ص.57.

² فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع

سابق، ص-ص.69-70.

³ المرجع نفسه، ص-ص.71-73.

يُتضح ممّا سبق حرص السلطان العثمانيّ على أن يتقلّد حُكم جزائر الغرب، الحاكم الشجاع والباسل المغوار الذي يسعى جاهداً إلى خدمة الأهالي والبلاد. لقد تناوب على الحُكم خلال هذه الفترة 20 حاكماً، منهم من عاد إلى الحُكم مرتين أو أكثر،¹ كما تنوّع أصلهم، فمنهم العلجي كحسن آغا وحسن قورصو، ومنهم التُّركيّ كقائد صفا ومحمّد باشا تكري، ومنهم العربيّ كصالح ريس وعرب أحمد، ومنهم الكرغلي كحسن بن خير الدين باشا.²

وفي هذا الصدد ذكر المؤرخ حمدان خوجة أنّ العثمانيين قد سعوا جاهدين إلى إشراك أهالي جزائر الغرب في الديوان، غير أنّهم رفضوا حتّى لا يكونوا مسؤولين أمام الحكومة، وفضّلوا أن يكونوا وسطاء بين الحاكم وأهالي البلاد، ومراقبين لما يقوم به الحاكم أو أعوانه من أعمال، أملاً منهم بأنّ سلوكهم هذا قد يجعل الحكّام العثمانيين أكثر ارتباطاً بالولاية، ويرتاحون للثقة التي يولونها إيّاهم، غير أنّ ذلك لم يمنع من وجود فئة من الأهالي كانت تصبوا إلى اعتلاء المسؤولية، ولكنّها في الوقت نفسه كانت تقدّس القوانين ولا تُخالفها أبداً.³

وبالحديث عن القوانين في تلك الفترة يُمكننا القول أنّها كانت نابعة أساساً من القرآن الكريم كمصدر للتشريع، ضمن شيوع مذهبين: المذهب المالكيّ الخاصّ بالأهالي، والمذهب الحنفيّ الخاصّ بالأقلية التُّركيّة.⁴ وقد امتدّ الحكم العثمانيّ في فترة البيلربايات إلى الحدود المغربيّة والتونسيّة وتوغّل في عهد صالح ريس إلى واحات ورقلة وتقرت.⁵

نخلص إلى أنّ هذه المرحلة كانت من أزهى مراحل جزائر الغرب في العهد العثمانيّ، حيث سعى حكامها إلى إنعاش البلاد اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً... الخ، وآزرهم في ذلك العنصر الأندلسيّ الذي وظّف خبراته في ترقية المهن والبناء العمرانيّ وتقوية الاقتصاد،⁶ الأمر الذي ساهم في تنمية البلاد وازدهارها.

معلوم أنّ المرحلة التي تلت مرحلة البيلربايات هي مرحلة الباشوات، وقد حدّدت فترتها من 1587م إلى 1659م، ويعود سبب الانتقال إلى هذه المرحلة، حسب المؤرّخة عائشة غطّاس، إلى "خوف السّلطة العثمانيّة في إسطنبول من تحوّل الجزائر نحو الاستقلاليّة، خصوصاً بعد عقد

¹ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.45.

² المرجع نفسه، ص.45.

³ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.88.

⁴ أحمد السليمانيّ، النّظام السياسيّ الجزائريّ في العهد العثمانيّ، منشورات دحلب، 1994م، ص.11.

⁵ محمّد خير فارس، مرجع سابق، ص-ص.57-58.

⁶ عمّار بوحوش، مرجع سابق، ص.57.

الدولة العثمانية الهدنة مع إسبانيا في 1580م، وتحوّل اهتمامها نحو الشرق، مما قد يُشجّع البيلبايات الذين كانت تخضع لهم تونس وطرابلس الغرب على ضمّ المغرب وتشكيل وحدة سياسية متماسكة تستقلّ عن السّلطة العثمانية، ويبدو أنّ هذه المخاوف قد غداها السّفراء الغربيّون الذين كانوا يخشون من هذه الوحدة.¹ وقد ورد رأيها بخصوص أسباب الانتقال مطابقاً لرأي المؤلّفين الفرنسيّين في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، حيث ذكر المستشرق الفرنسيّ مارسال كولومب العبارة: "فتطّلع بعض هؤلاء العمّال إلى الاستقلال، فحمل ذلك الحكومة العثمانية على أن يستبدلوا بهم باشوات تستمرّ مدة حكمهم ثلاث سنوات."²

الواضح أنّ هذه المرحلة قد شهدت تعيين باشوات كموظّفين معيّنين من قبل الباب العالي بإسطنبول، حيث كان معظمهم غريباً عن البلاد، ولا يملك أيّ سند محليّ بين القوى، خلافاً لما عهدناه في مرحلة البيلبايات، أين كان الحكّام من رجال البحر أصحاب الصّيت الذّائع والشخصيّة القويّة في الدّاخل والخارج، المجاهدون في سبيل الله برعاية السّلطان العثمانيّ. هكذا ظلّ باشوات ولاية جزائر الغرب غرباء دون سند ولا احترام، حيث تطاولت عليهم الجندية البرية (طائفة الإنكشارية) والأهالي معاً، بينما انصرفت الجندية البحرية (طائفة رياس البحر) ورجالها إلى ممارسة نشاطاتها البحرية.³ دام تعيين الباشوات على رأس وظائفهم 03 أعوام.⁴ وكان من النّادر جدّاً أن يكمل أحد الباشوات مدّته، بسبب الصّراعات بين الجندية البرية والجندية البحرية.⁵ فتعاقب على الحكم أكثر من 40 باشا، منهم من تجدد تعيينه لأكثر من مرّة، ومنهم من تعرّض للعزل والسّجن على يد الأوجاق،⁶ وأحيانا كان يتناوب من 02 إلى 03 باشوات على السّلطة في العام نفسه، فمثلاً في عام 1594م، مصطفى باي وخضر باشا، وفي عام 1617م، كوسه مصطفى باشا، سليمان باشا والشّيخ حسين باشا.⁷

¹ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 49.

² مارسال كولومب، مرجع سابق، ص. 2873.

³ محمّد خير فارس، مرجع سابق، ص. 59.

⁴ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص. 540.

⁵ محمّد خير فارس، مرجع سابق، ص. 64.

⁶ المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

⁷ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 49.

وخلافاً لمرحلة البيلبايات، فقد اقتصر الحكم على العنصر العثماني أمثال استانكولي أحمد باشا وبورصالي محمد باشا وغيرهم.¹ لقد تميّزت هذه المرحلة بالصراع على السلطة بين الباشا الحاكم والجنديّة البرية (طائفة الإنكشارية)، ممّا أدّى إلى نشوب ثورات وتمردات عديدة ساهمت في شيوع الفوضى وعدم الاستقرار، حيث استولت الجنديّة على السلطة الفعلية، وأضحى الباشا الحاكم يُعلن القرارات الرسميّة على النحو التالي: "نحن باشا وديوان ميليشيا الجزائر التي لا تُغلب"، ولكي يستمرّ الباشا في منصبه ظلّ يُساير الديوان ويُقرّ قراراته.²

لاحقاً تقلّصت مهامّ الباشا حتّى غدت تنحصر في الإقامة في القصر مع قسمٍ من الحرس، مع تنفيذ بعض الاتّفاقات،³ ودفع أجور الجنديّة البرية، وفي حال عجزه عن التّسديد يثورون ضده ويُرْمى في السّجن، أمّا إذا كان متسلّطاً فيقال من منصبه ويُسجن ويستلم الديوان زمام الأمور⁴ أو يُقتل⁵. وبعد فترة نُزعت منه حتّى صلاحية دفع الأجور ومُنحت لرئيس الجنديّة البحريّة (طائفة رياس البحر).⁶

من جانب آخر، ظهرت أول ثورة للكراغلة بسبب سياسة الإقصاء التي مارسها الحكّام، وانتهت بمقتل عدد كبير منهم وفرار ما تبقى،⁷ وإلى جانبها ثورات القبائل بقيادة زعمائها المحليين المتمسّكين بالاستقلال عن الدولة العثمانية، دون نسيان الصّراعات بين الجنديّة البحريّة والجنديّة البرية.⁸ ففي عام 1659م حسم الجند الصّراع القائم بينهم وبين الباشوات، وألغى الديوان منصب الباشا وأسند السلطة إلى قادة الجنديّة البرية (طائفة الإنكشارية)،⁹

وبدأت حينها **مرحلة الأغوات**: تلك المرحلة الممتدّة من 1659م إلى 1671م، وقد استُهلّت بامتناع الباشا إبراهيم عن تسديد أجور الجند، كما واقتطع مبلغاً من المكافأة الموجهة للجنديّة البحريّة من قبل السلطان، الأمر الذي جعل المؤسّسة العسكريّة بشقيها تتور عليه وتُلغي منصب

¹ عائشة غطّاس وآخرون، المرجع السابق، ص.49.

² محمّد خير فارس، مرجع سابق، ص.60.

³ فاضل بيّات، الدولة العثمانية في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص.540.

⁴ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.50.

⁵ فاضل بيّات، الدولة العثمانية في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص.540.

⁶ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.50.

⁷ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

⁸ محمّد خير فارس، مرجع سابق، ص.60.

⁹ المرجع نفسه، ص.65.

الباشوية¹ والامتيازات الخاصة به، مثل دفع المعاشات، تعيين القواد، ممارسة القضاء على أهل البلد، فلم يبق له سوى اللقب الشرفي²، والفخري.

في تلك الأثناء كانت الدولة العثمانية منشغلة بالحروب في أوروبا وفي الشرق مع إيران، وبقمع الإضرابات في الأناضول، مما جعلها عاجزة عن الاهتمام بأمور الولايات البعيدة كولاية جزائر الغرب³، فاستغلت الجندية البرية الوضع وأظهرت العصيان ضد أي مظهر من مظاهر التبعية للدولة العثمانية، وابتداءً من عام 1659م، بدأ انتخاب الأغوات من بين أفراد الجندية البرية (طائفة الإنكشارية)، وتم الاتفاق بينهم على بقاء كل آغا يتم اختياره في الحكم لمدة شهرين، وفي حال رغبته في الاحتفاظ بالسلطة فإن مصيره يكون القتل كإجراء للتغيير⁴. كانت فترة سماها المؤرخ التركي إسماعيل حقي أوزون جارشيلي "فترة الانتخاب الدموي"، التي دامت 10 أعوام وانتهت عام 1671م⁵.

وأول من تولى الحكم من الأغوات هو خليل آغا، وصادف ذلك تعيين علي باشا والياً على جزائر الغرب من قبل الباب العالي بإسطنبول عام 1659م، إلا أن خليل آغا رفض التعيين، ووضع الوالي مع حاشيته في سفينة وأرسلهم إلى إزمير، ولما علم الصدر الأعظم محمد باشا الكوبريلي امتعض واستاء، ثم استدعى الوالي المعين إلى إسطنبول وأمر بقتله بسبب إخفاقه في مهمته، بعدها أرسل إلى آغا جزائر الغرب قائلاً: "لن نرسل إليكم من الآن فصاعداً والياً، فبايعوا من تختارون من بينكم، فأنتم طائفة عاصية لا تطيعون السلطان، ولا حاجة له لعبوديتكم، فإنه يمتلك آلاف البلاد كالجزائر. ومن الآن فصاعداً يُمنع اقترابكم من سواحل الدولة العثمانية." ثم أصدر الصدر الأعظم أوامره إلى المدن والبلدات الساحلية بمنع دخول أي فرد من الجزائر إليها، سواء من أجل التجنيد للانخراط في صفوف الجنود البحريين في جزائر الغرب أو من أجل الحصول على الذخائر منها.

نزلت تلك الأوامر كالصاعقة على أغوات الجزائر، فاضطربت صفوفهم، واعترفوا بخطئهم وناشدوا الصدر الأعظم بالعدول عن قراره، لكنه لم يكثرث إليهم، واستمر الوضع حتى وفاته،

¹ عائشة غطاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 52.

² محمد خير فارس، مرجع سابق، ص. 66.

³ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص. 541.

⁴ محمد خير فارس، مرجع سابق، ص. 67.

⁵ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص. 541.

وعندما تولى فاضل أحمد باشا الوزارة العظمى، اتصل به آغا ولاية جزائر الغرب ونجح في إقناعه بسلميتهم، وعلى إثر ذلك عُيّن بوشناق إسماعيل باشا والياً على ولاية جزائر الغرب.¹

وفي الصدد نفسه ذكر المؤرخ فاضل بيات، نقلاً عن المؤرخ التركي إسماعيل حقي أوزون جارشيلي، أنّ أوجاقات الغرب هم الأكثر امتناعاً عن الامتثال للأوامر الصادرة من السلطان العثماني، خاصة بعدما أصبح الحكم الفعلي بيد الجندية البرية،² حيث تم تجريد الولاة من صلاحياتهم، وأضحت الأحداث السياسية والإدارية الفعلية بأيدي العسكر،³ الذين تسببوا في الاغتيالات المتكررة وإراقة الدماء والفوضى. فبعد اغتيال علي آغا عام 1671م، هاجمت الجندية البرية القلعة الداخلية في مدينة الجزائر، وأخذ الجند علوفاتهم أو مرتباتهم المتراكمة عنوة، وخلال 03 أيام تم استبدال 05 إلى 06 آغوات، حتى أصبح هؤلاء الأغوات غير راغبين في تولي هذه الوظيفة،⁴ حينها سارعت الجندية البحرية (طائفة رياس البحر) لانتزاع السلطة من الجندية البرية، وأنهت المرحلة الدموية الأعوية.

تستوفنا هذه الفترة قليلاً لما قيل عنها وكُتب عنها، خاصة من قبل المستشرقين الرّامين إلى تشويه الحكم العثماني في الجزائر، فلا نجد أفضل من قول المؤرخ أحمد توفيق المدني حول القتل السياسي: "إنك لتقرأ ما يكتبه عن تلك الحقبة من تاريخ هذا الوطن ككتاب الإفرنج ومن نحا نحوهم من كُتاب التاريخ، فيُخيل إليك أنّ القطر الجزائري بأسره ما كان خلال تلك الأيام الطويلة إلا مغارة من مغاور السّفاكين، وملجأً يركن إليه السّفاحون من لصوص البرّ والبحر. ويُخيل إليك مع ذلك هذا القطر كأنّه موطنُ المحن والبلايا، ومرتعُ المظالم وانتهاك الحرّيات، بينما كان غيره من بقاع العالم يرتع في بحبوحة الأمن، ويسبح في بحار من الحرّية والعدل والمساواة،"⁵

ثم يُضيف عن القتل السياسي قائلاً: "فإن ثبت أنّه كان يقع في القطر الجزائري أيام الحكم التركي، وفي القرن الثامن عشر فما فوق، فإنّه ما كان يقع إلا على الأفراد لا على الجماعات، وذلك بخلاف القتل السياسي والديني الذي كان يقع في أوروبا، سواء أكان قبل الثورة الفرنسية أو

¹ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص.541.

² المرجع نفسه، ص.540.

³ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.53.

⁴ فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص.542.

⁵ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، مرجع سابق، ص.07.

أثناءها، حيث كانت مقصلة الإعدام تشتغل أشهراً على التوالي، وتكاد تُواصل الليل بالنهار في قطع رؤوس ضحايا الثورة الأبرياء.¹

وعن أعمال العنف ذكر: "وإن أعمال القمع التركيّة لا تُعدّ شيئاً مذكوراً إذا قسناها بأعمال الزجر والقسوة التي ارتكبتها الفرنسيّون أنفسهم عندما دخلوا أرض الجزائر، وحطّموا المقاومة الشعبيّة بها، حيث كتبت لجنة البحث التي أرسلها ملك فرنسا يوم 07 جويلية 1833م للاطلاع على حالة الجزائر ما يلي: "إذا فحصنا الأعمال التي قمنا بها نحو الأهالي وجدنا أنّها لم تكن منطقيّة على أساس العدل فحسب، بل إنّها كانت غير منطقيّة على أصول العقل والمنطق أيضاً. فنحن رغماً عن وجود معاهدة تسليم علنيّة، وانتهاكاً لكلّ الحقوق المدنيّة البسيطة التي لكلّ شعب، قد تجاهلنا كلّ حقوقهم، وامتهنّا عوائدهم وكيانهم... ضمّنا إلى أملاك الدّولة سائر العقارات التي كانت من أملاك الوقف، واستولينا على أملاك طبقة من السّكان كناّ تعهدنا برعايتها وحمايتها... بلغ بنا الأمر إلى درجة أنّنا كناّ نغتصب الأملاك ثمّ نُجبر مالكيها على دفع المصاريف اللّازمة لهدمها، أو كناّ نُجبر النّاس على دفع مصاريف هدم المساجد. لقد انتهكنا حرّيات المعاهد الدينيّة، ونبشنا القبور، واقتحمنا المنازل التي لها حرّمتها عند المسلمين... ثمّ أرسلنا إلى التّعذيب والقتل بدون محاكمة ولمجرّد الظّنون، جماعةً من الدّين لم تثبت إدانتهم إلى الآن، وحجزنا أملاكهم، ومنعناها من ورثتهم... لقد ذبحنا جماعةً من النّاس كانت تحمل جواز المرور منّا، ولمجرّد ظنونٍ قمنا بإعدام سگان جهات واسعة ثمّ ثبتت براءتهم فيما بعد... والخلاصة أنّ وحشيّتنا كانت تفوق كثيراً وحشيّة الدّين ذهبنا نحمل إليهم المدنيّة."²

بدأت إذاً مرحلة الدّايات التي دامت من 1671م إلى 1830م. وللاستنارة فقط يُمكننا القول أنّ مصطلح "داي" هو في الأصل بيايّن، أي "دايي" ومعناه "الخال"، وُظّف في بدايات الدّولة العثمانيّة كلقب شرفيّ يتطلّب الحصول عليه إثبات جدارة في البحر والبرّ، ثمّ تحوّل إلى وظيفة عسكريّة في الجيش الإنكشاريّ في الجزائر وتونس، بيد أنّ المجاهد سنان باشا نظّم الإنكشاريّة في تونس وجعل على كلّ مئة منهم أميراً يسمّى "الدّايي"، لقب يُشعر بالتّعظيم، مع العلم أنّ دايات تونس مارسوا السّلطة منذ 1591م، بينما مورست في الجزائر الغرب بداية من عام 1671م.³

¹¹ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص.12.

² المرجع نفسه، ص-ص.16-17.

³ محمّد خير فارس، مرجع سابق، ص.69.

وبناءً على الأحداث التي عرفت هذه المرحلة يمكننا تقسيمها إلى 03 مراحل فرعية على النحو التالي: مرحلة الدايات الأولى التي تزعمتها الجندية البحرية (طائفة رياس البحر)، والممتدة من 1671م إلى 1695م، وقد تميّزت بتأسيس حكم جديد قائم على مبدأ الانتخابات من قبل الديوان ودون تحديد للمدة الزمنية، حيث انتُخب الداي الحاج محمد التريكي، من قدماء رياس البحر، ودام حكمه 11 عاماً، من 1671م إلى 1682م، ولم يُقتل بل اعتزل السلطة، فكانت فترة حكمه طويلة مقارنةً بفترات الأغوات، الأمر الذي يوحي بنوع من الاستقرار.

تليها مرحلة الدايات الثانية التي تزعمتها الجندية البرية (طائفة الإنكشارية)، والممتدة من 1695م إلى 1710م، أين ضعفت زعامة طائفة رياس البحر بسبب الضغوطات الخارجية، مما سمح بتدخل جند الإنكشارية ثانيةً في الحياة السياسية، وذلك ابتداءً من عام 1695م، ليتم اختيار الدايات وانتخابهم من الجندية البحرية.¹

بعد ذلك تأتي مرحلة الدايات الثالثة التي تزعمها الدايات الباشوات، ضمن تمرد ثانٍ للجندية البرية (طائفة الإنكشارية)، ابتداءً من 1798م. وقد امتدت هذه المرحلة من عام 1710م إلى 1830م، وتميّزت بالانفصال عن الباب العالي، بعدما تمّ إلغاء منصب الباشا ممثّل السلطان العثماني، واعتماد حكم محلي، حيث كانت أول محاولة في عام 1688م مع الداي الحاج حسين ميزومورتو، الذي عارض قدوم الوالي العثماني الباشا إسماعيل وأرسله من حيث أتى، فنجح في جمع سلطة الداي والباشا معاً، غير أنّ هذه التجربة لم تُعمر طويلاً وعادت ولاية جزائر الغرب إلى سابق عهدها وإلى نظام الازدواجية.

وابتداءً من عام 1711م قام الداي سوكة لي علي شاوش بإلغاء منصب الباشا، واضعاً بذلك حداً لازدواجية السلطة، حيث هدّد الباشا الجديد شارقان إبراهيم باشا بالقتل وأجبره على الانسحاب من ميناء الجزائر والعودة إلى إسطنبول، بعدها أوفد رسالةً إلى السلطان العثماني أحمد الثالث مع الهدايا شرح فيها أسباب الحادثة، وبين فيها خطورة ومساوى الحكم الازدواجي، كما وناشده توجيه البكربكية إليه، وبفضل قوة حجّته اقتنع السلطان العثماني وعهد إليه بالبكربكية إضافةً إلى منصب الداي، وراح يُسمّى علي باشا، وغدا دايات الجزائر مذ ذاك يجمعون بين المنصبين، الأمر الذي أدّى إلى أن يفقد الديوان أهميته وأصبح شكلياً لا يملك أي نفوذ،²

¹ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.55.

² فاضل بيّات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص.543.

وظهر الأمر بيّناً في الفرمان الوارد من إسطنبول والذي يأتي على نحو: "إلى أمير أمراء الغرب وديارها...". تعاقب على السّلطة خلال 120 سنة، أي من 1710م إلى 1830م، 17 داياً، وبلغ معدّل بقائهم في الحكم 08 أعوام، وهو مؤشّر يدلّ على الاستقرار، لكن سرعان ما تذبذبت الأوضاع في أواخر القرن 18م، بعد الدّاي حسن باشا الذي دامت ولايته 07 سنوات، من 1791 إلى 1798م، حيث عاد الإنكشاريّة إلى العصيان والتّمرد وأصبحوا يُعيّنون ويعزلون ويغتالون الحكّام حسب أهوائهم.¹

وفي السّياق نفسه ذكر الحاج أحمد الشّريف الزّهّار في مذكّراته: "لم يكن الولاة كلّهم صالحين، هذه حقيقة ناصعة، لكنني أوكدّ حقيقتين، أولهما أنّ ما كان يقع في العهد الأخير من انقلابات داخل القصر أو قتل لبعض الدّايّات، لم يكن يؤثّر على العامّة شيئاً، بل لم تكن تعلم به إلاّ بعد حدوثه، ثانيهما أنّ الولاة الأتراك الذين لم يكونوا صالحين للولاية، وهم قلّة، كانوا أفضل كثيراً من معظم الولاة الأوروبيّين الذين كانوا يتداولون الحكم في البلاد الأجنبيّة، والذين كانوا لا يقفون في مظالمهم وآثامهم وجرائمهم عند حدّ، ولو رأيت مظالم واضطهادات الملوك والولاة في أوروبا وأمريكا خلال هذه الفترة، لوقفت مشدوهاً، ولما كدت تُصدّق ما تقرأ.²

تجدد بنا الإشارة هنا إلى أنّه في عهد الدّاي حسين، شهدت البلاد استقراراً سياسياً، حيث دام حكمه 12 عاماً، قام خلالها بتنظيم البلاد وتحقيق الأمن والاستقرار وقضى على التّمردات والثّورات الدّاخلية، غير أنّ الضّغوطات الخارجيّة، خاصّة مؤتمر فيينا الذي عُقد في 1815م، والذي تقرّر فيه التّصدي للقرصنة البحريّة، إضافةً إلى استغلال إنجلترا لهذا القرار وإرسالها حملةً ضدّ الجزائر عام 1816م إلى جانب هولندا، وتعرّض الدّولة العثمانيّة إلى الهزيمة في حربها مع روسيا عام 1829م، واضطرارها إلى التّحالف مع إنجلترا وروسيا بسبب تمرد اليونان، مع فقدان الجزائر أهمّيّتها في مجال البحريّة، كلّ هذا شجّع فرنسا على احتلال الجزائر.

ورغم محاولات الدّولة العثمانيّة التي لم تتوان في إرسال طاهر باشا مبعوثاً إلى الفرنسيّين بتوسّط من إنجلترا، إلاّ أنّ الفرنسيّين استولوا على سفينة طاهر باشا وأخذوها إلى طولون جنوب فرنسا. وفي عام 1827م، قام الأسطول الإنجليزيّ والفرنسيّ والرّوسيّ المشترك بحرق الأسطول العثمانيّ في نافرين، وفي السنّة الموالية بدأت الحرب العثمانيّة الرّوسيّة، حيث اكتفت الدّولة

¹ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.57.

² أحمد الشّريف الزّهّار، مصدر سابق، ص.08.

العثمانية بالاحتجاج على الاحتلال الفرنسي للجزائر، وفي عام 1837م أقرت بالاحتلال الفرنسي، وأعلنت تخليها عن حقوقها على الجزائر.¹

نخلص إلى أنّ مرحلة الدّايات قد تمتعت بحيز حرّ في المجال السياسي، حيث أسست جيشاً قوياً لما كانت تملكه من ميزانية مستقلة، وعقدت المعاهدات باسم جزائر الغرب، وأرسلت قناصل الجزائر إلى الدول الكبرى، كما اعتمدت قناصل الدول الأخرى بدون مشاورة الباب العالي، وصكّت العملة الخاصة بجزائر الغرب،² وغيرها من المؤشرات التي تدلّ على استقلالية الحكم في تلك المرحلة، ضمن تحالف مع الدولة العثمانية.

* مقترح أطوار جديدة لمراحل الحكم في جزائر الغرب على ضوء النظرية الخلدونية (العالم ابن خلدون):

نصل الآن إلى مسألة مهمة جداً، وهي محاولة متواضعة من قبلنا، نروم من ورائها تجاوز المعارف القبلية المؤطرة من قبل الرواسب الاستشراقية، وتجنّب إعادة تداولها ضمن مقترح لمراحل الحكم في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني. فلقد عاب من قبل المؤرخ أبو القاسم سعد الله تقسيم الأوروبيين والجزائريين للحكم العثماني إلى عهد البيليربايات والباشوات والأغوات والدّايات، واعتبر أن لا معنى لهذه التسميات، على أساس أنه لم يحدث فيها أيّ تغيير، إذ ظلّ الجزائري مهمّشاً في العهد العثماني، ومظلوماً في الفترة الفرنسية.³ بينما سعى المؤرخ التركي إسماعيل حقي أوزون جارشيلي إلى التغيير في المراحل، فجمع بين المرحلة الأولى والثانية، وقسم المراحل إلى 03: البكرية، الأغوات والدّايات.⁴

أمّا مقترحنا فقد تولّد نتيجة تركيزنا على المصطلحات التي صبغت بها كلّ مرحلة، "بيليربايات، باشوات، أغوات، دايات"، فهي في الأصل ألقاب شرفية، تحوّل البعض منها وأصبح وظيفة عسكرية. فكيف يُصبح اللقب الشرفي أو الوظيفة وصفاً لمراحل مرت بها دولة عظيمة كجزائر الغرب في تلك الفترة؟ إلا إذا كان المضمّر من هذا الفعل هو التقليل من شأن وعظمة هذه

¹ فاضل بيّات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص-ص. 544-545.

² عمّار بوحوش، مرجع سابق، ص. 61.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص. 139.

⁴ فاضل بيّات، الدولة العثمانية في المجال العربي، مرجع سابق، ص. 547.

الدولة. وإذا كان الأمر كذلك، لماذا لم تُربط مراحل الحكم بفترة الإنكشارية، وفترة طائفة رياس البحر، وفترة المحليين، ولم تُسمَّ المراحل باسمهم: عهد الإنكشاريين، وعهد رياس البحر، وعهد الحكام المحليين؟، خاصة وأنَّ جلَّ الإسطوغرافيا، سواء الأجنبية أو المحلية، قد ركزت على المنافسات التي كانت تحدث بين طائفة الإنكشارية وطائفة رياس البحر، وكأنَّ المراحل السياسية لدولة عظمة كجزائر الغرب مرتبطة بانتصار أحدهما على الآخر.

وهذا نحسبه مبالغة وإهانةً لمكانة جزائر الغرب في تلك الفترة. وما زادنا تشبُّهًا برأينا في تجاوز تلك التسميات المرحلية هو التداخل الذي رصدناه بين هذه الألقاب والترتب في المراحل نفسها، فالبيروبايات كانوا يحملون لقب الباشا، وسُمِّيَ الدايات بالباشوات عندما جمعوا بين السلطتين، الأمر الذي دعانا إلى التفكير في تجاوز تسمية المراحل بالألقاب، من خلال معرفة آليات التعاطي الفكري الإسطوغرافي المحلي مع الأوضاع التي كانت تعرفها البلاد في تلك الفترة، سواء كان شعراً أو نثرًا، مناوئًا أو مواليًا، والذي سيؤدِّي لا محالة إلى التباين بين مختلف المؤلفات، ثم تحديد الأطوار التي عرفتھا الدولة الجزائرية في العهد العثماني متبئين في ذلك الطرح الخلدوني، فكيف يُمكن للتأليفات الإسطوغرافية المحلية أن تُساهم في تأييد طرحنا المتمثل في إسقاط النظرية الخلدونية الخاصة بمراحل نشأة الدولة على أحداث جزائر الغرب في تلك الفترة؟ وهل يُمكننا فعلاً تحديد مراحل مغايرة عن المراحل الاستشراقية المعهودة على ضوء نظرية عربية لا غربية، ملائمة للبيئة العربية لا البيئة الغربية، وأساسها الإسطوغرافيا المحلية؟

لقد نظر العالم ابن خلدون للنشأة التاريخية للدول وأطوارها، وتوصل إلى أنَّ الدولة تقوم على مبدأ القوة والغلبة وإلى جانبها العصبية القبلية المتمثلة في الجند والمال، حيث ذكر في مقدمته: "ولما كانت الرئاسة إنما تكون بالغلب، وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصاب، ليقع الغلب بها وتتم الرئاسة لأهلها،¹ ثم يُضيف: "لا بد في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم... لأن كلَّ عصبية منهم إذا أحست بغلب الرئيس لهم أقرّوا بالإذعان والإتباع."²

فالرياسة من وجهة نظر العالم ابن خلدون لا تتأتى إلا بالغلبة والقوة المغلفة بالعصبية، تلك العصبية التي أوثق مفهومها بالمبادئ التي ينص عليها الدين الإسلامي، وابتغى منها النصرة الجماعية المشتركة في نشأة وسيرورة الدولة، وقد استعان في بلورة مفهومه للعصبية بالآية القرآنية

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص-ص. 485-486.

² المصدر نفسه، ص. 486.

الخاصة بإخوة يوسف عليه السلام: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّيبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِدَّا لَخَاسِرُونَ﴾¹، وفسرها على أنه لا يتم توهم العدوان على أحد مع وجود عصابة له.²

ولا بأس أن نورد في هذا المقام معنى العصبية اللغوي في معجم لسان العرب، والذي جاء على النحو التالي: التَّعَصَّبُ من العصبية، والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصره عُصْبته والتألب معهم على من نازعهم، ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصَّبوا عليهم إذا تجمَّعوا، فإذا تجمَّعوا على فريق آخر قيل: تعصَّبوا، والعصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم، والعُصبة: الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم، أي يحيطون به ويشتد بهم. العصبية والتعصَّب: المحاماة والمدافعة، وتعصَّبنا له ومعناه نصرناه، وعُصبة الرجل: قومه الذين يتعصَّبون له.³

وكما نظر العالم ابن خلدون لنشأة الدول وتوطد الرياسة، نظر كذلك لأطوارها (مراحلها) قائلاً: "اعلم أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة، ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقاً من أحوال ذلك الطور، لا يكون مثله في الطور الآخر، لأن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه، وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار،"⁴

وقد جعلها على النحو التالي:⁵ الطور الأول هو الظفر بالبغيّة وعُلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك، ويقصد من ورائه مستهل نشأة الدولة، ويتمثل الطور الثاني في الاستبداد (استبداد السلطان صاحب الملك) على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة، وفيه تشهد الدولة قمة قوتها وعنفوانها، في حين يتجلى الطور الثالث في الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك بما تنزع طباع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعْد الصيت، ويتميز هذا الطور بتشديد المباني والتحصن، أما الطور الرابع فقد اختصه العالم ابن خلدون بالقنوع والمسالمة، أي أن الدولة تقنع بما وصلت إليه وتُسالم وتُسكن (السكون)، بينما انفرد الطور الخامس والأخير بالإسراف والتبذير، الذي يؤدي إلى تدهور الدولة وانهارها، وعلى هذه الشاكلة تبدأ دورة ثانية لدولة أخرى.

¹ سورة يوسف، الآية: 14.

² عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص.480.

³ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مرجع سابق، ج10، ص.167.

⁴ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص.543.

⁵ المصدر نفسه، ص-ص.543-544.

انطلاقاً من التّظهير الخلدونيّ لنشأة الدولة وأطوارها الذي تبينناه سنقترح طرحاً جديداً نُحاول من خلاله إسقاط هذه الأطوار في المفهوم الخلدونيّ على الدولة الجزائرية في العهد العثمانيّ، معتمدين في ذلك على المؤلّفات الإسطوغرافية المحليّة لتدعيم طرحنا، وبذلك تكون الأطوار التي عرفتها الدولة الجزائرية وخصائصها على خلفية التّظهير الخلدونيّ كالآتي:

1- طور الاستحواذ على المُلك ونشأة الدولة الجزائرية في العهد العثمانيّ

(الظفر بالبعيّة وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على المُلك) 1512م-1650م:

من مميّزات هذا الطّور استحواذ الحاكم على المُلك وتأسيس دولته، ولا يستتبّ له ذلك إلاّ بالاستمساك بعُصبتّه، التي تستوجب منه مشاركتها مختلف الأدوار، حيث ذكر العالم ابن خلدون في مقدّمته: "إلّم أنّ صاحب الدولة إنّما يتمّ أمره بقومه فهم عصابته وظهراؤه على شأنه، وبهم يقارع الخوارج على دولته، ومنهم من يُقلّد أعمال مملكته ووزارة دولته وجباية الأموال لأنّهم أعوانه على الغلب، وشركاؤه في الأمر."¹

من هنا نستشفّ دور العصبية المهمّة في الاستحواذ على الحكم، وقد ربطها بدايةً بصلة الرّحم والنّسب، حيث قال: "وذلك أنّ صلة الرّحم طبيعيّ في البشر إلاّ في الأقلّ، ومن صلتها النّعمة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تُصبهم هلكة، فإنّ القريب يجد في نفسه غضاضةً من ظلم قريبه أو العداة عليه، ويودّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك."²

فإذا أسقطنا هذا التّظهير الخلدونيّ على بداية تأسيس دولة جزائر الغرب في العهد العثمانيّ، سنجد أنّها كانت مبنيةً على العصبية العثمانية كرابطة دموية قويّة جمعت بين البحار الشهيد عزّوج ريّس وإخوته المجاهد خير الدّين، الشهيد إلياس ريّس، والشّهيد إسحاق ريّس، وقد ساهمت تلك العصبية في دحر العدو الإسبانيّ عن سواحل الجزائر. لكنّ مفهوم العصبية لم يقتصر فقط في المنظور الخلدونيّ على الرّابطة الدّموية والقراية فقط، بل وسّع العالم ابن خلدون ذلك المفهوم، وأضفى عليه فكراً تطوريّاً جعله يمتدّ إلى الولاء والحلف والجوار بالنّسب البعيد أو عدمه، والذي يُسهم في ترسيخ وتقوية النّعمة والغيرة على الصّالح العامّ والمصير المشترك، حيث ورد في مقدّمته: "إذا بعدّ النّسب بعض الشّيء... ومن هذا الباب الولاء والحلف، إذ نعمة كلّ واحد على أهل

¹ عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، المصدر السّابق، ص.553.

² المصدر نفسه، ج2، ص.481.

ولائه وحلِّفه للأثْفَة الَّتِي تَلْحَق النَّفْس... وذلك لأجل اللُّحمة الحاصلة من الولاء مثل لُحمة النَّسب أو قريباً منها.¹

ويُضيف مؤكِّداً على العصبية المبنية على الولاء بالقرابة ومن غير القرابة الدّمويّة قائلاً: "إنَّ المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة إنّما يتمّ بالنَّسب لأجل التَّنصر في ذوي الأرحام والقربى والتَّخاذل في الأجنبيّ والبُعْداء... والولاية والمخالطة بالرقّ أو بالحلف تتنزّل منزلة ذلك... والمعنى الَّذِي كان به الالتحام إنّما هو العِشرة والمدافعة وطول الممارسة والصُّحبة بالمرتبّي والرِّضاع... وإذا حصل الالتحام بذلك جاءت النُّعرة والتَّنصر.²

من هنا يُمكننا القول أنّ عصبية الشَّهيد عرّوج ريس ومن بعده المجاهد خير الدّين باشا لم تقتصر على القرابة الدّمويّة فقط، بل شملت ولاء الأهالي الجزائريين، خاصّة الأعيان ورؤساء القبائل والعلماء والفقهاء. وما أربى تلك اللُّحمة والعصبية وتأليف القلوب تدين الحُكّام العثمانيين وعصبتهم بالدّين الإسلاميّ، وجهادهم باسمه، واقتران وجودهم في الجزائر بالمساعدات الجبّارة الَّتِي قدّمها الشَّهيد عرّوج ريس من خلال مهمّاته المستحيلة الرّامية إلى مساعدة المسلمين الأندلسيين ونقلهم إلى البلاد المغاربيّة.

نُضيف إلى ذلك استجابته لإغاثة الجزائريين باسم الدّين الإسلاميّ ضدّ الحملات الإسبانيّة وعمليّات التَّنصير المرتبطة بالنَّسق الدّينيّ المسيحيّ المعادي للنَّسق الإسلاميّ، وقد ذكر العالم ابن خلدون في هذا السّياق: "الملك إنّما يحصل بالتَّغلب، والتَّغلب إنّما يكون بالعصبية واتِّفاق الهوى على المطالبة، وجمّع القلوب وتأليفها إنّما يكون بمعونة الله في إقامة دينه... إنّ القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدّنيا حصل التَّنافس وفشاً الخِلاف، وإذا انصرفت إلى الحقّ ورفضت الدّنيا والباطل أقبلت على الله واتّحدت وجهتها، فذهب التَّنافس وقلّ الخِلاف، وحسن التَّعاون والتَّعاضد... فعظمت الدّولة."³ ويستشهد بقول الله ﷻ: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾⁴ فالنَّسق الدّينيّ الإسلاميّ قد جمع بين الحاكم العثمانيّ وأهالي الجزائر، وألّف بينهم وأذهب التَّنافس والخِلاف والرِّفض، وأحلّ محلّه القبول والاتِّحاد والتَّعاون والتَّعاضد من أجل نُصرة الإسلام والعباد والبلاد.

¹ عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، المصدر السّابق، ص. 481.

² المصدر نفسه، ص. 555.

³ المصدر نفسه، ج2، ص. 519.

⁴ سورة الأنفال، الآية: 63.

يُضيف العالم ابن خلدون في هذا الصّدد: "الصّبغة الدّينية تذهب بالتّنافس والتّحاسد ... وتُفرد الوجّهة إلى الحقّ".¹

والحاقاً بما ذكرنا، يُمكننا الاستشهاد بالوثائق العثمانية التي لا تكاد تخلو من الحثّ على التّمسك بالدّين الإسلاميّ، ومثال ذلك ما ورد في الحُكم السّلطانيّ إلى بكربكي جزائر الغرب حسن باشا عام 1564م (ينظر الملحق رقم 47)، حيث ذكر السّلطان سليمان القانونيّ في آخر حكمه: "وتبذل قسارى جهديك وتولي الاهتمام بما يتعلّق بالدّين المتين"،² إضافةً إلى الحُكم الذي ورد من قبل السّلطان سليم الثّاني عام 1571م، والموجّه إلى بكربكي جزائر غرب قليج عليّ باشا، حيث جاء في آخره (ينظر الملحق رقم 48): "وتبذل قسارى جهودك وبحسن الاتّحاد والاتّفاق في كافة الأمور المتعلّقة بالدّين والدّولة وحمى وكرامة سلطنتي".³

كما ورد الخطاب السّلطانيّ الذي يحمل اسم "مرسوم شريف"، من قبل السّلطان سليم الثّاني عام 1572م، والموجّه إلى العلماء والشّرفاء والصّلحاء والمشايخ والأعيان في جزائر الغرب، تأكيداً على الاهتمام الذي تحظى به الولاية من الدّولة، وتبليغاً بأسباب تعيين المجاهد أحمد عرب باشا والياً على جزائر الغرب، حيث وردت فيه العبارة (ينظر الملحق رقم 39): "وفوضنا إليه ضبط تلك الأقاليم وصونها والاهتمام بها وحفظ البلاد وصون العباد، ودفع المحن والرّزايا عن جميع الرّعايا، وإحياء شرائع الدّين المتين، وإجراء قوانين سيّد المرسلين، ليكون أهالي الإسلام في ظلّ ظليل، وعدل جميل تحت كنف حماية سلطنتنا السّنّية، وفي زمن خلافتنا الفائقة عن إيمانهم وعن شمائلهم محفوفين بأكمل الرّاحة مرّفهين، وأجمل الاستراحة منعمين، آمنين مطمئنين بحيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون".⁴

وكذلك في الحُكم السّلطانيّ الصّادر عن السّلطان العثمانيّ مراد الثّالث عام 1595م، والموجّه إلى بكربكي جزائر الغرب خضر باشا، والخاص بالإبلاغ عن وقوع ألوية عنابة وقسنطينة وبسكرة وتنس وتلمسان وألوية أخرى في ولاية جزائر الغرب بأيدي بعض الأشخاص الذين تمكّنوا من استصدار أوامر من مركز الدّولة بالتّصرّف بها، فوردت العبارة التّالية (ينظر الملحق رقم 36): "وتمنع أيّ شخص من التّدخل فيها خلافاً للشّرع الشّريف والأمر المنيف".⁵

¹ عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص.519.

² فاضل بيات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، م⁸، مرجع سابق، ص-ص.197-198.

³ المرجع نفسه، ص-ص.200-202.

⁴ المرجع نفسه، ص.70.

¹ المرجع نفسه، ص-ص.106-107.

وما عزَّز أيضاً الألفة والتَّعاطف بين الحاكم العثمانيِّ وأهالي الجزائر، استماتة العثمانيِّين في الجهاد البحريِّ ضدَّ النَّصاريِّ والذي تطلَّب مساندة الأهالي لهم إلا النَّذر، خاصَّة ما تعلق بالعمليَّات الجهاديَّة، بغية تحرير المدن السَّاحليَّة الجزائريَّة من الاحتلال الإسبانيِّ. وها هو العالم والفقِيه والنَّحويِّ والشَّاعر عبد الرحمن بن محمَّد بن موسى الوجديديِّ التَّمسانيِّ (1523-1603م)، الذي عدَّه المؤرِّخ أبو القاسم سعد الله من أوائل الشَّعراء المؤيِّدين للدَّولة العثمانيَّة في جهادها ضدَّ الإسبان،¹ قد وظَّف شعره لتهنئة الحاكم حسن باشا بن خير الدِّين باشا على فتح حصن مرسى وهران وهروب الإسبان منه، فنظم ما يلي:²

هنيئاً لك بشا الجزائر والغرب	بفتح أساس الكفر مرسى قرى الكلب
ستفتح وهران ومرساتها التي	أضرتَّ بذا الإقليم ضرّاً بلا ريب
فتق بالإله واستعن به واصبر	ينلك المراد يا أميرى ومطلبى

يمكننا الاستعانة أيضاً بالوثائق العثمانيَّة التي تُبرز مكانة الجهاد البحريِّ ضدَّ النَّصاريِّ، حيث كلف السُّلطان العثمانيِّ سليم الثاني بكربكي جزائر الغرب المجاهد حسن باشا في ديسمبر 1564م، بتهيئة الأسطول الجزائريِّ بمعدَّاته وأسلحته، وتعيين أحد رجاله الأكفَّاء قائداً على هذه السُّفن، والالتحاق بالقائد العامِّ للأسطول السُّلطانيِّ مصطفى بياله باشا بغية الهجوم على قلعة مالطا، وقد ورد في الحكم السُّلطانيِّ ما يلي (ينظر الملحق رقم 47): "عند وصول حُكمي الشريف، تقوم بمقتضى وفور الفراسة والإقدام وحسن الاهتمام المركز في جلبتكم... بتهيئة السُّفن بمعدَّاتها وأسلحتها، وتعيِّن أحد رجالك ممَّن تعتمد عليهم قائداً... ليلتقوا بأسطولي السُّلطانيِّ عند وصوله إلى تلك الأرجاء بمشيئة الله... وتبذل قصارى جهدك وتولي الاهتمام بما يتعلَّق بالدين المتين".³

كما أصدر السُّلطان العثمانيِّ نفسه عام 1571م، حُكماً إلى بكربكي الجزائر عرب أحمد باشا، الحاكم النَّائب عن قليج علي باشا، للمشاركة بقوَّاته في الحملة الفاتحة لقبرص، والانضمام إلى قائد الحملة العثمانيَّة، بغية الإغارة على الأماكن النَّابعة لجزر العدوِّ (البنادقة وحلفائهم)، وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 48): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب. بعد الاتكال والاعتماد على عناية الله وجلِّ وعلا، والتوسُّل بمعجزات سيِّد الكائنات رسول الله عليه وعلى آله أفضل الصَّلوات... تمَّ في

¹ مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريِّين، إشراف رايح خدوسي، منشورات الحضارة، 2014م، ص.552.

² محمَّد بن محمَّد بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تقديم وتحقيق عبد الرَّحمن طالب، ديوان المطبوعات البيَّاتة، الجزائر، 1986م، ص.132.

³ فاضل بيَّات، البلاد العربيَّة في الوثائق العثمانيَّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريِّ/السادس عشر الميلاديِّ، م⁸، مرجع سابق، ص-ص.197-198.

هذه السنة تهيئة حملة مظفّرة على الكفّار سيّئ الطّباع من جهة البرّ والبحر للإغارة على جزرهم... ولأجل تأديبهم بعناية الله فقد سبق أن أرسل جنودي المظفّرين وأسطولي السلطاني إلى جزيرة قبرص. كما أمرت بتهيئة مائتي قطعة من سفن أسطولي السلطاني، وتعيين وزيري برتو باشا قائداً... وقد خرجوا جميعاً إلى سطح البحر قبل خمسة عشر يوماً من هذا اليوم، وذلك بغية الهجوم على أسطول الكفّار الأذلاء. ونظراً لاعتماد السلطاني على حسن فراستك وكياستك ووفور شجاعتك وشهامتك، فقد أمرت أن تتوجّه أنت كذلك وعلى وجه السرعة إلى جانب السفن... وتكون في الخدمة وأمرت: عند وصوله تقوم ودون تأخير مطلقاً بتعيين رجال أكفاء لحفظ الجزر والبلاد والقلاع والبقاع التابعة لولايتك، والتي يستلزم حفظها وحراستها من هذا الجانب، وتقوم أنت بموجب أمري بإكمال معدّات... السفن الموجودة عندك وأسلحتها وآلاتها والمؤن الغذائية للفقيين والمقاتلين، وتخرج مع المعدّات الحربيّة إلى البحر وتقصد المشار إليه وتلتقي به وتتوكّل على عون وعناية الله، وتتوسّل بالمعجزات كثيرة للرسول عليه وعلى آله أفضل الصلوات، وتقوم بقلع وإزالة الكفّار من القلاع والبقاع، والإغارة على بعض الأماكن التابعة لجزر العدو وإلحاق الأضرار بها، ودفع ورفع أضرارهم وفسادهم، وبالإجمال تكون قلباً وقالباً مع وزيري... وتبذل قصارى جهودك وبحسن الاتحاد والاتفاق في كافة الأمور المتعلقة بالدين والدولة وحمل وكرامة سلطنتي... وتنبّه رجالك الذي عينتهم في خدمة الحفاظ على الولاية تنبيهاً شديداً أن يقوموا بمراقبة البلاد والولاية من جهة البحر والبرّ، وبالشكل المناسب وحفظها وحراستها وتقصي الأطراف والأرجاء بالشكل اللازم وتحريها، وأن يكونوا على أتمّ البصيرة، وأن يتوخّوا الحذر توخياً كبيراً من احتمال إلحاق الضرر ببلادي المحروسة من جانب الأعداء بغفلة، ولا يهدروا دقيقة واحدة في باب المحافظة.¹

وأمر السلطان العثماني مراد الثالث عام 1573م بكلربكي جزائر الغرب، عرب أحمد باشا، بالتوجّه على رأس جنود الولاية إلى تونس عن طريق البرّ، وأمر بكلربكي طرابلس الغرب بالتوجّه على رأس جنود طرابلس إلى تونس والالتقاء بقوات جزائر الغرب² (ينظر الملحق رقم 17). واستمرت الاستعدادات لفتح قلعة حلق الوادي بتونس إلى غاية عام 1574م، أين عين السلطان العثماني الوزير سنان باشا لقيادة الحملة، وبمعية قوّة من الجزائريين بقيادة قايد رمضان باشا، وقوّة من طرابلس بقيادة مصطفى باشا،³ وقوّة من القيروان بقيادة حيدر باشا ومن التقّ به من العرب والبربر.⁴ واستكمالاً لما ذكرناه، أرسل السلطان العثماني سليم الثاني عام 1574م، حكماً إلى بكلربكي جزائر الغرب قايد رمضان باشا، ووالي تونس وطرابلس يطلب منهم المشاركة في الحملة

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 200-202.

² المرجع نفسه، ص-ص 216-217.

³ نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق، ص 287.

⁴ محمّد بن الأمير عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص 68.

إلى جانب مقاتلي الأعراب، والتَّسويق فيما بينهم حول وجهة الانطلاق ونقطة الالتقاء، وذلك قبل وصول القائد إلى المنطقة.¹ (ينظر الملحق رقم 19)

وإذا عرَّجنا صوب المسألة المتعلِّقة بمعاملة الحاكم للأهالي في طور تأسيس الدولة نجد أنَّ العالم ابن خلدون قد نظر لها في مقدِّمته قائلاً: "إنَّ الدولة في أوَّل أمرها لابدَّ لها من الرِّفق في ملكتها والاعتدال في إيالتها، إمَّا من الدِّين... أو من المكارمة والمحاسنة... وإذا كانت الملكة رفيقة محسنة انبسطت آمال الرِّعايا، وانتشطوا للعمران وأسبابه."² وقد خبرت دولة جزائر الغرب في بداية تأسيسها في العهد العثمانيِّ المسار نفسه الذي نظر له العالم ابن خلدون، حيث مارس الحكَّام العثمانيُّون في بداية حكمهم ملكة الرِّفق بالأهالي، ويؤكِّد هذا السلوك العالم والفقير والشاعر والمؤرِّخ والقاضي محمَّد بن أحمد بن عبد القادر بن محمَّد بن الناصر الجليليِّ المعسكريِّ المعروف بـ"أبي راس النَّاصريِّ المعسكريِّ"، مشيداً بالحاكم خير الدِّين بربروس قائلاً: "سبب مجيئهم تغلَّب النَّصارى على السَّواحل، وكان ذلك على يد خير الدِّين وإخوته، مشهور البيان ووساطة القلادة، منتقل الأحوال مسعد الأنوال... يده للسَّماحة وعقله للرِّجاجة... كان قبل حلوله بالجزائر طبق (دوخ) أرض الكفرة بالجزوات، وكثُر لديه الفتوحات، وامتدَّت له سعادة الحياة."³

كما أشارت رسالة أهالي الجزائر إلى السُّلطان سليم الأوَّل عام 1519م إلى ذلك، حيث ورد فيها (ينظر الملحق رقم 06): "إلَّا أنَّ المشار إليه أروج بك استشهد في معركة مدينة تلمسان فرحمة الله عليه، فخلفه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التقي خير الدِّين فأصبح خير خلف لخير سلف، وقام بحمايتنا. ولم نُشاهد منه غير العدل الكامل وإتباع الشَّرع الشَّريف النَّبويِّ. ويقوم المذكور أيضاً بتعظيم مقامكم العالي غاية التَّعظيم ويسعى في أمر الجهاد ويبذل ماله وروحه في رضى ربِّ العباد، ويحرص على إعلاء كلمة الله، وكلَّ ما يتمناه هو التَّعلُّق بسلطنتكم العليَّة وتقديم كمال الاحترام بكم، ولهذا فإنَّ محبَّتنا تَجَاهه أصبحت خالصةً وثابتةً، وكيف لا نُكَنِّ له المحبَّة وقد حلَّ بيننا، وشمَّر عن ساعديه، وجاهد إلى جانبنا في سبيل الله بنية خالصة وقلب صادق. وحرص على التَّقيد بأمر الله تعالى في الشِّدَّة والرِّخاء وهو كالكوكب الوهاج والدليل واضح المنهاج في العقيدة الإيمانيَّة."⁴

¹ فاضل بيات، البلاد العربيَّة في الوثائق العثمانيَّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريِّ/السادس عشر الميلاديِّ، م⁸، مرجع سابق، ص.222.

² عبد الرَّحمن بن محمَّد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص.722.

³ محمَّد بن أحمد أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تحقيق محمَّد غالم، منشورات المركز الوطنيِّ للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعيَّة والثقافيَّة CRASC، د.ت، ج1، ص.49.

⁴ فاضل بيات، البلاد العربيَّة في الوثائق العثمانيَّة، ط²، م¹، مركز إرسيا، إسطنبول، تركيا، 2015م، ص.151، ومن أُرشيف قصر طوب كابي رقم 6456، تُرجمت الوثيقة من قِبَل الأستاذ الدكتور فاضل بيات.

واستكمالاً لمسألة معاملة الحاكم الحسنة والتميّزة للأهالي، يذكر العالم ابن خلدون في مقدّمته: "إذا نظرنا في أهل العصبية ومن حصل لهم الغلب... وجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات، والاحتمال على غير القادر... وكسب المعدم والصبر على المكاره، والوفاء بالعهد، وبذل الأموال في صون الأعراس، وتعظيم الشريعة، وإجلال العلماء... والوقوف عند ما يُحدّونه لهم من فعل أو ترك، وحسن الظنّ بهم، واعتقاد أهل الدين والتبرّك بهم، والحياء من الأكابر والمشايخ وتوقيرهم وإجلالهم، والانقياد إلى الحقّ مع الداعي إليه، وإنصاف المستضعفين... والانقياد للحقّ، والتّواضع للمسكين، واستماع شكوى المستغيثين والتدبّر بالشرائع والعبادات، والقيام عليها وعلى أسبابها، والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد... هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقّوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم."¹

من خلال هذا التّنظير الخلدونيّ نعود إلى جزائر الغرب في العهد العثمانيّ لنجد أنّ الحكّام العثمانيين قد عاملوا الأهالي بمعاملة متميّزة، خاصّةً أعيان الجزائر، ورجال الدين، والمشايخ من المرابطين، ورؤساء القبائل، والعلماء، إذ قرّبوهم منهم واستعانوا باستشاراتهم ومساعداتهم في مختلف شؤون الحياة، ووهبوهم العطايا والامتيازات والمناصب الحساسة في الدولة كالقضاء وتولّي شؤون المساجد، أو التوسّط بين الأهالي والسلطة،² وذلك بنية كسب رضاهم.

وفي هذا الإطار حظيت فئة العلماء بمعاملة متميّزة ذات ثقل اجتماعي أدت إلى مساهمتهم الفعّالة، خاصّة وأنّ أغلبهم جمع بين مختلف العلوم، الأمر الذي خوّل لهم مدّ يد العون للحكّام العثمانيين والمساهمة الفعّالة في تحديد وضبط أهداف السلطة في مواجهة معضلات الدّاخل وتحديّات الخارج، من خلال الأدوار التشريعيّة والقضائيّة التي مكّنتهم من صياغة وتقنين الأطر التشريعيّة الناظمة لمباني المجتمع وتولّي تنفيذها أيضاً.³ كما حظي رجال الطّرق الصّوفيّة بمعاملة متميّزة من لدن الحكّام العثمانيين، الذين تقرّبوا منهم ورفعوا من شأنهم ومن مكانتهم، وفي هذا الصّدّد يذكر المؤرّخ حمدان بن عثمان خوجة: "لم يكتف الأتراك بأن فرضوا على أنفسهم احترام هؤلاء المرابطين، وإنّما صاروا يُقدّمون لهم أكبر الامتيازات، وأثمنها، وصارت أماكن سكنهم وضرائحهم بعد الموت مقدّسة، كما أنّ القانون لا يمسّ كلّ من لجأ إليها، فكانت هذه إحدى

¹ عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص-ص. 500-501.

² رشيدة شدرى معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الذّايات 1671-1830م، رسالة ماجستير، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص-ص. 105-109.

³ حسن الضبيقة، الدولة العثمانية، الثقافة والمجتمع والسلطة، ط1، دار المنتخب العربيّ للدراسات والنّشر والتّوزيع، لبنان، 1997م، ص106.

الوسائل التي استعملها الأتراك لاكتساب ودّ العرب والبربر.¹ وبموجب الامتيازات التي قدمها الحكّام العثمانيون لتلك الفئة نالوا رضاها وأخذت تُشيد بمآثرهم شعراً ونثراً.

وعن الوساطة التي لعبها العلماء بين الحكّام والأهالي، يستوقفنا ما ذكره المؤرخ صالح بن محمد العنترّي القسنطيني عن العالم رجل الدين المتصوّف الجزائري عبد الكريم الفكون (1580م- بعد 1662م)، الذي لعب دوراً مهماً في تسكين روع أهالي قسنطينة بخصوص قدوم العثمانيين وطماننتهم قائلاً: "هؤلاء التّرك قدموا من حضرة السّلطان العثمانيّ، وهم من أبناء جنسه وتحت حكمه، إذ لا يليق بنا مقاتلتهم ولا يسعنا منعهم، وربما تلحقنا الضّرورة (الضرر) من السّلطان المذكور من أجل مقاتلتنا لهم ومنعنا من دخولهم، فعند ذلك أذعن له... وانقاد كلّ النّاس، وفتحوا أبواب البلاد، هذا الوقت دخلوا (كذا) التّرك في قسنطينة، وتكلّموا مع ناسها قائلين نحن كنّا قدمنا من حضرة الدّولة العثمانيّة إلى الجزائر ففتحناها ومهدّنا أوطانها، وحكّما جارٍ فيهم بالعدل والكمال وما ناخذوا (نأخذ) من وطنها إلاّ الشّيء الحلال، الذي هو مثل الزّكاة (كذا) الواجب إخراجها من الأموال، والنّعم والمزروعات، على نمط الشّريعة والطريقة المستقيمة... فحينئذ تأتسوا أهل البلاد بكلامهم، واطمأنّوا لجانبهم."²

وكلّ دولة في بداية تأسيسها، يسعى حُكّامها إلى ترغيب القبائل المتبقية في الدّخول تحت رايتها وتوحيدها، وقد نظر العالم ابن خلدون لهذا الأمر قائلاً: "ثمّ إذا حصل التّغلب بتلك العصبية... طلبت بطبعها التّغلب على أهل عصبية أخرى... فإن كافتها أو مانعتها كانوا أقتالاً... وإن غلبتها واستبعتها لالتحمت بها أيضاً وزادتها قوة في التّغلب إلى قوتها."³ وقد حصل الأمر نفسه في بداية الحكم العثمانيّ في جزائر الغرب، إذ شكّل الأمن الشّغل الشّاغل لها، ولم تتهاون مع المتمرّدين لما ينجم عن ذلك من ضرر على الحُكّام والأهالي، حيث صدر حُكم من قِبَل السّلطان العثمانيّ مراد الثالث عام 1573م إلى بكربكي جزائر الغرب قايد رمضان باشا، ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 49): "حُكم إلى بكربكي جزائر الغرب. أرسلت رسالةً إلى سدة سعادتي أبلغت فيها أنّ أهالي بسكرة وقائدها وجنودها أبلغوا بأنّ الدّميّ مروزكير ومشري، والعديد من أولاد الحرام التّابعين لهما، هم مثيرو الفتن والفساد بشكل خفيّ، وهم من أهل الفساد وأقدموا على الخيانة، ولهذا تمّ حبسهم، وقد سبق أن هربوا من تونس وتركوا حلق الوادي وقصدوا العشائر، وتحالفوا مع بعض هذه العشائر، وأنهم لا يتوانون من التّحارب والتّخاصم مع القائد

¹ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 72-73.

² محمد الصّالح بن العنترّي، فريدة منيسة في حال دخول التّرك بلاد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تحقيق يحي بوعزيز، طبعة خاصّة، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009م، ص 45.

³ عبد الرّحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج 2، ص 496.

رمضان، وأنَّ عدداً مَمَّن يتبعونهم من أهل الفساد هم الَّذِينَ يُحَرِّضُونَ عَلَى الفتنَةِ والفساد، وعليه فقد أمرت أن تقوم عند سنوح الفرصة بإلقاء القبض على أهل الفساد الَّذِينَ يُحَرِّضُونَ عَلَى الفساد والشَّناعة، ويُقدِّمون على الخيانة، وإضلال الأهلالي، وتأديبهم، وأمرت: عند وصوله، تتقيّد في هذا المجال، وتقوم عند سنوح الفرصة بإلقاء القبض على من لا يتوانون عن إثارة الفتنة والفساد في البلاد والولاية مثلما ورد، ويُقدِّمون على الخيانة والتَّحريض على الفتنة، وتبذل جهودك في مجال تأديبهم، ولكن تتوخّى الحذر وبشكل كبير من استغلال هذا الأمر والتَّدخُّل والتَّجاوز على من هم في حال سبيلهم، وبالإجمال على أيّ أحد خلافاً للشَّرع الشريف، وتحاط من كلِّ ما يُوَدِّي إلى الفتنة. "سَلِّمَ إِلَى كَتِّخْذَاه، فِي 28 ذِي القعدة 980هـ، 01 نيسان/أبريل 1573م.¹

وعند اقتناع المتمرّدين وتوقّفهم عن التَّمرد، كانت الدَّولة العثمانيَّة تعفوا عنهم وتُعِيد إليهم ممتلكاتهم ووظائفهم السَّابقة، وخير دليل على ذلك حُكْم السُّلطان العثمانيِّ سليم الثَّاني عام 1574م، والخاصّ بمناشدة زعيم بني عبّاس ببجاية إبقاء الأوطان التي كان يتصرّف بها قبل تمرّده في عهدته، حيث ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 50): "حكم إلى بكاربكي جزائر الغرب (قائد رمضان). أرسلَ بكاربكي الجزائر السَّابق أحمد باشا رسالةً أبلغ فيها أنّ عبّاس، وهو من شيوخ العرب في الولاية المذكورة، يُواصل الطَّاعة والانقياد للدَّولة، وناشد استصدار حكم شريف يقضي بإبقاء الأوطان التي يتصرّف بها في عهدته، وحسب الأسلوب السَّابق، وعليه أمرت: أن يتصرّف الموما إليه بالأوطان التي يتصرّف بها كما كان، طالما هو ثابت القدم وراسخ الدَّم في عبوديَّته، وخضوعه لسدّة سعادتني، وكونه على أتم الطَّاعة والانقياد لعبيدي البكاربكيَّة على أن يقوم بتسديد الضَّرائب المفروضة على وطنه منذ القدم لخزينة الجزائر، وأن يُوَدِّي الخدمة عند اللُّزوم، وتعمل على قيامه بضبط هذه الأوطان، والتَّصرّف بها، والحيلولة دون التَّدخُّل والتَّعرض إليها." سَلِّمَ إِلَى الجاوش إسكندر في ذِي الحجّة 981هـ، نيسان/أبريل 1574م.²

يتّضح أنّ الدَّولة العثمانيَّة كانت تُحارب المتمرّدين بدون هوادة، وفي الوقت نفسه تُكرِّمهم عندما يعدلون عن التَّمرد، فما هو المرسوم الشَّريف من قِبَل السُّلطان العثمانيِّ سليم الثَّاني عام 1574م باللُّغة العربيَّة، والموجّه إلى حاكم زواوة أحمد بك، طالباً منه المشاركة في الحملة العسكريَّة ضدَّ الإسبان، ومكرِّماً إيَّاه بخلعة سلطانيَّة (قفطان)، وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 51): "مرسوم شريف. هذا مرسومنا الشَّريف العالي السُّلطانيِّ، ومثالنا المنيف السَّامي الخاقانيِّ، مبارك أرسلناه إلى الجناب الأميريِّ الكبيريِّ الأرشديِّ الأمجديِّ الأمير أحمد حاكم زواوة، دام مجده، يُنهي إليه أنّا قد صمَّنا الجهاد مع الكفرة، ودفَع مضرّات أرباب البغي والعناد، وتوكَّلنا على عون الله تعالى وحسن توفيقه وعناياته،

¹ فاضل بيات، البلاد العربيَّة في الوثائق العثمانيَّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريِّ/السادس عشر الميلاديِّ، م⁸، مرجع سابق، ص. 296.

² المرجع نفسه، ص. 305.

وتوسلنا بكرامات سيد الأنبياء ومعجزاته عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات، وأكمل التحيات، وجهزنا السفن المملوءة بأنواع آلات الحرب، والقتال، وأصناف أدوات الضرب والنزال، وملأنا كلها بالأبطال الرجال المبارزين لإعلاء كلمة الدين المبين، ثم أرسلنا إليكم مع مملوك عتبنا العالية الشأن القائد سليمان زيد قدره الخلة الفاخرة، فإذا وصل إليكم كتابنا الشريف، وحكنا المنيف فليكم أن تلقوها بالتعظيم والإجلال، وتلبسها شاكراً على نعماء الله المتعال، وأن تظهر ما أضر فيكم من الشجاعة والجلالة، حتى المحاربة لدفع المضرة، وتكميل المعزة، وأن تحضر الذخائر (المؤن الغذائية كالقمح) الوفرة والزودة المتكثرة لعساكرنا المنصورة بألطف الله المبرورة الواردين على تلك الديار، لدفع شرور أشرار الكفار، فإذا ورد عليكم أمرنا الشريف، وحكنا المنيف بعد هذا، وطلب منكم الذخائر العسكرية الجليلة المآثر ادفعوها (سلموها) إلى من طلب منكم بأمرنا الشريف، وتعاونوا بالعساكر، وأدوات القتال". سلم إلى سليمان جاش، في 15 ذي القعدة 981هـ، 08 آذار/مارس 1574م.¹

وسار على نهج السلاطين الأوائل السلطان العثماني أحمد الأول عام 1606م، والذي كرم الشيخ عباس، شيخ بني عباس، الذي ساهم في ردع تمرد الأعراب بخلة (قفطان) سلطانية، حيث ورد في الحكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 52): "حكم إلى الشيخ عباس، وهو من شيوخ البدو في جزائر الغرب. تناهى إلى مسامعنا العلية كونك صالحاً وصاحب قبيلة، وإطاعتك وانقيادك إلى جانب عشائرك (للدولة)، وفضلاً عن ذلك قمت بالخدمة إلى جانب جنودي المكلمين بالنصر في دفع وردع طائفة الأعراب العصاة في تلك الأرجاء، فعدت خدمتك مشكورة، واستحققت الرعاية، ولهذا تم شمولك بمزيد عنايتي السلطانية، وتكريمك بخلة... وتم إرسالها إليك وأمرت: عند وصوله، تقوم بتلقي خلعتي الفاخرة بكل إكرام وإجلال وارتدائها، وتكون بعد اليوم على الطاعة والانقياد، وتبذل ما في وسعك من جهود في دفع وردع الأعداء الذين يستهدفون ذلك الجانب بالضرر والتعدي". في ذي القعدة 1014هـ، آذار/مارس 1606م.²

من جانب آخر، سعى الحكام في طور التأسيس، في نظر العالم ابن خلدون إلى تعيين حصتهم من الملك، حيث ذكر في هذا الشأن: "كل دولة لها حصّة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها، والسبب في ذلك أن... الدولة والقائمين بها الممهدين لها لا بدّ من توزيعهم حصصاً على الممالك والثغور التي تصير إليهم، ويستولون عليها لحمايتها من العدو، وإمضاء أحكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك... وقد بلغت الممالك حينئذ إلى حدّ يكون ثغراً (موضعاً) للدولة وتحمياً (حدّ الأرض) لوطنها، ونطاقاً لمركز ملكها".³

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص. 306-307.

² المرجع نفسه، ص-ص. 315-316.

³ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص. 524.

فإذا أسقطنا التنظير على جزائر الغرب في العهد العثماني نجد أن الحكام العثمانيين قد أنشئوا جيشاً نظامياً محترفاً تحت اسم "الجيش الإنكشاري"، الذي أرسله السلطان العثماني سليم الأول استكمالاً للمجاهدين البحارة "رياس البحر"، كما قاموا بتعيين الحدود الجزائرية التي ساهمت بشكل فعال في إرساء السيادة الحدودية للدولة الجزائرية الحديثة وفرض وجودها، وقسموا الجزائر إلى مناطق معينة، وفي هذا الصدد ذكر **الحاج أحمد الشريف الزهار** في مذكراته ما يلي: "كان للأتراك بأرض الجزائر ثلاثة بايات: باي وهران، وباي قسنطينة، وباي المدية... فأول فتوحهم كان ناحية تيطري، فأولوا هنالك باياً وأسموه باي البايات وأسكنوه المدينة، وجعلوا له خليفةً وأعاوناً وأغوات... ثم لما فتحو ناحية الغرب، تلمسان وأحوازها، ومعسكر ونواحيها، والقلعة ومستغانم وما جاورها، جعلوا في معسكر باياً وأسموه باي الغرب، وأخيراً فتحوا الناحية الشرقية، ونصبوا فيها باياً وأسموه باي الشرق."¹

لقد ذكرنا بعض مميزات هذا الطور الإيجابية، لكنه لم يخل من بعض السلبيات، حيث برزت في جزائر الغرب في ذلك العهد فرقاً مبتدعةً انحرفت عن الدين الإسلامي، ونلمح ذلك جلياً في الأبيات الشعرية التي نضمها **العالم والشاعر عبد الرحمن بن سيدي محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخصري البسكري** (1512-1545م)، حيث هاجم فيها المبتدعة ونقد انحرافهم وتشويهم للدين الإسلامي قائلاً:²

وأسفا على الطريق السابلة	أفسدها طائفة الدجاجلة
قد أحدثوا طريقة بدعية	ورفضوا الطريقة الشرعية
لم يقتدوا بسيد الأنام	فخرجوا عن ملة الإسلام
لم يعملوا بمقتضى الكتاب	وسنة الهادي إلى الصواب
وانتهكوا محارم الشريعة	وسلكوا مسالك الخديعة

كما شان هذا الطور كثرة الرشاوى والوساطة والفساد، حيث ذكر الباحث محمد شاطو أن **الشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحيى الفكون التميمي الفكون** تحدت عن رشاوى أحد المدعين للولاية والصلاح في عصره، وهو قاسم بن أم هانئ، فوصفه قائلاً: "وتراه تمشي زبانيته بين يديه لتفريق الرشا على الحكام والأمراء، فتسمح نفسه ببذل مائة لأولئك ولا تنقاد

¹ أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص.35.

² محمد شاطو، نظرة المصادر الجزائرية الى السلطة العثمانية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص.40.

لدفع درهم واجب عليه.¹ كما مورست على الأهالي السلطة الجائرة من قبل بعض أعيان الجزائر، حيث قام الشيخ نفسه بهجاء الذين مارسوا السلطة الجائرة ضدَّ الأهالي قائلاً:²

ألا فاحذر أناسا قد تبرّأ
إله العرش منهم والملائك
هم القوم الأراذل قد تسمّوا
بجنس في الخليفة لا يشارك
لقد جُبلوا على غش البرايا
كما جُبلت يهود على الأفائك

2- طور الإنفراد بالحكم وعنقوان السلطة وقوتها في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني

(استبداد حكامها على قومهم والإنفراد دونهم بالملك وكبحهم عن المساهمة

والمشاركة)، من 1650م إلى 1750م:

سعى الحكام العثمانيون في هذا الطور إلى إرساء دولة جزائرية قوية بغية التصدي لكل عدوان خارجي أو داخلي، وقد تميّز بالمعاملة الحسنة والعدالة لأهالي الجزائر، حيث ذكر المؤرخ حمدان بن عثمان خوجة: "تأكدت الحكومة التركية من أنّ قوة القبائل لا تُفهر، وأيقنت أنّها لن تتمكن من إخضاعهم بحدّ السيف، وإنّما باللطافة والتسامح والإرادة الحسنة التي أسفرت عن نتائج مرضية تتمثل في بقاء الحكومة مدّة تزيد عن ثلاثة قرون،³ ثمّ يُضيف: "وهناك وسيلة أخرى استعملها الأتراك لاكتساب ثقة الأهالي وتتمثل في تطبيق العدالة والإنصاف اللذين يعتبران أساساً لجميع الحكومات التي تريد أن تكون عظمتها دائمة، وعندما يتمّ التأثير على العقول فإنّ الأجسام تتبع بالطبع، وما الفتح الحقيقي إلاّ ذلك الذي يستهدف القلوب لا الأجساد،"⁴ ثمّ اجتهد الحكام في مكافحة الفساد الذي ظهر في الطور الأول واستمر، والمتمثل في الرشاوى والوساطة وغيرها، بغية كسب ثقة الأهالي، حيث قال المؤرخ صالح بن محمد العنترى القسنطيني: "تولّى دالي باي في

¹ محمّد شاطو، المرجع السابق، ص.77.

² مسعود بن ساري، صورة السلطان العثماني في الأدب الجزائري القديم، مجلة مقاليد، الجزائر، ع07، ديسمبر 2014م، ص.242.

³ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.89.

⁴ المصدر نفسه، ص.74.

عام سبعة وثمانين وألف، وكان رجلاً قتالاً يأخذ أموال الناس بالباطل، فاشتكوا به ناس قسنطينة إلى الباشا بالجزائر فقتله.¹

ومن الأعمال أيضاً التي تُحسب للحكّام العثمانيين عدم فرض عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم على أهالي جزائر الغرب إلا ما حصل منها عن طريق التكيّف الثقافي والاحتكاك بين العثمانيين والجزائريين بصفة تلقائية، حيث ذكر المؤرّخ حمدان بن عثمان خوجة: "ومن النادر أن تجد سارقاً أو قاتلاً من هؤلاء الجنود، وقد كانوا شديدي الحرص على احترام عادات البلاد ليحبّبوا أنفسهم إلى سكّان الإيالة، ومن كانت لهم بعض المساوي كانوا يعملون على إصلاحها، أو يُخفونها بدقّة... لأنّ مستقبلهم موقوف على حسن سيرتهم."²

ومن ناحية أخرى، حافظوا على بعض السّطات التي كانت سائدة في الجزائر كسلطة الشيوخ والقبائل ورؤساء العشائر، واعترفوا بنفوذ مرابطي الطّرق الصّوفيّة والزّوايا،³ الأمر الذي ساهم في التّعايش السّلمي بين أهالي الجزائر من كلّ الأجناس، على أساس أنّ الحكم العثماني في الجزائر كان حلقةً ضمن حلقات سيرورة الخلافة الإسلاميّة، ففي خضم محاربة العثمانيين للقبائل النّائرة، كانت العلاقة تعود طبيعيّة بمجرد استسلامهم لتتمّ بعدها حسن معاملتهم والتّعايش السّلمي بينهم، (ينظر الملاحق رقم 49، 50، 51 و52).

ويُعزّز المؤرّخ حمدان بن عثمان خوجة ما جاء في الوثائق العثمانية قائلاً: "عندما يُخضعون قبيلةً عدوةً ثمّ تستسلم تلك القبيلة، يستقبلونها بحفاوة ويُعيدون إليها ما أخذ منها أثناء الحرب،"⁴ ثمّ يُضيف: "وقد يُعوّضون لها الأشياء المُتلفة حتّى يتمكّنوا من أن يجلبوها إليهم بعد الانتصار عليها... وإذا اعتزمت إحدى القبائل تشويش الأمن العامّ فإنّ القبائل الأخرى تنضمّ إلى الأتراك لمحاربتها، وقلمّا يلجأ هؤلاء إلى قوتهم الحربيّة، وإنّما كانوا يُفضّلون الاعتدال."⁵

تميّز هذا الطّور أيضاً بالحثّ على مواصلة الجهاد والاستمرار فيه، حيث ذكر الفقيه الصّوفيّ والمؤرّخ محمّد بن ميمون الزّواويّ الجزائريّ أنّ العالم الفقيه والقاضي والأديب محمّد

¹ محمّد الصّالح بن العنّزي، فريدة منيسة في حال دخول التّرك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، مصدر سابق، ص.49.

² حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.81.

³ ناصر الدّين سعيّدوني، موظفو الإيالة الجزائريّة في أوائل القرن التّاسع عشر، صلاحيتهم الإداريّة، مهامهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة، مجلّة المؤرّخ العربيّ، إصدار الأمانة العامّة لاتّحاد المؤرّخين العرب، بغداد، العراق، 1987م، ص.201.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.73.

⁵ المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

أبو عبد الله بن عبد المؤمن الحسني الجزائري (.....-1683م) قد وظّف شعره لحنّ الداي حسن الشّريف باشا على الجهاد وفتح المدن الجزائرية، فنظّم:¹

نادتك وهران فلبّ نداها وانزل بها لا تقصدن سواها
واستدع طائفة العساكر نحوها يغزونها ولينزلوا بفناها
أضحى الصّليب مؤيدا والدّين قد درست معالمه فلست تراها
جرد صباطك لمحق آثار العدا حتى ترى الإسلام في مغناها

لكنّ حال هذا الطّور ما انفكّ يتغيّر، حيث شهد تحولاتٍ كثيرةٍ نظّر لها العالم ابن خلدون الذي اعتبر أنّ الدّولة وفي عزّ قوّتها وعنفوانها تُبتلى باستبداد الحاكم على قومه، وسعيه المستميت من أجل الإنفراد بالملك دون عُصبتة وسائر القبائل الطّامعة في الملك، فيلجأ إلى كبحهم عن التّطاول للمساهمة والمشاركة، حيث جاء في مقدّمته: "من طبيعة الملك الإنفراد بالمجد... فمن الطّبيعة الحيوانية خلق الكبر والأنفة، فيأنف... ويجيء خلق التّأله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم... فتُجدع أنوف العصبيات وتُفجج شكائهم عن أن يسموا إلى مشاركته في التّحكّم وتُقرع عصبيّتهم عن ذلك، وينفرد به ما استطاع، حتّى لا يترك لأحد منهم في الأمر ناقهً ولا جملاً، فينفرد بذلك المجد بكليّته."²

ولكي يستتبّ له الأمر، يستحضر أولياء آخرين ليُغالب بهم عصبته، ويستفيض العالم ابن خلدون حول هذه المسألة ذاكراً: "ظهر الاستبداد عنهم، والإنفراد بالمجد... صاروا في حقيقة الأمر من بعض أعدائه، واحتاج في مدافعهم وصدّهم عن المشاركة إلى أولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم، ويتولّاهم دونهم، فيكونون أقرب إليه من سائرهم... فيستخلصهم صاحب الدّولة ويخصّهم بمزيد التّكرمة والإيثار... ويُقلّدهم جليل الأعمال والولايات والوزارة والقيادة والجبابة... لأنّهم حينئذ أولياؤه الأقربون ونُصحاؤه المخلصون... وذلك حينئذ مؤذّنٌ باهتضام الدّولة وعلامةٌ على المرض المزمن فيها، لفساد العصبيّة التي كان بناء الغلب عليها... ولا يُطمع في برئها من هذا الدّاء... إلى أن يذهب رسمها."³

والأمر نفسه حدث في العهد العثمانيّ، إذ تمّت الاستعانة بالقبائل الموالية والقوى المحليّة من أجل المساهمة في استتباب الحكم. من جانب آخر، دفع استبداد بعض الحكّام العثمانيّين إلى استياء أهالي الجزائر ونُخبّتها، حيث شهد الأديب والشّاعر سعيد بن عبد الله المنداسيّ التلمسانيّ المكنّى بأبي عثمان (منتصف القرن 17م-1677م) دخول بعض العثمانيّين إلى تلمسان ورأى قمع

¹ محمّد بن ميمون الجزائريّ، مصدر سابق، ص.301.

² عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص.531.

³ المصدر نفسه، ص-ص.553-554.

بعضهم للسَّكان،¹ فكان من أشدَّ المستأئين من سياستهم والمنتقدين لها، وقد عرض الفقيه والأديب والشاعر أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، شعر الأديب سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني وهو يهجو العثمانيين قائلاً:²

بني السدِّ ذو القرنين للناس رحمة فيا ليته من شوكة التُّرك هنانا
فما دبَّ فوق الأرض كالتُّرك مجرم ولا وجد الشيطان كالتُّرك إنسانا
عتوا واستقرَّوا المسلمين من القرى وقد عبَدوا حُمر الدنانير أوثانا
وأكبر شيء أفسدته أكفَّهُم تلمسان عين الغرب علما وإيماناً

ولم يكتفِ الأديب سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني بهجاء ونقد سياسة الحكام العثمانيين فحسب، بل وبمن والاهم من العلماء وساند موقفهم، حيث هجا شيخ تلمسان ومفتيها الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن زاغو المغراوي التلمساني (782هـ-845هـ) على موقفه المساند لهم بقصيدة سماها "الإعلام فيم وقع للإسلام من قبل التُّرك بتلمسان والجزائر"، ورد فيها ما يلي:³

وكانت لهم لما أرادوا فسادا أراذل منها كالبطارق أعوانا
فمنه قرين السوء مفتي بلادهم تودَّ العباد التُّرك كانوا ولا كانا
فقل لابن زاغوا للضلال أئمة تدبَّر لحاك الله ما قال مولانا
لقد كنت حبرا بالمدينة صالحا فصرت بها أبا القرامط حمدانا

وإضافةً إلى القمع فشى ظلم وفساد بعض الحكام العثمانيين، إذ ذكر المؤرخ محمد قاضي أنّ الشاعر أبا عبد الله محمد بن مسايب التلمساني (80هـ أو نهاية القرن 11هـ-1768م) نظم شعراً يُعبّر فيه عن استيائه من الظلم والفساد قائلاً:⁴

هُمَا سَبَابُ كُلِّ مُشَقَّة وَالخَلْقُ صَابِرَةٌ لِبَلَاءِهِمْ
ذَا الْقَوْمِ مَا مَعَاهُمْ شَفَقَةٌ مَا يَرْفُقُوا بَمَنْ وَالْأَهْمُ
الْأَيَّامُ سَاعَدَتْهُمْ وَالْوَقْتُ حَمَاهَا وَتَنَاصَرُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
خَرَبُوا الْبِلَادَ وَالْمَخْرَزُ زَادَ عَمَاهَا الْأَسْوَاقُ خَالِيَةٌ وَالْبَاطِلُ رَنَانُ

¹ مجموعة من الأساتذة، مرجع سابق، ص. 546.

² أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص. 59.

³ سعيد بن عبد الله المنداسي، ديوان شعر، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976م، ص. 87-91.

⁴ محمد قاضي، الكنز المكنون في الشعر الملحون، تقديم أحمد أمين دلالي، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2007م، ص. 178.

وفي السِّياق نفسه استشهد المؤرِّخ مُحَمَّد بن يوسف الزَّيَّانِي بقول العلامَّة الشَّيخ مُحَمَّد بن القوجيلي الجزائري (.....-1670م) بخصوص ظلم الحكَّام للرَّعية، والذي أدَّى بالضرَّورة إلى سخط العلماء، فخطب العلامةُ باشا الجزائر أحمد باشا خوجة في قصيدة طويلة، يوصيه فيها بالعدل والالتفات لمصالح الرعيَّة والقيام بحقِّها قائلاً:¹

والتفت نحو الجهاد بقوَّة	فالكفر اقطع أصله بذكور
إضرم على الكفر نار الحرب لا	تقلع ولا تمهلهم بفتور
وبغربنا وهران ضرس مؤلم	وسهل اقتناع في اعتناء سرور
فانهض بعزمك نحوها مستنصرا	بالله في حدّ وفي تشمير

3- طور الدَّعة (الطمأنينة) وتشييد مباني الدَّولة الجزائرية في العهد العثماني،

(الفرغ والدَّعة لتحصيل ثمرات المُلك؛ المال وتخليد الآثار وبعْد الصَّيت)،

من 1750م إلى 1780م:

يحين موعد هذا الطَّور بعد أن يتجدَّر مُلك الحكَّام في البلاد، فيستلذِّون نعماء الحياة وشهواتها وملذَّاتها التي توتِّر بدورها على الجانب الدِّينيِّ والدُّنيويِّ لديهم، فتطمئنَّ أنفسهم وتحيا في حالة من الهدوء، وقد نظرَّ العالم ابن خلدون لهذا الطَّور قائلاً: "إذا حصل المُلك أقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكلَّفونها في طلبه، وآثروا الرَّاحة... والدَّعة (الطمأنينة)، ورجعوا إلى تحصيل ثمرات المُلك من المباني والمسكن والملابس، فيبنون القصور ويجزّون المياه، ويغرسون الرِّياض، ويستمتعون بأحوال الدُّنيا، ويؤثرون الرَّاحة على المتاعب، ويتأنَّقون في أحوال الملابس والمطاعم... والفرش ما استطاعوا ويألفون ذلك ويورثونه من بعدهم من أجيالهم، ولا يزال ذلك يتزايد فيهم إلى أن يتأذَّن الله بأمره.² وأضاف: "إنَّ التَّرف والنَّعمة إذا حصل لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة... والحضارة هي التَّفنُّن في التَّرف واستجادة أحواله والتَّكَلِّف بالصَّنائع التي تؤنِّق من أصنافه وسائر فنونه من الصَّنائع المهيأة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش، أو الآتية ولسائر أحوال المنزل... وإذا بلغ التَّنَّق في هذه الأحوال المنزلية

¹ مُحَمَّد بن يوسف الزَّيَّانِي، دليل الحيران وأنيس السَّهران في أخبار مدينة وهران، ط¹، تحقيق وتقديم المهديِّ البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتَّوزيع، الجزائر، 2013، ص.207.

² عبد الرَّحمن بن مُحَمَّد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص.532.

الغاية تبعه طاعة الشّهوات، فتتلوّن النّفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها.¹

وإسقاطاً للتّنظير الخلدونيّ على جزائر الغرب في العهد العثمانيّ، نجد أنّ حكام هذا العهد تقنّوا في بناء المساجد والقصور والقلاع والأبراج والحصون، ويؤكّد العالم الفقيه الصّوفيّ الحسن بن محمّد السّعيد بن الحسين بن محمّد بن عبد القادر بن أحمد الشّريف الورثلانيّ ذلك قائلاً: "ولأنّ مادّة البحر في الجزائر أوسع من مادّة البرّ... بنوا الحصون بها والأبراج والأسوار والثّعور، وأقاموا العساكر والنّوبات في كلّ محلّ... كثغر بجاية وجيجل والقلّ وبونة وغير ذلك ممّا يحتاج إليه الحفظ من العدو."²

وسانده الرّأي الشّيخ محمّد أبو راس النّاصريّ المعسكريّ (1751-1823م)، الذي نوّه بالجهود المبذولة من قبل بعض الحكّام العثمانيّين في مجال النّقافة، واصفاً عمليّة تجديد بيت الكتب، وسخاء الحاكم من أجل بناء صرح علميّ، فذكر ما يلي: "وقد بناها الملك الأصفى، والخليل الوفيّ، والمحبّ الأصفى، الباي مصطفى، برّد الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه... بنى الله لك بيتاً في الجتّة كما بنيت لنا بيت الكتب بلا أدّى ولا منّة."³ وأضاف: "ولمّا أردت تجديد تبييضها وترميمها ذكرت ذلك للباي الأسعد المجد عزيز النّصر، ونخبة العصر، وريحانة الدّهر، السّادل على الرّعيّة الأمن والأمان، الباي السيد محمّد بن عثمان... فبعث لي مع ساقية مائة ريال بوجودها، قامت أوفى إقامة بترميمها وتبييضها."⁴

كما وساد في هذا الطّور عدل بعض الحكّام العثمانيّين والعمل بما أمر به الدّين الإسلاميّ، من خلال تقريب العلماء، حيث ذكر الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن ميمون الجزائريّ أنّ الشّيخ والشّاعر أبا محمّد محمّد بن عودة بن سليمان بن عبد الله المستغانميّ قد كتب قصيدة

¹ عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، المصدر السّابق، ص-ص. 817-818

² الحسن بن محمّد الورثلانيّ، نزهة الأنظار في فضل علم التّاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثلانيّة، مطبعة بيبير بونتانا الشّرقية، الجزائر، 1908م، ص-ص. 686-687.

³ محمّد أبو راس الجزائريّ (محمّد أبو راس النّاصريّ)، فتح الإله ومنّته في التّحدّث بفضل ربّي ونعمته، تحقيق وضبط وتعليق محمد بن عبد الكريم الجزائريّ، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989، ص. 75.

⁴ المصدر نفسه، ص. 75.

أسماها "الكوكب النائر في مدح أمير الجزائر"، مدح فيها الدّاي محمّد بكداش¹ بعد أن فتح وهران عام 1708م²، واصفاً إيّاه بالأمير العادل الحاكم بأمر الله، المحبّ للعلم والعلماء، فنظم قائلاً:³

أمام عدل حماه الربّ حيث غدا	معتصماً صابراً لله منتصراً
فقد أتى واحداً في عصرنا رافعاً	لراية العلم والشرع القويم حري
أيامكم أقبلت ودولة سعدت	ورحمة وسعت في البدو والحضر
بحاكم فاضل وعالم عامل	أحيا الحنيفيّة السّمحاء كالمطر

وفي السّياق نفسه تمّت مواصلة الجهاد ضدّ النّصارى، حيث أشاد الفقيه والمؤرخ عبد القادر بن عبد الله بن محمّد المشرفيّ الغريسيّ الجزائريّ (.....-1778م) بحماس الباي مصطفى بوشلاغم ورباطه على وهران لمواجهة النّصارى قائلاً: "والحال أنّ باي إيالة الغريبيّة الجامع بين إيالة مازونة وتلمسان السيّد مصطفى أبو الشّلاغم بن يوسف المسراتيّ كان رابطاً على وهران ملازماً لجهاد النّصارى، رايماً فتحها وصابراً على بلايها... فأمدّ الباشة السيّد محمّد بكداش بالجيش برّاً وبحراً... واجتمع الجيش العظيم بساحتها وضايقوا من بها... (ينظر الملحق رقم 53 ب)).

وتّم على إثر الجهاد فتح وهران الأوّل وطرد الإسبانيّين منها، فما هو الإمام أحمد بن قاسم بن البونيّ (1653-1726م) يُهنئ فيها الدّاي محمّد بكداش بفتح وهران عام 1708م، بعد احتلالها من قبل الإسبان، وفي الوقت نفسه لفت نظره إلى حال مدينة بونة قائلاً:⁴

يا طالباً للفضل	والجود ثمّ العـدـل
والعلم والرّياسة	والحلم والكياسة
إعـمـد إلى الظّريف	بكداش الشّريف
تجد لديه ما ذكر	في كلّ محفر شُكِر
به تصير الزّاوية	عامرة لا خاوية
يعرف قدر العلما	كأمراء القـدـمـا

¹ محمّد بكداش باشا: هو ابن نور الدّين أبو الحسن عليّ بن محمّد القرشيّ النّسب العربيّ، سمّاه والده بكداش ومعناها الحجر، يُنظر محمّد بن ميمون الجزائريّ، مصدر سابق، ص.114.

² مجموعة من الأستاذة، مرجع سابق، ص.548-549.

³ محمّد بن ميمون الجزائريّ، مصدر سابق، ص.180-183.

⁴ أحمد بن قاسم البونيّ، الدّرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تقديم وتحقيق سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2007م، ص.15-16.

طوبى لمن قاربه	يا ويح شخص حاربه
يا حاكم الجزائر	يا أنس نفس الزائر
أريد أن أخبركم	أدام ربّي نصركم
بحال هذه القرية (بونة)	بالصدق لا بالفريسة
قد صال فيها الظالم	وهان فيها العالم
خربت المساجد	وقد قلّ فيها الساجد

كما عرف هذا الطور سقوط وهران عام 1732م في يد الإسبان، حيث أرخ لهذه اللحظة الشيخ محمد أبو راس الناصري العسكري، وكتب شعراً يتحسّر فيه على سقوط وهران، جاء فيه:¹

يا له من ثغر أضحى أهله جزرا (ضحايا) للنائبات وأمسا للعدا جنس (غنيمة)

وتميّز أيضاً ببدء ممارسة السكّان للأنشطة الفلاحية والرّعيّة والحرفيّة مقابل دفع الضرائب، إذ وبالعودة إلى تنظير العالم ابن خلدون، نجد أنّه وبعد أن يتجدّر السلطان في ملكه يقوم بتحصيل الجباية وضبط الدّخل والخرج من أجل الإنفاق على الدّولة، وكلّما كثر الإنفاق برزت أنواع من الجبايات والمغارم التي تُحصّل من الرّعيّة،² حيث ذكر: "في المغارم والضرائب ضيماً ومذلّة لا تحملها النفوس... إلّا إذا استهونته عن القتل والتلف."³ وسوف تزيد المطالبة بالضرائب، وسنبيّن ذلك لاحقاً... من جانب آخر، نجد أنّ الدّعة (الطمأنينة) تُشعر الحكّام بالراحة المزيّقة المنذرة بهم زوال الملك، حيث نظر لها العالم ابن خلدون قائلاً: "إنّ طبيعة الملك تقتضي الدّعة، وإذا اتخذوا الدّعة والراحة مألفاً وخلقاً، صار ذلك طبيعةً وجبلةً، فتربّي أجيالهم... في غضارة (نعمة وسعة) العيش ومهاد الترف والدّعة... فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم وتنخضد شوكتهم ويعود وبال ذلك على الدّولة بما تلبس به من ثياب الهرم."⁴ تقودنا حالة الطمأنينة والراحة إلى دخول مرحلة جديدة وطور جديد، هو الطور الرابع.

¹ محمد بن أحمد أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مصدر سابق، ج1، ص.184.

² عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص.543.

³ المصدر نفسه، ص-ص.498-499.

⁴ المصدر نفسه، ص-ص.533-535.

4- طور القنوع والمسالمة واستغلال المكاسب واستغلال الدولة الجزائريةفي العهد العثماني، من 1780م إلى 1800م:

يتميز هذا الطور بقنوع الحكام بما حققه الأوّلون من مكاسب ومن مجد ورقّي، فيستظنون بأمجادهم العتيقة ويعيشون مسالمين، حينئذ تخمد روح العصبية تماماً،¹ ويتمّ تذبذب كل ما حققه الأسلاف، فينغمس الحكام في المذات والشهوات التي تتطلب العطايا والهدايا، فتفرغ على إثرها خزائن الدولة.

ويُنظر العالم ابن خلدون لهذا الطور قائلاً: "إنّ الأمة إذا تغلّبت وملكّت... كثر رياسها ونعمتها... ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته إلى... رفته وزينته... وينزعون إلى رقة الأحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية، ويتفاخرون في ذلك ويفخرون فيه غيرهم من الأمم في أكل الطيب ولبس الأنيق،"² ثمّ يُضيف: "ولم تسمّ آمالهم إلى شيء من منازع الملك ولا أسبابه، إنّما همهم النعيم والكسب وخصب العيش... في ظلّ الدولة... والأخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأنق فيه... فتضعف العصبية والبسالة... وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترفّع عن خدمة أنفسهم وولاية حاجتهم، ويستكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية... إلى أن تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض."³

وعند إسقاط نظرية العالم ابن خلدون على الوضع في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني نجد أنّ هذا الطور الموسوم بالقنوع والمسالمة واستغلال ما حققه السلف من أمجاد والتنعّم بملذات الحياة وشهواتها قد أدى إلى ضمور وترديّ المستوى الثقافيّ، خاصّة في الحواضر التي كانت تعرف إشعاعاً علمياً كتلمسان وبجاية وتنس، ومن ثمّ برز بعض الضعف الأدبيّ والشعريّ، وقد أكّد الشيخ أحمد بن محمّد بن عليّ بن سحنون الرّاشديّ ذلك قائلاً: "إعلم يا أخي أنّ الألسنة غلبت عليها العجمة وارتفع منها سرّ الحكمة فصار أناس يتغنّون بالملحون، وبه يهجون ويمدحون،"⁴ فكان أغلب نتاج المراكز الثقافيّة في جزائر الغرب مثل قسنطينة ومعسكر، وغيرها نقلياً ومتواتراً وكميّاً، ذو طابع سياسيّ وليد الظروف والمناسبات، مثلما بيّنا ذلك سابقاً في فصل الإسطوغرافيا، خاصّة المحليّة منها.

¹ عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص.544.

² المصدر نفسه، ص.531.

³ المصدر نفسه، ص-ص.496-497.

⁴ أحمد بن محمّد بن عليّ بن سحنون الرّاشديّ، مصدر سابق، ص.138.

شهد هذا الطُّور أيضاً مراعاة أحوال الرعيّة وتتبع أحوالها، حيث نظم الشَّيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الرَّاشديّ (النَّصف الثاني من القرن 18م-1796م)¹ شعراً يَعدُّ فيه خصال البايع محمد بن عثمان الكرديّ المعروف بالبايع محمد الكبير:

ذلك الأمير محمد بن عثمان ذو العزم الذي فاق حدَّ الصَّارم الذَّكر
فهو الهمام الذي عمّت نوافله كلَّ الرعيّة من بدو ومن حضر
أقامه الله في نفع العباد فمما لديه من بدو ومن حضر

وعند فتح وهران الثاني (1792م)، قام الشَّيخ نفسه بمدح البايع محمد الكبير، قائد الفتح الثاني لوهران، وأشاد بشجاعته وجهاده قائلاً:²

خاض الحروب فراضها وأقامها زمناً فليس يؤوده الإقدام
كم كتائب فلّها، وعساكر زلت بها من خوفه الأقدام
أحييت بالغرب الجهاد وقد عفا والنَّاس عن إحيائه قد ناموا
ووثبت للأعداء وثبة باسل خضعت له الرؤوس والأعلام

كما استغلَّ الشَّيخ محمد أبو راس النَّاصريّ العسكريّ المناسبة ونظّم قصيدة مدح فيها البايع ونوّه بمآثره في 118 بيتاً سماها "نفيسة الجمان في ثغر وهران على يد المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان"، وحين عرضها عليه، طلب منه البايع شرحها شرحاً وفيّاً فنتج عنها مؤلّف "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار".³

لاحظنا أيضاً في هذا الطُّور سعي بعض الحكّام العثمانيين إلى محاربة ظاهرة الفساد، حيث امتدح الشَّيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الرَّاشديّ سياسة محمد الكبير من أجل محاربة الفساد قائلاً: "قد نقى إيالته من المخاوف، وأذهب من غياضها وغاباتها وشعابها موجبات المتآلف، حتّى صارت مستراحاً للقوافل والسِّفار، ويستريحون في رياضها من أعباء الأسفار... وما ذلك إلّا لكونه عدى على العادين فداخهم حتّى طاب لأبناء السَّبيل مراحهم ومناخهم. فلقد كان الأعشاش، وهو قوم في أخريات عمله بينه وبين رعيّة سلطان المغرب، لا تمرّ بهم قافلة إلّا استلبوها، ولا أوى إليهم شريد إلّا قتلوه... وقد بلغ من أمرهم أنّ النِّساء كنّ يقطعن السَّبيل فغزاهم أدام الله عزّه، وشتت شملهم حتّى لا نسمع الآن من سوء... وقد كان الحشم المعروفون لا يُؤتى

¹ محمد شاطو، مرجع سابق، ص.49.

² أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الرَّاشديّ، مصدر سابق، ص.276.

³ محمد بن أحمد أبو راس النَّاصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مصدر سابق، ج1، ص.33.

من عندهم بالجاني ولا ينالهم من المخزن أكبر ضرر حتى كثر فسادهم وقطعهم الطريق... حتى تولى هذا الباي... خذلوا واستكانوا ثم صيرهم جُنده.¹

رغم أن هذا الطور يمتاز بالتنوع والمُسالمة واستغلال المكاسب والاستغلال بالأمجاد والانغماس في المُلذات والشّهوات، والتي بدورها أدت إلى إخماد العصبية، إلا أنه يبقى نسبياً، حيث ظهرت بعض الحالات، وإن كانت قليلة، ساهمت في محاربة الفساد والجهاد في سبيل الله، مثل حالة المجاهد الباي محمد الكبير.

5- طور الإسراف والتبذير وانهايار الدولة الجزائرية في العهد العثماني، من 1800م

إلى 1830م:

يستصيح جلّ الحكّام في هذا الطور ملذّات الحياة وشهواتها فتكثر عطاياهم وهداياهم، وتفرغ خزينة الدولة على إثر ذلك، فيقومون باجتباء أصدقاء السوء وتقليديهم المناصب العليا ويسمحون لهم بالخوض في أمور الدولة العليا دون كفاءة، فيتسبّبون في فساد العلاقات مع كبار الأولياء الذين يتخاذلون بدورهم عن نصره الحكّام. كما ويقلّ الجند في هذا الطور، الأمر الذي يُسهم في خراب وهدم ما أسسه السلف،² حينها تخدم العصبية المدافعة عن الدولة، الأمر الذي يؤدي إلى نهايتها وسقوطها تحت رحمة عصبية أخرى عدوة لها، تسعى لإزاحتها من الملك والاستحواذ عليه.

وقد نظر العالم ابن خلدون لهذا الطور قائلاً: "إن عوارض الترف والغرق في النعيم كاسر من سورة (شدة وحدة) العصبية التي بها التغلب... وإذا انقرضت العصبية... التهمتهم الأمم... فقد تبين أن الترف من عوائق الملك،"³ ثم يضيف: "الترف مفسدٌ للخلق... فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلاً عليه... فتكون علامة على الانقراض... وتأخذ الدولة مبادئ العطب، وتتضعض أحوالها وتنزل بها أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضى عليها."⁴ إن انقراض العصبية جزاء الإسراف والتبذير والانغماس في المُلذات يؤدي بالضرورة، في الفكر الخلدوني، إلى هزم الدولة وفنائها، حيث

¹ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص-ص. 145-147

² عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص. 544.

³ المصدر نفسه، ص. 497.

⁴ المصدر نفسه، ص-ص. 533-535.

استطرد قائلاً: "في هذا الطُّور تحصل في الدَّولة طبيعة الهرم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه، ولا يكون لها معه براء، إلى أن تنقرض،"¹ ثم يُضيف: "إذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدَّعة أقبلت الدَّولة على الهرم،"² ثم اعتبر هرم الدَّولة مرضاً مزمناً فقال: "الهرم من الأمراض المزمنة التي لا يُمكن دواؤها ولا ارتفاعها، بما أنه طبيعي، والأمور الطَّبِيعِيَّة لا تتبدل."³

وإذا أسقطنا نظريَّة العالم ابن خلدون حول هذا الطُّور على جزائر الغرب في العهد العثمانيّ سنجد أن الوضع قد استمرَّ في التردّي الثقافيّ في بعض المناطق، حيث نظم الفقيه والشاعر محمد بن الشَّاهد الجزائريّ (1737-1844م) أبياتاً جاء فيها:⁴

ولُثمَّ درس العلم والجهل عسّس ونادى بتعطيل العلوم عن النشر

واستمرَّ بعض الحكَّام العثمانيين في التَّشديد والتَّزوين، حيث قال الآغا إسماعيل بن عودة المزاريّ (.....-1897م) عن الدَّاي عثمان بن محمَّد: "اشتغل ببناء المعالم المرَوَّنقة، والغرف المعدَّة المزوَّقة، والقصور المشيَّدة... وغرس الأشجار ذات الفواكه والرَّوائح الطَّيِّبة المختلفة، وجرى المياه في القوارير المؤتلفة."⁵

وبدأت أمور الدَّولة في التردّي حيث لجأ بعض الحكَّام إلى أصحاب السَّوء فجنّدوا جنوداً أو ميليشيات بلغة المؤرِّخ حمدان خوجة غير مؤهَّلة، ارتكبت المظالم ضدَّ الأهالي، حيث ذكر هذا الأخير أنه: "من أسباب انحطاط البلاد إرسال المندوبين إلى إزمير، يجمعون الأجناد، وبدلاً من أن يتبع هؤلاء المندوبون الطَّريقة القديمة، والتي لم تكن تسمح أن يُجنَّد في الميليشيات إلاَّ الرِّجال النَّزهاء، الذين لهم جاهٌ ومكانةٌ، فإنهم كانوا يفتحون أبواب الميليشيات لأيِّ كان، حتَّى لأناس كانوا قد أذنبوا وأدينوا، وكان يوجد بين المجنَّدين يهودٌ ويونانيون،"⁶

الأمر الذي أدَّى إلى انعدام الاستقرار السياسيّ، حيث تمَّ ترك السَّلطة المطلقة في يد الدَّيات الباشوات، وقد أضاف المؤرِّخ حمدان بن عثمان خوجة في هذا الصَّدد: "ارتكب الأتراك خطأ فادحاً عندما تركوا السَّلطة المطلقة بين أيدي الباشوات، لأنَّ ذلك جرَّد الديوان من كلِّ قوَّة

¹ عبد الرّحمن بن محمَّد بن خلدون، المصدر السَّابق، ص.544.

² المصدر نفسه، ص.533.

³ المصدر نفسه، ص.708.

⁴ زليخة صاري، محمَّد بن الشَّاهد آخر شعراء الجزائر في الفترة العثمانية، دراسة توثيقية وفنّية لشعره، قصيدة "رثاء الجزائر" أنموذجاً، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007/2008م، ص.132.

⁵ الآغا إسماعيل بن عودة المزاريّ، مصدر سابق، ج1، ص.298.

⁶ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.111.

وسلطان... في حين أنه أنشئ لمراقبة أعمال الباشوات ومساعدة الحكومة عن طريق تزويدها بالنصائح.¹

وتأزمت الأجواء السياسية إلى درجة اغتيال أغلب الحكام الدايات،² فمن عام 1790م إلى عام 1830م، تولّى الحكم 08 دايات، تمّ اغتيال 06 منهم.³ شهد هذا الطور أيضاً الصراع بين الكراغلة (والصواب هو قول أوغلو) والأتراك على الحكم، وتمّ عزل البايات، حيث يقول المؤرخ حمدان بن عثمان خوجة دائماً: "لقد بدأت تجاوزات الأتراك والفوضى الناتجة عن عزل البايات سنة 1791م، واستمرت إلى غاية 1818م، وهي السنة التي وصل فيها حسين باشا إلى الحكم."⁴ كما كثرت في هذا الطور أعمال احتكار القمح والحبوب من طرف اليهوديين بكري وبوشناق، الأمر الذي أدّى إلى ارتفاع الأسعار، فعن حصول القحط وغلاء الأسعار، خاصة القمح، ذكر الآغا إسماعيل بن عودة المزارّي: "وفي فصل الربيع سنة اثنين وأربعين ومائتين وألف (1242هـ/1826-1827م)، وقع غلاءً عظيمٌ وقحطٌ فيه الناس."⁵

ومارس بعض الحكام الجور على الأهالي وانتشر الفساد والظلم، حيث ذكر ابن خلدون: "الظلم مؤذّن بخراب العمران... إنّ العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها... وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، فإذا كان الاعتداء كثيراً عامّاً في جميع أبواب المعاش، كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه الآمال جملةً بدخوله من جميع أبوابها... فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران، وانتقضت الأحوال وابتدع (تفرّق وفرّ) الناس في الآفاق من غير تلك الإيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها، فخفت ساكن القطر، وخلت دياره، وخربت أمصاره، واختلّ باختلاله حال الدولة والسلطان،"⁶ ثمّ يضيف: "ومن أشدّ الظلمات وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حقّ، فإذا كلّفوا العمل في غير شأنهم... بطل كسبهم واغتصبوا قيمة

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 116.

² أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص. 171.

³ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988م، ص. 23.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص. 135.

⁵ الآغا إسماعيل بن عودة المزارّي، مصدر سابق، ج1، ص. 360.

⁶ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص. 697-698.

عملهم ذلك... فدخل عليهم الضرر، وذهب لهم حظ كبير من معاشهم... بالجملة، وإن تكرر ذلك أفسد آمالهم في العمارة، وقعدوا عن السعي فيها... فأدى ذلك إلى انتقاص العمران وتخريبه.¹

ويذكر في هذا المقام الآغا إسماعيل بن عودة المزاري رأي القاضي والمؤرخ محمد بن يوسف الزباني (الثالث الأول من القرن التاسع عشر -1902م) حول ظلم العثمانيين قائلاً: "إن الأتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر كثر ظلمهم وفسادهم وعوتهم في الخلق وعنادهم بحيث لا يليق أن يذكر ما كانوا فيه من الظلم والمناكر وتواتر ذلك على الألسنة بغاية التواتر... وسأل الناس الله أن يُزيل بهم ما حلّ من ظلمهم."²

ويمكن إيعاز ما حدث إلى سوء تدبير الحكام في هذا الطور، حيث كتب الداي علي بن أحمد الملقب علي خوجة (1784-1818م)، رسالة إلى السلطان محمود الثاني في 06 أكتوبر 1817م (ينظر الملحق رقم 54)، بين فيها سوء تدبير الداي عمر باشا (القرن 18م-1817م)، فكتب: "إن عبدكم داي الجزائر السابق المرحوم عمر باشا لم يهتم بصورة مجدية لحلّ قضايا الإنكشاريين والمسائل الهامة المتعلقة بالجهاد، بل بالعكس من ذلك اتبع سياسة استبدادية وحسب ميوله الشخصية، كما أنه لم يهتم بضعفاء الولاية، وانصرف إلى تبذير أموال خزينة المسلمين في تشييد أبنية لا فائدة ترجى منها، وقيامه ببعض الأعمال التي أدت إلى الإفلاس. ومنذ سنة حصلت لنا حرب مع الإنجليز حيث ألحقونا هزيمة لم يُشاهد تاريخ هاته الولاية مثيلاً لها، إن سبب ذلك راجع إلى سوء التدبير وأنانية وتقصير الداي السابق، وعليه اجتمع العلماء والمشايخ والصلحاء والأغنياء والفقراء والأوجاق، ليتبادلوا الرأي فيمن سيتولّى أمرهم."³

من مميزات هذا الطور أيضاً قلّة مداخل الجندية البحرية الجزائرية بدايةً من النصف الثاني من القرن 18م، نتيجة التحالفات الأوروبية التي أدت إلى انعقاد مؤتمر فيينا عام 1815م،⁴ والذي تقرّر فيه منع تجارة الرقيق، ثم مؤتمر إكس لا شابيل عام 1818م، أين أشعرت الدول الأوروبية عام 1819م، الداي حسين بقرارات المؤتمر الرامية إلى الحدّ من نشاط الأسطول الجزائري في البحر الأبيض المتوسط، حيث ورد في القرار: "اتفق المفوضون (القوى الخمسة الكبرى إنجلترا وفرنسا وروسيا ومملكة بروسيا الألمانية والنمسا)، طبقاً لنصّ بروتوكولي في

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المصدر السابق، ص.701.

² الآغا إسماعيل بن عودة المزاري، مصدر سابق، ج1، ص.368.

³ عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م، مرجع سابق، ص.259.

⁴ أمير يوسف، الواقع الاقتصادي للجزائر خلال الفترة العثمانية، مقال استخرج من الزايط

https://www.asjp.cerist.dz/downloads/revues?fileKey=2171 بتاريخ 2019/03/19م، على 07 سا و10د.

20 نوفمبر 1818م على: "...النظر في المقترحات لإلغاء القرصنة التي تُمارسها الدول البربرية بطريقة فعّالة... ستكون له آثار، تُحسِّن الإيالات صنْعاً في أن تفكّر عاجلاً في نتائجها التي قد تمسّ وجودها نفسه... وتحتفظ البلاطات الخمس بحقها في تحذير الباب العالي بصورة ودّية من الأخطار التي قد تتعرّض لها الإيالات البربرية نتيجة استمرارها على ممارسة القرصنة من حيث أنّها ستكون سبباً في اتّخاذ الدول الأوروبية إجراءات حاسمة".¹

ونتيجة قلة مداخل الجندية البحرية، زادت المطالب الضريبية، ومع فقدان العصبية التي كانت تحمي الأهالي وتُدافع عنهم، ألحقت بالسكان المذلة كالمغارم والضرائب، وقد نظر العالم ابن خلدون لهذا الوضع قائلاً: "العصبية... هي التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة، وإنّ من فقدها عجز عن جميع ذلك، فيما يوجب المذلة... شأن المغارم والضرائب... لأنّ في المغارم والضرائب ضيماً ومذلة لا تحملها النفوس... إلا إذا استهونتته عن القتل والتلف،"² ثمّ يُضيف: "تأخذ (الدولة) بدين الحضارة في الترف... فيكثر لذلك خراج أهل الدولة، ويكثر خراج السلطان بنفقته في خاصته وكثرة عطائه، ولا تفي بذلك الجباية فتحثج الدولة إلى الزيادة في الجباية لما تحتاج إليه الحامية من العطاء والسلطان من النفقة... ويدرك الدولة الهرم، وتضعف عصابتها عن جباية الأموال... فتقلّ الجباية وتكثر العوائد، ويكثر بكثرتها أرزاق الجند وعطاؤهم، فيستحدث صاحب الدولة أنواعاً من الجباية... وهو مضطرّ لذلك بما دعاه إليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش والحامية... ويؤدّن ذلك باختلال العمران، ويعود على الدولة، ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن تضمحل".³

وللخروج من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي حلّت بجزائر الغرب في العهد العثماني، قامت السلطة بزيادة الضرائب على الأهالي، حيث ذكر المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أنّ "اختلال التوازن الماليّ قد انجرّ عنه ضغط ماليّ على الأرياف وساهم في نشوب ثورات عديدة وجدت في الطرقية وسيلة للتعبير عن عدائها وكرهيتها للسلطات الحاكمة، كما كان الانهيار الماليّ عاملاً مباشراً في انعزال الحكومة الجزائرية وعدم تجاوب السّكان معها، ممّا جعلها تنهار في أول صدام حقيقيّ لها مع قوّة أجنبية غازية".⁴

¹ شارل ويليام، مذكرات ويليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص-ص. 323-324.

² عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص-ص. 498-499.

³ المصدر نفسه، ص. 690.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، النظام الماليّ للجزائر أواخر الفترة العثمانية (1792-1830م) مرجع سابق، ص. 226.

فبسبب الأزمات التي عرفها هذا الطور، ظهر القحط وظهرت المجاعات والأمراض والموتان، حيث نظر العالم ابن خلدون لهذه الأحداث قائلاً: "ثم إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول، والسبب فيه: إما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلج (الحراثة) في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات، أو الفتن الواقعة من انتفاض (فساد) الرعايا... فغلا الزرع وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا."¹ ويؤكد المؤرخ صالح بن محمد العنتري القسنطيني أن الثورات، خاصة ثورة الأحرش، كانت سبباً من بين أسباب القحط والمجاعات، قائلاً: "إنها أحد الأسباب التي نشأت عنها المجاعة وقلة الحبوب من كثرة الهول واضطراب الرعية... ومن أجل ذلك الاضطراب انعدمت الحراثة في تلك السنة أيضاً في جهات كثيرة، وانفقدت حبوب الزرع بقيام ذلك الهول، وعز إخراجها وقل من يأتي بها من الأسواق مخافة الطرقات وقتئذ."²

وعن المجاعة ذكر: "حصلت للناس شدة ومجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك... فإنهم تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر والمصائب التي حلت به من قبل، من يبس الزرع وعدم الحرث ونزول القحط والفتن... حتى صاروا يقتاتون الدّم والميتة وغير ذلك مما لا يُباح اقتياته... والحاصل... ارتفعت أسعار الحبوب إلى ما لا نهاية له... ودام القحط والغلاء في الحبوب مدة سنة كاملة، وهي سنة 1804م."³ ويخبرنا المؤرخ حمدان بن عثمان خوجة في السياق نفسه: "وفي سنة 1800م، أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى، ووقعت الحاجة إلى الأقوات، فأمر الداي لتموين البلاد، بالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء القمح، وقد بيع... بثمانية وعشرين فرنكا للصاع الواحد، وعلى الرغم من ذلك كان لا بد من تنصيب الجنود عند باب كل مخزن."⁴

أما الأمراض فقد نظر لها العالم ابن خلدون قائلاً: "تأخذ الدولة مبادئ العطب، وتتضعض أحوالها وتنزل بها أمراض مزمنة من الهرم إلى أن يقضى عليها،"⁵ فمن الأمراض الفتاكة التي عرفتها الدولة الجزائرية في العهد العثماني مرض الطاعون، الذي كانت بداياته عام 1552م، وكان يتكرر كل 10 أو 15 عاماً، وأحياناً كان يستمر لأعوام، كما حدث من قبل، حيث استمر الطاعون من

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص723.

² صالح العنتري (محمد الصالح بن العنتري)، مجاعات قسنطينة، مصدر سابق، ص33.

³ المصدر نفسه، ص-ص33-34.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص122.

⁵ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص534.

عام 1784م إلى عام 1798م، وكان يكثر عندما تشهد البلاد كوارث طبيعية كالجفاف والمجاعات، مثلما حصل عام 1740م.¹

والموتان في نظر العالم ابن خلدون: "له أسباب من كثرة المجاعات، أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء، وسببه في الغالب فساد الهواء... فإذا كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة، وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة، وإن كان الفساد دون القوى (غير قوي)... فيكثر العفن ويتضاعف... فتمرض الأبدان وتهلك، وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة... لهذا تبين في موضعه من الحكمة أنّ تخلل الخلاء والقفور بين العمران ضروري ليكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات، ويأتي بالهواء الصحيح، ولهذا أيضاً بأنّ الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها بكثير."²

وقد قُدّر عدد ضحايا الطّاعون في جزائر الغرب أثناء العهد العثمانيّ في عام 1788م بـ15.793 ضحية، منها 13.482 مسلماً، 1.771 يهودياً و540 مسيحياً، وكان عدد ضحايا المسلمين يصل يومياً ما بين 200 و2.040 ضحية، بينما قُدّر عدد الضحايا بين سنتي 1792م و1793م بـ12.000 ضحية، وقد اشتدّ هذا الوباء ما بين سنتي 1817م و1822م، ممّا أدّى إلى هلاك عدد كبير من الأهالي، حيث قُدّر عدد الضحايا بـ20.000 ضحية.³

ونتيجة للقطط والمرضان والموتان **قلّت الجنود الحامية**، حيث ذكر العالم ابن خلدون: "ينقص عدد الحامية... إلى أن يعود المعسكر إلى أقلّ الأعداد، فتضعف الحماية لذلك، وتسقط قوّة الدولة ويتجاسر عليها من يُجاورها من الدول أو من هو تحت يدها من القبائل والعصائب، ويأذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليقته،"⁴

وعلى إثر ذلك سارعت السّلطة إلى إضافة الجند من القبائل الأخرى للنصرة، وقد ذكر العالم ابن خلدون هذا الأمر قائلاً: "إذا طرقتها (الدولة) الهرم بالترف والرّاحة... يتخير صاحب الدولة أنصاراً وشيعَةً من غير جلدتهم ممّن تعودّ الخشونة فيتخذهم جنداً يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشّدائد من الجوع والشّظف... من أبناء الملوك الذين... ربّوا في ماء النّعيم والسّلطان وظلّه، ويكون ذلك دواءً للدولة من الهرم... حتى يأذن الله فيها بأمره."⁵

¹ محمّد دادة، الطبّ والمجتمع في الجزائر خلال الفترة العثمانية 1519-1830م، مقارنة اجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2014-2015م، ص.54.

² عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص.723.

³ محمّد دادة، مرجع سابق، ص.54.

⁴ عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص.534.

⁵ المصدر نفسه، ص.535.

ويقول المؤرّخ أحمد توفيق المدني في هذا الصّدّد: "في عام 1817م، وقع حادثٌ يستحقّ الذكر، ألا وهو نسف الباشا علي خوجة لنفوذ الجند التّركي، واعتماده على الجند الوطنيّ الزّواوي... حتّى لا تكون العربية بيد الجنود الأتراك وساد الفرح في المدينة لأنّ أهلها رأوا أنّ الباشا الجديد سيحكم معتمداً على جنود الزّواوة، وبهذه الصّفة أخذت الحكومة شكلاً وطنياً واضمحلت أغلب علاقاتها مع الباب العالي الذي لم يبق له إلاّ سلطة اسميّة ضئيلة."¹

وبناءً عليه أسهمت هذه الأوضاع كلّها في ظهور التّمردات والثّورات، حيث نظر لها العالم ابن خلدون قائلاً: "إنّ الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلّ أن تستحكم فيها دولة، والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء، وأنّ وراء كلّ رأي وهوى عصبية تُمانع دونها، فيكثر الانتفاض (الفساد) على الدولة والخروج عليها في كلّ وقت."²

وعلى إثر الأحداث السّابقة تمرّد بعض الأهالي، فظهرت ثورة درقاوة وثورة التّيجانية في الغرب، وثورة الأحرش في الشّرق عامي 1804م و1805م. فأما ثورة درقاوة فيحدّثنا عنها القاضي والمؤرّخ محمد بن يوسف الزّياتي قائلاً عن زعيمها عبد القادر بن الشّريف: "ترك تعليم الأطفال للطلّبة، لبس المرقّعة وركّب الكلخ (الأعشاب) وعلّق الببوش والقرون معه... وابتدع أموراً يمجّها الطّبع ويُنكرها الشّرع، واقتدى به كثير من النّاس... فسمع به الباي مصطفى بن عبد الله العجمي، فجهّز له جيشاً عظيماً وقصده به، فابن الشّريف هابطاً للباي وهو صاعدٌ له، إلى أن تلاقيا بفرطاسة، بين وادي مينا، ووادي العبد، وشعلت نار الحرب بينهما، وحمي الوطيس، فانهزم الباي بجيشه، وأخذ ابن الشّريف بجيشه أديارهم يقتلون ويؤسرون إلى قرب معسكر، وبقيت محلّة الباي بما فيها من غنيمة للدّرقاوي، فصار الباي في نكد، والدّرقاوي في رغد... كان ذلك يوم الأحد ثالث ربيع الأوّل سنة 1219هـ-1805م،"³

ثم يُضيف: "وقد مات يوم فرطاسة من المخزن خلقٌ كثيرٌ، ومات كاتب الباي، العالم العلّامة السيّد الحاج أحمد بن هطال التّلمسانيّ والعالم الأديب السيّد أبو عبد الله محمد الغزلاوي."⁴ في حين نجد أنّ ثورة الشّريف بن الأحرش لتّي دامت 03 أعوام، وشملت رقعةً واسعةً من لواء الشّرق، فقد قُتل خلالها الباي عثمان الذي حكم من 1803م إلى 1804م، وحدّثنا عنها رجل الدّين

¹ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص.41.

² عبد الرّحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص.528.

³ محمد بن يوسف الزّياتي، دليل الحيران وأنيس السّهرة في أخبار مدينة وهران، مصدر سابق، ص.273.

⁴ المصدر نفسه، ص.275.

والمؤرِّخ الشَّيخ الحاج أحمد بن المبارك بن عمر بن أحمد القسطنطينيَّ (1790-1870م) قائلاً: "دخل وسط القبائل (الشَّريف بن الأحرش) ووعدهم بأخذ قسطنطينة، وأظهر لهم أموراً يزعم أنَّ بارودهم يتكلَّم وأنَّ بارود أهل قسطنطينة يرجع ماءً في مكاحلهم، وغرَّهم بأمثال هذا الكلام، واستمالهم ووعدهم بأموال قسطنطينة وحريمها، فاجتمع عليه جنْدٌ عظيمٌ من فرق القبائل السَّاكنين ما بين جيجل وسكيكدة أكثر من مائة ألف وصار بجموعه قاصداً قسطنطينة."¹

ويُسانده الرَّأي المؤرِّخ صالح بن محمَّد العنترِيَّ القسطنطينيَّ (1800-1876م) ذاكراً: "وزعم أنَّه صاحب الوقت وأنَّ دعوته مستجابة والنَّصر يتبعه حيثما توجَّه وبارود عدوِّه لا يضرُّه، ولا يصيب أتباعه بل يرجع إليهم ماءً، إلى غير ذلك من الأعوات (المزاعم) الكاذبة."²

أما عن **ثورة التَّجانِيَّة** أو حملة التَّيجينيِّ بن الشَّيخ أحمد (التَّيجانيِّ)، مؤسِّس التَّيجانيَّة في وهران عام 1827م، فقد تحدَّث عنها الحاج ابن الدِّين الأوغاطيَّ قائلاً: "عين ماضي: إنَّ هذه البلدة تقع غربي تجمونت، وهي محاطةٌ بأسوار تُشبه أسوار طرابلس، ولها بابان عظيمان، ولحاكمها الَّذي يُسمَّى ولد التَّيجينيِّ حوالي مائة عبد وخرنئةٌ مليئةٌ بالنَّقود، ومنذ سنتين فقط، أي سنة 1243هـ (1827م)، جمع أخوه جيشاً بهدف الرَّحف على وهران والاستيلاء على خزنتها، وقد انضمَّ جميع عرب النَّاحية المحيطة إلى لوائه، وزحفوا بالطَّبُول والمزامير، وأعطيت لهم الخيول والخيام، وقد سقطت مدينة معسكر في أيديهم، وتقدَّموا نحو وهران، غير أنَّ باي وهران (حسن باي وهران) ورَّع الدِّراهم على عرب الحملة بهدف هزيمة هذا الجيش، وقد نجح الباي فجعلهم بذلك يسحبون تأييدهم لولد التَّيجينيِّ الَّذي قُتل فيما بعد إثر هجوم قام به الباي ضدَّ جيشه. وها هو أخوه الآن حاكمٌ لعين ماضي وله حمَّام في وسط البلدة، ومن بين أملاكه الفخيمة سروج وتحف مطرزةٌ بالذَّهب، كما أنَّه يملك مكتبةً كبيرةً."³

لقد أدَّى نشوب هذه الثَّورات إلى التَّشكيك في إخلاص العلماء والفقهاء المتصوِّفين والرَّيبة فيهم واتَّهامهم بالتَّخطيط للثَّورات، والتَّعاون مع الثَّوار وقياداتهم، فراح بعض الحكَّام يتعاملون معهم بالحِيطة والحذر، ويتتبعون أخبارهم وحركاتهم، ثمَّ أقدموا على **قتل رجال الدِّين والمتصوِّفة**. وقد

¹ أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسطنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، قسطنطينة، 2011م، ص-ص 111-112.

² صالح العنترِيَّ (محمَّد الصَّالح بن العنترِيَّ)، مجاعات قسطنطينة، بح بونار، الشَّركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، 1974م، ص.29.

³ الحاج ابن الدِّين الأوغاطيَّ، رحلة الأوغاطيَّ، من كتاب مجموع رحلات، تأليف وتحقيق، أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدوليَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2011م، ص-ص 88-89.

أكد هذه الأحداث الأغا إسماعيل بن عودة المزاربي، ذاكراً ما فعله آخر بايات وهران: "وقتل هذا الباي وليّ الله سيدي الحاج محمد البوشيخي... بحيث علّقه مع خشبة بوهران، وقال هذا جزاء من يُريد الظهور والإعلان، ومنع شيخ الجماعة من الحجّ وهو السيّد الحاج محي الدين بن سيدي مصطفى بن المختار والد الأمير السيّد الحاج عبد القادر... ثمّ جمع جيشاً عظيماً يقيناً، وذهب به لزاوية الشّيخ بلقندوز القداري التّيجينيّ، وليس عند هذا الشّيخ الضّرير سوى الطّلبة لقراءة القرآن، ورام قتله، ولمّا رآه على تلك الحالة التي بها خبره انصدع، قال مثل هذا لا يثور علينا ورجع، ثمّ غزاه في عام 1245هـ/1829م في جيش عظيم لا يطبق له أحد على الوصف... فقتله خنقاً".¹

وما زاد الأوضاع سوءاً انحرافات بعض البايات عن التعاليم الدّينية والأخلاق السّميحة، حيث وصف الأغا إسماعيل بن عودة المزاربي انحراف الباي عثمان بن محمد الكبير بعد موت والده الباي محمد الكبير قائلاً: "أعرض عن المملكة... وأقبل بكلّه على اللّهو والطّرب، فانهمك فيه انهماك بعض ملوك العرب، فصار مجلسه لا يخلو (كذا) من الأدباء الطّرفاء، والسّدات الأعيان والشّرفاء، ولم يلتفت لِمَا كلفه الله به من أمور الرّعيّة، بل جعل ذلك نسيّاً منسياً بالكلّيّة".²

ورغم الأحداث المأساويّة التي عرفتها جزائر الغرب أواخر الحكم العثمانيّ، إلّا أنّ بعض الحكّام حاولوا استعادة الأمن والاستقرار بغية الحفاظ على مُلكهم، وقد نظّر لهم العالم ابن خلدون حيث ذكر: "وقد يحدث عند آخر الدّولة قوّة تُوهّم أنّ الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبالها إيماضة الخمود، كما يقع في الذبال (الفتيل) المشتعل فإنّه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة تُوهّم أنّها اشتعال وهي انطفاء".³ هنا نستشهد بمحاولة الدّاي علي خوجة الذي حكم بين 1817 و1818م، حماية البلد، فأرسل إلى السّلطان العثمانيّ محمود الثّاني (1785-1839م) رسالةً في 06 أكتوبر من عام 1817م، قال فيها: "ومنذ استلامي مقاليد الحكم، وأنا ساهر على حماية البلد... كان الواجب يُحتمّ علينا رفع الطّاعة والولاء إليكم والدّفاع عن البلاد بجهدنا وحماية الفقراء الضّعفاء، وحلّ المشاكل المعلّقة على الدّولة، إنّ عبدكم لصارف نهاره وليله إلى أداء مثل هذه الواجبات".⁴ (ينظر الملحق رقم 55).

1 الأغا إسماعيل بن عودة المزاربي، مصدر سابق، ج1، ص-ص. 361-663.

2 المصدر نفسه، ص. 298.

3 عبد الرّحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص. 709.

4 عبد الجليل التّميمي، بحوث ووثائق في التّاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا 1816-1871م، الدّار التّونسيّة للنّشر، 1972م، ص. 259.

وفي الإطار نفسه، أشاد الحاج أحمد الشريف الزهّار بإنجازات الدّاي الحاج علي بن خليل باشا (.....-1815م) قائلاً: "وكان الأمير قد بنى باب الجهاد بالمول، وبنى المخازن التي بين البلد وبرج الفنار، وجدّد قنطرة وادي الحراش وبنى قنطرة وادي شلف".¹ ومدح الدّاي حسن باشا قائلاً: "حسن باشا هذا، وهو آخر التّرك بالجزائر، قد كان قويّ النّفس، لا يتزعزع، ولا يتضعع لنوائب الدّهر، وأمّا سيرته في أهل البلد، وأهل مملكته فقد سار فيهم سيرةً حسنةً، لم يسرها من تقدّمه، من لين الجانب وسهولة المجاب، والعفو عن الجرائم، والصّفح عن الزّلات، والكفّ عن الدّماء والمحارم، ورفع الظّلامات، وتقّد أحوال الضّعفاء، وكان تقيّاً محبّاً للصّالحين ولمن انتسب إليهم، وكان يلتزم أحكام الشّريعة المطهّرة، أمّا عمّاله على أهل البادية فقد ظلّموا وجاروا على الرّعيّة".² وأشاد أيضاً بمآثر الدّاي عمر باشا (القرن 18م-1817م) ذاكراً: "بعث الأمير لعمّاله بالبلدان وأمرهم بأن يبعثوا البنّائين الذين عندهم، وأمر البنّائين بالبلدان أن يصلحوا الأبراج، وأضاف إليهم بناء العمالة عندما قدّموا، وكان واقفاً معهم، وهم يعملون ليلاً ونهاراً، فلم ينقّص شهرٌ حتّى أصلح ما فسد من الأبراج، وبنى الجامع الأعظم".³ وأشاد أيضاً بالدّاي بمصطفى باشا الذي حكم ما بين 1798م و1805م مبيّناً "أنّه بنى بستاناً بعين الرّبط، وبنى دوراً وقصوراً وغرسه بجميع الفواكه والثّمّار".⁴

وإذا ما توجّهنا صوب تنظير العالم ابن خلدون لنهاية الدّولة وسقوطها، نجده قد ذكر أنّه: "إذا أدن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات، وانتحال الرذائل، وسلوك طرقها، فنُقِدُ الفضائل السياسيّة... ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم... فإذا رأيتّه قد ذهب من أمة من الأمم فاعلم أنّ الفضائل قد أخذت في الدّهاب عنهم، وارتقب زوال الملك منهم"،⁵ وقد استشهد في ذلك بالآية القرآنيّة: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾،⁶ ثمّ يضيف: "في هذا الطّور تحصل في الدّولة طبيعة الهرم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه، ولا يكون لها معه براء، إلى أن تنقرض".⁷ ويذكر أيضاً: "أنّ أواخر الدّولة يكون فيها الإجحاف بالرّعايا وسوء الملكة".¹

¹ أحمد الشريف الزهّار، مصدر سابق، ص. 110.

² المصدر نفسه، ص. 176.

³ المصدر نفسه، ص. 127.

⁴ المصدر نفسه، ص. 80.

⁵ عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص. 501-502.

⁶ سورة الرعد، الآية: 11.

⁷ عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص. 544.

لقد هزمت وفنت وانقرضت وسقطت ولاية جزائر الغرب عام 1830م على يد الفرنسيين، فظهرت عصبية أخرى عدوة للأولى بالمفهوم الخلدوني، كانت تتطلع لتشييد دولة لها على أرض جزائر الغرب، وبدأت من المركز، حيث نظر لها قائلًا: "إذا غلب على الدولة مركزها فلا ينفعها بقاء الأطراف والنطاق بل تضمحل لوقتها، فإن المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فإذا غلب القلب ومك انهمز جميع الأطراف."²

ختاماً، ومن خلال عرض بعض الأحداث التاريخية لجزائر الغرب في العهد العثماني، حاولنا استخلاص الأطوار التي مرت بها الدولة الجزائرية، متبنيين التنظير الخلدوني لنشأة وأطوار الدولة، مستشهدين ببعض النماذج من المؤلفات الإسطوغرافية المحلية التي تناولت تلك الأحداث، وبعض الوثائق العثمانية، وقد خلصنا إلى أنه قد تآتى لنا تطبيق النظرية الخلدونية على الدولة الجزائرية إبان العهد العثماني بنسبة معتبرة جداً، مكنتنا من وصف الأحداث في كل طور، بعيداً عن ربطها بالألقاب الشرفية التي تحوّل البعض منها وأصبح وظيفة عسكرية (البيلربايات، البشوات، الأغوات، الدايات).

ورغم ذلك تظلّ النظرية الخلدونية التي تبينها، وكأي نظرية أخرى غير مطلقة بل نسبية بسبب تداخل الأحداث، حيث عرضنا في كل طور نماذج من المصادر المحلية، سواء كانت شعراً أو نثراً، مناوئة أو موالية، وقد لاحظنا التباين الواضح بين مختلف المؤلفات، ويعود السبب في ذلك إلى اختلاف المواقف بين مؤيد للدولة ومعارض لها. كما وألفت أغلب الإسطوغرافيا المحلية بهدف التأريخ لمناسبات وأحداث معينة وليسير بعض الحكام، إلا القليل منها كالرحلات التي كانت تسعى إلى نقل ما رآته عين الرحالة الشيخ الحسن بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف الورثاني والشيخ محمد أبو راس الناصري المعسكري.

وقد أعانتنا الإسطوغرافيا المحلية في تحديد أطوار الدولة الجزائرية التي تبينها من التنظير الخلدوني لنشأة وأطوار الدول، حيث استعنا في الطور الأول، طور الاستحواذ على الملك ونشأة الدولة الجزائرية في العهد العثماني، (الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك)، بالشيخ عبد الرحمن بن محمد بن موسى الوجديدي التلمساني من خلال شعره عن فتح حصن مرسى وهران وهروب الإسبان منه، وإشادة الشيخ محمد أبو راس الناصري المعسكري بحكم خير الدين بربروس، كما اعتنى حمدان بن عثمان خوجة وصالح بن محمد العنثري

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المصدر السابق، ص.722.

² المصدر نفسه، ص.525.

القسنطيني بالإشادة بحكم العثمانيين الأوائل، إضافةً إلى العالم عبد الرحمن بن سيدي محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخصريّ البسكريّ، الذي هاجم المبتدعة ونقد تشويهم للدين الإسلاميّ، بينما قام الشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحي الفكون التميمي الفكون بهجاء أعيان الجزائر الذين مارسوا السلطة الجائرة ضدّ الأهالي.

أمّا الطور الثاني، طور الإنفراد بالحكم وعنفوان السلطة وقوتها في الدولة الجزائرية إبان العهد العثمانيّ (استبداد حكامها على قومهم والإنفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التّطاول للمساهمة والمشاركة)، فقد ضمّ أعمال ثلّة من الإسطوغرافيين، أمثال المؤرخ صالح بن محمد العنترى القسنطينيّ الذي تناول عدل العثمانيين، وسانده الرّأي المؤرخ حمدان بن عثمان خوجة الذي تحدّث عن احترامهم لعادات البلاد، وتعايشهم السلميّ مع الأهالي، أمّا الشيخ محمد أبو عبد الله بن عبد المؤمن فقد حتّ على الجهاد وفتح المدن الجزائرية، في حين عبّر الأديب سعيد بن عبد الله المنداسي التلمسانيّ عن استيائه من سياسة العثمانيين الظّالمة في هذا الطور.

وبخصوص الطور الثالث، طور الدّعة (الطمأنينة) وتشديد مباني الدولة الجزائرية في العهد العثمانيّ، (الفرغ والدّعة (الطمأنينة) لتحصيل ثمرات الملك المال وتخليد الآثار وبعْد الصّيت)، فقد استعنا بتأليفات الشيخ الحسن بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف الورثانيّ الذي أشاد بما بناه العثمانيون من قصور ومساجد وقلاع وأبراج، وسانده الرّأي الشيخ محمد أبو راس الناصريّ المعسكريّ، كما قام الشيخ أبو محمد بن عودة بن سليمان بن عبد الله المستغاميّ بالتأريخ لفتح وهران الأوّل، ولعدل الحاكم العثمانيّ بكداش. أمّا الشيخ عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي الغريسيّ الجزائريّ، فقد حتّ على مواصلة الجهاد ضدّ النصارى، وأرخ الشيخ محمد أبو راس الناصريّ المعسكريّ لسقوط وهران في يد الإسبان عام 1732م.

أمّا الطور الرابع طور القنوع والمسالمة واستغلال المكاسب والاستغلال بأمجاد الدولة الجزائرية في العهد العثمانيّ فقد أرخ محمد أبو راس الناصريّ المعسكريّ لتردي الجانب الثقافيّ، وأشاد الشيخ أحمد بن محمد بن عليّ بن سحنون الراشديّ بخصال الباي محمد الكبير ومراعاته لأحوال الرعيّة.

بينما عرف الطور الخامس والأخير، طور الإسراف والتبذير وانهيار الدولة الجزائرية في العهد العثمانيّ مساهمة المؤرخ حمدان بن عثمان خوجة الذي تحدّث عن تجنيد الميليشيات غير المؤهّلة والتي ارتكبت المظالم وأدّت إلى انعدام الإستقرار السياسيّ، بينما خاض الأغا إسماعيل

بن عودة المزارِي في أمر غلاء الأسعار، كما وتناول المؤرِّخ محمد بن يوسف الزَّيَّانِي انتشار الفساد والظلم في هذا الطَّور، بينما حدَّثنا الحاج أحمد الشَّريف الزَّهَّار عن قلَّة مداخيل البحريَّة، واهتم المؤرِّخ صالح بن محمد العنترِي القسنطينيِّ بوصف المجاعات والأمراض وموتان الأهالي. أمَّا المؤرِّخ محمد بن يوسف الزَّيَّانِي فقد تطرَّق لثورة عبد القادر بن الشَّريف الدَّرقاويِّ، في حين تحدَّث الحاج أحمد المبارك بن عمر بن أحمد القسنطينيِّ عن ثورة الشَّريف بن الأحرش، أمَّا الحاج ابن الدِّين الأغواطيِّ فقد أرخ لثورة التَّيجينيِّ بن الشَّيخ أحمد التَّيجاني، وتناول الآغا إسماعيل بن عودة المزارِي ظاهرة قتل العلماء والمتصوِّفة. ورغم هذه الأحداث المأساويَّة التي شهدها هذا الطَّور إلا أنَّ الحاج أحمد الشَّريف الزَّهَّار قد أشاد بإنجازات الحاج عليِّ باشا وأشاد أيضاً بمآثر بعض الدَّايَّات أمثال الدَّاي عمر باشا، والدَّاي مصطفى باشا وغيرهم.

في الأخير يبقى هذا العمل مجرد اقتراح، حاولنا من خلاله تجاوز المُفكَّر فيه، ومحاورة تداول الرُّواسب النَّقافيَّة، خاصَّة الاستشراقِيَّة، فإن أصبنا فلنا أجران وإن أخطأنا فلنا أجرٌ واحدٌ إن شاء الله تعالى.

المبحث الخامس: النظام العسكري بشقيه ومسألة الأسر في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني، ضمن رصد وتحليل ونقد لأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً.

تُعتبر جزائر الغرب بوابةً لإفريقيا، الأمر الذي جعل منها بلاد جهاد ضدّ توسّع النّسق المسيحيّ، فكان لزاماً عليها تسليح نفسها على جبهتين: جبهة بحريّة لحماية البلاد من الهجمات والحملات الأوروبيّة بحراً، وجبهة داخلية لفرض الأمن والسّلام والسّلام والطمّانية على الأهالي برّاً، وعلى إثر ذلك نشأت الجندية البحريّة (طائفة رياس البحر أو طائفة اللّوند) وإلى جانبها الجندية البرية (طائفة الإنكشارية).

من هذا المنطلق سنسعى إلى عرض مختلف النصوص الخطابية التي تناولت النظام العسكري بشقيه في الموسوعتين: دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي")، مع رصد الأنساق المضمرّة التي اكتنفتها، ثمّ التوفيق بين تلك النصوص من خلال العملية التركيبية للأحداث التاريخية، واستشهداً بالوثائق العثمانية، الأمر الذي يُحيلنا إلى طرح التساؤلات التالية:

ما هي الأنساق المضمرّة التي احتوت عليها النصوص الموسوعية بشأن الجندية البحريّة والجندية البرية ومسألة الأسرى؟ وهل تمّ عرض تلك المسائل بموضوعيّة علميّة أم بذاتية مؤدلجة؟ وما هي الإضافات التي زوّدتنا بها الوثائق العثمانية بخصوصها ضمن عملية تركيبية للأحداث التاريخية المتعلقة بتلك المسائل؟

1) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية حول الجندية البحرية (طائفة رياس

البحر أو طائفة اللوند) ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)

والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي"):

أ) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية المتعلقة بالجندية البحرية

(طائفة رياس البحر أو طائفة اللوند) لجزائر الغرب ضمن موجز دائرة المعارف

الإسلامية (الاستشراقية):

نستهلّ دراستنا بعرض النصوص الخطابية التي تناولت نظام الجندية البحرية (طائفة رياس البحر أو طائفة اللوند)، حيث ذكر المؤرخ الفرنسي جورج إيفير أنّها حرفة "اجتذبت المغامرين من جميع البلدان، فنزحوا إلى العاصمة، وكان معظمهم من أصل مسيحي، وضعوا العمامة على رؤوسهم ليُشيعوا شهوة السلب والنهب أو لذّة المغامرة".¹

وسانده الرّأي المستشرق الفرنسي روجي لوتورنو قائلاً: "ارتدوا العمامة ليتركوا العنان لروح المغامرة، أو لمجرد تحاشي الوقوع في أيدي الذين يتاجرون في الرقيق، وقد قدر أنّ عدد المرتدين عن دينهم الأصلي في مدينة الجزائر بلغوا 8.000، سنة 1634م.² ويُضيف عن بواكيرها ذكراً: "كانت القرصنة في الأصل ضرباً من الجهاد ثم أصبحت نهاية القرن السادس عشر عملاً مربحاً أثرى الحكومة والأهلون جميعاً".³ ويتفق معه المؤرخ جورج إيفير ذاكراً: "لكن أعمال السلب والنهب القديمة تغيرت طبيعتها الأولى فقد استحالت من جهاد الكفار إلى حرفة وضيفة لم يعد للجزائريين حرفة سواها، وقد أغنت القرصنة خزائن الحكومة التي كانت تتشاطر القرصنة غنائمهم، كما أغنت الأفراد الذين كانوا يشتركون في تجهيز السفن، وأغنت المحظوظين جميعاً، بما أفادوا من سخاء القرصان وأصحاب السفن".⁴

وفي السياق نفسه يُعرب المستشرق روجي لوتورنو عن رأيه قائلاً: "وقد جنت جميع قطاعات السكّان الرّبح منه؛ الحكومة التي تلقت جزءاً من الغنائم، والأفراد الذين أقاموا شركات لتسليح السفن، والعمامة الذين أفادوا من كرم القرصنة، وملاك السفن الأغنياء".⁵

أمّا بخصوص مراحل "القرصنة؛ لصوئية البحر" بالمفهوم الغربي، فقد ذكر المؤرخ جورج إيفير أنّها "بلغت... شأنها في النصف الأول من القرن السابع عشر، وفيه تعرّضت سواحل إسبانيا

¹ جورج إيفير، مرجع سابق، ج10، ص.2933.

² روجي لوتورنو، مرجع سابق، ج10، ص.2951.

³ المرجع نفسه، ص.2951.

⁴ جورج إيفير، مرجع سابق، ج10، ص-ص.2931-2932.

⁵ روجي لوتورنو، مرجع سابق، ج10، ص.2951.

وبروفانس وإيطاليا... لغارات قرصنة البربر، وبقيت لها قوتها حتى النصف الثاني من ذلك القرن، على الرغم من (الحملة التي مورست ضدها)¹.

ويُسانده المستشرق مارسال كولومب قائلاً: "كانت القرصنة في البحر تُمدِّهم بمعظم دخلهم، وكان القرن السابع عشر هو القرن الذهبي للقرصنة،"² ثم يواصل المستشرق روجي لوتورنو مبيِّناً نهايتها: "أثارت مثل هذه القرصنة الدول الأوروبية ودفعتها إلى الانتقام، واتخذ هذا الانتقام بصفة عامة صورةً في مدينة الجزائر بالقنابل من البحر، وأحدث... أضراراً جسيمة... وقُمت حركة القرصنة إلى حد كبير قبيل نهاية القرن الثامن عشر، إلا أنها انتعشت أثناء الثورة الفرنسية."³

ويُضيف في السياق نفسه المؤرخ جورج إيفير: "اضمحل شأنها في القرن الثامن عشر، بعد أن أنزلت الدولتان البحريتان إنجلترا وفرنسا الرعب في قلوب القرصنة، أما الدول الأصغر منها شأنًا كالسويد والدانمرك وهولندا ونابولي وغيرها، فقد قنعت بأداء جزية سنوية نقداً أو عيناً في مقابل ضمان القرصان لسلامة رعاياها، وهو ضمان لم يكن قط بالضمان القوي،"⁴ ويُضيف: "ارتياح أساطيل الدول الأوروبية العظمى البحر... قد أضعف من شأن القرصنة، فلم تعد تفي بحاجة بيت المال، مع أنها كانت من قبل مصدر ثراء أهل الجزائر."⁵

ويُشاطره الفكرة نفسها المستشرق مارسال كولومب ذاكراً: "على أن الفرنسيين والبريطانيين استطاعوا... أن يكبحوا جماح الرباينة الجزائريين في قرصنتهم، فاضمحلَّت قوتهم وأصبح ملاحوهم أقل جرأة، ولا يستحق الذكر من هؤلاء الرؤساء إلا حميدو قرصان القرن الثامن عشر الذي اشتهر بمغامراته التي تنم عن التهور،"⁶ ثم ختم المؤرخ جورج إيفير ملحمة الجندية البحرية الجزائرية قائلاً: "أهل الجزائر أبوا أن يخضعوا لقرارات مؤتمر إكس لا شابيل، ولم يُفد ضرب اللورد إكسموث مدينة الجزائر في إرغامهم على التخلي عن هذه التجارة. وبقيت القرصنة ما بقيت السيادة التركية على تلك البلاد؛ أي إلى عام 1830م."⁷

نتوقَّف عند هذه النصوص التي اشترك فيها المؤلفون الفرنسيون الثلاثة: جورج إيفير وروجي لوتورنو ومارسال كولومب، وذلك لأهميَّة مسألة الجندية البحرية عند الغرب، حيث رصدنا الكثير من الأنساق المضمرة، الرئيسيَّة منها والفرعيَّة. نستهلُّها بنسق التعميم في العبارة: "وكان

¹ جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص.2833.

² مارسال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص.2876.

³ روجي لوتورنو، مرجع سابق، ج10، ص.2951.

⁴ جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص.2833.

⁵ المرجع نفسه، ص.2831.

⁶ مارسال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص.2876.

⁷ جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص.2833.

معظمهم من أصل مسيحي، وضعوا العمامة على رؤوسهم"، عبارة مهّدت لنسق آخر وهو نسق الخطر المتمثل في: "شهوة السلب والنهب" التي أسندت في إطار نسق الإسناد إلى المسيحيين المغامرين، وهنا نرصد أيضاً نسق التلطيف بخصوص ترك الدين المسيحي بسبب الشهوة والمغامرة فقط. أمّا في نصّ المستشرق روجي لوتورنو فقد رصدنا نسق الحجاج الخاص بتقديم الأعداد، وهو ما يقتضي من المتلقّي الشعور بأنّ المستشرق دقيقٌ جدًّا، "وقد قدر أنّ عدد المرتدين عن دينهم الأصلي في مدينة الجزائر بلغوا 8.000، سنة 1634م".

من جانبٍ آخر، رصدنا نسق التسمية، فما يدعو المسلمون "جهاداً" يدعو المؤرّخ "قرصنةً"، حيث يدلّ الأوّل على شرعيّة بل قدسيّة وضرورة، بينما يدلّ الثاني على عدم مشروعيتّه ونبذ واستلزام فعلٍ صارمٍ ضده. رصدنا كذلك نسق الاقتصاد، على أساس أنّ سبب الجهاد البحريّ "القرصنة" في نظرهم اقتصاديّ محض، وأنّ أعماله كانت تُؤدّي طمعاً في الرّبح الذي يُجنى منه: "كانت القرصنة في الأصل ضرباً من الجهاد ثم أصبحت نهاية القرن السادس عشر عملاً مربحاً أثارى الحكومة والأهلون جميعاً". وقد عثرنا في نصوص المؤرّخ جورج إيفير على نسق التعميم في العبارة: "لم يعد للجزائريين حرفة سواها"، أين تمّ قصر القرصنة على الجزائريين فقط. نُضيف "نسق الإسناد" من خلال إسناد صفة "وضيعة" إلى فعل الجهاد البحريّ تبخّساً له ونزعاً لسمة القداسة التي تُضيفها كلمة "جهاد": "فقد استحال من جهاد الكفار إلى حرفة وضيعة".

وفي نصّ المستشرق روجي لوتورنو رصدنا نسق التعميم الذي يُصوّر الجزائريين قرصنةً يُمارسون القرصنة ويستفيدون منها جميعاً: "وقد جنت جميع قطاعات السكّان الرّبح منه". وثمة أنساقٌ مضمرةٌ أخرى رصدناها في النصوص التي تناولت مراحل الجندية البحريّة، نستهلّها بنسق الوصف في كلمة "البربر"، مع كلّ ما تحمله الكلمة من تصوّر سلبيّ مفاده الوحشيّة والبدائيّة ضمن التّنظير الغربيّ، ونلمح ذلك في العبارة: "تعرّضت سواحل إسبانيا وبروفانس وإيطاليا... لغارات قرصنة البربر".

كما رصدنا نسق التسمية في العبارة: "وكان القرن السابع عشر هو القرن الذهبيّ للقرصنة"، فكلمة "الذهبيّ" تدلّ على أنّ ذلك العصر كان ذهبياً بالنسبة للقرصنة، نظراً لما أشاعه فيه من نهب وسلب وما كسبوه من أموال، الأمر الذي أدّى إلى ردّة فعل قويّة من قبل الأوروبيين. إلّا أنّنا رصدنا نسق التلطيف عوض التّهويل في العبارة: "أثارت مثل هذه القرصنة الدول الأوروبيّة ودفعتها إلى الانتقام، واتخذ هذا الانتقام بصفة عامّة صورةً في مدينة الجزائر بالقنابل من البحر، وأحدث...

أضراراً جسيمةً"، حيث تمّ إغفال الحديث عن أعداد الموتى والأضرار أثناء قبلة المدينة، واعتُبرت المسألة ردّة فعل على القرصنة.

رصدنا أيضاً نسق الوصف من خلال عرض صفات مرتبطة بفرنسا وإنجلترا، وهي إنزال الرعب في قلوب القراصنة، وهذا دليل القوّة والغلبة التي امتازتا بها في تلك الفترة: "اضمحل شأنها في القرن الثامن عشر، بعد أن أنزلت الدولتان البحريتان إنجلترا وفرنسا الرعب في قلوب القراصنة". يُمكننا أن نُشير إلى نسق التسمية الذي اهتمّ بشخصيّة واحدة والمتمثلة في المجاهد الرئيس حميدو، وفي الوقت نفسه وتحت إطار نسق الوصف تمّ وصفه بالمتهور: "ولا يستحقّ الذكر من هؤلاء الرؤساء إلا حميدو قرصان القرن الثامن عشر الذي اشتهر بمغامراته التي تنمّ عن التهور". وإلى جانب الأنساق المضمرة السابقة، رصدنا نسق التقديم السلبى للآخر عند ربط القرصنة ببقاء الحكم العثمانيّ في جزائر الغرب، أي أنّ داعم القرصنة بقاء السيادة العثمانية في جزائر الغرب: "وبقيت القرصنة ما بقيت السيادة التركية على تلك البلاد، أي إلى عام 1830م".

تدفننا الأنساق المضمرة التي رصدناها في التصوص الاستشراقية السابقة إلى نقد أمانتها ودقّتها العلميّة، على أساس أنّنا رصدنا أنساقاً مضمرةً تُشير ضمناً إلى محاولة تمرير أفكار إيديولوجية معادية لتاريخ الإنجازات العظيمة للجندية البحرية، ومشوّهة لها، حيث نستشعر من خلال تلك الأنساق المضمرة تشويهاً وكرهاً للجندية وزرعاً للشكّ في المتلقّي على أساس أنّ الجهاد البحريّ الذي يُمثّل حقيقةً بداية الجندية البحرية لجزائر الغرب ما هو إلاّ لصوصية وحرفة وضيعة: "فقد استحال من جهاد الكفار إلى حرفة وضيعة"، موظّفين بذلك مصطلح "القرصنة" بمفهومه السلبى الذي يرمون إليه، "قرصنة البربر".

وهنا نلمس مسافةً بين قول المستشرق وبين الأحداث التاريخية المشرفة للجندية البحرية لجزائر الغرب، والتي تؤدّي بنا إلى الشكّ في أمانة المؤرّخ الفرنسي جورج إيفير، خاصة عندما قدّم معطيات معمّمة وغير كافية: "لم يعد للجزائريين حرفة سواها"، "وقد جنت جميع قطاعات السكّان الرّبح منه".

الأمر الذي يُضفي انطباعاً بعدم الشّعور بالأحداث التاريخية المعروفة، خاصة وأنّ الجزائر كانت تعرف وجود العنصر الأندلسيّ الذي ساهم بشكل كبير في نموّ الاقتصاد وإنعاش التجارة، فهناك عرضٌ مضطربٌ للأحداث وتحيّزٌ ومجانبةٌ للحيداء، خاصة عندما غيب دور رياس البحر العظماء، وتمّ التّركيز على ريس واحد عظيم، وهو الرئيس حميدو: "ولا يستحقّ الذكر من هؤلاء الرؤساء إلا حميدو قرصان القرن الثامن عشر الذي اشتهر بمغامراته التي تنمّ عن التهور"، إذ نجد أنّ

المستشرق مارسال كولومب قد بدأ ببناء عظمة الرئيس في بداية العبارة: "ولا يستحق الذكر من هؤلاء الرؤساء إلا حميدو قرصان القرن الثامن عشر"، ثم هدمها في نهاية العبارة عندما اعتبر ما فعله من جهاد مجرد مغامرة متهورّة: "الذي اشتهر بمغامراته التي تنم عن التهور"، وهنا مغالطة تاريخية قسدية واضحة غيّبت دور الرئيس المجاهدين أمثال: عروج رئيس، خير الدين باشا، طرغود رئيس، صالح ريس، قليج علي، علي بتشين (ألبيريكو بيتشينيني)، حسن فينيزيانو، حسين ميزومورتو، الرئيس حميدو وغيرهم.

ولكن هذا لم يمنع من عرض بعض الأحداث المقنعة، خاصة عندما تناول المؤرخ جورج إيغير مراحل الجهاد البحريّ مبيناً أنه: "بلغت القرصنة شأنها في النصف الأول من القرن السابع عشر... وبقيت لها قوتها حتى النصف الثاني من ذلك القرن"، وكان القرن السابع عشر هو القرن الذهبي للقرصنة، "اضمحل شأنها في القرن الثامن عشر"، وإننا لنعتبرها وقائع معروفة لدرجة أنه لو حاول المؤرخ تشويهها وتزييفها لكان أمره مفضوحاً، لهذا اضطرّ إلى التزام الأمانة والدقة في عرضها.

(ب) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية المتعلقة بالجنديّة البحريّة (طائفة رياس البحر أو طائفة اللؤند) لجزائر الغرب ضمن الموسوعة الإسلامية (باللغة التركيّة "وقف الديانة التركيّ"):

إذا ولينا صوب الموسوعة الإسلامية باللّغة التركيّة نجد أنّ المؤرخ التركيّ الدكتور كمال قهرمان قد تناول في نصوصه الخطابية نشاط الجنديّة البحريّة ذاكراً ما يلي: "كان أوجاق الغرب يمتلكون أكبر أسطول بحريّ، وكان القسم الأكبر من المداخل في الجزائر يحصل عن طريق القرصنة، حيث كان نشاط القرصنة خارج البحر المتوسط، فعبروا جبل طارق، والمضيق إلى جزر الكناري وإنجلترا وأيرلندا وهولندا والدانمرك وتوسّعوا إلى غاية أيسلندا".¹

ثمّ يتحدّث عن المعاهدات التي أبرمت مع الجزائر نتيجة قوّة الجنديّة البحريّة قائلاً: "لهذا السبب وفي وجود معاهدة تجارية بين الإمبراطوريّة العثمانيّة وفرنسا، أُجبرت هذه الأخيرة على توقيع معاهدة منفصلة مع داي الجزائر في 21 مارس من سنة 1692م بمارسيليا من أجل الأمن التجاريّ في البحر المتوسط، وهذا ما فعلته إنجلترا وهولندا بعد سبع سنوات من ذلك".²

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.488.

² Ibid, p.488.

بعد ذلك يتطرق إلى مساعدة جزائر الغرب للدولة العثمانية أثناء حملاتها، مبيّناً أنه "خلال الحملات العثمانية كانت الجزائر تُرسل السفن إلى الأسطول العثماني، وفي كل ثلاث سنوات يقدمون هدايا إلى السلطان، مقابل ذلك يأخذون السفن ولوازمها والمدافع والبارود وما شابه ذلك."¹ ولاحقاً يعرض على المتلقّي مراحل قوّة وضعف الجندية البحرية، مركزاً على أحداث القرن 18م وقائلاً: "في القرن 18م؛ بسبب قوّة وتطور الأسطولين الفرنسي والإنجليزي، أصبحت أنشطة البحر المتوسط تحت سيطرتهم، فقوّضت أنشطة القرصنة الجزائرية، في هذه الحالة فقدت الجزائر إحدى أهم مواردها، كما بدأ عدد السكّان في الانخفاض، في النصف الثاني... تقلصت -صغرت- البحرية وتقلص عدد جنود الإنكشارية من 20.000 إلى 5.000 فرد."²

ثمّ يضيف بخصوص نهاية الجندية البحرية: "في خضمّ خسارة الجزائر أهميتها البحرية... تقرر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا سنة 1815م. بهذه الحجة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدول الأوروبية بإرسال أسطولها البحري إلى الجزائر بقيادة اللورد إكسموث سنة 1816م، كما شارك في ذلك الأسطول الهولندي أيضاً، هذا الأسطول كان يمسك القذائف ويرميها باتجاه السفن في مدينة الجزائر، فأغرقها، الأمر الذي أجبر داي الجزائر على توقيع اتفاقية مع هولندا وإنجلترا، فوافق على إجميع الأسرى المسيحيين ودفع تعويضات الحرب."³

وبالتدقيق ملياً في هذه النصوص رصدنا نسق التقديم الإيجابي للذات المنتمية للدولة العثمانية من خلال استعمال اسم التفضيل: "أكبر أسطول بحري"، وهي إشارة إلى القوّة والسيطرة على البحر، وفي السياق نفسه لمحنا نسق التقديم السلبى للآخر في العبارة: "أجبرت هذه الأخيرة (فرنسا) على توقيع معاهدة منفصلة مع داي الجزائر في 21 مارس من سنة 1692م بمارسيليا من أجل الأمن التجاري في البحر المتوسط، وهذا ما فعلته إنجلترا وهولندا بعد سبع سنوات من ذلك". ففرنسا ومن لفّ لفهم ممّن ذكروا في النصّ، أُجبروا على توقيع الاتفاقية، وهذا دليل على ضعفهم ووهنهم ورغبتهم في الصلح، وفي الوقت نفسه يُعزّز قوّة جزائر الغرب، ومن ثمّ قوّة الدولة العثمانية.

لاحظنا كذلك نسق التسمية من خلال توظيف كلمة "القرصنة" للدلالة على الجهاد البحريّ أو الحرب البحرية، ورغم أنّ المؤرّخ التركي لا يقصد القرصنة السلبية بل الجهاد البحري⁴، إلّا أنّه اتّبع مسار المستشرقين في ذلك، فكان من الأفضل لو غير الكلمة بما أنّ مدلولها يوحي

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.488.

² Ibid, p.488.

³ Ibid, p.488.

⁴ توضيح للقصد من خلال تصريح الأستاذ الدكتور كمال قهرمان في حوار هاتفيّ معه بتاريخ 20 مارس 2019م على

بالجانب السلبي المتعمد من قبل المستشرقين، أو قام بشرح موجز لمدلولها في تلك الفترة: "وكان القسم الأكبر من المداخل في الجزائر يحصل عن طريق القرصنة، حيث كان نشاط القراصنة خارج البحر المتوسط"، فقوّضت أنشطة القرصنة الجزائرية".

رصدنا أيضاً نسق الوصف المتعلق بالبعد السلبي لتقدم قوة الفرنسيين والإنجليز في القرن 18م، أين تمّ تفويض نشاط الجندية، وفقدان أهمّ مورد للبلاد ومن ثمّ انخفاض عدد الجنود: "في القرن 18م، بسبب قوة وتطور الأسطولين الفرنسي والإنجليزي، أصبحت أنشطة البحر المتوسط تحت سيطرتهم، فقوّضت أنشطة القرصنة الجزائرية، في هذه الحالة فقدت الجزائر إحدى أهمّ مواردها، كما بدأ عدد السكّان في الانخفاض، في النصف الثاني... تقلّصت -صغرت- البحرية وتقلّص عدد جنود الإنكشارية".

نضيف نسق الإجماع والاتحاد والتضامن الذي تشكّل من خلال اتفاق الدول الأوروبية على وقف القرصنة في مؤتمر فيينا عام 1815م، والذي نُوج بحملة اللورد إكسموث على الجزائر إلى جانب أسطول هولندا: "تقرّر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا سنة 1815م، بهذه الحجة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدول الأوروبية بإرسال أسطولها البحري إلى الجزائر بقيادة اللورد إكسموث سنة 1816م، كما شارك في ذلك الأسطول الهولندي أيضاً". وهو إجماعٌ مجحفٌ ضدّ جزائر الغرب على أساس أنّ القرصنة ظلّت تُمارس في أوروبا وأمريكا إلى غاية أوائل القرن 19م، وسنتوسّع لاحقاً حول هذه المسألة في العملية التركيبية.

أمّا بالنسبة للأمانة العلمية والدقة، فلا نلمح أيّ مسافة بين النصّ والوقائع التاريخية على أساس أنّ تاريخ أسطول الجندية البحرية غنيٌّ عن التعريف، وقد ذاع صيته في كلّ أرجاء العالم، ممّا يجعل المؤرّخ التركي موضوعياً وحيادياً في أغلب ما عرضه من أحداث ومعلومات، الأمر الذي يُضفي الشّعور بواقعية الأحداث، ورغم ذلك لمسنا ميولاً يُمجّد ويفخر بأوجاق الغرب (جزائر الغرب)، وضمنياً بالدولة العثمانية: "كان أوجاق الغرب يمتلكون أكبر أسطول بحريّ"، وتحسراً على ما آل إليه الأسطول البحريّ في القرن 18م: "في القرن 18م، بسبب قوة وتطور الأسطولين الفرنسي والإنجليزي، أصبحت أنشطة البحر المتوسط تحت سيطرتهم، فقوّضت أنشطة القرصنة الجزائرية، في هذه الحالة فقدت الجزائر إحدى أهمّ مواردها، كما بدأ عدد السكّان في الانخفاض، في النصف الثاني... تقلّصت -صغرت- البحرية وتقلّص عدد جنود الإنكشارية".

من جانب آخر استعان المؤرّخ التركي بالأرقام كأداة قويّة للإقناع وإضفاء المصداقية مقابل الرأي والانطباع: "وتقلّص عدد جنود الإنكشارية من 20.000 إلى 5.000 فرد"، "مؤتمر فيينا سنة 1815م"، "قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدول الأوروبية بإرسال أسطولها البحريّ إلى الجزائر بقيادة اللورد إكسموث سنة 1816م". يُمكننا القول مجملاً أنّ التصوص الخطابية في الموسوعة الإسلامية التركية

والمتعلِّقة بالجنديَّة البحريَّة متوافقةً مع الأحداث التَّاريخِيَّة، ولكن ما يؤاخذ عليه المؤرِّخ التُّركيُّ هو عرض المعلومات بشكل مختصرٍ جدًّا ومعمَّم.

(2) العملِيَّة التَّركِيبِيَّة للأحداث المتعلِّقة بالجنديَّة البحريَّة (طائفة رِيَّاس البحر أو طائفة اللُّونْد) مع الاستشهاد بالوثائق العثمانيَّة:

بناءً على تاريخ الجنديَّة البحريَّة لجزائر الغرب يُمكننا أن نعتبرها "ملحمة أسطوريَّة" قلَّ نظيرها في العالم في تلك الفترة، وما يُعزِّز قولنا قيام الكاتب التُّركيُّ أرتوغرول دوزداغ بتحويل أحداث البحريَّة الجزائريَّة مع الشَّهيد عروج رِيَّس والمجاهد خير الدِّين باشا إلى روايةٍ ملحمةٍ عام 1975م،¹ زاخرةً بالبطولات والتَّضحيات ضدَّ خطر النَّسق المسيحيِّ، ملحمةٌ شوَّهتها الإسطوغرافيا الغربيَّة وتبعتها الإسطوغرافيا العربيَّة وبعض من المحليَّة المتأثِّرة بالرَّواسب الاستشراقِيَّة، لتُصبح "قرصنة؛ لصويَّة البحر" عوض "جهاد بحريِّ"، ولا زال البعض يتساءل إلى يومنا هذا، هل هي قرصنة "لصويَّة" أم جهادٌ بحريٌّ؟.

(أ) العملِيَّة التَّركِيبِيَّة للمصطلحات "القرصنة"، "لصويَّة البحر" و"الجهاد البحريِّ":

الفرق سحيق بين "لصويَّة البحر" Piraterie الممارسة من قِبل المغامرين الرَّامين من ورائها إلى سرقة ممتلكات الغير، وبين "القرصنة" Course الدَّالة على الحرب البحريَّة بين الدَّول المتعادية، والهادفة إلى ضرب اقتصاد العدو بالإستيلاء على البضائع والأسرى،² والتي تُسمَّى بمفهوم المسلمين "الجهاد البحريِّ"، مع إضافة النَّسق الجهاديِّ الدِّينيِّ الإسلاميِّ ضدَّ النَّسق الدِّينيِّ المسيحيِّ، الرَّامي إلى محاربة العدو غير المسلم بحرًا أينما وُجد.

وخير مثال نسوقه هو انصراف المجاهدين عروج رِيَّس وخير الدِّين باشا إلى "الجهاد البحريِّ"، قاصدين مناطق تواجد غير المسلمين مثل: سواحل البندقيَّة، إلميريا، جزيرة مَيُورقة،

¹ خير الدِّين بربروس، مصدر سابق، ص. 07.

² أحمد توفيق المدنيِّ، حرب التَّلثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص. 72.

جزيرة كورسيكا، جزيرة صقلية، سواحل إسبانيا، قبرص، خليج جنوة، مضيق جبل طارق، جزر البليار، برشلونة، جزيرة سردينيا، سواحل إيطاليا، وغيرها.¹

وبالعودة إلى مصطلح "القرصنة" غير اللّوصيّة، نجد أنّ الدّول كانت تعترف بها إلى درجة تخصيص وثائق إدارية تُسلّم للقرصنة لتجعلهم بموجبها شبه جنود متطوّعين يشتغلون في فترات الحرب، ضمن صبغة مشروعة لمهنتهم، وهذا ما يُميّزهم عن لّوصيّة البحر التي تُمارس على طول العام،² وبدون شرعية. وقد عرفت الجندية البحرية لجزائر الغرب أمراً أبعد من الشرعية الإدارية، حيث سعت إلى كسب الشرعية الدينية، فكانت تعرض على القاضي عزمها إعلان الحرب دفاعاً عن النفس والدين الإسلامي، مناشدة إياه الرّأي الشرعي والقانوني.³

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أنّ خيار "القرصنة" بمفهوم "لّوصيّة البحر" الذي نسبه النّسق الغربي للجندية البحرية لجزائر الغرب، والذي هو في الأصل "جهاد بحري" بالمفهوم الإسلامي، لم تكن بواكيره مع الإخوة عروج، خير الدين، إسحاق وإلياس، بل مؤرس من قبل المسلمين والمسيحيين معاً، على أنّ عدد القرصنة المسيحيين كان كبيراً جداً خلال القرنين 15م و16م، ثمّ خفّت وطأة القرصنة المسيحية بسبب إحالة منطقة عملها إلى المحيط الأطلسي بعد اكتشاف أمريكا، ولعلنا نستطيع القول بأنّها تحوّلت من "قرصنة" مشروعة إلى "لّوصيّة البحر" فعلاً، ومردّد ذلك إلى أنّ السفن الإسبانية التي توجّهت إلى فرنسا والمحمّلة بالذهب كانت ضحية لقرصنة الإنجليز والهولنديين ومن اقتدى بهم. ودفاعاً عن نفسها قامت فرنسا بتجهيز عدد كبير من سفن القرصنة، حيث أصبحت مدرسة في القرصنة تخرّج منها الكثير من القرصنة البارزين، أمثال جون بار (Jean Bart 1651-1702م)، وروبرت سيركوف (Robert Surcouf 1773-1827م) وغيرهم، حيث قاموا بالاستيلاء على 10.871 سفينة تجارية إنجليزية ما بين عام 1793م وعام 1815م، منها 949 سفينة تمّ الاستيلاء عليها خلال عام واحد 1794م.⁴

وإلى جانب القرصنة الفرنسيين عُرف قرصنة الإسبان والبرتغال بالقوّة والبأس الشّديد، حيث كانوا يُمارسون قرصنتهم على السفن الإسلامية، خاصّة على سواحل المغرب العربي، وبالمقابل

¹ تناول المجاهد خير الدين بربروس مناطق الجهاد البحريّ تلك في مذكراته من بدايتها إلى نهايتها، يُنظر خير الدين بربروس، مصدر سابق، (المصدر ككل).

² أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص.72.

³ أحمد السليمان، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مرجع سابق، ص-ص.52-53.

⁴ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص.75.

قويت شوكة الجهاد البحري الإسلامي، خاصة بعد مقاساة مسلمي الأندلس الذين استجاروا ببلدان شمال إفريقيا،¹ الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأن "القرصنة" الغربية قد صُغت بالنسق الديني المسيحي، بينما قوّي الوازع الديني الإسلامي في "الجهاد البحري"، وهكذا تشكلت قوتان بحريتان مسيحية ومسلمة، تُحرِّكهما خلفيات نسقية دينية وأخرى اقتصادية.

ب) العملية التركيبية لأحداث الجندية البحرية (طائفة رياس البحر أو طائفة اللونذ)

مع الاستشهاد بالوثائق العثمانية:

إذا ولينا صوب الجندية البحرية لجزائر الغرب سنجد أن جلَّ الإسطوغرافيا المحلية قد اتفقت على أنها كانت تقوم بجهاد بحري مبني على الدِّفاع المشروع عن النسق الديني الإسلامي، على شاكلة حربٍ مقننة خاضعة لمنهاج عامٍّ معترف به،² تحت رعاية الدولة،³ تؤطِّرها نظم وقوانين يتم احترامها.⁴

وقد حققت انتصارات عظيمة بفضل التنوع العرقي الذي طبعها، حيث استعان الشهيد عروج ريس بالعثمانيين والجزائريين والتونسيين والمغربيين والزُّنوج والأسرى المسيحيين المعتنقين للإسلام (العلوج جمع علج)، وبالأخصَّ أهل الأندلس الذين استجاروا به، فكانوا أشدهم صلابَةً وشجاعةً وبأساً، وهي نتيجة حتمية لما قاسوه من عذاب واضطهاد، إذ رحل منهم الشهيد عروج ريس ما يزيد على 10.000 مهاجر في سفنه، أمّا المجاهد خير الدين باشا فقد نقل منهم ما يزيد عن 70.000 في سبعة أسفار أو أكثر.⁵

ورغم التنوع العرقي بين صفوف الجندية البحرية إلا أن الدين الإسلامي قد ساهم بشكل قوي في توحيد كلمتهم تحت راية الجهاد الإسلامي ضدَّ النسق الديني المسيحي، فبرز منهم رياس عظماء، أمثال عروج ريس، خير الدين باشا، طرغود ريس، صالح ريس، قليج علي، علي بتشين، حسن فينيزيانو، حسين ميزومورتو، والريس حميدو وغيرهم من الذين وضعوا حدًا للتوسُّع الغربي شمال إفريقيا في تلك الفترة، إذ استرجعت جيجل عام 1514م، وتنس عام 1516م، وحصن

¹ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص.75.

² أحمد الشريف الزَّهَّار، مصدر سابق، ص.09.

³ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، ص.33.

⁴ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص-ص.37-38.

⁵ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، مرجع سابق، ص.44.

الصخرة البنيون عام 1529م، وطرابلس الغرب عام 1551م، وبجاية عام 1555م، وتونس عام 1574م، ووهران عام 1708م ثم 1792م. وبلغت غارات الجندية البحرية الجزائرية على السواحل الأوروبية 33 غارة ناجحة ما بين 1528م و1584م.¹

وفي هذا الصدد يمكننا عرض حكم سلطاني صدر عام 1571م من قبل السلطان العثماني سليم الثاني، يكشف كيفية تعيين الجند ضمن الجندية البحرية لجزائر الغرب ومناطق استقدامهم، حيث ورد فيه أن أمير سنجق/لواء/بيك المدينة، الحاج مراد، قد قصد مركز الدولة لاستصدار أمر سلطاني يُسمح له بموجبه تجنيد المتطوعين الراغبين في الخدمة البحرية من الأقضية الواقعة في جهة الروملي، وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 56): "حكم إلى القضاة الموجودين في السواحل الواقعة في جهة الروملي بدءاً من المحروسة استانبول وحتى الوصول إلى أسطولي السلطاني. قَصَدَ قُدُوة الأمراء الكرام الحاج مراد، دام عَزَه، أمير سنجق المدينة التابع إلى جزائر الغرب سدة سعادتي إلى جانب بضعة قدرغوات، وطلب إصدار أمري السلطاني بعدم اعتراض أي أحد عند قيامه بتجنيد الراغبين من المتطوعين الأكفاء مع معداتهم وأسلحتهم للأسطول من الأقضية الواقعة في السواحل، وذلك عند عودته إلى أسطولي السلطاني، وأمرت: عند وصول المشار إليه إلى أي قضاء من أقضيتكم، وقيامه بتجنيد المتطوعين الأكفاء ممن يرغبون بالتجنيد مع معداتهم وأسلحتهم لأسطوله ألا يعترض أحد عليهم، وأن تحولوا دون إجبار أحد على التجنيد ممن لا يرغبون بذلك، والتدخل والتعرض له باستغلال هذا الأمر، وعدم القيام بعمل مخالف للشرع الشريف والأمر المنيف." في صفر 979هـ، حزيران/يونيو 1571م.²

يدلّ الحكم على أن التجنيد في جهة "الروملي" كان يختص بالمقاتلين المسلحين طواعية ودون إجبار، مع الحرص الشديد على عدم مخالفة الشرع أثناء التجنيد. هذا بالنسبة للجند، أما ريس السفينة، والذي يكون أحياناً مالكها أو قائدها، فيتم اختياره من بين رجال البحر الأكفاء المشهود لهم بالبسالة والبطولة المفرطة.³

ويأتي قرار تعيين الريس مباشرة من السلطان، بعد اقتراحه من طرف القائد الأعلى للأسطول العثماني (القُبُودان باشا)، والذي يملك السلطة المطلقة على جميع سواحل الجزائر.⁴ وقد

¹ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص-ص 135-136.

² فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص-ص 177-178.

³ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص 99.

⁴ أمين محرز، مرجع سابق، ص 38.

فاق عدد رِيَّاس البحر 100 خلال أوج قوَّة الجنديَّة البحريَّة في القرن 17م، وبلغ عدد أفرادها من الجند البحَّارة نحو 4.000، دون الأخذ في الحسبان الملاحين المسيحيين والجنديَّة البريَّة (طائفة الإنكشاريَّة) والطوبجية (المدفعيَّة) الذين حصَّنوا الأسطول البحريَّ أثناء الحملات.¹

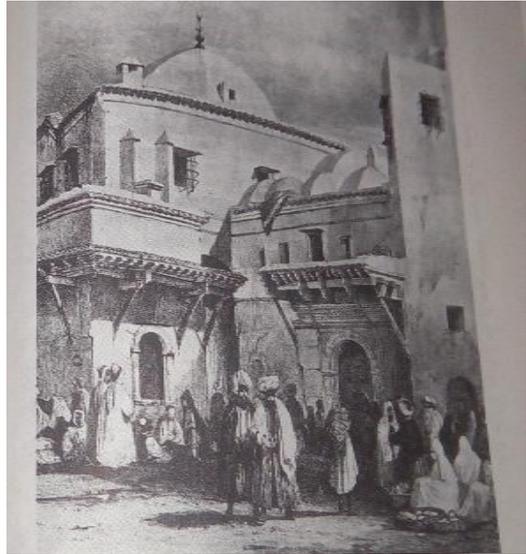
ولعلنا نُوضِّح أكثر كفيَّة تعيين رِيَّاس البحر من خلال الاستشهاد بالحُكم السُلطاني الذي صدر عام 1571م من قِبَل السُلطان سليم الثَّاني، والخاصَّ بتعيين بكلربكي جزائر الغرب قَلِيح عليَّ باشا قائداً للقوَّات البحريَّة ووالياً على الجزائر، مع إسناد ولاية جزائر الغرب إلى حسن بن خير الدِّين باشا.

وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 21): "حكم إلى بكلربكي جزائر الغرب. تمَّ شمولك اليوم بمزيد عنايتي السُلطانيَّة فأسندتُ إليك القُبُودانيَّة وولاية الجزائر اعتباراً من اليوم الثَّامن جمادى الآخرة من هذه السنة 979هـ.... وتمَّ إسناد ولاية جزائر الغرب إلى حسن بن خير الدِّين باشا، دام إقباله، وأرسلتُ أحكاماً شريفةً إلى المشار إليه، إلَّا أنَّ المشار إليه ربَّما يميل إلى عدم القبول بالمنصب والتَّخلي عنه، وفي حالة عدم قبول الموما إليه المنصب تقوم أنت باختيار من هو جدير بذلك من الأمراء وغيرهم ممَّن يقدرُون على ضبط وإدارة البلاد والولاية ويُحسنون التَّعامل مع أهالي جزائر الغرب، وتكتب مُبلِّغا عنه حتَّى يتمَّ إسناد الولاية إليه ويتمَّ ضبطها وإدارتها بالشَّكل المناسب، وتكتب عن كفيَّة تدبيرك للأمر، ووقت وصول حکمي السُلطانيِّ هذا إليك، وعدد السَّفن الواصلة إليه بختي، وعدد السَّفن العاطلة عن الخدمة، وعدد المتكاملة منها ووضعها، ومحلَّ وجود الكفَّار الأذلاء، وفيما إذا كان جمعهم قد تشتَّت أم مازالوا محتشدين، وما تفكيرهم وتدابيرهم، تُتابع كلَّ ذلك، ولا تتوانى عن إبلاغ الأخبار الصَّحيحة التي تحصل وتُحاط علماً بها." سلِّم إلى الجاوش رضوان في 08 جمادى الآخرة 979هـ، 28 تشرين الأوَّل/أكتوبر 1571م.²

نُلاحظ أنَّ آخر الحكم يحوي عبارات الحرص الشَّديد للدَّولة العثمانيَّة على معرفة أحوال سفن الأسطول البحريِّ، وتدابير الكفَّار المحتشدين.

¹ أمين محرز، المرجع السَّابق، ص33.

² فاضل بيات، البلاد العربيَّة في الوثائق العثمانيَّة، الجزائر في القرن العاشر الهجريِّ/السادس عشر الميلاديِّ، م⁸، مرجع سابق، ص.63.



الصورة رقم 24: مدخل قصر الجندية البحرية " طائفة رياس البحر " رُسمت إثر الاحتلال الفرنسي.¹

ولتتوضَّح أكثر صورة الجندية البحرية (طائفة رياس البحر أو طائفة اللُونْد) في ذهننا لابدَّ علينا من عرض الطاقم الذي كان يسهر على قيادتها وتنظيمها، حيث قُسم هذا الأخير إلى 03 مجموعات: مجموعة القيادة، مجموعة المناورة والمجموعة القتالية.

ضمَّت المجموعة الأولى القيادية هيئة ضباط السفينة وهم: الرئيس، قبطان السفينة، وتتمثل مهمته الأساسية في الدفاع عن السواحل، إضافةً إلى ربط العلاقات الخارجية مع الدول المسيحية، والتكفل بعقد اجتماع الرياس المعروف بمجلس أو ديوان البحرية، والذي يختص بتطبيق العدالة على جميع أفراد البحرية الذين يُخلون بقواعد الانضباط أو يتعدون على القوانين، حيث يبيِّث الرئيس في تقرير مصير الغنائم والأسرى، بحضور قائد المرسى، المسؤول عن أمن الميناء والذي يُعاين جميع السفن الواردة والصادرة، ووكيل الخرج أو وزير البحرية، المسؤول الأول عن تموينات الميناء من خشب وذخيرة ومعدّات، والسهر على أعمال دار صناعة السفن، أمَّا خوجة الغنائم فيهتم بجرد وبيع الغنائم وتقسيم الدّخل بعد اقتطاع حقّ البايلك والمصاريف، بينما يهتم باش ورديان باشي، الناظر العامّ لسجون الأسرى في مدينة الجزائر، بالوقوف على استعدادات السفن للخروج، وتوزيع عدد من المجدّفين والملاحين والأسرى على متنها.²

¹ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، مرجع سابق، ص.90.

² أمين محرز، مرجع سابق، ص-ص.39-40.

نجد أيضاً **أباش ريس**، وهو مساعد الرئيس، إضافةً إلى **ريس العسة**¹ الذي يُنظّم عملية الحراسة على ظهر السفينة ليلاً نهاراً، على أساس أن كل حارس يقوم بحراسة السفينة لمدة ست ساعات ثم يخلفه حارس آخر، فيتناوب فيها أربعة أفواج من الحراس، متوالين بدون انقطاع، أما **الخوجة** فهو كاتب الرئيس، وإمام المركب وواعظه، يُصلي بالطّاقم، ويمسك دفتر الغنائم اليومية، ويُسجل كل ما حدث في السفينة أثناء الأسفار،²

في حين نجد أن **الباش جراح**، و**الورديان باشي**، ناظر الأسرى، و**رياس الطريق**، هم المكلفون بقيادة الغنائم، بينما يهتم **الباش دمانجي** بإدارة الدقة. وبخصوص **المجموعة الثانية المناورة**، فقد احتوت على ربانة السفينة وهم: **اليرقأنجي** و**الغارده كابو** و**البريتاجي**، الذين يتولون أمر الأشرعة في السفن ثلاثية الصواري، أما **الدمانجي**³ فيعتبر ماسك مقود المركب⁴ وملاح الدقة، ويُعتبر **الصنذل ريس** (والصواب هو **الصنذل ريسي**)، ريس القارب، و**المسترداش**، معلم النجار، و**القلفاط** من يسهر على سلامة بدن السفينة،⁵ أي المشتغل بطلاء السفينة وتزفيتها وغلغ الشقوق بالزفت.

في حين يُعتبر **العنبرجي** مسؤول مخزن المؤن والسلع، و**الخرناجي** (والصواب هو **الخرنه جي**) مسؤول مخزن ذخيرة البارود التي يُوزعها على المدفيعين أو الطبعية، ورئيسهم **باش طنجي**⁶ (والصواب هو **طونجي باشي**) أغلبهم من الأعلاج والأسرى المسيحيين، وينقسمون إلى قسمين هما: **البحرية** التي تهتم بمقدّمة السفينة، و**الصوتا ريس**، القيمة على خلفيّة السفينة، إضافةً إلى عدد من الأرقاء المجذفين الذين يُدعون **بالكرانجية**.

أما **المجموعة الثالثة القتالية** فقد ضمت وحدات الجندية البرية "طائفة الإنكشارية" تحت قيادة آغا برتبة بلوكباشي، يُساعده شاوش وعدد من الأوضاباشية ووكلاء الخرج، وفيما يخص جماعة **الطوبجية** (المدفعية) فقد كانت تحت إمرة **باش طونجي** (والصواب هو **طونجي باشي**).

¹ أمين محرز، المرجع السابق، ص-ص 36-37.

² عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص. 100.

³ أمين محرز، مرجع سابق، ص-ص 36-37.

⁴ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص. 100.

⁵ أمين محرز، مرجع سابق، ص-ص 36-37.

⁶ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص. 100.

ويُشرف على شؤون السفينة مجلس يتكوّن من الرّيس وعدد من الضبّاط وأغا خوجة، مهمّتهم إقرار العدل بين أفراد الطّاقم، وتقرير مصير المراكب المسيحيّة التي تُصادف في البحر.¹ في بداية تشكّل الجنديّة البحريّة كان الجند البحّارة هم المكلّفون بالحرب دفاعاً وهجوماً، مستعملين البنادق والخناجر والسّيوف والأسلحة الأخرى، ولكن لاحقاً أُضيفت إليهم الجنديّة البريّة (طائفة الإنكشاريّة) المسلّحة بالبنادق للمشاركة في الحملات، إلى جانب فرقة الطوبجيّة (المدفعيّة) من طاقم السفينة.²



الصورة رقم 25: ريس البحر من أصل جزائريّ.³

ج) العمليّة التركبيّة لأحداث الحملات التي شاركت فيها الجنديّة البحريّة (طائفة رياس البحر أو طائفة اللؤند) مع الاستشهاد بالوثائق العثمانيّة:

تستوقفنا الحروب البحريّة أو الحملات التي شاركت فيها الجنديّة البحريّة لجزائر الغرب، وقد أفردنا مبحثاً كاملاً خاصّاً بالحملات بعنوان: "الحملات الأوروبيّة على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانيّة بمعونة قوات جزائر الغرب ضمن تحليل لأنساق المضمرة في النصوص الخطابيّة لموجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقيّة) والموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة)، والوثائق

¹ أمين محرز، مرجع سابق، ص 36-37.

² عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص 101.

³ المرجع نفسه، ص 102.

العثمانية استشهاده¹، وقد استشهدنا بالعديد من الوثائق العثمانية التي بينت بطولات الجندية البحرية الجزائرية.

منها الملحق رقم 47، الخاص بالحكم الذي كلف فيه السلطان سليمان القانوني بكربكي الجزائر، المجاهد حسن باشا في ديسمبر 1564م، بتهيئة الأسطول الجزائري بمعداته وأسلحته، وتعيين أحد رجاله الأكفاء قائداً على هذه السفن، والالتحاق بالقائد العام للأسطول السلطاني مصطفى بيالة باشا بغية الهجوم على قلعة مالطا، إضافةً إلى الملحق رقم 48، الخاص بحكم السلطان العثماني سليم الثاني عام 1571م، والذي أرسله إلى بكربكي الجزائر، عرب أحمد، الحاكم النائب عن قليج علي باشا، للمشاركة بقواته في الحملة الفاتحة لقبرص، والانضمام إلى قائد الحملة العثمانية، بغية الإغارة على الأماكن التابعة لجزر العدو (البنادقة وحلفائهم).

ونذكر أيضاً الملحق رقم 14، الخاص برد قليج علي باشا على الأمر السلطاني، والإبلاغ بأن الأسطول الجزائري أصبح جاهزاً للمشاركة في حملة فتح قبرص، دون أن ننسى الملحق رقم 15 الذي أرسله الوزير برتو باشا إلى السلطان العثماني سليم الثاني عام 1571م، يُخبره فيه أنه وصل إلى جزيرة آغريبور الكائنة في بحر إيجه، وأن قليج علي باشا، بكربكي جزائر الغرب قد التحق به مع سفن الولاية وقواتها، وأن قليج علي باشا قد توجه إلى أسطول العدو مستهدفاً الإغارة على جزرهم.

نضيف أيضاً الملحق رقم 16، الخاص بالحكم الذي أصدره السلطان العثماني سليم الثاني عام 1573م، أمراً فيه بكربكي جزائر الغرب، عرب أحمد باشا نيابة عن قليج علي باشا، وبكربكي طرابلس الغرب بتجهيز أساطيلهم بالمعدات والأسلحة اللازمة، والاستعداد لإرسالها إلى سواحل تونس لفتحها¹ كذلك الملحق رقم 18، الخاص بحكم السلطان العثماني سليم الثاني عام 1573م، والذي أمر فيه بكربكي جزائر الغرب والأمراء وغيرهم من أعيان الجزائر بالعمل على حفظ وحراسة البلاد، والتوجه بالأسطول الجزائري وبكامل معداته الحربية إلى حيث يتواجد الأسطول السلطاني، مع بذل المساعي لتأديب العدو، والوعد بتكريم المقاتلين، حسب ما يؤدونه من خدمات في حملة فتح تونس.

وأيضاً الملحق رقم 19، الخاص بالحكم السلطاني الصادر عن السلطان سليم الثاني عام 1574م، والموجه إلى بكربكي جزائر الغرب، قايد رمضان باشا، ووالي تونس وطرابلس، يأمرهم

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع

فيه بالمشاركة في الحملة إلى جانب مقاتلي الأعراب والتّسيق فيما بينهم حول وجهة الانطلاق ونقطة الالتقاء، وذلك قبل وصول القائد إلى تونس. ونؤكّد على أنّ ترجمة هذه الملاحق من اللّغة العثمانيّة إلى اللّغة العربيّة موجودة في المبحث الخاصّ بالحملات.

يقودنا الحديث عن الحملات إلى نقطة مهمّة جدّاً وهي استعانة السلطان العثمانيّ بالرّعاء المحليّين في ولاية جزائر الغرب أثناء القيام بالحملات البحريّة، سواء من خلال حفظ أمن الولاية أو من خلال تقديم المساعدات للأسطول، وخير دليل على ذلك الحُكم الذي أرسله السلطان العثمانيّ سليم الثّاني إلى أمير فودة وأمير بني عبّاس من أجل حفظ وحراسة ولاية جزائر الغرب عند التحاق البكربكي بالأسطول السلطانيّ عام 1574م.

وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 57): "حُكم إلى أمير فودة في ولاية جزائر الغرب. نظراً لكون حفظ وحراسة ولاية جزائر الغرب وضبطها وحمايتها مقصدي السلطانيّ فقد أمرتُ أن تقوم أنت أيضاً بمعونة ومظاهرة بكربكي الولاية المذكورة، أحمد، دام إقباله، وذلك في حفظ وحراسة الولاية بالشّكل اللازم وبالوجه الذي يراه مناسباً، وأمرتُ: عند وصوله، ينبغي أن لا تتوانى من إظهار شهامتك وجرأتك الكائنتين في طبيعتك الشّجاعة، وأن تقوم بإيلاء الاهتمام في دفع الأعداء والمخالفين، وفي حفظ البلاد والقلاع وبأكثر ممّا هو مأمول منك وبالشّكل الذي يراه المشار إليه، دام إقباله، مناسباً، وتبذل ما تقدر عليه، وتُظهر مساعدك المشكورة في الأمور المتعلّقة بالذود عن حياض الدّين المبين لسيد المرسلين وحمى وكرامة سلطنتي المقرّونة بالسّعادة." كتبت صورة منه إلى أمير بني عبّاس، وسُلم إلى كتحدا بكربكي جزائر الغرب في 22 شوال 981هـ، 14 شباط/فبراير 1574م.¹

وأرسل السلطان العثمانيّ أمراً ثانياً إلى أمير فودة يأمره فيه بتوفير المؤن الغذائيّة للأسطول السلطانيّ المتوجّه لتحرير تونس، والالتحاق مع مقاتليه بالأسطول، حيث ورد فيه (ينظر الملحق رقم 58): "حُكم إلى أمير فودة في ولاية جزائر الغرب. سبق وأن أرسل إليك أمري الشريف القاضي بتقديم المعونة لبكربكي ولاية جزائر الغرب/دار الجهاد، والتآزر معه في مجال حماية الولاية وفي كلّ الأمور المتعلّقة بالدّين المبين لسيد المرسلين، وعليه فإنّ أمري هذا مازال نافذاً وأمرتُ: عند وصوله، أن تبذلوا ما في وسعكم من مساع في الأمور التي يراها البكربكي المشار إليه مناسباً، وفي المحافظة على الولاية، ونظراً لقيام أسطول الكفّار سيّء الطّباع بالسيطرة على تونس فقد تقرّر انطلاق أسطولي السلطانيّ إلى تلك الجهة في موسم الرّبيع المبارك، وأمرتُ عند وصول أسطولي السلطانيّ بمشيئة الله أن تُوفروا كميّة كافيةً من المؤن الغذائيّة لجنودي المنصورين، والالتحاق بأسطولي السلطانيّ في وقته وموسمه إلى جانب ما تتمكّن من

¹ فاضل بيّات، المرجع السابق، ص.302.

تهيئته من الجنود، وقد أرسلت أحكام شريفة إلى بكلربكي جزائر الغرب بهذا الصدد. وينبغي بذل أقصى الجهود في المسائل التي تبلّغون بها من المشار إليه. " في ذي الحجة 981هـ، 24 آذار/مارس 1574م.¹

هذا وإلى جانب طلب المؤن الغذائية والمقاتلين والمعدّات الحربيّة للأسطول السلطاني من حاكم زواوة أحمد بك، مع تكريمه بخلعة (قفطان) سلطانيّة، والوثيقة العثمانيّة الدالّة على ذلك مترجمة من اللّغة العثمانيّة إلى اللّغة العربيّة في المبحث الخاصّ بمراحل وسياسة الحكم في ولاية جزائر الغرب في العهد العثمانيّ، ضمن رصد وتحليل ونقد للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقيّة) والموسوعة الإسلاميّة (باللّغة التّركيّة) والوثائق العثمانيّة استشهداً، مع تقديم مقترح أطوار جديدة لمراحل الحكم على ضوء النظريّة الخلدونيّة (ينظر الملحق رقم 51).

وثمة وثائق عثمانية أخرى في الصدد نفسه تُبيّن التحاق أسطول جزائر الغرب لمساعدة الأسطول السلطانيّ العثمانيّ، نذكر منها الحكم إلى بكلربكي جزائر الغرب عام 1573م للإبلاغ عن إعداد الأسطول العثمانيّ للقيام بحملة عسكريّة بحريّة على حلق الوادي وغيرها من قلاع العدو في تلك الأرجاء، وأمراً إياه والأمراء وأعيان الجزائر بالعمل على حفظ وحراسة البلاد، ووضع عدد كافٍ من المسلّحين للقيام بذلك، مع التحاق الأسطول الجزائريّ بكامل معدّاته الحربيّة إلى حيث يتواجد الأسطول السلطانيّ.² (ينظر الملحق رقم 18)

ولقد تمّت الاستعانة أيضاً بالجنديّة البريّة (طائفة الإنكشاريّة)، حيث أمر السلطان العثمانيّ سليم الثّاني في عدّة مناسبات التحاق الجنديّة البريّة بالأسطول السلطانيّ، وما يُعزّز قولنا الحكم السلطانيّ إلى بكلربكي جزائر الغرب عام 1574م، والذي يأمره فيه بتهيئة الأعداد المطلوبة من الجنديّة البريّة من مختلف المناطق، حيث ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 59): "حُكم إلى بكلربكي جزائر الغرب. الإبلاغ عن توجّه الأسطول السلطانيّ إلى البحر المتوسط، والأمر إلى بكلربكي جزائر الغرب بتهيئة العسكر وعلى الوجه الآتي: 1. ستون فرداً من الفرسان من لواء تنس. 2. مائة فرديّ من الفرسان من لواء مليانة. 3. عشرون فرداً من الفرسان من شرشال. 4. ثمانون فرداً من الفرسان من المدينة. 5. مائة فرديّ من الفرسان من مدينة الجزائر. 6. مائة فرديّ من الفرسان من أغاوات المتفرقة ورؤساء الوحدات العسكريّة في الجزائر. 7. عشرون فرداً من الفرسان من قبوجيّة (مدفجيّة) الجزائر. 8. أربعون فرداً من الفرسان من الجاوشية. 9. خمسة وثلاثون فرداً من المحلّ المعروف بـ "عمروده". 10. أربعمئة فرديّ من الفرسان من قسنطينة. 11. ثمانون فرداً من الفرسان من المحلّ المعروف بـ "بسكرة". 12. ستون فرداً من

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص. 303.

² المرجع نفسه، ص. 217.

الفرسان من المحلّ المعروف بـ"بلد عبّاس". 13. ألف فردٍ من الإنكشاريّة من الأكفّاء من مستخدمي البنادق إلى جانب رؤساء وحداتهم وقواعدهم مع معدّاتهم وأسلحتهم. 14. الرّفاق الأكفّاء لقائد سباهيّة قسنطينة القائد محمّد دام مجده. وبالإجمال فإنّ عدد الجنود المزمع مجيئهم ممّن هم من الفرسان يكون ألفاً وخمسة وتسعين فرداً عدا قائد السّباهيّة ورفاقه، وألفاً من الإنكشاريّة، والأمر بتهيئتهم من الآن وانتظار وصول أسطولي السّلطاني، وإرسالهم إلى القُبُودان عند الطّلب. " في 14 ذي الحجة 981هـ، 06 نيسان/أبريل 1574م.¹

ولم تقتصر مشاركة الجنديّة البريّة على ولاية جزائر الغرب بل مسّت تونس وطرابلس الغرب، حيث تُشير الوثيقة العثمانية الصّادرة من قبل السّلطان مراد الثالث عام 1591م إلى أمر موجّه إلى ولاية جزائر الغرب وتونس وطرابلس الغرب للالتحاق إلى جانب قوّات ولاياتهم بالأسطول السّلطاني بقيادة سنان باشا، والامتثال إلى أوامره. وقد ورد فيها ما يلي (ينظر الملحق رقم 60): "حُكم إلى بكربكي تونس، وبكربكي جزائر الغرب، وبكربكي طرابلس الغرب. الإبلاغ عن خروج الأسطول السّلطاني بقيادة القُبُودان الوزير سنان باشا إلى البحر المتوسط استعداداً لحملة عسكريّة، والأمر إلى ولاية جزائر الغرب وتونس وطرابلس الغرب بالالتحاق به إلى جانب مقاتلي ولاياتهم، والمشاركة في الحملة بالوجه الذي يراه القُبُودان مناسباً والامتثال لأوامره، وتعيين قائم مقام في كلّ ولاية من هذه الولايات من قبل البكربكي لإدارتها وحفظها، وأخذ الحيطة والحذر من قيام الأعراب أو الأجنبيّ في هذه الولايات بإلحاق الضّرر بالبلاد. " في 24 ذي الحجة 999هـ، 13 تشرين الأوّل/أكتوبر 1591م.²

وجدير بالذّكر أنّ بدّل جهود الجنديّة البحريّة لم يكن راتباً شهريّاً أو سنويّاً تتقاضاه من الدّاي أو الباي أو من بيت المال مباشرة، بل كانت تأخذ ما ينوبها من الفياء الذي كانت تغنمه في البحر.³ أمّا الدّولة فكانت تتال من غنائم الجنديّة البحريّة حصّة تتراوح بين السّبع والعشر، وتحظى بـ12% من أسعار السّفن المحتجزة، كما كانت توضع تحت تصرّفها كلّ الأسلحة المصادرة، باعتبارها غنائم حرب مشروعة، إضافةً إلى حصولها على قسط وافر من المبالغ التي كانت تُدفع لافتداء الأسرى المسيحيين.⁴

¹ فاضل بيّات، المرجع السابق، ص-ص. 219-220.

² المرجع نفسه، ص. 230.

³ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص. 138.

⁴ أحمد السليمانّي، النّظام السّياسيّ الجزائريّ في العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص. 49.

د) العملية التركيبية لبنية الأسطول البحري للجنديّة البحريّة (طائفة رياس البحر أو طائفة اللؤند) مع الاستشهاد بالوثائق العثمانية:

نُعرِّج الآن بالعملية التركيبية إلى بنية الأسطول البحريّ الجزائريّ، أين كانت البداية مع سفينة واحدة ومركب، حيث ذكر ذلك المجاهد خير الدين باشا في مذكّراته قائلاً: "كان أخي إسحاق مقيماً في قلعة ميدلي، أمّا أنا وأخي عروج كُنّا مولعين بركوب البحر. وعليه فقد اقتنى أخي عروج سفينةً، وانطلق بها للتجارة في البحر، بينما اتخذت أنا مركباً ذا ثمانية عشر مقعداً.¹ كان الشهيد عروج رئيس قاصداً طرابلس الشام من أجل جلب بعض البضائع، لكنّه وقع أسيراً في جزيرة رودوس، ومكث فيها أسيراً لسنتين، ثمّ وُضع في سفينة كأسير جدّاف، إلى أن تمكّن من الفرار إلى أنطاليا،² وهناك التقى برجل مشهور يُدعى عليّ رئيس، كان يملك سفينةً حربيّة ذات أشرعة هوائيّة من نوع كليون Kalyon، يُتاجر بها بين الإسكندرية وأنطاليا، وقد بلغته شهرة الشهيد عروج رئيس، فرحّب به، ومنحه قبطنية السفينة،³ ثمّ سمع سلطان مصر قانصو الغوري Kansu Gavri بشهرته فاستقدمه إليه وعرض عليه أن يكون قائداً على أسطوله المتكوّن من 16 سفينة،⁴ لكنّ الشهيد عروج رئيس فقد الأسطول عندما أغار عليه الرودسيّون واستولوا عليه.⁵ لاحقاً حصل في إزمير على سفينتين: إحداها أهداها له الأمير قورقود ابن السلطان بايزيد الثاني وأخ السلطان سليمان خان، والثانية كانت ملكاً للخازن بيالة باي، وقد وضعها تحت تصرّفه.⁶ وحينما ذهب إلى الإسكندرية ليطلب الغفران من سلطان مصر صاحب الأسطول المفقود، غنم 07 سفن من العدو على سواحل جزيرة كربة KERPE، ثمّ توجه بعد مصر إلى قبرص وغنم 05 مراكب تابعة للبندقية، ومن هناك انتقل إلى جزيرة جربة بتونس أين غنم من العدو من 05 إلى 10 سفن أخرى.⁷

وأثناء وجود الشهيد عروج رئيس وخير لمجاهد خير الدين باشا بجربة طلبا الحماية من سلطان تونس، حيث ذكر المجاهد خير الدين باشا في مذكّراته: "دخلنا على السلطان وقدمنا له

¹ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.22.

² المصدر نفسه، ص.29.

³ المصدر نفسه، ص.32-33.

⁴ المصدر نفسه، ص.34.

⁵ المصدر نفسه، ص.41.

⁶ المصدر نفسه، ص.38.

⁷ المصدر نفسه، ص.42-43.

الهدايا ثم قلنا له: "أريد أن تتفضل علينا بمكان نحمي فيه سفننا بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله، وسوف نبيع غنائمنا في أسواق تونس، فيستفيد المسلمون من ذلك وتنتعش التجارة، كما ندفع لخزينة الدولة ثمن ما نحوزه من الغنائم (8/1)"¹.

منحهم السلطان التونسي الحماية، بعدها قصدا جنوة، وبسبب مخالفة الرياح توجهوا إلى سواحل الجزائر، وبالضبط أمام قلعة بجاية. لحق بهم الإسبان في 10 سفن بحرية وتم الاشتباك بينهم وسط البحر في معركة حامية الوطاس، تمكن فيها الأخوان من العودة إلى تونس بـ14 سفينة، 10 منها غنماها، وفي هذه المعركة أصيب الشهيد عروج ريس بجراح خطيرة أدت إلى بتر ذراعه.² لاحقا قدم وفد من أعيان بجاية طالبا الإغاثة من الأخوين، فتوجهوا إليها في 2.033 بحارا و10 سفن قاذرة، و150 مدفعا، وآلاف الأسرى الذين يقومون بالجذب، حيث قُتل أغلب الإسبان وتحصن بعضهم في قلعة بجاية 29 يوما، وكان الأخوان على وشك اقتحام القلعة إلا أن عدم امتلاكهما للمدافع التي تُستعمل لقصف القلاع حال دون ذلك، ثم تحركت نحوهم 10 سفن قادمة من إسبانيا لإعانة القلعة، لكنهما جفا في الاستيلاء عليها.³ في عام 1516م، استعانا بـ16 سفينة للانتقال من جبل إلى مدينة الجزائر.⁴

أما في حكم المجاهد خير الدين باشا فقد تطور الأسطول البحري سريعا، حيث شاركت 45 سفينة جهادية عام 1529م في الاستيلاء على حصن البنيون.⁵ وفي عام 1530م، ضم الأسطول 60 سفينة، تطور ملحوظ يدفعنا إلى استعراض صورة وصفية لسفينة المجاهد خير الدين باشا ذكرها المؤرخ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشهيو: "كانت تُدعى "الجزائرية"... كانت عظيمة ضخمة من نوع القليلة، تُرفرف أعلى صواريتها الراية الحمراء ذات النجمات الثلاث. وفي مؤخرها بيت خير الدين الفخم المزخرف بالنقوش على الخشب النفيس، يدخله الضوء والشمس من ثلاث نوافذ عريضة، حيطان البيت مغطاة بثوب من الحرير الأحمر الرائع، ومعلقة عليها لوحات زيتية من أشهر رسامي إيطاليا وإسبانيا... وفي وسط الحائط الأمامي للبيت لوحة عليها كتابة شعار القرصنة "ننتصر بحول الله"، وفي مدخل البيت فانران جميلان عليهما النقش الفني الرائع، أحدهما

¹ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص.46.

² المصدر نفسه، ص.50-53.

³ المصدر نفسه، ص.70-71.

⁴ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص.323-324.

⁵ أمين محرز، مرجع سابق، ص.204-207.

من الفضة والآخر من البرونز. وإذا سافر خير الدين لمهمة طويلة فإنه يحمل معه حشمه وحرمه وأيوهم في هذا البيت المتسع الأطراف.¹

وفي عهد صالح ريس (1488-1568م)، وبالضبط عام 1553م، وصل عدد سفن أسطول الجندية البحرية إلى 40 سفينة، بينما في عهد حسن باشا بن خير الدين باشا، عام 1557م، وصل العدد إلى 40 سفينة. وفي عام 1565م، شارك الأسطول الجزائري في حصار مالطة بـ28 قطعة،² بينما ضمّ عام 1581م، حوالي 35 سفينة من نوع قادرغة أو غليوطة، وبين 20 و25 بركانطي فرقاطة مع عدد كبير من القوارب، في حين وصل العدد عام 1621م إلى حوالي 85 سفينة، كانت كلها حسنة التسليح والتجهيز،³ ثم وصل عدد السفن عام 1630م إلى 70 سفينة،⁴ وفي عام 1645م ضمّ الأسطول 45 سفينة و03 من نوع قادرغة، و06 غليوطات، و20 برناكطي فرقاطة، أي ما مجموعه 74 قطعة.

ثم بدأ عدد سفن الأسطول الجزائري يتناقص شيئاً فشيئاً، حيث وصل عام 1659م إلى 23 سفينة بارجة مسلحة بـ30 إلى 50 قطعة مدفعية، ثم ارتفع نسبياً في عام 1657م إلى 31 سفينة و03 قارذغات و07 برطانطي وشطيتان، أي 43 سفينة إجمالاً. وفي عام 1661م، وصل العدد إلى 42 سفينة، وبعدها راح يتناقص إلى أن وصل عام 1724م إلى 24 سفينة حربية وبين 30 و52 مدفعاً،⁵ وواصل في التناقص إلى أن وصل عام 1734م إلى 14 قطعة،⁶ ثم عام 1737م إلى 17 سفينة،⁷ وفي عام 1738م وصل العدد إلى 08 سفن،⁸ وظلّ العدد نفسه عام 1741م، ثم واصل في النقصان عام 1750م ليصل إلى 12 قطعة،⁹ ثم عرف ارتفاعاً ملحوظاً عام 1760م، حيث وصل عدد سفن الأسطول الجزائري إلى 60 سفينة،¹⁰ ثم عاد في التذبذب ليصل عام 1762م إلى 47 سفينة، وفي عام 1770م إلى 13 سفينة، أما عام 1775م، فقد ضمّ 09 سفن فقط، وفي عام

¹ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، مرجع سابق، ص.103.

² صالح عبّاد، مرجع سابق، ص.323.

³ أمين محرز، مرجع سابق، ص-ص.204-207.

⁴ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص.324.

⁵ أمين محرز، مرجع سابق، ص-ص.204-207.

⁶ حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلية، الجزائر، 2007م، ص.61.

⁷ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص.324.

⁸ أمين محرز، مرجع سابق، ص-ص.204-207.

⁹ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص-ص.325-326.

¹⁰ حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص.61.

1788م، 11 سفينة،¹ بينما وصل العدد عام 1799م إلى 12 سفينة،² وفي عام 1800م، 16 سفينة،³ وضمّ عام 1815م، 30 سفينة،⁴ ثمّ في عام 1820م، 14 سفينة،⁵ وفي عام 1822م، 12 سفينة، أمّا عام 1825م فقد وصل العدد إلى 14 سفينة، وأخيراً وفي عام 1830م، ضمّ الأسطول الجزائري 15 سفينة.⁶

لقد تناولنا عدد السفن من بدايات وجود الشهيد عروج ريس في رودس وإلى غاية احتلال الجزائر من قبل فرنسا عام 1830م، وذكرنا أثناء استعراض العدد أسماء بعض السفن، الأمر الذي يستلزم منا الوقوف عند أنواع السفن التي ضمّها الأسطول حتى تتكوّن لدينا صورة ذهنيّة متكاملة عن العدد والشكل.

لقد تنوّعت سفن الأسطول البحريّ الجزائريّ من سفن شراعيّة وأخرى مجدافيّة، منها الغليوطة أو الجاليات، وهي سفينة مجدافيّة فطحة القعر خفيفة جدًّا، إضافةً إلى الكرافيل أو القراييل، وهي سفينة حربيّة سريعة صغيرة الحجم، كانت في الأصل معدّة لحمل الخيل، إلى جانب القبليّة، سفينة حربيّة وتجاريّة ذات أشرعة ومجاديف طويلة. كذلك الغليون، وهو مركبّ إسبانيّ ضخمّ مخصّص للحرب، والبريك، سفينة ذات شرعين مربّعين وصارين، خفيفة الحمولة، بينما الغراب corvette، سفينة حربيّة ذات ثلاثة صواري، ضيقة، تحمل سلعاً خفيفةً. أمّا القراق فهو سفينة برتغاليّة كبيرة وعاليّة، ضيقة في أعلاها ومستديرة القعر، تصل حمولتها حتى 2.000 طن، والفرقاطة، سفينة كبيرة وضخمة فيها ثلاثة صواري تسيّر بالمجاديف، تُستخدم للأسفار الطويلة والحروب. في حين كانت الفوسطو أو الفوسطة، سفينة صغيرة شراعيّة ومجدافيّة، سريعة جدًّا وخفيفة، سهلة المرور، خاصّة في الأماكن الضيقة، استعان بها الجزائريّون لحقنّها وسرعتها.⁷

ولقد تحدّث عنها المؤرّخ الجزائريّ مبارك بن محمّد الهلاليّ الميليّ في مؤلّفه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، مبينًا أنّ السفن جزائريّة الصنع كانت منخفضة بحيث لا يُمكن اكتشافها في

¹ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص-ص. 325-326.

² حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائريّ خلال العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص. 61.

³ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص-ص. 325-326.

⁴ حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائريّ خلال العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص. 61.

⁵ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص-ص. 325-326.

⁶ حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائريّ خلال العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص. 61.

⁷ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص-ص. 104-106.

البحر بسهولة، وقد اشتهرت بالسرعة والاختفاء، الأمر الذي جعلها أقوى من المراكب الأوروبّيّة، فكانت تنتصر في أغلب الأحيان ولما تنهزم.¹

أمّا سفينة الفلوتة فهي سفينة حربيّة معدّة لحمل المتاع والأثقال الحربيّة، والكارقو، مركب أفطح (عريض) معدّ لنقل البضائع من السفن الكبيرة، بينما تُعتبر الفلوكة زورقاً صغيراً يُستعمل في المسافات القريبة وفي السواحل، والعاشرية اسم لفلوكة صغيرة، بينما الشطية أو الشيطيّة فهو مركب صغير لحمل الأثقال لمسافة قصيرة، في حين نجد أنّ الشباك عبارة عن سفينة صغيرة عربيّة الأصل، معدّة للأسفار القصيرة والبسيطة، ذات ثلاثة صواري، وهناك أنواع أخرى من السفن الحربيّة والتجاريّة وسفن الصيد المحوّلة إلى مراكب حربيّة كالشلتوتي، والطرطان، والشالوب وغيرها.²

كانت تحمل تلك السفن، سواء المحليّة أو ما يؤخذ في البحر، أسماء، مثل النصر، السعادة، السعيدة، النجمة، النجاج، الخضراء، مفتاح الجهاد، النجوم، الغزالة، الجناح الأخضر... الخ، أو يتم الاحتفاظ بأسمائها الأصليّة مثل لاروز، وماريا، أو تُطلق عليها أسماء نسبةً لمكان صناعتها كالبرتغاليّة (البرتغاليّة) والمريكانيّة، أو تحمل اسم صاحبها مثل مصطفى ريس والريس حميدو.³ أمّا مجموع سفن الأسطول الحربيّ فيسمى العمارة، ويُسمّى الإسبان لامارده والفرنسيّون فلوط Flotte.

لقد أبدع الجزائريّون في صناعة بعض السفن بمساعدة المهندسين المسيحيّين،⁴ والتي تُشبه السفن الإسبانيّة،⁵ وكان ذلك ضمن ورش الصّناعة في جبل وبجاية وشرشال، وكانت الجنديّة البحريّة تنزوّد بالصّاريات والشّراع والحبال والأدوات الأخرى، من الدّول الأوروبّيّة مقابل الجزية المفروضة على تلك الدّول سنويّاً، وأحياناً أخرى كانت تشتري تلك اللّوازم منهم أو تُعوّضها ببضائع أخرى برسم المقايضة.⁶

والظاهر أيضاً من خلال الوثائق العثمانيّة التي بحوزتنا أنّ الدّولة العثمانيّة كانت تُزوّد الأسطول الجزائريّ بالسّفن، خاصّة الخفيفة منها، وخير دليل على ذلك الحُكم السّلطانيّ الصّادر

¹ مبارك بن محمّد الهلاليّ الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النّهضة الجزائريّة، الجزائر، د.ت، ص.126.

² عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص-ص.104-106.

³ المرجع نفسه، ص-ص.103-104.

⁴ مبارك بن محمّد الهلاليّ الميلي، مرجع سابق، ص.126.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.79.

⁶ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص-ص.97-99.

عام 1571م من قبل السلطان سليم الثاني، والخاصّ بالموافقة على استبدال السفن الثقيلة التي يمتلكها الأسطول الجزائريّ بسفن أخرى خفيفة مناسبة للعمليات الجهادية، وذلك نزولاً عند طلب بكربكي ولاية جزائر الغرب قليج عليّ.

وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 61): "حُكِمَ إلى الوزير برتو باشا. أرسل بكربكي جزائر الغرب عليّ، دام إقباله، رسالةً يُبلغ فيها أنّ السفن الأربعة من نوع قدرغة الموجودة عنده، والتي يستخدمها في خدمة القرصنة هي سفن ثقيلة، ولا تصلح لهذه الخدمة، وطلب استبدالها بسفن خفيفة صالحة للخدمة المذكورة، وعليه أمرت باستبدالها، وذلك بعد حسم ظروف الحملة السلطانية وأمرت: عند وصوله، تقوم باستبدال القدرغاوات الأربعة المذكورة التي يرغب المشار إليه باستبدالها بالوجه المناسب بسفن أخرى غير سفن المرحوم والمغفور له والذي السلطان المجاهد، طاب ثراه، وذلك بعد حسم ظروف الحملة السلطانية المقرونة بالنصر بالكامل، وتكون عاقبتها خيراً بعناية الله تعالى، وتزوده بأربع قطع قدرغاوات مميّزة وصالحة للخدمة المذكورة." صورة منه إلى القُبودان عليّ باشا، سلّم إلى الحاج مراد في 03 صفر 979هـ، 27 حزيران/يونيو 1571م.¹

نستشفّ من الوثيقة العثمانية إذاً أنّ الدولة العثمانية كانت تُزوّد الأسطول الجزائريّ بالسفن والأسلحة والمعدّات اللازمة للجهاد. زوّدتنا الوثيقة أيضاً باسم سفينة لم تُذكر في الإسطوغرافيا التي تناولت أنواع سفن الأسطول البحريّ الجزائريّ، ونخصّ بالذكر سفينة من نوع قدرغة: "إنّ السفن الأربعة من نوع قدرغة الموجودة عنده، والتي يستخدمها في خدمة القرصنة هي سفن ثقيلة"، وهي سفينة من السفن الحربية القديمة التي تُدار بألة هواء.²

وفي الوثيقة التالية تأكيدٌ على أنّ الدولة العثمانية كانت تُزوّد الأسطول الجزائريّ بالمجاديف العثمانية، حيث أرسل السلطان العثمانيّ سليم الثاني، عام 1571م، حكماً سلطانياً إلى صانع مجاديف القدرغاوات، بغية تزويد سفن الأسطول الجزائريّ بالمجاديف، وذلك نزولاً عند طلب أمير سنجق المدينة بولاية جزائر الغرب، وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 62): "حُكِمَ إلى الجاوش يونس وهو من جاوشية سدي العلي المعين في خدمة صنع المجاديف للقدرغاوات الخاصة في كمر. أبلغ أمير سنجق المدينة التابع للجزائر قذوة الأمراء الكرام الحاج مراد، دام عزّه، والمتوجّه صوب أسطولي السلطاني عن حاجة القدرغاوات الموجودة هناك إلى المجاديف، وعليه فقد أمرت: عند وصوله، تقوم بتزويد المذكور بكمية

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص-ص 184-185.

² لطفي باشا، تواريخ آل عثمان، الوقائع التاريخية للدولة العثمانية حتى عام 1553م، ترجمة محمّد عبد العاطي محمّد، تقديم سيّد محمّد سيّد، دار البشير للثقافة والعلوم، 2018م، ص.407.

من المجاديف الجاهزة في كمر والمصنوعة لقدرغواتي الخاصة الموجودة في الأسطول، وتكتب مبلغاً سدة سعادتني عن الكمية التي زودته بها." في 03 صفر 979هـ، 27 حزيران/يونيو 1571م.¹ لقد كان الأسطول العثماني يستعمل خشب الغابات الواقعة في الأناضول، خاصة مدينة بيرجيك الواقعة في أعلى نهر الفرات، والتي كانت تُجهز الخشب لبناء السفن للبصرة والسويس، أما مدينة كمر والتي تقع في ولاية باليكسر في ساحل خليج أدرميت الواقع في الجزء الشمالي من بحر إيجه بتركيا، فكانت تُجهز المجاديف للسفن، ومن بينها السفن الحربية العاملة في البحر المتوسط وغيره،² مما يدل على أن مجاديف الأسطول البحري الجزائري كانت من هذه المدينة. نُدرج أيضاً في هذا المقام رسالة حسن باشا إلى السلطان العثماني سليم الثاني عام 1572م، والتي يلتمس فيها تزويده بـ30 قطعة من السفن البحرية من نوع قدرغة، وقد أمر السلطان القُبودان قليج علي باشا بتوفير ما طلبه المجاهد حسن باشا.

وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 63): "حُكم إلى القُبودان علي باشا. أرسل بكربكي جزائر الغرب حسن رسالة إلى سدة سعادتني أبلغ فيها عن وجوب توفير ثلاثين قطعة من القدرغوات بغية الذهاب بها إلى الجزائر، ولا يمكن الذهاب بدونها. ولكن العدد المطلوب تزويده من السفن كثير، ومن المقرر حدوث مضايقة مالية كلما زاد الصرف، ونظراً لكون توفير مستلزمات المشار إليه فوراً وحسب الإمكان لازماً وإرسالها إلى ولايته من الأمور المهمة فقد أمرت: عند وصوله، تقوم دون تأخير بتوفير مستلزمات المشار إليه وتبدي الاهتمام بكل أنواعه في مجال إرسالها وإيصالها إلى ولايته بموجب أمري." سُلم إلى الجاوش علي في 05 رمضان 979هـ، 21 كانون الثاني/يناير 1572م.³

ورغبةً في الحفاظ على مكتسبات جزائر الغرب من سفن الأسطول الجزائري، كانت تُمنع السفن الأجنبية الراسية في ميناء مدينة الجزائر من مغادرة الميناء مدة أسبوعين أو 03 بعد إبحار السفن الجزائرية للجهاد، وذلك حفظاً وضماناً لسلامتها.⁴

من جانب آخر تبيّن لنا من خلال رسالة السلطان العثماني مراد الثالث، عام 1595م، إلى البكربكي خضر باشا أن الدولة العثمانية كانت تحرص على تزويد ولاية جزائر الغرب عند تنصيبهم بعدد من السفن الحربية، إلا أن البكربكي خضر باشا لم يحصل على سفينة، فبالتالي

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص-ص 186-187.

² المرجع نفسه، ص 186.

³ المرجع نفسه، ص-ص 188-189.

⁴ أحمد السليمان، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مرجع سابق، ص-ص 73-74.

واقتراداً بما كان معمولاً به، طلب البكربركي من السلطان سفينة حربية، وقد خصص طلبه بإبقاء سفينة حربية كانت قد أرسلت من إسطنبول إلى فاس في مهمة، وقد ورد في الحكم السلطاني ما يلي (ينظر الملحق رقم 64): "حكم إلى بكربركي جزائر الغرب خضر باشا. أرسلت رسالة إلى سدي العليا تُبلغ فيها أنه أُعتيد تزويد الولاة الذين يتولون ولاية جزائر الغرب بعدد من السفن، إلا أنه لم يتم تزويدك بها، وناشدت استصدار حُكمي السلطاني بشأن إبقاء السفينة (من نوع قاليته) التي أقلت سفراء فاس، وجاوشي المُرسَل مع الخطاب السلطاني إلى فاس عندك وذلك عند عودتها من هناك، على أن يتم نقل جاوشي والآخرين الموجودين فيها إلى سفينة أخرى، وذلك في المكان الذي تلتقي بها. وعليه فقد أمرت بإبقاء السفينة عندك وأمرت: عند وصوله، تقوم مثلما عرضت بتهيئة سفينة أخرى لنقل من تُقلهم القاليتة المذكورة إليها وتُرسلها إلى سدة سعادتِي، وذلك في حالة التقائك بالقاليتة فيما وراء قلعتي متون وكرون، أما إذا التقيت بها قبلها تُخرج منها من في داخلها، وتضعهم في محلٍّ مأمون ومحفوظ لئلا يتسنى لهم السفر إلى سدة سعادتِي بسفن أسطولي السلطاني." في 13 شوال 1003هـ، 21 حزيران/يونيو 1595م.¹

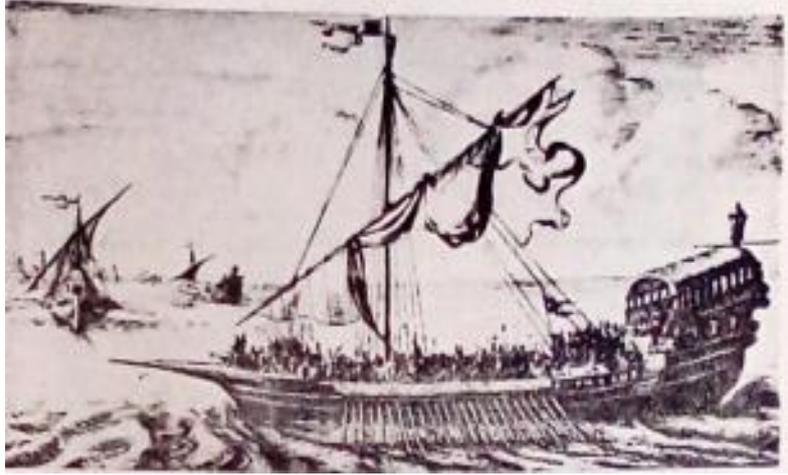
يُمكننا القول أنه، وإلى غاية عام 1595م، وحسب الوثائق العثمانية التي بحوزتنا، كانت الدولة العثمانية حريصة جداً على توفير المعدات الحربية من سفن وأسلحة لولاية جزائر الغرب، خاصة وأنها كانت منطقة جهاد وكانت مستهدفة من النسق الديني الغربي. وعلاوة على حرص الدولة على تزويد الأسطول الجزائري بالسفن وبالمعدات اللازمة للجهاد في سبيل الله، حرصت أيضاً على **تكريم هؤلاء المجاهدين**، وخاصة من تفرغ في خدمتها.

وقد تطرقنا من قبل إلى تلك التكريمات، ولا بأس من أن نعرض الآن حكماً آخر صدر من قبل السلطان العثماني سليم الثاني عام 1572م، مكرماً ومشيداً فيه بالدور الذي قام به قائد تلمسان، بارمقسز مصطفى، من أجل فك الحصار المفروض على قلعة جزيرة أيامورة الواقعة إلى الغرب من اليونان، حيث ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 65): "حكم إلى أمير سنجق قارلي إيلي² وقائد تلمسان. الإبلاغ عن قيام قائد تلمسان بارمقسز مصطفى بفك الحصار المفروض من قبل الكفار على قلعة أيامورة، ونيله التكريم من السلطان، والأمر بإيداع سفينته من نوع قاليتة والأسرى الموجودين فيها عند أمير قارلي إيلي، والتوجه إلى إسطنبول." في 20 شوال 979هـ، 06 آذار/مارس 1572م.³

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص. 191.

² قلعة أيامورة كانت تابعة لسنجق أو لواء قارلي إيلي غرب اليونان، فيه 11 زعامة و119 إقطاعية، ويشترك حاكمه في الأسطول بسفينة واحدة، يُنظر لطفي باشا، مصدر سابق، ص. 438، وحاجي خليفة، مصدر سابق، ص. 230.

³ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص. 212.



الصورة رقم 26: سفينة جزائرية تابعة للأسطول البحري الجزائري.¹

بديهي أنّ لكلّ عظمة نهاية، وقد كانت نهاية ملحمة الجندية البحرية الجزائرية نتيجة عدّة عوامل، فرغم عصرها الذهبي في القرن 17م، إلا أنّ نشاطها اضمحلّ لاحقاً بسبب عامل التّقدّم الصناعي الذي عرفته أوروبا أواسط القرن 17م، حيث أنشئت السفينة البخارية عام 1807م،² وقويت على إثر ذلك شوكة الأوروبيين بحراً، ودليل ذلك استيلاء فرنسا ما بين 1793م و1815م على 10.871 غنيمة بحرية.

كما أنّ عامل إبرام المعاهدات مع الدول الأوروبية، قد ساهم بشكل كبير في تقويض نشاطها البحري، خاصّة وأنها كانت تكفل لهم الأمن وحرية ممارسة التجارة، الأمر الذي عاد سلباً عليها، وقد تطرّقنا إلى العديد من الأحكام العثمانية التي كانت تُطالب ولاية الجزائر الغرب بعدم المساس بسفن فرنسا وغيرها من الدول التي أبرمت معها معاهدات سلام. من جانب آخر، نجد أنّ عامل انتشار الفتن والأمراض قد أسهم كذلك في هلاك العديد من الأشخاص، وتسبّب بالتالي في نقص التّجنيد ضمن الجندية البحرية الجزائرية،³

دون أن ننسى أيضاً الأضرار الجسيمة التي لحقت بالأسطول البحري جزاء الحملات الأوروبية ضده، خاصّة حملة اللورد إكسموث عام 1816م، أمّا عامل التزام الجزائر بمساعدة الأسطول العثماني في حروبه، خاصّة معركة نافارين عام 1827م، جنوب غرب اليونان حالياً،

¹ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص.98.

² صالح عبّاد، مرجع سابق، ص.325.

³ ناصر الدّين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص.142.

ضدّ الحلفاء بريطانيا، فرنسا وروسيا، والتي نتج عنها تدمير الأسطول العثماني، وبالتالي تدمير الأسطول الجزائري¹، فهو طرح يحتاج الى المزيد من الدراسات للتأكد من صحته.

هناك عامل نراه مهماً جداً، قد تحدّث عنه المؤرّخ الجزائري أحمد توفيق المدني، حيث ذكر أنّه في عام 1799م، منح الدّاي مصطفى باشا إلى كلّ من عائلة بوخريص وبوشناق حقّ احتكار تجارة الخشب واستثمار الغابات، التي كانت تستعمل أخشابها في بناء سفن الأسطول الجزائري. وقد ذكرنا سابقاً أنّ الدّولة العثمانيّة في القرن 16م هي التي كانت تتكفّل بتوفير لوازم ومعدّات وسفن الأسطول الجزائري، ويبدو أنّه في القرن 18م، كانت الجزائر تكفي نفسها حاجيات الأسطول البحري، حيث احتكرت العائلتان تجارة الخشب من بجاية إلى القلّ، وكانت الجنديّة البحريّة تتكفّل بدفع ثمن الخشب الذي يبيعهون لها بأسعار مضبوطة على أساس التسعيرة التي أقرّها الدّاي حاج مصطفى عام 1702م، مضافاً إليها نسبة 20% تُدفع لقاء خدمات شركة العائلتين.

لكنّهما لم يقتعا بهذه النسبة من الرّبح، وطمحا إلى أكثر من ذلك، فقاما بفرض أثمان لشراء الخشب من القبائل المحتطبة في الغابات أقلّ من الثمن الذي تعودوا البيع به، الأمر الذي أدّى إلى سخط تلك القبائل عليهما، فقامت بمنع أعوان عائلة بوخريص وعائلة بوشناق من حمل الأخشاب بذلك الثمن، وعلى إثر ذلك ظلّت كميات هامة من الأخشاب مكدّسة فوق الشواطئ، دون استغلالها في بناء السفن أو تعويض السفن البحريّة التي شاركت في معركة نافارين²، فضعف الأسطول وانهار.

أخيراً، ورغم التّشويه المقصود لصورة الجنديّة البحريّة في الإسطوغرافيا الغربيّة ومن نهل عنها، ورغم تجريمها واعتبارها لصوفيّة بحر، واتّخاذ كافّة الإجراءات لمحاربتها من خلال عقد المؤتمرات، والأمر بشلّها -وقد نجحوا بالفعل في ذلك-، إلّا أنّنا نجد المفارقة واضحة في المنطق الغربيّ من خلال اعتبار الجهاد البحريّ لصوفيّة واستعمالها كمطيّة لاحتلال ولاية جزائر الغرب وتخليص العالم منها، وفي الوقت نفسه نجد أنّ القرصنة الغربيّة قد استمرت إلى ما بعد احتلال فرنسا للجزائر، ففي عام 1856م، أي بعد 26 عاماً من احتلال الجزائر، عقدت الدّول الأوروبيّة مؤتمراً في باريس، قرّرت فيه إلغاء القرصنة الأوروبيّة، واعتبارها خارجة عن القانون، وقد امتنعت دول أمريكا وإسبانيا والبرتغال والمكسيك عن إمضاء تلك المعاهدة، الأمر الذي فتح لها مجال

¹ أحمد السليمانيّ، النّظام السّياسيّ الجزائريّ في العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص-ص 49-50.

² أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 142.

ممارسة القرصنة إلى أن انتهت الحرب الإسبانيَّة-الأمريكيَّة في أواخر القرن 19م.¹ وهذا دليلٌ جور الدَّول الغربيَّة الممثلة للنَّسق الدينيِّ المسيحيِّ واستعلاء منطقتها المعادي للنَّسق الدينيِّ الإسلاميِّ أينما وُجد.

3) الأنساق المضمرَّة في النصوص الموسوعيَّة المتعلقة بالجندية البرية

طائفة الإنكشاريَّة (لجائز الغرب):

أ) رصد الأنساق المضمرَّة في النصوص الخطابيَّة ضمن موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة (الإستشراقيَّة):

نُبادر هنا إلى دراسة الأنساق المضمرَّة في النصوص الموسوعيَّة المتعلقة بالجندية البرية جزائر الغرب، حيث اعتبر المؤرِّخ الفرنسي جورج إيفير أن: "الحكم وما يتشبعه من مزايا وقف على رجال الجيش من التُّرك (أوجاق)، وقد أقامت هذه الجماعة التي تمكَّن خير الدين بفضلها من تدعيم سلطانه، أرسنقراطيَّةً عسكريَّةً صغيرةً لم يتجاوز عدد أفرادها في وقت من الأوقات 15.000 رجل."²

أمَّا عن مناطق استقدامهم الأصليَّة فقد ذكر أنهم: "كانوا يُجنَّدون من سكَّان مدن آسية الصغرى، ومن الأوروبيين الذين خرجوا على دينهم في القرنين 16 أو 17م على الأقل، وقد اجتذبتهم إلى الجزائر شهوة المغامرة وما تجرّه من مغام،"³ ثمَّ أوجز المستشرق عمليَّة التحاق الجند بالجيش البريِّ أو البحريِّ، وكيفيَّة ارتقائهم في الرُّتب، وسير عملهم ذاكراً: "وكان هؤلاء اليلدش، بعد أن يُسجَّلوا في ديوان الجند يلحقون إمَّا بالجيش البريِّ وإمَّا بالسفن، وتزداد أعطياتهم تدريجيًّا، وكانوا يرتقون في جميع الرُّتب المتعاقبة بحسب أقدميتهم حتَّى يصل الواحد منهم إلى مرتبة الآغا، وقد يطمعون في أرفع المناصب المدنيَّة... وكان الذين يؤلَّفون الجيش الحقيقيِّ منهم يتناوبون الخدمة سنة في الثكنات (نوبة) التي في المدن، أو أهمِّ المراكز (الجزائر، بجاية، برج سيباو، قسنطينة، المديَّة، مليانة، مزونة، تلمسان)، وسنة أخرى في صفوف الجيش لجباية الرُّسوم، ويقضون السنة التي تليها في عطلة."⁴

¹ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامَّة في عهده، مرجع سابق، ص. 11.

² جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص. 2830.

³ المرجع نفسه، الصَّفحة نفسها.

⁴ المرجع نفسه، الصَّفحة نفسها.

بعدها استعرض صفات جند البرية مبيِّناً أنهم: "كانوا مشاغبين، فلم يكونوا خطراً على الأهلين فحسب بل على الحكومة أيضاً، فسعت إلى استمالتهم بالعطايا والمنح، وكانت فتن القصر التي أسالت الدماء في الجزائر مراراً من صنع هؤلاء الجند... أمعن الإنكشارية في السلب والنهب، وكان عددهم قد قلَّ كثيراً (1805م)، وفقدوا على الأيام صفاتهم الحربية".¹

بعد تدقيقنا في النصوص رصدنا نسق التسمية، الذي يتجلى أساساً في العبارة: "أرستقراطية عسكرية صغيرة"، والقصد من الأرستقراطية حكم طبقة أو نخبة مفضلة قليلة العدد، وقد أضاف المؤرخ صفةً أخرى لتحديد هذه الطبقة، فهي عسكرية، وهو ما يُضفي طابعاً خاصاً عليها، قد يكون تأكيداً ضمنياً من قبله على أنها تمتلك الحكم وعنصر القوة والغلبة للحفاظ عليه، وقمع كلِّ من يُعارضها، وهو القصد الأرجح في نظرنا. كما تُضفي هذه التسمية بعداً سلبياً على الجندية البرية من خلال إجمالها على أساس أنها أداة للسلب والنهب والقهر والسرقعة والقتل، وهي صفات تدرج ضمن نسق الوصف ونسق الإسناد، وتُعزِّزها العبارات التالية: "شهوة المغامرة وما تجرّه من مغانم"، "فلم يكونوا خطراً على الأهلين فحسب بل على الحكومة أيضاً"، "أمعن الإنكشارية في السلب والنهب".

هي إذا عبارات مغلفة بأفكار إيديولوجية تهدف إلى رسم صورة سلبية عن الجندية البرية مفادها؛ سعي هذه الأخيرة منذ البداية نحو التجنيد ومن ثم إلى الحكم، ليس رغبةً في حماية ولاية جزائر الغرب من الأعداء، بل لأسباب ذاتية واقتصادية، تتجلى في السلب والنهب. فكلمة "الشهوة" تُشير إلى البعد السلبي للمغامرة التي تدور في فلك النساء والمال، بينما كلمات؛ "السلب" و"النهب"، فهي تُحدِّد بدقة طبيعة عمل الجندية البرية، حيث يمرر المؤرخ الفرنسي أفكاراً إيديولوجية تجعل من الجندية مجموعة من الأشخاص هدفهم الأول السرقعة دون الدفاع عن حياض الأهالي. كما تُشكِّل صفتا "مشاغبين" و"خطراً" في ذهن المتلقي طبيعةً وظيفيةً سلبيةً يُديرها التهديد والتسبب في الفتن، وهو الأمر الذي يُحاول المؤرخ جورج إيفير إسناده إلى جند البرية، حيث ورد ذلك جلياً في العبارة: "وكانت فتن القصر التي أسالت الدماء في الجزائر مراراً من صنع هؤلاء الجند".

وهناك صفاتٌ سلبيةً أخرى أُسندت إلى الفاعلين الاجتماعيين الذين يُشكِّلون أوجاق (وحدات) الجيش، وذلك عند الإشارة إلى أصولهم، فهم إما آسيويون أو أوروبيون مارقون (خارجون) عن الدين المسيحي، على أساس أنه دين يحمل الرأفة والرحمة والقيم الإيجابية، عكس

¹ جورج إيفير، المرجع السابق، ص-ص 2830-2832.

الدِّين الإسلاميّ، دين النَّهب والسَّلب والقتل، من منظورهم، "كانوا يُجَنِّدُون من سگان مدن آسية الصغرى، ومن الأوروبّيين الذين خرجوا على دينهم"، وفي هذا الأمر مقارنةً ضمنيةً وتقديمٍ سلبيٍّ للجندية البرية، في مقابل التّقديم الإيجابيِّ للذات المسيحية.

كما تحيلنا هذه النصوص إلى نسق إضفاء المنظور، على أساس أنّ تلك التسميات والصفات التي تناولناها تُشكّل وجهة نظرٍ منحازةٍ تُقدّم الذات تقدماً إيجابياً، وتُقدّم الآخر تقدماً سلبيّاً، ضمن تهويل للأحداث.

نُبادر الآن إلى نقد الأمانة والدقّة في هذه النصوص الاستشراقية التي تناولت الجندية البرية، أين رصدنا أنساقاً مضمرّةً تحمل أفكاراً إيديولوجيةً مشوّهةً في معظمها للإنجازات التاريخية العظيمة لجزائر الغرب، حيث ركّزت النصوص على أعمال الشغب التي قامت بها الجندية البرية (طائفة الإنكشارية) في إطار إستراتيجية معمّمة للوقائع مع المبالغة: "كانوا مشاغبين، فلم يكونوا خطراً على الأهلين فحسب، بل على الحكومة أيضاً، فسعت إلى استمالتهم بالعطايا والمنح، وكانت فتن القصر التي أسالت الدماء في الجزائر مراراً من صنع هؤلاء الجند... أمعن الإنكشارية في السلب والنهب".

نلمح أيضاً تركيزاً مقصوداً على الأحداث التي شهدتها أواخر الحكم العثمانيّ في جزائر الغرب، وتغييب صفات الجندية البرية في بدايات تلك الفترة، وهذا ما سنتطرق إليه في العملية التركيبية للأحداث التاريخية، حيث سنقف عند ما عُيِب من أحداث في تلك النصوص الخطابية الاستشراقية. لاحظنا أيضاً محاولةً تضليلٍ للمتلقّي بخصوص مناطق استخدام الجندية البرية، حيث اختصت بسگان آسيا وأوروبّا المارقين عن دينهم: "كانوا يُجَنِّدُون من سگان مدن آسية الصغرى، ومن الأوروبّيين الذين خرجوا على دينهم"، بينما تنوّعت أصول المجنّدين من مختلف الدّول، حتّى من الدّول المجاورة كتونس وطرابلس الغرب وغيرها، إلى جانب تغييب الجندية الموازية المحلية أمثال: الكراغلة (والصّواب هو قولٌ أوغلو)، عشائر أو قبائل المخزن أو الرّمول، فرقة المحلّة والنّوبة، فرقة الصّباحية، فرقة الزّواوة، فرقة القوم (سنناول بالتّفصيل هذه الجندية المحلية الموازية في العملية التركيبية).

(ب) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية ضمن الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الذبابة التركي"):

ننتقل الآن صوب الموسوعة الإسلامية باللغة التركية، وتحديدًا عند نصوص المؤرخ التركي الدكتور كمال قهرمان، حيث تناول الجندية البرية، مركزاً بدايةً على مواطنهم الأصليين وكيفية ترقيةهم، فذكر أنّ عدد أفراد "الإنكشارية (الأوجاق) بين 15 إلى 20 ألف فرد، قسم منهم تمّ استقدامهم من (إزمير، منيسا، موغلا، أيدين، وغرب الأناضول)، حيث تركوا أراضيهم لأسباب مختلفة... بعد تقييدهم يتمّ توظيفهم في الساحل أو السفن، وتُصرف لهم رواتب، يكون (الفرد) تابع بنفسه إلى القادة، حيث يستطيع أن يترقى إلى درجة الأغاوية (الآغا). لكنّ الضوابط (الشروط) كانت صعبة... وكان أساس الطبقة العسكرية، قسم الإنكشارية الذين يُستقدمون من إسطنبول، وعلى رأس هؤلاء آغا،¹

ثمّ تناول الجندية البرية الموازية ذاكراً: "إضافة إلى الأتراك والجنود المحليين (المخزن) كان يوجد فرسان القبائل. كانت فرقة جنود المخزن مسؤولةً على حماية القوافل وتحصيل الضرائب وعلى طاعة القبائل التي تدفع الضرائب".²

وفي رصد للأنساق المضمرة في النصّ التركي، تجلّى لنا نسق التسمية انطلاقاً من كلمة "الإنكشارية" و"الأوجاق"، وهما إسمان تركيان لديهما دلالة ثقافية تربط الدولة العثمانية بجزائر الغرب ضمن عملية ثقافية وامتزاج لغويّ مُتكيف، سمح بالتعايش اللغويّ لبعض الكلمات التركية الدخيلة على اللغة العربية. وفي نطاق نسق التسمية رصدنا أسماءً كثيرةً لمناطق استقدام الجنود: (إزمير، منيسا، موغلا، أيدين، وغرب الأناضول)، بالإضافة إلى "الجنود المحليين" و"فرسان القبائل"، كما ورد في النصّ الأصلي، وهنا إشارةً إلى تكوينة متعدّدة الأجناس توجي إلى التكاثر والترابط بين مختلف فرق الجندية البرية (طائفة الإنكشارية).

وفي آخر النصّ الخطابيّ رصدنا نسق الإسناد للفاعلين الاجتماعيين، وهم الجندية، وبالتحديد الجندية الموازية، حيث أُسندت إليها المسؤولية في العبارة التالية: "حماية القوافل وتحصيل الضرائب وعلى طاعة القبائل التي تدفع الضرائب".

تُحيلنا هذه العبارة إلى نسق الوصف على أساس أنّ تلك المسؤولية تُمثّل وظيفة غايتها الحماية وتحصيل الضرائب، وليس إثارة الفتنة وتمثيل الخطر على الأهالي والبلاد، كما وصفها النصّ الاستشراقيّ من قبل (وصف الإنكشارية)، وهنا يستوقفنا نسق إضفاء المنظور الذي يتجلّى في رسم صفات إيجابية عن الجندية البرية، ضمن تلطيف للأحداث قوامه الحماية والأمن.

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.487.

² Ibid, p.487.

يُمكننا الآن، ومن خلال هذه النصوص وأنسابها المضمرة، استعراض الأمانة والدقة العلمية، حيث عرض المؤرخ التركي مناطق استقدام الجنديّة البريّة، وضرب أمثلةً عن تلك المدن كنوع من الحجّة لإضفاء الموضوعيّة على النصّ: "إزمير، منيسا، موغلا، أيدين، وغرب الأناضول"، كما تناول "الجنود المحليين (المخزن)... فرسان القبائل"، والذين غُيِّبوا في النصوص الاستشراقية، لكنّه في الوقت نفسه استثنى العنصر الأوروبي وبعض العرب من المناطق المجاورة، وهو عرض ناقصٌ للمعلومات. لاحظنا أيضاً اقتصاراً على عرض المخزن وفرسان القبيلة دون باقي الجنود المحليين أمثال: الكراغلة (والصواب هو قول أوغلو)، فرقة المحلّة والنوبة، فرقة الصباحية، فرقة الزاوة، فرقة القوم، وهو أمرٌ غيرٌ دقيقٍ سنتوقّف عنده في العمليّة التركيبيّة للأحداث التاريخيّة لاحقاً.

من جانب آخر، تناول المؤرخ التركي معلوماتٍ غايةً في الأهميّة بخصوص عمليّة توظيف الجند، وكيفية صرف رواتبهم، وترقيتهم، الأمر الذي لم نجده في النصوص الاستشراقية. من هنا يُمكننا القول أنّنا نستشعر من خلال نصوص المؤرخ التركي نوعاً من الحياد والموضوعيّة في عرض المعلومات دونما الافتخار بالانتماء إلى الدولة العثمانية.

4) العمليّة التركيبيّة لبعض الأحداث التاريخيّة المتعلقة بالجنديّة البريّة

طائفة الإنكشاريّة) ضمن موجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقية) والموسوعة

الإسلاميّة (باللغة التركيّة "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً:

لاحظنا من خلال النصوص الموسوعيّة الاستشراقية تغييراً لصفات الجنديّة البريّة في بدايات الحكم العثمانيّ في جزائر الغرب، وتركيزاً كبيراً حول صفاتها وأخر تلك الفترة: "كانوا مشاغبيين، فلم يكونوا خطراً على الأهلين فحسب بل على الحكومة أيضاً، فسعت إلى استمالتهم بالعطايا والمنح، وكانت فتن القصر التي أسالت الدماء في الجزائر مراراً من صنع هؤلاء الجند... أمعن الإنكشاريّة في السلب والنهب، وكان عددهم قد قلّ كثيراً (1805م)، وفقدوا على الأيام صفاتهم الحربيّة."¹

وبناءً عليه سنحاول تناول باكورة الجنديّة البريّة لجزائر الغرب كنوع من العمليّة التركيبيّة للأحداث التاريخيّة، مع العلم أنّه لم يكن للدولة العثمانية في بدايتها جيشاً عسكرياً على نحو الجيوش المعروفة المتفرّعة للحرب، بل اعتمدت كشكلٍ أوليٍّ على المتطوّعين للحرب والجهاد،

¹ جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص-ص 2830-2832.

حيث كَوَّنوا مجموعةً من المجاهدين الغزاة، وساهموا بشكل كبير في إرساء قاعدة الدولة، وكانوا في عهد السلطان عثمان (خان) الأول (1258-1326م)، ابن الأمير الغازي أرطغرل (حوالي 1191-1281م)، من فرسان التركمان البدو الذين لا يملكون معرفةً ولا خبرةً في الضبط العسكري، ولا الانتظام في القتال،¹ يُحاربون وعلى رأسهم السلطان عثمان الأول، وعندما ينتصرون يأخذون الغنائم ويعودون إلى أسرهم وإلى أعمالهم، وأشغالهم المعتادة،² وقد تشكّل جيشهم بناءً على قاعدة "من كلّ قبيلةٍ وحدةٌ عسكريّةٌ"، وعملياً كان كلّ فردٍ من القبيلة، وبعد بلوغه سنّ الرشد، يُصبح محارباً، وثبّت الجيش على هذا النمط حتى عهد السلطان أروخان (1281-1362م) ابن السلطان عثمان.³

وبسبب توالي الانتصارات والفتوحات، ظهر عَوَز السلطان أروخان إلى إنشاء قوةٍ عسكريّةٍ دائمةٍ متفرّغةٍ تخوض الحروب الصعبة ضدّ الحصون المنيعّة، بدل انتظار تجمّع المجاهدين من كلّ صوب وحذب. فأقبل على إنشاء فرقةٍ مشاةٍ مأجورةٍ أطلق عليها اسم (بيادة)، ووفّر لها المقرّ الدائم في الثكنات العسكريّة وجعلها على أهبة الاستعداد للحرب، وكان على رأس كلّ فرقةٍ من فئة الألف، ضابطٌ عظيم الشان، ومن فئة المائة، ضابطٌ أقلّ منه، وللفرقة العشرة زعيم صغير. وبسبب توالي الانتصارات، شعر أفراد هذا الجيش بنشوة الانتصار، فغزَرَ طُغيانهم وتمردوا وابتغوا حقّ السيادة، وبالغوا في مطالبهم الماليّة، وقاموا بالتحرّب إلى القبائل التي ينتمون إليها، وخوفاً من تمردهم فكّر السلطان أروخان في استبدالهم.⁴

وهكذا ظهرت نية إنشاء جيش متكوّن من جنود غُرباء عن الرعيّة ولا يمتّون إليها بصلة، بغية منع تحرّبهم لعشيرتهم، وتمردهم على سلطانهم، ومحاولة ضمان ولأهم الدائم له، فجرى إنشاء الجيش الإنكشاري⁵ عام 1330م، في عهد السلطان أروخان، الذي قام بإعداد وسنّ قوانين

¹ أحمد النصارى الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، د.ت، ص.317.

² أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، دور الإنكشاريّة في إضعاف الدولة العثمانية، دور الإنكشاريّة في إضعاف الدولة العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكّة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2004م، ص.34.

³ إيرينا بيتيرسيان، الإنكشاريون في الإمبراطوريّة العثمانية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتّحدة، د.ت، ص.14.

⁴ أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، دور الإنكشاريّة في إضعاف الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص.40-41.

⁵ الإنكشاريّة، كلمة عربية حُرّفت عن الكلمة التركيّة عند ترجمتها وهي "يني تشاري"، معناها الجيش الجديد أو الجند الجديد. يُنظر المرجع نفسه، ص.21.

وتنظيمات للجيش، جعلت منه جيشاً نظامياً شرعياً دينياً يحترم حرية الفرد.¹ فكان مقسماً إلى فرقة المشاة وفرقة الخيالة، وقد حقق انتصارات عظيمة وفتوحات أعظم.² وجزء تلك الانتصارات المتوالية احتاج السلطان أروخان إلى المزيد من الجنود، الأمر الذي جعله يستفيد من أسرى الحرب، كما كان يفعل بقية السلاطين والملوك في عهده، وتم ذلك بموجب قانون عُرف باسم "ينجيك قانوني"، أي قانون الخمس الذي صدر عام 1363م، والذي نصّ على أنه يُمكن للدولة أن تحصل على خمس أسرى الحرب، حسب الشريعة الإسلامية، ليلتحقوا بأوجاق الإنكشارية العثمانية.³

يجرنا هذا الموضوع إلى الحديث عن مسألة مهمة جداً تناولها الباحثون بوجهات نظر مختلفة، أدت إلى إثارة جدل كبير وسط المؤرخين، وهي مسألة نظام الدوشيرمه في العهد العثماني. وسنسعى في هذا المقام إلى دراسة الجندية البرية (طائفة الإنكشارية) وبالخصوص نظام الدوشيرمه، دراسةً تكامليةً تاريخيةً وأنتوروبو-سوسولوجيةً، من خلال إسقاط نظرية العالم الفرنسي **فان جنب Van Gemep** الخاصة بطقوس العبور عليها بطريقة أصيلة، تجعل التجنيد ضمن الجندية البرية من الطقوس والمسائل الرمزية التي يُمكنها أن تؤسس للنسق السلطوي من خلال خلق مكانة اجتماعية معترف بها تضبط الحقوق والواجبات في السلم الاجتماعي، وتتخذ دلالات ومعانٍ وظيفية في المتخيل الجمعي.

"الدوشيرمه" إذا لفظة تركية تعني "جمع"، استُخدمت من قبل العثمانيين للدلالة على الأطفال الذين يتم اختيارهم وجمعهم من الرعايا، أي المواطنين المسيحيين في الدولة العثمانية، بغية استخدامهم في السراي السلطاني وأوجاق البستانجية وأوجاق الإنكشارية.⁴ وقد اقتصر عملية التجنيد في البداية على الألبان واليونان والبلغار، ثم شملت الصرب وأهالي البوسنة والهرسك والمجر، واعتباراً من أواخر القرن الخامس عشر 15م، بدأ بشكل تدريجيّ شمل أبناء الرعايا المسيحيين في الأناضول، وفي القرن السابع عشر 17م، أصبح أبناء الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية كافة مشمولين بنظام الدوشيرمه.⁵

¹أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، المرجع السابق، ص.48.

²حسين لبيب، تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، القاهرة، مصر، 1921م، ص.22.

³أحمد النصاري الطرابلسي، مصدر سابق، ص.317.

⁴فاضل بيات، الدوشيرمة ضريبة دم أم تجنيد إلزامي؟ مجلة البيان، م⁵، ع01، جامعة آل البيت الأردنية، 2007م، ص.01.

⁵المرجع نفسه، ص.02.

إنّ فكرة اللّجوء إلى تدريب الأطفال قصد إعدادهم للتجنيد العسكري لم تكن فكرةً جديدةً في فترة حكم الدولة العثمانية وما قبلها، بل كانت متداولةً في تلك الحقبة، ودليلها هو وجود كتاب سفرنامه، كتاب خاصّ بالنظام السياسيّ السلجوقي، ذُكر فيه فنّ الحكم والأنظمة، وتمت الإشارة فيه أيضاً إلى اختيار عدد من الأولاد في سنّ مبكرة، حيث تقوم الدولة بتعليمهم الإسلام، وفنون الحرب واللغات والتاريخ والمنطق. وعند اطلاع السلطان أروخان بن عثمان بن أرطغرل (1281-1362م) وأخيه الأمير علاء الدين (1280-1330م) على هذا الكتاب استحسنا الفكرة وطبقاها.¹ وهذا إذاً خير دليل على أنّ أصل الفكرة لم تكن عثمانية بل سلجوقية، حيث كان من الشائع أن تستمدّ الدول أفكارها من الدول المجاورة لها.

يُحيلنا هذا الأمر إلى القول بأنّ لجوء الدولة العثمانية إلى نظام الدوشيرمه، وتجنيد الأطفال في الجيش العثمانيّ كان في بدايته رغبة محاكياتية² لتصرفات وقدرات وتفكير الدولة السلجوقية، والهدف منها هو التعايش المجتمعيّ والتتّف أو التكيّف الثقافيّ عن طريق عملية المحاكاة الضمنية والمقصودة، بغية الاستحواذ على فكرة نالت استحسانهم ورضاهم من خلال استعانتهم بكتاب سفرنامه، كما أشرنا سابقاً. ثمّ تعدّى الأمر الرغبة في استحواذ فكرة تُمارسها الدولة السلجوقية، بل أصبحت هذه الأخيرة "النموذج" أو "القدوة" أو "الوسيط"³ بمفهوم رينيه جيرارد، الذي تُحاكيه الدولة العثمانية وتُمارس أفعاله، فتّم استحداث نظام الدوشيرمه للتجنيد في الجيش العثمانيّ.

وبنظرة أنثروبوتاريخية وسوسولوجية يُمكننا اعتبار تجنيد الأطفال في جيش الدولة العثمانية من الطقوس والمسائل الرمزية التي يُمكنها أن تؤسّس للنسق السلطويّ من خلال خلق مراكز اجتماعية للأفراد العابرين (أطفال نظام الدوشيرمه) الذين تُمارس عليهم تلك الطقوس وتمنحهم امتيازات كثيرة لا تحصى، منها الحصول على مكانة اجتماعية معترف بها، تضبط الحقوق والواجبات في السلم الاجتماعيّ، وهي بذلك تتخذ دلالات ومعانٍ وظيفية في المتخيّل الجمعيّ.

يُمكننا أن نذهب أبعد من هذا ونتجاوز السرد التاريخيّ، بحيث نُسقط على نظام الدوشيرمه نظرية العالم الفرنسيّ فان جنب Van Gennep (1873-1957م)، الخاصة بطقوس العبور، ونستعرض المراحل الخاصة بتجنيد الأطفال، من أجل معرفة كيفية مساهمة هذه الطقوس ورمزيتها

¹ أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص.32.

² رينيه جيرارد، العنف والمقدّس، ط¹، ترجمة سميرة رشا، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2009م، ص.07.

³ رينيه جيرارد، المرجع السابق، ص.09.

في منحهم الامتيازات الدالة على المكانة الاجتماعية داخل الدولة العثمانية. تلك الطقوس التي تدل على مرور الطفل المجدد بمرحلة هامة في حياته تتغير فيها منزلته الاجتماعية من خلال تطبيق إجراءات طقوسية تنتقل به من مرحلة إلى أخرى، وتنتهي إلى عبوره مرحلة العضو الراشد التي تسمح له بالحصول على امتيازات محددة كعضو في جماعة الجيش العثماني.

لقد قسم العالم الفرنسي فان جنب طقوس العبور إلى ثلاث مراحل زمنية: المرحلة التمهيدية أو الانفصالية عن الوضع الأول «*préliminaire-séparation*»، ثم المرحلة الاستهلالية الهامشية، أي على العتبة «*liminaire-marge*»، وهناك من يسميها المرحلة الإعدادية للدخول إلى المكانة الجديدة، وفي الأخير المرحلة الختامية أو الاندماجية أو التجميعية أو الانضمامية إلى الوضع الجديد «*postiliminaire -agrégation*»¹. وسنضيف إلى البعد الزمني الضروري لممارسة طقوس العبور بعداً آخر، وهو البعد الجماعي لهذه الممارسة الطقوسية، والذي يمنحها رمزية ودلالة قوية تُساعد في تمرير خطابات تؤثر في الطفل المجدد وفي أسرته وفي الممارس لتلك الطقوس، حيث يُساهم البعد الجماعي في تفادي الألم الفردي أثناء عملية التحول من وضع إلى وضع آخر.

تبدأ المرحلة الطقوسية الأولى، أي المرحلة التمهيدية أو الانفصالية عن الوضع الأول «*préliminaire-séparation*»، بعملية اختيار الأطفال حسب الشروط المطلوبة والاحتياجات. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدولة العثمانية كانت تُجند العدد الجماعي للأطفال، حسب احتياجاتها فقط، حيث يُكتب طلب إلى الديوان، أي مجلس السلطان المكوّن من الوزراء وغيرهم من كبار وجهاء الدولة، ويُشار فيه إلى العدد المطلوب، وبعدها يكتب السلطان مرسوماً سلطانياً باسمه إلى المحافظات التي يجب أن يُجرى فيها التجنيد، يُشار فيه إلى عدد الصبية الواجب تجنيدهم، وذلك حسب الاحتياجات العددية لتكملة الفيلق الإنكشاري، ويُسلم إلى عامل التجنيد الذي يُعيّنه الآغا الإنكشاري².

وقد جرت العادة قبل قيام موظفي التجنيد بعملهم أن تُطلب موافقة أهل القرية بتسجيل أطفالهم، وكان هذا الأمر بمثابة خطاب واتفاق ضمني وعقد اجتماعي للحيلولة دون وقوع أي نوع من المشاكل أو التصادم بين الطرفين³، فطقوس تجنيد مجموعة من الأطفال معاً، وفي زمن واحد، يمنحهم تسمية واحدة ووضعاً واحداً مشتركاً، ويجعلهم ينتمون إلى مكانة معينة طيلة فترة التجنيد.

¹ Arnold Van Gennep, Les rites de passage, édition A. et J. Picard, Paris, 1981, p.20-30-195.

² إيرينا بيتيرسيان، مرجع سابق، ص. 30.

³ فاضل بيات، الدوشيرمة ضريبة دم أم تجنيد إلزامي؟ مرجع سابق، ص. 03.

وبهذا الشكل يخلق الفعل الطّقوسيّ الجماعيّ لدى الأطفال المجنّدين حسّاً جمعياً يرمز إلى الذات الجماعيّة المشتركة في المكان والزّمان والأهداف.

وحول هذا الصّدّد تقول الباحثة إيرينا بيتيرسيان: "يبدأ عامل التّجميع والكاتب في اختيار الصّبية الصّالحين بين سنّ الثانية عشر والخامسة عشر الأفياء بدنياً، وكان على عامل التّجميع أن يختار من بين أربعة أو خمسة أبناء صبيّاً واحداً فقط."¹ ويُضيف المؤرّخ العراقيّ فاضل بيّات في السّياق نفسه: "ولا يؤخذ وحيد والديه، ولم يُجنّد يتيم الأبوين وأبناء الجشعين وذوو العاهات وأبناء المدن والمتروّجون وأصحاب المهن وقصار القامة وطوالهم... وكانت تجري عمليّة الدّوشيرمه كلّ ثلاث أو خمس أو سبع سنوات، حسب الحاجة، ويصل عدد الجنود إلى خمسة أو ستّة آلاف ولا يتجاوز ذلك."² تدلّ هذه المرحلة الطّقوسيّة على انفصال الطّفّل عن حياته القديمة ومستواه الاجتماعيّ، حيث يتعرّض للتغيّر في المكانة ويؤهلّ لاحتلال مكانة جديدة، ينفصل فيها عن دوره الأساسيّ داخل أسرته ومجتمعه الأوّل، فيتحوّل من وضعه الأوّل إلى وضعه الرّاهن.

ثمّ تأتي المرحلة الثانية من طقوس العبور، وهي المرحلة الاستهلاكيّة الهامشيّة «liminaire-marge»، أين يُقسّم أطفال الدّوشيرمه إلى قسمين: قسم أوّل يضمّ الأطفال الذين يمتازون بالذكاء والفتنة ويُطلق عليهم "أوج أوغلان"، يؤخذ بعضهم إلى سراي القصر، ويُدرّبون في المدرسة، أمّا القسم الثّاني فكان يضمّ باقي الأطفال الذين يُرسلون إلى الأوجاق لمدّة ثمانية أعوام.³ وحسب الباحثة إيرينا بيتيرسيان فإنّ قسطنطين أكّد أنّ المجنّدين، وبعد أخذهم من قبل عمّال التّجميع، يُسلّمون إلى سكّان الأناضول، وبعد برهة توصل تلك العوائل الفتيان إلى المكان المحدّد لهم.⁴ وبهذا الشكل يكون الأطفال قد عبروا إلى المرحلة الهامشيّة، أو الإعداديّة، أو التمهيدية، التي تستمرّ طقوسها من بضعة أسابيع إلى سنوات، ينتقل فيها الطّفّل المجنّد من الوضع "أ" إلى الوضع "ب"، حيث يدخل دين الإسلام، فيتخلّص من ملابسه الأصليّة ويتخلّص معها من كلّ ما يربطه بعالمه القبليّ المسيحيّ وعاداته وتقاليده، ثم تُزال القذارة عنه عن طريق الاغتسال الشّعائريّ، وحلاقة الشّعر، ويتمّ تخطينه وتطهيره كرمزيّة دالّة على التّكامل الدّينيّ واكتساب عادات وتقاليده وثقافة المجتمع المستقبل. يمرّ الطّفّل المجنّد في هذه المرحلة الطّقوسيّة

¹ إيرينا بيتيرسيان، مرجع سابق، ص.31.

² فاضل بيّات، الدّوشيرمة ضريبة دم أم تجنيد إلزامي؟ مرجع سابق، ص.02.

³ أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، دور الإنكشاريّة في إضعاف الدّولة العثمانيّة، مرجع سابق، ص.38.

⁴ إيرينا بيتيرسيان، مرجع سابق، ص.30.

بحالة مبهمة تجعله على هامش المجتمع وفي حالة وسطية بين المرحلتين، لا هو طفل ولا هو جندي، أي أنه لا يملك أي مكانة اجتماعية معينة، بل عليه أن يخضع لطقوس عبورية تتمثل في التقيّد بالقواعد والتدريبات الصارمة التي تُمكنه من اجتياز هذه المرحلة.

وفي المرحلة الطقوسية الثالثة الختامية أو الاندماجية أو التجميعية أو الانضمامية إلى الوضع الجديد «postiliminaire –agrégation»، يتخرّج القسم الأول من الأطفال المجنّدين ويُسار بهم إلى القصر للخدمة، ويمكنهم لاحقاً اعتلاء أعلى المناصب في الدولة، كمنصب الوزير ومنصب الصدر الأعظم، فقد كانوا يتدربون تدريباً صارماً من أجل جعلهم أكفاء لتلك المناصب. أمّا القسم الثاني منهم فينتقل أطفاله إلى أوجاق الإنكشارية، ويُسجلون في دفتر "كوتوك"، أي السجلّ وتزداد رواتبهم، وقد استمرّوا هكذا حتّى عام 1826م.¹ ويدلّ هذا الفعل على مرحلة الاندماج، أين يُصبح فيها ذلك الطفل المختار سابقاً، جندياً مسلماً تابعاً للدولة العثمانية، أي أنه انتقل من الوضع "ب" إلى الوضع "ج"، الدالّ على البيئة الجديدة التي ستحتضنه، والتي ستمنحه مكانةً ومستوى اجتماعياً جديداً، فيحرز مكانةً معينةً جديدةً، تُمكنه من التمتع بالحقوق وتأدية الواجبات الخاصة بهذه المكانة. فانتقال الطفل المجنّد في نظام الدوشيرمه من مرحلة طقوس العبور الثانية إلى المرحلة الثالثة هو تجاوز للعبة الهامشية، وتأكيد للتحوّل والتغيّر إلى المكانة الجديدة التي تؤسّس إلى تولّي مراتب عليا في الدولة.

من جانب آخر، وحسب ما ذكرناه سابقاً حول طقوس العبور التي كانت تُمارس في عملية تجنيد الأطفال داخل نظام الدوشيرمه، فإنّ هذا الأمر يدلّ على أنّ الدولة العثمانية لم تأخذ أطفال النصارى من ذويهم قسراً، بل اعتمدت على ما تُقدّمه العائلات المسيحية طواعيةً من أبنائها للانخراط في هذا النظام، حتّى أنّهم كانوا يتنافسون من أجل انخراط أبنائهم بسبب إعجابهم الكبير بالجيش الإنكشاري، الأمر الذي دفع بالسلطان أروخان فيما بعد إلى إصدار خطّ شريف بالألّا يُقبل منهم إلاّ الابن السادس إلى الابن العاشر في الأسرة الواحدة.²

وبخصوص جنسية الأطفال المجنّدين يذكر المؤرّخ خليل إينالجيك أنّ نظام الدوشيرمه لم يشمل فقط الأطفال المسيحيين بل حتّى المسلمين، حيث كانت العائلات المسلمة في البوسنة تُقدّم أولادها للدوشيرمه... وكان المسيحيون يُقدّمون أبنائهم عن طيب خاطر. كما استنتى النظام أطفال

¹ أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص.38.

² أميرة مدّاح، نظرة متأنية في تاريخ الدولة العثمانية، دار الحارثي، 1998م، ص.20.

المدن والوحيد لأبويه، واستثنى الأتراك المسلمين حتى لا يُسيئوا استخدام الميزة الممنوحة، إذ سيقوم أقاربهم لاحقاً باضطهاد الرعيّة، وسيرفضون دفع الضرائب.¹

والحاقاً بمراحل الطقوس العبوريّة الخاصّة بنظريّة العالم فان جنب، يُمكننا إضافة الاعتبار الوظيفي لهذه الطقوس الذي يُشبع الحاجات الكامنة في الأفراد ويُعبّر عن الماديّة والرّمزيّة،² حيث تتماشى مع المراحل، وظائف ظاهريّة يُدركها الأطفال المنتمون إلى هذا النّظام، ووظائف أخرى كامنة تتحقّق دون وعي من قبلهم. تتمثّل وظيفة طقوس المرور في الدّود عن الدّولة العثمانيّة وسلطانها، والمساهمة في توسيع رقعة الدّولة وفتح البلدان ونشر الإسلام، أمّا الوظائف الكامنة فيمكننا استعراضها في الوظيفة الدّينيّة التي سمحت بدخول عدد كبير من الأطفال المسيحيين داخل سياق دينيّ قدسيّ، وما طهارتهم وختانهم إلّا عمليّة انتقال من وضع مبهم إلى وضع جديد مطمئن.

كما نجد أنّ طقوس العبور لدى أطفال الدّوشيرمه قد أدّت وظيفة اجتماعيّة ساهمت في انخراطهم بشكل سريع في الدّولة العثمانيّة وأكّدت انتماءهم إليها من خلال دمجهم في الجيش الإنكشاريّ وإكسابهم هويّة الجنديّ الإنكشاريّ ذو المكانة الرّفيعة في المجتمع. كما وأنّ الطّفّل المجنّد، وعن طريق علاقاته وسلوكاته وذكائه، قد يصل إلى أعلى المراتب في الدّولة كمرتبة الصّدر الأعظم قبل السّلطان مباشرة. فالمكانة الاجتماعيّة التي حصل عليها أطفال الدّوشيرمه من خلال طقوس العبور قد حقّقت لهم جملة من الرّغبات ساهمت كوظيفة نفسيّة في تهذيب سلوكياتهم واكتسابهم سلوكيات إسلاميّة بعيدة عن الشّدوذ والانحراف.

لقد كانت أسر أطفال نظام الدّوشيرمه تتمتع بالكثير من الامتيازات كإعفائهم من ضرائب معيّنة، وحصول أبنائهم على مراتب عليا في الدّولة العثمانيّة تعود بالنّفع عليهم، الأمر الذي جعلهم يسعون إلى تسجيل أبنائهم في هذا النّظام طواعيّة، وهناك من كان يدفع الرّشوة للمسؤول عن التّجنيد من أجل ذلك. ولم يكن المجنّد ينسى هويّته وأصله. وخير مثال على ذلك الصّدر

¹ خليل إينالجيك، تاريخ الدّولة العثمانيّة من النّشوء إلى الانحدار، ترجمة محمّد الأرنؤوط، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، لبنان، 2002م، ص، ص. 124-142.

² نيكولا جورني، طقوس العبور، 2011م، ترجمة المنتصر الحملي، مقال استخراج من الرّابط

<http://www.aranthropos.com> بتاريخ 2018/05/25م، على 13 سا و16د.

الأعظم رئيس الوزراء صوقلي محمد باشا (1506-1579م) الذي ألحق فيما بعد جميع أفراد أسرته بحظيرة الدولة العثمانية، وعين أحد أقاربه والياً، ونصب غيره بطرياً على صربيا.¹

وفي السياق نفسه يؤكد الباحث في التاريخ محمد شعبان صوان على لسان المؤرخ الأمريكي ستانفورد جاي شو Stanford Jay Shaw (1930-2006م) في كتاب "تاريخ الإمبراطورية العثمانية وتركيا الحديثة": "أنه من السهل في زمننا أن ندين نظام الدوشيرمه ... ولكن علينا أن نزن هذه الممارسة بموازين القرن السادس عشر 16م، وسنجد أنها كانت تُوفّر مجالاً مرناً للحراك الاجتماعي، يُمكن فيه لأصحاب المواهب أن يصعدوا إلى أهم المناصب في الدولة، ولهذا كان هناك آباء من المسيحيين والمسلمين قدّموا الرشوة لإرسال أبنائهم ضمن الدوشيرمه، انقياداً للإغراءات الشديدة التي يُقدّمها الصعود الاجتماعي الذي يُمكن لصاحبه أن يصل إلى درجة الصدر الأعظم خلف السلطان مباشرة."²

وبخصوص تجنيد الأسرى في نظام الدوشيرمه، يحضرنا قول المؤرخ العراقي فاضل بيات، الذي أشار من خلاله إلى أنّ الدولة العثمانية قد "لجأت إلى الاستعادة من الأسرى أصحاب اللياقة البدنية لاستخدامهم في الجيش، عبر تجنيد أسير واحد من كلّ خمسة أسرى، فتمّ بذلك تشكيل جيش خاصّ أطلق عليه اسم "بجنيك أوغلاني".³ ويُشاطره الرأي المؤرخ التركي أكمل الدين إحسان أوغلو، مبيناً أنّ السلطان احتاج إلى المزيد من الجنود فسوّ قانون "ينجيك قانوني"، أي قانون الخمس الذي صدر عام 1363م (أي بعد تأسيس نظام الدوشيرمه عام 1333م وليس أثناءه)، والذي نصّ على أنه يُمكن للدولة أن تحصل على خمس أسرى الحرب، حسب الشريعة الإسلامية، ليلتحقوا بأوجاق الإنكشارية.⁴

تجدد بنا الإشارة هنا إلى أنّ الجندية البرية الجزائرية أو طائفة الإنكشارية، أو أوجاق الغرب⁵، كانت نسخة عن الجيش الإنكشاري العثماني، إلّا أنّ هذا الأخير كان متشكلاً في بداياته

¹ فاضل بيات، الدوشيرمه ضربية دم أم تجنيد إلزامي؟ مرجع سابق، ص. 05.

² محمد شعبان صوان، أطفال بين ضربية الدوشيرمه العثمانية وريبة الثورة الصناعية، 2015/08/06م مقال استخرج من الرابط <https://www.turkey-post.net/p-66748/> بتاريخ 2018/05/19م، على 10 سا و58د.

³ فاضل بيات، الدوشيرمه ضربية دم أم تجنيد إلزامي؟ مرجع سابق، ص. 01.

⁴ أكمل الدين إحسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح السعداوي، إسطنبول، تركيا، 1999م، ص. 82.

⁵ الأوجاق هي الوحدات، ومفردها وجق عددها 424 وجقا، يتكوّن من مجموعة من الجند يختلف عددهم من وجق لآخر، ينظر عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 78. ولأوجاق في الجزائر 03 مفاهيم: كان يستعمل من جهة بمعنى "أورثة"، أي وحدة عسكرية من وحدات الجيش الإنكشاري، ويستعمل من جهة ثانية بمعنى "الجيش النظامي"، ويستعمل أحياناً للدلالة على الإيالة

من العناصر غير العثمانية، بينما الجندية البرية الجزائرية قد تشكلت بدايةً بالعناصر العثمانية ومن ضمنها نظام الدوشيرمه، ثم أُحقت إليها بعض العناصر المحلية والعربية، إلى جانب العناصر الأجنبية التي اعتنقت الإسلام وتجنّدت إما في الجندية البحرية أو في الجندية البرية، ويُطلق عليهم لفظ "العلاج، العلوج"، وقد تمكّن الكثير منهم من ارتقاء أعلى رتبة في الجنديتين وفي الإدارة، وحتى الإمارة.¹ من جانب آخر، نجد أنّ الجندية البرية قد تمتعت بنفس رُتب ومزايا الجيش الإنكشاري العثماني في إطار التقليد التام له.²

(أ) العملية التركيبية لبعض أحداث الجندية البرية النظامية (طائفة الإنكشارية)

لجائز الغرب مع الاستشهاد بالوثائق العثمانية:

نستهلّ دراستنا بالجندية البرية النظامية، أين كانت بدايتها مع إرسال السلطان العثماني سليم الأول، أول فرقة من الإنكشارية متكوّنة من 2.000 جنديّ إلى المجاهد خير الدين باشا عام 1518م، أي بعد استشهاد عروج ريس، ثمّ سمح له لاحقاً أن يجمع من الأناضول ما يحتاج إليه من الرّجال والسّلاح وغير ذلك من التّجهيزات العسكريّة،⁴ فبلغ عدد الجميع 4.000.⁵ وفي عام 1556م، أرسل السلطان سليمان القانوني 40 سفينة عليها 6.000 جنديّ إلى المجاهد صالح ريس لئيساعد في فتح وهران والمرسى الكبير، ثمّ أصبح التّجنيد تطوُّعياً من مختلف أنحاء الإمبراطورية العثمانية، الأوروبية (الروملي) والآسيوية (الأناضول)،⁶ حيث وصل تعداد الجندية البرية ما بين 25.000 إلى 30.000 جنديّ. هذا في الحالات العادية، أمّا في حالة الغزو

نفسها، ينظر حنيفي هلايلي، التّنظيم العسكريّ للبحرية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، م²²، ع02، ص.254
نقلا عن:

J. Deny, Les registres de soldes des janissaires conservés à la B.N.A, In R.A, n°61, 1920, p-p.40-41

¹ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص.138.

² المرجع نفسه، ص-ص.137-133.

³ مبارك بن محمّد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص.123.

⁴ خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.100.

⁵ مبارك بن محمّد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص.123.

⁶ محمّد خير فارس، مرجع سابق، ص.81.

فيصل من 15.000 إلى 16.000 جندي¹، يخضعون لأوامر آغا العرب أو الباش آغا (القائد العام للقوات البرية)، الذي يقود كل الفرق العسكرية النظامية وغير النظامية (الموازية).²

في أوائل القرن 19م، وبالضبط عام 1815م، قام الداي محمد الخرنجي بإحصاء عدد الجندي البرية فوجد 4.000 جندي، من بينهم 700 عاجزين عن القيام بأية خدمة،³ وقبيل الاحتلال الفرنسي، أي عام 1829م، لم يتجاوز عددهم 3.661.⁴

أما بخصوص عملية **تجنيدهم**، فقد كانت تتم كل 05 أعوام، إلا في الأحوال الاستثنائية طبعاً، أين تكون جزائر الغرب في حالة حرب مع العدو وتحتاج إلى التجنيد. أما في الأحوال العادية فيُرسل الداي طلباً إلى مركز الدولة العثمانية عن احتياجاته للجنود، موجّهاً سفناً لنقلهم من إسطنبول بقيادة رئيس البحر، وعند وصول السفن، يأمر السلطان العثماني ولأته بتجنيد من يتطوع للخدمة العسكرية في جزائر الغرب، فيقومون بالدعاية الواسعة في السواحل، إلى حين أن يجتمع المتطوعون الذين يُمثّلون في الغالب الطبقة البسيطة، ويجري التجنيد لزوماً بموافقة السلطان العثماني، إذ يحرص على ألا يُكتب أي أحد بدون إذنه.⁵ و

قد شمل التجنيد كل المقاطعات التابعة للدولة العثمانية، على عكس ما ذكر في الموسوعتين، حيث تم التركيز في موجزة دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) على العنصر الأوروبي الخارج عن دينه، وعن بعض سكان مدن آسيا الصغرى (الأناضول)، "كانوا يُجنّدون من سكان مدن آسيا الصغرى، ومن الأوروبيين الذين خرجوا على دينهم في القرنين 16 أو 17م على الأقل، وقد اجتذبتهم إلى الجزائر شهوة المغامرة وما تجرّه من مغام."⁶

أما الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) فقد ركزت على المستقدمين من غرب الأناضول ومن إسطنبول وعلى الجنود المحليين، ولم تتناول فئة المسيحيين الذين أسلموا (العلوج): "الإنكشارية (الأوجاق)... قسم منهم تم استقدامهم من (إزمير، منيسا، موغلا، أيدن، وغرب الأناضول)... وكان أساس الطبقة العسكرية، قسم الإنكشارية الذين يُستقدمون من إسطنبول، وعلى رأس هؤلاء آغا."⁷ إضافة إلى

¹ أحمد السليمان، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مرجع سابق، ص.65.

² صالح عبّاد، مرجع سابق، ص.313.

³ محمد خير فارس، مرجع سابق، ص.81.

⁴ دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر البيات ميدياكوم، 2003م، ص.149.

⁵ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، مرجع سابق، ص.139.

⁶ جورج إيفير، مرجع سابق، ج9، ص.2830.

⁷ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.487.

الأتراك والجنود المحليين (المخزن) كان يوجد فرسان القبائل. كانت فرقة جنود المخزن مسؤولةً على حماية القوافل وتحصيل الضرائب وعلى طاعة القبائل التي تدفع الضرائب.¹

شمل التجنيد إذاً كل المقاطعات التابعة للدولة العثمانية، ففي القسم الأوروبي (الروملي) نذكر مثلاً: مورة، جزر بحر إيجه منها قبرص ورودوس، أما القسم الآسيوي (الأناضول) فقد شمل إسطنبول، أنقرة، إزميت (إزمير حالياً)، طرابزون وأنطاليه (أنطاليا حالياً) وغيرها.

وإلى جانب العنصر العثماني، تدعمت الجندية البرية بعناصر أخرى حضرت من تونس وطرابلس وجبل طارق وغيرها، خاصة في نهاية الحكم العثماني، أين قلّ التجنيد من الأراضي العثمانية.² يحصل الجندي المنخرط على بذلة عادية وبنديّة، وقليلاً من البارود، وقطعة من الرصاص يُقوّلُها بنفسه.³

وُعزّز سياق التجنيد بوثيقة عثمانية تُمثّل حُكماً صدر عام 1568م من قبل السلطان سليم الثاني، خاص بتعيين آغا (قائد) وكتّخدا الجندية البرية لولاية جزائر الغرب من مركز الدولة العثمانية، والوعد بتزويدهم بعد التأكد من كفاءتهم وإخلاصهم ونزاهتهم، وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 66): "حُكم إلى بكربكي جزائر الغرب. عرضت مسألة إرسال آغا وكتّخدا لعبيدي الإنكشارية في الجزائر، وذلك من سدة سعادتني، وعليه فقد تمّ تعيين آغا وكتّخدا لعبيدي الإنكشارية المذكورين من عتبتني العليا وإرسالهم إلى هناك وأمرت: عند وصولهم مع فرماني الشريف، تعمل على استخدامهم في خدمة الأغاوية والكتّخداوية بحسن التآلف والاتفاق. وأنّ طريق المشار إليهما هو اللواء، ولهذا فإن تأكدت من مساعيهم في المسائل المتعلقة بأمور الدين ودولتي السلطانية في تلك الديار بالشكل المذكور وأدائهم الخدمة بإخلاص ونزاهة تعرض ذلك على سدة سعادتني بغية تكريمهم بلوائي السلطاني لقاء خدماتهم." سُلم إلى كاتب المحضر في 16 جمادى الأولى سنة 976هـ، 06 تشرين الثاني/نوفمبر 1568م.⁴

الظاهر من خلال الوثيقة أنّ تعيين الأغوات والكتّخداوات وأمراء السناجق في جزائر الغرب على رأس الجندية البرية لم يكن في تلك الفترة من قبل البكربكي الذي يمثّل سلطة في البلاد، بل كان من قبل السلطان العثماني نفسه، كما بيّن الحُكم أيضاً أنّه يُمكن للأغا والكتّخدا الترقية إلى

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.487.

² عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص.72.

³ حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.82.

⁴ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع

سابق، ص-ص.165-166.

أمير سَنَجَقْ لإدارة أحد ألوية ولاية جزائر الغرب، مع التأكيد أنه لن يتسنى لهما ذلك إلا بعد إبراز كفاءتهما في الخدمة.

وبخصوص مدة عمل الجنود، فقد حُدِّدَت بـ 03 أعوام، حيث يُقيم الجند في العام الأول في التكنات، ويتدربون وسط المدينة من خلال الحراسة للمحافظة على الأمن، مع ممارسة السباحة والتدريب على السلاح والرماية وغيرها من المناورات السلمية، وفي العام الثاني يخرجون إلى الحرب أو إلى تحصيل الضرائب، أو إخماد نار الفتن إن وُجدت، كما يُمكنهم الانضمام إلى الجندية البحرية لمحاربة الأعداء المتربِّصين بالبلاد. أما العام الثالث فهو عام عطلة وراحة تامة بعيدة عن أي خدمة عسكرية، وهكذا دواليك. وفي حالة رغبة الجندي في الخروج من الجندية، وكان له استعداد للعمل في المهمات المدنية، يُمكنه حينها الانخراط في الإدارة.¹

من جانب آخر، كان للجندية البرية الجزائرية أهمية كبيرة بناءً على تنظيمها المحكم، وكفاءتها القتالية المبنية على الصرامة والشجاعة، والتي شكَّلت قوة عظيمة ساهمت في بسط الأمن وإحلال السلام من خلال الوقوف ضدَّ الحملات الغربية والفتن الداخلية، حيث اتَّصف جنودها بحسن أخلاقهم، ويُعزِّز ذلك المؤرِّخ حمدان خوجة مبيِّناً أنه "من النَّادر أن نجد سارقاً أو قاتلاً من بين هؤلاء الجنود، حيث كانوا شديدي الحرص على احترام عادات البلاد ليُحبِّبوا أنفسهم إلى سگان البلاد. ومن كانت لهم بعض المساوئ، كانوا يعملون على إصلاحها أو يُخفونها بدقَّة لأنَّ مستقبلهم في الجندية متوقَّف على حسن سيرتهم".²

وإذا ولينا صوب رُتبتهم العسكرية سنجد اليولداشي (والصواب هو اليولداش، الجندي)، وهو الجندي الصغير أو البسيط، ويُسمَّى أيضاً يني يولداش، والذي يرتقي بعد ذلك إلى رتبة أسكي يولداش أو أصكي يولداش، الجندي القديم، الذي دامت خدمته 03 أعوام، تليه رتبة وكيل الخرج ألتِي، أي مساعد وكيل الخرج، ثم رتبة وكيل الخرج (المقتصد)، الذي يُشرف على توفير المؤونة للجنود، ونقل المتاع والخيام.³ بعدها رتبة الأضباشي أو "الأوداباشي" أو "أوده باشيلري"، رئيس الفرقة أو الوجود، تتمثل مهمته في السهر على حفظ النظام العام والانضباط داخل الفرقة وتنظيم

¹ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، مرجع سابق، ص-ص 136-137.

² حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 81.

³ حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 39.

الاستعراض العسكري وإدارته،¹ ثم رتبة البولو كباشى، وهو الضابط، بعده الأغباشى أو الأياباشى، وهو ضابط سامّ يُمكنه الوصول إلى مناصب أعلى كمنصب كاهية أو سفير للدولة، وهو من مستشاري الديوان، ويُرافق الداي في كل المناسبات. أمّا الكاهية فهو الجنديّ الذي يسهر على حفظ النظام والأمن العامّ، ويترأس اجتماع الضباط، في حين تُمثّل رتبة الآغا القائد الأعلى للجيش، وتقدّر مدّة منصبه بشهرين قسريين (ذكر في الوثيقة العثمانية التالية أنّها كانت محدّدة بـ 03 إلى 04 أشهر)، كما يُمارس دور مستشار الداي، وعند تقاعده يُمكنه ممارسة القضاء،² وهناك رتبٌ أخرى كالمشاور أو "الزّوش"، وهو المسخّر حامل الرسائل.³

وللاستزادة أكثر يُمكننا عرض وثيقة عثمانية خاصّة بحكم سلطاني صدر عام 1577م من قبل السلطان العثمانيّ مراد الثالث، موجّه إلى بكربكي جزائر الغرب، يأمره فيه بعدم تبديل أغوات الإنكشارية ورؤساء الأود إلاّ بعد مرور 05 أو 10 أعوام على تعيينهم، وعدم الأخذ بعين الاعتبار الأوامر المشبوهة التي يُحضرها الجند بعد ثبوت فسادهم، مع الأمر بتقيّد الجنديّة البرية (طائفة الإنكشارية) بأوامر أغواتهم، وعدم منحهم الترقية إلاّ بعد استماتتهم في الخدمة السلطانية.

وقد ورد فيه الآتي (ينظر الملحق رقم 67): "حُكم إلى بكربكي جزائر الغرب. أبلغ قادة الوحدات الإنكشارية وأوده باشيلري (رؤساء الأود) وغيرهم من الإنكشارية القادمين من تلك الأرجاء إلى سدة سعادتى بأنّه يتمّ تبديل أغواتهم كلّ ثلاثة أو أربعة أشهر ممّا يؤدّي إلى الاختلال في أوضاعهم، وعليه فقد أمرت: أن لا تقوم بتبديل الأغوات حتّى وإن تولّوا المنصب خمس أو عشر سنوات طالما يُواصلون العمل في إطار الأدب والأخلاق، ولا يوجد ما يستوجب عزلهم، وتعمل على قيامهم بأداء خدمة الأوغية وفق ما تراه مناسباً. ويقصد البعض من الإنكشارية عتبي العليا بعد قطع علوفتهم إثر ثبوت فسادهم، ويحصلون بطريقة ما على أمر شريف لإقرار علوفتهم، ثمّ يرجعون إلى هناك، فلا تُقرّوا بعلوفة من يأتي بأمر شريف على هذه الشاكلة، ولا تلحقوهم بصنف الإنكشارية، وعند وقوع ما يتعلّق بمسائل هامّة فإنّ على الإنكشارية ألاّ يتصرّفوا بمعزل عن غيرهم، بل عليهم الإصغاء لكلام أغواتهم واختيارهم ممّن هم قادرون على التّعامل مع أمور الدين ويحسنون التدبير، وألاّ يتفوّه أيّ منهم بكلمات غير لائقة في الديوان، وأن يتحلّوا بالأدب بدرجة كبيرة. وأنت بكونك البكربكي إذا راجعك بعض الإنكشارية من عبيدي وطلبوا الترقية، وذلك عند دخولك إلى جزائر الغرب، تقوم باستقدام أغواتهم وتُخبرهم بأنّه إذا تيسر فتح إحدى المناطق بمشيئة الله تعالى وعنايته، فإنّه سيتمّ منح التّقيات لمن يستحقونها وذلك لقاء الخدمات التي يُقدّمونها في سبيلي السلطاني ومشاركتهم في الحملات،

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص. 170.

² حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص. 39-40.

³ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص. 136.

وثرطب خاطر العسكر بذلك. "سُلم إلى أحمد ممثل كتحذا القبودان الكتحذا محمود، في 05 ربيع الأول 985هـ، 23 أيار/مايو 1577م.¹

نستشف من خلال هذا الحكم السلطاني أن البكركبي كان المخول الوحيد لتبديل أغوات الجندية البرية (طائفة الإنكشارية)، والرّاجح أنه لم تكن هناك مدة زمنية محددة رسمياً يلتزمون بها، فكانوا يُبدلونهم من 03 إلى 04 أشهر، الأمر الذي أدى إلى الاختلال بين صفوف الجندية، كما وأدى بقيادة الوحدات الإنكشارية وأوده باشيلري (رؤساء الأود) وغيرهم من الإنكشارية، إلى رفض هذا الوضع وإعلام السلطان العثماني بما يجري، فاتخذ هذا الأخير القرار بإبقاء الأغوات في منصبهم من 05 إلى 10 أعوام، ما داموا يشتغلون بإخلاص ولا يوجد ما يستوجب تغييرهم. كما أشار السلطان إلى قيام بعض الجند برفع تظلمات تخصّ قطع علوفاتهم (مرتباتهم) بسبب قضايا فساد، وحصولهم على أحكام مشكوك فيها لإعادة مرتباتهم ومناصبهم إليهم، حيث أمر بعدم قبولهم مجدداً.

وبين الحكم أيضاً أن بعض الجند كانوا يتصرفون على هواهم ولم يكونوا يُصغون إلى أغواتهم، إضافةً إلى قلة أدبهم أثناء مثلهم أمام الديوان الهمايوني، وهو دليل على بداية تفشي ظواهر لم تكن موجودة في بداية تكوين الجندية البرية، حيث طلب منهم السلطان التحلي بالأدب، وفي نهاية الحكم تم تناول الظروف الموجبة للترقية والمتمثلة في تيسر فتح المناطق، وبالتالي منح الترقّيات لمن يستحقّها من المتفانين في أداء مهامهم.

وبخصوص مكان إقامة الجندية البرية، يُمكن القول أنهم كانوا يقيمون في غرف داخل ثكنات تُدعى القشلات أو الكاشريات، وقد بلغ عددها في مدينة الجزائر 212²، منها: ثكنة المكررين والتي احتوت على 899 جندياً، وثكنة باب عزون التي ضمت 1.661 جندياً، في حين بلغ عدد جنود ثكنة صالح باشا 1.266، أمّا ثكنة علي باشا فكان فيها 1.516 جندياً، إضافةً إلى ثكنة أوسطى موسى وفيها 1.433 جندياً، أمّا ثكنة بالي فاحتوت على 602 جندياً، بينما عرفت ثكنة أسكي 1.089 جندياً، وكذلك ثكنة بني التي ضمت 856 جندياً، ليصبح مجموع الجنود 11.897.³

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص-ص. 170-171.

² أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، مرجع سابق، ص. 185.

³ حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص. 34.

يُسَيَّر كل كتيبة من الجنود 03 قواد، هم البولكباشي، الأوضاباشي والباش يولداش، وعندما يتغيَّب أحدهم يستخلفه الآخر.¹

لقد عُرفت إقاماتهم باتساعها ونظافتها، حيث اهتمّ بتنظيفها الأسرى المسيحيون الذين كانوا يَلْقَوْنَ معاملةً حسنةً من قبل الجنود الذين عاملوهم بمثابة الصديق وليس الخادم.² تجب الإشارة هنا إلى أنّ الإقامة في الثكنات لم تشمل كل الجنود، فالمتروّجون منهم يقطنون في بيوتهم، خاصة وأنهم كانوا يتروّجون من الأهالي الذين كانوا يلتمسون من وراء هذه المصاهرة الحماية الفعالة من الجندية البرية. من جانب آخر، وفي الأحوال العادية غير الحربية، كان بعض الجنود يُمارسون مهناً مختلفةً، لاسيما التجارة، ويحصلون على ثروات مكنتهم من بناء بيوت في المدينة وفي الزيف، استخدموا فيها العبيد والفلاحين.³

أمّا فرق الجندية البرية فقد ضمت فرقة الطوبجية (رجال المدفعية المشاة) الموزعة على القلاع، والتي تُعرف بـ"طوبخانه"، حيث كانت تُدافع على سواحل جزائر الغرب ضدّ هجمات الأساطيل الأوروبية، وكانت تحسم نتيجة المعارك في كثير من الأحيان. أمّا فرقة السباهية "الفرسان"، فتقتصر مهمتها على حراسة البايات في عواصم المقاطعات كوهران، قسنطينة والتيطري، بينما يُقيم قائدها "آغا السباهية" في مدينة الجزائر، وفي الأحوال الحربية يُوكّل الحاكم إلى آغا السباهية قيادة الجندية البرية (طائفة الإنكشارية) بقسميها النظامي والموازي. وهناك فرقة صغيرة يُطلق عليها اسم "صولاقي" تقوم بمهمة حفظ الأمن والخدمة داخل قصر الحاكم، ويتم اختيار جنودها من أقدم الجنود في وحدات الجندية البرية، حيث يُشكّلون الحرس الخاص للداي، الذي يُرافقه أثناء زيارته الميدانية على هيئة فرسان مسلّحين بالبنادق ولباس مميّز. أمّا الفرقة "بيكلز" فيتمّ اختيار جنودها من بين أقدم جنود البرية أيضاً، وتحتصر مهمتهم في مراقبة الأحياء الصغيرة في مدينة الجزائر. إضافةً إلى الفرقة المسماة "الجاوشية" المختارة من الجندية التي تمتاز بالبنية الجسدية القوية، مهمتها مراقبة الجنود، والقبض على المتهمين منهم، يرأسها ضابط يُسمّى "جاوش باشي". نجد كذلك فرقة "زبانود"، أي الجنود المغضوب عليهم، والذي صدر في حقهم العفو، حيث تُوضع وحداتهم في مقدّمة الجيش أثناء المعارك، تتمثل مهمتهم في مباغته العدو قبل المعركة لكسر حاجز الرعب أمام الجنود، ويحصلون على مكافآتهم اعتماداً على حصص الغنائم

¹ أحمد السليمان، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، ص. 67.

² عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 77.

³ محمّد خير فارس، مرجع سابق، ص. 85.

المحصلة في المعارك.¹ أما فرقة "السبايس" فتضم الجنود العثمانيين الذين يشتغلون إلى جانب البايات، وتحت إمرة باش آغا، حيث يحظون بامتيازات عديدة منها الحوز على الأملاك وعدم دفع الضرائب.² وقد كانت تلك الفرق تتسلح بالسيف المقوس والخنجر المدعو اليطغان والرمح والقوس. لاحقاً، وفي عهد السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني، تسلحت بالبندقية النارية والمدفع.³



الصورة رقم 27: ضابط من ضباط الجندية البرية "طائفة الإنكشارية".⁴

ولقاء خدماته يحظى الجندي **بمرتّب** بسيط في أوله ثم يرتفع تدريجياً ليصل بعد 05 سنوات إلى الحد الأقصى، أي ما بين 14 و160 صيمة ولا يتجاوز ذلك،⁵ حتى وإن ارتقى صاحبه. وعند حصول الجندي على مرتبة الآغا، فإنه وبعد مرور شهرين، يتحصّل على لقب شرفي، وهو "مُوصولاًغا"، حينها يفقد حقه في القيادة العسكرية، ليصبح عضواً في الديوان، ويتمكّن من الحصول على مسؤوليات مدنية.⁶ وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الجندية البحرية هي التي كانت تُموّل بيت المال، والذي يقوم بدوره بتسديد مرتبات الجندية البرية.⁷

¹ حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص-ص 34-36.

² أحمد توفيق المدني، محمّد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، مرجع سابق، ص. 186.

³ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص. 135.

⁴ أحمد توفيق المدني، محمّد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، مرجع سابق، ص. 83.

⁵ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 85.

⁶ مبارك بن محمّد الهلايلي الميلي، مرجع سابق، ص. 124.

⁷ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص-ص 137-138.

وإلى جانب المرتب حظي أيضاً الجنود بامتيازات منها الإعفاء من الضرائب والحصول على المنافع المادية المختلفة مثل المؤونة من الخبز، اللحم، السمن والزيت وغير ذلك.¹ وفي حال رغب الجنديّ الولدش في الزواج فإنه يطلب رخصةً من الكاهية للسّماح له بذلك، فإذا كان من الجنود الجدد يُحتمل رفض طلبه، وعند القبول يفقد الجنديّ حقّه في الحصول على طعامه من التّكّة.²

ورغم الامتيازات التي حظيت بها الجنديّة البريّة إلا أنّها كانت تُطالب باستمرار برفع المرتبات، ودليل ذلك الوثيقة العثمانية الصّادرة عام 1592م من قبل السلطان العثمانيّ مراد الثالث، والموجّهة إلى آغا الإنكشاريّة بجزائر الغرب، حول الإبلاغ عن مطالبة الإنكشاريّة بالعلاوات على مرتباتهم بشكل مستمرّ، ممّا أدى إلى عجز في موارد الولاية ومن ثمّ عجز في سدّ نفقاتها، مع الأمر بضبط العلاوات وعدم منحها إلا بعد تحقيقهم إنجازات عسكريّة في الحملات السلطانية.

وقد ورد فيها ما يلي (ينظر الملحق رقم 68): "حُكم إلى آغا الإنكشاريّة لجزائر الغرب. تناهى إلى الأسماع أنّ موارد الولاية لا تُغطّي نفقاتها بسبب الزيادة المستمرة على مرتبات الجنود في تلك الديار، ولهذا يتمّ التّعدي على الرعايا بشكل كبير كما يُمارس ضغط العسكر على البكركي الذي يتمّ تعيينه من سدة سعادت، وذلك لمنح العلاوة لهم جميعاً. وعليه فإنه ليس من المناسب منح العلاوة على أساس الجميع عند إرسال بكركي من سدة سعادت إلى أيّ الولايات، ولهذا فإنّي لست راضياً عن قيام عبيدي من الإنكشاريّة في تلك الديار بطلب العلاوة ولهم جميعاً، وعليه صدر أمرى بعدم منح العلاوة لهم جميعاً طالما لم تثبت مشاركتهم في حملة عسكريّة في سبيلي السلطانيّ، وأمرت: عند وصوله، وعند قيامهم بطلب العلاوة على أساس الجميع خلافاً لرضاي السلطانيّ على الوجه المشروح تمنعهم، وعند السّماع عن قيامهم بالضغط على الولاة في المسألة المذكورة فينبغي أن تعرف بأنك ستتعرض إلى التوبيخ والعقاب." في رجب 1000هـ، نيسان/مايو 1592م.³

تُشير الوثيقة العثمانية إلى أنّ الجند قد تمادوا في الضّغط على الولاة الجدد من أجل استحقاق علاوات للجميع، الأمر الذي أدى إلى عجز في تغطية الموارد لنفقات الولاية، وقد تجاوزوا الحدّ إلى التّعدي على الرعايا، حيث اضطرّ السلطان العثمانيّ إلى إصدار حكم سلطانيّ بعدم منح العلاوة للجميع، وضبطها ومنحها لمن تثبت مشاركتهم في الحملات العسكريّة كنوع من

¹ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، المرجع السابق، ص-ص 137-138.

² صالح عبّاد، مرجع سابق، ص 313.

³ فاضل بيّات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، م⁸، مرجع

سابق، ص-ص 180-181.

التكريم والاعتراف بالجميل. واستكمالاً للحكم السابق، وبعد 03 سنوات، أي عام 1595م، صدر حُكم آخر أمر فيه السلطان العثماني أمراء السناجق وقادة الجندية البرية بالامتثال لأوامر البكركبي بخصوص الأمور المتعلقة بالعلاوات المالية والترقيات، وعدم مراجعة الديوان الهمايوني بهذا الشأن.

وقد ورد فيه التالي (ينظر الملحق رقم 69): "حُكم إلى أمراء السناجق والقُبودانية وغيرهم من العساكر المنصورة في جزائر الغرب. أبلغ الولاة الذين سبق أن تولوا الولاية المذكورة عتبتى العليا عن بعض المسائل المخالفة للقانون والجارية فيما بينكم في الولاية المذكورة، وعليه صدر أمري، جليل القدر، يقضي بإزالة الأمور المخالفة للقانون والمتعارضة مع ما هو معقول، ومراجعة الحاكم والوالي المعين على ولايتكم من قبل جانبنا الجليل في كل المسائل، وأن تبذلوا ما تقدرون عليه في جميع الأمور المتعلقة بالدين المبين وسبيلي السلطاني المقرون بالسعادة وذلك لكي يتم شمولكم بدعائي، وأمرت: عند وصول البكركبي الحالي أمير الأمراء الكرام خضر دام إقباله، أن تقوموا بموجب أمري السابق بمراجعة الموما إليه في كل المسائل وخاصة في مسائل العلاوات المالية والترقيات وغيرها من المسائل، وأن تعملوا وفق ما يراه مناسباً وبالإجمال أن تمتثلوا لما يُقرره في الأمور التي تنسجم مع الشرع والقانون وأمري السلطاني، وتتوخوا الحذر من المخالفة بأي شكل من الأشكال." في شوال 1003هـ، حزيران/يونيو 1595م.¹

يسعى هذا الحكم السلطاني إلى ضبط الأمور من خلال إعادة الاعتبار إلى مكانة الولاة، حيث خول لهم الفصل في المسائل المتعلقة بالعلاوات المالية والترقيات الخاصة بالجندية البرية، والأمر بعدم مراجعة الديوان الهمايوني بشأنها، وفي حال ارتكاب الجند جرماً فإن محاكمتهم لا تتم علانية أمام القاضي بل تتم أمام الآغا أو كاهيته أي خليفته، أو قاضي الجيش الذي كان يُطبق الشريعة الإسلامية.²

لاحقاً، علا شأن الجندية البرية الجزائرية حتى تمكنت من السيطرة على الحكام، وصار الجنود **يتمردون** عليهم، فيخلعون الداي ويُباعون غيره.³ كما أن تضامنهم مع بعضهم البعض كان قوياً جداً إلى درجة أنه إذا عوقب أحدهم ظلماً أو شبه له ذلك يتمردون على السلطة، وفي حال وقع تأخير في دفع رواتب الجند فإنهم يُعبرون عن سخطهم وغضبهم بسكب القدر ثم يقومون بعزل الحاكم وتعيين من يخلفه منهم أو من جاد عليهم بالأموال والهدايا.⁴ وفي سياق

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 182-183.

² عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، مرجع سابق، ص. 140.

³ المرجع نفسه، ص. 138.

⁴ المرجع نفسه، ص. 140.

تمرداتهم، نعرض حكماً سلطانياً صدر عام 1577م من قبل السلطان العثماني مراد الثالث، موجّه إلى بكربكي جزائر الغرب قايد رمضان وقاضيهما، يبلغهما فيه عن قيام الجندية البرية بالتجاوز والتعدّي على الأهالي في جزائر الغرب، خلافاً للشّرع والقانون، والأمر بإيقافهم عند حدّهم، والعمل على تقيدهم وامتثالهم للشّرع والقانون.

وقد جاء في الحكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 70): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب وقاضيهما، تنهى إلى الأسماع أنّ أهالي المدينة وطائفة الكونولبية (العسكر) يشتمون بعضهم بعضاً، وعند احتكاك بعضهم ببعض في الطرقات تحدث أوضاع وأحداث مخالفة للشّرع الشّريف ويتمادي طائفة الإنكشارية عليهم ويتوعّدونهم قائلين "سنقوم بقتلكم أو نقطع أيديكم"، وبهذه الطريقة قاموا لحدّ الآن بحبس العديد من الأشخاص في مقرّهم وقتلوا العديد منهم بغير وجه حق. وبناءً عليه فإنّ طاعة أوامر الله عزّ وجلّ وعلا وشريعة الرّسول وأولي الأمر والامتثال لها هي واجب بل هي فرض عين على كلّ من هو من أهل الإسلام، ولهذا فإنّ قتل أحد الأشخاص أو قطع يده وما شابه من العقاب والتّعذيب دون أن يستحقّ الصّلب والإعدام أو قطع العضو بحسب الشّرع الشّريف هو خلاف للشّرع الشّريف، وإنّي لن أرضى في أيام عدلتي أن يتعرّض أيّ أحد إلى الظّم والتعدّي خلافاً للشّرع والقانون، وأمرت: عد وصوله، أن تتقيّدوا دائماً بهذه المسألة، وفي حالة قيام عبيدي الإنكشارية بإثارة ضجة والتّهجم على أحد الأشخاص مهديين قتله وذلك عند حدوث مسألة بهذا الشكل لا تستوجب الإعدام أو قطع العضو شرعاً، تقومون بقراءة حكمي السلطاني هذا في مواجهة عبيدي الإنكشارية بعد استقدام أغواتهم... وتعملون على تقيّد كلّ واحد منهم بأحكام الشّرع الشّريف والامتثال له، وتنقذون ما يُستوجب شرعاً بشأن من استهدفوه، وتحولون دون قيام أيّ شخص بعمل خلافاً للشّرع والقانون." سلّم إلى أحمد ممثّل الكتّخدا محمود، في ربيع الأوّل 985هـ، أيار/مايو 1577م.¹

يُشير هذا الحكم إلى العلاقة بين الجند وبين الأهالي في تلك الفترة، ولا يجب تعميمها على كلّ الفترات، فهي حالات شاذة تمّ النهي عن ممارستها من قبل السلطان العثماني من خلال الأمر بالامتثال للدين والقانون، وتوقيف كلّ متورّط ومعاقبته. يُمكننا القول أيضاً أنّ التّجاوزات لم تُمارس من قبل الجند فقط بل من قبل رؤسائهم وقادتهم أيضاً، حيث تعدّوا على الأهالي، وغلقوا الآبار عنهم وتسبّبوا في إجهاض العديد من النّسوة اللّاتي كنّ يتزوّدن بالماء من المناطق البعيدة. إضافةً إلى سعيهم الدّؤوب في الإيقاع بالأمرء وابتزازهم وتلقّي الرّشوة منهم، وخير دليل على ذلك الحكم السلطاني الصادر عام 1581م من قبل السلطان مراد الثالث، والخاصّ بإبلاغ بكربكي ولاية جزائر الغرب عن عزل آغا (قائد) الجندية البرية، وحبسه بسبب تجاوزه على الأهالي وبثّ الفرقة بين

¹ فاضل بيات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، م⁸، مرجع

سابق، ص-ص 153-154.

الأمرء، وتمكّنه من الفرار والأمر بإنزال أقسى العقوبات عليه، وإرساله إلى إسطنبول في حال عدم إعدامه.

وقد جاء فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 71): "حُكِمَ إلى بكربكي جزائر الغرب. أرسلت رسالة تُبلغ فيها بأن حسن الذي سبق وأن عُيِّنَ آغا (قائداً) على إنكشارية جزائر الغرب يُمارس أعمال الشقاوة منذ وصوله إلى الجزائر، وألحق الضرر بالمسلمين وتعدي عليهم وفرض الرشوة على العديد منهم، كما قام ببيت الفرقة والفتنة بين أمرء هذه الديار بغية ابتزازهم، وأغلق آبار القلعة دون اعتبار لأحد. ونتيجة لما قام به أجهضت العديد من النساء. واعتاد الاعتراض في الأمور العامة، ولم يقبل بالنصائح، وتم استقدامه إلى الديوان واعترض على إبداء النصائح له بحضور أهل الديوان، وردّ على الأسئلة باستخفاف، وقد ثبت تمرده، ولهذا تمّ عزله بغية إحلال النظام والانتظام، وتمّ تعيين كتحذا الإنكشارية محلّه، وذلك جرياً على العادة القديمة، إلا أنه لم يتوان في تحريض جند الإسلام وإغوائهم وإضلالهم، ولهذا تمّ اعتقاله وحبسه، وفي الوقت الذي كان يُزَمَعُ إرساله إلى سدة سعادتني فرّ من السجن، وناشدت إصدار أمري الشريف لتأديبه عند اعتقاله، ولهذا فقد أمرت: أن تقوم باعتقال المذكور أينما يكن، وإذا اقتضى إعدامه شرعاً، تُنفذ ما يلزم بحسب الشرع، وتكتب مبلّغا عن وصول أمري إلى مكانه، وفي حالة عدم اقتضاء إعدامه شرعاً تُرسله مقيداً ومحبوساً إلى سدة سعادتني حتى تتمّ معاقبته هنا حسب ما يستحقّه، وتتوخى الحذر كثيراً من الإهمال والتهاون." سلّم إلى رئيس الخزينة ورئيس المستودعات وآغا الجزائر في 19 جمادى الآخرة 989هـ، 21 تموز/يوليو 1581م.¹

نستشف من هذا الحكم عدم تقاعس السلطان العثماني في إنزال أقسى العقوبات على من يُمارس مثل هذه التجاوزات في حق أهالي جزائر الغرب. وفي السياق نفسه نُضيف حكماً سلطانياً صدر عام 1573م من قبل السلطان العثماني سليم الثاني، موجّه إلى بكربكي جزائر الغرب وقاضيهما، متعلّق بتورط قائد تلمسان بأعمال الفساد والجرائم واعتدائه على الأهالي وتجاوزه على المال العام، حيث أمر السلطان العثماني باستدراجه وتقصي أحواله ومعاقبته في حالة ثبوت ما نُسب إليه، فكتب فيه التالي (ينظر الملحق رقم 72): "حُكِمَ إلى بكربكي جزائر الغرب وقاضيهما. أنت بكونك البكربكي أرسلت رسالة أبلغت فيها أن القائد محمد بوحسين خليفة المتمرد المدعو يوسف والذي قتل محمد بك ابن تكة لا يتوانى عن التمرد والفساد، وعندما كان قبوداني، دام إقباله، بكربكي هناك قام هذا الشخص بقتل الكاتب ملن؟ لسعيه في تحصيل المال الميري، واقتحم بيته ونهب أمواله وممتلكاته، وخلال توليه قيادة تلمسان قام بتهريب محصول الناحية المذكورة مع أبنائه من صلبه إلى العرب (البدو)، وقد ثبت جرمه وفساده وبغيه وعناده. وعليه فإنّه لا يجوز فسح المجال أمام هذه الشاكلة من الفساد وزمرة البغي والعناد، وأمرت أن يبيت النظر في أحواله شرعاً، وأمرت: أن تقوم باستدراج المذكور بحسن التدبير والتصرّف وتقصي أحواله على وجه الحق، وإذا ثبت فساده وشناعته وتجاوزه على المال الميري وعصيانه وطغيانه بهذا

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 137-138.

الوجه، تعمل بحقه ما يُقرّره الشرع وتنفّذه، على أن تتقيّد بحسن التدبير وتتوخّى الحذر من صدور وضع يبعث على الفتنة والفساد والاضطرابات في البلاد. "سُلم إلى كِتْخَدَاه، في 12 رجب 981هـ، 07 تشرين الأول/أكتوبر 1573م.¹

الملاحظ في هذا الحُكم وغيره من الأحكام السّابقة أنّ السّلطان العثمانيّ كان يحرص دائماً على المطالبة بتقصّي الأحداث، والبحث عن الدّلائل التي تُثبتها أو تنفيها، ثمّ تطبيق العقوبة بما يتناسب مع الشرع والقانون، ولا يكتفي بما يردّه من معلومات، حتّى وإن كانت من أعلى سلطة، وهو بكلربكي جزائر الغرب.

ب) العملية التركيبية لبعض أحداث الجندية البرية غير النظامية أو الاحتياطية

أو الموازية لجزائر الغرب مع الاستشهاد بالوثائق العثمانية:

استحدث المجاهد خير الدين باشا قوةً عسكريّةً جديدةً إلى جانب الجندية البرية النظامية متكوّنةً من فرقة الحرس وعددها 500 جنديّ من العلوج، ومن قوةٍ أخرى ضمّت عناصر من اليونان والألبان، ومن رجال القبائل بلغ عددها 8.000 جنديّ، حيث أُكلت مهمّة قيادتهم إلى قباطنة من رجاله القدامى الذين يثق فيهم، وسار على نهجه خلفاؤه الذين اعتمدوا على قوّات إضافية من العناصر المحليّة.²

ففي القرن 17م، سعت السّلطة إلى توسيع نفوذها وقمع حركات التمرد داخل البلاد، حيث أشركت العناصر القبليّة المحليّة لمساندة فرق الجندية البرية النظامية لإنجاز مهمّاتها، فكانت تقوم بمراقبة القبائل الثائرة وحراسة الطّرق، ومثال ذلك مراقبة قبيلة عربيّ لممرّ سور الغزلان، إضافةً إلى مراقبة طرق المواصلات بين مدينة الجزائر وبين مراكز البيالك.³

ومن بين عناصر الجندية البرية غير النظامية نجد الكراغلة (والصّواب هو قول أوغلو)، وهم المولّدون من زواج جمع بين الجند العثمانيين بنساء الأهالي، ولم يكن يُسمح لهم بولوج صفوف الجندية البرية (طائفة الإنكشارية)، غير أنّه كان يُسمح لهم بدخول القلاع العسكريّة تحت قيادة الضّباط العثمانيين، ورغم ذلك أثاروا المشاكل بسبب حرمانهم من امتيازات الجندية البرية، وقاموا بعدّة ثورات. لاحقاً، وعندما ضعفت عملية التّجنيد من الأراضي العثمانية، تمّ السّماح لهم

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص. 139-140.

² محمّد خير فارس، مرجع سابق، ص-ص. 87-88.

³ دلندة الأرقش وآخرون، مرجع سابق، ص-ص. 148-149.

بالدخول في الجندية، واستخدموا في الوظائف المساعدة، وقد تقلد بعضهم مراتب عالية كوظيفة المفتي والباي.¹

لكنهم تمردوا خلال الأعوام 1629 و1633م، وتم إخضاع التمرد، ثم جددوا 03 محاولات تمرد من منطقة القبائل للاستيلاء على الجزائر عام 1633م، بعدها لم يُسمح لهم بالتسجيل في الجندية إلا بعد الوباء الذي عانت منه جزائر الغرب ما بين الأعوام 1648م و1650م، والذي أهلك الكثير من أعضاء الجندية، حيث سمح لهم شعبان آغا (1661-1665م) بالانتساب إلى الجندية البرية دون السماح لهم بالمشاركة الفعالة في الجيش، أو الإدارة وارتقاء أعلى المناصب. وقد ظل الاعتراف بقبولهم ضمن الجندية بمقتضى نص قانوني في وثيقة "عهد الأمان" الذي أصدره الـداي محمد بن بكير عام 1748م.²

أما عشائر أو قبائل المخزن أو الزمّول، فقد مثلوا حركة الوصل بين الأهالي والحكام، وقد اعتبرهم المؤرخ نصر الدين سعيدوني "تجمعات سكانية تعمرية لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية استمدت منها تماسكها، وقد تميزت بها عن باقي القبائل التي تعتمد في تدعيم كيانها على رابطة الأصل المشترك والنسب الواحد. فهي اصطناعية... مختلفة في أعراقها، منها من أقره الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها، لتكون سندا لهم، ومنها من أعطت لها الأرض لتستقر عليها، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة ليؤلف جماعة شبه عسكرية، ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية.³ وتتمثل الطبيعة الاصطناعية لعشائر المخزن في التسميات الجديدة والألقاب التي استمدتها من خدمتها، ومثل ذلك "مخزن الزواتنة" نسبة إلى استقرارهم على أراضي البايك الواقعة على ضفتي وادي الزيتون، جنوب شرق الجزائر العاصمة، إضافة إلى "مخزن المكاحلية"، وعُرف بذلك لاستخدام فرسانهم للسلاح الناري المعروف بالمكحلة.⁴ تنحصر مهمتهم في قمع تمرد الرعية، ومساعدة مصالح الجباية في عمليات الإحصاء، وبالمقابل يحصلون على حسان وبنديقية، يعودان إلى الدولة عند وفاتهم، إذا لم يكن لهم من يخلفهم من أهلهم، ولهم راتب يساوي راتب اليولداش في الجندية البرية النظامية، وإلى جانب راتبهم يحصلون على الغنائم،

¹ محمد خير فارس، مرجع سابق، ص.88.

² حنفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ص.81.

³ ناصر الدين سعيدوني، وثائق جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص.207.

⁴ دلندة الأرقش وآخرون، مرجع سابق، ص-ص.147-148.

ويُعرفون من أعمال السخرة،¹ ومن الضرائب الإضافية كاللزمة والغرامة وغيرها، ويكتفون بتسديد الضرائب الشرعية من عشورٍ وزكاةٍ، والتي كانت تُدفع عيناً تيسيراً لها.

وقد استأثرت بعض القبائل لنفسها نسبةً من المداخيل والضرائب المخصصة لقبائل الرعية الخاضعة، ومثال ذلك أن "مخزن أولاد خليف" (ما بين شرق تيارت وجنوب تيسمسيلت)، كان يفرض على القبائل الرعية من شعابنه وأولاد يعقوب والزراة والمخادمية وغيرهم، ضريبةً ماليةً خاصةً برسوم العسة عند ترددهم على المراعي والأسواق الواقعة ضمن نطاق شيخ قبيلة أولاد خليف. ومن أبرز امتيازاتهم "النظام الإقطاعي"، حيث حصلوا على قطع أرضية سهلة خصبة تحول جزء بسيط منها إلى ملكية خاصة لبعض العائلات المخزنية، حيث كانت 78% من مساحة السهول الوهرانية مخصصة لعشائر المخزن، إضافةً إلى السهول الخصبة لعين مليلة ببايك قسنطينة، والتي اقتطعها صالح باي (1771-1792م) لفرسان المخزن.²

وثمة فرقة المحلة والنوبة، حيث تنحصر مهمة جند النوبة في حراسة القلاع والحصون والأبراج وجمع ضرائب المدن، ويُطلق على المكلف بالحراسة النوباتجي. تنقسم الجندية في النوبة إلى صُفراء، وكلّ صُفرة تحوي ما بين 11 و16 من الجنود. أمّا جند المحلة³ فيُمثّل مؤسسةً جبائيةً وفي نفس الوقت نمطاً للسلطة المتجولة،⁴ فهم يتنقلون عبر الأرياف لممارسة مهامهم⁵ المتمثلة في حماية الحدود، قمع الثورات، إخضاع مناطق جديدة، وجباية الضرائب في شهر أفريل من كل عام.⁶ يتراوح عددهم من 4.000 إلى 10.000،⁷ ضمن 03 محال، يقود كلّاً منها آغا، تنطلق إلى البايكات الثلاثة، حيث تتكوّن محلة قسنطينة من 60 خيمة، تتشكّل كلّ واحدة منها من صُفرة متكوّنة من 16 رجلاً تقريباً، تدوم مهمتها حوالي 06 أشهر.

¹ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص-ص. 319-320.

² دلندة الأرقش وآخرون، مرجع سابق، ص-ص. 149-150.

³ المحلة من الفعل حلّ أي نزل، وهي عكس المرتحل، يُنظر أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور، مرجع سابق، ص. 972.

⁴ دلندة الأرقش وآخرون، مرجع سابق، ص. 130.

⁵ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص. 81.

⁶ المرجع نفسه، ص. 83.

⁷ نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص. 92.

أما محلة الغرب فتتكون من 80 خيمة، وتعود بعد 04 أشهر. في حين تتكون محلة التيطري من 15 خيمة، وتعود بعد حوالي شهرين. وفي حال ما إذا أبقى الداي المحلة أكثر من مدتها فهو مُلزم بمصاريقها، ويحصل اليولداس الذين يُشاركون في المحلة على غنائم البر. تتكون كل محلة من شاوش واحد من شواش دار الباشا، والذي يقوم بدور ممثل السلطة، إضافة إلى الأغا، أو قائد المحلة وكاهيته أو نائبه، وإلى جانبهم ضابط واحد برتبة باش بولكباش، وهو ممثل الضباط، وآخر برتبة أوضة باش، يوجد أيضاً لكل خيمة وكيل خرج، وهو المسؤول عن تموين جنود الخيمة أو الصفرة. تضم الصفرة 14 جندياً وعزارين، وهما خادمان، وطباخاً، وتشاركاً أو صبيّاً مكلفاً بالخدمة الداخلية.¹

أما فرقة الصباحية فتضم جنود الخيالة، كانت تتواجد في القرن 16م في دار السلطان وفي البايلاكات، تسير في الحروب إلى جانب الباشا نفسه، وتكمن مهمتها الأساسية في الدفاع عن مدينة الجزائر. يبلغ عددها حوالي 500 جندي، أغلبهم من شيوخ العثمانيين والأعلاج. أما في القرن 18م، فقد تم استبعادهم عن مدينة الجزائر، لينتقلوا إلى العمل عند البايات فقط "صباحية الباي"، عددهم 50، يتبعون الباي في خرجاته، قائدهم "باشاغا الصباحية"، وهو عثماني الأصل، يتمتعون بأجرة مثل الجندي البرية النظامية، يُوفّر لهم الباي الأسلحة والخيول. أما "صباحية الأهالي" فهم ينتمون إلى العائلات الكبيرة، ويُجنّدون لخدمة آغا العرب. يُوفّر الصباحي الأهلي حصانه وبنديته بنفسه، ويدفع مبلغاً مالياً قدر بحوالي 100 بوجو كرسوم نظير قبوله في خدمة الأغا، حيث يتم دمجهم مع فرسان المخزن، ليتمتع مثلهم بالإعفاء من الرسوم الشخصية وأعمال السخرة.²

من جانب آخر، تُمثّل فرقة الزواوة الرجال الذين تُوفّرهم القبائل الموالية للبايك للانضمام إلى الجندي البرية في أحوال الحرب، وأثناء خروج الجندي البرية النظامية لقمع القبائل الثائرة، أو عندما تخرج المحلة لجباية الضرائب.³ تم استحداثهم في عهد حسن باشا ابن المجاهد خير الدين باشا، الذي أقام علاقةً حسنةً مع ملك كوكو أو ملك قبائل الزواوة، بهدف الحدّ من نفوذ الجندي البرية النظامية وقمع تمرداتها المستمر. جُنّدت فرقة الزواوة من جهات مختلفة من البلاد

¹ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص-ص 313-314.

² المرجع نفسه، ص 318.

³ عائشة غطّاس وآخرون، مرجع سابق، ص 84.

مثل بايلك التيطري، أين اشتهر فيه زاوة قبائل أولاد سيدي عمر من أولاد علان، وهم جنود مشاة لا يتقاضون راتباً إلا أثناء الخدمة، قائدهم آغا خاضع لآغا الجندية البرية النظامية.¹

أما فرقة القوم فتضم فرساناً تُوفّرهم القبائل الحليفة للعثمانيين، أمثال مقاتلي أولاد مختار، ومقاتلي الموايدة، ومقاتلي أولاد مقران، ومقاتلي فرجيو، وغيرهم من المقاتلين الذين يُشاركون في المعارك إلى جانب الجندية البرية النظامية، ليست لديهم رواتب وبالمقابل يحصلون على الغنائم.²

وفي مقابل تلك الاستماتة في الدفاع عن البلاد والعباد من قبل الجندية البرية الجزائرية، كانت الدولة العثمانية شديدة الحرص على أن تُكرّم كلّ من قدّم خدماتٍ جليّة لها وتقيّد بأوامرها، وخير دليل على ذلك الحكم الذي صدر عام 1566م من قبل السلطان العثماني سليم الثاني، والمتعلّق بالجهود والتضحيات التي بذلتها الجندية البرية في جزائر الغرب، مع الأمر بتكريمهم حسب استحقاقاتهم.

وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 73): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب، أرسلت رسالة إلى سدة سعادتني تُبلغ فيها بأن رؤساء وحدات عبيدي الإنكشارية ورؤساء الأود كافة قاموا بتقديم الخدمة في سبيلي السلطاني بالوجه اللازم، وحققوا بطولات متنوعة، واعتبروا التضحية بأرواحهم ورؤوسهم في الأمور المتعلقة بحمي وكرامة سلطنتي فرضاً عليهم، فبيّض الله وجوههم، وكان المأمول منهم هذه الشاكلة من الشجاعة والبطولة وقد حققوها، وسيتمّ شمولهم إن شاء الله تعالى برعايتي وتكريمي لقاء خدماتهم، وأمرت: عند وصوله، تقوم بإبلاغ عبيدي (جنودي) المذكورين هذه المسألة، وأن يقوم كلّ واحد منهم بعد اليوم ببذل المقدور والسعي الموفور في خدماتي السلطانية المطلوبة، وأن يتحلّوا بكلّ أنواع الشجاعة والمروءة في الأمور المتعلقة بالدين ودولتي السلطانية وحمي وكرامة سلطنتي، ومن المقرر أن يتلقّى كلّ من يقوم بالخدمة والرفقة (المشاركة مع الرفقاء في الحملات) قبولاً في سدة سعادتني بالشكل الذي تقدّمهم، وعلى كلّ واحد منهم أن يتقيّد وفق ذلك ويبذلوا السعي والإقدام بما هو مأمول في سبيل سلطنتي." سلّم إلى الجاوش حسين الجزائري، في 12 ذي القعدة 973هـ، 31 أيار/مايو 1566م.³

نستشفّ من خلال الوثيقة أنّ بكربكي ولاية جزائر الغرب كان يُعلم السلطان العثماني عن جهود الجندية البرية في سبيل الذود عن حمى البلاد، من خلال المشاركة في الحملات ضدّ الأعداء، ومن خلال توفير الأمن والأمان، كي ينال هو وجنديّته القبول والتكريم من قبل السلطان. وفي

¹ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص. 319.

² المرجع نفسه، ص. 320.

³ فاضل بيّات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع

سابق، ص. 159-160.

السِّيَاق نفسه نُدرج الحُكْم الَّذِي صدر عام 1572م من قِبَل السُّلْطَان العُثْمَانِي سَلِيم الثَّانِي، وَالخَاصَّ بِنَقْلِ بَكْرِبِكِي جَزَائِرِ الغَرْبِ قَلِيحِ عَلِيِّ بَاشَا مِنْ الجَزَائِرِ وَإِحْلَالِ أَحْمَدِ عَرَبِ بَاشَا مَحَلَّهُ، وَالأَمْرَ بِتَقْيِيدِ قَادَةِ الجَنْدِيَّةِ البَرِّيَّةِ فِي الوَلَايَةِ بِأوامرِ الوَالِي الجَدِيدِ، مَعَ الوَعْدِ بِتَكْرِيمِهِمْ لِقَاءِ الخِدْمَاتِ الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا فِي سَبِيلِ الدِّينِ وَالدَّوْلَةِ.

حيث ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 22): "حُكْمٌ إِلَى آخَا الإِنْكْشَارِيَّةِ وَكَتْخَا (نَائِبِ الآخَا) الإِنْكْشَارِيَّةِ وَرُؤْسَاءِ البُلُوكِ (رُؤْسَاءِ وَحْدَةٍ مِنَ الوَحْدَاتِ العَسْكَرِيَّةِ) وَرُؤْسَاءِ الأَوْدِ (رَئِيسِ الثَّكْنَةِ) وَالإِنْكْشَارِيَّةِ فِي جَزَائِرِ الغَرْبِ. نَظْرًا لِرَفْقَةِ وَالبَسَالَةِ الَّتِي أَبْدَاهَا بِكْرِبِكِي جَزَائِرِ الغَرْبِ السَّابِقِ قَلِيحِ عَلِيِّ، دَامَ إِقْبَالَهُ، فِي الغَزَوَاتِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي خِدْمَاتِي المَبْرُورَةِ فَقدَ تَمَّ شمولُهُ بِمَزِيدِ عَنَايَتِي السُّلْطَانِيَّةِ وَأُسْنَدَ إِلَيْهِ فِي سَدَّتِي العَلِيَا القُبُودَانِيَّةِ وَوَلَايَةِ الجَزَائِرِ، كَمَا أُسْنَدتَ إِلَيْهِ كَذَلِكَ تُونِسَ، وَعِنْدَ وَصُولِ المِشَارِ إِلَيْهِ إِلَى سَدَّتِي العَلِيَا أبلغَ عَن قِيَامِكُمْ بِحَسَنِ الاتِّفَاقِ بِبَذْلِ مَا فِي وَسْعِكُمْ مِنْ جُهُودٍ فِي سَبِيلِ الدِّينِ المَبِينِ، وَأَنْتُمْ أَصْبَحْتُمْ قَلْبًا وَقَالِبًا مَعَ قَادَتِكُمْ وَنَافِعًا فِي مَجَالِ الدِّينِ وَفِي الأُمُورِ المَتَعَلِّقَةِ بِدَوْلَتِي الخَالِدَةِ المَرْتَبُطَةِ بِسُلْطَانَتِي، فَتَمَّ تَكْرِيمُ القَادِمِينَ مَعَ المِشَارِ إِلَيْهِ مِنْ جُنُودِ الجَزَائِرِ حَسَبِ وَضْعِهِمْ، وَذَلِكَ بِإِحَاقِ بَعْضِهِمْ بِبُلُوكَاتِ الِيمِينِ وَالبِيسَارِ، وَبَعْضِهِمْ بِوَحْدَاتِ الجَبَجِيَّةِ (الصَّنْفِ المَدْرَعِ مِنَ الجَيْشِ) وَالمَدْفَعِيَّةِ فِي سَدَّتِي العَلِيَا وَوَفْقِ قَوَانِينِهِمْ، وَقَدْ أبلغَ المِشَارِ إِلَيْهِ عَن خِدْمَاتِكُمُ السَّدِيدَةِ وَعَن بِسَالَتِكُمْ جَمِيعًا، فَبَيَّضَ اللَّهُ وَجُوهَكُمْ وَبَارَكَ بِكُمْ، وَكَانَ المَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ مِثْلَمَا شَهِدَ المِشَارِ إِلَيْهِ، وَقَدْ تَمَّ إِسْنَادُ وَايَةِ جَزَائِرِ الغَرْبِ إِلَى أَحْمَدِ بَاشَا، دَامَ إِقْبَالَهُ، وَأُرْسِلَ إِلَى هُنَاكَ، وَأَمْرَتْ: عِنْدَ وَصُولِ المِشَارِ إِلَيْهِ إِلَى هُنَاكَ، تَعْمَلُونَ جَمِيعَكُمْ كَمَا كُنْتُمْ بِحَسَنِ التَّعَامُلِ وَالتَّوَافُقِ وَفَقِ مَا يَأْمُرُ بِهِ المِشَارِ إِلَيْهِ، وَتَتَقَيَّدُونَ بِكَلَامِهِ وَلَا تَهْدُرُوا دَقِيقَةً وَاحِدَةً فِي تَعْظِيمِهِ وَتَكْرِيمِهِ، وَكُونُوا مَجْدِينَ وَسَاعِينَ فِي الحِفَاظِ عَلَى الوَلَايَةِ وَالدَّوْدِ عَن حِيَاضِ الدِّينِ المَحْمَدِيِّ المَبِينِ، وَأَنْ تَبْذُلُوا مَسَاعِيَكُمْ الحَمِيدَةَ فِي خِدْمَاتِي المَبْرُورَةِ بِالشَّكْلِ الَّذِي يَرَاهُ المِشَارُ إِلَيْهِ مَنَاسِبًا، وَإِذَا مَا عَرَضَ وَالبِيكَمِ المِشَارِ إِلَيْهِ عَلَى سَدَّةِ سَعَادَتِي الخِدْمَاتِ النَّافِعَةِ لِأَيِّ مِنْكُمْ، وَبِسَالَتِهِ فَإِنَّهُ يَنَالُ القَبُولَ مِنْ لَدُنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمَنْ المَقْرَرُ تَكْرِيمَكُمْ حَسَبِ أَوْضَاعِكُمْ، وَعَلَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَيَّدَ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْكُمْ بِحِفْظِ وَحِرَاسَةِ هَذِهِ الدِّيَارِ جَلِيلَةَ الإِعْتِبَارِ وَتَوْفِيرِ الأَمْنِ وَالأَمَانِ لِرِعَايَاهَا وَبِرَايَاهَا، وَأَنْ تَبْذُلُوا مَا فِي وَسْعِكُمْ مِنْ جُهُودٍ." سَلِّمٌ فِي الدِّيَوَانِ إِلَى الجَاوِشِ جَعْفَرٍ لِإِيصَالِهِ إِلَى حَضْرَةِ القُبُودَانَ فِي 06 ذِي القَعْدَةِ 979هـ، 21 آذَار/مَارِسَ 1572م.¹

لقد أشاد السُّلْطَان العُثْمَانِي فِي هَذَا الحُكْمِ بِخِدْمَاتِ وَجُهُودِ الجَنْدِيَّةِ البَرِّيَّةِ (طَائِفَةِ الإِنْكْشَارِيَّةِ) فِي حِفْظِ وَحِرَاسَةِ وَأَمْنِ البِلَادِ وَالعِبَادِ وَتَوَعَّدَ بِتَكْرِيمِهِمْ. مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَجِبَ عَلَيْنَا الإِعْتِرَافَ بِالدَّورِ الفِعَالِ وَالقِيَادِيِّ الَّذِي قَامتَ بِهِ الجَنْدِيَّةُ البَرِّيَّةُ مِنْ أَجْلِ اسْتِتَابِ الأَمْنِ فِي وَايَةِ جَزَائِرِ الغَرْبِ، وَلَا يُمَكِّنُنَا إِسْقَاطُ بَعْضِ الأَحْدَاثِ الشَّادَّةِ عَلَى تَارِيخِ الجَنْدِيَّةِ الجَزَائِرِيَّةِ بِأَكْمَلِهِ. وَيَحْضُرُنَا فِي هَذَا

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 75-76.

السّياق حُكم صدر عام 1572م، يُشيد فيه السّلطان العثمانيّ سليم الثّاني بإنجازات الجنديّة في بسط الأمن والأمان من خلال إخضاعها العشائر المتمرّدة، وامتنان البكربكي بذلك، حيث ورد في الحُكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 74): "حُكم إلى بكربكي جزائر الغرب. أرسلت رسالةً إلى سدة سعادتي أبلغت فيها أنّ ولاية جزائر الغرب تنعم بالأمن والأمان وأنّ عباس وزاوة وسويد وغيرهم من شيوخ العرب الذين اشتهروا بالخيانة في السّابق قد قصدوك ليعلنوا الطّاعة وقدموا رهائن مرموقين، وأنك ممتنّ للإنكشاريّة، وتمّ تجهيز عدد من السّفن (من نوع قاليته) وأرسلت إلى بلاد الكفّار، وأنّ برج محمّد باشا على وشك الإنجاز، وأنّ ميناء الجزائر تمّ تعمييره. كما أحطتُ علماً وعلى وجه التفصيل بكلّ ما ذكر عن الأوضاع الأخرى المتعلقة بتلك الأرجاء. وعليه فإنّه تمّ التّدبير لكلّ ذلك بشكل جيّد وأمرت: عند وصوله، ينبغي ألاّ تكون بعد اليوم متغافلاً، وتتعامل مع الأمراء والمشايخ وغيرهم من الجنود المنصورين في تلك الأرجاء تعاملًا حسنًا وتنسجم معهم، وتسعى بكلّ ما في وسعك في سبيل الذين المبين وفي جميع الأمور المتعلقة بحماية كرامة سلطنتي، وتبذل قصارى جهودك بهذا الصّد، ولا تتوانى في الإبلاغ عن الأوضاع التي يستلزم عرضها وغيرها من الأخبار الصّحيحة التي تحصل عليها." سلّم إلى كتّبه في 13 محرّم 980هـ، 25 أيار/أغسطس 1572م.¹

يعرض علينا هذا الحُكم مساهمة الجنديّة البريّة في إخماد نار العشائر المتمرّدة، الأمر الذي أدّى إلى استتباب الأمن، وامتنان البكربكي للجنديّة على هذه الإنجازات، إضافةً إلى إشادة السّلطان العثمانيّ بإنجازاتهم، وهو اعتراف بالجميل لا يُمكن نكرانه. ويأتي الحُكم التّالي ليؤكّد امتنان السّلطان العثمانيّ مراد الثّالث لبطولات الجنديّة، حيث صدر عام 1582م حُكم سلطانيّ متعلّق بالإشادة بالإنجازات العسكريّة التي حقّقتها الجنديّة البريّة الجزائريّة في حفظ البلاد، ودورهم في المعارك وقمع حركات العصاة من الأعراب والوعد بتكريمهم حسب استحقاقاتهم.

وقد ورد في الحُكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 75): "حُكم إلى بكربكي جزائر الغرب. إبلاغ بكربكي جزائر الغرب السّابق عن قيام العسكر بصنوفه كافّة: المتفرّقة ورؤساء المشاة ورؤساء الوحدات ورؤساء الأود وغيرهم من الإنكشاريّة ببذل أقصى الجهود والمساهمة الفاعلة في المعارك وقمع حركات العصاة الأشقياء من الأعراب وتحقيق النّصر على الأعداء الكفّار في تلك الديار وبذلهم المساعي في سبيل السّلطان، وصدور الأمر إلى البكربكي الجديد بالعمل على استمالتهم وحسن التّعامل معهم وتنبههم والتّأكيد عليهم بحسن الطّاعة والانقياد في مجال حفظ وحراسة البلاد وضبط وحماية الرّعيّة، وأن يكونوا قلباً وقالباً مع بعضهم البعض، والامتناع عن المخالفة والمعاندة وبذل الجهود في الأمور المتعلقة بالسبيل العثمانيّ، والوعد بعدم ضياع خدماتهم وتكريمهم حسب استحقاقاتهم." في 17 محرّم 990هـ، 11 شباط/فبراير 1582م.²

¹ فاضل بيات، المرجع السّابق، ص. 39.

² المرجع نفسه، ص. 225.

وجد في هذا الحُكم السلطاني اختصاراً للإنجازات العظيمة للجندية البرية الجزائرية التي بذلت جهوداً معتبرة بغية توفير الأمن والأمان للبلاد، لكنّ الحال لم يدم على حاله، إذ تمرّدت بعض العناصر في الجندية البرية، الأمر الذي أدّى إلى استعجال نهايتها.

حيث قُتل الجند عام 1817م الداي عمر آغا (القرن 18م-1817م) ونادوا بعليّ خودا خلفاً له، وخوفاً من المصير نفسه، قام الداي الجديد بمغادرة قصر الجينية، وحوّل مركز الديوان إلى أعلى القسبة واستقرّ فيها، وأصبح مشرفاً على ثكنات الجندية البرية التي كانت تحت رحمة مدافعه،¹ وقد أوكل حراستها إلى 2.000 من جند القبائل، ثمّ قام بعدها بإعدام عدد من زعماء الجند الذين تأمروا على سلفه الداي عمر، ودعا الكورغليين إلى التسلّح والالتفاف حوله، فحاول بعض الجنود التمرّد عليه لكنّ حرس الداي كان لهم بالمرصاد، فقتل بعضهم وتمكّن البعض الآخر من الهرب إلى شرق الجزائر، حيث استجمعوا قواهم وزحفوا نحو مدينة الجزائر. لكنّ فرقة الكورغليين تمكّنت من قتل 1.200 من جنودهم و150 زعيماً متمرّداً، أمّا الباقون فقد طلبوا الأمان وغادر جلّهم إلى إزمير وإسطنبول. ومنذ هذه الحادثة توقّفت عملية تجنيد الجند من الأناضول،² وانتهت بذلك أسطورة الجندية البرية (طائفة الإنكشارية) الجزائرية.

تستوقفنا في الأخير نقطة مهمة خاصة بالعلاقة التي كانت تربط جندية جزائر الغرب بشقيها البحرية والبرية، حيث صورتها الإسطوغرافيا الأوروبية على أنّهما قوتان متضادتان تعيشان في اقتتال دائم، وأنّ كلّ الأحداث التاريخية التي عرفتها جزائر الغرب كانت مرتبطةً بمزاجهما.

ولا نُعالي إن قلنا أنّ هذا الأمر يُقرّم كثيراً من عظمة تاريخ الجزائر، كما لا ننفي في الوقت نفسه وجود منافسةٍ بينهما نتيجة تمتّع الجندية البحرية بامتيازات أساسها الغنائم الكثيرة التي كانت تنالها من حملاتها البحرية، ولكنّ المنافسة قلّت بعد السّماح للجندية البرية بالمشاركة في أرباح الجندية البحرية منذ عام 1568م،³ أين قرّر البكركي محمّد باشا بن صالح رئيس، عام 1568م، أن تُشارك الجندية البرية مع الجندية البحرية كجنود، وأن يُسمح للجندية البحرية بكلّ عناصرها بالانضمام إلى الجندية البرية والحصول على مرتبٍ قارٍ.⁴

¹ عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، مرجع سابق، ص.140.

² محمّد خير فارس، مرجع سابق، ص.86-87.

³ المرجع نفسه، ص.95.

⁴ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص.312.

وقد رأينا عبر العملية التركيبية ذلك التعاون والتآزر بينهما من أجل ضمان حماية العباد والبلاد، حيث كانت الجندية البرية تُساعد الجندية البحرية أثناء الحملات ضدّ جزائر الغرب، وكان السلطان العثماني يستدعي الجندية البرية لمساندة الجندية البحرية في ردّ الهجومات الأوروبية أو في حملاتها ضدّ الأعداء. وما يُعزّز قولنا الحكم السلطانيّ إلى بكاربكي جزائر الغرب عام 1574م، والذي يأمر فيه السلطان العثمانيّ سليم الثاني بتهيئة الأعداد المطلوبة من الجندية البرية (طائفة الإنكشارية) من المناطق المختلفة. "1...1. ستون فرداً من الفرسان من نواء تنس. 2. مائة فرد من الفرسان من نواء مليانة. 3. عشرون فرداً من الفرسان من شرشال. 4. ثمانون فرداً من الفرسان من المدينة. 5. مائة فرد من الفرسان من مدينة الجزائر. 6. مائة فرد من الفرسان من أغاوات المتفرقة ورؤساء الوحدات العسكرية في الجزائر. 7. عشرون فرداً من الفرسان من قبوجية الجزائر. 8. أربعون فرداً من الفرسان من الجاوشية. 9. خمسة وثلاثون فرداً من المحلّ المعروف بـ"عمروده". 10. أربعمائة فرد من الفرسان من قسنطينة. 11. ثمانون فرداً من الفرسان من المحلّ المعروف بـ"بسكرة". 12. ستون فرداً من الفرسان من المحلّ المعروف بـ"بلد عباس" 13. ألف فرد من الإنكشارية من الأكفاء من مستخدمي البنادق إلى جانب رؤساء وحداتهم وقواعدهم مع معدّاتهم وأسلحتهم. 14. الزفاق الأكفاء لقائد سباهية قسنطينة القائد محمّد دام مجده. وبالإجمال فإنّ عدد الجنود المزمع مجيئهم ممّن هم من الفرسان يكون ألفاً وخمسة وتسعين فرداً عدا قائد السباهية ورفاقه، وألفاً من الإنكشارية".¹ (ينظر الملحق رقم 59)

نُلاحظ من خلال هذا الحكم أنّ السلطان العثمانيّ كان دقيقاً جدّاً في طلبه، حيث حدّد بدقة عدد جنود البرية من كلّ منطقة، كما وحدّد نوعهم ورتبتهم، وهذا دليل على التنظيم المحكم للجنديتين في جزائر الغرب.

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع

سابق، ص-ص. 219-220.

5) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية حول الأسرى ضمن موجز دائرة**المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) "وقف الديانة****التركي":****أ) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية****(الاستشراقية):**

يقودنا الحديث عن النظام العسكري بشقيه في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني إلى عرض مسألة مهمة ذات صلة وثيقة به، وهي مسألة الأسرى، حيث تناولها المؤرخ الفرنسي جورج إيغير، واصفاً حالهم في سجون مدينة الجزائر: "وكان هؤلاء الأسرى أقلّ بؤساً مما يقوله الناس عنهم، فقد كانوا آمنين على أرواحهم، إلا عندما يثور الإنكشارية، أو يظهر أسطول مسيحي فتهدج خواطر المسلمين، وأكثر من هذا إن تلك السجون كان بها معابد صغيرة، لها قساوسة، وكان بها ملجأ للعجزة، وحنانة للشرب".¹

وعن عملية افتدائهم ذكر أنه: "لم يكن يُطلق سراحهم إلا إذا افتدتهم أسرهم بمعاونة رجال الدين كالتألوثيين والمفتدين واللازاريين الذين وقفوا أنفسهم على هذه الأغراض، أو إذا استعادوا حريتهم بعد مفاوضات سياسية".²

وبخصوص عدد الأسرى فقد اختلف حسب من مصدر إلى آخر ذاكراً: "وكان طبيعياً أن يختلف عدد هؤلاء العبيد قلّة وكثرة تبعاً لانتشار القرصنة أو كسادها. وقد بلغ عددهم أقصاه في النصف الأول من القرن 17م. فقد كانت سجونهم وقتئذ تضمّ 25.000 كما يقول دان (المؤرخ والأب الفرنسي بيير دان Pierre Dan)، أو 35.000 كما يقول كلاماي (قراماي)، ثمّ نقص العدد أثناء القرن الذي تلاه، فلم يكن في هذه السجون عام 1740م أكثر من 262، و1.800 عام 1769م، و1.669 في عام 1813م، ونقصوا أخيراً إلى 1.200 عام 1816م، حين أطلق سراحهم بعد غزوة اللورد إكسموث الموقّعة".³

وسانده الرّأي المستشرق الفرنسي مارسال كولومب قائلاً: "لقد كان في مدينة الجزائر حوالي سنة 1650م قرابة 35.000 أسير... ولما وصل إليها سنة 1816م، بعد مؤتمر فيينا اللورد إكسموث وأمير البحار الهولندي فان دركايلن ليرميها بالقنابل بوصفهما ممثّلين لأوروبا، لم يكن في سجون المدينة إلا 1.200 أسير فحسب".⁴

¹ جورج إيغير، مرجع سابق، ج10، ص.2941.

² المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

⁴ مارسال كولومب، مرجع سابق، ج9، ص.2876.

بعد التدقيق جيداً في النصوص الخطابية التي بين أيدينا حول مسألة الأسرى في جزائر الغرب في العهد العثماني، يُمكننا أن نرصد نسق التسمية من خلال الكلمات: "الإنكشارية" و"القرصنة"، وهي تسميات دالة على النظام العسكري بشقيه، حتى وإن استثنينا تسمية "الإنكشارية" فإن تسمية "القرصنة" ليست عفوية ولا بريئة الهوى والانحياز، بل تحمل بين طياتها دلالات سلبية كنا قد تناولناها من قبل في المباحث السابقة ولا نريد تكرارها في هذا المقام. وإلى جانب نسق التسمية رصدنا نسق الدور ضمن ذلك التقاطب أو التقييم التصنيفي بين كلمة "مسيحي" و"المسلمين"، مع كل ما تحمله من تمثلات ضمنية ومواقف إيديولوجية تعكس النظرة الغربية والدونية للفرد الجزائري المسلم.

يُحيلنا نسق الدور إلى رصد معجمة دالة على النسق الديني المسيحي في الكلمات التالية: "مسيحي"، "معابد"، "قساوسة"، "الثالوثيين"، "اللازاريين"، مقابل معجمة النسق الديني الإسلامي: "المسلمين"، "الإنكشارية"، "القرصنة"، ضمن تقاطب ثنائي مسيحي/إسلامي، والذي يُحيلنا بدوره إلى نسق التقديم الإيجابي للذات المسيحية: "الذين وقفوا أنفسهم على هذه الأغراض"، ونسق التقديم السلبي للآخر: "يثور الإنكشارية، فتهدج خواطر المسلمين"، وهي أنساق مضمرة ليست محايدة، بل تحمل بين طياتها وظائف دلالية وحجاجية في التعبير عن وجهات نظر آراء المؤلفين الفرنسيين.

نمرّ إلى نسق آخر رصدناه ذو علاقة وطيدة بالأنساق المضمرة السابقة، والمتمثل في نسق التنصل المبني على التعاطف الذي يؤثر في المتلقي، حيث تمّ ذكر الأحداث الإيجابية عن الأسرى: "وأكثر من هذا إن تلك السجون كان بها معابد صغيرة، لها قساوسة، وكان بها ملجأ للعجزة، وحنانة للشرب"، وبعدها مباشرة ذكر الجانب السلبي للأحداث، باستعمال "لكن"، "ولكن لم يكن يُطلق سراحهم إلا إذا افتدتهم أسرهم بمعاونة رجال الدين كالثالوثيين والمفتدين واللازاريين الذين وقفوا أنفسهم على هذه الأغراض"، وهنا تبرز جلياً الإيديولوجيا الإنسانية، وهي أمر معروف في منهجية المستشرقين، وقد مورست من قبل في عرض الجوانب الإيجابية لسيرة الرسول ﷺ، فبعد تخدير المتلقي بتلك المعلومات، يتمّ البدء في صبّ ما يُراد منه تشويه تلك السيرة بكلّ ما هو سلبي، ضمن ما عُرف بمنهج البناء والهدم.

ثمّ قام المؤرّخ جورج إيفير بضرب مثال توضيحي عن أسماء الجمعيات التي كانت تفتدي الأسرى ضمن نسق الحجاج في العبارة: "بمعاونة رجال الدين كالثالوثيين والمفتدين واللازاريين الذين وقفوا أنفسهم على هذه الأغراض"، وهنا تعبير واضح عن وجهة نظر متعاطفة تربطنا مباشرة بنسق

إضفاء المنظور، في إشارة إلى سلطة تُدعَم قضية الأسرى، وهي الكنسية ضمن إستراتيجيَّة سياسيَّة تُظهر إجماع الدَّول المسيحيَّة على مصالحها في إطار **نسق إجماع واتِّحاد وتضامن**، والذي يتجلَّى في العبارة التَّالية: "ولمَّا وصل إليها سنة 1816م، بعد مؤتمر فيينا اللورد إكسموث وأمير البحار الهولنديِّ فان دركايلن ليرمياها بالقنابل بوصفهما **ممثلين لأوروبا**"، وهنا نلاحظ جليًّا التَّأزر الأوربيِّ ضمن القرارات المشتركة.

رصدنا في النصوص الخطابيَّة أيضاً **نسق الوصف** في العبارات التَّالية: "أقلَّ بؤساً"، "كانوا آمنين على أرواحهم"، وهي تضمينات تُعبِّر عن حالة الأسرى في مدينة الجزائر، مع توظيف **لنسق التفسير**، الخاصَّ بتفسير الأفعال السَّلبيَّة وفق أسباب موقفيَّة: "فقد كانوا آمنين على أرواحهم، إلاَّ عندما يثور الإنكشاريَّة، أو يظهر أسطول مسيحيِّ فتُهيج خواطر المسلمين".

بعد عرض الأنساق المضمرة في النصوص الاستشراقيَّة حول ظاهرة الأسرى يُمكننا تناول الأمانة والدقَّة العلميَّة، حيث لمسنا عرضاً أميناً ودقيقاً جدًّا ومنصفاً من قبل المؤرِّخ جورج إيفير، الذي تناول الظَّاهرة بحياديَّة تامَّة، واصفاً حال الأسرى في السَّجون الجزائريَّة، ومعتزفاً أنَّهم: "أقلَّ بؤساً ممَّا يقوله النَّاس عنهم، فقد كانوا آمنين على أرواحهم... وأكثر من هذا إنَّ تلك السَّجون كان بها معابد صغيرة، لها قساوسة، وكان بها ملجأ للعجزة، وحانة للشَّراب". كما وأننا لمسنا الحياديَّة والموضوعيَّة أيضاً في تناول كينيَّة افتدائهم: "لم يكن يُطلق سراحهم إلاَّ إذا افتدتهم أسرهم بمعاونة رجال الدِّين كالثالوثيين والمفتدين والأزاريين الذين وقفوا أنفسهم على هذه الأغراض، أو إذا استعادوا حريتهم بعد مفاوضات سياسيَّة".

أمَّا بخصوص أعدادهم فهنا تكمن المعضلة، إذ أنَّ أعدادهم تختلف من مصدر إلى آخر، الأمر الذي يستوجب الحذر عند التعاطي مع هذه المسألة، حيث ضرب المؤرِّخ جورج إيفير أمثلةً وأعطى أرقاماً، وللأمانة العلميَّة نسبها إلى أصحابها (قراماي) و(دان): "فقد كانت سجونهم وقتئذ تضم 25.000 كما يقول دان، أو 35.000 كما يقول كلاماي (قراماي)"، وهو استشهداً يعكس الموضوعيَّة والموثوقيَّة والمصداقيَّة في هذا النَّص.

بينما ابتعد المستشرق مارسال كولومب عن الأمانة العلميَّة عندما أكَّد أنَّ عددهم قد وصل حوالي 35.000 عام 1650م، دون الإشارة إلى التَّضارب الذي عرفته المصادر حول عدد الأسرى: "لقد كان في مدينة الجزائر حوالي سنة 1650م قرابة 35.000 أسير"، ورغم ذلك فقد اجتهد المؤلِّفان في تقديم عدد الأسرى من خلال تعزيز نصوصهم بالأرقام كأداة قويَّة للإقناع وإضفاء المصداقيَّة مقابل الرأْي والانطباع، ورغم ذلك تبقى نسبيَّة وغير مطلقة نظراً للتَّضارب حولها: "عام 1740م

أكثر من 262، و1.800 عام 1769م، و1.669 في عام 1813م، ونقصوا أخيراً إلى 1.200 عام 1816م. سنة 1650م قرابة 35.000 أسير... سنة 1816م، 1.200 أسير."

(ب) رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية حول الأسرى ضمن الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي"):

وبالعودة إلى نصوص المؤرخ التركي الدكتور كمال قهرمان في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) حول مسألة الأسرى، نجده قد ذكرها في مناسبتين فقط، وباقتضاب شديد جداً، والزاجح في نظرنا أنه قد تجنّب الخوض فيها بسبب تضارب الآراء حولها، حيث ذكر أنه: "كانت نسبة مهمة من عائدات القناصل، وبأي السنجق، -البيلك- والهدايا والمصادرات وأموال الغرامات وتجارة الأسرى، والقرصنة تُخصّص للدايات، وعندما يُعزل الداي أو يموت تُصادر أمواله (ترجع إلى خزينة الدولة)،"¹ ثم تناول مسألة إطلاق الأسرى بعد حملة اللورد إكسموث فذكر: "قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدول الأوروبية بإرسال أسطولها البحري إلى الجزائر بقيادة اللورد إكسموث عام 1816م، كما شارك الأسطول الهولندي أيضاً، هذا الأسطول كان يرمي الغنائم باتجاه السفن في مدينة الجزائر فأغرقها، ما أجبر داي الجزائر على توقيع اتفاقية مع هولندا وإنجلترا على إطلاق جميع الأسرى المسيحيين ودفع تعويضات الحرب".²

ورغم ذلك يمكننا أن نرصد نسق التسمية في الكلمات: "تجارة"، "الأسرى"، وهي تسميات تحمل ضمنياً إشارة إلى المنفعة التي تعود على الداي، وعلى الخزينة جرّاء المتاجرة بالأسرى. رصدنا أيضاً نسق إجماع واتحاد وتضامن كاستراتيجية سياسية تُظهر إجماع الدول المسيحية على مصالحهم في العبارة التالية: "قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدول الأوروبية بإرسال أسطولها البحري إلى الجزائر بقيادة اللورد إكسموث عام 1816م، كما شارك الأسطول الهولندي أيضاً"، والتي تُبرز الإجماع على القرارات المشتركة الخادمة لمصالح الدول الأوروبية، وعلى حساب ولاية جزائر الغرب.

أمّا بخصوص الأمانة والدقة في هذه النصوص فقد لمحنا تجنّباً لتناول مسألة الأسرى وعددهم وكيفية افتدائهم بالكامل، واقتصار المؤرخ التركي على الإشارة إليهم فقط في مناسبتين: "تجارة الأسرى" و"الأسرى المسيحيين"، ويرجع ذلك في نظرنا إلى التناقض في المؤلّفات الإسطوغرافية الغربية، ولكننا نؤاخذ على عدم اعتماده على عدد الأسرى في الوثائق العثمانية

¹ Kemal Kahraman, op, cit, vol. 07, p.487.

² Ibid, p.488.

أو في الإسطوغرافيا التركيبية التي تناولت مسألة الأسرى، الأمر الذي يُجبرنا على استكمال المعلومات في العملية التركيبية للأحداث التاريخية حول هذه المسألة.

2) العملية التركيبية للأحداث التاريخية المتعلقة بأسرى جزائر الغرب مع الاستشهاد

بالبوثائق العثمانية:

لقد شهدت مسألة الأسرى تناقضاً كبيراً في الإسطوغرافيا، خاصة الغربية ومن تبعها وتأثر بها من مؤرخين عرب أو محليين، حيث تمّ تقديم تصورات عنهم مغالطةً للأحداث التاريخية، وخير جواب على تلك المغالطات قول المؤرخ أحمد توفيق المدني: "فقل تعالوا وانشروا الصحف التي كتبها أسرى المسيحيين بالجزائر، والتي كتبها أسرى المسلمين ببلاد المسيحية، وخاصة بإسبانيا ومالطا والبرتغال، ثمّ قارنوا بين ما كان يتمتع به الأسارى المسيحيون بهذه الأرض من حرية في الدين وتسامح في المعاملة، حرية تجارية، ومساواة تامة في الحقوق لمن اعتنق منهم الإسلام، حتى تولّى منهم أمر الدولة أمثال قوصو، وميزومورتو، وبتشني، وبين ما كان يعاني منه أسرى المسلمين في تلك البلاد من عنق وإرهاق، وظلم مبین، وفتنة في الدين، فإذا استثنينا بعض الحوادث الفردية الخاصة في الجانبين، رأينا أنّ أسرى المسيحيين بالجزائر كانوا، حسبما اعترفوا به في رسائلهم، أحراراً سعداء بالنسبة للمسلمين الذين أوقعهم سوء حظهم في الأسر".¹

وكما رأينا سابقاً أنّ القرن 17م يُعتبر أوج عظمة الجندية البحرية، حيث غطى نشاطها البحر المتوسط كلّهُ، ووصل إلى السواحل الأوروبية في الفترة ما بين 1621م و1627م، فتتوّعت **جنسيات الأسرى**، منهم إنجليز وإسبان ودانمركيون وأيرلنديون وهنغاريون وفرنسيون وإيطاليون ويابانيون وصينيون وغيرهم.²

أمّا **التقديرات العددية** فلا يُمكن التسليم بها لأنّ جلّها مستخرجةً من مصادر أوروبية، وهي متباينة. ففي عام 1578م، بلغ عدد الأسرى من الفرنسيين والإيطاليين والإسبان والمالطيين قرابة 25.000 أسير، وفي عام 1635م ارتفع العدد ليصل إلى 30.000، لكنّه تراجع مع بداية القرن 18م، فمن 10.000 عام 1700م إلى 2.000 عام 1738م، ثمّ ارتفع العدد إلى 7.000 عام

¹ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، مرجع سابق، ص.13.

² محمد خير فارس، مرجع سابق، ص.92.

1750م، بعدها بدأ في التآرجح ما بين زيادة ونقصان حتى عام 1830م، حيث تناقضت التقديرات بين 500 و122 أسير.

وإذا ولينا صوب دفتر التّشريفات، حسب ما ذكره الدكتور حنيفي هلايلي، نجد أرقاماً مختلفةً لعدد الأسرى. ففي عام 1736 بلغ عددهم 1.063، وفي عام 1738م تناقص ليصل إلى 705، ثمّ تناقص أكثر ليبلغ عام 1740م، 412، بعدها ارتفع عام 1746م ووصل إلى 783، وواصل في الارتفاع ليصل عام 1750م إلى 10.063، ثمّ تناقص العدد عام 1756م ليبلغ 694، وفي عام 1760م ارتفع وبلغ 1.941، ثمّ انخفض قليلاً عام 1770م ووصل إلى 1.323، وفي عام 1780م بلغ 1.494، وراح ينخفض أكثر في عام 1790م حتى بلغ 715، ثمّ ارتفع عام 1798م وبلغ العدد 1.168، وراح يتناقص إلى أن وصل عام 1800م إلى 860، ثمّ ارتفع العدد عام 1806م ليبلغ 1.228، وفي عام 1810م بلغ 1.357، ثمّ ارتفع العدد قليلاً عام 1812م ليصل إلى 1475، وفي عام 1814م بلغ 1525، أمّا عام 1815م فقد وصل عدد الأسرى إلى 1.450، بينما وصل عددهم عام 1816م إلى 1.016.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الأسرى الذين لا يُباعون يصبحون ملكاً للدولة، حيث يُستعملون للخدمة في الحجارة عبر الطّرق، وفي ضيعات الدولة، أو في دار الصّناعة بجزائر الغرب وورشات بناء السفن،¹ ويُرسَل بعضهم إلى مركز الدولة بإسطنبول، وخير دليل على ذلك الحكم السلطانيّ الذي صدر عام 1560م من قبل السلطان العثمانيّ سليمان القانونيّ، والمبنيّ على طلب بكربكي جزائر الغرب حسن باشا، ابن المجاهد خير الدين باشا، إرسال 10 سفن لنقل الأسرى الموجودين في جزائر الغرب إلى إسطنبول.

وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 76): "حُكِمَ إلى بكربكي جزائر الغرب حسن باشا. سبق أن أرسلت رسالة إلى سدة سعادتني عرضت فيها بأنّ هناك أسرى يُزعم إرسالهم للميريّ، وطلبت إرسال سفن لأخذهم. وقد تمّ انطلاق أسطولي السلطاني في الوقت الزّاهن إلى البحر ولهذا صدر حُكْم شريف إلى أمير الأمراء الكرام قبوداني بياله، دام إقباله، لإرسال عشر قطع من السفن (قدرغة) لهذا الأمر، وأمرت: عند وصول قدوة الأمجاد والأقران الحاج مقصود، وهو من رؤساء الخاصّة، تقوم بوضع الأسرى المذكورين في السفن وإرسالهم إلى عتبي العليا، وتُسجَل عدد الأسرى الذين تُرسلهم في دفتر مختوم وتُرسله كذلك." سلّم

¹ حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثمانيّ، مرجع سابق، ص-ص 68-71.

إلى الجاوش محمد بوز يونس، وهو من جاوشية الأناضول، لإيصاله إلى الكتبخدا مقصود، في 08 رجب 967هـ، 04 نيسان/أبريل 1560م.¹

الملاحظ هنا أنّ عدد الأسرى الذين أرسلوا إلى مركز الدولة كثيرٌ جداً نظراً لطلب إرسال 10 سفن حربية من نوع قدرغة لنقلهم، وقد لاحظنا أيضاً الحرص الشديد من قبل السلطان العثماني على تسجيل عدد الأسرى في دفتر يكون مختوماً، وهذا دليل على الدقة والانتظام. وفي حال تمّ افتداء الأسرى، فإنّ دولهم كانت تدفع مبالغ كبيرة، ومثال ذلك إسبانيا التي كانت تدفع سنوياً ما قيمته 60.000 قرش لافتداء 200 أو 300 أسير.²

أمّا بالنسبة لأسرى فرنسا فقد كانت تحرص جماعة الثالوث المقدّس Les trinitaires، ومجموعة المرسيير Mercedairs، وجماعة آباء الرحمة الفرنسيين على افتدائهم،³ إضافةً إلى استرجاع الأسرى في إطار المعاهدات التي عقدتها الدولة العثمانية مع فرنسا، حيث كانت تفرض على ولاياتها التقيّد بتلك المعاهدات واحترام نصوصها، خاصّة ما تعلّق منها بمسألة الأسرى، ودليل ذلك الحكم السلطاني الذي صدر عام 1565م، والذي يأمر فيه السلطان العثماني سليم القانوني بكربكي جزائر الغرب حسن باشا، ابن المجاهد خير الدين باشا بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين أسرههم اللوند (الجندي البحرية).

وقد جاء في نصّ الوثيقة العثمانية الآتي (ينظر الملحق رقم 77): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب، أبلغ ملك فرنسا بأنّ العديد من رعاياه تمّ أسرههم من قبل طائفة اللوند، وأرسل في هذا الصدد إلى سدة سعادتني دفترًا أرسلت صورته إليك، وأمرت: عند وصول حكيمي الشريف، تقوم باسترداد الأسرى المدرجة أسماءهم في الدفتر المذكور ممّن يحتفظون بهم، وتمنع قيامهم بالتعلّل والنزاع، وتسلم الأسرى إلى رجاله، وتحول بعد اليوم دون قيام طائفة اللوند وغيرهم بإجراء وضع مغاير للعهد والأمان، وتؤدّب وبشكل محكم من يمتلكون أسرى فرنسيين خلافاً للعهد حتى لا يقوم أحد بعمل مغاير للعهد والأمان." في 20 جمادى الأولى 973هـ، 13 كانون الأوّل/ديسمبر 1565م.⁴

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص-ص. 273-274.

² حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص. 74.

³ المرجع نفسه، ص. 76.

⁴ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م⁸، مرجع سابق، ص-ص. 276-277.

تُخبرنا هذه الوثيقة أنّ الجندية البحرية لجزائر الغرب كانت تأخذ الأسرى الفرنسيين دون احترامٍ للمعاهدات التي تجمع الدولة العثمانية بفرنسا، الأمر الذي أدى بالسلطان العثماني إلى إرسال أحكام سلطانية يأمر فيها ولاية الجزائر الغرب بإعادة إرسال الأسرى إلى بلادهم، حسب قائمة أسمائهم، كما أمر بالحرص على عدم تكرار مثل تلك الحادثة واحترام معاهدات السلام. وفي عام 1572م، تمّ أسر بعض الفرنسيين دون الأخذ بعين الاعتبار المعاهدات ولا الأحكام السلطانية السابقة، حيث صدر حُكم من قبل السلطان العثماني سليم الثاني إلى بكربكي جزائر الغرب عرب أحمد باشا، يأمره فيه بإخلاء سبيل الأسرى الفرنسيين، وإعلام الجانب الفرنسي بذلك، مع توخي الحذر من أن يُستغلّ الأمر ويتمّ شمول غيرهم به.

حيث ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 78): "حُكم إلى بكربكي جزائر الغرب. تناهى إلى السّماع وقوع بعض الرعايا من مملكة فرنسا أسرى، والحال أنّ الطائفة الفرنسية اعتادوا إعلان العبودية (الخضوع) منذ القدم لأستانة عدالتي وبكمال الإخلاص، وعليه لا يجوز ممارسة الظلم والتّعدي عليهم خلافاً للعهد، وأمرت: عند وصوله، تتقيّد بهذه المسألة بالشكل المناسب وتنظر فيها، فإذا كان الأسرى ليسوا من طائفة البنادقة وغيرهم من البلدان المعادية، ولم يتمّ أسرهم بطريقة العداوة، بل تمّ أسرهم وهم من مملكة فرنسا عندما كانوا يتجولون بسفنهم بأمن وأمان، وهم في حال سبيلهم، تُطلق سراحهم وتُبلغ الفرنسيين أن يُرسلوا سفنهم لأخذ هؤلاء الأسرى، إنّ هذه المسألة هي محلّ اهتمامي، وتتوخّى الحذر من استغلال هذا الأمر، وتخليص من تمّ أسرهم من البنادقة وغيرهم ممن وقعوا في الأسر وهم على العداوة، بل تُطلق بموجب أمري سراح الفرنسيين بعد التأكد بشكل دقيق منهم، وتكتب مبلّغا عن عدد من وقع في الأسر وأخلي سبيلهم." سُلّم إلى المترجم الفرنسي دمينقو في 09 ذي الحجة 979هـ، 3 نيسان/أبريل 1572م.¹

نستشفّ من الحكم أنّ السلطان العثماني قد أولى اهتماماً كبيراً لمسألة الأسرى الفرنسيين على اعتبار أنّهم خاضعين له، خاصّة وأنّهم كانوا يتجولون في سلام، ولم يتمّ أسرهم أثناء الحرب، لهذا أمر بإخلاء سبيلهم على الفور في إطار احترام المعاهدة مع فرنسا، واستثنى البنادقة وغيرهم الذين أسروا عن طريق الحرب لأنّهم في عداوة مع الدولة العثمانية، وبالتالي مع ولاياتها، كما أمر بتوخي الحذر من أن يتمّ استغلال هذا الحكم بغية تخليص الأسرى الآخرين من بنادقة وغيرهم.

من جانب آخر، حرصت الدولة العثمانية على استرجاع الأسرى الفرنسيين من ذوي الشّان الرّفيع من كبار المسؤولين، فلم تكن تقبل بيعهم كغيرهم من الأسرى بل تأمر بإرسالهم مقيدّين إلى مركز الدولة، ودليل ذلك الحكم السلطاني الذي صدر عام 1591م من قبل السلطان العثماني مراد

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص-ص 277-278.

الثالث، والموجّه إلى بكربكي جزائر الغرب لإعلامه بأنّ أحد رؤساء البحر قد أسر أحد الأمراء الأجانب واحتفظ به في ولاية جزائر الغرب، حيث أمره بإرساله إلى مركز الدولة دون تأخير. وقد ورد في نصّ الحُكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 79): "حُكم إلى بكربكي جزائر الغرب. تناهى إلى الأسماع أنّ الذميّ المعروف بأوناويو بن قونتو بترو أوغادري، وهو من كفّار الولاية المعروفة بـ(برشه) عندما كان في طريقه إلى مملكة فرنسا صادفه الرّئيس دليّ محمّد، وهو من رؤساء إحدى فرقاقات القراصنة، إلى جانب فرقاطة أخرى، وأخذوه إلى الجزائر، وعليه فقد أرسل حكّمي الشّريف مع رسالة إلى أمير الأمراء الكرام حسن دام إقباله، ورد فيه أنّ الأسرى من ذوي الشّأن الرّفيع على هذه الشّاكلة يتمّ إرسالهم محبوسين مقيدّين إلى سدة سعادتي، فينبغي أن تُرسل الذميّ المذكور محبوساً مقيداً ودون توقّف على متن أوّل سفينة من نوع جكدور،¹ إلّا أنّه لم يصل لحدّ الآن، ولهذا تمّ توبيخك، وأمرت: عند وصول حكّمي الشّريف، تقوم ودون تأخّر أو تهاون ولو لحظة بإرساله وفق أمري محبوساً مقيداً على متن أوّل سفينة تصلك، وفي حالة عدم إرساله وتحجّبت بأنّه فقد أو أعيد إلى مكانه فإنّ عذرك لن يكون مقبولاً، ومن المقرّر توبيخك، فكن على البصيرة وفق ذلك." سلّم إلى الكاتب خسرو بك في أواخر رمضان 999هـ، وأواخر تموز/يوليو 1591م.²

نستشفّ من هذا الحُكم أنّ الدولة العثمانية كانت تُطالب الجزائر بإرسال الأسرى من ذوي الشّأن الرّفيع دون تأخير، وقد يصل الأمر إلى حدّ توبيخ بكربكي جزائر الغرب على عدم الامتثال للأوامر، ومن بين هؤلاء الأسرى الأمير الذي كان في طريقه إلى فرنسا، والذي صدر من أجله الحُكم السلطانيّ أعلاه.

تجدد بنا الإشارة أيضاً في هذا المقام إلى أنّ الأسرى الذين يُرسلون من ولاية جزائر الغرب أو من ولايات أخرى تابعة للدولة العثمانية، لم يكن يتمّ استغلالهم جميعاً كعبيد، بل منهم من يتمّ تأهيله ليتعلّم حرفاً من الأسرى المحترفين، خاصّة الحرف ذات العلاقة بالسّفن، والحُكم السلطانيّ الذي بين أيدينا يُبيّن ذلك جلياً، فهو أمر صدر من السلطان العثمانيّ سليم الثاني عام 1572م، موجّه إلى القُبودان (قائد البحرية العثمانية)، يأمره فيه السلطان بتدريب الأسرى ممّن لا يمتلكون مهارةً حرفيّةً، حرفاً تتعلّق بالسّفن، ويكون ذلك على أيدي الأسرى المحترفين للاستفادة من خبراتهم.

¹ جكدور أو جكديري، نوع من السّفن التي تُساق بالمجادف، وكانت تُستخدم في نقل البضائع وفي المعارك البحرية. يُنظر فاضل بيات، المرجع السابق، ص. 286.

² المرجع نفسه، ص-ص 285-286.

وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 80): "حُكِمَ إلى القُبُودان. أمرتُ بأن تقوم بتعيين واحداً أو اثنين من أسرى الميرى من غير ذوي الحرف المتعلقة بالسفن كالتجارين والجلالفة¹ والفتالين، وذلك لتعليمهم المهنة، وأمرتُ: عند وصوله، بتقييد في هذا الصدد، وتقوم بتعيين واحداً أو اثنين من أسرى الميرى عند أسرى الميرى ممن يحترفون إحدى الحرف المذكورة، وتتابع تعليمهم المهنة. إن هذه المسألة مهمة، فتقوم وفق أمري بإلحاق الأسرى الذين يجهلون الحرف بالأسرى من ذوي الحرف، ولا تتوان في العمل على تعليم المهن التي تحتاجها ترسانتي العامة." سلم إلى الجاوش بهلوان حسن، في 04 رمضان 979هـ، 20 كانون الثاني/يناير 1572م.²

يتضح جلياً من خلال هذا الحكم أنّ السلطان العثماني كان يُولي اهتماماً كبيراً باستغلال الأسرى وتعليمهم حرفاً، خاصّة مهنة التجارة والجلالفة والقتل المتعلقة بالسفن، كما حرص على أن يتمّ تعليمها من قبل الأسرى المحترفين، مع التأكيد على متابعة تعليمهم من قبل القُبُودان شخصياً. وعلى أساس ما ذكرناه سابقاً، يُمكننا القول أنّ معاملة الأسرى في جزائر الغرب كانت معاملةً حسنةً، إذ كان يُسمح لهم بممارسة طقوسهم وشعائرتهم والاحتفال بأعيادهم الدينيّة علناً، ويُشاركهم في ذلك الزّهبان، ويُحضر إليهم الأهالي، أثناء الاحتفال، الزّرابي البديعة وأدوات الزينة وبعض الأطعمة الشهيّة، لينسوا ما هم عليه من الأسر،³ وقد أدى ذلك إلى اعتناق 8.000 منهم الدّين الإسلاميّ من مجموع 25.000 أسير عام 1634م،⁴ رغم أنّ هذه الحرّيّة في الممارسات الدينيّة لم يكن مسموح بها للأسرى المسلمين في البلاد الأوروبيّة المسيحيّة.⁵

وقد تمّ إنهاء مسألة الأسرى في جزائر الغرب عند انعقاد مؤتمر فيينا عام 1815م، أين تمّت مناقشة مسألة القرصنة وتجارة الرقيق وتحرير الأسرى المسيحيين في شمال إفريقيا، وقد خرج المؤتمر بقرار يُحرّم ممارسة القرصنة والاسترقاق في جزائر الغرب، بعدها هاجمت إنجلترا الجزائر عام 1816م بأسطول قويّ، وأجبرتها على تحرير الأسرى والوعد بإلغاء الاسترقاق.⁶ ختاماً، يُمكننا القول أنّ الإسطوغرافيا الغربيّة ومن تبعها، قد رسّخت في أذهان العديد من الباحثين عن قصد فكرة اهتمام الدولة العثمانية بالجندية البحرية أكثر من الجندية البريّة، الأمر

¹ الجلفاظ هو الذي يقوم بسدّ الفراغات الموجودة بين ألواح السفينة، يُنظر المرجع السابق، ص.286.

² المرجع نفسه، ص-ص.289-290.

³ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص.38.

⁴ ناصر الدّين سعيدوني، ورقات جزائريّة، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص.137.

⁵ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص.38.

⁶ مبارك بن محمّد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص.374.

الذي أدى إلى وجود فراغ عسكري أثناء احتلال جزائر الغرب عام 1830م، لكن وبالعودة إلى ما ذكرناه سابقاً في العملية التركيبية للأحداث التاريخية، نجد أنّ الجندية البحرية في بداية القرن 19م، قد عانت عجزاً كبيراً، حيث وصل عدد سفنها عام 1800م، 16 سفينة،¹ وضمّ عام 1815م، 30 سفينة،² ثمّ وصل عدد السفن عام 1820م إلى 14 سفينة،³ وفي عام 1822م، 12 سفينة، أمّا عام 1825م فقد وصل عدد سفن الأسطول إلى 14 سفينة، وأخيراً وفي عام 1830م، ضمّ الأسطول الجزائري 15 سفينة.⁴

وكان حال الجندية البحرية من حال الجندية البرية، حيث ذكرنا أنّ الداي محمد الخرنجي قد قام بإحصاء عدد الجند عام 1815م فوجد 4.000 جندي، من بينهم 700 عاجزين عن القيام بأية خدمة،⁵ وفي عام 1829م لم يتجاوز عدد الجنود 3.661،⁶ ممّا يدلّ على أنه لم يكن هناك تفضيل جنديّة عن جنديّة أخرى، بل تراجع القوّتان معاً في الوقت نفسه لعدّة عوامل ذكرناها سابقاً، ممّا سمح لفرنسا باحتلال جزائر الغرب.

وبالعودة إلى التنظير الخلدوني الذي تناولناه من قبل في تحديد المراحل التي مرّت بها جزائر الغرب، يُمكننا القول أنّ لكلّ دولة دورة حياة، تبدأ مع قوّتها وتنتهي بانهارها، حيث نظر العالم ابن خلدون لذلك قائلاً: "في هذا الطّور تحصل في الدولة طبيعة الهرم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تتخلص منه، ولا يكون لها معه براء، إلى أن تنقرض."⁷ وبهذا هرمت وفنت وانقرضت وسقطت جزائر الغرب عام 1830م على يد الفرنسيين، الذين بدؤوا الاحتلال من المركز، حيث نظر العالم ابن خلدون لهذا الأمر ذاكراً: "إذا غلب على الدولة مركزها فلا ينفعها بقاء الأطراف والنّطاق بل تضمحلّ لوقتها، فإنّ المركز كالقلب الذي تنبعث منه الرّوح فإذا غلب القلب ومُلك انهزمت جميع الأطراف."⁸ وهنا تبرز عصبية أخرى عدوّة للعصبية الأولى بالمفهوم الخلدوني، والتي كانت تتطلّع لتشديد دولة لها على أرض جزائر الغرب منذ فترة طويلة.

¹ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص. 325-326.

² حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص. 61.

³ صالح عبّاد، مرجع سابق، ص. 325-326.

⁴ حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص. 61.

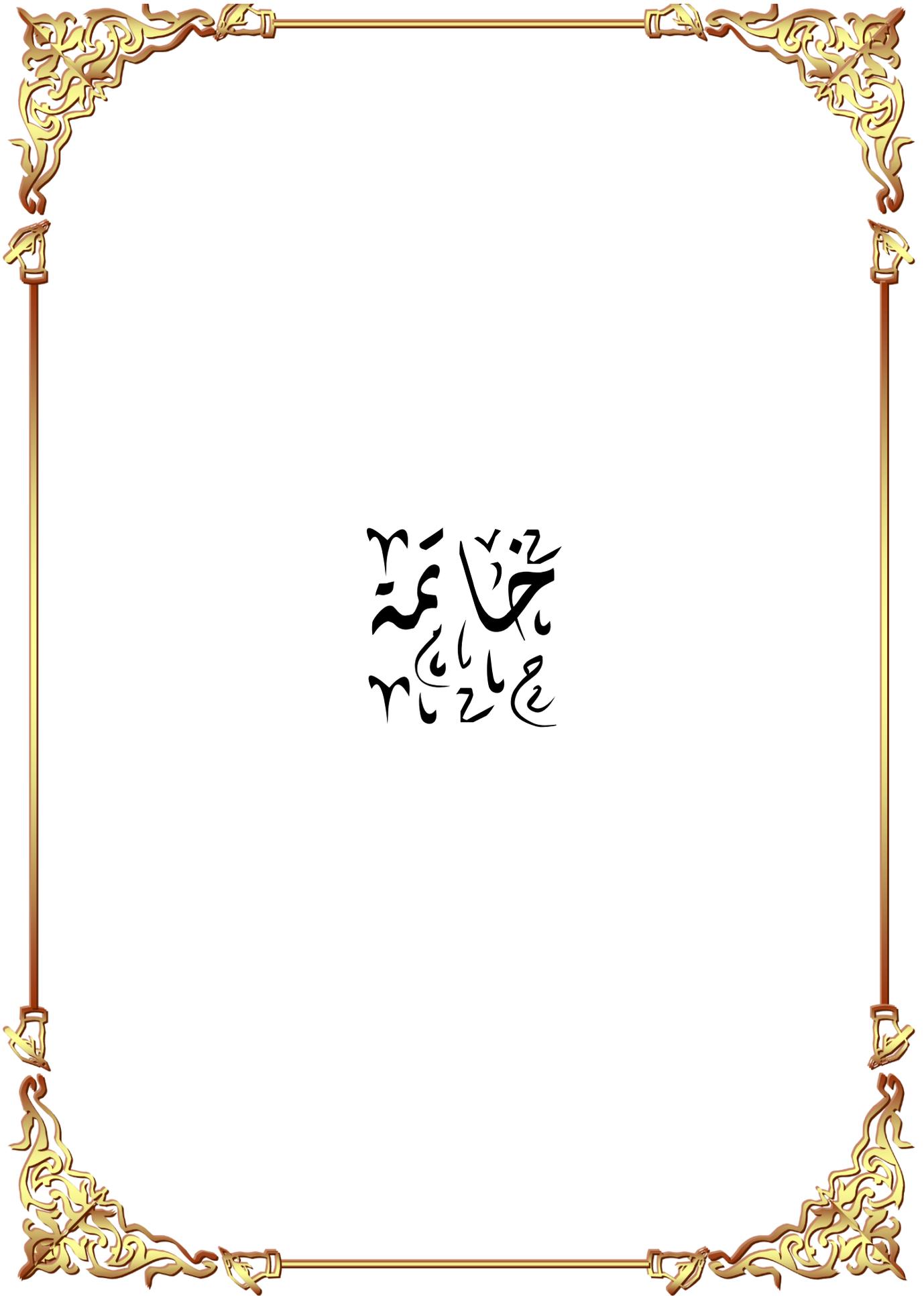
⁵ محمد خير فارس، مرجع سابق، ص. 81.

⁶ دلندة الأرقش وآخرون، مرجع سابق، ص. 149.

⁷ عبد الرّحمن بن محمد بن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص. 544.

⁸ المصدر نفسه، ص. 525.

لقد كُنَّا نروم من هذا الفصل النَّقد الباطن (الإيجابيِّ والسَّلبيِّ) للنصوص الخطابيَّة التاريخيَّة في موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة (الاستشراقيَّة) والموسوعة الإسلاميَّة (باللُّغة التُّركيَّة) والوثائق العثمانيَّة استشهاده، حيث قمنا برصد الأنساق المضمرة في النصوص الموسوعيَّة بشأن بواكير التَّنَاقف التاريخيِّ الجزائريِّ-العثمانيِّ، والحملات الأوروبيَّة على جزائر الغرب، إضافةً إلى التَّنَظيم الإداريِّ، ومراحل وسياسة الحُكم، وأخيراً التَّنَظيم العسكريِّ لولاية جزائر الغرب، مع الاستشهاد بالوثائق العثمانيَّة أثناء العمليَّة التُّركيبيَّة لتلك الأحداث التاريخيَّة، وقد رصدنا حمولةً معرفيَّةً منقولةً بالأنساق المضمرة، وحتى لا يكون هناك تكرار لهذه الأنساق، سنعرض ما توصلنا إليه (النتائج) في الخاتمة.



بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

احتوت النصوص الخطابية حول تاريخ جزائر الغرب في العهد العثماني، سواء في الإسطوغرافيا الغربية أو الإسلامية، التركية منها والعربية وحتى المحلية، على أنساق مضمرة رئيسية متعددة ومتداخلة ومتفاعلة فيما بينها، على شاکلة الأنساق الدينية والسياسية والعلمية وغيرها، التي أحالتنا بدورها إلى أنساق فرعية هامشية متفاعلة ومتراطة ومتداخلة مع بعضها البعض، تتنافس وتتصارع وفق مرجعيات وخلفيات ثقافية بغية تحقيق أهداف، منها المعلن الظاهر، ومنها المستتر. وقد حاولنا من خلال دراستنا التركيز على الأنساق الفرعية الهامشية المضمرة والمستترة في النصوص الخطابية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي")، عبر مقارنة متعددة النظريات في إطار التكامل التخصصي المعرفي بين علم التاريخ، الأنثروبولوجيا، السوسيولوجيا وعلم اللسانيات (تحليل الخطاب)، حيث وظفنا النقد التاريخي، والمقاربة التاريخية للخطاب، وطعنناها بنظريات النقد الثقافي، تحليل خطاب، الأنساق المتعددة، الأفعال الكلامية، طقوس العبور، ونشأة الدولة وأطوارها، ثم استشهدنا بالوثائق العثمانية المترجمة حصراً والخرائط الجغرافية الأصلية لجزائر الغرب في بداية العهد العثماني.

وقد خلصنا إلى نتيجة مفادها أن النصوص الخطابية المقتبسة من الموسوعتين قد ضمت بين طياتها أنساقاً مضمرة فرعية وهامشية ضمن الأنساق الرئيسية المعروفة (الدينية، السياسية، العلمية، وغيرها)، حيث جاءت متباينة من حيث المبدأ والغاية، وقد أحالتنا إلى تشكيلات إيديولوجية متناقضة ومتصارعة، ممجدة للذات ومنقصة للآخر، ضمن نسق تفكيكي للفترة العثمانية من لدن المؤلفين الفرنسيين: جورج إيفير، مارسال كولومب وروجي لوتورنو، عبر التركيز على المظاهر السلبية، بغية تفكيك أسطورة الدولة العثمانية الإسلامية الممتدة عبر 03 قرون في جزائر الغرب. ونسق مدافع وبناء لهوية جزائر الغرب والدولة العثمانية من جانب المؤرخ التركي كمال قهرمان، عبر إعادة إنتاج تلك الهوية ودعمها وحمايتها من المغالطات التاريخية المتعمدة ضدها. وقد وردت هذه الأنساق الفرعية المضمرة في النصوص الخطابية للموسوعتين ضمن 05 محاور كبرى وهي: نسق التسمية، نسق الإسناد، نسق الحجاج، نسق المنظورية، ونسق التلطيف والمبالغة، تتخللها بعض الأنساق الهامشية التي تضمنت نسق الوصف، نسق الدور، نسق التصنيف، نسق التعميم، نسق الإجماع، نسق الرمزية، نسق التنصل، نسق المعجزة، نسق إعادة الصياغة، نسق السطو، نسق الدفاع، نسق الاستعطاف، نسق التمجيد، ونسق الحماية.

سنبداً بعرض نتائج الدراسة المتعلقة بالأنساق المضمرة في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي")، ثم نعرض المعارف الأصيلة (الجديدة) المحصلة.

أولاً: نتائج الدراسة المتعلقة بالأنساق المضمرة في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي").

نستهلّ عرض نتائج الدراسة بالأنساق المضمرة في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، وبالتحديد المحور الأول المتعلق بنسق التسمية، حيث رصدناه في توظيف تسمية: "القرصنة"، "ربابنة القرصان"، "القرصنة"، وهي إشارة إلى اعتبار السلطة العثمانية فرقة من القرصنة (لصوص البحر)، مارست فعلاً يستوجب المحاربة، وقد استغلّ كمطية لاحتلال جزائر الغرب. هي تسمية ليست عفوية ولا بريئة الهوى والانحياز، بل تحمل بين طياتها دلالات سلبية، فما يُعتبر عند المسلمين "جهاداً"، يسميه الغربيون "قرصنة"، حيث يدلّ الأول على شرعية بل قدسية وضرورة، بينما يدلّ الثاني على عدم مشروعيته ونبذ واستلزام فعل صارم ضده. وفي السياق نفسه رصدنا نسق التسمية في العبارة: "وكان القرن السابع عشر هو القرن الذهبي للقرصنة"، فكلمة "الذهبي"، تدلّ على أنّ ذلك العصر كان ذهبياً بالنسبة للقرصنة، نظراً لما أشاعوه فيه من نهب وسلب، وما كسبوه من أموال حسب منظور المؤلفين الفرنسيين.

من جانب آخر تمّ توظيف أسماء الحكام أمثال "خير الدين وابنه حسن وقلّيج (علج) علي وحسن فنزيانو"، وهي أسماء لها وزن ثقيل تاريخياً، واختيارها لم يكن عشوائياً، بل تمت الاستعانة بها للدلالة على الاستفراد بالسلطة: "يتصرفون في البلاد تصرف الملوك المستقلين وإن اعترفوا بسيادة السلطان الأعظم". كما تمّ إدراج اسم المجاهد الرئيس حميدو، ووصفوه بالمتهور: "ولا يستحقّ الذكر من هؤلاء الرؤساء إلا حميدو قرصان القرن الثامن عشر الذي اشتهر بمغامراته التي تنمّ عن التهور". يتجلى نسق التسمية أيضاً في العبارة: "أرستقراطية عسكرية صغيرة"، و"الحكم وما يتشبعه من مزايا وقف على رجال الجيش من الترك"، في إشارة منهم إلى الجندية العسكرية، والقصد من الأرستقراطية حكم طبقة أو نخبة مفضلة قليلة العدد، وقد تمت إضافة صفة أخرى لتحديد هذه الطبقة: "عسكرية"، وهو ما يضيف طابعاً خاصاً عليها، قد يكون تأكيداً ضمناً من قبل المؤلفين الفرنسيين على أنّها تمتلك الحكم وعنصر القوة للحفاظ عليه، وقمع كلّ من يُعارضها، وهو القصد الأرجح في نظرنا. وثمة نسق تسمية آخر في توظيف الكلمتين: "إقليم" و"إمارة"، الأمر الذي يدلّ على وجود ارتباك في إطلاق اسم صحيح على جزائر الغرب، فتارة

إقليم، وتارة إمارة. نجد نسق التسمية أيضا في العبارة "الدول المسيحية"، التي تُحيلنا مباشرة إلى النسق الديني الغربي الذي يقتضي شرعنة حرب دينية ضدّ الدول العثمانية الإسلامية باعتبارها شوكة المسلمين، ومن ثمّ شرعنة الحملات ضدّ ولايتها جزائر الغرب. وفي العبارة التالية: "(البكوات) محصلي ضرائب تعاقدوا بحكم أنهم في معظم الأحوال قد اشتروا مناصبهم على أن يؤدوا لخزائن الدولة مبالغ كبيرة تحدّد قيمتها في مدينة الجزائر"، نسق تسمية يسعى عمداً إلى التركيز على الفساد السياسي في الدولة العثمانية، على أساس اعتلاء المناصب عن طريق دفع النقود (الرشاوى)، وقد عالجتنا هذا الموضوع في العملية التركيبية، وقمنا بدحض تلك المغالطة، من خلال الوثائق العثمانية التي أثبتت غير ذلك.

ننتقل الآن إلى المحور الثاني الخاص بنسق الإسناد، أين تمّ إسناد صفة "وضيعة" إلى فعل الجهاد البحريّ تبخّساً له ونزاعاً لسمة القداسة التي تضيفها كلمة "جهاد": "فقد استحالت من جهاد الكفار إلى حرفة وضيعة". كما تمّ تعمد إسناد صفة "القرصان" بالمعنى السلبيّ -لصوحيّة البحر- إلى شخصيّة الشهيد عروج ريس: "تخلّص القرصان (عروج) من سالم التومي"، وهي صفة تمتاز بطابع سلبيّ، وتعمل على ترسيخ دلالة لشخصيّة تعمل من أجل مصلحتها الداتية لتخريب البنية الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، كما تُهدّد استمرار الحياة. أمّا الأفعال التي أُسندت لشخصيّة الشهيد عروج ريس فهي ذات علاقة وطيدة بعملية القتل: "قتلهم، قضى، تخلّص، قتله"، والمقتولون هنا هم أهالي جزائر الغرب الذين حاولوا التخلّص منه ومن أتباعه: "...الجزائريين لجؤوا إلى الثعالب والإسبان للتخلّص من التّرك"، وهنا تعميم لكلّ أهالي جزائر الغرب وليس فئة معيّنة، حيث صوّرت شخصيّة الشهيد عروج ريس نتيجة الأفعال المسندة إليها على أنّها شخصيّة قرصان سفّاك ومغتصب للأرض الجزائرية. نضيف إلى ما ذكرناه عبارة: "ونادى به جنده سلطاناً على الجزائر"، أي أنّه نصّب نفسه حاكماً على الجزائر دون مباركة الجزائريين بل بمباركة جنده، وفي هذا إبراز لدمويّة المجاهد عروج ريس، وما هي إلاّ دلالات تصبّ كلّها في بوتقة سلبيةّ خادمة للفكر الاستشراقيّ. رصدنا أيضاً نسق الإسناد في العبارة "إشرافاً أدقّ"، "الغرض الوحيد من وضع الداي لهذا التنظيم هو تمكينه من أن يمارس إشرافاً أدقّ ما يكون على ولاّة الأقاليم، وإقصائهم عن مناصبهم ولأية شبيهة من شبهات التقصير." فالدقّة صفة تحمل بعداً تقويمياً، غالباً ما يكون متعلّقاً بالتدبير الإيجابيّ للإدارة، أمّا في هذا النصّ فهي تحمل دلالة سلبيةّ مفادها أنّ الإشراف الدقيق كان من أجل الإقصاء ولأيّ شبهة تقصير حتّى وإن كانت غير ثابتة. وأُسندت أيضاً عبارة: "أدوات في أكثر الأحوال" إلى الباشوات والأغوات والدّايات: "وكان هؤلاء الباشوات

والأغوات والذّيات الذين يبْقون في الحكم ثلاث سنوات أدوات في أكثر الأحوال في يد فرق الجيش (أوجاق)... وهي نقابة من ربابنة القرصان"، فهم في نظر المؤلّفين الفرنسيّين أدوات في يد فرق الجيش، وكلمة أداة لها دلالة انعدام الرّأي والاستقلاليّة، بل التّبعيّة للفرق العسكريّة. وقد عرضنا في العمليّة التّركيبية أسماءً لامعةً لبعض الحكّام الذين فرضوا وجودهم على السّاحة الدّاخلية والخارجية، وكانت لهم استقلاليّة في اتّخاذ القرارات المصيريّة والحاسمة.

من ناحية أخرى أُسندت بعض الصّفات السّلبية للسياسة العثمانيّة المتّبعة في جزائر الغرب، والتي اعتمدت على جعل القبائل مفرّقة الكلمة والبيوت متنافرة تحت شعار: "فرّق تسد" وإنّ السياسة التّركية حرصت على أن تظلّ هذه القبائل مفرّقة الكلمة، وبيوت الأشراف متنافرة... وذلك منعاً لكلّ اتّحاد يكون خطراً على حكام الإمارة... وطبقوا مبدأ "فرّق تسد"، الذي تجلّى في إفراز فريقين متميزين: "قبائل مُخضعة أي رعايا، وقبائل محكومة ومخزن"، ولسنا في حاجة إلى التّأكيد بأنّ هذه الأوصاف تُركّز على إبراز سلبيّات السياسة العثمانيّة التي تتنافى وخدمة المصلحة الحقيقيّة للأهالي، ورغم ذلك عرضنا وثائق عثمانية بيّنت اهتمام سلاطين الدّولة العثمانيّة بلمّ شمل أهالي جزائر الغرب على وحدة الدّين الإسلاميّ ضدّ الأعداء، وسعيهم إلى حفظ البلاد وضبط حماية الرعايا والبرايا، وتوبيخ من يتعاس عن الاهتمام بهم.

أمّا الجندية البحريّة (طائفة رياس البحر)، فقد أُسندت إليها صفات السّلب والنّهب والقهر والسّرقة والقتل: "اجتذبت المغامرين من جميع البلدان، فنزحوا إلى العاصمة، وكان معظمهم من أصل مسيحيّ، وضعوا العمامة على رؤوسهم ليشتيعوا شهوة السّلب والنّهب أو لذّة المغامرة"، وهي عبارة مهّدت لنسق هامشيّ هو نسق الخطر المتمثّل في؛ "شهوة السّلب والنّهب" التي أُسندت إلى المسيحيّين الذين أسلموا وتجنّدوا في الجندية البحريّة الجزائريّة، وتعزّزها العبارات التّالية: "ومن الأوروبيّين الذين خرجوا على دينهم في القرنين 16 أو 17 على الأقلّ، وقد اجتذبتهم إلى الجزائر شهوة المغامرة وما تجرّه من مغانم". وقد حظيت الجندية البريّة بما حظيت به الجندية البحريّة، ففي العبارة: "كانوا مشاغبين، فلم يكونوا خطراً على الأهالي فحسب بل على الحكومة أيضاً"، إشارة إلى أنّهم شكّلوا خطراً على الأهالي والحكّام. أمّا عبارة: "أمعن الإنكشاريّة في السّلب والنّهب"، فهي عبارة مغلفة بأفكار إيديولوجيّة تهدف إلى رسم صورة سلبية عن الجندية البريّة مفادها؛ سعي هذه الأخيرة منذ البداية نحو التّجنيد ومن ثمّ إلى الحكم، ليس رغبة في حماية جزائر الغرب من الأعداء، بل لأسباب ذاتية واقتصاديّة، تتجلّى في السّلب والنّهب، فكلمة "الشّهوة" تُشير إلى البعد السّلبيّ للمغامرة التي تدور في فلك النّساء والمال، بينما كلمات: "السّلب" و"النّهب"، فهي

تحدّد بدقّة طبيعة عمل الجندية البرية، حيث مرّر المؤلفون الفرنسيون أفكاراً إيديولوجية جعلت من الجندية بشقيها مجموعة من الأشخاص، هدفهم الأول السرقة دون الدفاع عن حياض الأهالي. كما تُشكّل صفتا "مشاغبين" و"خطراً" في ذهن المتلقّي طبيعةً وظيفيةً سلبيةً يُديرها التهديد والتسبب في الفتن، وهو الأمر الذي يرغب المؤلفون في إسناده إلى الجندية البرية: "وكانت فتن القصر التي أسالت الدماء في الجزائر مراراً من صنع هؤلاء الجند". هناك صفات سلبية أخرى أُسندت إلى الفاعلين الاجتماعيين الذين يُشكّلون أوجاق (وحدات) الجيش، وذلك عند الإشارة إلى أصولهم، فهم إمّا آسيويون أو أوروبيون مارقون (خارجون) عن الدين المسيحيّ، على أساس أنّه دين يحمل الرأفة والرّحمة والقيم الإيجابية، عكس الدين الإسلاميّ دين النهب والسلب والقتل، من منظورهم: "كانوا يجنّدون من سگان مدن آسية الصغرى، ومن الأوروبيين الذين خرجوا على دينهم"، وفي هذا الأمر مقارنةً ضمنيةً وتقديم سلبّي للجندية البرية، في مقابل التّقديم الإيجابي للذات المسيحية.

رصدنا أيضاً النسق الهامشي المتعلق بالوصف في كلمة "البربر"، مع كلّ ما تحمله الكلمة من تصوّر سلبّي مفاده الوحشية والبدائية ضمن التّظهير الغربيّ، حيث نلمح ذلك في العابرة: "تعرّضت سواحل إسبانيا وبروفانس وإيطاليا... لغارات قرصنة البربر". ومن البربر انتقل المؤلفون الفرنسيون إلى وصف الحضرة سلبياً على أساس أنّهم كانوا قابليين خانعين، ولم يلعبوا دوراً في المقاومة: "أمّا سگان الحضرة ويعرفون بالبلدي، فقد حُجّبوا عن الحياة السياسية بأسرها، فلم يحركوا ساكناً لرفع النّير التركيّ عن كواهلهم"، بينما وصفوا القوّل أوغليين بالشّجعان الذين ألقوا الرّعب في قلوب العثمانيين: "واستطاع القلغليّ دون سواهم أن يلقوا في قلوب الأتراك بعض الخوف". ودائماً في إطار نسق الوصف تمّ التّأكيد على إبراز سمة سلبية جدّاً وهي ظلم العثمانيين للأهالي، الأمر الذي أدّى إلى التّمرد والعصيان والمقاومة، والهدف منه نزع الشرعية عن الدولة العثمانية وإضفاء الشرعية من جهة أخرى على التّمردات والمقاومات الشعبية: "إنّ الفتن كثرت رغم هذه التحوّطات كلّها، وكان السبب في اندلاع معظمها راجعاً إلى ما حلّ بالأهليين من مظالم عمال التّرك". وفي لا اتفاقية قصديّة تتعلّق بوصف الدّول الغربية، خاصّة فرنسا وإنجلترا، نجد المؤلفين الفرنسيين يمجّدون صفة إنزال الرّعب في قلوب القرصنة، وهذا ترويج للقوة والغلبة التي امتازت بها الدّولتان في تلك الفترة: "اضمحلّ شأنها (الجندية البحرية) في القرن الثّامن عشر، بعد أن أنزلت الدّولتان البحريّتان إنجلترا وفرنسا الرّعب في قلوب القرصنة".

وعن مسألة الأسرى رصدنا نسق الوصف في العبارات التالية: "وكان هؤلاء الأسرى أقلّ بؤساً"، "كانوا آمنين على أرواحهم، إلّا عندما يثور الإنكشارية، أو يظهر أسطول مسيحيّ فتهدّد

خواطر المسلمين، وأكثر من هذا إنّ تلك السّجون كان بها معابد صغيرة، لها قساوسة، وكان بها ملجأ للعجزة، وحنانة للشّراب"، وهي تضمينات تعبّر عن حالة الأسرى في مدينة الجزائر، وقد وردت إيجابية أكثر منها سلبية. وإلى جانب نسق الوصف ثمة نسق الدور التقاطي أو التّقييم التّصنيفي بين كلمة "مسيحي" و"المسلمين"، مع كلّ ما تحمله من تمثّلات ضمنيّة ومواقف إيديولوجيّة معبّرة عن النظرة الغربيّة والدونيّة للفرد الجزائريّ المسلم، والمبنيّة على أساس معايير غير متساوية (الدّول الغربيّة المتحضّرة، ودول شمال إفريقيا المتوحّشة)، وهو نسق تضليلي، يسعى إلى إرساء المقارنة المغالطة المهاجمة للآخر، والتي تستلزم إقصاءه، وتُجيز إبادته.

لاحظنا أيضاً وجود نسق الدور التقاطي في الأفعال المسندة للعثمانيين والبربر ذات الدّلالة المرتبطة بموقع كلّ منهما، فالعثمانيون "أنقذوا" "أسسوا"، وهي أفعال تبرز قوتهم، بينما الدّويلات البربريّة عاشت في "الفوضى التي دامت أمداً طويلاً". تُحيلنا هذه العبارة إلى نسق التّصنيف الإيجابي للعثمانيين "الترك" والسّلبّي للبربر "الدّويلات البربريّة": "وجاء الترك فوقفوا في وجه النّصارى وأنقذوا الإسلام في إفريقية، وأسسوا بقوة السّلاح دولةً إسلاميّةً تشمل المغرب الأوسط بأسره، على أنقاض الدّويلات البربريّة بعد أن قوّضت أركانها الفوضى التي دامت أمداً طويلاً". ولا نغالي إن قلنا أنّها إيديولوجيا تخدم الأفكار الاستشراقية التي تناولناها سابقاً في الفصل الأوّل حول الجزائر، والتي زعمت أنّ الآخر البربري متوحّش، غير متميّز ويحتاج لمن يقوده. وفي إطار إبراز التّجليات السّلبية للسياسة العثمانية بجزائر الغرب، تكشف لنا نسق التّصنيف في العبارة: "كان النّظام القضائي يقوم على قاضيان، أحدهما حنفيّ للأتراك والآخر مالكيّ للعرب... وكان للمجتمع اليهوديّ نظمه، وكان الأوروبيون ينعمون بحماية"، على أساس أنّ لكلّ مجموعة إثنية نظامها القضائيّ الخاصّ بها، والغرض من هذا التّصنيف هو البعد المعرفيّ المتمثّل في معرفة النّظام القضائيّ، لكن إذا توغلنا قليلاً في المستتر نجده يعرض تنوعاً إثنيّاً قد تمّ اختراقه، بسهولة وبوساطة اليهود (عائلة بوشناق وبكري). يُمكننا القول أيضاً أنّه يوجد نسق للتّصنيف الغرض منه هو وصف بنية السّلطة في جزائر الغرب، ثمّ عزو صفات إيجابية وأخرى سلبية للمراحل السياسيّة، من بكاربكية إلى باشوية ثمّ آغوية وأخيراً داياتيّة، في العبارات التّالية: "كان خير الدّين وابنه حسن وعلج علي وحسن فنزيانو يحكمون باسم الباب العالي العثمانيّ"، "أقلقت بال سلاطين الآستانة (إسطنبول)، ففقدوا عزمهم على استعمال الباشوات على إفريقية"، "نشبت حوالي منتصف القرن 17 فتنة عسكريّة وضعت أزمة الحكم في يد الأغوات أو قادة الإنكشاريّة،

ولم يعد للباشوات إلا بعض المهام التشريفيّة، "إنّ الرّؤساء (ريّاس البحر) استطاعوا اغتصاب السلطان (السلطة) بعد فترة دامت 12 سنة ونصبوا على البلاد دايا".

نمضي الآن إلى المحور الثالث ذو الصّلة بنسق الحجاج، والذي وضّح لنا في العبارة: "اشتروا مناصبهم" في إشارة إلى البكوات: "(البكوات) محصلي ضرائب تعاقدوا بحكم أنّهم في معظم الأحوال قد اشتروا مناصبهم على أن يؤدّوا لخزائن الدّولة مبالغ كبيرة تُحدّد قيمتها في مدينة الجزائر"، وهي حجّة رامية إلى التّركيز على الفساد السّياسي في الدّولة العثمانيّة، وقد تطرّقنا إلى هذه المسألة باستفاضة في العمليّة التّركيبية وبيننا حيثياتها. برز لنا أيضاً نسق الحجاج عند الاستشهاد بالرحالة هايدو الذي سمّى حكام جزائر الغرب الأوائل بالملوك: "وقد سّمّاهم "الرحالة هايدو" ملوك الجزائر"، وهو مثال يؤكّد ويدعم وجهة نظر المؤلّفين الفرنسيين على أساس أنّ الرحالة الإسباني هايدو موضوعي وموثوق فيه، رغم أنّه كان راهباً إسبانياً أُسر من قبل الجنديّة البحريّة، ولا نغالي إن قلنا أنّ مؤلّفاته عن الجزائر ذات إيديولوجيا خادمة ومؤيّدّة للنسق الدّيني الغربيّ، دونما التزام بالموضوعيّة العلميّة.

واصل المؤلّفون الفرنسيون ضرب الأمثلة بغية البرهنة على وجهة نظرهم بخصوص رغبة الحكّام العثمانيين في الاستقلال عن الدّولة العثمانيّة في العبارة التّالية: "فتطلّع بعض هؤلاء العمال إلى الاستقلال"، وتمّ بعد ذلك إيراد أنّ معظم هؤلاء الحكّام استبدلوا بالباشوات: "فحمل ذلك الحكومة العثمانيّة على أن يستبدلوا بهم باشوات". وإضافةً إلى الأمثلة، استعان المؤلّفون الفرنسيون بتقديم الأعداد كحجّة، وهو ما يقتضي من المتلقّي الشّعور بالدقّة والموضوعيّة: "وقد قدر أنّ عدد المرتدين عن دينهم الأصليّ في مدينة الجزائر بلغوا 8.000 سنة 1634م". وفي إطار الحجاج دائماً، تمّ توظيف نسق الدّفاع عن النفس: "وفي سنة 1510م فرض الإسبان ضريبة على المدينة، واحتلّوا الجزائر لقمع حركة القرصان"، فالمسيحيّون احتلّوا تلك المدن الجزائريّة بسبب القرصنة ودفاعاً عن أنفسهم، والقرصنة هنا مفهوم أساسيّ في النّصوص الاستشراقيّة حول جزائر الغرب، إذ تمثّل عاملاً حاسماً في عمليّة غزو الجزائر، حيث سعى المؤلّفون الفرنسيون إلى تحويل الهويّة القائمة إلى هويّة أخرى قرصنيّة يتصوّرها المؤلّف في خطابه ويُمرّرها إلى متلقّي الخطاب ضمن إيديولوجيّة اضطهاديّة تُبرّر مصالح المستدمر تحت قناع الصّالح العامّ الذي يُناسبه، على أساس أنّ أقطاره تمتاز بالرقّي والحضارة، ولا علاقة لها بالدول البربريّة المتوحّشة في نظرهم.

رصدنا كذلك استعمال حجة قوة الطبيعة في العبارة: "ثارت في الليلة عاصفة دمّرت مائة وأربعين 140 من سفن الإسبان وأفقدت الجيش جميع مؤنّه، وأصبح الانسحاب أمراً محتوماً." وضمن سياق حجة قوة الطبيعة دائماً أضيفت العبارة: "على أنّه حدث في 24-25 أكتوبر أن اكفهر الحوّ سريعاً، وفقد نصف الأسطول الراسي إثر العاصفة التي تلت هذا الإفكار. واضطرّ شارل الخامس الذي تعاونت على هزيمته الطبيعة والأتراك". أمّا الأنساق الهامشيّة المتعلقة بالحجاج، فقد تكشّف لنا منها النسق الهامشيّ الخاصّ بالتعميم في العبارة: "وكان معظمهم من أصل مسيحيّ، وضعوا العمامة على رؤوسهم"، وهي قصر معظم الجنديّة البحريّة على الأصل المسيحيّ، أمّا العبارة: "لم يعد للجزائريّين حرفة سواها"، فهي جزم على أنّ القرصنة في نظرهم الحرفة الوحيدة التي اختصّ بها الجزائريّون الذين يستفيدون منها جميعاً: "وقد جنت جميع قطاعات السكّان الرّبح منه". وإلى جانب نسق التعميم رصدنا نسق الإجماع من خلال تناول أسماء الجمعيات التي كانت تقتدي الأسرى في العبارة: "بمعاونة رجال الدين كالثالوثيين والمفتدين واللازاريّين الذين وقفوا أنفسهم على هذه الأغراض"، وهو نسق إجماع واتّحاد وتضامن بين المفتدين. وشبّه به التآزر الأوروبيّ ضمن القرارات المشتركة في العبارة: "وصل إليها سنة 1816م، بعد مؤتمر فيينا اللورد إكسموث، وأمير البحار الهولنديّ فان دركايلن ليرميها بالقنابل بوصفها ممثّلين لأوروبا"، وفي العبارة: "إنّ الدّول الأوروبيّة قد اعترفت أن تقضي نهائياً على هذه الحالة (القرصنة) التي لم تعد تطيق صبرا عليه". وثمة النسق الرمزيّ الأسطوريّ الذي يؤسّس لأسطورة المنقذ في العبارة التّالية: "وجاء التّرك فوقفوا في وجه النّصارى وأنقذوا الإسلام في إفريقيّة"، وهو نوع من النسق الحجاجيّ السّياسيّ الذي يُقدّم "التّرك" (العثمانيّين) على أنّهم منقذو فوضى المسلمين، وهنا تمرير لأفكار إيديولوجيّة تنفي صفة القوّة لدى المسلمين، وتعزّز وترسخ صفة الضّعف والهوان والذلّ التي كانت تُنادي بها النظريّات الاستشراقية ك"القدرية"، و"التّطوريّة" وغيرها. وضمن النسق الرمزيّ الأسطوريّ لمحا توظيف عبارة "أسطورة المناعة" التي تؤسّس فكرةً وحجّةً مفادها أنّ عدم استطاعة الدّول الأوروبيّة دخول مدينة الجزائر ما هي إلّا أسطورة، الأمر الذي يودّي بالضرورة إلى التّشكيك في القوّة المزعومة لجزائر الغرب وجنديّتها بشقيها: "واضطرّ شارل الخامس الذي تعاونت على هزيمته الطبيعة والأتراك إلى التّخلي عن مؤونة كثيرة، وانسحب من مدينة الجزائر تاركاً إيّاها تنعم بأسطورة المناعة التي ظلت سليمةً حتى سنة 1830م".

ننتقل الآن إلى المحور الرابع المتعلق بنسق إضفاء المنظور أو المنظورية، بناءً على الأنساق السابقة التي تناولناها، والمتعلقة بالتسميات والإسناد والحجاج، حيث تحيلنا مباشرة إلى النسق التصوري في إطار إضفاء المنظور، والذي تميّز بالنزعة العنصرية تجاه الآخر -حكّام وأهالي جزائر الغرب والدولة العثمانية-، حيث برزت الأحكام القيمية والصورة السلبية ضمن إيديولوجيا متّهمة للسياسة الإدارية لجزائر الغرب في العهد العثماني في العبارة: "وكان البكوات في نظر الحكومة المركزية يعدّون جامعي دخل أو محصلي ضرائب تعاقدوا بحكم أنّهم في معظم الأحوال قد اشتروا مناصبهم على أن يؤدّوا لخزائن الدولة مبالغ كبيرة تحدّد قيمتها في مدينة الجزائر. الغرض الوحيد من وضع الداي لهذا التّنظيم هو تمكينه من أن يمارس إشرافاً أدقّ ما يكون على ولاية الأقاليم، وإقصائهم عن مناصبهم ولأية شبيهة من شبهات التّقصير." ونلحق بها وجهة نظر المؤلفين الفرنسيين الحاملة للدلالة الدّينية في العبارة التّالية: "وكان هؤلاء الأسرى أقلّ بؤساً ممّا يقوله النّاس عنهم، فقد كانوا آمنين على أرواحهم، إلّا عندما يثور الإنكشاريّة، أو يظهر أسطول مسيحيّ فتهيج خواطر المسلمين". إضافة إلى تعدّد تصوير العثمانيين على أنّهم كانوا ينظرون إلى ولاية جزائر الغرب نظرة استغلالية، باعتبارها مكاناً لتحصيل الضّرائب فقط: "وكان البكوات في نظر الحكومة المركزية يعدّون جامعي دخل أو محصلي ضرائب"، وفي العبارة: "(البكوات) محصلي ضرائب تعاقدوا بحكم أنّهم في معظم الأحوال قد اشتروا مناصبهم على أن يؤدّوا لخزائن الدولة مبالغ كبيرة تحدّد قيمتها في مدينة الجزائر". لمحا أيضاً أخذاً لموقف من الجزائر، وإبرازاً لمنظور منحاز في العبارة التّالية: "واضطرّ شارل الخامس الذي تعاونت على هزيمته الطّبيعة والأتراك إلى التّخّي عن مؤونة كثيرة، وانسحب من مدينة الجزائر تاركاً إيّاها تنعم بأسطورة المناعة التي ظلّت سليمة حتى سنة 1830م".

نبادر الآن إلى إيضاح أسلوب التّفرقة الذي نهجه المؤلّفون الفرنسيون في إطار المنظورية بين القراصنة -لصوص البحر المسلمين- والبحّارين الغربيين، الذين لقبّوهم بألقاب شريفة أمثال: "الملاح الإسباني"، "أمير البحر دون بيدرو كاستيخو"، "القائد أوريللي"، "أمير البحر الإسباني الدون أنجلوا بارسلو"، "اللورد إكسموث"، "أمير البحر الهولندي كيبلين"، "أمير البحر نيل"، "الملك شارل الخامس"، والتي توحى بالبعد السلطويّ الذي يدعّم القضية الغربية الرّامية إلى محاربة القراصنة وشرعنة احتلالهم لجزائر الغرب، ضمن أحكام قيمية منحازة للغرب، في مقابل المسلمين "القراصنة"، "القرصان"، ربابنة القراصنة"، "الترك". "عروج القرصان"، "خير الدين وابنه حسن وعلج علي وحسن فنزيانو"، حميدو قرصان القرن الثامن عشر". أما العبارة: "بمعاونة

رجال الدين كالثالوثيين والمفتدين واللازاريين الذين وقفوا أنفسهم على هذه الأغراض"، فهي تعبير عن وجهة نظر متعاطفة مع سلطة تدعم قضية الأسرى، وهي الكنيسة، ضمن إستراتيجية سياسية تظهر إجماع الدول المسيحية على مصالحها.

رصدنا نسقاً آخر ذو علاقة وطيدة بنسق إضفاء المنظور، والمتمثل في نسق التنصل المبني على التعاطف الذي يؤثر في المتلقي، حيث تم ذكر الأحداث الإيجابية عن الأسرى: "وأكثر من هذا أن تلك السجون كان بها معابد صغيرة، لها قساوسة، وكان بها ملجأ للعجزة، وحنان للشراب"، وبعدها مباشرة تم ذكر الجانب السلبي للأحداث، باستعمال "لكن"، "ولكن لم يكن يطلق سراحهم إلا إذا افتدتهم أسرهم بمعاونة رجال الدين كالثالوثيين والمفتدين واللازاريين الذين وقفوا أنفسهم على هذه الأغراض"، وهنا تبرز الإيديولوجيا الإنسانية، وهي أمر معروف في منهجية المستشرقين، وقد مورست من قبل في عرض الجوانب الإيجابية لسيرة الرسول ﷺ، فبعد تخدير المتلقي بتلك المعلومات، يتم البدء في صب ما يراد منه تشويه تلك السيرة بكل ما هو سلبي، ضمن ما عُرف بمنهج البناء والهدم.

نتطرق الآن إلى المحور الخامس الخاص بنسق التلطيف والتّهويل أو المبالغة، أين يتم تلطيف الأحداث التاريخية الغربية مقابل التّهويل والمبالغة في الأحداث التاريخية المتعلقة بجزائر الغرب. نستهل بنسق التّهويل الذي تم التركيز عليه من خلال الاستعانة بمفردات دالة على التجريم وإلقاء اللوم على الشهيد عروج ريس: "القرصان عروج"، "قبض"، "تخلص"، "قتلهم"، "نادى به جنده سلطاناً"، "...الجزائريين لجؤوا إلى الثعالب والإسبان للتخلص من الترك، وكشف عروج مؤامرتهم وقبض على زعماء الحركة وقتلهم... وهكذا قضى على كل مقاومة وبقي عروج سيّداً على مدينة الجزائر... تخلص القرصان (عروج) من سالم التومي بقتله ونادى به جنده سلطاناً على الجزائر". وثمة عبارة أخرى برز فيها التّهويل أثناء وصف ما جرى للفرنسيين: "فذبوا الفرنسيين المقيمين بينهم بما فيهم القنصل الأب ليفاشيه Levacher الذي شدّ إلى فوهة مدفع"، مع تغييب الأسباب والدوافع والممارسات التي جعلت حكام الجزائر يفعلون ذلك. يليه تهويل في وصف فرق الجيش بـ"بابنة القرصان"، فالجندية البحرية الجزائرية أضحت قرصنة يعيشون في الأرض فساداً. أمّا نسق التلطيف فقد رصدناه في جعل احتلال الجزائر استيلاء: "حكموا حتى استيلاء فرنسا على الجزائر"، وهنا تغييب للبعد السلبي للاحتلال من سيطرة وامتلاك وقتل ونهب واستعمار. وفي العبارة: "وكان معظمهم من أصل مسيحي، وضعوا العمامة على رؤوسهم ليشيعوا شهوة السلب والنهب أو لذة المغامرة"، نسق تلطيف بخصوص ترك الدين المسيحي

بسبب الشهوة والمغامرة فقط. يليه نسق تلطيف آخر في العبارة: "أثارت مثل هذه القرصنة الدول الأوروبية ودفعتها إلى الانتقام، واتخذ هذا الانتقام بصفة عامة صورة في مدينة الجزائر بالقنابل من البحر، وأحدث... أضراراً جسيمة"، حيث تمّ إغفال الحديث عن أعداد الموتى والأضرار أثناء قنبلة المدينة، واعتبرت المسألة ردّ فعل على القرصنة، التي من المفروض أن تكون صراعاً في البحر وليس في المدينة. وفي إطار نسق التلطيف والتّهويل، رصدنا معجمة دالة على النسق الديني المسيحي في الكلمات التالية: "مسيحي"، "معابد"، "قساوسة"، "الثالوثيين"، "اللازاريين"، مقابل معجمة النسق الديني الإسلامي: "المسلمين"، "الإنكشاريّة"، "القرصنة"، ضمن تقاطب ثنائي مسيحي/إسلامي. وإلى جانبهم معجمة تلطيفية ذكرناها سابقاً في إطار المنظورية، تحيل إلى البحّارين الغربيين بألفاظ شريفة "الملاح الإسباني"، "أمير البحر دون بيدرو كاستيخو"، "القائد أوريلي"، "أمير البحر الإسباني الدون أنجلوا بارسلو"، "اللورد إكسموث"، "أمير البحر الهولندي كيبلين"، "أمير البحر نيل"، في مقابل معجمة المسلمين التّهويلية: "القرصنة"، "القرصان"، ربابنة القرصنة"، "الترك". "عروج القرصان"، "خير الدين وابنه حسن وعلج علي وحسن فنزيانو"، حميدو قرصان القرن الثامن عشر".

نُبادر الآن إلى تناول أنساق هامشية أخرى مثل نسق إعادة الصياغة المتمثّل في إستراتيجية قلب الجاني ضحية، والقصد منها اعتبار المسيحيين ضحايا للقرصنة، ضمن تصوّر يستصيغه الغرب لما يمتلكه من قوّة تؤيّد وتُشرعن استدماره للآخر: "وتنبّه سكان الجزائر إلى ما يحذق بهم من خطر داهم إثر استيلاء Pedro Navaroo و Ximenes على مدينة وهران سنة 1509م، واحتلال بجاية سنة 1510م، فلما عجزوا عن مقاومة الجيوش المسيحية أعلنوا رغبتهم في التسليم، ووعدوا أن يعترفوا بسلطان الملك الكاثوليكي عليهم وأن يؤدّوا جزية سنوية ويطلقوا سراح الأسرى المسيحيين وأن يقلعوا عن أعمال القرصنة، ويمنعوا أعداء إسبانيا من الالتجاء إلى مينائهم". وثمة نسق السطو على خيرات جزائر الغرب، ونسق احتلال الموانئ، ونسق تمويل توسّعات ملوك الكاثالكة الذين صمّموا على أن "يُخضعوا لسلطانهم جميع بلاد الشاطئ الشمالي لإفريقية، وتنبّه سكان الجزائر إلى ما يحذق بهم من خطر داهم إثر استيلاء Ximenes و Pedro Navaroo على مدينة وهران سنة 1509م، واحتلال بجاية سنة 1510م".

وإذا ولينا صوب الأنساق المضمرّة في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركيّة) "وقف الديانة التركيّ"، سجد المحور الأول المتعلّق بنسق التسمية قد عُني بشخصيّة بطوليّة هي الشّهد عرّوج ريّس، وإلى جانبه خير الدّين باشا والحاكم قليج علي، حيث تناولهم المؤرّخ التركيّ في عدّة نصوص: "كان عرّوج والخضر يجوبون بحر إيجه والبحر المتوسّط"، "سقط عرّوج شهيدا فخلفه الرّيس خضر"، وهنا نلمح إضافة صفة الشّهد ذات الدّلالة الدّينيّة الإسلاميّة. وفي العبارة: "إذا كانت الرّوابط بين إسطنبول قويّة في بداية عهد البيلربايات وقائد الأسطول العثمانيّ الوالي عالج علي (قليج)، فإنها ستضعف بعده وتراجع"، فبالإضافة إلى ذكر اسم الوالي عالج علي، ذكر رتبته إبرازاً للهويّة واعترافاً بها، حيث قام بإضفاء وظيفة معيّنة على الفاعل الاجتماعيّ "الوالي عالج علي (قليج)"، فهو قائد أسطول ووالٍ، وهنا اعتراف به وبمكانته لدى المؤرّخ. أمّا التسمية الخاصّة بـ"إسطنبول" فهي تعبير مجازي المقصود منه السلطان العثمانيّ وليس مدينة إسطنبول، ووظيفة الكناية هنا هي وضع الفاعل الحقيقيّ في الخلفيّة، أي عدم إظهاره، إمّا تجيلاً له واحتراماً أو توريةً وإخفاءً، والرّاجح أنّ المؤرّخ التركيّ قد قصد المعنى الأوّل (تجيلاً واحتراماً). أدرج المؤرّخ أيضاً الأسماء التّالية: الداي بكطاش، صوقلي علي شاوش، إبراهيم باشا، السلطان أحمد الثالث، وركّز على حادثة رفض صوقلي علي شاوش الإذن لإبراهيم باشا المعين كوالٍ على ولاية جزائر الغرب وإعادته إلى إسطنبول، الأمر الذي ساهم في جمع سلطة الوالي مع الداي لتُصبح سلطة موحدة، "وبعدها صارت الفرمانات التي توجه إلى الجزائر تكتب بهذا الشكل "بيلرباي الجزائر ودايها"، وبناء عليه تمّ الجمع بين السلطتين بيد شخص واحد بصفة رسميّة"، وهي حادثة فاصلة في هذه المرحلة. وفي إطار نسق التسمية دائماً تمّ ذكر الرّتب والألقاب: "باشا"، "الصدر الأعظم"، "الآغوات"، "الإنكشاريّة"، وهي تسميات تُشير إلى وظائف معيّنة في السلطنة، وقد ركّز المؤرّخ التركيّ بالخصوص على شخصيّة الوالي علي باشا الذي أراد استخدام كامل صلاحيّاته، وعلى إثر ذلك تمّ إرساله إلى إزمير، أين تمّ إعدامه بسبب إخفاقه في أداء مهمّته، وهنا كانت بداية مرحلة الأغويّة، أي أنّ هذا الوالي قد شكّل نقطة فاصلة بين العهدين: "أراد الوالي المعين علي باشا استخدام كامل صلاحيّاته في الجزائر، فتمّ إرساله عن طريق سفينة الغليوطة... إلى إزمير، وهكذا بدأ عهد الآغوات".

وشبيهه بما سبق التسميات من قبيل: "بيلربايات"، "باشوات"، "آغوات"، "دايات"، فهي أسماء ليست عربيّة من جهة، ولها دلالة عثمانيّة، امتزجت مع اللّغة المحليّة في إطار التّثاقف أو التّكامل التّقافيّ بين اللّغة العربيّة واللّغة العثمانيّة: "مرّ بأربعة مراحل رئيسيّة، عهد البيلربايات (1518-

1587م)، عهد الباشوات (1587-1659م)، عهد الأغوات (1659-1671م)، عهد الدايات (1671-1830م)، دون أن ننسى التسميات التالية: "البايك"، "السَنجاق"، "الباي"، "اليولدش"، "الإنكاشرية"، في العبارة: "أما بقية الأقاليم الثلاثة فيطلق عليها اسم البايك، حيث كانت تحت حكم السَنجاق -الباي-، وكانت كالاتي: بايك الشرق؛ مركزه قسنطينة، بايك التيطري؛ مركزه المدية، بايك الغرب؛ مركزه معسكر وبعد سنة 1792م وهران... كان البايات واليولدش القادمون من الأناضول يعيشون في مقرات منفصلة عن السكّان،" والتي تُعبّر عن الرتب، وتحدّد وظائف المسؤولين في الدولة، والتنظيمات الإدارية، بكلمات عثمانية، وهو في نظرنا سمح بالتعايش اللغوي لبعض الكلمات التركية الدخيلة على اللغة العربية، ونوع من التكيف الثقافي اللغوي في إطار الامتزاج الثقافي بين المجتمع الجزائري والمجتمع العثماني، بمعنى اتصال ثقافي بين شعبين يفضي إلى احتكاك ثقافة بسيطة مع ثقافة مركبة عن طريق الأخذ والعطاء مع قبول أو رفض للسمات الثقافية الدخيلة. وهذا المفهوم بعيد كل البعد عن مفهوم التثقّف الذي مارسه فرنسا على الجزائر، فلم نشهد ثقافاً بالمعنى الذي عرضناه بل وجدت هيمنة للثقافة الدخيلة على الثقافة الأصلية في محاولة منها لإبادتها وأخذ مكانها. وفي نطاق نسق التسمية رصدنا أسماء كثيرة لمناطق استقدام الجنود: "إزمير، منيسا، موغلا، أيدين، وغرب الأناضول"، بالإضافة إلى "الجنود المحليين"، و"فرسان القبائل"، حسب ما ورد في العبارة: "عدد الأوجاق بين 15 إلى 20 ألف فرد، قسم منهم تمّ استقدامهم من (إزمير، منيسا، موغلا، أيدين، وغرب الأناضول) ... إضافة إلى الأتراك والجنود المحليين (المخزن) كان يوجد فرسان القبائل"، وهنا إشارة إلى تكوينة متعدّدة الأجناس توجي إلى التكتّاف والترابط بين مختلف فرق الجندية البرية (طائفة الإنكشارية). وثمة نسق التسمية السلبية في الكلمات؛ "تجارة"، و"الأسرى"، وهي تسميات تحمل ضمناً إشارة إلى المنفعة التي تعود على الداي، وعلى الخزينة جرّاء المتاجرة بالأسرى: "كانت نسبة مهمة من عائدات القناصل، وباي السَنجق، -البليك- والهدايا والمصادرات وأموال الغرامات وتجارة الأسرى، والقرصنة تخصّص للدايات، وعندما يُعزل الداي أو يموت تصادر أمواله (ترجع إلى خزينة الدولة)".

نمضي الآن إلى المحور الثاني المتعلّق بنسق الإسناد، والخاصّ بالصفات أو الأفعال التي أسندت للشخصية البطولية للشهيد عروج ريس، فالصفة البارزة في نصوص المؤرّخ التركي هي صفة الشهيد: "وفي سنة 1518م سقط أرووج (عروج) شهيداً"، وهي صفة ذات دلالة دينية إسلامية، وفي هذا رفع لمرتبة الشهيد عروج ريس عند المسلمين، من شخصية عروج المجاهد في

سبيل الله إلى المستشهد، خلافاً لصفة القرصان التي أطلقها عليه المؤلّفون الفرنسيّون. فيما ثمة أفعال أُسندت لشخصيّة الشّهِيد عروج ريس وخير الدّين باشا أهمّها، التّوطيد للفترة العثمانيّة في الجزائر: "عروج والخضر كانا يجوبان بحر إيجه والبحر الأبيض المتوسّط، حيث قدما وعملا على محاربة الإسبان من أجل وضع الخطوة الأولى للوجود العثمانيّ هناك".

تكشّف لنا أيضاً نسق الإسناد، في مجموعة الأفعال المسندة إلى الأغوات وهم متأثرون بها لا يفعلونها وهي الإعدام والاعتقال، وهما مصطلحان يُحيلان إلى حقل العقوبات، الأمر الذي يفترض أنّهم مذنبون، وأنّ سبب تلك الأفعال تعود إلى ارتكابهم لجرائم معيّنة، وهذا ما يجعل معاقبتهم أمراً مشروعاً، لكنّ واقع الحال غير ذلك، فهناك أغوات رفضوا المنصب وتمّ إعدامهم: "جرت العادة في هذه المرحلة قتل الأغوات الذين لا يُريدون الحكم، فإلى غاية آخرهم علي آغا (1664-1671م) تمّ اغتيال آخر أربع أغوات من الإنكشاريّة بهذا الشكل." وآخرون قُتلوا لأسباب لا تستدعي قتلهم، ضمن نزاعات قاتلة ودمويّة على السّلطة، ذهب ضحيّتها الصّالح والطّالح. رصدنا نسق الإسناد كذلك في العبارة: "كانت آليات الإدارة في هذه المرحلة منظمةً جدّاً، تمّ بدقة حفظ (السّجلات الرّسميّة، الفرمانات السّلطانيّة، نصوص، الاتّفاقيّات المبرمة، الغنائم، الجوائز التي فازوا بها، وقيود الضّرائب) في أرشيفات الدّولة"، فصفات التّنظيم والدقّة تحمل منظوراً إيجابياً عن الإدارة في العهد العثمانيّ. من جانب آخر أُسندت صفة المسؤوليّة للفاعلين الاجتماعيّين، وبالتّحديد للجنديّة الموازية في العبارة التّالية: "كانت فرقة جنود المخزن مسؤولة على حماية القوافل وتحصيل الضّرائب وعلى طاعة القبائل التي تدفع الضّرائب". والتي تُحيلنا مباشرةً إلى الأنساق المضمّرة الهامشيّة، ونخصّ بالذّكر نسق الوصف في العبارة السّابقة نفسها، على أساس أنّ تلك المسؤوليّة تُمثّل وظيفة غايتها الحماية وتحصيل الضّرائب، وليس إثارة الفتنة وتمثيل الخطر على الأهالي والبلاد، كما وصفتها النّصوص الخطابيّة الاستشراقية من قبل. تبيّن لدينا أيضاً وجود نسق الوصف، عندما تمّ إظهار صفة السّلبيّة للباشوات غير الفعّالين، فجاء وصف الفئة الأولى بالتّخاذل والعجز والشكليّة: "لم يكونوا فعّالين... واكتفوا بالمهامّ الشّكليّة"، أمّا الفئة الثّانية فصفتها الفشل: "تعرّض الولاة الذين أرادوا فرض سلطتهم إمّا للنّفي أو القتل"، بينما صفة الفئة الثّالثة فهي الفاعليّة والقدرة والاستطاعة: "كان خضر باشا الوالي الوحيد الذي تمكّن من إخضاع الإنكشاريّة". بعدها تمّ تقديم صورة سلبية عن الأغوات في إطار نسق الوصف، كون نصفهم تمّ اغتياله من طرف السّكان والعسكر: "فبعد سنة 1671م، ومن مجموع 28 دايا تمّ اغتيال نصفهم من طرف السّكان والعسكر." وثمة وصف آخر لدايات جزائر الغرب على أنّهم

كانوا متمردين على الدولة العثمانية: "وعند تعيين إبراهيم باشا دايماً على إيالة الجزائر، رفض صوقلي علي شاوش الإذن له بالنزول على الشاطئ وتم إرجاعه إلى إسطنبول. وقام أيضاً بإرسال رسالة إلى السلطان أحمد الثالث شرح فيها سلبيات فصل الوالي والداي، وطلب منه دمج هاتين السلطتين معاً"، إضافة إلى العبارة: "تذكير المسؤولين الرسميين في الجزائر بأهمية مساعدات الدولة العثمانية، وفتح سواحلها لهم وتقديم لوازم الحرب وتزويدهم بالجنود فلم يريدوا طاعتهم"، فرغم المساعدات التي كانت تُقدمها الدولة العثمانية، كانت تقع في حرج دائم مع الدول الأجنبية بسبب تمرداتهم وإخلالهم بمعاهدات السلام التي أبرمتها معهم.

لاحظنا كذلك وجود نسق الوصف المتعلق بالبعد السلبي لتقدم قوة الفرنسيين والإنجليز في القرن 18م، أين تم تقويض نشاط الجندية، وفقدان أهم مورد للبلاد ومن ثم انخفاض الجنود: "في القرن 18م؛ بسبب قوة وتطور الأسطولين الفرنسي والإنجليزي، أصبحت أنشطة البحر المتوسط تحت سيطرتهم، فقوّضت أنشطة القرصنة الجزائرية، في هذه الحالة فقدت الجزائر إحدى أهم مواردها". أما النسق الهامشي الخاص بالتصنيف، فقد عُني بتصنيف الباشوات إلى ثلاث فئات: فئة غير فعّالة: "لم يكونوا فعالين (لم يكن لهم تأثير في الحكم)، تركوا مهامهم واكتفوا بالمهام الشكلية (البروتوكولات)"، وفئة حاولت الهيمنة فقتلت أو نُفيت: "بينما تعرّض الولاة الذين أرادوا فرض سلطتهم إما للنفي أو القتل"، وفئة ضمت الوالي خضر باشا الذي استطاع إخضاع الجيش الإنكشاري: "كان خضر باشا الوالي الوحيد الذي تمكّن من إخضاع الإنكشارية سنة 1592م وإلى غاية 1635م".

نتنقل الآن إلى المحور الثالث الخاص بنسق الحجاج، حيث وُظف ضمناً بغية إقناع المتلقّي بالمؤامرة التي استهدفت جزائر الغرب عبر المؤتمرات التي جمعت الدول الأوروبية، والتي شرعنت من خلالها احتلال وكر اللصوص والقرصنة: "تقرّر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا 1815م... بهذه الحجة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدول الأوروبية بإرسال أسطولها البحري إلى الجزائر بقيادة اللورد إكسموث سنة 1816م، كما شارك في ذلك الأسطول الهولندي أيضاً". ثم ضرب المؤرخ التركي مثلاً عن معاهدة النمسا، وهو مثال توضيحي، يُعدّ تحركاً قوياً من أجل تعزيز المصادقية وإضفاء الموضوعية على العبارة: "ولهذا السبب أُجبر أوجاق الغرب على ضرورة الالتزام بالأمن والسلام مع دولة النمسا في إطار معاهدة باساروفجا سنة 1718م التي وقعتها مع الدولة العثمانية". وقد كان المؤرخ التركي دقيقاً جداً في اختيار حججه، حيث ركّز في نصوصه على حملة الملك شارل الخامس ضدّ جزائر الغرب، تلك الحملة ذات الشهرة، ودون

النزوع إلى التّخبط في عرض الحملات الأخرى، علماً أنّها كانت تتوالى كلّ سنة على جزائر الغرب في العهد العثمانيّ: "قاد الإمبراطور الملك شارلكان الحملة بنفسه على الجزائر سنة 1541م، حيث تلقى على إثرها هزيمة نكراء".

أمّا بخصوص الأنساق الهامشيّة الخاصّة بنسق الحجاج، فقد رصدنا نسق الحماية، على أساس أنّ العثمانيين إنّما قدّموا من أجل الدّفاع عن أهالي الجزائر وبدعوة منهم، وهي حجّة تدحض مزاعم المؤلّفين الفرنسيين حول تسويد المجاهد خير الدّين باشا نفسه حاكماً على الجزائر دون رغبة أهاليها: "أحد رجال أهالي الجزائر المسمّى الحاج حسين (قام) في شهر أكتوبر من سنة 1519م، بتوجيه عريضة إلى السّلطان العثمانيّ سليم الأوّل يطلب فيها دعمه، فوافق السّلطان سليم على تعيين خير الدّين بربروس الملقّب بـ خضر حاكماً على الجزائر، وأرسل له حوالي 2.000 شخصاً من الإنكشاريّة والمدفعية مع الأسلحة الحربيّة ومستلزمات السفن". ثمّ لمحا نسق إجماع واتحاد وتضامن كإستراتيجية سياسيّة تُظهر إجماع الدّول المسيحيّة على مصالحهم في العبارة التّالية: "قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدّول الأوروبيّة بإرسال أسطولها البحريّ إلى الجزائر بقيادة اللّورد إكسموث عام 1816م، كما شارك الأسطول الهولنديّ أيضاً"، والتي تُبرز الإجماع على القرارات المشتركة الخادمة لمصالح الدّول الأوروبيّة على حساب جزائر الغرب. وقد برز لنا النّسق نفسه والذي تشكّل من خلال اتّفاق الدّول الأوروبيّة على وقف القرصنة في مؤتمر فيينا عام 1815م، حيث توجّ بحملة اللّورد إكسموث على الجزائر إلى جانب أسطول هولندا: "تقرّر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا سنة 1815م. بهذه الحجّة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدّول الأوروبيّة بإرسال أسطولها البحريّ إلى الجزائر بقيادة اللّورد إكسموث سنة 1816م، كما شارك في ذلك الأسطول الهولنديّ أيضاً"، وهو إجماع مجحف ضدّ جزائر الغرب، على أساس أنّ القرصنة ظلّت تُمارس في أوروبا وأمريكا إلى غاية أوائل القرن 19م.

نمرّ الآن إلى المحور الزّايغ المتعلّق بنسق إضفاء المنظور أو المنظوريّة، فرغم محاولة المؤرّخ التّركيّ التّزام الحياديّة إلاّ أنّه كان يميل أحياناً إلى دقّة العثمانيين، مرتكزاً على النّسق التّبريريّ، باعتبار الجزائريين هم الذين استتجدوا بهم، وطلبوا بقاءهم: "أحد رجال أهالي الجزائر المسمّى الحاج حسين (قام) في شهر أكتوبر من سنة 1519م، بتوجيه عريضة إلى السّلطان العثمانيّ سليم الأوّل يطلب فيها دعمه". تكشّف لنا أيضاً عرض لصفات التّنظيم والدقّة في النّظام الإداريّ لجزائر الغرب في العهد العثمانيّ، وهو عرض يحمل بين طيّاته منظوراً إيجابياً للمؤرّخ التّركيّ تُحيلنا إلى استشعار عطف تجاه الدّولة العثمانيّة التي ينتمي إليها، فيمجّد أعمالها

وتنظيمها: "كانت آليات الإدارة في هذه المرحلة منظمة جداً، تمّ بدقّة حفظ (السجلات الرسمية، الأوامر السلطانية، نصوص، الاتفاقيات المبرمة، الغنائم، الجوائز التي فازوا بها، وقيود الضرائب) في أرشيفات الدولة"، أما العبارة التالية: "تمّ تذكير المسؤولين الرسميين في الجزائر بأهمية مساعدات الدولة العثمانية، وفتح سواحلها لهم وتقديم لوازم الحرب وتزويدهم بالجنود فلم يريدوا طاعتهم." فهي تحمل مقارنةً بين العثمانيين ودايات جزائر الغرب، أين نجد أحكاماً قيمةً عنيت بالتقديم السلبي لدايات الجزائر، باعتبارهم متمردين على السلطة المركزية العثمانية، ثمّ التقديم الإيجابي للدولة العثمانية باعتبارها حامية الدول العربية والمسلمة، فهي من كانت تقدّم المساعدات للدايات وتزود عنهم وتمنع عنهم التحرشات الغربية، وخاصة الاحتلال الإسباني لقرون.

يستوقفنا نسق إضفاء المنظور الذي يتجلّى في رسم صفات إيجابية عن الجندية البرية الإنكشارية ضمن تلطيف للأحداث قوامه الحماية والأمن في العبارة: "كانت فرقة جنود المخزن مسؤولة على حماية القوافل وتحصيل الضرائب وعلى طاعة القبائل التي تدفع الضرائب". وعلاوة على ما رصدناه من أنساق، يُمكننا عرض الأنساق الهامشية كنسق استعطاف للدولة العثمانية من خلال عرض أحداث تاريخية مؤسّسة على حجة الرسالة الموجّهة إلى السلطان سليم الأول: "أحد رجال أهالي الجزائر المسمّى الحاج حسين (قام) في شهر أكتوبر من سنة 1519م، بتوجيه عريضة إلى السلطان العثماني سليم الأول يطلب فيها دعمه، فوافق السلطان سليم على تعيين خير الدين بربروس الملقّب بخضر حاكماً على الجزائر، وأرسل له حوالي 2.000 شخصاً من الإنكشارية والمدفعية مع الأسلحة الحربية ومستلزمات السفن". لن نتوقّف هنا بل سنستحضر في النصّ نسق تمجيد الدولة العثمانية، فهي هو المؤرّخ التركيّ كمال قهرمان يُبين عظمتها وأفضليتها، مشيراً إلى نوع التأييد الممنوح للمجاهد خير الدين باشا: (فوافق السلطان سليم على تعيين خير الدين بربروس الملقّب بخضر حاكماً على الجزائر، وأرسل له حوالي 2.000 شخصاً من الإنكشارية والمدفعية مع الأسلحة الحربية ومستلزمات السفن، علاوة على ذلك أعطى الإذن بذهاب المتطوعين وكذا التجنيد من الأناضول قدر الحاجة)، ومقابل ذلك التأييد (بدأت قراءة الخطبة باسم السلطان، ودخلت الجزائر بصفة رسمية تحت الحكم العثماني).

ننتقل الآن إلى المحور الخامس، والخاصّ بنسق التلطيف والتّهويل أو المبالغة، حيث لمحا نصوصاً خالية من محاولة تلطيف أو تهويل للأحداث بقدر محاولة عرضها بموضوعية، ورغم ذلك اعتمد المؤرّخ التركيّ على نسق استيعاب وإدماج مسلمي الأندلس مع شمال إفريقيا،

ضمن سيناريو متجانس، مع تأكيد نسق الاستمرارية للاستعمار الإسباني للمدن الجزائرية ضمن زمن محدد من 1505م إلى 1510م: "في إطار عملية استرداد الأندلس من المسلمين عمل الإسبان على التوسع والانتشار في شمال إفريقية، ففي سنة 1505م تم احتلال المرسى الكبير، وفي سنة 1509م احتلت وهران، وفي سنة 1510م احتلت بجاية، وبعد مدة قصيرة وصلوا إلى تلمسان".

يُمكننا القول إذاً أن دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) قد احتوت على أنساق مضمرة، دارت جلها في فلك إستراتيجية التقديم الإيجابي للذات الغربية الاستشراقية، ضمن تأكيد للشخصية الأنموذجية، والتمثيل السلبي للآخر. هذا ويتضح الأمر أكثر من خلال عملية إسناد الأفعال السلبية جداً إلى الجزائريين: (عجزوا، أعلنوا رغبتهم في التسليم، يعترفوا بسلطان الملك الكاثوليكي، يؤدوا جزية، ويطلقوا سراح الأسرى، يلقوا عن أعمال القرصنة، ليقسموا يمين الطاعة)، بينما أُسندت الأفعال القوية الفاعلة إلى الذات الغربية، (فرض الإسبان ضريبة، واحتلوا الجزائر لقمع حركة القرصان)، والمؤكد أن الغرض من الاستعانة بتلك الأفعال السلبية المنسوبة إلى الجزائريين هو عرض وتصوير ضعفهم ووهنهم، واقتصار عيشتهم على القرصنة، في مقابل إظهار قوة الفعل إلى الغربيين، ففي العبارة: "(البكوات) محصلي ضرائب تعاقدوا بحكم أنهم في معظم الأحوال قد اشتروا مناصبهم على أن يؤدوا لخزائن الدولة مبالغ كبيرة تُحدد قيمتها في مدينة الجزائر"، تقديم سلبي آخر كدليل على الفساد السياسي في الدولة العثمانية، "اشتروا مناصبهم". إضافة إلى ربط القرصنة ببقاء الحكم العثماني في جزائر الغرب، أي أن داعم القرصنة بقاء السيادة العثمانية في جزائر الغرب: "وبقيت القرصنة ما بقيت السيادة التركية على تلك البلاد؛ أي إلى عام 1830م".

رصدنا أيضاً إستراتيجية التقديم الإيجابي للذات الغربية المسيحية، في العبارة: "لم يكن يُطلق سراحهم إلا إذا افتدتهم أسرهم بمعاونة رجال الدين كالتالوثيين والمفتدين واللازاريين الذين وقفوا أنفسهم على هذه الأغراض، أو إذا استعادوا حريتهم بعد مفاوضات سياسية". والتي تحمل دلالة التعاون والتآزر خدمة للإنسانية. هي استراتيجيات هدامة للآخر المسلم وبناءة للذات الغربية المسيحية، تستلزم الترويج، والتبرير لتلك الذات والتسبب، تأكيداً لشرعية الأفعال التي تقوم بها.

وإذا ولينا صوب الموسوعة الإسلامية التركية سنجد أن الأنساق المضمرة التي رصدناها تدور هي الأخرى في فلك التقديم الإيجابي للذات العثمانية المسلمة والتمثيل السلبي للآخر، حيث ورد بعضها موضوعي عارض للأحداث التاريخية بمصادقية، وبعضها الآخر حامل لإستراتيجية التقديم الإيجابي للذات العثمانية المسلمة، ولكنها لم ترد بالشكل الذي عرفته دائرة

المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، وذلك بسبب اختلاف الإيديولوجيات والغايات، حيث رصدناها كمثال فقط من خلال استعمال اسم التفضيل: "كان أوجاق الغرب يمتلكون أكبر أسطول بحري"، وهي إشارة إلى القوة والسيطرة على البحر من قبل الجندية البحرية لجزائر الغرب في العهد العثماني. أما إستراتيجية نسق التمثيل السلبي للآخر فقد رصدناها كمثال فقط في العبارة: "أُجبرت هذه الأخيرة (فرنسا) على توقيع معاهدة منفصلة مع داي الجزائر في 21 مارس من سنة 1692م بمرسلياً من أجل الأمن التجاري في البحر المتوسط، وهذا ما فعلته انجلترا وهولندا بعد سبع سنوات من ذلك"، وفرنسا ومن لف لفهم ممن ذكروا في النص، أُجبروا على توقيع الاتفاقية، وهذا دليل على ضعفهم ووهنهم ورجبتهم في الصلح، وفي الوقت نفسه يُعزّز قوة جزائر الغرب، ومن ثم قوة الدولة العثمانية.

تجدد بنا الإشارة في هذا المقام إلى أنّ المعلومات والمغالطات التي قُدمت في دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والنقائص التي شهدتها الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") قد تمّ تداركها من قبلنا في العملية التركيبية للأحداث التاريخية، حيث وقفنا عندها ودعمناها بمعلومات مستقاة من المصادر والوثائق العثمانية المترجمة حصراً من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية من قبل المؤرخ العراقي الأستاذ الدكتور فاضل بيات.

ثانياً: المعارف الأصيلة (الجديدة) المحصلة.

لقد عرضنا النتائج التي توصلنا إليها بخصوص الأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية)، والتي تُمثّل مُنطلق وهدف هذه الدراسة التاريخية، كسبق معرفي ضمن تكامل تخصصي، لكنّ هذا لم يمنعنا من تحصيل معارف أصيلة وجديدة؛

يتجسّد العمل الأصيل الأول في سعينا إلى تقديم "مقترح مراحل حكم جديدة بناءً على النظرية الخلدونية"، دونما الخلفية الغربية الاستشراقية التي تعودنا الاتكال عليها. وهي محاولة متواضعة نروم من ورائها تجاوز المعارف القبلية المؤطرة من قبل الرواسب الاستشراقية، وتجنّب إعادة تكرارها. وقد تولّد مقترحنا نتيجة تركيزنا على المصطلحات التي صُبغت بها كلّ مرحلة، "بيلربايات، باشوات، أغوات، دايات"، فهي في الأصل ألقاب شرفية، تحوّل البعض منها إلى رتب ووظائف عسكرية ومدنية. فكيف يُصبح اللقب الشرفي أو الرتبة أو الوظيفة وصفاً لمراحل مرّت بها ولاية عظيمة كولاية جزائر الغرب؟ إلا إذا كان المضمّر من هذا الفعل هو التقليل من شأن

وعظمة هذه الدولة. ولماذا لم تربط مراحل الحكم بالجنديّة البريّة (طائفة الإنكشاريّة) أو بالجنديّة البحريّة (طائفة رياّس البحر) أو بفئة المحليّين، ولم تسمّ المراحل باسمهم، عهد الإنكشاريّين وعهد رياّس البحر وعهد الحكّام المحليّين؟ خاصّةً وأنّ جلّ الإسطوغرافيا، سواء الأجنبيّة أو المحليّة، قد ركّزت على المنافسات التي كانت تحدث بين الجنديّتين: طائفة الإنكشاريّة وطائفة رياّس البحر، وكأنّ المراحل السّياسيّة لولاية عظيمة، شأن جزائر الغرب، مرتبطة بانتصار أحدهما على الآخر، وهذا نحسبه مبالغةً وإهانةً لمكانة الجزائر في تلك الفترة. وما زادنا تشبّهًا برأينا في تجاوز تلك التسميّات المرحليّة هو التداخل الذي رصدناه بين هذه الألقاب والرّتب في المراحل نفسها، فالبيروبايات كانوا يحملون لقب الباشا، وسمّي الدّيات بالباشوات عندما جمعوا بين السّلطتين، الأمر الذي دعانا إلى التّفكير في تجاوز تسمية المراحل بالألقاب والرّتب، من خلال معرفة آليات التّعاطي الفكريّ الإسطوغرافيّ المحليّ مع الأوضاع التي كانت تعرفها البلاد في تلك الفترة، سواء كان شعراً أو نثراً، مناوئاً أو موالياً، ثمّ تحديد الأطوار التي عرفتها الدولة الجزائريّة في العهد العثمانيّ، متبّين في ذلك الطّرح الخلدونيّ، حيث قمنا بإسقاط النّظريّة الخلدونيّة حول مراحل ونشأة الدولة على أحداث جزائر الغرب في العهد العثمانيّ، وتمكّنا من تحديد خمس مراحل بخصائصها، وهي مراحل مبنية على نظريّة عربيّة لا غربيّة، ملائمة للبيئة العربيّة لا البيئة الغربيّة، ومنطلقة من الإسطوغرافيا المحليّة، فجاءت المراحل مغايرةً تماماً للمراحل الاستشراقية المعهودة. وللاستتارة أكثر حول هذه المسألة يُمكن العودة إلى المبحث الرّابع من الفصل الثالث الخاصّ بمراحل وسياسة الحكم في جزائر الغرب أثناء العهد العثمانيّ، ضمن رصد وتحليل ونقد لأنساق المضمرّة في النصوص الخطابيّة لموجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقية) والموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانيّة استشهداً، مع مقترح أطوار جديدة لمراحل الحكم على ضوء النّظريّة الخلدونيّة.

نُبادر الآن إلى عرض العمل الأصيل الثّاني، الذي تجاوزنا فيه السرد التّاريخيّ المعهود، حيث قمنا بدراسة الجنديّة البريّة (طائفة الإنكشاريّة) دراسةً تكامليّةً تاريخيّةً وأنثروبولوجيّةً - سوسيوولوجيّةً، مكنتنا من إسقاط نظريّة العالم الفرنسيّ فان جنب Van Gennep الخاصّة بطقوس العبور عليها بطريقة أصيلة، حيث اعتبرنا أنّ التّجنيد ضمن الجنديّة البريّة من الطّقوس والمسائل الرّمزيّة التي يُمكنها أن تؤسّس للنسق السّلطويّ من خلال خلق مراكز اجتماعيّة للأفراد العابرين الذين تُمارس عليهم طقوس العبور، وتمنحهم امتيازات كثيرة لا تحصى، من بينها الحصول على مكانة اجتماعيّة معترف بها تضبط الحقوق والواجبات في السّلم الاجتماعيّ، وتتخذ دلالات

ومعاني وظيفية في المتخيل الجمعي. ثم استعرضنا المراحل الخاصة بالتّجديد بغية معرفة كيفية مساهمة هذه الطّقوس ورمزيتها في منح المجنّدين الامتيازات الدّالة على المكانة الاجتماعيّة داخل الجندية، حيث تتغيّر منزلة المجنّد الاجتماعيّة من خلال تطبيق إجراءات طقوسية، تنتقل به من مرحلة إلى أخرى، وتنتهي بحصوله على امتيازات محدّدة كعضو في جماعة الجندية، وتتخصّص في ثلاث مراحل زمنيّة: المرحلة التمهيدية أو الانفصالية عن الوضع الأول «préliminaire- séparation»، ثمّ المرحلة الاستهلاكية الهامشية، أي على العتبة «liminaire-marge» وهناك من يسمّيها المرحلة الإعدادية للدّخول إلى المكانة الجديدة، وفي الأخير المرحلة الختامية أو الاندماجية أو التّجميعة، أو الانضمامية إلى الوضع الجديد «postiliminaire-agrégation». للتعقّق أكثر يُمكن العودة إلى المبحث الخامس من الفصل الثالث الخاصّ النّظام العسكريّ بشقيه ومسألة الأسرى في جزائر الغرب أثناء العهد العثمانيّ، ضمن رصد وتحليل ونقد لأنساق المضمرّة في النّصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الإستشراقية) والموسوعة الإسلاميّة (باللّغة التّركية) وقف الديانة التّركية) والوثائق العثمانية استشهدا.

أمّا العمل الأصيل الثالث، فقد تناول مغالطة تاريخية لازالت سائدة إلى يومنا هذا ومتداولة من قبل العديد من المؤرّخين والباحثين في تاريخ جزائر الغرب في العهد العثمانيّ، وتتمثّل في الرّسالة الثانية التي صاحبت رسالة أهالي وأعيان الجزائر إلى السّلطان العثمانيّ سليم الأول عام 1519م، حيث ذكر المؤرّخ التّركيّ أحمد آق كوندز في مؤلّفه "الوثائق تنطق بالحقائق"، والذي نهل منه العديد من الباحثين والمؤرّخين العرب والمحلّيين، أنّه تمّ تدعيم رسالة أهالي الجزائر برسالة أخرى حُطّت من قبل شخصين هما: عبّيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم في الجزائر وخادمه محمّد بن منصور الحلبي: "وقد تمّ إرسال رسالة أخرى من قبل عبّيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم في الجزائر وخادمه محمّد بن منصور الحلبي، وقد شرحا في هذه الرّسالة مدى ضخامة المحن والمشكلات التي صادفوها قبل وصول خير الدين حتى أشرفا على الهلاك".¹ وهنا تكمن المغالطة المهمّة، إذ وبمقارنتنا بين ترجمة المؤرّخ التّركيّ أحمد آق كوندز والمؤرّخ العراقيّ الأستاذ الدكتور فاضل بيات وجدنا أنّ الأول لم يفهم صياغة الوثيقة باللّغة العثمانية والتي تبدأ دوماً بعبارات الثّناء، حيث اعتبر أنّ من أرسل الرّسالة الثانية شخصان هما: عبّيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم في الجزائر وخادمه محمّد بن منصور بن علي

¹ أحمد آق كوندز، الوثائق تنطق بالحقائق، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، 2014م، ص135

الحلبي، بينما الصحيح أنهما شخص واحد وهو محمد بن منصور الحلبي أما "عبيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم" فهي عبارات تشريف تسبق الاسم، وقد كانت هذه العبارات متداولة في الرسائل في تلك الفترة، غير أن الترجمة غير الصحيحة أخذت بالمعنى وسأقت مغالطة لازالت متداولة إلى يومنا هذا، على أساس أن المرسل شخصان وليس شخص واحد. ولفهم حيثيات هذه المغالطة يمكن العودة إلى المبحث الأول من الفصل الثالث الخاص ببواكير التثاقف التاريخي الجزائري-العثماني وأنساقه المضمرة ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي").

ننتقل الآن إلى العمل الأصيل الرابع، حيث تناولنا مسألة خيانة المجاهد حسن آغا الطوشي وتعاونيه مع الملك شارل الخامس من أجل تسليمه مدينة الجزائر، وهي مسألة غاية في الأهمية تناولها المؤرخون الغربيون والجزائريون بوجهات نظر مختلفة، حيث ذكرت المؤرخة كورين شوفالييه أن مؤرخي القرن 19م، أمثال غرامونث، زعموا بأن المجاهد حسن آغا قد تواطأ سرا مع الإسبان، ووعدهم بتسليم مدينة الجزائر. أما المؤرخة عائشة غطّاس فقد ذهبت إلى أن مؤرخي الغرب قد حاولوا تبرير فشل الملك الإسباني، فنسجوا وأحاكوا فكرة تفاوض واتفاق حول تسليم مدينة الجزائر إلى الإسبان، مستندين في ذلك إلى عبارات وردت في رسائل إسبانية تعود إلى عام 1542م. وبين المؤرخة كورين شوفالييه التي صعب عليها تنفيذ خيانة المجاهد حسن آغا، حيث أرجعت سبب المراسلات بين الإمبراطور والمجاهد إلى اتفاقيات تجارية ومبادلة للأسرى، والمؤرخة عائشة غطّاس التي لم تستطع تنفيذ ذلك أيضاً، حيث اقتضت على ردة فعل المجاهد حسن آغا واستماتته في الدفاع عن مدينة الجزائر كمبرر دال على عدم خيانتته، وجدنا أنفسنا أمام رغبة ملحة في دحض تلك المغالطة، وقد حققنا ذلك بناءً على النصوص التاريخية الواردة في مذكرات خير الدين بربروس حول هذه المسألة، والصرحة أنه كان بإمكانهما دحض تهمة الخيانة بالعودة إلى هذه المذكرات التي تناولت الحملة والخيانة المزعومة باستفاضة، ونحن لا نقصد النسخة العربية التي بين أيدينا، بل النسخ القديمة منها، والتي كانت متوفرة بلغات مختلفة، فقد نُشرت المذكرات بعد أن تم تحويلها إلى رواية ملحمية من قبل الكاتب التركي أرتوغرول دوزداغ *Ertuğrul Diüuzdağ* عام 1975م، بعنوان "مذكرات بربروس خير الدين باشا"، ثم نُشرت باللغتين التركية الحديثة من قبل المؤرخ التركي يلماز أوزتونا في ستينات القرن الماضي على شكل مقالات، ثم جُمعت ونُشرت في كتاب مستقل عام 1989م، بعدها قامت قيادة البحرية التركية بنشر هذه المذكرات عام 1995م باسم "غزوات خير الدين باشا"، وابتداءً من القرن 19م تمت ترجمة الكتاب إلى لغات

عديدة منها المجرية، الإيطالية والإسبانية. وهنا نتساءل كيف أن المؤرخة كورين شوفالييه لم تستطع دحض مسألة خيانة المجاهد حسن آغا المزعومة رغم أنها ذكرت في مقدمة كتابها "الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510-1541م" أنها اعتمدت على وثيقة غزوات خير الدين باشا، واعتمدت أيضاً على الرسائل الإسبانية المحفوظة في أرشيف سيموناكس، مع العلم أن مذكرات المجاهد خير الدين باشا كانت مترجمة إلى اللغة الإسبانية؟ وللاستزادة أكثر، يُمكن مراجعة المبحث الثاني من الفصل الثالث الخاص بالحملات الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات ولاية الجزائر ضمن تحليل ونقد للأنساب المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً.

أما العمل الأصيل الخامس، فيخص اعتماد جلّ المؤرخين المحليين والغربيين على تقسيم جزائر الغرب في نهاية العهد العثماني، وأساسه تقسيمها إلى 04 بيلكات وهي دار السلطان، بايلك التيطري المدينة، بايلك الشرق قسنطينة، بايلك الغرب وهران. لكننا تجاوزنا هذا التقسيم المعروف، وعرضنا التقسيم الذي كان شائعاً في البداية، اعتماداً على مؤلف المؤرخ العراقي الأستاذ الدكتور فاضل بيّات "الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً، مطلع العهد العثماني -أوسط القرن التاسع عشر"، واعتماداً أيضاً على الوثائق العثمانية المترجمة من قبله؛ حيث وجدنا أن المصطلح الذي كان شائعاً عام 1550م للدلالة على البيلك في جزائر الغرب هو مصطلح الألوية/ لواء، وقد عرفت جزائر الغرب في تلك الفترة 07 ألوية، تمت التّعيينات فيها بمصادقة السلطان العثماني سليمان القانوني وهي: لواء قلعة المهدية، لواء المدينة، لواء تنس، لواء الشرق، لواء بلد العناب (عناية)، لواء قلعة وسربة، لواء الجزائر الخاص بالبكريكي. وقد عُهد لواء المهدية إلى المجاهد طرغود ريس في ماي 1550م، وعهد بلواء المدينة إلى بيالة بك كتحدا حسن باشا ابن المجاهد خير الدين باشا، ولم ترد السنة التي عُهد بها إليه. أما لواء تنس فقد عُهد به إلى محمّد بك كتحدا حسن باشا ابن المجاهد خير الدين باشا في 27 أكتوبر 1550م، كما عُهد بلواء الشرق إلى صفا بك، وهو من رجال المجاهد خير الدين باشا، في حين عُهد بلواء بلد العناب إلى عثمان بك، وهو من رجال حسن آغا، أمير لواء الجزائر السابق، ثم عُهد به إلى حسن بك المعزول عن لواء المهدية في 27 أكتوبر 1550م، وقد عُهد هذا اللواء أيضاً إلى قايد محمّد عام 1571م. أما لواء قلعة وسربة؟ فكان في عهدة سليمان، ولم يتمّ ذكر رتبته ولا عام حكمه. وظلّ هذا التقسيم موجوداً إلى غاية 1583م،

أين تمت الإشارة إلى لواء تنس في الدفتر العثماني رقم 262 الخاص بتقليد السناجق/ الألوية، بالخصوص في حقل إيالة طرابلس الغرب، حيث ورد فيه أن لواء جربة قد عُهد به في 1583م إلى محمد بك المعزول عن سنجق تنيس (تنس)، بالرغم من أنه في الدفتر نفسه، وفي حقل جزائر الغرب الذي دُونت فيه التَّعيينات أواخر القرن 16م، لم يرد فيه من ألوية جزائر الغرب سوى 03، وهي: لواء الجزائر، لواء قسنطينة ولواء بلد العنَّاب، والرَّاجح حسب المؤرِّخ الأستاذ الدكتور فاضل بيات أن عدم إدراج أسماء الألوية الأخرى يعود إلى إجراء التَّعيينات فيها دون الإشارة إلى اسمها أو إلى عدم إجراء التَّعيين فيها من قبل مركز الدولة. ثم أضيفت ألوية أخرى إلى الألوية السبعة المذكورة سابقاً عام 1584م، حيث وجدنا في الوثائق العثمانية لواء تلمسان، وألوية أخرى أُضيفت لاحقاً، منها لواء بسكرة، ولواء قسنطينة، عام 1595م. وثمة لواء آخر ورد عام 1640م ضمن التَّشكيلات الإدارية لولاية جزائر الغرب، تحت اسم "إمارة حجّ جزائر الغرب"، وقد عُهد بهذا اللّواء إلى الشيخ زين العابدين حسين. واستمرّ تدوين التَّعيينات الخاصّة بالألوية في دفتر تقليد السناجق/الألوية إلى غاية القرن 18م، لكن دون الإشارة إلى أسماء الألوية التابعة لها، ويعود السبب في ذلك إلى أن أمراء الألوية/السناجق/البيالك أصبحوا يُعيّنون من قبل دايات الجزائر الذين تولّوا البكبركية ومُنحوا لقب الباشوية، بعدما تمّ توحيد مناصبي الداي والبكبركية. وللتوسّع أكثر حول الموضوع يُمكن العودة إلى المبحث الثالث من الفصل الثالث حول التَّنظيم الإداري لجزائر الغرب، ضمن تحليل للألساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً.

وبخصوص العمل الأصيل السادس، فقد تمثّل في إمطة اللّثام عن مغالطة سقط فيها العديد من المؤرّخين والباحثين أمثال المؤرِّخ أحمد توفيق المدني والمؤرِّخة عائشة غطّاس والمؤرِّخ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو، ومن تبعهم من الباحثين. حيث أنهم لم يفرّقوا بين الشيخ ابن القاضي وبين ابنه ابن القاضي الذي يحمل الاسم نفسه، فالذي أحاك الدسائس ضدّ المجاهد خير الدّين باشا لم يكن صديقه الشيخ أحمد بن القاضي الغبريني بل ابنه ابن القاضي، وهذا حسب ما ذكره المجاهد خير الدّين باشا في مذكراته، مبيّناً أنّ ابن القاضي كان أحد عظماء العرب بالجزائر، وكان يُكنّ له قدراً كبيراً من الصّدق والمودّة، وقد حاول سلطان تونس أن يُحرّضه للخروج عليه إلاّ أنّه لم يوافق على ذلك، لكنّه تُوفّي وحلّ محلّه ولده الذي يدعى ابن القاضي أيضاً، والذي اتفق مع سلطان تونس ضدّ المجاهد خير الدّين باشا. فالمتمرّد المنشقّ إذاً هو الابن

ابن القاضي وليس الشَّيخ ابن القاضي، وللمزيد من المعلومات حول هذه المسألة يُمكن مراجعة المبحث الأول من الفصل الثالث بخصوص بواكير التثاقف التاريخي الجزائري-العثماني وأنساقه المضمرّة ضمن موجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقية) والموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة "وقف الديانة التركي").

ويتلخّص العمل الأصيل السابع في دراسة تناولت أعمال المؤرّخ الجزائري ناصر الدين سعيدوني الموجودة في الموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة)، والتي ظلّت مجهولة، وغير مرصودة ضمن سيرته العلميّة المعروفة، حيث عثرنا على تأليفين موسوعيّين من إعداده: الأول حول مادّة "الجزائر" والثاني حول مادّة حياة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري"، وقد عكست هذه الأعمال بدايات تشكلّ الذات التاريخيّة عند المؤرّخ ناصر الدين سعيدوني عام 1990م. وقد ارتأينا نفض الغبار عن العمل العلميّ الموسوعيّ الخاصّ بمادّة "الجزائر" الموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة "وقف الديانة التركي") وتعريف الباحثين به، بغية فهم خبايا وكواليس هذا التّأليف والمرتكزات العلميّة التي استند عليها المؤرّخ في تأليف مادّته الموسوعيّة، إضافةً إلى الجوانب الإجرائيّة التي رافقت عمليّة التّأليف منذ إرسال المادّة وإلى غاية طبعتها، دون أن ننسى الخطّة التي اعتمد عليها في تأليف كتاباته الموسوعيّة كتجربة علميّة جديدة بالنسبة إليه، والمصادر التي اعتمد عليها في بناء مادّته التاريخيّة. وقد حرصنا على عرض الوثائق الأصليّة المتعلّقة بكتابة مادّة "الجزائر". وللاستزادة أكثر يُمكن العودة إلى المبحث الثالث من الفصل الأول الخاصّ ببدايات تشكلّ الذات التاريخيّة عند المؤرّخ ناصر الدين سعيدوني، التّأليف الموسوعيّ أنموذجاً.

وأخيراً العمل الأصيل الثامن، والمتمثّل في تصويب المصطلحات العثمانيّة المتداولة في المؤلّفات الإسطوغرافية الجزائريّة عن العهد العثمانيّ؛ حيث عرضنا المصطلحات المتداولة وإلى جانبها المصطلحات المصوّبة بناء على ترجمة المؤرّخ العراقي الأستاذ الدكتور فاضل بيّات المتخصّص في ترجمة الوثائق العثمانيّة ومن ثمّ المصطلحات العثمانيّة. للاستزادة أكثر يُمكن مراجعة فهرس المصطلحات العثمانيّة المعرّبة ذات التّأصيل العثمانيّ/ الفارسيّ ومعانيها آخر أطروحتنا.

أمّا عن الجديد الذي أضافته الوثائق العثمانيّة المترجمة حصراً إلى اللّغة العربيّة نهاية عام 2019م، (ما عدا رسالة أهالي الجزائر إلى السّلطان العثمانيّ سليم الأول طبعا والتي تُرجمت من قبلُ وأعاد ترجمتها الأستاذ الدكتور فاضل بيّات بأسلوبه) ضمن العمليّة التركيبيّة

للأحداث التاريخية حول جزائر الغرب، فيمكننا القول أن الوثائق العثمانية التي وظفناها في بحثنا قد بلغ عددها 71 وثيقة مترجمة من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية حصراً من قبل المؤرخ والمترجم العراقي الأستاذ الدكتور فاضل بيات، حيث تناولت مواضيع جديدة عن جزائر الغرب لم يسبق تناولها من قبل (ما عدا رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني سليم التي أعاد ترجمتها بأسلوبه)، وقد وظفناها في مسألة بواكير التثاقف التاريخي الجزائري-العثماني، وفي مسألة الحملات الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات ولاية الجزائر، وفي مسألة التنظيم الإداري، ومراحل وسياسة الحكم في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني، ومسألة النظام العسكري بشقيه ومسألة الأسرى كذلك، وللاستزادة أكثر يُمكن الرجوع إلى ترجمة الوثائق العثمانية الموجودة في الفصل الثالث وإلى نسخ الوثائق العثمانية الأصلية الموجودة في قسم الملاحق.

والحاقاً بالوثائق العثمانية وظفنا صورَ خرائط أصلية للرحالة الجغرافي العثماني بيبي ريس Piri Reis حول جزائر الغرب في بداية التحقاها بالدولة العثمانية، حيث ترجمناها حصراً إلى اللغة العربية بمساعدة المؤرخ العراقي الأستاذ الدكتور فاضل بيات، ورصدنا من خلالها أسماء وأماكن مدن جزائرية، منها المعروفة ومنها غير المعروفة، وأسماء وأماكن بعض الألوية التي عرضناها سابقاً في الوثائق العثمانية. للاستزادة أكثر يمكن مراجعة المبحث الثالث من الفصل الثالث حول التنظيم الإداري لجزائر الغرب، ضمن تحليل للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) والوثائق العثمانية استشهداً.

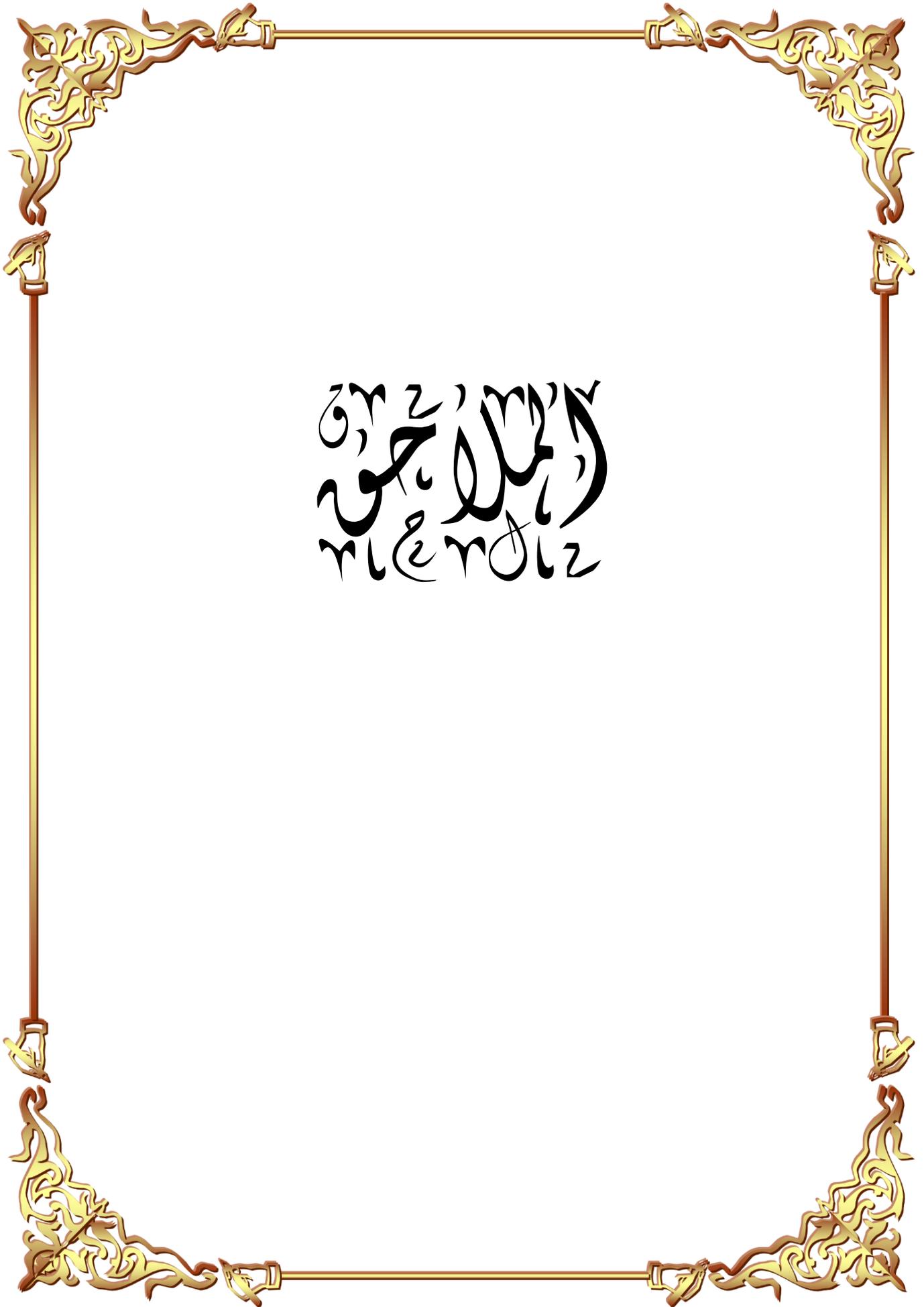
ويُمكن عرض المسائل الموجودة في الوثائق العثمانية التي وظفناها في أطروحتنا على النحو التالي: رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول يُناشدونه الانضواء تحت لواء الدولة العثمانية. إشادة أمراء ولاية جزائر الغرب وأعيانها وقادة العسكر بجهود البكركي علي باشا وكتخده، وتأكيد مركز الدولة على مكانة جزائر الغرب، مع الأمر بامتنال منتسبي القوات المسلحة بأوامر البكركي الجديد. الإبلاغ عن استقرار الأوضاع في ولاية الجزائر، وتنعّم الأهالي بالأمن والأمان، مع الأمر بتظافر الجهود في هذا الصدد. الإشادة بجهود بكركي جزائر الغرب في تدمير القلاع والأبراج في الولاية. وصول بكركي جديد إلى جزائر الغرب، والإبلاغ عن قيامه بضبط وحماية الرعايا وحفظ وحراسة العسكر، مع الأمر بتحقيق المزيد. التأكيد على ضرورة حفظ وحراسة جزائر الغرب وراحة الأهالي، والأمر برصد تحركات العدو ومعرفة أخباره وأوضاعه. أمر إلى بكركي جزائر المجاهد حسن باشا بتهيئة الأسطول الجزائري من أجل المشاركة في الحملة المزمع شنّها لفتح قلعة مالطا. الأمر بتعيين برتو باشا قائداً على الحملة العسكرية لفتح قبرص، مع أمر آخر

إلى بكربكي جزائر الغرب عرب أحمد بالمشاركة بقواته في الحملة والانضمام إلى القائد، إشارة لجاهزية أسطول قليج علي باشا للمشاركة في حملة فتح قبرص، إشارة إلى أن الوزير برتو قد أرسل رسالة إلى السلطان يُخبره فيها أنه وصل إلى جزيرة آغريبور الكائنة في بحر إيجه، وأن قليج علي باشا بكربكي جزائر الغرب قد التحق به مع سفن الولاية وقواتها، وقد توجه هذا الأخير إلى أسطول العدو مستهدفاً الإغارة على جزرهم. أمر بكربكي جزائر الغرب عرب أحمد، وبكربكي طرابلس الغرب بتجهيز أساطيلهم بالمعدات والأسلحة اللازمة، والاستعداد لإرسالها إلى سواحل تونس. أمر إلى بكربكي جزائر الغرب بالتوجه على رأس جنود الولاية إلى تونس عن طريق البر. أمر إلى بكربكي طرابلس الغرب بالتوجه على رأس جنود طرابلس إلى تونس والالتقاء بقوات جزائر الغرب. أمر إلى بكربكي جزائر الغرب، والأمراء وغيرهم من أعيان الجزائر بالعمل على حفظ وحراسة البلاد، والأمر بالتحاق القوات البحرية الجزائرية بالأسطول العثماني من أجل حملة حلق الوادي بتونس. أمر إلى ولاية جزائر الغرب وطرابلس الغرب وتونس للمشاركة مع قواتهم في الحملة التي يقودها سنان باشا لفتح قلعة حلق الوادي بتونس. أمر إلى بكربكي جزائر الغرب قايد رمضان بإرسال ألف قطعة من الخيم إلى الجزائر بغية توزيعها على الجنود المشاركين في حملة سنان باشا على قلعة حلق الوادي بتونس. أمر تعيين بكربكي جزائر الغرب قليج علي باشا قائداً للقوات البحرية وواليا على الجزائر، وإسناد ولاية جزائر الغرب إلى حسن باشا بن خير الدين باشا، وفي حالة اعتذاره اختيار أحد الأمراء الأكفاء محلّه. أمر أرسل إلى آغا الإنكشارية وكتخدا الإنكشارية، ورؤساء البلوك، ورؤساء الأود والإنكشارية في جزائر الغرب لإبلاغهم بنقل بكربكي جزائر الغرب قليج علي باشا من الجزائر وإحلال أحمد باشا (عرب أحمد) محلّه، إضافة إلى الأمر بالتقيّد التام بأوامره والتوافق معه. أمر بتعيين أمير سنجق تونس السابق القائد رمضان واليا على جزائر الغرب. إشادة أمراء ولاية جزائر الغرب وأعيانها وقادتها العسكر بجهود البكربكي قليج علي باشا، مع تأكيد مركز الدولة على مكانة ولاية الجزائر والأمر بامتنال منتسبي القوات المسلحة فيها بأوامر البكربكي الجديد. إخبار أحد الزعماء المحليين في الجزائر بتعيين عرب أحمد باشا والياً على الولاية ومطالبته بإجراء ما يقتضيه الشرع، وضبط البلاد وحفظها وحسن التعامل مع الأهالي. أمر بالتعيينات في ولاية جزائر الغرب؛ حيث ناشد الحاج مراد بك الديوان استصدار أمر سلطاني بتعيينه "أمير سنجق على لواء المدينة" بجزائر الغرب والتصرف به مثلما كان يتصرف أمير السنجق السابق المتوفى يحي بك. أمر بمنع قائد السباهية في لواء قسنطينة بجزائر الغرب من منح الأراضي المخصصة لقادة السباهية لأبنائه (أسلوب التيمار) والحيلولة دون التدخّل في شؤون هذه الأراضي. أمر يدلّ على تعرّض بعض المقاطعات للتجاوزات من قبل بعض الأشخاص بغية جعلها زعامات لهم، ممّا أدى إلى حرمان الجند من مواردها وحدوث مضايقة مالية في الولاية، وقد صدر الأمر بتطبيق نظام الالتزام الخاص بالمقاطعات المخصصة مواردها للجند في ولاية الجزائر، ومنح أماكن مناسبة للمعزولين من أمراء السناجق. إبلاغ دفتردار المال في ولاية الغرب بالتجاوز على المال العام من قبل ولاية الجزائر وتونس وطرابلس، والمطالبة السلطانية بالصرف على الجند بما يكفي، والاحتفاظ بالمتبقي من الموارد لصرفه على احتياجات الولاية عند الحاجة؛ وهو دليل حفظ مال الولاية في خزينة الولاية لتغطية نفقاتها وعدم إرساله إلى مركز الدولة العثمانية. أمر بفصل إدارة الشؤون المالية لولايات جزائر الغرب وتونس وطرابلس الغرب عن بعضها البعض، وإجراء عملية تحرير في ولاية

الجزائر غرب في حالة عدم اعتراض الجند والأهالي عليها، واستخدام من يتحلّى بالنزاهة في جمع وتحصيل المال الميري (مستحقّات الدولة). وثيقة عثمانية خاصة بالألوية/لواء/سنجق/بيك في جزائر الغرب عام 1550م، وهي 07؛ لواء قلعة المهدية، لواء المدينة، لواء تنس، لواء الشرق، لواء بلد العتاب (عنابة)، لواء قلعة وسربة؟، لواء الجزائر. أمر بتعيين بكلربكي جزائر الغرب قليج (علج، علوج، أولوج) علي باشا قائدا للقوات البحرية، مع إسناد ولاية جزائر الغرب إلى المجاهد حسن باشا بن خير الدين باشا، وفي حالة اعتذاره يتم اختيار أحد الأمراء الأكفاء محلّه. أمر بتعيين المجاهد حسن باشا والياً على الجزائر؛ وذلك لكمال شجاعته وحسن فراسته، مع الاستفسار عن سبب عدم التحاقه بالوظيفة. حكم إلى القبودان قليج علي باشا للسؤال عن ظروف المجاهد حسن باشا الذي عُيّن والياً على جزائر، ولم يُباشِر عمله. حكم خاصّ بادعاء حكومة فاس بتبعية منطقة فلاوسن بلواء تلمسان لها؛ حيث أرسلت جنودها الذين عاثوا فيها فساداً، وقتلوا مشايخ العرب المُعيّنين من قبل الولاية لضبط الأمن، وتمّ منع جنود بكلربكي جزائر الغرب من تحصيل مستحقّات الولاية. الإبلاغ عن وقوع بعض الأماكن التابعة للميري في عنابة وقسنطينة وبسكرة وتنس وتلمسان والألوية الأخرى في ولاية جزائر الغرب بأيدي بعض الأشخاص، الذين تمكّنوا من استصدار أوامر من مركز الدولة بالتصرّف بها، وقد نتج عن ذلك عدم تحصيل مواردها التي كانت تُساهم في دفع رواتب الجند، وحصول مضايقات مالية في دفع مرتبات الجند. الأمر بتحصيل الرسوم العائدة للدولة والمفروضة على أمراء السناجق في جزائر الغرب. التأكيد على الاهتمام الذي تحظى به الولاية من قبل الدولة العثمانية، مع التبليغ بأسباب تعيين أحمد عرب باشا والياً على جزائر الغرب. الإعلام بتعيين أحمد عرب باشا والياً على الولاية، والمطالبة بإجراء ما يقتضيه الشرع وضبط البلاد وحفظها وحسن التعامل مع الأهالي. التأكيد على عدم التعدي على الممتلكات الفرنسية من قبل جنود جزائر الغرب وطرابلس الغرب حسب ما تقتضيه المعاهدة المبرمة بينهما، وتأديب كلّ من يخالف المعاهدة التي تربطهما. الأمر بعدم الإغارة على الأماكن التابعة للفرنسيين وعدم أخذ الأسرى، مع تأديب المخالفين له. الأمر بعدم المساس بالأماكن التابعة للفرنسيين وشؤون تجارتهم، والتأكيد على الإغارة على البلاد الإسبانية. الأمر بإلقاء القبض على أحد رؤساء السفن بعد قيامه بالإغارة على إحدى البورج الفرنسية، وطلب إرساله إلى مركز الدولة بإسطنبول. الأمر بإعادة موفد مركز الدولة المكلف بالتحرّي عن بضائع التجار الفرنسيين، بعد أن تمّ احتجازه من قبل البكلربكي السابق حسن فينزيانو. الإعلام بأنّ ملك فرنسا قد طلب دعماً من السلطان العثماني، والأمر بقيادة سفن جزائر الغرب وتونس لدعم حملة فرنسا ضدّ إسبانيا. الأمر بمشاركة أسطول جزائر الغرب في الحملة المزمع شنّها لفتح قلعة مالطا، تعيين برتو باشا قائداً على الحملة العسكرية لفتح قبرص، وأمر بكلربكي جزائر الغرب عرب أحمد بالمشاركة بقواته في الحملة والانضمام إلى القائد. الأمر باتخاذ الإجراءات ضدّ المتمردين الذين يتعدّون على الدولة والأهالي في بسكرة. أمر زعيم بني عباس ببجاية بإبقاء الأوطان التي كان يتصرّف بها قبل تمرده في عهده. أمر حاكم زاوية أحمد بك بالمشاركة في الحملة العسكرية ضدّ الإسبان، من خلال تقديم المؤن الغذائية والمقاتلين والمعدّات الحربية، وتكريمه بخلعة سلطانية (قفطان). الإشادة بالخدمات التي أسداها الشيخ عباس (شيخ بني عباس) في ردع تمرد الأعراب في جزائر الغرب، وتكريمه بخلعة (قفطان) سلطانية. الأمر بعدم الاعتراض على أمير سنجق المدينة بولاية جزائر الغرب عند تجنيده مقاتلين من سواحل

الرومي للالتحاق بالأسطول الجزائريّ مع أسلحتهم ومعدّاتهم. أمر أمير فودة وبني عباس بحفظ وحراسة ولاية جزائر الغرب عند التحاق البكركي أحمد عرب باشا بالأسطول السلطانيّ. أمر أمير فودة بتوفير المؤن الغذائيّة للأسطول العثمانيّ المتوجّه لتحرير تونس والالتحاق بمقاتليه بالأسطول. أمر بكركي جزائر الغرب بتهيئة الأعداد المطلوبة من الجنديّة البريّة من المناطق المختلفة للولاية. أمر إلى ولاية جزائر الغرب وتونس وطرابلس الغرب للالتحاق إلى جانب قوّات ولاياتهم بالأسطول السلطانيّ بقيادة سنان باشا والامثال إلى أوامره. الموافقة على استبدال السفن الثّقيلة التي يمتلكها الأسطول الجزائريّ بسفن أخرى خفيفة مناسبة للعمليات الجهاديّة، وذلك نزولاً عند طلب بكركي جزائر الغرب قليج علي. أمر موجّه إلى صانع مجاديف القدرغوات بغية تزويد سفن الأسطول الجزائريّ بالمجاديف وذلك نزولاً عند طلب أمير سنجق المديّة بولاية جزائر الغرب. الأمر بتوفير طلب المجاهد حسن باشا، والتمثّل في توفير 30 قطعة من السفن للذهاب بها إلى جزائر الغرب، تلبية طلب البكركي خضر باشا إبقاء سفينة حربيّة كانت قد أرسلت من إسطنبول إلى فاس في مهمّة. الإشادة بالدور الذي قام به قائد تلمسان بارمقسز مصطفى في فكّ الحصار المفروض على قلعة جزيرة أيامورة الواقعة إلى الغرب من اليونان في البحر الايوني ومكرماً إياه. تعيين آغا (قائد) وكتخدا الجنديّة البريّة لولاية جزائر الغرب من مركز الدولة العثمانيّة، والوعد بتزويدهم بعد التأكّد من كفاءتهم وإخلاصهم ونزاهتهم. أمر بعدم تبديل أغوات الإنكشاريّة ورؤساء الأود إلاّ بعد مرور 05 أو 10 أعوام على تعيينهم، وعدم الأخذ بعين الاعتبار الأوامر المشبوهة التي يُحضرها الجند بعد ثبوت فسادهم، والأمر بتقيّد الجنديّة البريّة (طائفة الإنكشاريّة) بأوامر أغواتهم، وعدم منحهم الترقية إلاّ بعد استماتتهم في الخدمة السلطانيّة. الإبلاغ عن مطالبة الإنكشاريّة بالعلاوات على مرتباتهم بشكل مستمرّ، ممّا أدّى إلى عجز في موارد الولاية ومن ثمّ عجز في سدّ نفقاتها، مع الأمر بضبط العلاوات وعدم منحها إلاّ بعد تحقيقهم إنجازات عسكريّة في الحملات السلطانيّة. أمر إلى أمراء السناجق وقادة الجنديّة البريّة بالامثال لأوامر البكركي بخصوص الأمور المتعلّقة بالعلاوات الماليّة والترقيات، وعدم مراجعة الديوان الهمايوني بهذا الشأن. أمر إلى بكركي جزائر الغرب وقاضيهما للتبليغ عن قيام الجنديّة البريّة بالتجاوز والتعدّي على الأهالي في جزائر الغرب خلافاً للشّرع والقانون، ويأمرهما فيه بإيقافهم عند حدّهم، والعمل على تقيدهم وامثالهم للشّرع والقانون. إبلاغ بكركي ولاية جزائر الغرب عن عزل آغا (قائد) الجنديّة البريّة، وحبسه بسبب تجاوزه على الأهالي وبتّ الفرقة بين الأمراء، وتمكّنه من الفرار والأمر بإنزال أفسى العقوبات عليه، وإرساله إلى إسطنبول إذا لم يتمّ إعدامه. أمر موجّه إلى بكركي جزائر الغرب وقاضيهما، متعلّق بتورط قائد تلمسان بأعمال الفساد والجرائم واعتدائه على الأهالي وتجاوزه على المال العامّ؛ حيث أمر السلطان باستدراجه وتقضي أحواله ومعاقبته في حالة ثبوت ما نُسب إليه. إعلام بالجهود والتّضحيات التي بذلتها الجنديّة البريّة في جزائر الغرب، والأمر بتكريمهم حسب استحقاقاتهم. الإشادة بإنجازات الجنديّة في بسط الأمن والأمان من خلال إخضاعها العشائر المتمرّدة، وامتنان البكركي بذلك والمطالبة بالاستمراريّة. الإشادة بالإنجازات العسكريّة التي حقّقتها الجنديّة البريّة الجزائريّة في حفظ البلاد، ودورها في المعارك وقمع حركات العصاة من الأعراب، والوعد بتكريمها حسب استحقاقات كلّ منتسب إليها. تلبية طلب بكركي جزائر الغرب حسن باشا ابن المجاهد خير الدين باشا إرسال 10 سفن لنقل الأسرى الموجودين في جزائر الغرب إلى إسطنبول. أمر بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين

الذين أسرههم اللّوند (الجنديّة البحريّة). أمر بإخلاء سبيل الأسرى الفرنسيين، وإعلام الجانب الفرنسيّ بذلك، مع توخي الحذر من أن يُستغلّ الأمر ويستفيد منه غيرهم. الإعلام بأنّ أحد رؤساء البحر قد أسر أحد الأمراء الأجانب واحتفظ به في ولاية جزائر الغرب، والأمر بإرساله إلى مركز الدّولة دون تأخير. الأمر بتدريب الأسرى مهارات حرفيّة تتعلّق بالسّفن، على أيدي الأسرى المحترفين للاستفادة من خبراتهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتِ
وَالَّذِي يُحْيِي الْمَوْتِ
وَالَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَوْتِ
وَالَّذِي يُدْخِلُ الْمَوْتِ فِي الْحَيَّ
وَالَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَوْتِ
وَالَّذِي يُدْخِلُ الْمَوْتِ فِي الْحَيَّ

S İ P A R I Ş v e T A K I P M Ü D Ü R L Ü Ğ Ü	Madde Kodu:		İlim Dalı:	Planlanan Hacim:*
	Madde Adı:			İlk Tetkike
	Yazarı: **			Gid.: Dön.:
	Değerlendirme:	<input type="checkbox"/> Ansiklopediye Girer <input type="checkbox"/> Ansiklopediye Girmez <input type="checkbox"/> Madde Terk	<input type="checkbox"/> Müellifince Tashih <input type="checkbox"/> Ek Telif ve İnceleme Gereksiz <input type="checkbox"/> Ek Telif ve İnceleme Gerekli	
	Ek Telif ve Inc. Uzmanı			Gidiş: Dönüş:
	Gelen Hacim*:		Adres: **	
	AÇIKLAMA:			
		e-mail:/Tif.:**		
		İlim Heyeti Bşk.		
		TE'LİF VE REDAKSIYON ÜCRETİ		Temlikname No:
Müellife	1 Kelime Sayısı: _____ Grup : _____	<input type="checkbox"/> Tam _____ <input type="checkbox"/> %20 _____		
Ödenen	2 Kelime Sayısı: _____ Grup : _____	<input type="checkbox"/> Tam _____		
Ek Telif ve Inc. Ücreti	3 Kelime Sayısı: _____ Grup : _____	<input type="checkbox"/> Tam _____		
	4 Kelime Sayısı: _____ Grup : _____	<input type="checkbox"/> %75 _____		
	ÖDENEBİLİR	ÖDEYİNİZ	TEM. TARİHİ	
1				
2				
3				
4				
	İnceleme Kurulu	Sipariş ve Takip Müd.	Muh. Müdürü	

الملحق رقم 02 (أ): أنموذج تقييم المادة الموسوعيّة المؤلفة.¹

¹ استخرج من مركز البحوث الإسلامية، إسطنبول، تركيا، 2017م.

MADDE TAKİP FORMU

Madde Adı:			 Sipariş ve Takip Müdürlüğü	
Kodu:	I. Dalı:	Görececek İ. Dalları:		
Sipariş Tarihi	Müellifi	Müelliften Geliş Tarihi		
Gidiş Tarihi	Madde Üzerinde Yapılan İşlemler	Dönüş Tarihi	İmza	
İLİM KURULU				
	İlk Tetkik (İlim Heyeti)			
	İlk Kontrol			
	Ek Te'lif ve İnceleme			
	Son Tetkik (İlim Heyeti)			
İNCELEME KURULU				
	İnceleme - 1			
	İnceleme - 2			
	Poşet Kontrol			
	İç Kontrol			
	Son İlimi Kontrol			
TEKNİK REDAKSİYON				
	Bibliyografya			
	İmla			
	Teknik Kontrol			
	Son Okuma			
	Yayım Kontrol			
DİZİLEBİLİR KONTROL				
	İlim Heyeti			
	İnceleme Heyeti			
Tesbit edilen kaynaklar:		İç atıflar:	Mad. yapılan atıflar:	
Hac.:	P. Hacim:	Gel. Hacim:	Son Hacim:	Y. Müdür Tes:
AÇIKLAMA:				

s.yenice

İsam/Sipariş ve Takip Müdürlüğü

الملحق رقم 02 (ب): أنموذج متابعة المادة الموسوعيّة المؤلّفة.¹

¹ استخرج من مركز البحوث الإسلاميّة، إسطنبول، تركيا، 2017م.

خطة تحرير المواد المتعلقة بالبلاد

أ- الفقرة التقديمية: الموقع، المساحة، مجموع عدد السكان، العاصمة، النظام الإداري، المدن الكبيرة الرئيسية و عدد سكانها)

ب- الجغرافيا الطبيعية والبشرية:

١- تضاريس سطح الارض

٢- المناخ و المحطة النباتية

٣- الانهار و البحيرات

٤- السكان و الوضع الاقتصادي

٥- اللغة

٦- الدين و الحياة الدينية

- عامة

- الاسلام

٧- الاقتصاد

- البنية الاقتصادية العامة

- موارد الدخل، الموارد الطبيعية

- الزراعة و تربية المواشي

- المعادن

- الصناعة

- التجارة

- المواصلات و وسائل الاتصال

- السياحة

ج- التاريخ:

١- ما قبل الاسلام

٢- العهد الاسلامي (عقود محمد الصنهاجيين)

٣- الفترة الاشرية

د- الحضارة و الثقافة:

١- الادب

٢- الفن (العسارة، الموسيقى، الرسم، الفنون اليدوية، الخ...)

٣- التعليم و التربية

٤- العلم و الحياة العلمية (الجامعات، المعاهد، المكتبات، الارشيفات، المتاحف، مراكز الابحاث، رجال العلم البارزون)

٥- المبادرات الفكرية

هـ- المصادر و المراجع:

ملحوظة:

يرجى ارسال الادوات اللازمة لكتابة مثل الرسم و الفلم و الصورة الشفافة و الصورة الفوتوغرافية و المخطوط و ما الى ذلك مع البيان اللزم تحتها ان يمكنكم ارسال او ارشادنا الى طريقة الحصول عليها.

الملحق رقم 03: وثيقة خطة تحرير مادة الجزائر، ملف الجزائر، مرفق الرسالة الأولى إلى الأستاذ

الدكتور ناصر الدين سعيدوني من قبل إدارة الموسوعة الإسلامية¹.

¹ استخرج من مركز البحوث الإسلامية، إسطنبول، تركيا، 2017م.

İçinde yaşadığı şartlar yüzünden düzensiz bir eğitim göremeyen Cezâiri, ilk bilgileri babasından ve Fransa'da iktimetleri sırasında yakın dostları olan Mustafa b. Tihâmi'den almış, daha sonra da Şam'da özellikle babasının sohbetlerinden faydalanmış, akaid, hadis ve nahve dair bazı bilgileri ondan öğrenmiştir. Ayrıca Şam'daki ulemâ ve âyanın meclislerine devam ederek bilgisini ve kültürünü arttırmıştır. Bazı sosyal faaliyetleri yanında çeşitli tarihî olaylarla fikhî meselelere ışık tutan eserler de kaleme alan Cezâiri İstanbul'da vefat etti.

Eserleri. 1. *Tuhfetü'z-zâ'îr fi me'âşiri'l-Emîr 'Abdülkâdir ve aḥbâri'l-Cezâ'îr* (İskenderiye 1903; Beyrut 1964). Cezâiri, 1890 yılında tamamlayıp Sultan II. Abdülhamid'e takdim ettiği, Fransız işgalini anlatan ilk Arapça eser olan bu kitabıyla şöhret bulmuştur. Cezayir ve Emîr Abdülkâdir'in cihadına dair geniş mâlumat ihtiva eden eser. Cezayir'in coğrafyası ve İslâmî dönemdeki tarihiyle ilgili bilgilerin yer aldığı girişten sonra iki bölüme ayrılır. Birinci bölümde Emîr Abdülkâdir'in Cezayir'deki mücadelesi (1830-1847) anlatılmakta, ikinci bölümde ise Abdülkâdir'in Cezayir'den ayrılışından vefatına kadar geçen hayatı (1847-1883) ele alınmaktadır. Cezâiri, eserin giriş bölümünde Cezayir tarihinin İslâmî döneminden bahsederken İbn Haldûn'un *el-İber*'i gibi bazı kaynaklardan faydalandığı halde Emîr Abdülkâdir'in mücadelesini ve Şam'daki hayatını anlatırken şahsî gözlemlerine, gazete haberlerine, resmî yazışmalara ve diğer bazı belgelere dayanmıştır. 2. *'İkdi'l-ecyâd fi ş-şâfinâti'l-ciyâd* (Dımaşk 1963). Müellif, atların vasıflarından ve eğitilmesinden bahseden bu eserini daha sonra *Nuḥbetü 'İkdi'l-ecyâd fi ş-şâfinâti'l-ciyâd* adıyla kısaltmıştır (Beyrut 1293, 1326).

Cezâiri'nin fikhî meseleler ve bazı fikrî konularla ilgili üç risâlesi *Mecmû'ur-resâ'ili ş-şelâş* adıyla yayımlanmıştır (Kahire 1327). Bunlardan biri *Zikrâ zevî'l-fazl fi mutâbakâti erkânî'l-İslâm li'l-'aql* adını taşımakta olup İslâmî esasların akla uygunluğu konusunu işlemektedir. *Keşfü'n-nikâb 'an esrâri'l-ḥicâb* adlı diğer bir risâlesinde İslâm'da örtünme (tesettür) meselesi ele alınmakta, *el-Tiryâk fi ta'addüdi'z-zevcât ve't-talâk* adını taşıyan üçüncü risâlede ise çok evlilik ve boşanma konusundaki görüşler tartışılmaktadır.

BİBLİYOGRAFYA :

İzâhu'l-meknân, II, 104, 638; Serkis, *Mu'cem*, I, 694; Brockelmann, *GAL Suppl.*, II, 887; Zirikli, *et-A'lâm*, VII, 82; a.e. (Fethullah), VI, 213; Kehhâle, *Mu'cemü'l-mü'ellifin*, X, 184; Âdil Nüveyhiz, *Mu'cemü' a'lâmi'l-Cezâ'îr*, Beyrut 1980, s. 110; *el-Kâmûsü'l-İslâmî*, I, 604-605.

▲ NÂSİRÜDDİN SAİDÜNİ

CEZÂLET

(جزالت)

Daha çok eski edebiyatta fesâhatla ilgili bir vasfı anlatan belâgat terimi.

Söylenişleri sert ve kalın olduğu için kulakta kuvvetli tesir bırakan kelimelerin kullanılmasını ifade eden bir terimdir. Kelimeler ses ve mâna münasebetleri bakımından belâgatta "elfâz-ı cezele" ve "elfâz-ı rakîka" diye ikiye ayrılmaktadır. Sadme, kazâ, rahşan, gazanfer, hitabet, gülbank, çekçek gibi kelimeler telaffuzlarındaki kalınlık ve çarpıcılık dolayısıyla elfâz-ı cezeleden sayılmaktadır. Bunun aksini ise yumuşak ve ince telaffuzlarıyla kulağa okşayıcı bir tesir yapan elfâz-ı rakîka meydana getirir.

Belâgat anlayışında güzel yazma ve söylemenin birinci şartı, seçilen kelimenin ifade edilmek istenen şey ve mânaya yakışması, ona uygun düşmesidir. Bundan dolayıdır ki savaş, kavga, hakaret, tehdit, korku vb. durumlar ifade edilirken ses ve âhenk bakımından bu halleri uygun düşecek kelimeler kullanmaya dikkat edilir. Bunlar anlatılanı hissettirip göz önünde canlandırmayı sağlar. Bu husus gerçekleştirildiğinde cezâlet meydana gelmiş olur. Sevgi, merhamet, şefkat, güzellik, hayranlık gibi hallerin ifadesinde ise kulakta elfâz-ı cezeleden çok farklı tesir bırakan, ince ve yumuşak sesli kelimeler kullanılır.

Bir metnin baştan başa sadece elfâz-ı cezele veya elfâz-ı rakîkadan ibaret olması beklenemez. Esas olan, hal ve şartların gerektirdiği kelimeleri seçmek ve bunları yerli yerinde kullanmaktır.

Kur'an-ı Kerim'de bu iki ifade tarzı da mevcuttur. Kıyamet gününden, cehennem azabından bahseden âyetlerde şiddet ifadesi olarak elfâz-ı cezele geçerken cennet, rahmet, lütuf ve mağfirret söz konusu olan âyetlerde de elfâz-ı rakîka yer almaktadır.

Elfâz-ı cezele ve rakîkadan birinin diğeri yerine kullanılması güzel olmayan bir tesir bırakır. Meselâ Nef'i'nin, "Ça-

lındı bâm-ı felekte nakkâre-i devlet / Pür etti debdebe-i müjde gûş-i eyyâmı" beytinde "debdebe" yerine "zemzeme" kullanılsa mânada büyük bir değişiklik olmamakla beraber cezâlet kaybolur. Aynı şekilde Muallim Nâci'nin, "Zülfüne verdikçe nesim ihtizâz / Üstüne titrer dil-i nâzîk-terim" beytinde de "nâzîk-terim" yerine "gam-perverim" denilebilirse de sözün rikkatı kaybolur. Bu sebeple özellikle eski edebiyatta bu hususa büyük önem verildiği görülmektedir.

BİBLİYOGRAFYA :

Ahmed Cevdet Paşa, *Belâgat-ı Osmâniyye*, İstanbul 1299, s. 17-19; Diyarbekirli Said Paşa, *Mizânü'l-edeb*, İstanbul 1305, s. 39; Muallim Nâci, *İstihâhât-ı Edebiyye*, İstanbul 1308, s. 15-17; Tâhir'ül-Mevlevî, *Edebiyat Lûgati*, İstanbul 1973, s. 30-31.

▲ KÂZİM YETİŞ

CEZAYİR

(الجزائر)

Kuzey Afrika'da müslüman ülke.

I. FİZİKİ ve BEŞERİ COĞRAFYA

II. TARİH

III. KÜLTÜR ve MEDENİYET

Akdeniz kıyılarından Büyük Sahrâ'nın güney kesimlerine kadar sokulan geniş toprakları ile, Afrika kıtasının alan bakımından Sudan'dan sonra ve çok küçük bir farkla ikinci büyük ülkesidir. Kuzeyde Akdeniz, doğuda Tunus ve Libya, batıda Fas ve Batı Sahrâ, güneydoğuda Nijer, güneybatıda Mali ve Moritanya ile çevrili olan Cezayir'in yüzölçümü 2.381.741 km², nüfusu 21,9 milyondur (1985; 1990 tah. 28 milyon). Resmî adı el-Cumhürîyyetü'l-



الملحق رقم 04 (أ): بداية مادّة "الجزائر" في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركیّة)¹

¹ İslam Ansiklopedisi, op, cit, vol 07, 1993, p483.

Cezayir şehri ülkenin en büyük ekonomik metropolüdür. Endüstri sektöründe çalışan iş gücünün % 30'u buradadır. 40.000 kişinin istihdam edildiği küçük ve orta ölçekli endüstri, yer yer rahatsız edici bir biçimde şehrin dokusuyla bütünleşmiştir. Yeni endüstri faaliyetleri ya şehir dokusunun kenarlarında, ya Ruybe Regâye'deki büyük endüstri bölgesinde, ya da son derece basit şekilde projelendirilmiş orta kırsal alanda toplanmıştır. Millî kuruluşların çok sayıda sosyal konutu da buradadır. Petrol dışında yıllık 5,5 milyon ton yük kapasiteli limanı ülkenin ticarî faaliyetleri için hayati öneme sahiptir. Buranın hinterlandı Sahrâ'ya kadar uzanmaktadır. Cezayir'de çeşitli faaliyetlerin yoğunlaşması, iş gücünün etkili biçimde toplanmasına sebep olmuştur. Ülkede yönetimdeki görevlilerin % 20'si, hizmetlerdeki % 25'i, tıp alanındaki % 42'si, ayrıca telefonların % 45'i bu şehirdedir.

Yöneticiler 1969-1983 arasında şehirleşme planlarını uygulamaya koyarak şehrin plansız gelişmesini denetim altına almaya çalıştılar. Bu konudaki iki ayrı teşebbüste de başarı sağlanamadı. Cezayir nüfusunun düzenlenmesiyle genel ve yönlendirme konularındaki plan 1975'te kabul edildi. Bu plan, Cezayir'in genişlemesinin bir bölge çerçevesinde organize edilmesini ve yeni merkezler kurularak başşehre yeniden biçim verilmesini öngörüyordu. Fakat gerekli malzemenin ve alt yapının yokluğu sebebiyle bu plan uygulanamadı ve 1979'da bundan resmen vazgeçildi. 1980'de önceki projenin yerine konulan bir başka proje de başarısız oldu.

Konut problemi de büyük boyutlara ulaşmıştır. Binalar eski ve yetersizdir. Yöneticiler 1980'li yıllarda 50.000 konut inşa etmek üzere geniş bir programı uygulamaya koyarak krizi atlattırmayı denediler. Başşehrin kenarında Şerâje'den Harrâş'a kadar uzanan şehirleşme alanı bu amaç için ayrıldı. Kamu imkânlarını aşan ve pahalı olan bu teşebbüs zamanında bitirilemediğinden nüfusun yoksul kesimi şehrin kenarına itilmiş ve siteler halinde şahsî inşaatlar yoğunlaşmıştır. Yöneticiler faaliyetlerini eski şehir dokusunun yeniden oluşturulmasına yöneltmişlerdir. Örnek olarak Sâhil'in yükseklikleri üzerinde tamamlanan Riyâzül-feth gösterilebilir. Bu faaliyet, körfez kıyısından alta kalan Hama mahallesinin düzenlenmesiyle birlikte yürütülmektedir. Burada kamuya ayrılmış olan 18 hektarlık bir alan üzerinde yeni millet meclisi binası, kongre sarayı, milletlerarası otel gibi yapılar inşa edilmiştir. Böylece ülkenin yeni siyasî merkezi tamamlanmıştır. Bu arada gecekonduların ortadan kaldırılması için de çalışmalar yapılmaktadır. Buna karşılık Kasbe'nin tarihî ve kültürel bir merkez haline getirilmesi için başlatılan iyileştirme çalışmaları başarılı olmadı.

Şehirde ulaşım şebekesinin düzenlenmesi son yıllara kalmış olup bu alandaki önemli faaliyetleri iki büyük arter oluşturur; bunlardan biri kıyı boyunca uzanan otoyol, diğeri Sâhil'in yükseklikleri üzerindeki yol genişletme çalışmasıdır. İkisi arasındaki zorunlu iççe geçişler ve birleşmeler havaalanına ve çevreye girişi kolaylaştırmıştır. Buna karşılık yığılma sebebiyle içerideki trafik akışının zorlukları, alanın baskıları ve yolların yetersizliği sebebiyle büyük sıkıntılar mevcuttur. Buna çözüm olacak metro inşa projesi ise ertelenmiştir.

BİBLİYOGRAFYA :

R. Lespes, *Alger: Etude de géographie et d'histoire urbaines. Collection du Centenaire de l'Algérie (1830-1930)*, Paris 1930; Comedor, *Développement de l'agglomération algéroise*, Alger 1970; a.m.f., *Plan d'orientation générale pour le développement et l'aménagement de l'agglomération d'Alger*, Alger 1976; F. Benattia, *Alger, agrégat ou cite, l'intégration citadine de 1919 à 1979*, Alger 1980; Cneru, *El Djaïr 1981: Données et perspectives*, Alger 1983; D. Lesbet, *La Casbah d'Alger, gestion urbaine et vide social*, Alger 1985; G. Mutin, "Aménagement et développement d'Alger", *Bulletin de la Société Languedocienne de Géographie*, Montpellier 1986, s. 298-318; J. J. Deluz, *L'Urbanisme et l'architecture d'Alger, aperçu critique*, Alger 1988.



GEORGES MUTIN

CEZAYİR-i BAHR-i SEFİD

(جزائر بحر سفید)

Osmanlı idarî teşkilâtında
XVI. yüzyılda kurulan bir eyalet.

Osmanlılar'ın Ege denizine açılarak adaları ele geçirmeye başlamaları idarî bazı meseleleri de beraberinde getirmişti. Çünkü Limni, Midilli, Eğriboz gibi yüzölçümü büyük adaların alınmasından sonra Rodos ve İstanköy'ün de ilhakı ile hâkimiyet sahası oldukça genişlemişti. O zamana kadar Gelibolu sancak beyi veya derya beyleri tarafından idare edilen donanmanın başına Barbaros Hayreddin Paşa'nın getirilmesinden sonra yeni bir idarî düzenleme yapıldı. 1533 yılında Cezayir Beylerbeyliği kuruldu. Bu

makam hem Kuzey Afrika hem de Ege adalarının idaresini içine alıyordu. Buraların gelir kaynakları kaptanpaşa sıfatı ile Hayreddin Paşa'ya bırakılmıştı. Onun ölümünden sonra muhtemelen Cezayir-i Garb ile Cezayir-i Bahr-i Sefid tabirleri ayrı ayrı kullanılmaya başlandı.

XVI. yüzyıl başlarına ait Osmanlı idarî teşkilâtını gösteren listelerde adı geçmemekle birlikte buranın Gelibolu merkez olmak üzere bir eyalet halinde teşkilâtlanması 1533'ten sonra oldu. 1568-1574 tarihli listelerde Cezayir-i Bahr-i Sefid veya Kaptanpaşa eyaletinin yedi idarî birime ayrıldığı görülmektedir. Bunlar Gelibolu, Eğriboz, Karlı-ili, İnebahtı, Rodos, Midilli, Sakız ve Cezayir-i Mağrib'den ibaretti. Daha sonraki listelere göre Cezayir-i Mağrib, Midilli ve Sakız eyalet içinde gösterilmezken buraya Mizistre, Koca-eli, Biga, İzmir ve civarını ihtiva eden Sığla sancakları bağlanmıştı. XVII. yüzyıl ortalarına ait listelerde ise Koca-eli yer almıyor, buna karşılık Sakız, Nakşa ve Mehdiye eyalete dahil bulunuyordu. Bu listelere göre eyaletin on sancağı has¹, üçü ise sâlyâne²liydi. Sâlyaneliler Sakız, Nakşa ve Mehdiye idi.

Eyaletin merkezi Gelibolu'ydu. Buradan elde edilen gelirlerin bir kısmı kaptanpaşaya aitti. Bunun yanında Eğriboz ve Midilli adalarının gelirleri ve ayrıca Sakız adasının ödediği yıllık peşin vergi de buraya gönderilirdi. 1537-1540 yılları arasında cereyan eden Venedik Savaşı'ndan sonra Ege adalarının büyük bir kısmı ele geçirildi ve bu durum 20 Kasım 1540 tarihli muahede ile tasdik edildi. Sakız adası da 1566 yılında Cenova Cumhuriyeti'ne bağlı idarenin elinden alınarak eyalete bağlanmıştı. Yalnız Tine adası 1715 yılına kadar alınamadı. Adaların her birisinin gelir durumu ve nüfusu için tahrir³ler yapıldı.

Adaların idaresinde zaman zaman zorluk çekildi. Kaçma ve saklanma imkânlarının elverişli olması sebebiyle korsanlar rahatlıkla faaliyetlerini sürdürdüler. Girit Harbi sırasında (1645-1669) bu yörede dört önemli deniz savaşı oldu. Venedik Cumhuriyeti donanmasını bu sularda yoğunlaştırdı. Ancak Türkler'in asker ve malzeme sevki hiçbir zaman durmadı. Türk denizciler başarısızlıklardan yılmayıp her savaş sonunda durumu lehlerine çevirdiler. Bu başarılarını Mora savaşları sırasında da gösterdiler, Girit adası civarında kalan son üç üssü ve Tine adasını da elde ettiler. Bazı devletlerden cesaret alan deniz korsan ve hay-

¹ الملحق رقم 04 (ب): نهاية مادة "الجزائر" في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركيبية).¹

¹ İslam Ansiklopedisi, op, cit, cilt 07, p500.

edebiyatçılarından Rıza Tevfik, Tanzimat'ta birlikte şiir ve edebiyat dahil hemen her alanda Batılılaşma'nın başladığı bir dönemde Encümen-i Şuarâ mensuplarının eski şiiri yeniden canlandırma gayretlerini boş bir çaba olarak değerlendiren Ahmet Hamdi Tanpınar da topluluğu eski şiirin son seçkin zümresi olarak görür. Encümen-i Şuarâ müdavimleri, asırlar boyunca yavaş yavaş oluşmuş bir şiir estetiğine zarar vermeden yenileşmeyi denemişlerdir.

BİBLİYOGRAFYA :

Hersekli Arif Hikmet Bey, *Divan* (haz. İbnülemin Mahmud Kemal), İstanbul 1335, hazırlayanın girişi, s. 18-22; İbnülemin, *Kemâlü'l-hikme*, İstanbul 1327; a.m.f., *Son Asır Türk Şairleri* (Encümen-i Şuarâ mensubu şairlerin biyografilerinde); İbrahim Necmi [Dilmen], *Târîh-i Edebiyyât Dersleri*, İstanbul 1338, II, 74, 120-130; İsmail Habib [Sevük], *Türk Teceddüd Edebiyatı Tarihi*, İstanbul 1340, s. 360-372; Ahmet Hamdi Tanpınar, *XIX. Asır Türk Edebiyatı Tarihi*, İstanbul 1967, s. 227-237; Banarlı, *RTE*, II, 973-975; Metin Kayahan Özgül, *Hersekli Arif Hikmet*, Ankara 1987, s. 8-23; a.m.f., *XIX. Asrın Özel Bir Edebiyat Mahfili Olarak Encümen-i Şuarâ* (doktora tezi, 1988), Gazi Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü.



The ENCYCLOPAEDIA of ISLAM

Leiden'de yayımlanan İslâm dini, kültürü, tarihi ve coğrafyasına dair ansiklopedi.

Avrupa'da Müslümanlık ve İslâm dünyası hakkında yayımlanan ilk ansiklopedinin, Barthélemy de Herbelot'un Doğu'yu çeşitli yönleriyle alfabetik maddele halinde incelediği *Bibliothèque orientale* adlı eseri olduğu kabul edilir (nşr. Antoine Galland, Paris 1697). Daha sonra T. P. Hughes *Dictionary of Islam* (London 1885) ve W. Beale *An Oriental Biographical Dictionary* (Kalküta 1881) adlı kitapları kaleme aldılar; ancak bunlar muhteva bakımından yetersiz küçük hacimli araştırmalardı. Milletlerarası bir çalışma olan *The Encyclopaedia of Islam* ise Batı'da XIX. yüzyılın ikinci yarısında yoğunluk kazanan şarkiyat faaliyetlerinin XX. yüzyılın başlarında ortaya koyduğu en önemli üründür. Bu yüzden daha sonraki yıllarda çeşitli edisyonlar yapıldığı gibi, ilgili milletler tarafından Türkçe, Arapça, Farsça ve Urduca'ya da çevrilerek yayımlanmıştır.

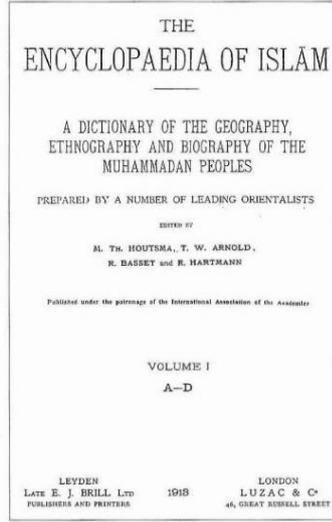
The Encyclopaedia of Islam (first edition, *EI*). 1892'de Londra'da yapılan Milletlerarası Şarkiyatçılar Kongresi'nde Wil-

liam Robertson Smith İslâmî bir ansiklopedi yayımlanması teklifinde bulundu ve teklifi kabul edilerek kendi başkanlığında on iki üyeli bir hazırlık komitesi oluşturuldu. Bir süre sonra Smith'in ölümü üzerine müteakip kongrede yerine Ignaz Goldziher görevlendirildi; ancak 1897'de Paris'te yapılan kongrede Goldziher istifa etti ve onun yerine Martin Theodor Houtsma seçildi. Aynı kongrede, aralarında Barbier de Meynard, Michael Jan de Goeje ve Ignazio Guidi gibi ünlü isimlerin bulunduğu İngiliz, Fransız, Alman, İtalyan, Rus, Macar, Avusturyalı ve Hollandalı ilim adamlarından meydana gelen yeni bir komite teşkil edildi. Hazırlanan örnek fasikül Roma'da yapılan kongrede benimsendi ve o sıralarda yeni kurulmuş olan International Association of Academies'in ilk toplantısında (Paris 1901) Leipzig, Münih ve Viyana akademilerinin teklifleri üzerine ansiklopedinin yayımlanması kabul edildi. Böylece en yüksek milletlerarası ilmi teşkilât tarafından da onaylanmış bulunan projenin yayın hazırlıklarına başlama aşamasına gelinmiş oldu. M. J. de Goeje'nin başkanlığında Houtsma'nın da editör olarak görev aldığı bir idare heyeti oluşturuldu ve bir alt komisyon kurularak

genel prensiplerin tesbitiyle görevlendirildi. Bu komisyon çalışmalarını 1902'de tamamladı. Ansiklopedi İngilizce, Fransızca ve Almanca olarak üç ayrı dilde yayımlanacak, fakat madde başlıkları Doğu dillerinde ve çoğunlukla Arapça olacaktı. Maliyet ise on yıl için 140.000-150.000 mark olarak hesaplandı. Projenin gerçekleştirme aşamasına gelmesi üzerine International Association of Academies'e üye akademilerin hemen hepsi, başta Hollanda olmak üzere sömürgeci Avrupa devletlerinin tamamı, bu devletlerin sömürge genel valilikleri ve deniz aşırı ticaret şirketleri, ayrıca Amerika Birleşik Devletleri'ndekiler de dahil din ağırlıklı eğitim veren bazı üniversitelerle çeşitli misyonerlik kuruluşları ansiklopedinin masraflarını karşılamayı taahhüt ettiler.

Ansiklopedinin yayın hakkı ve basım işi, kurulduğu 1683 yılından beri Arabyat alanında yazılan en önemli eserleri ve XIX. yüzyılın sonuna doğru da özellikle Christiaan Snouck-Hurgronje öncülüğünde yapılan geniş kapsamlı İslâm araştırmalarını yayımlamakla ünlü E. J. Brill (Leiden) yayınevine verildi. Ansiklopedinin ilk fasikül 1908'de yayımlandı; ancak Almanca tercümele sebebiyle tenkide uğradı ve bu dilin sorumlusu M. Seligsohn istifa etmek zorunda kaldı. I. cilt 1913'te tamamlandığında yayın kurulu Houtsma, T. W. Arnold, Rene Basset ve Richard Hartmann'dan, II. cilt çıktığında ise Houtsma, Arent Jean Wensinck, Arnold, Evarista Levi-Provençal ve W. Heffening'den oluşuyordu. 1930'da Arnold'un ölümü üzerine görevi Hamilton Alexander Roskeen Gibb'e verdi ve yayın kurulunda bir daha değişiklik olmadı. 1936'da *The Encyclopaedia of Islam* (*A Dictionary of the Geography, Ethnography and Biography of the Mohammedan Peoples*) adıyla dört büyük cilt, 5312 sayfa ve 6176 madde halinde yayını tamamlanan ansiklopediye 1939'da da bir ilâve cilt eklendi (1987'de eserin tamamının, ciltler ikiye bölünerek ve boyutları biraz küçültülerek *First Encyclopaedia of Islam* adı altında ve dokuz cilt halinde tıpkıbasımı yapıldı). 1934'ten sonra Heffening'in başlattığı isimler indeksi çalışması ise II. Dünya Savaşı sebebiyle tamamlanamadı. 1937'de Wensinck, ansiklopedinin Almanca bir özeti olan *Handwörterbuch des Islam* üzerine çalışma başlatmıştı; 1939'da onun ölümü üzerine Johannes Heindrik Kramers gö-

The Encyclopaedia of Islam'in (1913-1936) ilk baskısının I. cildinin kapağı



الملحق رقم 05 (أ): الصّفحة الأولى من مادّة تاريخ الموسوعة الإسلاميّة (الاستشراقية) في الموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة).¹

¹ İslam Ansiklopedisi, op, cit, vol11, p181.



The Encyclopaedia of Islam'ın yeni edisyonunun kapağı

maddelerin birçoğu yeniden yazdırılmış veya bunlara yeni bilgiler eklenmiştir. Ancak J. Schacht'ın fikihla, W. Barthold'un Orta Asya ile, V. Minor'sky'nin İran tarihi ve coğrafyasıyla ve A. J. Wensinck'in İslâm kültürüyle ilgili maddeleri gibi bir kısım maddeler aynen korunmuş, sadece bibliyografya ve bazı bilgi ilâveleriyle zenginleştirilmiştir.

Yeni edisyonun ilk üç cildi için yayımlanan *Supplement*'e (1980) yeni teklif edilen veya yazarından geç gelen maddelerle yeni ölen şahıslar için yazdırılan biyografi maddeleri alındı. W. C. Brice'a bir tarih atlası hazırlama görevi verirken J. D. Pearson ve Hilda Pearson'a önce I-III. ciltleri (1979), daha sonra IV-V. ciltlerle *Supplement*'in ilk altı fasikülünü kapsayacak şekilde indeks hazırlatıldı (1989). 1991'de E. van Donzel'in yeniden gözden geçirdiği ilâveli indeks, 1993'te de P. J. Bearman'ın hazırladığı konular indeksi yayımlandı.

The Encyclopaedia of Islam'da (*EI*¹) görülen İslâm'ın temel kavram ve esaslarına yönelik art niyetli ve tarafı bakış açısı yeni neşirde de büyük ölçüde devam etmekte, ancak bazı maddelerdeki yanlış bilgi ve asılsız iddialara bu neşirde yer verilmediği görülmektedir (meselâ "Abd Allâh b. al-'Abbâs" ve "Djamra" maddeleriyle ilgili olarak bk. *DİA*, I, 77; VII,

340). Böyle geniş çaplı bir eserde bulunması bir ölçüde normal karşılanabilecek olan bazı hatalar yanında klasik kaynaklardaki metinleri yanlış okuma ve anlamalara (bk. *Dânişnâme-i İrân ve İslâm* [nşr. İhsân Yârşâtur], nâşirin mukaddimesi, I, 20), bir kısmının ön yargılardan kaynaklandığı anlaşılan ilmi hata ve asılsız iddialara (bunlarla ilgili bazı tenkitler için bk. *DİA*, I, 115-116; II, 76; IV, 25, 36; VII, 204, 230, 340, 378), karşılığı bulunmayan atıflara (meselâ "Buğhrâ Khân", "Djahân Shâh", "Djanfidâ Khatûn") ve tekrar yazılmış maddelere (meselâ, "İmâdi" [III, 1161; *Suppl.*, s. 416], "al-Adjdâbi" [II, 207; III, 696; *Suppl.*, s. 380], "Ghâzi Miyân" [II, 1047-1048; VI, 783-784]) rastlanmaktadır. Bunlardan başka birçok maddenin ve madde olarak alınan bazı şahıslarla eserleri hakkında verilen bilgilerin de yetersiz kaldığı görülmektedir (meselâ "Akhîra", "Bukhârî", "Abû Dharr", "Abû Dâ'ud"). İlk edisyonda yapıldığı gibi metin içerisinde sık sık kaynak gösterilmesinin okumayı engellediği ileri sürülen eleştiriler arasındadır. Ayrıca yine birincisinde olduğu gibi maddeler farklı dillerde yazıldığı için yapılan çeviriler sırasında önemli kayıplara uğramış ve zaman zaman hatalı tercüme edilmiştir (meselâ "Abû Yûsuf", I [İngl.], 164^b, son dan ikinci satır / I [Fr.], 169^b, 19. satır ve "İbn Rushd", III [İngl.], 918^b, 37-38. satırlar / III [Fr.], 942^b, son dan 7-8. satırlar). Ancak ansiklopedinin bu ikinci baskısı birincisinden çok daha ileri seviyede ilmi bir eserdir ve özellikle araştırmacılar için vazgeçilmez bir kaynak teşkil etmektedir.

Daha önce belirtildiği gibi Urduca tercümede maddelerin önemli bir kısmı ikinci baskıdan alınmıştır. İran'da sonuçsuz kalan *The Encyclopaedia of Islam*'ın (*EI*¹) Farsça'ya çevrilmesi teşebbüsünden sonra İran kültür ve tarihiyle ilgili maddelerin de ilâvesiyle Bûngâh-ı Tercüme ve Neşr-i Kitâb adlı kurum tarafından yeni edisyonun Farsça'ya tercümesine başlanmış ve *Dânişnâme-i İrân ve İslâm* adı verilen bu tercümenin elif harfine ait dokuz fasikülü 1975-1978 yılları arasında, 10. fasikülü 1982'de ve 11. fasikülü de (son md. "Erdebül") 1991'de yayımlanmıştır. Bu arada 1984 yılında kurulan Bûnyâd-ı Dâiretû'l-maârif-i İslâmî adlı bir müesseseye, ansiklopedinin adını *Dânişnâme-yi Cihân-ı İslâm* şeklinde çevirerek kısmen telif, kısmen diğer ansiklopedilerden (*İA*, *EI*², *İDMİ*, *Eİr.*, *DİA*) tercüme yoluyla ve elif harfini atlayarak

bâ harfinden itibaren bir ansiklopedi çıkarmaya başlamış ve henüz üç fasikül yayımlanmıştır (Tahran 1990-1993).

BİBLİYOGRAFYA:

The Encyclopaedia of Islam (first edition), I-V, Leiden 1913-36; Esref Edib, *İslâm Ansiklopedisi*, İstanbul 1940; *Prospectus of the Encyclopaedia of Islam in Urdu*, Lahore 1953; *Dânişnâme-i İrân ve İslâm* (nşr. İhsân Yârşâtur), Tahran 1354 hş., nâşirin mukaddimesi, I, 9-33; Ahmed İsmailoğlu, *Felsefetü'l-İstisrâk ve eseruhâ fi'l-edebl-İ-Arabîyyi'l-mu'âsir*, Kahire 1980, s. 567-571; Enver el-Cündî, *Sûmûmü'l-İstisrâk ve'l-müstesrikîn*, Beyrut 1405/1985, s. 17-20; Ayhan Aykut, *Türkiye'de Ansiklopediciliğin Doğuşu ve Gelişmesi* (yüksek lisans tezi, 1989), İSAM Ktp., nr. 9666, s. 75-91; M. Hamidullah, "The Urdu Edition of the Encyclopaedia of Islam", *WI*, VI/3-4 (1961), s. 244-247; A. N. Md. Khalidî, "Urdu Encyclopaedia of Islam", *IC*, XXXVI/1 (1962), s. 79-81; E. van Donzel, "The Encyclopaedia of Islam", *Newsletter*, sy. 5, Leiden 1991, s. 55; a.m.f., "Maw-sû'a", *EI*² (İng.), VI, 908-910; Orhan F. Köprülü, "İslâm Ansiklopedisinin Mahiyet ve Kıymeti", *Diyanet Dergisi*, XII/3 (1973), s. 161-162; C. E. Bosworth, "The Encyclopaedia of Islam", *New Books Quarterly*, 1/2-3, London 1981, s. 8-10; Ahmet Zeki Özgöber, "İslâm Ansiklopedisine Dair", *İslâmî Araştırmalar*, II/6, Ankara 1988, s. 68-73; Murtazâ Es'âdî, "Tâlî'a-i Dânişnâme-i Cihân-ı İslâm", *Neşr-i Dâniş*, XI/1, Tahran 1369/1990-91, s. 42; Ahmed el-Âyid, "Dâ'iretû'l-maârif-i'l-İslâmiyye aslûn min usûl-i'l-mu'cemi'l-'Arabîyyi't-târîhi", *el-Mu'cemû'l-'Arabîyyi't-târîhi*, Tunus 1991, s. 41-59; TDEA, IV, 421-423; Ehsan Yarshater, "Dâneş-nâmâ-ye İrân wa Eslâm", *Eİr.*, VI, 652-653.

◻ KEMAL KAHRAMAN

ENDÂZE

(bk. ARŞIN).

ENDELÜSİ

(الاندلسی)

Ebü'l-Hakem Ubeydullâh (Abdullâh)
b. el-Muzaffer b. Abdillâh
b. Muhammed el-Bâhilî el-Endelüsî
(ö. 549/1155)

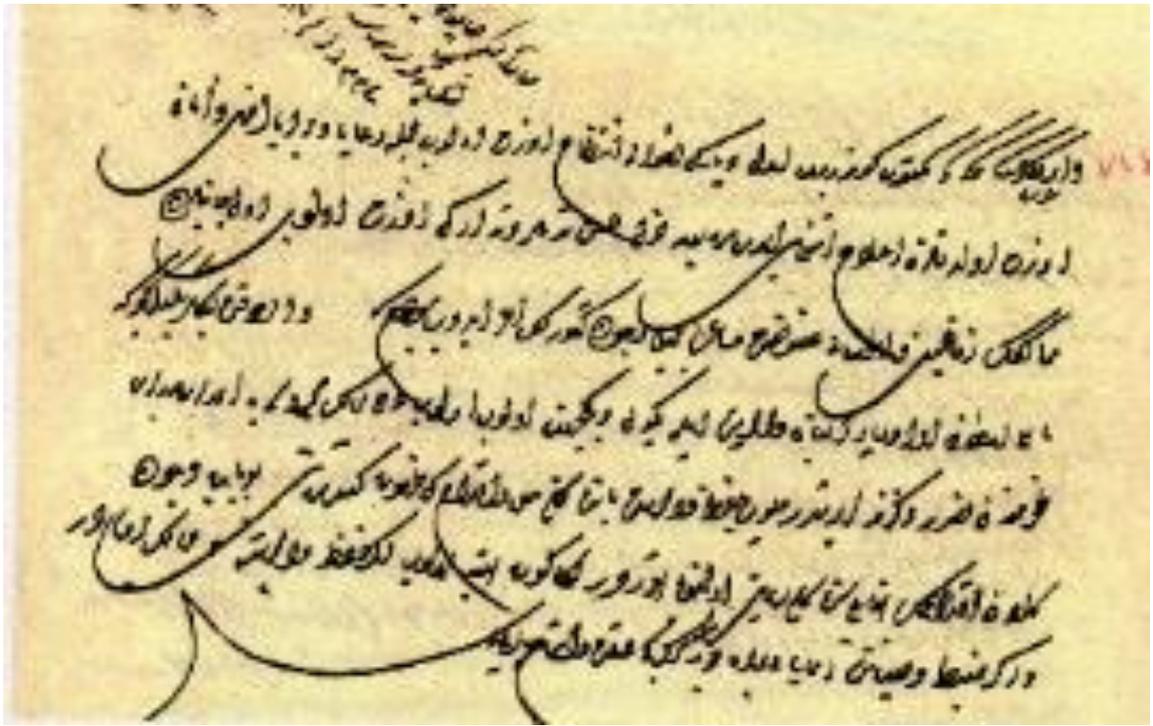
Endülüs asıllı
edip, hekim ve filozof.

486 (1093) yılında Meriye'de (Almeria) doğdu. Hakîm el-Mağribî diye de tanınır. Hayatının ilk dönemleri hakkında bilgi yoktur. Otuz dört yaşında iken hacca gitmek amacıyla Endülüs'ten ayrıldı. İki yıl sonra tekrar hacca gitti. Bunu takip eden yıllarda Dimaşk, Kahire ve İskenderiye'de öğrenim gördü. Doğuya yaptığı seyahat sırasında uğradığı ve öğrenim gördüğü bu yerlerde tıp, geomet-

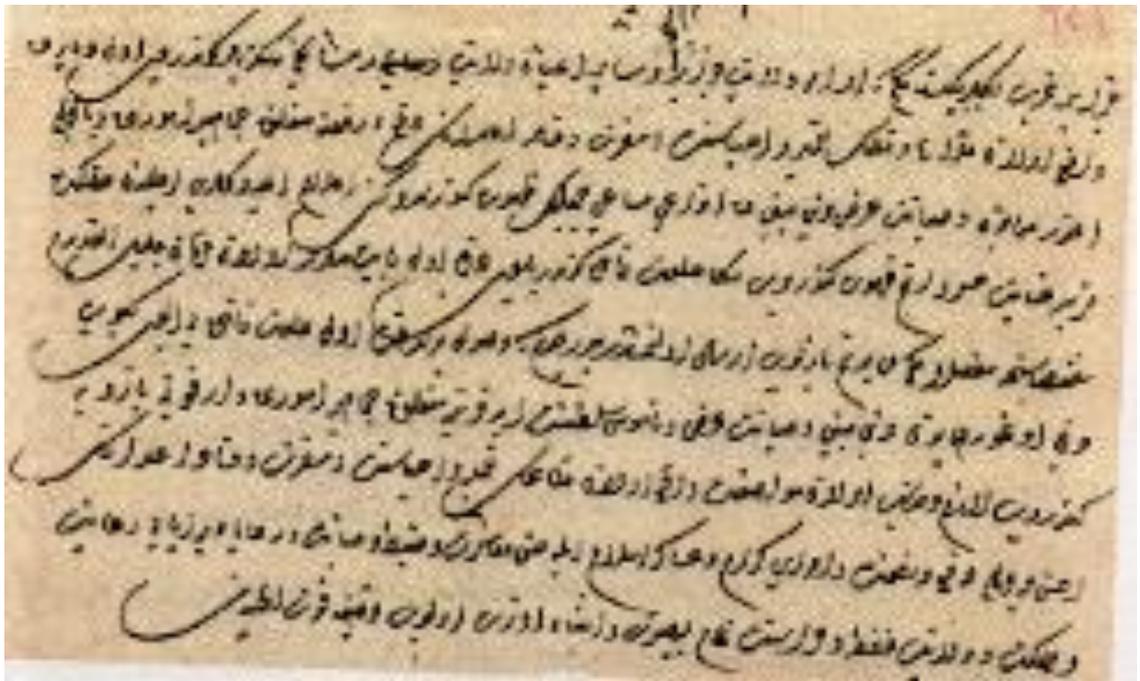
الملحق رقم 05 (ب): الصفحة الأخيرة من مادة تاريخ الموسوعة الإسلامية (الاستشراقية) في

الموسوعة الإسلامية (باللغة التركیة).¹

¹ İslâm Ansiklopedisi, op, cit, vol 11,p184



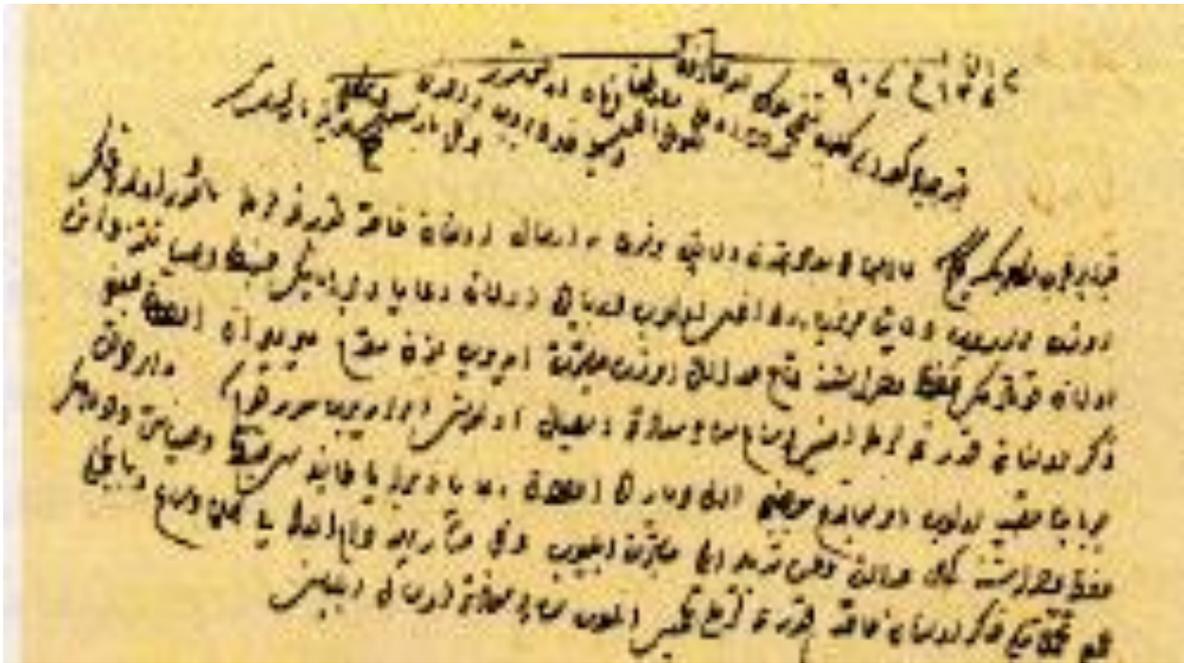
الملحق رقم 08: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1570م)، خاصّ بالإبلاغ عن استقرار الأوضاع في ولاية الجزائر، وتنعم الأهالي بالأمن والأمان، مع الأمر بتظافر الجهود في هذا الصدد.¹



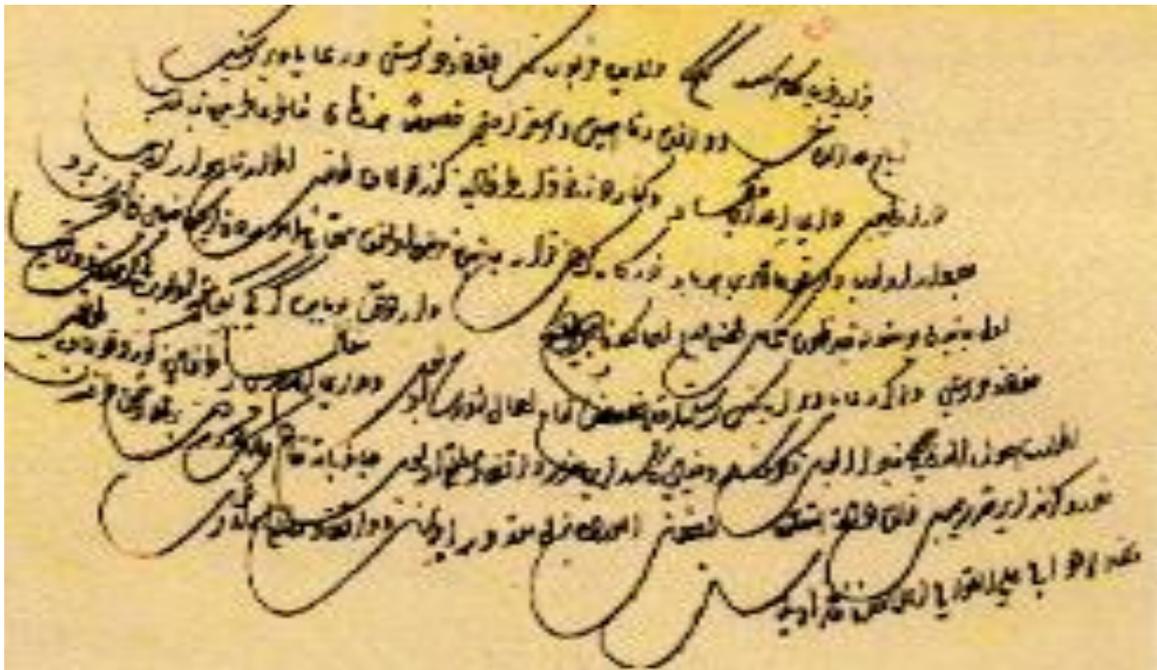
الملحق رقم 09: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1573م)، يشيد فيه بجهود بكاربكي جزائر الغرب في تعمير القلاع والأبراج في الولاية.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 320.

² المرجع نفسه، ص 323.



الملحق رقم 10: حكم من السلطان العثماني مراد الثالث (1582م)، خاص بوصول بكربكي جديد إلى جزائر الغرب، والإبلاغ عن قيامه بضبط وحماية الرعايا وحفظ وحراسة العسكر، مع الأمر بتحقيق المزيد.¹



الملحق رقم 11: حكم من السلطان العثماني مراد الثالث (1583م)، يؤكّد من خلاله على ضرورة حفظ وحراسة جزائر الغرب وراحة الأهالي، ويأمر برصد تحركات العدو ومعرفة أخباره وأوضاعه.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 325.

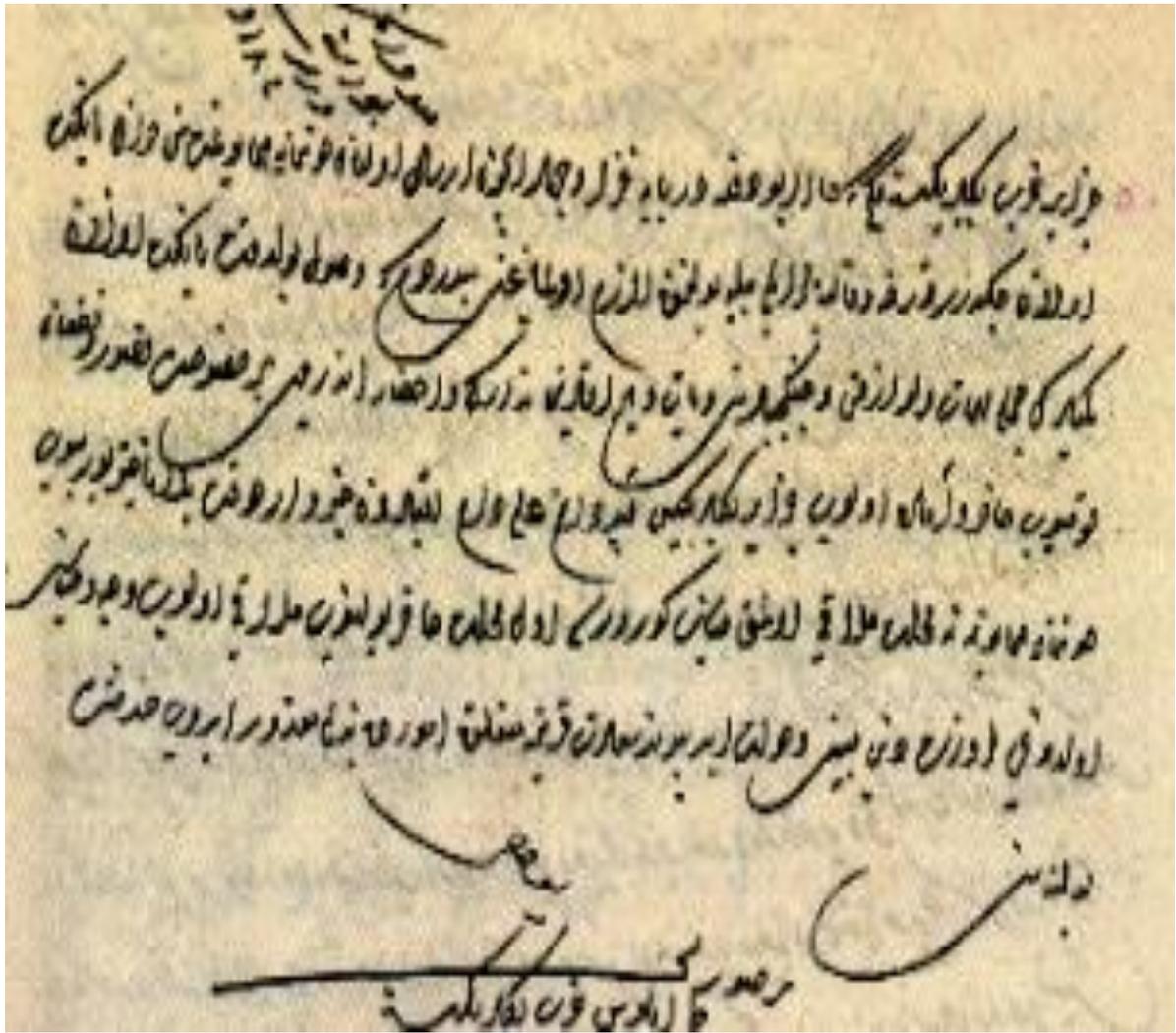
² المرجع نفسه، ص 325.

محمد بن عبد الله
 ٦٦٦
 ٢٠٥٢

جزائر بکر کینی حسن پاشا بکلیک رمانی خوجانہ ونجا بھنڈا مکن جتو غامازہ نو مینج ادھرتا سائیکہ پیکر
 صلیق لہ علیہ وکرمہ بخوان ہر لانت لہا ہر نہ تو مینج ابدون ویتور کاتر زریع مصلحت پشالوای تہا سیکہ
 وادریون واریع اولدلا ماکہ قلمیج کہ بوڈو لندکارہ زونکا خاک رتہ وارک ہارہ اولون دریا
 سکا کدہ تہا وبارکار کہ بوٹون قلمیج ابدون انوارا ہر شہر مکرہ خالی اولون قلمیج ویتور
 تہا و قلمیج ہاتھون وون ہا بوڈو لندکارہ تہا ویتور مصلحت مینج اولون قلمیج لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت
 وضعت تہا واریع اولدلا نوروز ماکہ لہر لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ
 نصرتہ قلمیج ویتور کاتر اولون وبارکار ہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت
 بل اولدلا تہا لہر لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ
 مصلحت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت
 وبولد لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت
 جانہ ویتور ابدون برور لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ لندکارہ
 ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت
 وبولد لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت
 رعایت اولون لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت
 لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت لہا ہر لانت

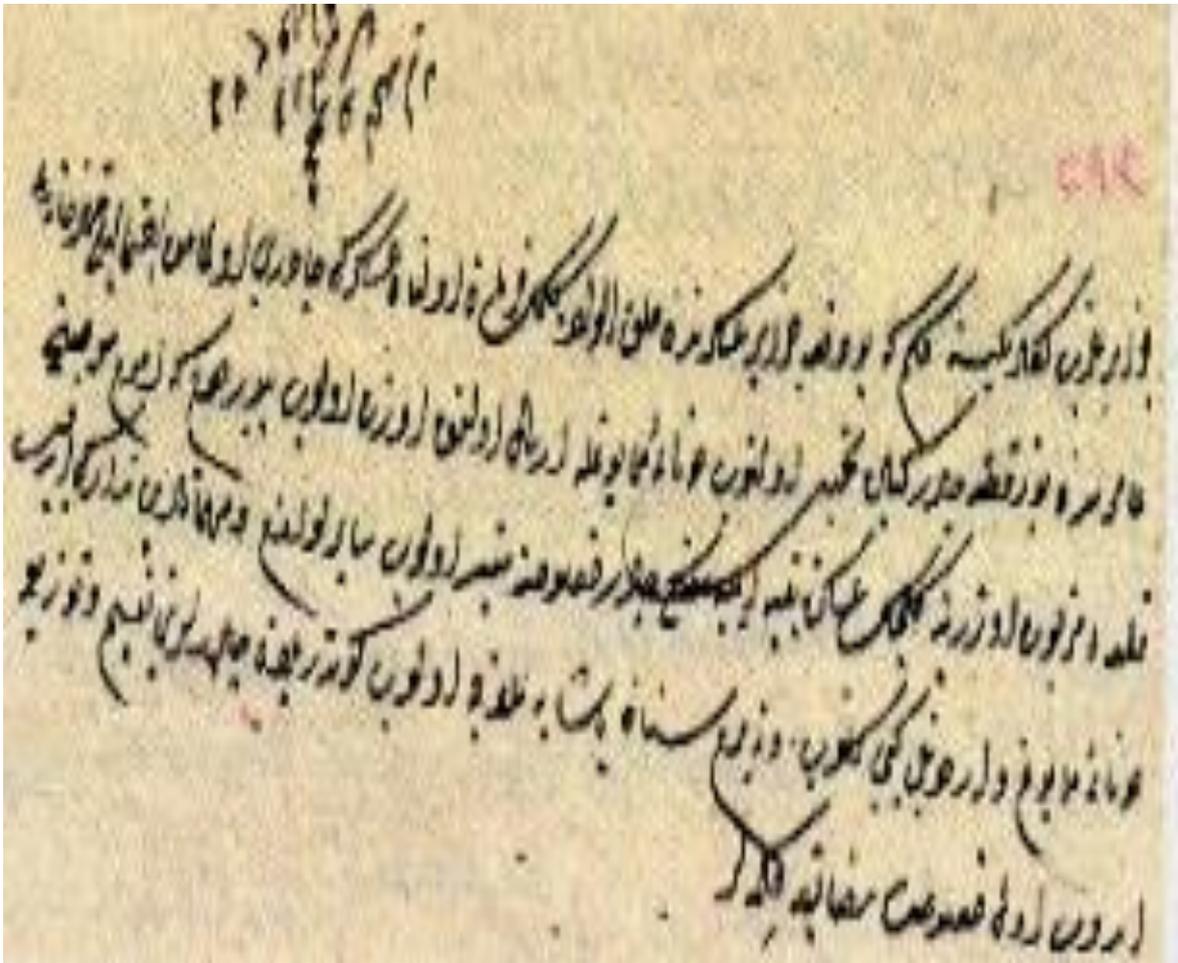
الملحق رقم 12: حکم من السلطان العثماني سليمان القانوني (1564م)، يأمر فيه بکلرکي جزائر المجاهد حسن باشا بتهيئة الأسطول الجزائري من أجل المشاركة في الحملة المزمع شنّها لفتح قلعة مالطا.¹

¹ فاضل بیات، المرجع السابق، ص 357.



الملحق رقم 16: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1573م)، يأمر فيه بكلربكي جزائر الغرب
عرب أحمد، وبكلربكي طرابلس الغرب بتجهيز أساطيلهم بالمعدات والأسلحة اللازمة، والاستعداد
لإرسالها إلى سواحل تونس.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 366.



الملحق رقم 20: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1574م)، يأمر فيه بكركي جزائر الغرب قايد رمضان بإرسال ألف قطعة من الخيم إلى الجزائر بغية توزيعها على الجنود المشاركين في حملة سنان باشا على قلعة حلق الوادي بتونس.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 373.

٩٧٥
 ١١١٠
 ١٢١٢
 ١٢١٢

جزائر جزير بكار بكنين علكه الحاله بين شوكة حقلته زير غفانه بايش باغ ظهور كوترون لمتبر ٩٧٥
 جزير بكون بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 بولوق اصله و قطعاً تاخيد و تروفي لمتبر اوله كوترون حاصره صنيط لمتبر اوله في اول بلبله
 ماكنه اوله كوترون بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 ماكنه اوله كوترون بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 جميع لمتبر بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 دريت بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 و افي ماكنه لمتبر اوله كوترون بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 و جزائر جزير بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله

ارساه اوله كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 قيوه لمتبر اوله كوترون بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 و اوله كوترون بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 لمتبر اوله كوترون بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 و بوعه ما بوعه كوترون بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 بولوق في اوله كوترون بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله
 كلوه و بكار بكنين كوترون بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله

لمتبر اوله كوترون بكار بكنين كوترون في اول بلبله جزائر بكار بكنين كوترون في اول بلبله

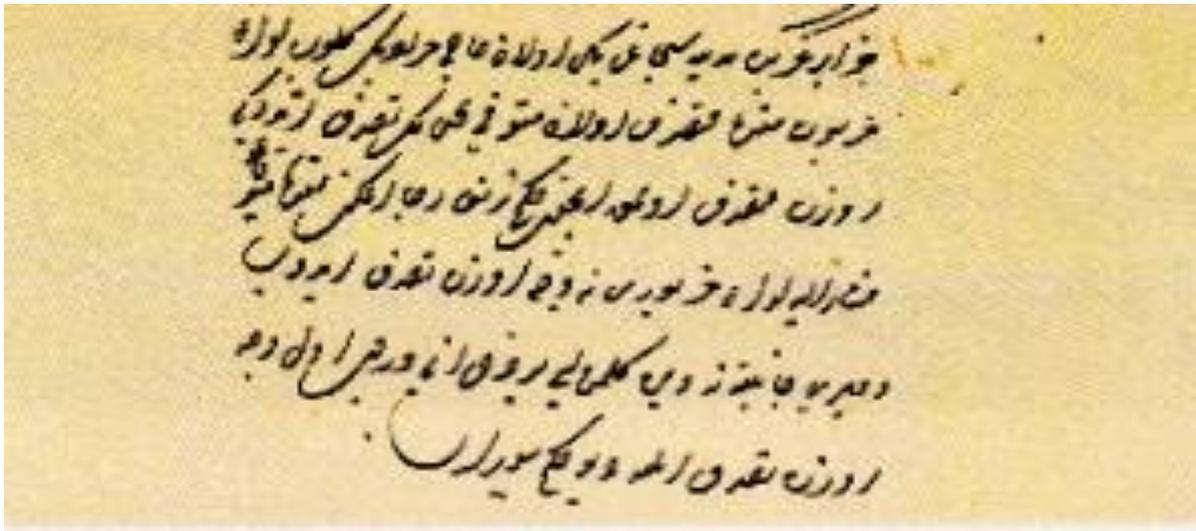
الملحق رقم 21: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1571م)، ورد فيه مصطلح "بكلربكيسي"، "إمارة الإمارات" "الولاية"، وهو خاص بتعيين بكلربكي جزائر الغرب قليج علي باشا قائدا للقوات البحرية وواليا على الجزائر، وإسناد ولاية جزائر الغرب إلى حسن باشا بن خير الدين باشا، وفي حالة اعتذاره اختيار أحد الأمراء الأكفاء محلّه.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 327.

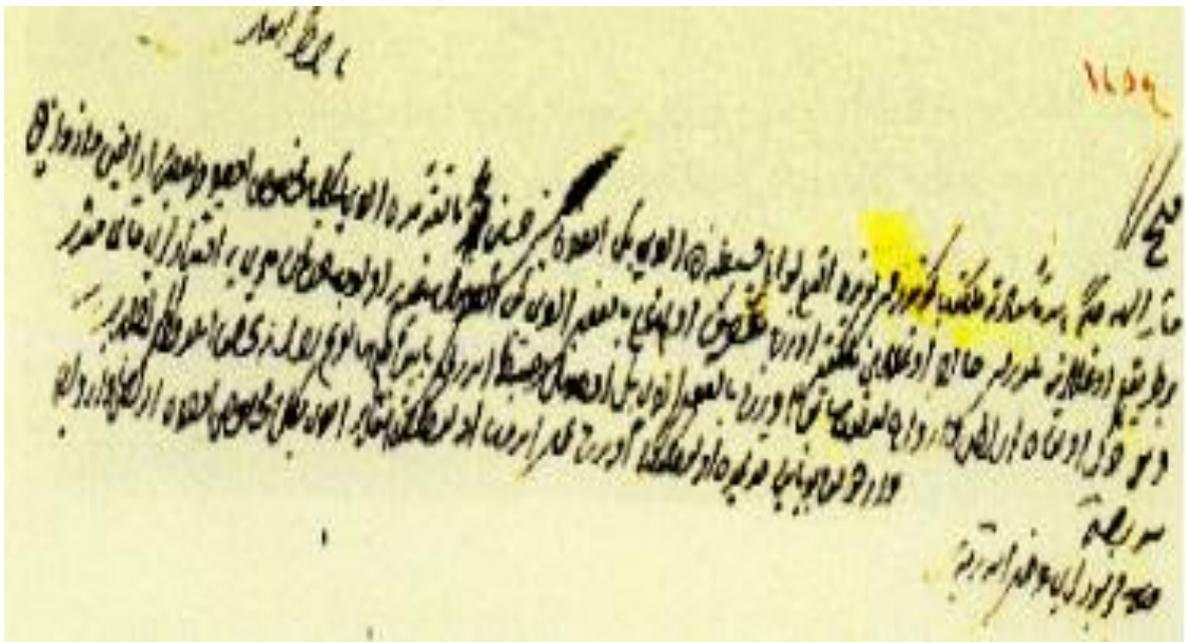
١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١
 ٤٧٢
 ٤٧٣
 ٤٧٤
 ٤٧٥
 ٤٧٦
 ٤٧٧
 ٤٧٨
 ٤٧٩
 ٤٨٠
 ٤٨١
 ٤٨٢
 ٤٨٣
 ٤٨٤
 ٤٨٥
 ٤٨٦
 ٤٨٧
 ٤٨٨
 ٤٨٩
 ٤٩٠
 ٤٩١
 ٤٩٢
 ٤٩٣
 ٤٩٤
 ٤٩٥
 ٤٩٦
 ٤٩٧
 ٤٩٨
 ٤٩٩
 ٥٠٠
 ٥٠١
 ٥٠٢
 ٥٠٣
 ٥٠٤
 ٥٠٥
 ٥٠٦
 ٥٠٧
 ٥٠٨
 ٥٠٩
 ٥١٠
 ٥١١
 ٥١٢
 ٥١٣
 ٥١٤
 ٥١٥
 ٥١٦
 ٥١٧
 ٥١٨
 ٥١٩
 ٥٢٠
 ٥٢١
 ٥٢٢
 ٥٢٣
 ٥٢٤
 ٥٢٥
 ٥٢٦
 ٥٢٧
 ٥٢٨
 ٥٢٩
 ٥٣٠
 ٥٣١
 ٥٣٢
 ٥٣٣
 ٥٣٤
 ٥٣٥
 ٥٣٦
 ٥٣٧
 ٥٣٨
 ٥٣٩
 ٥٤٠
 ٥٤١
 ٥٤٢
 ٥٤٣
 ٥٤٤
 ٥٤٥
 ٥٤٦
 ٥٤٧
 ٥٤٨
 ٥٤٩
 ٥٥٠
 ٥٥١
 ٥٥٢
 ٥٥٣
 ٥٥٤
 ٥٥٥
 ٥٥٦
 ٥٥٧
 ٥٥٨
 ٥٥٩
 ٥٦٠
 ٥٦١
 ٥٦٢
 ٥٦٣
 ٥٦٤
 ٥٦٥
 ٥٦٦
 ٥٦٧
 ٥٦٨
 ٥٦٩
 ٥٧٠
 ٥٧١
 ٥٧٢
 ٥٧٣
 ٥٧٤
 ٥٧٥
 ٥٧٦
 ٥٧٧
 ٥٧٨
 ٥٧٩
 ٥٨٠
 ٥٨١
 ٥٨٢
 ٥٨٣
 ٥٨٤
 ٥٨٥
 ٥٨٦
 ٥٨٧
 ٥٨٨
 ٥٨٩
 ٥٩٠
 ٥٩١
 ٥٩٢
 ٥٩٣
 ٥٩٤
 ٥٩٥
 ٥٩٦
 ٥٩٧
 ٥٩٨
 ٥٩٩
 ٦٠٠
 ٦٠١
 ٦٠٢
 ٦٠٣
 ٦٠٤
 ٦٠٥
 ٦٠٦
 ٦٠٧
 ٦٠٨
 ٦٠٩
 ٦١٠
 ٦١١
 ٦١٢
 ٦١٣
 ٦١٤
 ٦١٥
 ٦١٦
 ٦١٧
 ٦١٨
 ٦١٩
 ٦٢٠
 ٦٢١
 ٦٢٢
 ٦٢٣
 ٦٢٤
 ٦٢٥
 ٦٢٦
 ٦٢٧
 ٦٢٨
 ٦٢٩
 ٦٣٠
 ٦٣١
 ٦٣٢
 ٦٣٣
 ٦٣٤
 ٦٣٥
 ٦٣٦
 ٦٣٧
 ٦٣٨
 ٦٣٩
 ٦٤٠
 ٦٤١
 ٦٤٢
 ٦٤٣
 ٦٤٤
 ٦٤٥
 ٦٤٦
 ٦٤٧
 ٦٤٨
 ٦٤٩
 ٦٥٠
 ٦٥١
 ٦٥٢
 ٦٥٣
 ٦٥٤
 ٦٥٥
 ٦٥٦
 ٦٥٧
 ٦٥٨
 ٦٥٩
 ٦٦٠
 ٦٦١
 ٦٦٢
 ٦٦٣
 ٦٦٤
 ٦٦٥
 ٦٦٦
 ٦٦٧
 ٦٦٨
 ٦٦٩
 ٦٧٠
 ٦٧١
 ٦٧٢
 ٦٧٣
 ٦٧٤
 ٦٧٥
 ٦٧٦
 ٦٧٧
 ٦٧٨
 ٦٧٩
 ٦٨٠
 ٦٨١
 ٦٨٢
 ٦٨٣
 ٦٨٤
 ٦٨٥
 ٦٨٦
 ٦٨٧
 ٦٨٨
 ٦٨٩
 ٦٩٠
 ٦٩١
 ٦٩٢
 ٦٩٣
 ٦٩٤
 ٦٩٥
 ٦٩٦
 ٦٩٧
 ٦٩٨
 ٦٩٩
 ٧٠٠
 ٧٠١
 ٧٠٢
 ٧٠٣
 ٧٠٤
 ٧٠٥
 ٧٠٦
 ٧٠٧
 ٧٠٨
 ٧٠٩
 ٧١٠
 ٧١١
 ٧١٢
 ٧١٣
 ٧١٤
 ٧١٥
 ٧١٦
 ٧١٧
 ٧١٨
 ٧١٩
 ٧٢٠
 ٧٢١
 ٧٢٢
 ٧٢٣
 ٧٢٤
 ٧٢٥
 ٧٢٦
 ٧٢٧
 ٧٢٨
 ٧٢٩
 ٧٣٠
 ٧٣١
 ٧٣٢
 ٧٣٣
 ٧٣٤
 ٧٣٥
 ٧٣٦
 ٧٣٧
 ٧٣٨
 ٧٣٩
 ٧٤٠
 ٧٤١
 ٧٤٢
 ٧٤٣
 ٧٤٤
 ٧٤٥
 ٧٤٦
 ٧٤٧
 ٧٤٨
 ٧٤٩
 ٧٥٠
 ٧٥١
 ٧٥٢
 ٧٥٣
 ٧٥٤
 ٧٥٥
 ٧٥٦
 ٧٥٧
 ٧٥٨
 ٧٥٩
 ٧٦٠
 ٧٦١
 ٧٦٢
 ٧٦٣
 ٧٦٤
 ٧٦٥
 ٧٦٦
 ٧٦٧
 ٧٦٨
 ٧٦٩
 ٧٧٠
 ٧٧١
 ٧٧٢
 ٧٧٣
 ٧٧٤
 ٧٧٥
 ٧٧٦
 ٧٧٧
 ٧٧٨
 ٧٧٩
 ٧٨٠
 ٧٨١
 ٧٨٢
 ٧٨٣
 ٧٨٤
 ٧٨٥
 ٧٨٦
 ٧٨٧
 ٧٨٨
 ٧٨٩
 ٧٩٠
 ٧٩١
 ٧٩٢
 ٧٩٣
 ٧٩٤
 ٧٩٥
 ٧٩٦
 ٧٩٧
 ٧٩٨
 ٧٩٩
 ٨٠٠
 ٨٠١
 ٨٠٢
 ٨٠٣
 ٨٠٤
 ٨٠٥
 ٨٠٦
 ٨٠٧
 ٨٠٨
 ٨٠٩
 ٨١٠
 ٨١١
 ٨١٢
 ٨١٣
 ٨١٤
 ٨١٥
 ٨١٦
 ٨١٧
 ٨١٨
 ٨١٩
 ٨٢٠
 ٨٢١
 ٨٢٢
 ٨٢٣
 ٨٢٤
 ٨٢٥
 ٨٢٦
 ٨٢٧
 ٨٢٨
 ٨٢٩
 ٨٣٠
 ٨٣١
 ٨٣٢
 ٨٣٣
 ٨٣٤
 ٨٣٥
 ٨٣٦
 ٨٣٧
 ٨٣٨
 ٨٣٩
 ٨٤٠
 ٨٤١
 ٨٤٢
 ٨٤٣
 ٨٤٤
 ٨٤٥
 ٨٤٦
 ٨٤٧
 ٨٤٨
 ٨٤٩
 ٨٥٠
 ٨٥١
 ٨٥٢
 ٨٥٣
 ٨٥٤
 ٨٥٥
 ٨٥٦
 ٨٥٧
 ٨٥٨
 ٨٥٩
 ٨٦٠
 ٨٦١
 ٨٦٢
 ٨٦٣
 ٨٦٤
 ٨٦٥
 ٨٦٦
 ٨٦٧
 ٨٦٨
 ٨٦٩
 ٨٧٠
 ٨٧١
 ٨٧٢
 ٨٧٣
 ٨٧٤
 ٨٧٥
 ٨٧٦
 ٨٧٧
 ٨٧٨
 ٨٧٩
 ٨٨٠
 ٨٨١
 ٨٨٢
 ٨٨٣
 ٨٨٤
 ٨٨٥
 ٨٨٦
 ٨٨٧
 ٨٨٨
 ٨٨٩
 ٨٩٠
 ٨٩١
 ٨٩٢
 ٨٩٣
 ٨٩٤
 ٨٩٥
 ٨٩٦
 ٨٩٧
 ٨٩٨
 ٨٩٩
 ٩٠٠
 ٩٠١
 ٩٠٢
 ٩٠٣
 ٩٠٤
 ٩٠٥
 ٩٠٦
 ٩٠٧
 ٩٠٨
 ٩٠٩
 ٩١٠
 ٩١١
 ٩١٢
 ٩١٣
 ٩١٤
 ٩١٥
 ٩١٦
 ٩١٧
 ٩١٨
 ٩١٩
 ٩٢٠
 ٩٢١
 ٩٢٢
 ٩٢٣
 ٩٢٤
 ٩٢٥
 ٩٢٦
 ٩٢٧
 ٩٢٨
 ٩٢٩
 ٩٣٠
 ٩٣١
 ٩٣٢
 ٩٣٣
 ٩٣٤
 ٩٣٥
 ٩٣٦
 ٩٣٧
 ٩٣٨
 ٩٣٩
 ٩٤٠
 ٩٤١
 ٩٤٢
 ٩٤٣
 ٩٤٤
 ٩٤٥
 ٩٤٦
 ٩٤٧
 ٩٤٨
 ٩٤٩
 ٩٥٠
 ٩٥١
 ٩٥٢
 ٩٥٣
 ٩٥٤
 ٩٥٥
 ٩٥٦
 ٩٥٧
 ٩٥٨
 ٩٥٩
 ٩٦٠
 ٩٦١
 ٩٦٢
 ٩٦٣
 ٩٦٤
 ٩٦٥
 ٩٦٦
 ٩٦٧
 ٩٦٨
 ٩٦٩
 ٩٧٠
 ٩٧١
 ٩٧٢
 ٩٧٣
 ٩٧٤
 ٩٧٥
 ٩٧٦
 ٩٧٧
 ٩٧٨
 ٩٧٩
 ٩٨٠
 ٩٨١
 ٩٨٢
 ٩٨٣
 ٩٨٤
 ٩٨٥
 ٩٨٦
 ٩٨٧
 ٩٨٨
 ٩٨٩
 ٩٩٠
 ٩٩١
 ٩٩٢
 ٩٩٣
 ٩٩٤
 ٩٩٥
 ٩٩٦
 ٩٩٧
 ٩٩٨
 ٩٩٩
 ١٠٠٠

الملحق رقم 25: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1572م)، ورد فيه مصطلح "ولاية الجزائر"، خاصّ بإخبار أحد الزعماء المحليين في الجزائر بتعيين عرب أحمد باشا واليا على الولاية ومطالبته بإجراء ما يقتضيه الشرع، وضبط البلاد وحفظها وحسن التعامل مع الأهالي.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 330.



الملحق رقم 26: أمر صدر من قبل الديوان الهمايوني في عهد السلطان سليم الثاني (1571م)، خاص بالتعيينات في ولاية جزائر الغرب؛ حيث ناشد الحاج مراد بك الديوان استصدار أمر سلطاني بتعيينه "أمير سنجق على لواء المدينة" بجزائر الغرب والتصرف به مثلما كان يتصرف أمير السنجق السابق المتوفى يحي بك.¹



الملحق رقم 27: حكم من السلطان العثماني مراد الثالث (1595م)، خاص بمنع قائد السباهية في لواء قسنطينة بجزائر الغرب من منح الأراضي المخصصة لقادة السباهية لأبنائه (أسلوب التيمار) والحيلولة دون التدخل في شؤون هذه الأراضي.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 325.

² المرجع نفسه، ص 337.

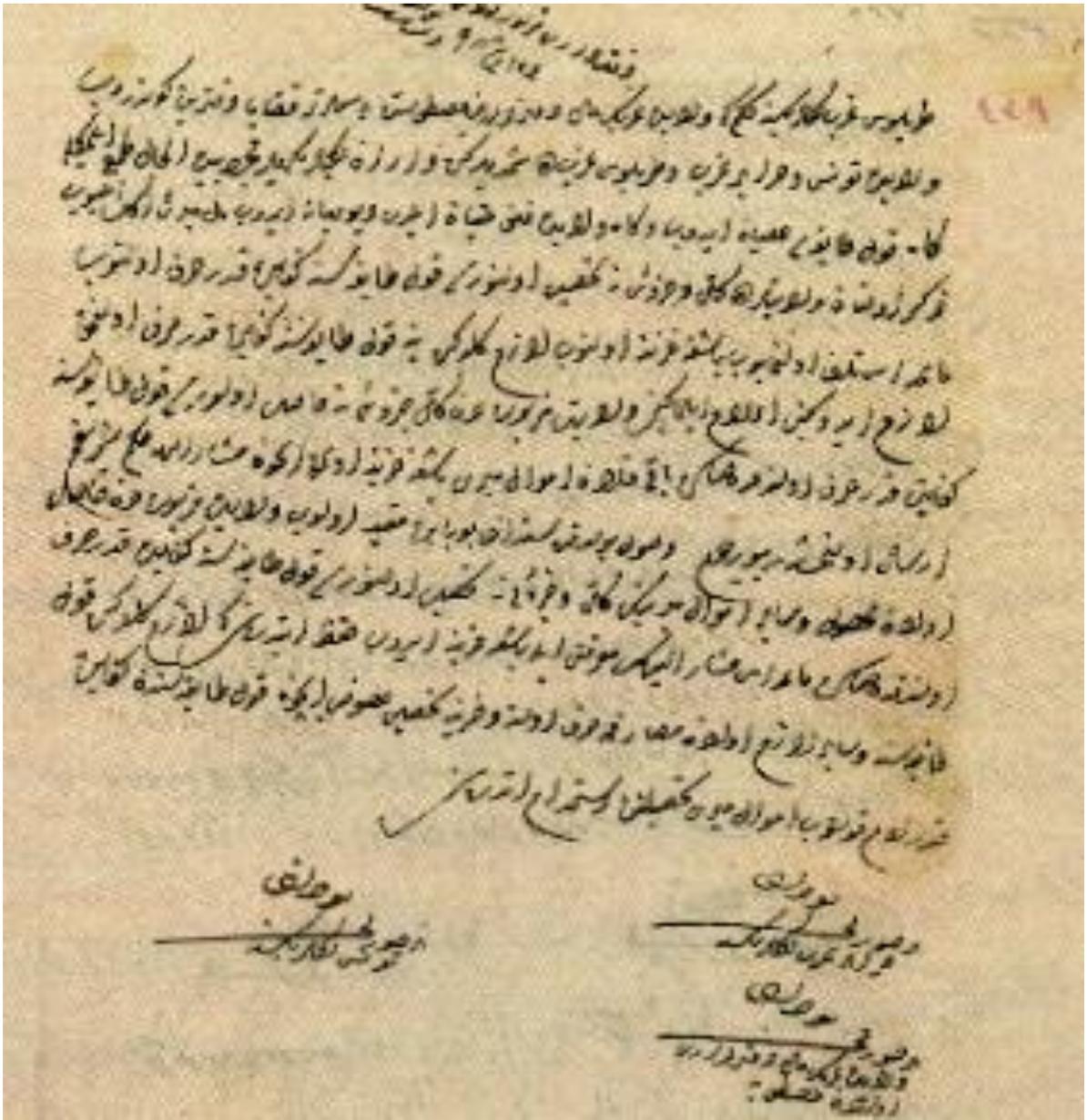
١١٦

نائب وزير

هوذا نحن كما يكتبه لكم وقد علمنا من بعض نوابكم في بعض نواحيه ان بعض نوابكم قد اخطوا في بعض المقاطعات
 في بعض المقاطعات من قبل بعض الأشخاص بغية جعلها زعامات لهم. مما أدى إلى حرمان
 الجند من مواردها وحدوث مضايقة مالية في الولاية، وقد صدر الأمر بتطبيق نظام الالتزام الخاص
 بالمقاطعات المخصصة مواردها للجند في ولاية الجزائر، ومنح أماكن مناسبة للمعزولين من أمراء
 السناجق.¹

الملحق رقم 28: حكم من السلطان العثماني مراد الثالث (1582م)، يدل على تعرض بعض المقاطعات للتجاوزات من قبل بعض الأشخاص بغية جعلها زعامات لهم. مما أدى إلى حرمان الجند من مواردها وحدوث مضايقة مالية في الولاية، وقد صدر الأمر بتطبيق نظام الالتزام الخاص بالمقاطعات المخصصة مواردها للجند في ولاية الجزائر، ومنح أماكن مناسبة للمعزولين من أمراء السناجق.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 337.



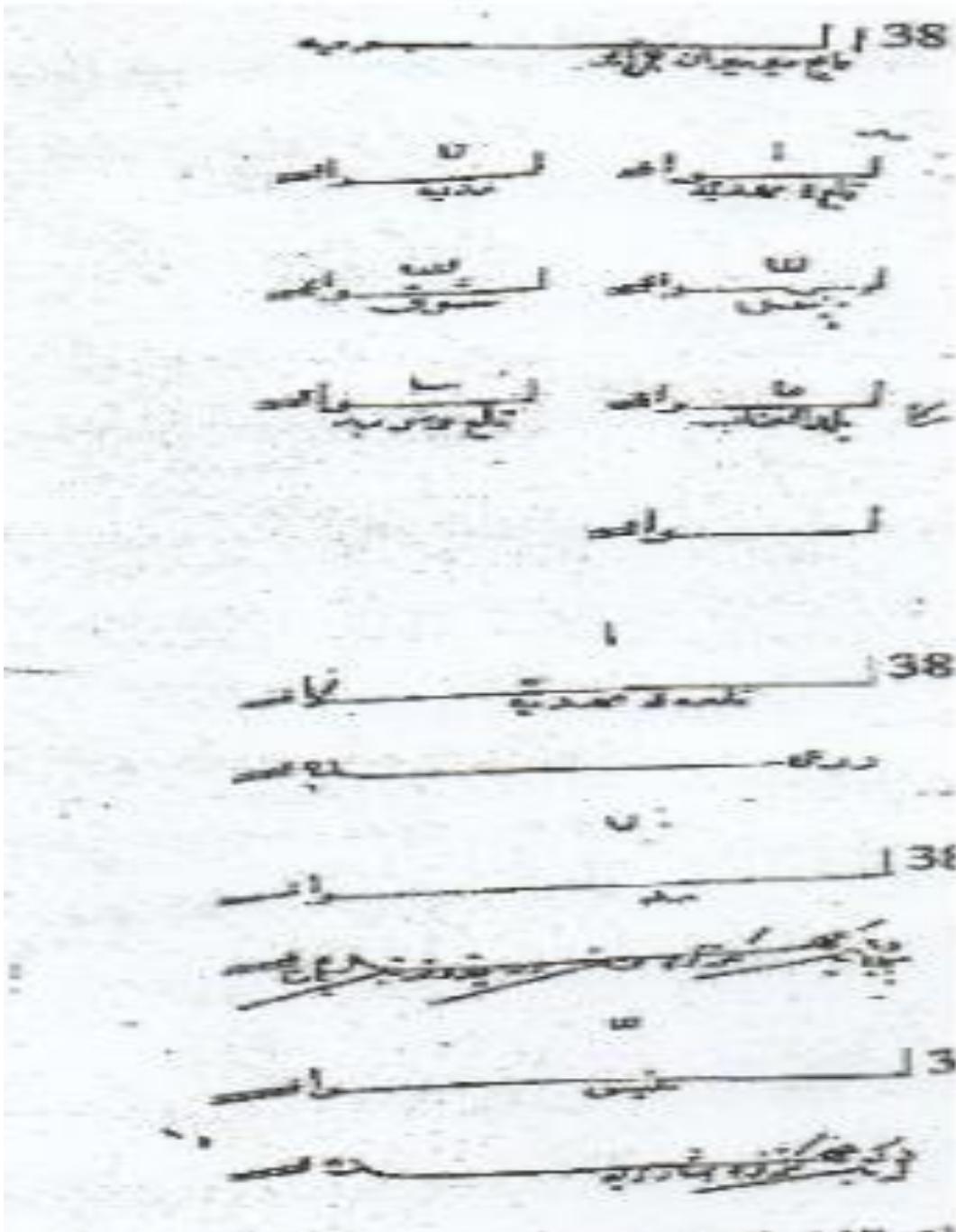
الملحق رقم 29: حكم من السلطان العثماني مراد الثالث (1580م)، خاصّ بإبلاغ دفتر دار المال في ولاية الغرب بالتجاوز على المال العامّ من قبل ولاية الجزائر وتونس وطرابلس، والمطالبة السلطانيّة بالصّرف على الجند بما يكفي، والاحتفاظ بالمتبقّي من الموارد لصرفه على احتياجات الولاية عند الحاجة؛ وهو دليل حفظ مال الولاية في خزانة الولاية لتغطية نفقاتها وعدم إرساله إلى مركز الدّولة العثمانيّة.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 366.



الملحق رقم 30: حكم من السلطان العثماني مراد الثالث (1580م)، يأمر فيه بفصل إدارة الشؤون المالية لولايات جزائر الغرب وتونس وطرابلس الغرب عن بعضها البعض، وإجراء عملية تحرير في ولاية الجزائر غرب في حالة عدم اعتراض الجند والأهالي عليها، واستخدام من يتحلّى بالنزاهة في جمع وتحصيل المال الميري (مستحقات الدولة).¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 366.



الملحق رقم 31: وثيقة عثمانية خاصة بالألوية/ لواء/ سنجق/ بيلك في جزائر الغرب عام 1550م، وهي 07؛ لواء قلعة المهدية، لواء المدينة، لواء تنس، لواء الشّرق، لواء بلاد العنّاب (عناية)، لواء قلعة وسربة؟، لواء الجزائر.¹

¹ فاضل بيّات، الدولة العثمانية في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص 629.

رسالة
 ١١١٠
 ١٥٦٤
 ١٥٦٤

خوارزمي بكار بكينر علم الفلك بين سنة حكمة في غنائه يارشا امام ظهور كورتون لمتبر ٩٧٥
 خوارزمي بعد فوئيز سكرين كونين قبول يلفلا خوارزمي بكينر كذا تفويض لارويين مورع كوه وعود
 بولندج لصله و قطعا تاهود ترفيق لمتبرين او ملك كورتون حاصره صنيط لارويين قلع من يانديز
 ماكنه انحصه مكيه لايه كلويين وسور كاهج و ذرع برتويكش و اوقت سله مدريه لولعير كورسوك
 ماكنه و لكي موهن ليه ذرع برتويكش و اوقت سله ياتيه و اكر سايه ركنه اوله كاهج
 عمو لارويين مات و ريلقاي و جنكيه دي كور كيه دي و سايه اذنين و لولدي و دللا بكميله مكنه
 و رتب مكنه كمن لولعير سبر اولور مكنه لولعير اوزر عمو ياتيه و ريلقاي بكميله لارويين
 و افي ماكنه لولعير لولعير سبر اولور مكنه لولعير اوزر عمو ياتيه و ريلقاي بكميله لارويين
 و خوارزمي بكار بكينر علم الفلك بين سنة حكمة في غنائه يارشا امام ظهور كورتون لمتبر ٩٧٥

رسالة اولمختدر لا مشار له نوحا قرة اوزر اولمختدر قبله (بما هو الحق) و اوزر كورج ابي
 قوه لوزر و كرا دلالة بكار بكينر لولعير و اولوه و غيرته مكنه لولعير كورسوك
 و دللا مكنه صنيط و ريلقاي سبر اولور مكنه لولعير اوزر عمو ياتيه و ريلقاي بكميله لارويين
 لكاه بكينر لولعير لولعير و ريلقاي لولعير اوزر صنيط لارويين و اوزر كورج ابي
 و بوعه مابوع مكنه كورسوك و لولعير لولعير و لولعير لولعير و لولعير لولعير و لولعير لولعير
 بولعير لولعير و لولعير لولعير و لولعير لولعير و لولعير لولعير و لولعير لولعير
 مكنه لولعير لولعير و لولعير لولعير و لولعير لولعير و لولعير لولعير و لولعير لولعير

لولعير

الملحق رقم 32: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1571م)، خاص بتعيين بكربكي جزائر الغرب قليج (علج، علوج، أولوج) علي باشا قائدا للقوات البحرية، مع إسناد ولاية جزائر الغرب إلى المجاهد حسن باشا بن خير الدين باشا، وفي حالة اعتذاره يتم اختيار أحد الأمراء الأكفاء محلّه.¹

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، مرجع سابق، م08، ص327.

جزائر قرب بكار بكمية على - بوندته لفتح كلك ما يوجب كون رولون سوكه كلكه شجاعة وحسن وركنته
 لغيره ما يوجب اذولون ولذات جزائر قرب ما يملك مقتوه وحسنه واركه بقتن لاملن مملكت
 لعلته حفظ ودرست مقتوه كلكه كورولون صوغون بقتن لولون وقن ووسى لمله
 ودرست لركن مع لولون ليري اوله لدرت مع كلكه سوز وركن مهور ووجه تدارك
 لملون ندر زماة توجه ليدعكم معلوم لولون مقن سورع كك وصوله لولون قرب بوابين
 توجه تدارك لملون ندر زماة توجه ليدعكم معلوم لولون مقن سورع كك وصوله لولون قرب بوابين
 كلكه لعضار لولون ميسر سوزهاة حافر ميسر ندر زماة توجه لولون مقن سورع كك وصوله لولون قرب بوابين
 ندر ايم مقن سورع كك وصوله لولون مقن سورع كك وصوله لولون قرب بوابين

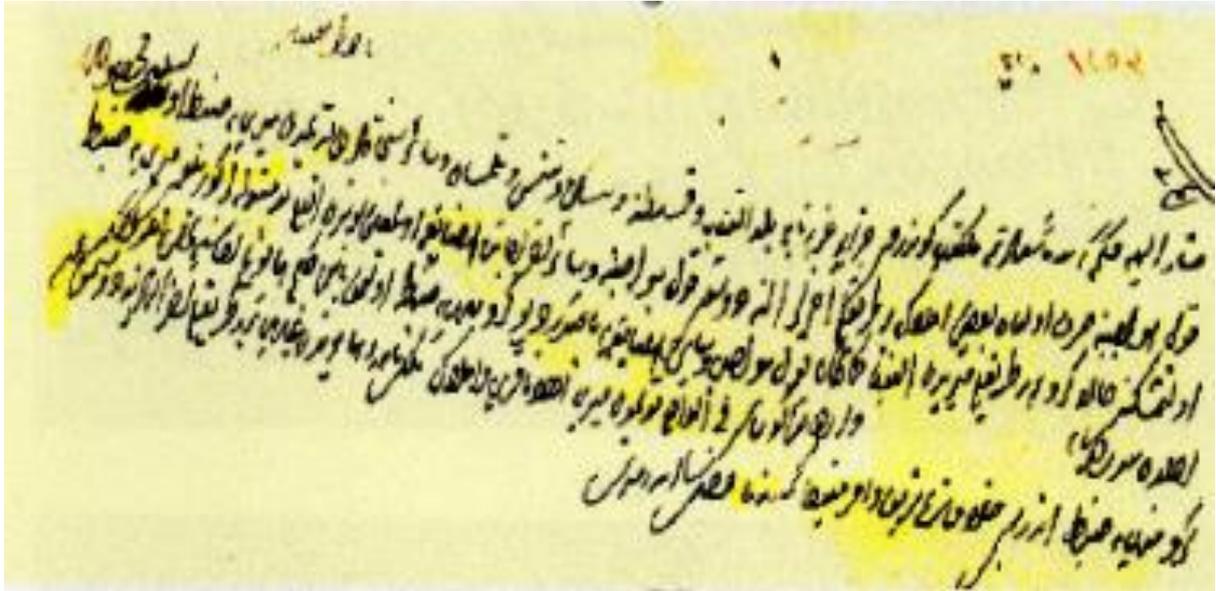
الملحق رقم 33: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1572م)، يأمر فيه بتعيين المجاهد حسن باشا واليا على الجزائر؛ وذلك لكمال شجاعته وحسن فراسته، مع الاستفسار عن سبب عدم التحاقه بالوظيفة.¹

فبوجه لفتح كلكه بوندته لفتح كلكه ما يوجب كون رولون سوكه كلكه شجاعة وحسن وركنته
 لغيره ما يوجب اذولون ولذات جزائر قرب ما يملك مقتوه وحسنه واركه بقتن لاملن مملكت
 لعلته حفظ ودرست مقتوه كلكه كورولون صوغون بقتن لولون وقن ووسى لمله
 ودرست لركن مع لولون ليري اوله لدرت مع كلكه سوز وركن مهور ووجه تدارك
 لملون ندر زماة توجه ليدعكم معلوم لولون مقن سورع كك وصوله لولون قرب بوابين
 توجه تدارك لملون ندر زماة توجه ليدعكم معلوم لولون مقن سورع كك وصوله لولون قرب بوابين
 كلكه لعضار لولون ميسر سوزهاة حافر ميسر ندر زماة توجه لولون مقن سورع كك وصوله لولون قرب بوابين
 ندر ايم مقن سورع كك وصوله لولون مقن سورع كك وصوله لولون قرب بوابين

الملحق رقم 34: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1572م)، إلى القبودان قليج علي باشا يسأل فيه عن ظروف المجاهد حسن باشا الذي عين واليا على الجزائر، ولم يباشر عمله.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 328.

² المرجع نفسه، ص 328.



الملحق رقم 36: حكم من السلطان العثمانيّ مراد الثالث (1595م)، خاصّ بالإبلاغ عن وقوع بعض الأماكن التابعة للميري في عتّابة وقسنطينة وبسكرة وتنس وتلمسان والألوية الأخرى في ولاية جزائر الغرب بأيدي بعض الأشخاص، الذين تمكّنوا من استصدار أوامر من مركز الدولة بالتصرّف بها، وقد نتج عن ذلك عدم تحصيل مواردها التي كانت تساهم في دفع رواتب الجند، وحصول مضايقات مالية في دفع مرتّبات الجند.¹



الملحق رقم 37: خريطة التقسيم الإداري لجزائر الغرب أواخر العهد العثمانيّ.²

¹ فاضل بيّات، المرجع السابق، ص 337.

² صالح عبّاد، مرجع سابق، ص 283.

قريب بكار بيمينه فكم حاله ولاتت فرار ووقوع اوله لعمرا به توجه لولنا
 نيز رسوم لولا ولها يوب اكر رسم قديتير وركر مير علم رسم وور وركر هاوساه و
 ورجع وكهتير لدنوب سد به سعارة كونر رعاك للازع لدونين سدر صوم و
 لانها كين ولاتت مرنوب ما ووقوع لوهض لمر لونه توجه لولنا سنجي فاله
 ووزع رسم بر لياتين وساير مير علم وجاوساه و بولياه رسوم جمع وكهتير رسوم
 مهر لدوب سد به سعارة كونر رسم ودر لمر سنجي قبله رسم بر لياتين لدونين
 رسوم و مير علم وجاوساه و بولياه عايناه هض رسومه فقندر رسم
 كونر له وكني بار قير سد به سد كندر كرها كور كطلي لونه

الملحق رقم 38: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1571م)، خاصّ بالأمر بتحصيل الرسوم

العائدة للدولة والمفروضة على أمراء السناجق في جزائر الغرب.¹

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، مرجع سابق، م08، ص326.

الحمد لله
٥٤٢

وبالله التوفيق
١٥٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم
 هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني واخرنا السامي الحامد لآله تاقدا في
 المشافقة والمغابرة ارسنا، اليه العلماء والشرقا والصلحا والمثابرة واعيان الناس
 عبرية الجزائر وجميع الرعايا وكافة البرابرة تيقن اعلامهم ان مدينة الجزائر
 وما تاجرها من جملة ممالكنا المحرسة وحلقت دلاصه بلادنا المحمية نظرا
 السعيد السلطاني والنعانتا الورعفة ابدا دائما الي انظماها وصون اهلها
 واقصي حرا دحضنا الخبيلة ودعاية اراءنا السنية ان يكون رعايانا
 كما بضالك في ايام دولتنا العادلة استين مطبق من شرحي فرضي اسنين
 علي انفسهم مطبطين في جميع احوالهم توزعهم سدودة سيد سيد وقلاهم
 مصونة بالامن والامان واقيدتهم والسنتهم رطبة بالدعاء الصالح لديموم
 دولتنا الفاتحة مدا الدهور والازمان وعن ذلك الشان قلنا امور تلك
 الممالك المحمية وادلك الاقاليم المحرسة قلنا امور تلك الممالك المحرسة
 بلوك خفرتنا العلية ليرلا درية الكلام احمد دام انك لفظ شهادته وصلواته وكل
 عزه وشجاعة وحسن تدبيره وكياسته فرضنا اليه صيط تلك الاقاليم وصونتها والقيام
 بها وحفظها ليلاط وصوق العباد ودفع الحن والزرا يا عني جميع الرعايا واحياء شرابع
 الدين الملتقى واجراء قوانين سيد المرسلين لكون اهلنا الاسلام وامرنا لانام
 في تلك الاراضي المباركة في ظل ظليل وعدل جليل تحت كنف حماة سلطنتنا
 السنية وفي زمن خلافتنا الفاتحة عن ايمانهم وعن ثمالهم محقوفين باكمال الرأفة رقيقين
 واحمر الاستراة متوقين اسنين منظرين بحيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
 والله اعلم بالصواب

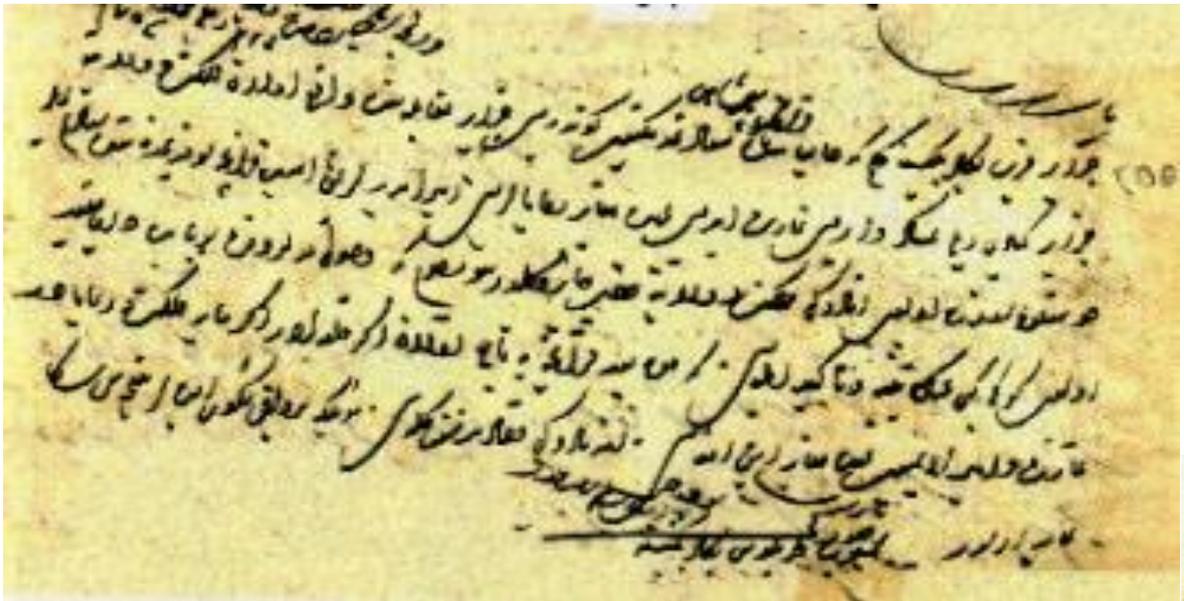
الملحق رقم 39: مرسوم شريف من السلطان العثماني سليم الثاني (1572م)، موجّه إلى العلماء والشرفاء والصلحاء والمشايخ والأعيان في ولاية جزائر الغرب، يؤكّد فيه على الاهتمام الذي تحظى به الولاية من قبل الدولة العثمانية، ويبلّغهم أسباب تعيين أحمد عرب باشا واليا على جزائر الغرب.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 329.

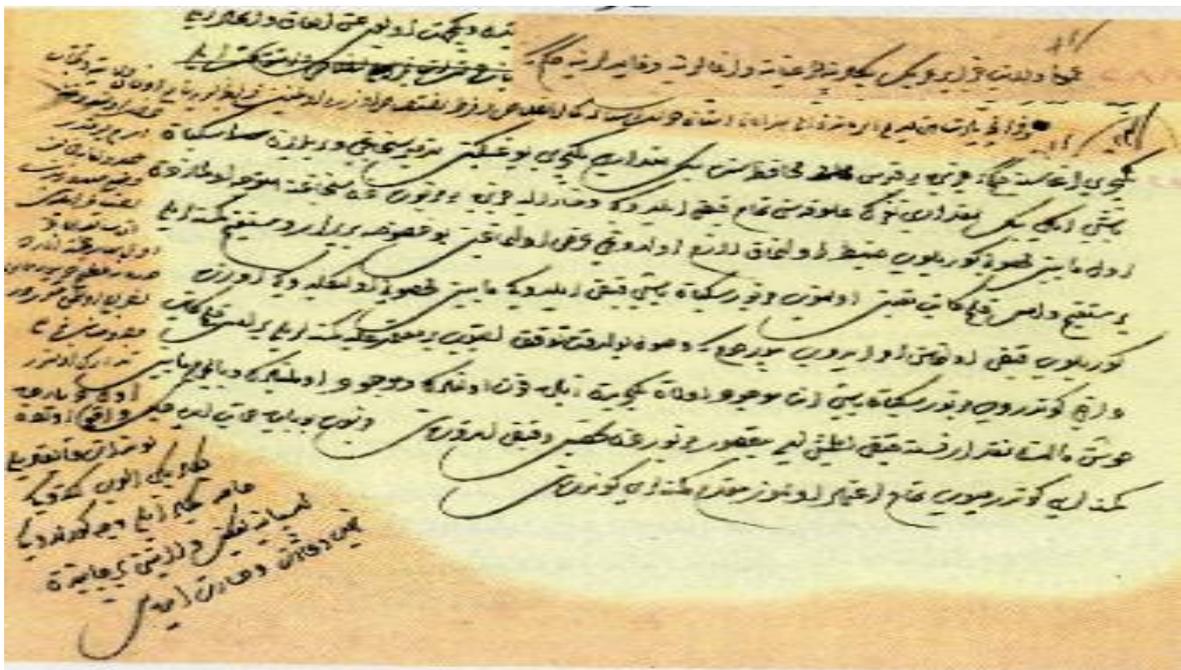
قد امرتنا الشريفة العلية السلطانية وازرا المنفق الساتى الخاقاني
 لانه ناقد لمبعوثه الخ لولايته قد ارسلناه الى الامير الكبير الكبري
 العلية المحض المنقري المحقق بغير غشاة الملك الصمد الورد الحاكم بوسيد
 بولاية دارم من تبي اليه ان قد ارسلنا عوطف الخ لعليلها السلطانية واطهرنا عوارضا
 الجيد الخاقاني بغير غشاة بكون خنزرتنا العلية وخذنا من جوار منتنا السنن ليرالذ
 الكونغ لجمع وضع لغيره وقلدنا ولادته لغير الغريم وانا نايها اياه وقوضنا ليس
 جميع ما يتعلق بولاية لولايته المحميد ككله للافناء لادته وديانين وخرط شجاعة
 وشهامة وحسن تدبير بالولي العليم وندركها التافه ولعزناه باجراء ما اتفاه
 الشرع المير والهادي من الامرين المنهين وضبط الرعايا والمكسر وحفظ البلاد
 والمساكن ولتلك كونه على الكرم للفتوح ولذالك ديجر المعاشرة واطلق
 الورد حينئذ بمنزلة كمن ولا حمله وحيثما يجر كفايتان بعبارة الرضى والدين
 ورقام بضيقة الشرع الكبير وبظهور من جنت الخاركن المرد وكعبه من سبيل المشور
 للامن وللمدانة في البلاد والرقا جنت وطلوعه ولا طمينة في باب العيا على
 ان تقربنا الشريفة العلية السلطانية لاحتيا من ان تباعه بجان من لالاشفاق
 وان سألوا بكم من الاخلوق الي تملك لاروض بالقول والموقى والياهاها
 وصلها انها مولها وراسا لها ولعاليها ان اضحي جراد خنزرتنا العلية لكونك
 لولايته المحميد واهاليها مطين مرهين مصونين من تعدي الاعداء اللبان
 في خلق عدالتا ماداد اللبابي وللايام والشهر بطن بالادعج الصلي
 لدوام دولتنا وقبر حشمتنا السامر الي قيام السحر وسلك الصامر
 والمجودات وحسن والصلح على من لا يبي نوره

الملحق رقم 40: مرسوم شريف من السلطان العثماني سليم الثاني (1572م)، أُرسِل إلى أحد الزعماء المحليين (لم يذكر اسمه) في جزائر الغرب يُعلمه فيه بتعيين أحمد عرب باشا واليا على الولاية، ويطلب فيه أحمد عرب باشا بإجراء ما يقتضيه الشرع وضبط البلاد وحفظها وحسن التعامل مع الأهالي.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 330.



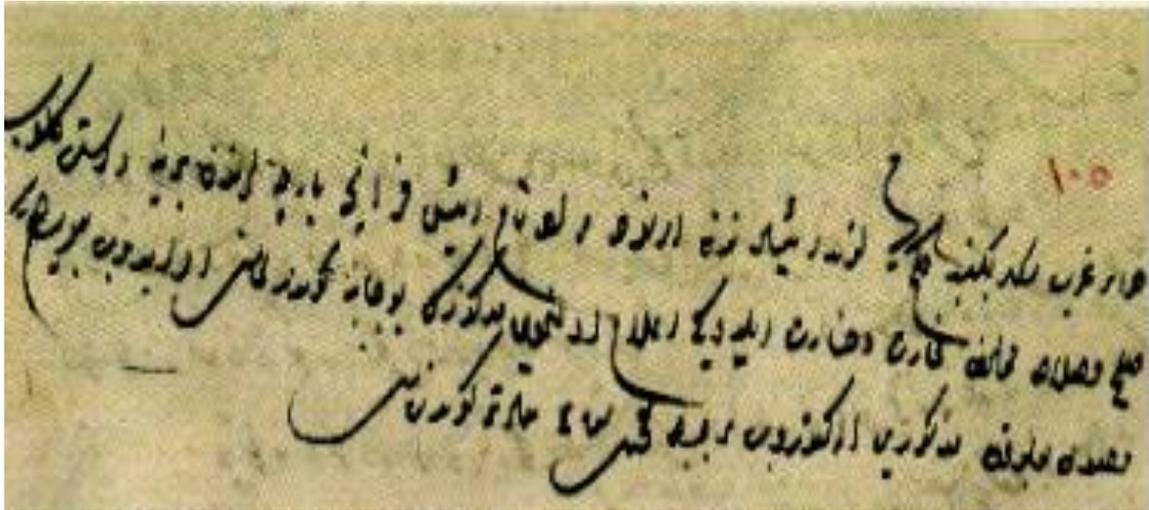
الملحق رقم 42: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1567م)، موجّه إلى بكربكي جزائر الغرب، ونسخة منه إلى بكربكي طرابلس الغرب وإلى موفد سفير فرنسا، يأمر فيه السلطان بعدم الإغارة على الأماكن التابعة للفرنسيين وعدم أخذ الأسرى، مع تأديب المخالفين له.¹



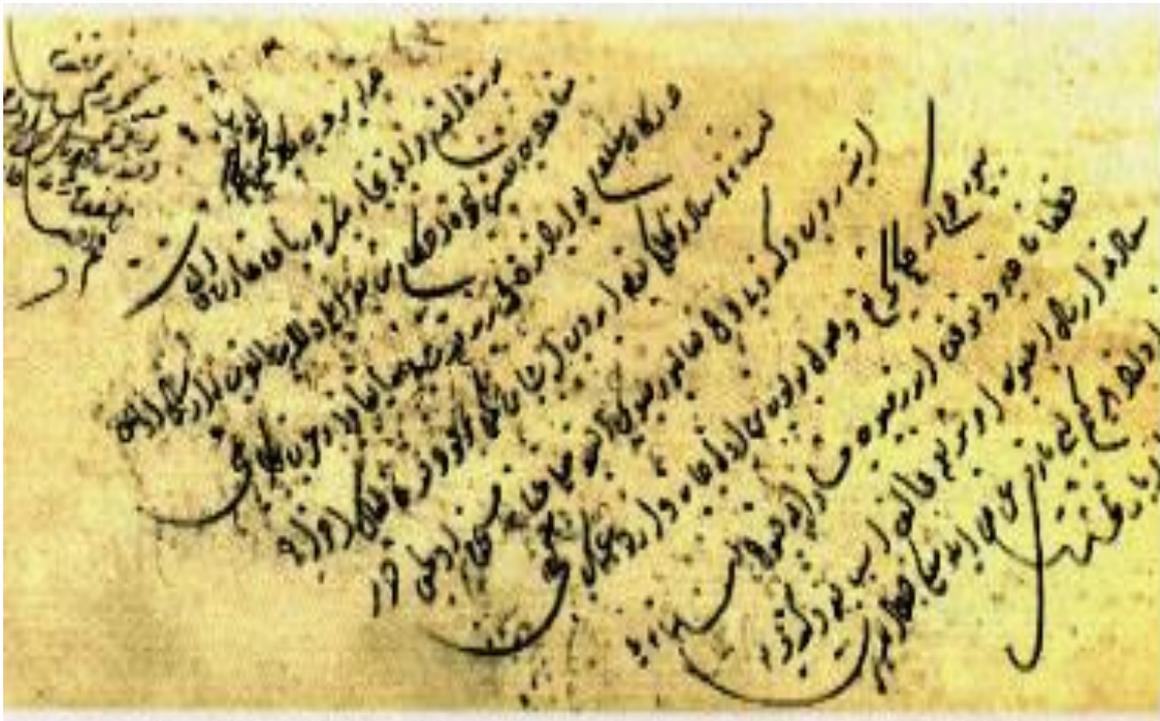
الملحق رقم 43: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1572م)، موجّه إلى جميع أمراء ولاية جزائر الغرب وأعيانها وأغواتها وقاداتها، يأمر فيه بعدم المساس بالأماكن التابعة للفرنسيين وبشؤون تجارتهم، كما ويؤكد فيه على الإغارة على البلاد الإسبانية.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 381.

¹ المرجع نفسه، ص 381.



الملحق رقم 44: حكم من السلطان العثماني مراد الثالث (1582م)، موجّه إلى بكربكي جزائر الغرب، يأمر فيه بإلقاء القبض على أحد رؤساء السفن بعد قيامه بالإغارة على إحدى البوارج الفرنسيّة، وطلب إرساله إلى مركز الدولة بإسطنبول.¹



الملحق رقم 45: حكم من السلطان العثماني مراد الثالث (1587م)، موجّه إلى بكربكي جزائر الغرب دالي أحمد باشا، يأمر فيه بإعادة موفد مركز الدولة المكلف بالتحريّ عن بضائع التجار الفرنسيين، بعد أن تمّ احتجازه من قبل البكربكي السابق حسن فنيزيانو.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص383.

² المرجع نفسه، ص384.

Handwritten Arabic text in a cursive script, likely a historical document or letter. The text is dense and covers most of the page, with some lines written in a larger, more prominent hand at the top. The document appears to be a formal communication or a record of events, possibly related to the Ottoman Empire's military or administrative affairs in the region of Algeria, given the context of the caption below.

الملحق رقم 46: حكم من السلطان العثماني محمد الثالث (1595م)، موجّه إلى بكربكي ولاية جزائر الغرب يخبره بأن ملك فرنسا قد طلب دعما من السلطان العثماني، ويأمره فيه بقيادة سفن جزائر الغرب وتونس لدعم حملة فرنسا ضدّ اسبانيا.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 384.

صحة بورد
٦٦٦
 تاريخ ...
 م ...

جزا روت بگر کبکی همن پانا بکلی ...
 صلحت الله علیه وجمود ...
 ودر عونت وارتق اولاده ...
 معاه کیده ...
 تم وحق ...
 وضعت ...
 نصرت ...
 بد اوله ...
 متعصب ...
 وبولد ...
 حاضر ...
 عون ...
 وبولد ...
 رعایت ...

اوله کونه ...

الملحق رقم 47: حکم من السلطان العثماني سليم الثاني (1564م)، يأمر فيه بمشاركة أسطول جزائر الغرب في الحملة المزمع شنّها لفتح قلعة مالطا.¹

¹ فاضل بیات، المرجع السابق، ص 357.

٢٨

مصر

٦٤٥
 وزير بكمية كذا... حادثة كذا...
 وزير... حادثة...
 وحكمه... حادثة...
 بعض... حادثة...
 راية... حادثة...
 امارة... حادثة...
 لوز... حادثة...
 حكا... حادثة...
 كبرى... حادثة...
 فت... حادثة...

الملحق رقم 49: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1573م)، موجّه إلى بكربكي ولاية جزائر الغرب قايد رمضان باشا يأمره فيه باتخاذ الإجراءات ضدّ المتمرّدين الذين يتعدّون على الدولة والأهالي في بسكرة.¹

٨٢

مصر

٦٤٥
 وزير بكمية كذا... حادثة كذا...
 حادثة... حادثة...
 حادثة... حادثة...
 حادثة... حادثة...
 حادثة... حادثة...
 حادثة... حادثة...

الملحق رقم 50: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1574م)، يأمر فيه زعيم بني عباس ببجاية بإبقاء الأوطان التي كان يتصرّف بها قبل تمرّده في عهده.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 394.
² المرجع نفسه، ص 397.

١١٢
٦٩١

مرسوماً من سوغا الترتق العالم السليمان ومثلاً لمنصف العالم الحاقاً بما رسدنا، الى الجبابرة اللادين
 الكبيرين اللادين شريف اللادين حاكم زواوة، ولع قد ستمين الله انما قد صمنا لهما وهو اللكن
 ووفع مفوزت ارباب اللبن والفضال وتوكلنا على عونه الله تعالى وحسن لا تصغر وعناياتنا ونوسلنا
 بكرامات سد اللذباب، وموزان علمه وعلى له وصحة بقصر بالعلواتن ذلكم المصالح وعقرنا
 والسنان لملحمة بالاولاد للذبح الطوب والفضال والصفان اذ ووزن اللغز والمازله والاطبا كلها
 باطلان الرجال الحباذين للاملايكله الذين المنين ثم ارسلنا اليكم بما قلده عيشنا العالم اننا
 العالم سلماه زريقه للملحن العاقرا فاولد لاسر اليكم كاتيا الترتق وكلما المنق فاعلمكم
 لان تلكا فاما بتعلم وللدليل وتلها شررا على انها، انما المنعاه ولة تلمها الترتق من لاسما عن
 والجلد من التي رة لرفع المغزى وتكتم المنة ولة كقر للمغار والولف والذولدة المنكاشو
 لعاكرنا المنسورة بالطاق انما العرويه بالولدين على تلكس الدرار لافوسور شررا لكاكر
 فاولد وعلمكم لونا الترتق وكلما المنق بعد منزل وطلب منق المفاير العاكر الجلبية الحاثر
 ردفوها الامن طلب منق انرا الترتق دفادون لكاكر وادورن لآخاه

مع
 الجبابرة عالم اللين عباس

الملحق رقم 51: مرسوم شريف من قبل السلطان العثماني سليم الثاني (1574م) باللغة العربية، موجّه إلى حاكم زواوة أحمد بك يأمره بالمشاركة في الحملة العسكرية ضدّ الإسبان، من خلال تقديم المؤن الغذائية والمقاتلين والمعدّات الحربيّة، ومكرّماً إيّاه بخلعة سلطانيّة (قفطان).¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 397.



الملحق رقم 52: حكم من السلطان العثماني أحمد الأول (1606م)، يشيد فيه بالخدمات التي أسداها الشيخ عباس (شيخ بني عباس) في ردع تمرد الأعراب في جزائر الغرب، ويكرّمه بخلعة (قفطان) سلطانية.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 399.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

* قال الشيخ البغية الامام * الفدوة العظيمة اكبر الهام *
من امره بالله حبي * أبو المكارم سيدي عبد القادر بن عبد الله ابن
أبي جلال المشرفي * الغريسي رحمه الله ونفعنا به في الدارين *
* آمين ، آمين *

الحمد لله وحده حق حده * والصلاة والسلام التامان على من
لأنبي بعده * وبعد بهذا التفييد سميت بهجة الناظر * في أخبار
الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهران من الأعراب كبنى
عامر * وما أنا شرع في المراد * ومن الله تعالى أسأل الاستعداد * إنه على
ما يشاء فدير * وبالأجابة جدير * لا رب غيره * ولا خير إلا خيرة *
اعلم أن هؤلاء الأسبانيين لا شك أنهم جرفوا من الروم لا من
البرنج بدليل أن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه
لهرفل عظيم الروم وبعثه له مع دحية الكلبي يدعو إلى الإسلام
هو الآن عند ملك طليطلة وفداهه لابن الصايغ النحوي لما وجدته
عليه فلاوون سلطان مصر وسموا بالأسبانيين نسبة لاسبانيا بقطع
الهمزة المكسورة وهي مدينتهم القديمة * وقاعدة ملكهم الفويمة *
وفد تلاشت وبقي الاسم لها وأما الآن بقاعدة ملكهم مدينة مدريل
باللام ويقال لها مدريد بالبدال أيضا حدو طليطلة ومسكنهم بارص

ALBORDJ.BLOGSPOT.COM

الملحق رقم 53 (أ): مخطوط بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهران من الأعراب كبنى عامر، مخطوط للشيخ عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي الغريسي الجزائري¹.

¹ مدونة سيدي بن عزوزو، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهران من الأعراب كبنى عامر، 2014/01/23م، استخراج من الرابط https://albordj.blogspot.com/2014/01/blog-post_23.html?m=0، بتاريخ 2019/03/17م، على 20 شا و31د، ص23.

ولا يخشى ملامة على دينه من اهل الاسلام ولا مرافبة له لله تعالى في دينه الفويم ولا سلوك له في طريق الله وهو الصراط المستقيم ولا حياء له في وجهه لما رفع عنه الجلباب ولا مروءة له حيث يغزو بالنصارى على المسلمين ذوى النهى ولا لباب وكيف يكون له الجواب لربه جل وعلا في يوم القيام وكيف يكون حاله في فبرة وقت الخصام فياعجبا منه كيف يجاوب الملكين منكرا ونكيرا إذا سألاه عن دين الاسلام وعن من يعنه الله يخلفه بشير انذيرا وسراجا منيرا وكيف يكون اذا جتن في الفبر ورجع ذليلا حقيرا ثم ان هؤلاء العرق الصالة المذكورة لما انعم الله تعالى بظهور نوره رغا على انب الكافرين واءلاء كلمته وكلمة دينه حتما على المعاندين والبعاجرين حيث فيص للاتراك الجزائر وصير فيها باشتها الشريف العفيه السيد اباعبد الله محمد بكداش خوجة ابن العفيه ابى الحسن علي داني بن محمد التكدلى بدلا من الذى قبله وهو الباشة الشريف السيد حسين خوجة في سنة ثمانى عشرة ومنة والى واحال ان بلي الايالة الغريبية اجماع بين ايالة مازونة وتلمسان السيد مصطفي ابا الشلاغم بن يوسف المسراتى كان رابطا على وهران ملازم ماجهاد النصارى رايمما بتحتها وصابرا على بلاياها غير ان الباشة السيد حسين لم يعنه بشيء من الجيش وانما هو محاصر لها بمحلته المعتادة التى هي منة بسطاط من لاتراك في كل بسطاط خمسة وعشرون جنديا مع جيشه من العرب بأمد الباشة السيد محمد بكداش بالجيش برا وبحر النظر صهرة ووزيرة السيد اوزن حسن واجتمع الجيش العظيم بساحتها وصافقوا من بها انفسموا على ثلاثة فرق بعرفة منهم كجأت كحصن العدو وصارت تقاتل معه وتدابع بجهدا عنه واحكم في هذه العرفة اباحة مالها ودم رجالها والبالغين من ذراريتها لمن ظفر بهم من المسلمين لكونها

الملحق رقم 53 (ب): مخطوط بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإشبانيين بوهران من

الأعراب كبني عامر، مخطوط للشيخ عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي الغريسي الجزائري¹.

¹ بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإشبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، الرابط السابق، ص 23.



الملحق رقم 54: رسالة الدّاي علي بن أحمد الملقّب علي خوجة (1784-1818م) إلى السلطان محمود الثاني في 06 أكتوبر 1817م، يبيّن فيها سوء تدبير الدّاي عمر باشا (القرن 18م-1817م).¹

¹ عبد الجليل التّميمي، بحوث ووثائق في التّاريخ المغربي 1816-1871م، مرجع سابق، ص 265.

الوثيقة رقم 10 (83)

ان عبدكم داي الجزائر السابق المرحوم عمر باشا لم يهتم بصورة مجددة لحل قضايا الانكساريين والمسائل الهامة المتعلقة بالجهاد ، بل على العكس من ذلك اتبع سياسة استبدادية وحسب ميوله الشخصية، كما انه لم يهتم بضعفاء الولاية ، وانصرف الى تبذير اموال خزينة المسلمين في تشييد ابنية لا فائدة ترحى منها ، وقيامه ببعض الاعمال التي ادت الى الافلاس . ومنذ سنة حصلت لنا حرب مع الانقليز حيث الحقونا هزيمة لم يشاهد تاريخ هاته الولاية مثيلا لها ؛ ان سبب ذلك راجع الى سوء التدبير واناية وتقصير الداي السابق . وعليه اجتمع العلماء والمشائخ والصلحاء والاغنياء والفقراء والواجاق ، ليتبادلوا الرأي فيما سيتولى امرهم ، تماشيا مع المبدأ القرآني ، « وشاورهم في الأمر » .

لقد اتفق المجتمعون على عزل عمر باشا من منصب الداي وتعييني مكانه . ومنذ استلامي مقاليد الحكم ، وانا ساهر على حماية البلد ، دون ان يدفنى ذلك الى الافتخار بتقليدي امور البلاد .

كان الواجب يحتم علينا رفع الطاعة والولاء اليكم والدفاع عن البلاد بجهادنا وحماية الفقراء والضعفاء وحل المشاكل المتعلقة على الدولة .

ان عبدكم لصارف نهاره وليله ، الى اداء مثل هذه الواجبات .

نود من حضرة سلطاننا ، صاحب المكارم السنية والسعادة والعدل والحير ، ان يطلع على تقريرنا هذا ، حتى يكون حضرته على علم تام بما جرى لنا .

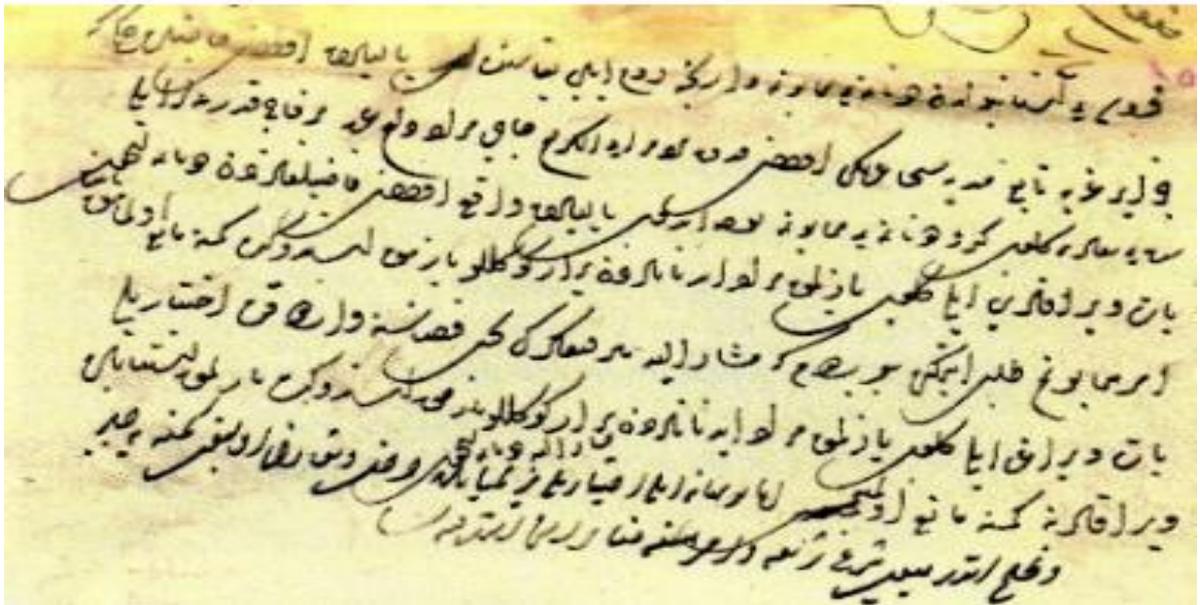
عبدكم علي بن احمد ، متصرف الجزائر المحروسة .

25 ذي القعدة 1232 / 6 أكتوبر 1817 .

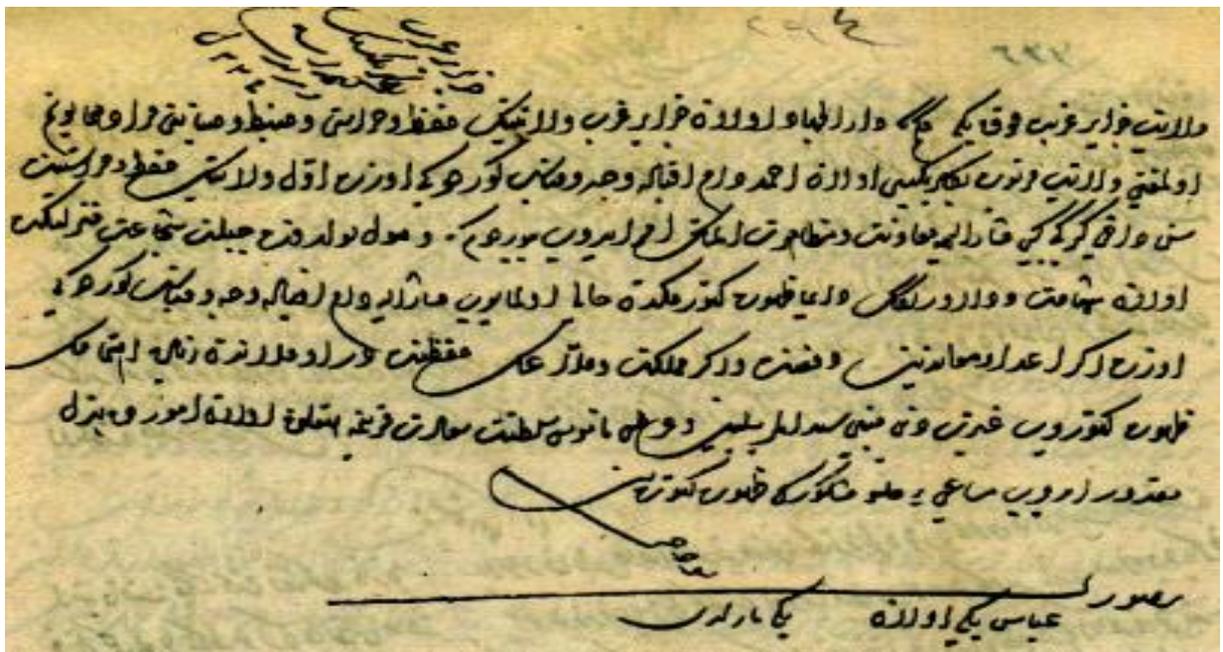
الملحق رقم 55: رسالة أرسلها الداي علي خوجة الذي حكم بين 1817-1818م إلى السلطان

العثمانيّ محمود الثاني (1785-1839م) في 06 أكتوبر من عام 1817م.¹

¹ عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 259.



الملحق رقم 56: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1571م)، يأمر فيه بعدم الاعتراض على أمير سنجق المدينة بولاية جزائر الغرب عند تجنيده مقاتلين من سواحل الروملي للاتحاق بالأسطول الجزائري مع أسلحتهم ومعداتهم.¹



الملحق رقم 57: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1574م)، يأمر فيه أمير فودة وبني عباس من بحفظ وحراسة ولاية جزائر الغرب عند التحاق البكلربكي أحمد عرب باشا بالأسطول السلطاني.²

¹ فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، مرجع سابق، م8، ص353.

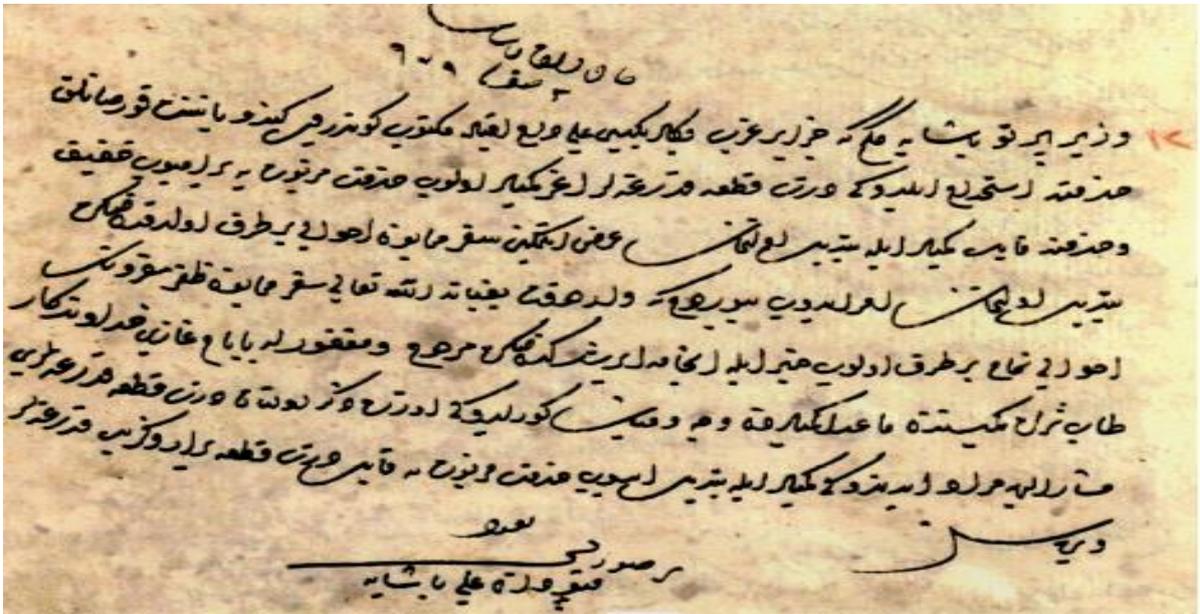
² المرجع نفسه، ص396.

٧٨٤

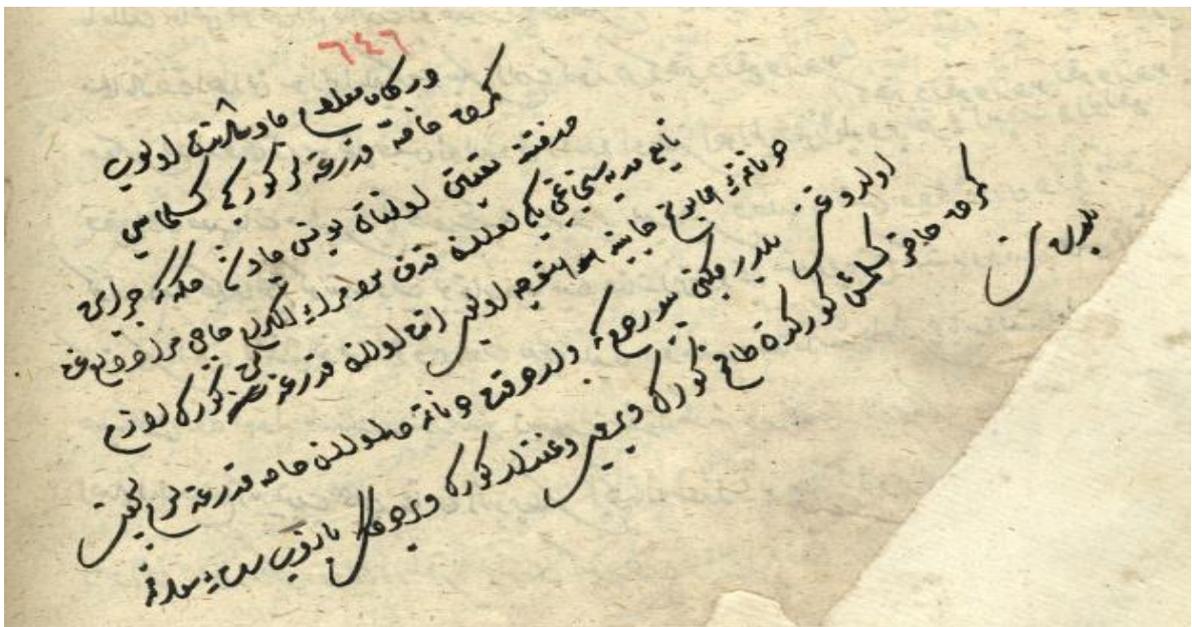
عزير عونا ولقد ضاع فوده كمن اراد لوعا كمن اراد لوعا
 ففقدت بينه وبيننا في امور وبنز صلا سبب الواسع من زمانه
 اجد ان اوله ندم موقر موهوم / وعلما بانه قد بدل في
 وفي فقهه بعد ذلك بيزله ونقودنا اية ستر وكفاية كروار
 منبذ او ما نعلم لعله بهار حنة لانه هو نامة بهابوم
 لانا انه ثمة نامة سالوم دارك في كرمه صفة لكونه
 وقد تزيينا قلنا اية كرمه لانه قد تفتنا ونؤمن
 لعلك عزير عونا بلك سبب فوده وبنز صلا سبب الواسع
 من اشارة نامة لعلك سبب فوده وبنز صلا سبب الواسع

الملحق رقم 58: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1574م)، يأمر فيه أمير فودة بتوفير المؤن الغذائية للأسطول العثماني المتوجه لتحرير تونس والالتحاق بمقاتليه بالأسطول.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 396.



الملحق رقم 61: حكم من السلطان العثمانيّ سليم الثاني (1571م)، خاصّ بالموافقة على استبدال السفن الثقيلة التي يمتلكها الأسطول الجزائريّ بسفن أخرى خفيفة مناسبة للعمليات الجهاديّة، وذلك نزولاً عند طلب بكلربكي جزائر الغرب قليج علي.¹



الملحق رقم 62: حكم من السلطان العثمانيّ سليم الثاني (1571م)، موجّه إلى صانع مجاديف القدرغوات بغية تزويد سفن الأسطول الجزائريّ بالمجاديف وذلك نزولاً عند طلب أمير سنجق المدينة بولاية جزائر الغرب.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص355.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٢٤٨
 فتبوءة علي باشا - حاكم جزيرتي كبري وكبري من يد سارة مكتوب كونتروين وللايين
 قراري كلكم لوتوز قطة قدره ككر لولمانيو كلكم فكن وكلكم ونوعه في ليلين عمدي
 لوتوز باين كك وركم حوتري نوتري و زيل لولوريم لولندر نصايد و ريك موتور
 حماة مارتلكم فكن لولوريج كوتر ملدا و مصاحفي كورلوي كيكه كلكم لارسا عهوضي
 لومرهم ونتر سويو كك ولر عوقه باقر لوتوب حار ليك مصالحن كوروين لرسع موصفي
 كيكه كلكم لارسا و لرسا باين لولور لدرع ولها كك وجوه كورين و كك كك
 مصطنق ول عك - غير عتات باين ثالثة طربوس غير كيكه كلكم لارسا لولندر جزيرتي
 قير لولور كلكم لولور لولور لولور لولور لولور لولور لولور لولور لولور لولور
 لولور

الملحق رقم 63: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1572م)، إلى القبودان قليج علي باشا يأمره فيه بتوفير طلب المجاهد حسن باشا، والمتمثل في توفير 30 قطعة من السفن للذهاب بها إلى جزائر الغرب.¹

٣١٩
 جزائر جزيرتي كبري وكبري من يد سارة مكتوب كونتروين وللايين
 قراري كلكم لوتوز قطة قدره ككر لولمانيو كلكم فكن وكلكم ونوعه في ليلين عمدي
 لوتوز باين كك وركم حوتري نوتري و زيل لولوريم لولندر نصايد و ريك موتور
 حماة مارتلكم فكن لولوريج كوتر ملدا و مصاحفي كورلوي كيكه كلكم لارسا عهوضي
 لومرهم ونتر سويو كك ولر عوقه باقر لوتوب حار ليك مصالحن كوروين لرسع موصفي
 كيكه كلكم لارسا و لرسا باين لولور لدرع ولها كك وجوه كورين و كك كك
 مصطنق ول عك - غير عتات باين ثالثة طربوس غير كيكه كلكم لارسا لولندر جزيرتي
 قير لولور كلكم لولور لولور لولور لولور لولور لولور لولور لولور لولور
 لولور

الملحق رقم 64: حكم من السلطان العثماني مراد الثالث (1595م) إلى البكاربكي خضر باشا الذي طلب من السلطان إبقاء سفينة حربية كانت قد أرسلت من إسطنبول إلى فاس في مهمة.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 356.

² المرجع نفسه، ص 357.

الملكة فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
 قاتلة الحسين بن علي بن أبي طالب
 اهل بيته الطيبين الطاهرين
 صلوات الله عليهم اجمعين
 في يوم الاثنين ربيع الثاني سنة 1070
 من الهجرة النبوية
 في قلعة جزيرة أيامورة الواقعة إلى الغرب
 من اليونان في البحر الايوني ومكرما إياه.¹

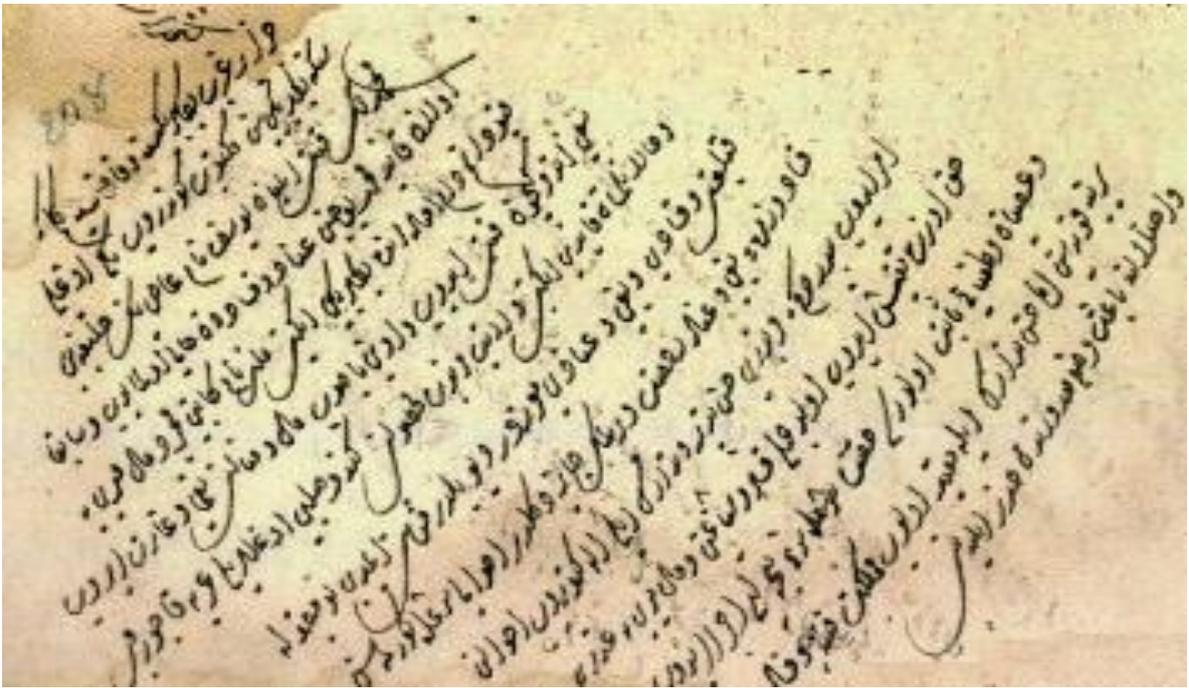
الملحق رقم 65: حكم من السلطان العثمانيّ سليم الثاني (1572م)، يشيد فيه بالدور الذي قام به قائد تلمسان بارمقسز مصطفى في فكّ الحصار المفروض على قلعة جزيرة أيامورة الواقعة إلى الغرب من اليونان في البحر الايوني ومكرما إياه.¹

في يوم الاثنين ربيع الثاني سنة 1070
 من الهجرة النبوية
 في قلعة جزيرة أيامورة الواقعة إلى الغرب
 من اليونان في البحر الايوني ومكرما إياه.²

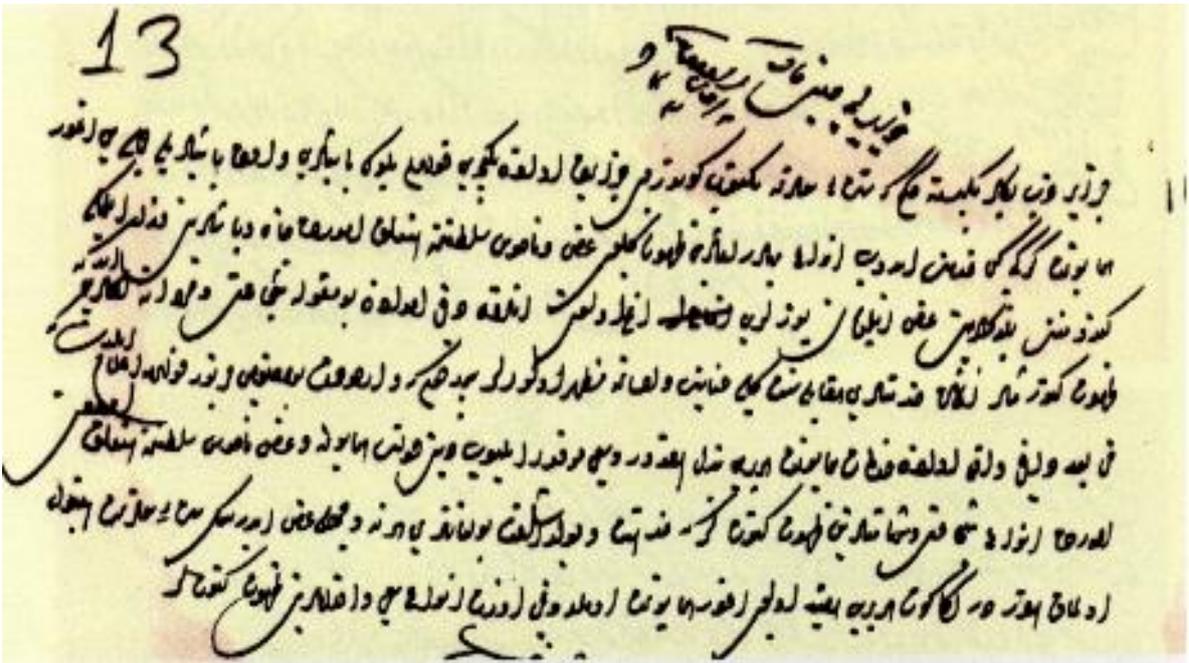
الملحق رقم 66: حكم من السلطان العثمانيّ سليم الثاني (1568م)، خاص بتعيين آغا (قائد) وكتخدا الجنديّة البرية لولاية جزائر الغرب من مركز الدولة العثمانية، والوعد بتزقيتهم بعد التأكد من كفاءتهم وإخلاصهم ونزاهتهم.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 366.

² المرجع نفسه، ص 349.



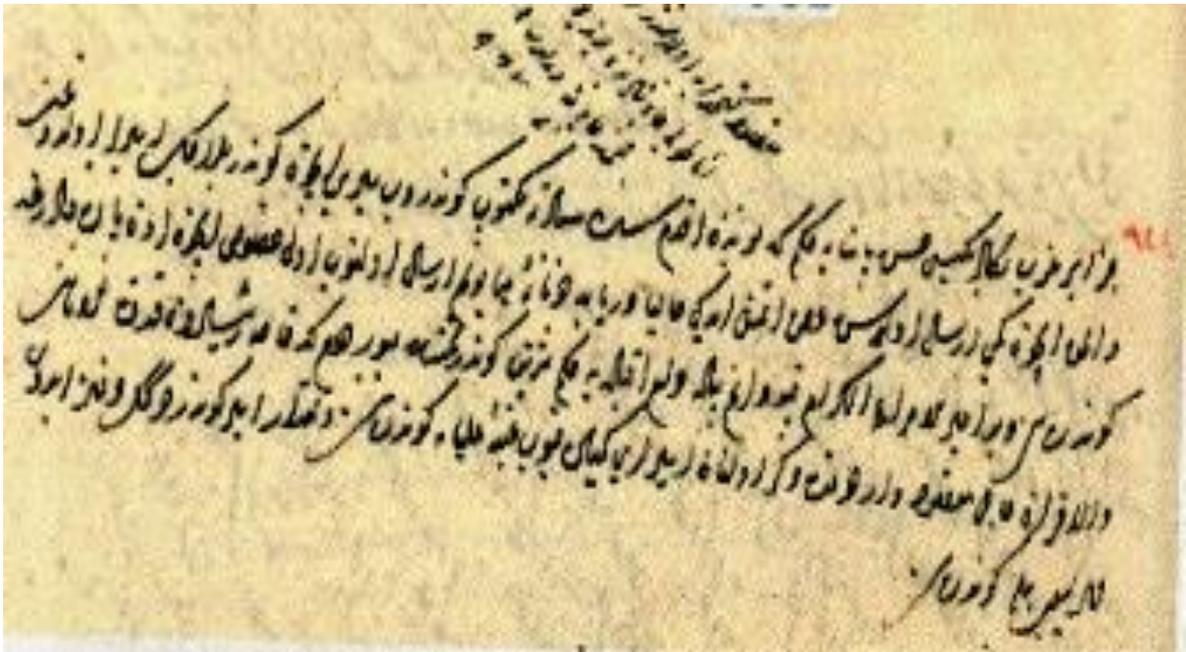
الملحق رقم 72: حكم من السلطان العثمانيّ سليم الثاني (1573م)، موجّه إلى بكربكي جزائر الغرب وقاضيتها، متعلّق بتورّط قائد تلمسان بأعمال الفساد والجرائم واعتدائه على الأهالي وتجاوزه على المال العامّ؛ حيث أمر السلطان باستدراجه وتقصّي أحواله ومعاقبته في حالة ثبوت ما نُسب إليه.¹



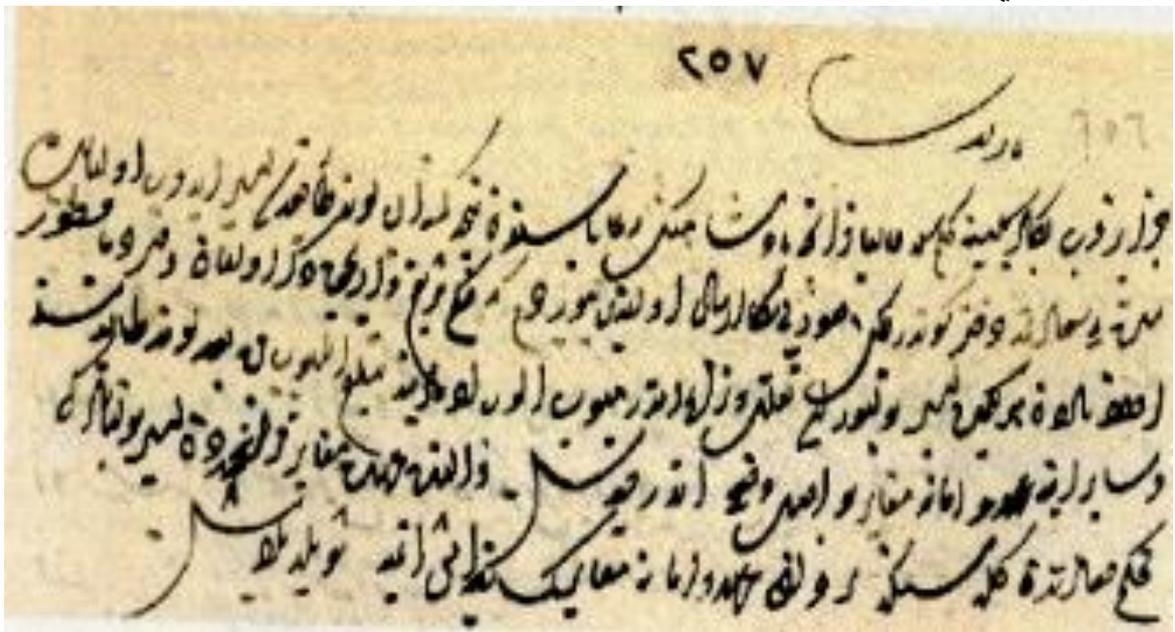
الملحق رقم 73: حكم من السلطان العثمانيّ سليم الثاني (1566م)، والمتعلّق بالجهود والتّضحيات التي بذلتها الجنديّة البريّة في جزائر الغرب، مع الأمر بتكريمهم حسب استحقاقاتهم.²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص344.

² المرجع نفسه، ص348.



الملحق رقم 76: حكم من السلطان العثمانيّ سليمان القانوني (سليمان الأوّل) (1560م)، بناء على طلب بكربكي جزائر الغرب حسن باشا بن المجاهد خير الدين باشا إرسال 10 سفن لنقل الأسرى الموجودين في جزائر الغرب إلى إسطنبول.¹



الملحق رقم 77: حكم من السلطان العثمانيّ سليمان القانوني (سليمان الأوّل) (1565م)، يأمر فيه بكربكي جزائر الغرب حسن باشا بن المجاهد خير الدين باشا بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين أسرههم اللوند (الجنديّة البحريّة).²

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 388.

² المرجع نفسه، ص 388.

في رجب بكار بكية ملك والاتب فرجة وده بعض كمن اسير لولد وقدر لسماء لوشني اربع لوليه
 ولج حاندين فرج تعبايت لسماء عدالة عولم جاندي كان عدالة اطار عيو ويت ليه كلتن
 هاندي وراثة فرج تباركهم ولغدي اولوق يابز وكلمر سوروم واروون بو صومر لوكات بها
 اختير لوليه كورن هاندي ودرنگا وده وسارو وولد بقوه اوطا يوب وهولوتن هاندي
 المنس وكلمر ليه ودرت فرجة وده وكبيرته بالقي لامن ولان لوزج كندو فالوت كزر كمن
 اتم ليه اطلاق اللبون وثني ليه كمن كمن كمن اطلاق لولنا اسير ليه اللار ليه صومر
 كمن ليه صومر ليه جاندي ودرنگا وده وسار عدلف لوزج لكمن اسير لولد ليه ليه واقتر
 لولمنح حلاف اوله لفته حزر ليروي قرانج لولد لولد ليه تمام صلح لولد لولد ليه لوزج
 لولمنح حلاف لولمنح حلاف اسير لوليه حلاف اوله لولد حزر ليروي لولد

الملحق رقم 78: حكم من السلطان العثمانيّ سليم الثاني (1572م)، إلى بكربكي جزائر الغرب عرب أحمد باشا يأمره فيه بإخلاء سبيل الأسرى الفرنسيين، وإعلام الجانب الفرنسيّ بذلك، مع توخيّ الحذر من أن يُستغلّ الأمر ويستفيد منه غيرهم.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 389.

٤٩
 سنه ١٠٥٠
 ١٠٥٠
 جزائر كبرى كسيفه حكمه رسته و بقاء معروف نام و الا بكن كافر ائمة قوتو بخر و او غا و ركن اذ غيا لوندو بونام فون
 ذرانه و اولا بكن كبر كن جزائر و بكن فور صاه افند و بكن ائمة و بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته
 لسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته
 بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته
 كوز رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته
 اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته
 اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته و اذ بكن رسته

الملحق رقم 79: حكم من السلطان العثماني مراد الثالث (1591م)، موجه إلى بكربكي جزائر الغرب، يعلمه فيه بأن أحد رؤساء البحر قد أسر أحد الأمراء الأجانب واحتفظ به في ولاية جزائر الغرب، ويأمره بإرساله إلى مركز الدولة دون تأخير.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 392.

بهيوتة من ...
 بتوفية في ...
 وشاير ملك ...
 كرونا ...
 دعوه ...
 اسير ...
 ارض ...
 بان ...

الملحق رقم 80: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1572م)، موجه إلى القبودان (قائد البحرية العثمانية)، يأمره فيه بتدريب الأسرى مهارات حرفية تتعلق بالسفن، على أيدي الأسرى المحترفين للاستفادة من خبراتهم.¹

¹ فاضل بيات، المرجع السابق، ص 393.

رَبِّهِمْ صَلَاتًا وَرَأْفًا وَاللَّهُ يَجْمَعُ
عَمَّا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۚ مَا كَانَ لَهُ سُلْطَانٌ عَمَّا

القرآن الكريم برواية ورش

أولاً: المصادر.

(1) المصادر العربية:

- 1- الحاج ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي، من كتاب مجموع رحلات، تأليف وتحقيق، أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
- 2- أحمد بن قاسم البوني، الدرّة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تقديم وتحقيق سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2007م.
- 3- أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011م.
- 4- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الزاشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط¹، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، عام المعرفة للنشر والتوزيع، 2013م.
- 5- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، 1754-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
- 6- أحمد النصارى الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، د.ت.
- 7- الآغا إسماعيل بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج¹، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، د.ت.
- 8- الحسن بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، مطبعة بيبير بونتانا الشرقية، الجزائر، 1908م.
- 9- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005م.
- 10- سعيد بن عبد الله المنداسي، ديوان شعر، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976م.
- 11- شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج³، تحقيق مصطفى السقا، موضوع روضة الأقبوان في ذكر حاله في المنشأ والعنفوان، مطبعة فضالة، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب، المغرب، د.ت.
- * صالح العنتري (محمد الصالح بن العنتري)؛
- 12- مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ذخائر المغرب العربي، 1974م.
- 13- فريدة منيسة في حال دخول الترك بلاد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تحقيق يحي بوعزيز، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

- 14- **عبد الرحمن بن محمد بن خلدون؛**
 * المقدمة، الدار التنسيّة للنشر، تونس، 1984م.
 * مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط7، ج2، دار نهضة مصر للنشر، 2017.
 * مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، 1962م.
- 15- **عبد العزيز العظمة، مرآة الشام، تاريخ دمشق وأهلها، تحقيق نجدة فتحي صفوة، رياض الرئيس للكتب والنشر، 1987م.**
- * **محمد أبو راس الناصري (محمد أبو راس الجزائري، محمد بن أحمد أبو راس الناصر)؛**
 16- فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربّي ونعمته، تحقيق وضبط وتعليق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- 17- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تحقيق محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC، د.ت.
- 18- **محمد بن محمد بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تقديم وتحقيق عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات البيّاتة، الجزائر، 1986م.**
- 19- **محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضيّة في الدولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحميّة، ط2، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.**
- 20- **محمد بن يوسف الزيّاني، دليل الحيران وأنيس السّهران في أخبار مدينة وهران، ط1، تحقيق وتقديم المهديّ البوعبدليّ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.**
- 21- **محمد قاضي، الكنز المكنون في الشعر الملحون، تقديم أحمد أمين دلاي، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2007م.**

(2) المصادر المترجمة:

- 1- **حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمد حرب وتسليم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، 2017م.**
- 2- **خير الدين بربروس، مذكّرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010م.**
- 3- **شالر ويليام، مذكّرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربيّ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.**
- 4- **لطفي باشا، تواريخ آل عثمان، الوقائع التاريخيّة للدولة العثمانيّة حتّى عام 1553م، ترجمة محمد عبد العاطي محمد، تقديم سيّد محمد سيّد، دار البشير للثقافة والعلوم، 2018م.**
- 5- **ويليام سبنسر، الجزائر في عهد "ريّاس" البحر، تعريب عبد القادر زيادية، دار القصة للنشر، 2006م.**

(3) المصادر الأجنبية: (العثمانية/التركية)

- 1- علي رضا باشا، مرآت الجزائر، مترجمي، علي شوقي، مجلس كبير معارفي تنسيبيه، إسطنبول، 1293هـ.
- 2- Piri Reis, Kitab-I BAhriye. Arařtırma, Planlama Ve Koordinasyon Dairesi Başkanlığı, Ankara. 2002.

ثانيا: المراجع.

(1) المراجع العربية:

- * أبو القاسم سعد الله؛
- 1- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2007م.
- 2- تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2011م.
- 3- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، ط³، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- * أحمد آق كوندز؛
- 4- الوثائق تنطق بالحقائق، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، 2014م.
- * أحمد توفيق المدني؛
- 5- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 6- كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م.
- 7- محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- 8- هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.
- * أحمد السليمان،
- 9- تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات البيّاتة، الجزائر، 1998م.
- 10- النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، منشورات دحلبي، 1994م
- 11- أميرة مدّاح، نظرة متأنية في تاريخ الدولة العثمانية، دار الحارثي، 1998م
- 12- أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671م، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- 13- إيرينا بيتيرسيان، الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، د.ت.
- 14- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2010م.
- 15- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م.
- 16- جميل صليبي، تاريخ الفلسفة العربية، الشركة العالمية للكتاب، 1989م.

- 17- حسن الضيقة، الدولة العثمانية، الثقافة والمجتمع والسلطة، ط¹، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1997م.
- * حنيفي هلايلي؛
- 18- أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2008م.
- 19- بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، عين مليلية، الجزائر، 2007م.
- 20- العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815-1830م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007م.
- 21- جورج إيفير، الجزائر، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط¹، ج9 وج10، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998م.
- 22- روجيه لوتورنو، الجزائر، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط¹، ج9 وج10، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998م.
- 23- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ط¹، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2001م.
- 24- سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة رحاب، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1990م.
- 25- سعيد بن علي بن علي المغناوي، السيرة النبوية في الكتابات الفرنسية والإنجليزية، العبيكان للنشر، د.ت.
- 26- سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية، النشأة والازدهار، وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2010م.
- 27- شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1998م.
- 28- صالح عبّاد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، الجزائر، 2012م.
- 29- صلاح العقّاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ط⁶، مكتبة الأنجلو-المصرية، 1993م.
- 30- عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
- 31- عبد الباسط سلامة هيكّل، الحبّ والحقد المقدّس حوار الجدّ والحفيد، روابط للنشر والتوزيع، مصر، د.ت.
- 32- عبد الجليل التّيمي؛ بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م، الدار التونسية للنشر، 1972م.
- 33- عبد الحميد بن أبي زيّان بن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972م.
- 34- عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، ط⁴، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1981م.

* عبد الله الغدّامي؛

- 35- النقد الثقافيّ (قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة)، ط²، المركز العربيّ، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، 2001م.
- 36- نقد ثقافيّ أو نقد أدبيّ، ط¹، دار الفكر، (عبد النبيّ أصطيف) دمشق، سوريا، 2004م.
- 37- عبد المنعم الجميحي، الدّولة العثمانيّة والمغرب العربيّ، دار الفكر العربيّ، القاهرة، مصر، 2006م.
- 38- عصمت عبد المجيد بكر، أصالة الفقه الإسلاميّ، دار الكتب العلميّة، 2010م.
- 39- عمّار بوحوش، التّاريخ السّياسيّ للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط¹، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1997م.
- * فاضل بيّات؛
- 40- بلاد الشّام في الأحكام السكانيّة الواردة في دفاتر المهمّة 951هـ/1544م-973هـ/1566م، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشّام، الجامعة الأردنيّة، عمّان، 2005م.
- 41- البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، ط¹، م⁸، مركز إرسيكّا، إسطنبول، تركيا، 2019م.
- 42- الدّولة العثمانيّة في المجال العربيّ، دراسة تاريخيّة في الأوضاع الإداريّة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانيّة حصراً، مطلع العهد العثمانيّ-أواسط القرن التّاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، 2007م.
- 43- مارسال كولومب، الجزائر، موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ط¹، ج¹⁰، مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، الإمارات العربيّة المتحدّة، 1998م.
- 44- مبارك بن محمّد الهلاليّ الميليّ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج³، مكتبة النهضة الجزائريّة، الجزائر، د.ت.
- 45- مجموعة من المؤلّفين، الجزائر في الوثائق العثمانيّة، رئاسة الوزراء، رئاسة دائرة الأرشيف العثمانيّ، أنقرة، تركيا، 2010م.
- 46- محمّد بن الأمير عبد القادر الجزائريّ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج¹، المطبعة التجاريّة عزروزي وجاويش، الإسكندريّة، 1903م.
- 47- محمّد خير فارس، تاريخ الجزائر من الفتح العثمانيّ إلى الاحتلال الفرنسيّ، ط¹، كليّة الآداب، جامعة دمشق، 1969.
- 48- محمّد الميليّ، الجزائر في مرآة التّاريخ، مكتبة البعث، الجزائر، 1965م.
- 49- محمد عابد الجابري، نحن والتّراث، المركز الثقافيّ العربيّ، المغرب، 1986م.
- 50- محمّد عبد الله الشّرقاوي، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2016م.

- 51- محمد محمود زقروق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط²، دار المنار، 1989م.
- 52- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبته العالمية قبل سنة 1830م، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2007م.
- * ناصر الدين سعيدوني؛
- 53- تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، الجزائر، 2014م.
- 54- الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، (المهدي البوعديلي) الجزائر، 1984م.
- 55- موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.
- 56- النظام المالي للجزائر أواخر الفترة العثمانية (1792-1830م) وويليه قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705م، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، ط³، 2012م.
- 57- ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط²، دار البصائر، الجزائر، 2008م.
- 58- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.
- 59- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ط²، ج2، ديوان المطبوعات البياتية، الجزائر، 2009م.
- 60- يوسف صارياني ومجموعة من المؤلفين، الجزائر في الوثائق بالعثمانية، مشروع رئاسة الوزراء، ترجمة فاضل بيات، أنقرة، 2010.

(2) المراجع المترجمة:

- 1- إجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة، ط¹، ترجمة يوسف مرسي وزميله، مصر، 1948م.
- * إدوارد سعيد؛
- 2- الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1981م.
- 3- آرثر إيزابجر، النقد الثقافي، ترجمة وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، 2003م.
- 4- أكمل الدين إحسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح السعداوي، إسطنبول، تركيا، 1999م.
- 5- تيري إيجلتون، النقد والإيديولوجية، ترجمة فخري صالح، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م.
- 6- جولي كريستيفا، علم النص، ط²، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997م.
- 7- جون بابتيست وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية للكتاب، 1986م.
- 8- خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرنؤوط، دار المدار

- الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م.
- 9- ديريك هوبود، النّصوّرات الجنسيّة عن الشّرق الأوسط، البريطانيّون والفرنسيّون والعرب، ترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، 2009م.
- 10- رينيه جيرارد، العنف والمقدّس، ط¹، ترجمة سميرة رشا، المنظّمة العربيّة للترجمة، لبنان، 2009م.
- 11- عبد الرّحمن تشايجي، الصّراع التّركي-الفرنسيّ في الصّحراء الكبرى، ترجمة عليّ أعززي، الجماهيريّة العربيّة الليبيّة الشّعبيّة الاشتراكيّة، 1982م.
- 12- فيليب لوكا جون كلود فاتان، جزائر الأنثروبولوجيين، ترجمة محمّد يحياتن، بشير بولفراق، منشورات الذّكري الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002م.
- 13- كورين شوفالييه، الثّلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات البيّاتة، 2007م.

(3) المراجع الأجنبيّة:

- 1- **Arnold Van Genep**, Les rites de passage, édition A.et J. Picard, Paris, 1981.
- 2- **Kemal Kahraman**, Cezayir, İslam Ansiklopedisi, Türkiye Diyanet Vakfı, Ali Rıza Baskan Guzel Santarlar Matbaası, İstanbul, cilt07-11, 1993.
- 3- **Reisigl, Martin**, The Discourse-Historical Approach, in Flowerdew and Richardson (Eds), the Routledge Handbook of Critical Discourse studies, New York and London: Routledge, 2018.
- 4- **Roger Le Tourneau**, L'évolution politique de l'Afrique du nord, A. Colin, Paris, 1962.
- 5- **Ruth wodak**, The Discursive Construction of National Identity (Second Edition), translated by Angelika Hirsch, Richard Mitten and J. W. Unger, Edinburgh University, Press, 2009.

ثالثا: الرّسائل والأطاريح.

* أرزقي شويتام؛

- 1- المجتمع الجزائريّ وفعاليّاته في العهد العثمانيّ، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
- 2- نهاية الحكم العثمانيّ في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988م.

* أماني بنت جعفر بن صالح الغازي؛

- 3- الدّولة العثمانيّة من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلاميّة، رسالة دكتوراه في التّاريخ الحديث، المملكة العربيّة السعوديّة، 2010م.
- 4- دور الإنكشاريّة في إضعاف الدّولة العثمانيّة، رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، المملكة العربيّة السعوديّة، 2004م.

- 5- خالد بن عبد الله القاسم، العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة أمّ القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، 2002م،
- 6- رشيدة شكري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدّيات 1671-1830م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
- 7- زليخة صاري، محمّد بن الشّاهد آخر شعراء الجزائر في الفترة العثمانية، دراسة توثيقية وفنية لشعره، قصيدة "رثاء الجزائر" أنموذجاً، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007/2008م.
- 8- شريفة طيّان، الفنون التطبيقية، الجزائر في العهد العثماني، دراسة أثرية فنية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007/2008م.
- 9- عبد القادر فكايير، آثار الاحتلال الإسباني على الجزائر خلال العهد العثماني 10-12هـ/16-18م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008-2009م.
- 10- قارة مصطفى نور الدين، النصّ الأدبي من النّسق المغلق إلى النّسق المفتوح، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2009/2010م.
- 11- محمد دادة، الطبّ والمجتمع في الجزائر خلال الفترة العثمانية 1519-1830م، مقارنة اجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2014-2015م.
- 12- محمد شاطو، نظرة المصادر الجزائرية الى السلّطة العثمانية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
- 13- نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التّاريخ الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 1987م.

رابعاً: المجالات الأكاديمية والدوريات.

(1) العربية:

- 1- إبراهيم علّوش، المؤامرة في التّاريخ، حقيقة أم خيال، مجلّة طلقة تنوير، ع42، 2017م.
- 2- إسماعيل خلباص حمّادي وإحسان ناصر، النّقد الثقافيّ، مفهومه، منهجه، إجراءاته، مجلّة كلية التربية، جامعة واسط العراقية، ع13، 2013م.
- 3- براين تورنر، الاستشراق ومشكلة المجتمع المدني في الإسلام، ترجمة مصطفى شادي إدريسي، مجلّة الباب، ع08، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2016.
- 4- بلعالية الميلود، من أجل إعادة الاعتبار لتاريخ الدولة العثمانية في الجزائر قبل 1830م، مجلّة "Route educational and social science journal"، م5، ع08، جوان 2018م.

- 5- جانيت أبو لغد، المدينة الإسلامية، الميثولوجيا التاريخية، الأصل الاسمّي، والمعنى المعاصر، مجلة دراسات الشرق الأوسط، ع19، 1987م.
- 6- حمّادي عبد الله، جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الإسبان، مجلة جزائر القرن السادس عشر، ع01، 1994م.
- 7- حنيفي هلايلي، التنظيم العسكري للبحريّة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، م²²، ع02.
- 8- خير الدين سعيدي؛ الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1775م من خلال مخطوط الزهرة النائرة، لابن رقية التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، ع 29 ديسمبر 2017م.
- 9- رائد أمير عبد الله، المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، م⁸، ع1/15، 2014م.
- 10- رابحه محمد خضير عيسى الجبوري، القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م، مجلة جامعة تكريت للعلوم، م¹⁸، ع01، كانون الثاني، 2011م.
- 11- زبير رشيد، انتفاضة ماي 1945 هل كانت من تدبير حزب الشعب الجزائري أم مؤامرة كولونيالية؟، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية، ع13، جانفي 2015.
- 12- سليمان أحمد الظاهر، مفهوم النسق في الفلسفة، مقال في مجلة جامعة دمشق، م³⁰، ع03-04، سوريا، 2014م.
- 13- عبّاس أحمد وند، دور الكتاب الإيرانيين في إعداد دائرة المعارف الإسلامية، طبعة ليدن، مقال في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة 16، ع01، ربيع وصيف 1434هـ.
- 14- عبد الجليل التميمي، الغرب كما يراه حسونة الدّغيس الطرابلسي سنة 1834م، المجلة التاريخية المغربية، ع05، تونس، 1976م.
- 15- عبد العالي الودغيري، قضية الفصحى في القاموس العربي التاريخي، مجلة اللسان العربي، ع33، الرباط، المغرب، 1989م.
- 16- عبد العظيم الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، كتاب الأمة، ع27، قطر، د.ت.
- 17- علاوة عمّارة، الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع03، ديسمبر 2008م.
- 18- علي توفيق الحمد، المعجم التاريخي العربي، مجلة المعجمية، ع05-06، تونس، 1990م.
- * فاضل بيّات؛
- 19- الدّوشيرمة ضريبة دم أم تجنيد إلزامي؟ مجلة البيان، م⁵، ع01، جامعة آل البيت الأردنية، 2007م.
- 20- فؤاد صوفي، التاريخ والذاكرة، الإسطوربوغرافية الاستعماريّة، مقال نُشر في دفاتر إنسانية، ع02، 2010م.

- 21- محمد خالد، المقدّس والعنف في التجربة الصوفيّة: حالة شمال شرق الصحراء الجزائرية، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مجلة إنسانيات، ع11، ماي-أوت 2000م، الجزائر.
- 22- مسعود بن ساري، صورة السلطان العثماني في الأدب الجزائري القديم، مجلة مقاليد، الجزائر، ع07، ديسمبر 2014م.
- * ناصر الدين سعيدوني؛
- 23- الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، مجلة الثقافة، ع45، الجزائر، 1978م.
- 24- موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر، صلاحيتهم الإدارية، مهامهم الاقتصادية والاجتماعية، مجلة المؤرخ العربي، إصدار الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العراق، 1987م.
- 25- نغم طالب عبد الله، السياسة العثمانية تجاه النمسا من فتح بلغراد حتى معاهدة كارلوفتس، المعطيات التاريخية وتحليل النتائج، مجلة «Route educational and social science journal»، م5، ع09، 2018م.

(2) الأجنبية:

- 1- J. Deny, Les registres de soldes des janissaires conservés à la B.N.A, In R.A, n°61, 1920
- 2- Samir Saul, Roger Le Tourneau, un historien de l’Afrique du nord face à la décolonisation, Outre-Mers, Revue d’histoire, n°350-351, 2006.

خامسا: أعمال المؤتمرات والندوات.

* أحمد أوزل؛

- 1- طرابلس غرب، خطاب في اجتماع بمركز جمعية الدعوة الإسلامية، 2010م. غير منشور
- 2- الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) والموسوعة الإسلامية الفارسية وموسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مداخلة مقدّمة في ندوة موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، الجزائر، 15-16 نيسان 2007م. غير منشورة
- 3- موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين وأهميتها في إبراز الثقافة والحضارة التركية والعثمانية، مداخلة قدّمت في ندوة العمل الموسوعي العربي، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، طرابلس الغرب أنموذجاً، 25-26 مايو 2010م. غير منشورة

سادسا: الموسوعات والمعاجم والقواميس.

(1) العربية:

- 1- إبراهيم السامرائي، معجم ودراسة في العربية المعاصرة، ناشرون، مكتبة لبنان، 2000م.
- 2- أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج8، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003م.
- 3- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، ج3، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1996م.
- 4- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000م.
- 5- مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إشراف رابح خدوسي، منشورات الحضارة، 2014م.
- 6- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط¹، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.
- 7- موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط¹، ج9 وج10، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998م.
- 8- نجيب العقيقي، المستشرقون، موسوعة تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه، منذ ألف عام حتى اليوم، ط³، ج1، دار المعارف، مصر، 1964.
- 9- يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

(2) الأجنبية:

- 1- İslam Ansiklopedisi, Türkiye Diyanet Vakfı, Ali Riza Baskan Guzel Santarlar Matbaası, İstanbul, cilt 07-11, 1993.

سابعاً: الأدلة والنشريات.

- 1- دليل كتابة المواد، وقف الشؤون الإسلامية التركي، المديرية العامة للموسوعة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، 1986م.
- 2- دليل وقف الديانة التركي، مركز البحوث الإسلامية، إسطنبول، تركيا، د.ت.
- 3- نشرة وتقرير إسام رقم 42، مركز البحوث الإسلامية، إسطنبول، تركيا، 2016م.
- 4- نشرة وتقرير إسام رقم 43، مركز البحوث الإسلامية، إسطنبول، تركيا، 2016م.

ثامناً: التسجيلات الصوتية.

- 1- تسجيل صوتي في لقاء علمي جمعنا بالأستاذ الدكتور أحمد أوزل، نائب رئيس مركز البحوث الإسلامية، وعضو الهيئة العلمية للموسوعة الإسلامية في مكتبه بإسطنبول، تركيا، بتاريخ 21 أكتوبر 2017م.

تاسعا: روابط شبكة الأنترنت.

(1) العربية:

- 1- أبو عبيد الله البكري، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- 2- أبو يعلى البيضاوي المغربي، دائرة المعارف الإسلامية، 1429هـ، استخرج من الرابط khizana.blogspot.com/2008/10/encyclopedia-of-islam.htm
- 3- أحمد شاكر، المحقق طيار قولا، قصة تركي عاشق للمصاحف القديمة، 2016/12/24م، استخرج من الرابط <https://www.ida2at.com/detective-kolag-pilot-turkish-story-lover-of-old-korans>
- 4- أحمد عبيد، التاريخ الجزائري: تقييم ونقد حالة الجزائر العثمانية، 2010م، استخرج من الرابط <https://journals.openedition.org/insaniyat>
- 5- أمير يوسف، الواقع الاقتصادي للجزائر خلال الفترة العثمانية، استخرج من الرابط <https://www.asjp.cerist.dz/downloads/revues?fileKey=2171>
- 6- بشير بن نعمان دحان، منهج المستشرقين في دراسة النظم الاجتماعية، 2010م، استخرج من الرابط www.madinacenter.com/post.php?DataI
- 7- جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، 2019/06/23م، استخرج من الرابط www.alukah.net/Books/Files/Book_8058/BookFile/ansaaq.docx
- 8- جميلة الشمري، المستشرقون ومناهجهم في دراسة علوم القرآن الكريم، 2013/06/02م، استخرج من الرابط <https://vb.tafsir.net/tafsir36527>
- 9- حكومة الهادي الإخوة، الحماية الفرنسية في تونس، الوزراء الفرنسيون، استخرج من الرابط <https://wikipedia.ml/wiki>
- 10- حميد أجار، استخرج من الرابط https://en.wikipedia.org/wiki/Hamid_Algar
- * حميد بن ناصر خالد الحميد؛
- 11- الأخطاء العقديّة في دائرة المعارف الإسلامية، 2014م، مستخرج من الرابط <http://www.madinacenter.com>
- 12- القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية، د.ت، ورقة بحثية من الندوة حول "القرآن الكريم في دوائر المعارف الاستشراقية"، استخرجت من الرابط <https://www.kutub-pdf.com/book/4731>.
- 13- المعتزلة في دائرة المعارف الإسلامية، عرض ودراسة، الرياض، جامعة الملك سعود، د.ت، ص.01، استخرج من الرابط <http://fac.ksu.edu.sa/alkassem/publication/34347>
- 14- راجب السرجاني، قصة اللغة العربية، 2010/04/21م، استخرج من الرابط <https://islamstory.com>
- 15- ربيع السملالي، التعريف بأدب التأليف، 2017/07/04م، استخرج من الرابط <http://blogs.aljazeera.net/blogs>
- 16- رشدي راشد، د.ت، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org>
- 17- رضوان السيد، عبد العزيز الدوري ودراسات التاريخ الإسلامي، 2010/11/23م، استخرج من الرابط <http://archive.aawsat.com/details.asp?section>

- 18 - الطيّب بن رجب، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية بين الوهم والحقيقة، 20-02-2015م، استخرج من الرابط <http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid>
- 19 - عبد العظيم الديب، د.ت، استخرج من الرابط <https://www.marefa.org>
- 20 - علي بارداق أوغلو، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org>
- 21 - مبروك بوطقطوقة، عرض كتاب جزائر الأونثروبولوجيين، 08/05/2010م، استخرج من الرابط <http://www.aranthropos.com>
- 22 - محمد جورمز، استخرج من الرابط <https://www.wikiwand.com>
- 23 - محمد السويسي، الموسوعة التونسية، 02/11/2017م، استخرج من الرابط <http://www.mawsouaa.tn/wiki>
- 24 - محمد شعبان صوان، أطفال بين ضريبة الدوشيرمه العثمانية وربية الثورة الصناعية، 06/08/2015م استخرج من الرابط <https://www.turkey-post.net/p-66748/>
- 25 - محمد العبدري الحاحي، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- 26 - محمد علال سي ناصر، مستقبل القرويين وإشعاع الثقافة الإسلامية، يناير 1993، استخرج من الرابط <http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/7614>
- 27 - مجهول، "بابا مرزوق"... مدفع جزائري عملاق "سرقته" فرنسا، 02/01/2018م، استخرج من الرابط <https://www.maghrebvoices.com/a/Algeria-history-France/462626.html>
- 28 - مجهول، قصر الداى "دار السلطان" مكان حادثة المروحة، 26 جوان 2018م، استخرج من الرابط <http://www.ech-chaab.com/ar/صفحات-خاصة/صيفيات-98426/2017-قصر-الداى-دار-السلطان-مكان-حادثة-المروحة>
- 29 - مجهول، مدفع بابا مرزوق، 06/12/2019م، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- 30 - مجهول، معالم تاريخية وحضارية، 12 ماي 2015م، استخرجت من الرابط <https://ar-ar.facebook.com/algeriaDiscove/posts/758902770875567>
- 31 - مجهول، موسوعة الأديان، المطلب الثاني فرنسا، د.ت، مستخرج من الرابط <https://dorar.net/adyan/877>
- 32 - نظام الدين إبراهيم أوغلو، أعلام تركيا، الأستاذ الدكتور خير الدين قرمان، 17/06/2009م، استخرج من الرابط <http://www.wata.cc/forums/showthread.php?49417>
- * نواره باشوش؛
- 33 - مدفع أبو مرزوق يتحرر من الأسر، 09/07/2012م، استخرج من الرابط <https://www.vitamedz.com>
- 34 - مدفع "بابا مرزوق" مرعب فرنسا يعود إلى الجزائر بعد 150 سنة، 08/07/2012م، استخرج من الرابط <https://www.echoroukonline.com>
- 35 - نيكولا جورني، طقوس العبور، 2011م، ترجمة المنتصر الحلي، استخرج من الرابط <http://www.aranthropos.com>

36 - هديل البكري، إبراهيم البيومي غانم، 2014م، استخرج من الرابط <https://mawdoo3.com>

(2) الأجنبية:

- 1- **Fernand Braudel**, Georges Yver, <https://www.cambridge.org/core/.../div-class-title-georges-yver-1870-1961-div.pdf>
- 2- **Inconnu**, Colombe Marcel (1913-2001), 29/09/2015, <https://www.idref.fr/028426878>
- 3- **Inconnu**, Colombe Marcel, <https://www.persee.fr/authority/27516>
- 4- **Inconnu**, Formation aux techniques documentaires et gestion des médiathèques, Encyclopédies et dictionnaires encyclopédiques, 10/2014, <http://mediadix.parisnanterre.fr/cours/.../EncyclopediesDictionnairesEncyclopediques.pdf>
- 5- **Inconnu**, Formation aux techniques documentaires et gestion des médiathèques, métiers, 10/04/2010, <https://archive.org>
- 6- **Inconnu**, Georges Mutin, <http://www.bibliomonde.com/auteur/georges-mutin->
- 7- **Inconnu**, Roger Le Tourneau, http://www.memoireafriquedunord.net/biog/biog03_tourneau.htm

فهرس المصطلحات العربیة ذات الأصل العثمانيّ الفارسيّ ومعانيها

الرقم	المصطلح	المعنى	الصفحة
(أ)			
01	أَباش ريس .	مساعد الرئيس .	.316
02	آت خوجة سي (حجّة الخيل) أو أمير آخور .	أمير الإسطبل أو ناظر الخيول .	.226
03	الأزبالق	الشعيريّة، ويقصد بها مخصّصات عينيّة ونقدية تقدّم لرجال الدولة (قرى ونفقات مالية) .	.208
04	أسكي يُلداش أو أسكي يُولداش .	الرّفيق القديم .	.348
05	الأصباشي أو "الأوداباشي" أو "أوده باشيلري" . الصّواب هو الأودا باشي "كلمتان .	رئيس التكنة .	.348
06	آغا الإنكشاريّة وأصلها يكي جري آغاسي أو يني تُشري آغاسي - يني شري آغاسي - يني جري آغاسي .	قائد أوجاق الإنكشاريّة وأرفع الضباط مرتبة .	-225-215-202-196 .362-353-226
07	الأغاباشي أو الأياباشي	ضابط سام .	.349
08	الأناضول	الجزء الآسيويّ من الدولة العثمانيّة .	-130-123-115-114 -197-167-147-145 -259-242-237-209 -338-336-335-328 -347-346-345-341 .372-364
09	الإنكشاريّة وأصلها يني تُشري - يني شري - يني جري .	الجنديّ الجديد ويقصد بها أيضا الجيش أو الجنديّة البريّة .	-175-117-115-114-89 -225-215-202-196 -244-243-238-226 -262-261-252-248 -309-308-265-263 -335-334-333-321

فهرس المصطلحات العربفة فوات التأصفل العثماني الفارسي ومعانيها

-346-345-338-336 -353-350-349-347 -362-361-356-355 .365-363			
.227	طبّاح القصر (الرئيس).	أهجي باشا (أتشي باشا). والصواب هو أشيجي باشا	10
-246-245-207-146 -341-335-291-257 .346	فرق الجيش، أحد الأساليب المتبعة في إدارة الألوية.	الأوجاقلق - الأوجاق - وجق.	11
.287-272-204-200	إيالة، أكبر وحدة إدارية.	إيالت	12
.225	أمير الإسطنبول.	أمير آخور	13
(ب)			
.316	المعروف أنه ناظر الأسرى، لكن الصواب هو رئيس الجراحين.	الباش جراح.	14
.227	رئيس الخوجات.	باش خوجة. خوجة وأصلها خواجة، سيد، أستاذ باش: رئيس	15
.316	مدير الدقة.	الباش دمانجي.	16
.231	المكلف ببريد البايك ونقل الرسائل بين الباي والداي.	الباش سيار	17
.231	المتصرف في اصطبلات البايك.	الباش سايس أو الباش سراج.	18
.316	المعروف أنه رئيس مسؤول مخزن دخيرة البارود، أو رئيس جماعة المدفعية، والصواب أنه أمر المدفعية.	باش طوجي - باش طوجي. والصواب هو طوجي باشي	19
.315	الناظر العام لسجون الأسرى. وأصلها غارديان باشي مأخوذة من الفرنسة وهو رئيس الحرس، رئيس السجانين.	باش ورديان والصواب هو الورديان باشا.	20

فهرس المصطلحات العربية ذات الأصيل العثماني الفارسي ومعانيها

21	الباشا	رتبة عسكرية ومدنية تمنح بأمر سلطاني إلى كبار الضباط ورجال الدولة؛ مثل الوزراء والولاة وأمراء السناجق وحتى لبعض شيوخ القبائل.	147-148-180-200- 222-225-227-237- 242-245-248-258- 262-265-279-295- 360.
22	باشي داي	رئيس المطربين.	.227
23	بَكَزَبِكِي ويلفظ بَيَّرَبِي.	أمير الأمراء، وبالفارسية ميز ميران، ممثل السلطان في الولاية، وأمر الهرم الإداري والعسكري فيه، حل محله مصطلح "والي" بعد صدور قانون الولايات 1864م.	.202
24	بَكَزَبِكِي / بَكَزُ بَكَكُ (بَيَّر بَيَّاك)	إمارة الإمارات. جزائر كَزَبِكِي.	201-202-203-204.
25	بكوات	بك: أمير بكوات: أمراء	192-193-194-195- 196.
26	البُلوك	وحدة من الوحدات العسكرية.	.202
27	بُلوكباشي - البُلوكباشي.	رتبة آغا أو قائد في الجندية البرية أو الضابط.	.316
28	بيت المألجي.	ناظر بيت المال.	193-197-224-226
29	بيكزُ	فرقة من الجندية البرية تراقب الأحياء.	
30	بَيَّاك	إمارة	195-196-198-200- 201-204-205-207- 208-212-222-228- 313-369.
(ج)			
31	جاوش باشي.	المعروف أنه رئيس الفرقة التي تراقب الجنود والصواب هو أن جاوش باشي رتبة عسكرية، مأمور يتولى تنفيذ الأحكام السلطانية،	.351

فهرس المصطلحات العربفة ؤات التأسفل العثمانف الفارسف ومعانفها

	وتبلغ الأوامر الصادرة من المركز إلى الولايات والألوية.		
-314-213-186-185 -314-275-233-232 -351-328-327-320 -372-365-362-361 .375	المعروف أنها فرقة تراقب الجنود، والصواب هو أن جاوش باشف رتبة عسكرية، مأمور يتولى تنفيذ الأحكام السلطانية، وتبلغ الأوامر الصادرة من المركز إلى الولايات والألوية.	الجاوش، الجاوشية.	32
.362	الصنف المدرع من الجيش.	الجبية	33
.204-203	إمارة الإمارات جزائر الغرب، ولاية جزائر الغرب.	جزائر غرب بكاربكي.	34
(ح)			
.207-204	حكومة	حكومت	35
.226-225	ناظر الخيول، ينظر في الأمور المتعلقة بالأملك الوطنية، وبيع الحيوانات وشرائها.	حبة الخيل	36
(خ)			
.275-255-234-203	السلطان - السلطاني - السلطانية.	الخان - الخاقاني - الخاقانية.	37
.224-194-193	أمين الخزانة أو مراقب الخزينة.	الخرنجي والصواب هو الخرته جي	38
.231-227-226	أمين الداي الخاص.	الخرندار الخزينة دار، والصواب هو الخرته دار	39
.226	الخوجا: أفندي، آغا، سيد، صاحب، معلم. باشي: رئيس الكاتب الكبير، والصواب هو رئيس الكتاب.	الخوجا باشي	40
.231-226	جابي الضرائب.	خوجة الخيل أو الصواب هو الأتخوجان.	41

(د)			
42	الدَّفْتَرُ دَارُ أَوْ بَاشٍ مَقْطَاعِيّ. والصواب هو باش مقاطعة جى	*الدَّفْتَرُ دار وكيل الخرج الكبير يسجّل دخل البلاد من الضرائب، ويراقب المخازن. ناظر الخزينة والصواب أنّه المسؤول عن الشؤون الماليّة في الدولة. *والمقطاعيّ، يكتب مقاطعة جى ويعني ملتزم، وباش مقاطعه جى: الملتزم الرئيسيّ.	225-226-227..
43	الدِّمَانَجِيّ	ماسك مقود المركب.	.316
(ر)			
44	الرَّقْمَجِيّ	حافظ سجلّات الشؤون الخارجيّة للبلاد.	.226-227
45	الرُّومَلِيّ	الجزء الأوروبّيّ من الدولة العثمانيّة.	147-313-345-347
(ز)			
46	زَبَانْدُود	فرقة الجنود المغضوب عليهم والّذي صدر في حقّهم العفو.	.351
(س)			
47	سَأَلِيَانَة	سنويّ؛ ويقصد بها مرتبّات البكركي وأمرأ السّناجق والجنود، والنّفقات المختلفة التي تخرج مرّة واحدة في السّنة.	.200
48	السَّبَاهِيَة أَوْ سَبَاهُ جَنْد.	جنود فرسان أو خيالة عثمانيّون.	206-207-321-351- .365
49	السَّبَابِيْس	فرقة جنود تشتغل مع الباي فقط.	.352
50	سَنْجَاقْلَرْدَه	الألوية. سنجاقلر بمعنى الألوية ده بمعنة في.	.216

فهرس المصطلحات العربية ذات الأصيل العثماني الفارسي ومعانيها

177.	آمر الهرم الإداري والعسكري في اللواء، أمير لواء.	سَنَجَقُ باي والصواب هو سَنَجَاقُ بَكِي	51
-196-195-177-123 -205-204-203-200 .348-222	لواء	سَنَجَقُ	52
(ش)			
349.	المسخر حامل الرسائل.	الشاوش أو "الزاوش".	53
(ص)			
227.	الصراف أو مراقب الوزن.	الصايحي	54
316.	رئيس القارب.	الصننل رئيس والصواب هو الصننل رئيسي	55
316.	القائم على خلفية السفينة.	الصوتا رئيس، والصواب هو الصوتا رئيسي	56
351.	فرقة صغيرة من الجنديّة داخل القصر.	صولاق	57
(ط)			
355.	طائفة المتطوعين في الجنديّة البرية.	طائفة الكونولية. (القونولية)	58
-312-307-303-302 .372-322-317-315	طائفة رياس البحر أو الجنديّة البحرية.	طائفة اللوند.	59
351-317-316-314	رجال المدفعية المشاة.	الطوبجية أو الطوبخانه.	60
(ع)			
316.	مسؤول مخزن المؤن والسلع.	العنبرجي	61
(ق)			
321.	قائم مقام أي النائب عن.	قائم مقام	62
233-232-209	الحراس، البواب	القبوجية، القبوجي	63
-213-202-201-188 -321-314-313-214 -354-350-328-327 .375-374-362	القائد الأعلى للأسطول العثماني.	القبودان باشا، القبودانية	64

فهرس المصطلحات العربیة ذات التأسیل العثمانيّ الفارسيّ ومعانيها

226.	وكيل الخرج الصّغير يهتمّ بغنائم البحر، وأمور الدیوانة (الجمارك).	قُبودان بالي أو المَقْطَاعِجِي، والصّواب هو المقاطعه جي	65
316.	المشغل بطلاء السّفينة وتزفيّتها وغلّق الشّقوق بالزّفّت.	القَلْفَاطُ	66
(ك)			
353-349.	الجندي الّذي يسهر على حفظ النّظام والأمن العامّ، ويترأس اجتماع الضبّاط.	الكاهية، والصّواب هو الكهيه	67
350-347-319-275-362-357-356-355-372-363.	نائب المسؤول أو وكيل القائمقام (النائب عن)، يودّي أعمال كبار رجال الدّولة والأغنياء، وتستخدم مع أسماء مختلفة مثل؛ كتحدا الخزينة، كتحدا الدّفتر كتحدا الآغا... إلخ.	كَتَحْدَا	68
224-193.	كلمة مشتقّة من اللفظ الفارسيّ كتحدا.	الكَحْيَا	69
336-334-290-146-357.	المعروف أنّهم المولّدون من زواج جمع بين الجند العثمانيّين بنساء الأهالي. والصّواب أنّ أصل الاسم قُولٌ أوغْلُو، والقُولُ بمعنى العبد، حيث أطلق على الجنود خاصّة الجنود الإنكشاريون، أمّا أوغْلُو ابن؛ أي ابن الجندي. وأطلق كمصطلح على أبناء الجنود الإنكشاريين من زوجاتهم المحليّات في أوجاقات الغرب، وتمّ تصحيف الاسم من قُولٌ أوغْلِيّة إلى قرأغليّة أو قرأغلة ثمّ كراغلة. أمّا الأراغلة فقد استخدمها من ينطق حرف القاف ألفا مثل طلاق طلاء.	الكراغلة، الكروغلي، (أراغلة، أورغلي)، والصّواب هو قُولٌ أوغْلُو	70
316.	المجدّفون	الكَرَاكِيّة	71

فهرس المصطلحات العربية ذات التأصيل العثماني الفارسي ومعانيها

(م)			
72	المالكانة	ملك خاص.	.209
73	مديّه سنجاغي بكّي. ويقال أيضا مديّه سنجاغي بكلكي.	أمير سنجق المديّة. إمارة سنجق المديّة.	.205
74	المزوار	قائد الليل أو المراقب.	-228-224-194-193 .229
75	المسنرداش	معلم النجار.	.316
76	المطرب باشي داي.	رئيس المطربين.	.227
77	المكتباجي	يفرض الضرائب ويحافظ على سجلّ محاسبات الدولة.	.226
78	المهترخانة	معمل الخيم.	.190
79	مؤصولاغا	لقب شرفي في الجندية البرية	.352
80	الموما إليه.	المشار إليه.	.354-314-275-211
81	*الميري *المال الميري	*الدولة، الأراضي الميرية؛ أي الأراضي العائدة الى الدولة. *المال الخاص بالدولة.	-216-211-210-209 .375-356-232
(ن)			
82	النوبتجي حوجسي، والصواب هو خوجاسي	خوجة حرس الداي.	.227
(و)			
83	الوزديان باشا، والصواب هو غاريان باشي	المعروف ناظر الأسرى، أصلها غاريان باشي مأخوذة من اللغة الفرنسية وهو رئيس الحرس، رئيس السجانين.	.316
84	وكيل الخرج التي.	مساعد وكيل الخرج.	.348
85	ولایت	ولاية	-200-185-152-108 -204-203-202-201

فهرس المصطلحات العربية ذات الأصيل العثماني الفارسي ومعانيها

-271-263-250-211 .354-328			
.204-203	ولاية جزائر الغرب.	ولاية جَزَائِرْ غرب.	86
(ي)			
.316	ماسك أشرعة السفن.	الترقانجي والغارزة كابو والبريتاجي.	87
.348	*الجندي الصغير أو البسيط. والصواب أنه رفيق في الجيش. *الرّفيق الجديد.	*اليولداشي، والصّواب هو اليولداش *يني يولداش	88

فانظر يا سيدي
يا ماسر سريا
والله اعلم
بما كنا نعمل

الرقم	الأعلام	الصفحة
(أ)		
01	إبراهيم بيومي غانم (1959م)	.24
02	إبن أبي زرع (...-1315م)	.72
03	إبن القاضي بن الشيخ أحمد بن القاضي (...-1527م) (الابن والأب الشيخ)	.125-123
04	أبو حمّو موسى الثالث (حكم عام 1516م، وتوفي عام 1528م)	.123
05	أبو زيد عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون الحضرمي المعروف بابن خلدون (1406-1332)	-268-267-266-265-264 -276-274-273-272-269 -288-286-285-282-280 -294-293-292-290-289 .376-376-298-297-295
06	أبو العبّاس أحمد بن عمّار الجزائريّ (1119هـ- 1707م)	.145
07	أبو العبّاس أحمد بن بن عليّ بن أحمد (القرن 13م-بعد عام 712هـ)	.118-115
08	أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم اللؤلؤيّ المعروف بالزركشي (...-بعد 1526م)	.72
09	أبو عبد الله محمّد بن أبي القاسم الرّعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار (...-نحو 1698م)	.72
10	أبو عبد الله محمّد بن محمّد الإدريسي (1100- 1166م)	.77-41
11	أبو عبد الله محمّد بن ميمون الجزائري (بعد 1120هـ- بعد 1708م)	.283-279-222-167-73
12	أبو عبد الله محمّد الثاني عشر (1460-1532م)	.95
13	أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد بن أيوب بن عمرو البكري (1030-1094م)	.248
14	أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرّي القرشي التلمساني	.145

	(1522م-1616م)	
.77	أبو القاسم محمد بن حوقل لابن حوقل (943-988م)	15
.145	أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي (مطلع القرن 11هـ-1080هـ)	16
.59-08	إجناس جولد تسيهر Goldziher Ignaz (1850م-1921م)	17
-17-16-15-13-12-11-09 .80-39-22-21-19	أحمد أوزل Özel Ahmet (1952م)	18
.281	أحمد بن عبد الرحمن بن زاغو المغراوي التلمساني (782هـ-845هـ)	19
.284	أحمد بن قاسم بن البوني (1653-1726م)	20
-281-146-110-103-95-73 .300-287-286	أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي (النصف الثاني من القرن 18 -1796م)	21
.295-73	أحمد بن هطال التلمساني (...-1804م)	22
-127-116-107-106-103 -148-145-143-131-128 .295-260-254-214-190	أحمد توفيق المدني (1899-1983م)	23
.262-245-147	أحمد الثالث (1673م-1736م)	24
.301-298-277-263	أحمد الشريف الزهار (1781-1872م)	25
.301	أحمد المبارك القسنطيني (1790-1871م)	26
.55	أدريان ريلاند Reland Hadrian (1676م-1718م)	27
.09	إدوين كالفرلي Calverley Edwin (1882م)	28
.310-182	أرتوغرول دوزداغ Ertuğrul Düüzdağ (1941م)	29
.85	أرجمنت قوران Kuran Ercüment (1931-2009م)	30
.339-337	أرطغرل بن سليمان شاه (حوالي 1191-1281م)	31
.08	أرنت جان فنسنيك Aren't Jan Wensnik (1882م-1939م)	32
.342-339-338	أروخان بن عثمان بن أرطغرل (1281-1362م)	33
.95	إسكندر السادس (رودريك دي بورخا) Alexander VI	34

	(1503-1431م)35	
.17	إسماعيل أرونسال Erünsal (1945م)	35
.75	ألفونس روسو Alphonse Rousseau (1820-1870م)	36
.53	أندريه لالاند Lalande André (1876-1963)	37
.66-65	أوجين ألبرتيني Albertini Eugène (1880-1941)	38
.75	أوسيب فرانسوا دوسال François De - Eusèbe Salle (1796-1873م)	39
.51	ايتيمار ايغان زوهار Itamar Even - Zoahr (1939م)	40
(ب)		
.322-138	بايزيد الثاني (1447-1512م)	41
.56	براين تورنر Turner Bryan (1945م)	42
.08	برنارد لويس Louis Bernard (1916م-2018م)	43
.60-17	بكر طوبال أعلو Bekir Topaloğlu (1936م-2016م)	44
.75	بول شارل ليونار أليكساندر الملقب ببيسوندر رانج Paul Charles Léonard Alexandre Rang des adrets, Rang- dit Sander (1793-1844م)	45
.366	بيار دان Dan Pierre (1580-1649م)	46
-219-218-217-216-212 .275-234-221-220	بيري ريس (1470-1553م)	47
.75	بيير جانتى دي بيسي Pierre Genty de Bussy (1793-1867م)	48
(ت)		
.08	توماس وولكر أرنولد Thomas Walker Arnold (1864م-1930م)	49
(ج)		
.231	جان تافرنيه J eann. B Taverni (1605-1689م)	50

-74-73-72-71-66-65-64 -100-97-90-84-76-75 -126-124-107-105-104 -159-158-156-142-136 -168-167-166-163-160 -224-200-196-195-192 -241-240-239-238-236 -332-307-305-304-303 .368-367-333	جورج إيفير Yver George (1870-1961م)	51
.84-63	جورج مارسيه Marçais Georges (1876-1962م)	52
.81-79-38	جورج موتان Mutin Georges (1934م)	53
.08	جوزيف شاخت Schacht Josef (1902م-1969م)	54
.56	جوليوس مول Mohl Julius (1800م-1876م)	55
51	جون أوستين Austin John (1911-1960م)	56
.311	جون بار Jean Bart (1651-1702)	57
.76	جون جاك بود Jeans -Jacques Baude (1792- 1862م)	58
.64	جون ديبوا Despois Jean (1865-1947م)	59
.75	جون فارديناند دنيس Jean -Ferdinand Denis (1798-1890م)	60
.143	جون ميشال دي فونتير دي بارادي Michel de Jean Venture de Paradi (1739-1799م)	61
.08	جوهانس هندريك كرامرز Hendrik Johannes Kramers (1891-1951م)	62
(ح)		
.122-116	حاجي حسين آغا (1486-1543)	63
-173-172-165-155-132 -179-178-176-175-174 .256-241-182-181	حسن آغا الطوشي (1486-1543م)	64

300-299-283-42	الحسن بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن احمد الشريف الورثلاني (1779-1713م)	65
148-147	حسين ميزومورتو Mezamorta Hacı Huseyin (القرن 17م-1701م)	66
-289-279-278-273-73 300-299-293-290	حمدان بن عثمان خوجة (1845-1773م)	67
24	حميد أجار (1940م)	68
(خ)		
343-342	خليل إينالجيک Inalcık Halil (2016-1916م)	69
-111-110-103-102-99 -116-115-114-113-112 -124-123-122-121-117 -129-128-127-126-125 -136-134-132-131-130 -142-141-140-139-138 -162-150-146-145-143 -180-178-177-174-164 -213-212-201-182-181 -310-270-268-241-214 -357-345-323-322-312 372	خير الدين باشا (خضر بن يعقوب) (1546-1470م)	70
23	خير الدين قرمان Hayrettin Karaman (1934م)	71
(د)		
59-08	دافيد صموئيل مرجليوث David Samuel Margolouth (1940-1858م)	72
09	دانكن بلاك ماكدونلد Duncan Blach Macdonald (1943-1863م)	73
-170-169-168-167-159 291	الداي حسين (1838-1773م)	74
37	دورسن دافوت Dursun Davut (1954م)	75

.77-73	دييغو دو هايدو Haedo Diego de (1608-1527م)	76
(ر)		
.16-15	رجب طيب أردوغان Tayyip Erdoğan Recep	77
.24	رشدي راشد (1936م)	78
.311	روبرت سيركوف Robert Surcouf (1827-1773م)	79
.51	روث فوداك Ruth wodak (1950م)	80
-97-91-77-72-71-69-68 -126-124-111-100-98 .305-304-303-240-157	روجي لوتورنو Roger tourneau Le (1907- (1971م)	81
(س)		
.38	سالم أوكوت Ögüt Salim (2012م-1956م)	82
.344	ستانفورد جاي شو Jay Shaw Stanford (1930- (2006م)	83
.300-281-280	سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني المكنى بأبي عثمان (منتصف القرن 17م -1677م)	84
-116-115-114-110-98 -277-272-122-121-117 .352	سليم الأول (1520-1512م).	85
-187-185-153-151-108 -213-202-190-189-188 -270-269--250-249-214 -328-320-319-318-271 .374-373-365-363-329	سليم الثاني (1574-1524م)	86
-318-269-184-177-132 .345	سليمان القانوني (سليمان الأول) (1566-1494م)	87
-271-261-191-190-89 .321	سنان باشا (1596-1506م)	88
(ش)		
.49	شارل فكتور لانجوا Langlois Charles -Victor	89

	(1863-1929م)	
.138	شاهرزاده قورقود (1467-1513م)	90
.215-213	الشريف السعدي محمد المهدي (1490-1557م)	91
.358-163	شعبان آغا (1661-1665)	92
(ص)		
-299-296-293-278-274 .301-300	صالح بن محمد العنتري القسنطيني (1800-1876م)	93
.345-324-256	صالح ريس (1488-1568م)	94
.143	صلاح العقاد (1929-1994م)	95
.344	صوقلي محمد باشا (1506-1579م)	96
(ط)		
.17	طيار ألتى قولاج Altikulaç Tayyar (1938م)	97
(ع)		
-225-179-128-127-85 .227-226	عائشة غطاس (1955-2011م)	98
.277	عبد الرحمن بن سيدي محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري البسكري (1512-1545م)	99
.299-270	عبد الرحمن بن محمد بن موسى الوجديدي التلمساني (1523-1603م)	10
.23	عبد العزيز الدوري (1919م-2010م)	101
.24	عبد العظيم الديب (1929م-2010م)	102
.300-284	عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي الغريسي الجزائري (.....-1778م)	103
.274	عبد الكريم الفكون (1580م-بعد 1662م)	104
.54-50	عبد الله الغدّامي (1946م)	105
.337	عثمان (خان) الأول (1258-1326م)	106
-113-112/110-107/105-98 -124-122-117-116-115	عروج ريس (عروج بن ابي يوسف يعقوب التركي) (1474-1518م)	107

-162/143-136-134-125 -322-310-268-267-241 .325-323		
.85	عزيز سامح ألتز Samih Iltter Aziz (1877م- 1948م)	108
.17	علي باردق أوغلو Bardakoğlu Ali (1952م)	109
.147	علي باشا شوش (حكما ما بين 1710-1718م)	110
.297-295-291-168	علي بن أحمد الملقب علي خوجة (1784-1818م)	111
..298	علي بن خليل باشا (...-1815م)	112
.298-291	عمر باشا (القرن 18م-1817م)	113
(ف)		
-341-216-212-205-151 .403-402-401-399	فاضل بيات (1946م)	114
.340-339-338	فان جنب Gennep Van (1873-1957م)	115
.149	فرانسوا الأول (1494م-1547م)	116
.95	فرناندو الكاثوليكي Fernando II (1452-1516م)	117
(ق)		
-202-201-187-186-185 -254-241-214-213-203 -318-314-312-270-269 .151-362-328-327	قلج (علج، علوج، أولوج) علي باشا (1500-1587م)	118
(ك)		
.232	كارل بروكلمان Brockelmann Carl (1868م- 1956م)	119
-181-180-174-110-109 .182	كارلوس ملك إسبانيا (1500-1558م)	120
.95	كريستوفر كولومبس Columbus Christopher (1451-1506م)	121
-98-93/86-81-78-38-37	كمال قهرمان Kahraman Kemal (1958م)	122

-126-125-114-108-107 -224-198-197-169-127 .369-307-245-243		
(ل)		
.184	لاله قره مصطفى باشا (1500-1580م)	123
.95	ليون كايثاني Léone Caetane (1869-1935م)	124
(م)		
.08	مارتين ثيودور هوتسما Martijn Theodoor Houtsma (1851-1943م)	125
.64	مارسال إمريث Emerit Marcel (1899-1985م)	126
-76-72-71-67-66-64 -107-100-98-97-84/78 -158-136-133-111-108 -224-200-196-194-159 -307-304-257-239-237 .368-366	مارسال كولومب Colombe Marcel (1913-2001م)	127
.77	ماك جوكان دي سلان Slane McGuckin De (1801-1879م)	128
.77	محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود أبو عبد الله العبدي (1250-1300م)	129
.282	محمد بن القوجيلي الجزائري (...-1670م)	130
.63	محمد بوضياف (1919-1992م)	131
.300-299-287-285-283	محمد أبو راس الناصري المعسكري (1751-1823م)	132
.280	محمد أبو عبد الله بن عبد المؤمن الحسني الجزائري (...-1683م)	133
.23	محمد السويسي (1915-2007م)	134
.72	محمد الصغير الإفرائي أو الوفرائي (1670-1747م)	135

.289	محمد بن الشاهد الجزائري (1737-1844م)	136
.301-295-291-282	محمد بن يوسف الزياتي (الثالث الأول من القرن التاسع عشر - 1902م)	137
.23-16	محمد كورمز Gormez Mehmet (1959م)	138
.297-291	محمود الثاني (1785-1839م)	139
.72	محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (1185-1250م)	140
.318-270-183	مصطفى بياله باشا (1515-1578م)	141
(ن)		
.171-91	نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte (1769-1821م)	142
-40-39/36-34/31—226-09 .292-233-147-133/45-43	ناصر الدين سعيدوني (1940م)	143
(هـ)		
.73	هنري دالماس دو غرامون Henri Delmas De Grammont (1830-1892م)	144
.59-08	هنري لامنس Henry Lammans (1862-1937م)	145
(و)		
.76	والسين إزثيرازي Estherazy Walsin (1847-1923م)	146
(ي)		
.182	يلماز أوزتونا Öztuna Yılmaz (1930-2012م)	147
.95	يوليوس الثاني البابا Julius II (1443-1513م)	148

فما ظننا
بما سرنا
والصنونا
حماصنا
س

الرقم	العنوان	الصفحة
01	تكريم الأستاذ الدكتور أحمد أوزل Ahmet Özel عضو الهيئة العلمية للموسوعة الإسلامية من قبل رئيس تركيا السيد رجب طيب أردوغان، وبحضور رئيس الشؤون الإسلامية الأستاذ محمد Mehmet Gormez.	16.
02	ملقات مادة الجزائر، موجودة في مركز البحوث الإسلامي، إسطنبول، تركيا.	20.
03	مادة الجزائر في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية).	32.
04	مادة "محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري" في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) من تأليف الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني.	33.
05	محمد باشا بن عبد القادر بن محي الدين الجزائري في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية).	33.
06	المؤرخ الجزائري الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني.	44.
07	المؤرخ الفرنسي جورج إيفير George Yver .	65.
08	المستشرق روجي لوتورنو Roger Le Tourneau.	68.
09	نص مادة "الجزائر" في الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية).	80.
10	المؤرخ التركي الأستاذ الدكتور كمال قهرمان Kemal Kahraman .	81.
11	نص مادة "الجزائر" في العهد العثماني من تأليف الأستاذ الدكتور كمال قهرمان.	83.
12	جزء من رسالة أعيان الجزائر يتحدث عن الرسالة الثانية المرافقة لرسالة أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول.	119.
13	تكريم وتسلم المؤرخ العراقي فاضل بيّات جائزة الشيخ حمد للترجمة عام 2015م.	151.
14	رسم تخيلي عن عملية تلقيم مدفع "ابا مرزوق" بالجنود الفرنسيين.	164.
15	رسم تخيلي عن عملية قذف القنصل الفرنسي من فوهة مدفع "ابا مرزوق".	165.
16	المدفع العثماني الحقيقي "ابا مرزوق" الموجود في ساحة مدينة بريست الفرنسية.	165.
17	مدفع "ابا مرزوق" المقلد من صنع وزارة الدفاع الجزائري عام 2012م.	166.
18	صورة وصفية لمخطّط حملة الملك شارل الخامس ضدّ الجزائر عام 1541م.	178.
19	خريطة نادرة لجزائر الغرب قبل عام 1553م تاريخ وفاة الرحالة والجغرافي العثماني بيبري ريس، وقبل هدم القلعة الإسبانية 1529-1530م، وفيها قلعة كريستال، خرابة بن زيّان، مدينة مستغانم، نهر الشلف، برج ومدينة تنس، ومدينة برشك (قوراية، سيدي إبراهيم غرب ولاية تيبازة).	217.

20	خريطة نادرة لجزائر الغرب قبل عام 1553م تاريخ وفاة الرحالة والجغرافي العثماني بييري ريس، وقبل هدم القلعة الإسبانية بين 1529-1530م، وفيها وادي طاموس، قلعة وميناء برشك، مدينة شرشال، مدينة الجزائر، برج إسبانيا.
21	خريطة نادرة لجزائر الغرب قبل عام 1553م تاريخ وفاة الرحالة والجغرافي العثماني بييري ريس، وقبل هدم القلعة الإسبانية بين 1529-1530م، وفيها قلعة الجزائر، برج إسبانيا، قلعة تلس، جزيرة بيزان، مدينة بجاية.
22	خريطة نادرة لجزائر الغرب قبل عام 1553م تاريخ وفاة الرحالة والجغرافي العثماني بييري ريس، وقبل هدم القلعة الإسبانية بين 1529-1530م، وفيها مدينة بجاية، وادي الكبير، جيجل، قرية قول، أوستورة، مدينة قسنطينة.
23	خريطة نادرة لجزائر الغرب قبل عام 1553م تاريخ وفاة الرحالة والجغرافي العثماني بييري ريس، وقبل هدم القلعة الإسبانية بين 1529-1530م، وفيها مدينة كوزجي، مدينة عنابة، نهر مدينة عنابة، ميناء أن، خرابة مارص الحريم، خرابة تبارقة، جزيرة جالطة.
24	مدخل قصر الجنديّة البحريّة " طائفة رياس البحر " رسمت إثر الاحتلال الفرنسيّ.
25	ريس البحر من أصل جزائريّ.
26	سفينة جزائرية تابعة للأسطول البحريّ الجزائريّ.
27	ضابط من ضباط الجنديّة البرية " طائفة الإنكشارية "
218.	
219.	
220.	
221.	
315.	
317.	
330.	
352.	

فانظر يا سيدي
يا ناصر سرياني
يا ناصر سرياني
يا ناصر سرياني

الصفحة	المحتويات
أ- ط	مقدمة
	الفصل الأول
45-01	التأصيل التاريخي لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف الديانة التركي
03	تمهيد
03	المبحث الأول: التأصيل التاريخي لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية).
10	المبحث الثاني: التأصيل التاريخي للموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف الديانة التركي.
26	المبحث الثالث: بدايات تشكل الذات التاريخية عند المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، التأليف الموسوعي أنموذجا.
45	خلاصة الفصل
	الفصل الثاني
86-46	النقد الخارجي للنصوص الخطابية التاريخية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) نص مادة "الجزائر" أنموذجا.
48	تمهيد
49	المبحث الأول: مقارنة نقد النصوص الخطابية لمادة "الجزائر" في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف الديانة التركي، مع الضبط المفاهيمي لمتغيرات الدراسة.
55	المبحث الثاني: مقارنة سياق الكفاية واللاكفاية العلمية في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف الديانة التركي.
62	المبحث الثالث: سياق مادة "الجزائر" كنص خطابي تاريخي ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف الديانة التركي.
86	خلاصة الفصل
	الفصل الثالث
377-87	النقد الباطن (الإيجابي والسلبي) للنصوص الخطابية التاريخية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف الديانة التركي. والوثائق العثمانية استشهدا

- المبحث الأول:** بواكير التثاقف التاريخي الجزائري-العثماني وأنساقه المضمره
 90 ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الإستشراقية) والموسوعة الإسلامية
 (باللغة التركية) وقف الديانة التركي)، رصد، تحليل ونقد.
- المبحث الثاني:** الحملات الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية
 155 ضد الأعداء بمعوية قوات ولاية الجزائر ضمن رصد وتحليل ونقد للأنساق
 المضمره في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الإستشراقية)
 والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف الديانة التركي) والوثائق العثمانية استشهداها.
- المبحث الثالث:** التنظيم الإداري لجزائر الغرب، ضمن رصد وتحليل ونقد
 192 للأنساق المضمره في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية
 (الإستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف الديانة التركي) والوثائق
 العثمانية استشهداها.
- المبحث الرابع:** مراحل وسياسة الحكم في جزائر الغرب أثناء العهد العثماني،
 236 ضمن رصد وتحليل ونقد للأنساق المضمره في النصوص الخطابية لموجز دائرة
 المعارف الإسلامية (الإستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) وقف الديانة
 التركي) والوثائق العثمانية استشهداها، مع مقترح أطوار جديدة لمراحل الحكم على ضوء
 النظرية الخلدونية.
- المبحث الخامس:** النظام العسكري بشقيه ومسألة الأسرى في جزائر الغرب
 302 أثناء العهد العثماني، ضمن رصد وتحليل ونقد للأنساق المضمره في النصوص
 الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الإستشراقية) والموسوعة الإسلامية
 (باللغة التركية) وقف الديانة التركي) والوثائق العثمانية استشهداها.
- 408-378 خاتمة
- 478-409 الملاحق
- 493-479 المصادر والمراجع
- 503-494 فهرس المصطلحات المعربة ذات التأصيل العثماني/الفارسي ومعانيها
- 514-504 فهرس الأعلام
- 517-515 فهرس الصور
- 520-518 فهرس المحتويات

ملخص:

ننشد من خلال دراستنا رصد الأنساق المضمرّة والمستترة في النصوص الخطابيّة حول جزائر الغرب في العهد العثمانيّ ضمن موجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الإستشراقيّة)، والموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة)، دراسة نقديّة (تحليليّة ومقارنة)، مع استحضار سياق إنتاج تلك النصوص، والوقوف عند المغالطات التاريخيّة الواردة سواء كانت عن قصد أو بدونه، في محاولة منّا لدحضها استشهادا بالوثائق العثمانيّة والمصادر التاريخيّة الموضوعيّة.

الكلمات المفتاحية: الأنساق المضمرّة - الجزائر - العهد العثمانيّ - موجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الإستشراقيّة) - الموسوعة الإسلاميّة (باللغة التركيّة).

Résumé:

Cette étude vise à détecter et dévoiler les pensées et idées implicites ou cachées dans les textes discursifs concernant l'Algérie occidentale durant l'époque Ottomane. Cette recherche s'appuie sur (Une encyclopédie concise du savoir islamique - Mojaz Dairat Imaarif l'Islamiya) (orientaliste) et l'encyclopédie islamique en langue turque. Dans cette optique, cette étude critique (analytique et comparative) prend en considération le contexte dans lequel ces textes ont été produits. Elle aborde également les erreurs historiques commises par erreur ou par inadvertance; en essayant de les réfuter tout en citant des documents Ottomane et des sources historiques objectives.

Mots-clés: Systèmes implicites - L'Algérie -L'époque Ottomane -Encyclopédie concise du savoir islamique - Mojaz Dairat Imaarif l'Islamiya (orientaliste) -Encyclopédie islamique en langue turque.

Abstract:

This study aims at unveiling the implied and hidden patterns in the discursive texts about Western Algeria in the Othman Period. This research draws on (Shorter Encyclopedia Of Islam - A concise encyclopedia of Islamic knowledge- Mojaz Dairat Imaarif l'Islamiya) (Orientalist) and the Islamic encyclopedia (in Turkish language). In this light, this critical study (analytical and comparative) takes into consideration the context in which these texts were produced. It also addresses the historical fallacies made by mistake or advertently. Thus, one could confirm that the paper is an attempt to refute the afromentioned fallacies based on Othman documents and objective historical writings.

Keywords: Implicit systems - Algeria - The Ottoman period - Concise encyclopedia of Islamic knowledge - Mojaz Dairat Imaarif Islamiya (orientalist) - Islamic encyclopedia in Turkish language.